مركز البحوث الإسلامية
إستانبول
سِلْسِلَةُ عيونِ التُّراثِ الإسْلَامِيِّ

تتمة الكشاف

(حَاشِيَةُ الجَارْبَرْدِي عَلَى الكَشَّاف)

فَخْرُ الدِّينِ أبو المكارِمِ أحمد بن الحسن بن يُوسُف الجَارْبَرْدِي
(ت. ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م)

تحقيق
أ.م. ضياء الدين القالش
محمد عماد النابلسي

إشراف
أ.م. محمد طه بويالق

المجلد الرابع

نشريات وقف الديانة التركي

نَشْرِيَاتُ وَقْفِ الدِّيَانَةِ التُّرْكِي
رقم النشر ١٤٣٥
نشريات إسام ٢٦٧
سلسلة عيون التراث الإسلامي ٦٢

تتمة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)
فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي

المجلد الرابع

تحقيق أ.م. ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي

تم إعداد تتمة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)
بإشراف اللجنة العلمية للتحقيق
بـ **مركز البحوث الإسلامية** (İSAM) التابع لوقف الديانة التركي.
İcadiye - Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
الهاتف: 50 08 474 216 90+ www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

التحرير أوقان قَدير بِلْماز
المراجعة العلمية محمد طه بوبالق، عبد الرحمن رضوان حَرَش
التدقيق النهائي لقسم الدراسة سعيد قاياجي (العربي)، مصطفى دَميرآي (التركي)
التصحيح (العربي) عبد الناصر حكيمي (الإملاء والفهارس والمصادر)، نور الحيلة (الإملاء)،
علي حيدر أُولُوصُويْ (الإملاء والفهارس)، آزاد سَارْسَانْبَايُوفْ (الإملاء)،
(التركي) عيسى قايا ألْبْ (الإملاء)، إسماعيل أَرْبِلْكِين (المصادر)
التصميم علي حيدر أُولُوصُويْ، إبراهيم درويش مؤذن (تطبيق)،
حسن حسين جان (غلاف)، رمزي حاج مصطفى (خط الغلاف)

تم إعداد هذا الكتاب
من قبل مركز البحوث الإسلامية (إسام/İSAM)
في إطار مشروع العصور المتأخرة من الحضارة الإسلامية.

تم طبع هذا الكتاب بقرار مجلس إدارة إسام
بتاريخ ٢٠٢٤/١٢/٢٧ ورقم ٢٠٢٤/١١.

الطبعة الأولى: إستانبول، ديسمبر ٢٠٢٤م / ١٤٤٦هـ
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة)
978-625-428-637-7 (المجلد الرابع)

الطباعة والنشر والتوزيع
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No: 11 Yeni Mahalle / Ankara
الهاتف: 9131 354 312 90+ الفاكس: 9132 354 312 90+ bilgi@tdv.com.tr

فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي
تتمة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف) / فخر الدين أبو المَكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجارْبَرْدي؛ تحقيق: ضياء الدين القالش، محمد عماد النابلسي. إستانبول؛ أنقرة: مركز البحوث الإسلامية (إسام)؛ وقف الديانة التركي، ٢٠٢٤.
المجلد الرابع (٧٤٠ صفحة)؛ ٢٤ سم. – (نشريات وقف الديانة التركي؛ ١٤٣٥. نشريات إسام؛ ٢٦٧. سلسلة عيون التراث الإسلامي؛ ٦٢)
يحتوي على الفهارس والمصادر
ISBN 978-625-428-633-9 (مجموعة) 978-625-428-637-7 (المجلد الرابع)

فهرس المحتويات

سورة المائدة

مدنيةٌ، وهي مئةٌ وثلاثٌ وعشرون آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾

يقال: وفَى بالعهد وأَوْفى به، ومنه: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ﴾ [البقرة ٢/١٧٧].

و"العقد": العهد الموثَّق، شُبِّه بعقد الحَبْل، ونحوُه قال الحطيئةِ:

قـومٌ إذا عَـقَـدوا عـقدًا لـجارِهِـمُ ... شَـدُّوا العِنَـاجَ وشَـدُّوا فوقَه الكَرَبَا

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المائدة

قوله: **(قومٌ إذا عقدوا)**[1] البيت. بعده:

قـومٌ هـم الأنـف والأذنـابُ غيرهمُ ... ومَـن يـسـوِّي بـأنـف الـنـاقـة الـذنـبا[2]

«"العِناج" في الدلو العظيم: حبل أو بِطان[3] يُشدُّ في أسفلها ثمّ يشدّ إلى العَراقي فيكون عونًا لها وللوَذَم، فإذا[4] انقطعت الأوذام أمسكها العِناج، فإذا كانت الدلو خفيفةً فعِناجها خيطٌ يشدّ في إحدى آذانها إلى العَرقوة».[5] «الوَذَم:[6]

---

[1] البيت للحطيئة في **ديوانه**، ص ١٢٨؛ وهو له في **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ٣٨؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/١٣٩؛ و**الصحاح** للجوهري، «عنج».

[2] **ديوان الحطيئة**، ص ٢٨.

[3] ر - بطان.

[4] ر: إذا.

[5] **الصحاح** للجوهري، «عنج».

[6] ر - الوذم.

وهي عقودُ الله التي عَقَدها على عباده وألزَمَها إيَّاهم من مَواجِب التكليف. وقيل: هي ما يَعقِدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه ويتماسحُون من المبايعات ونحوها، والظاهر أنّها عقودُ الله عليهم في دِينه من تحليلِ حلاله وتحريمِ حرامه، وأنَّه كلام قُدِّم مُجمَلًا ثم عُقِّب بالتفصيل، وهو قوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم﴾ وما بعده.

السُّيور التي بين آذان الدلو وأطراف العَراقي».[1] و«"الكَرَب": الحبل الذي في وسط العَراقي ثمّ يُثنى ثمّ[2] يُثلّث ليكون هذا[3] الذي يلي الماء فلا يعفَن الحبل الكبير، تقول منه: أكرَبتُ الدلو فهي مُكرَبة».[4] وعَرقوة الدلو بفتح العين، والعرقوتان: الخشبتان اللتان تعرضان على الدلو كالصليب، والجمع العَراقي.[5]

قوله: **(مِن مواجِب)** بيان عقود الله، والمواجِب: المساقط. والمراد بـ"مساقط التكليف" الأشياء[6] التي تعلّق بها التكليف وهي[7] الواجبات ولا شبهةَ في أنّها ليست نفس العقود التي هي جمع العقد بمعنى[8] المصدر؛ بل هي متعلّقة العقد. فالوجه أن نقول: "مِن" في قول المصنّف "مِن[9] مواجِب" ابتدائيّة متعلّقة بقوله: **(ألزمها)** و**(عقدها)**، وليست بيانًا[10] للعقود، وإن قلنا: المراد بـ"العقود" المعقود عليه فـ"مِن" للبيان، لكن[11] قوله تعالى: ﴿أَوْفُواْ﴾ لا يوافق هذا المعنى، فالوجه هو الأوّل وهو أنّ[12] المراد بـ﴿ٱلْعُقُودِ﴾ العهود، و"مِن" ابتدائيّة متعلّق بقوله: "ألزمها". يقال: «خرج القوم إلى مواجِبهم، أي: مصارعهم».[13]

قوله: **(والظاهر أنّها)** والفرق بين هذا الوجه وبين الوجه الأوّل أنّ الوجه الأوّل[14] شامل لجميع التكاليف، وهذا خاصّ بالتحليل والتحريم.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «وذم».
٢ ر: و.
٣ ن – هذا. | وفي مطبوع **الصحاح**: هو.
٤ **الصحاح** للجوهري، «كرب».
٥ **الصحاح** للجوهري، «عرق».
٦ ر: والأشياء.
٧ ر – وهي.
٨ ر – بمعنى.
٩ ر – في قول المصنّف مِن.
١٠ ر – وليست بيانًا.
١١ ر – فـ"مِن" للبيان، لكن.
١٢ ر – الأوّل وهو أنّ.
١٣ **الصحاح** للجوهري، «وجب».
١٤ ر – أنّ الوجه الأوّل.

"البهيمةُ": كلُّ ذاتِ أربعٍ في البرِّ والبحر، وإضافتُها إلى الأنعام للبيان، وهي الإضافةُ التي بمعنَى "مِن" كـ: "خاتم فضةٍ"، ومعناه: البهيمةُ من الأنعام.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إلّا محرَّمَ ما يتلى عليكم من القرآن، من نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة ٣/٥]، أو: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ آيةُ تحريمه.

قوله: (أربع) أي: كلّ ذات أربع قوائم بهيمة، وقال الزجّاج: كلّ حيّ لا يميز بهيمة. قال: لأنّه أُبهِمَ[١] عن أن يميّز، أو[٢] سُمّيت بهيمة لعدم نطقها.[٣]

قوله: (إلّا محرَّمَ ما) إنّما قدّر المضاف لأنّه لا يستقيم استثناء / ﴿مَا يُتْلَىٰ﴾ [٣٢٨و]
مِن "البهيمة"؛ لأنّ ما يُتلى هو آيات القرآن،[٤] فيكون المعنى إلّا محرّمَ ما يتلى.

قوله: (مِن نحو قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾ [المائدة ٣/٥]) بيان ﴿مَا يُتْلَىٰ﴾ لا بيان المحرّم وهو ظاهر، وعلى هذا يكون "مِن" في (مِن القرآن)[٥] للتبعيض حالًا مِن ضمير ﴿يُتْلَىٰ﴾، أو[٦] "مِن القرآن" بيان (ما) و(مِن نحو) بدل منه، أو بيان "القرآن"،[٧] فإنّ القرآن يطلق على بعضه.

قوله: (أو[٨] ﴿إِلَّا مَا﴾) فيصحّ الاستثناء، لأنّ ما يُتلى آيةُ تحريمه هو بعض البهائم، وكذا محرَّم ما يُتلى هو بعضها.

قوله: (أو ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ﴾) فيكون ﴿يُتْلَىٰ﴾ في الأصل مسندًا إلى آية وهي مضافة إلى تحريمه، فحذف المضاف والمضاف إليه ثمّ أُسند ﴿يُتْلَىٰ﴾ إلى الضمير الذي كان مجرورًا، فهو مثل قول الشاعر:

أسـال البِـحـار فـانـتـحى[٩] للعقيق[١٠]

---

١ ر: أهم.
٢ ر: و.
٣ انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ١٤١/٢.
٤ ر: القولين.
٥ ر: القولين.
٦ ر + يتلى.
٧ ن: للقرآن.
٨ ر - أو.
٩ ر: فالحي.
١٠ عجز بين لأبي دواد الإيادي، صدره:
أيا مَن رأى لي رأيَ برقٍ شريقِ
وهو في ديوانه، ص ١٣٨؛ وهو له في كتاب الشعر للفارسي، ٤٥٥/١؛ المفصّل للزمخشري، ص ١٣٨.

والأنعامُ: الأزواج الثمانيةُ.

وقيل: ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الظِّباءُ وبقرُ الوحش ونحوُها. كأنهم أرادوا: ما يُماثِلُ الأنعامَ ويُدانيها من جنس البهائم في الاجْترارِ وعدمِ الأنياب، فأضيفت إلى الأنعام لملابَسةِ الشَّبَه.

﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾ نصبٌ على الحال من الضمير في ﴿لَكُم﴾؛ أي: أُحلَّت لكم هذه الأشياءُ لا محلِّينَ الصيد.

أي: أسأل سُقيا سحابه البحارَ.

قوله: (وقيل: ﴿بَهِيمَةُ﴾) عطف على (وإضافتُها إلى الأنعام للبيان). والحاصل أنّه فسّر البهيمة بكلّ ذات أربع، ثمّ ذكر أنّ الإضافة تحتمل أن تكون للبيان وتحتمل ألّا تكون للبيان؛ بل للملابسة المذكورة. الأزواج الثمانية: الإبل والبقر والضأن والمعز.

قوله: (ونحوُها) حمار الوحش.

قوله: (كأنّهم أرادوا) الضمير مِن "كأنّهم"[١] يعود إلى ما دلّ عليه قوله: "قيل" لأنّه في معنى "قالوا"، أي: بعض العلماء، أي: كأنّ القائلين بهذا القول أرادوا أنّ المعنى: أُحلّت لكم من جنس البهائم ما يماثل بهيمة الأنعام في الاجترار.

قوله: (مِن جنس) "مِن" للتبعيض.

قوله: (لملابسة الشَّبَه)[٢] فإنّ الإضافة تجوز لأدنى ملابسة، والملابسة هنا الشَّبَه، فكأنّه قال: "للملابسة التي هي الشَّبَه". "اجترار البعير": أن يجترّ العلف، أي: يجرّه ويُخرِجه[٣] إلى الفم ثمّ[٤] يمضغه ويبلعه.[٥]

قوله: (﴿ٱلصَّيْد﴾) أي: الصيد الذي أخذه الحَلال وأدخله في الحَرَم.

---

١ ر - كأنهم.
٢ ر: التشبيه.
٣ ر: يخرجه.
٤ ر - ثم.
٥ ر: يبتلعه.

وعن الأخفش: أن انتصابه عن قوله: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾.

وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾ حالٌ عن ﴿مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ﴾ كأنَّه قيل: أَحْلَلْنا لكم بعضَ الأنعام في حال امتناعكم من الصَّيد وأنتم مُحْرِمون لئلا نُحرِّجَ عليكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من الأحكام، ويعلَم أنه حكمةٌ ومَصْلحة.

والحرُمُ: جمع حرام، وهو المُحرِم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾

"الشعائر": جمع شَعِيرة، وهي اسم ما أُشْعِرَ؛ أي: جُعل شعارًا وعلَمًا للنسك: من مواقف الحج، ومرامي الجِمار، والمطافِ والمسعى، والأفعالِ التي هي علاماتُ الحجِّ يُعرف بها: من الإحرام والطواف والسعي والحَلْقِ والنَّحْر.

و﴿ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾: شهر الحجِّ.

و﴿ٱلۡهَدۡيَ﴾: ما أُهْدي إلى البيت وتُقرِّبَ به إلى الله من النسائك، وهو جمعُ هَدْيةٍ، كما يقال: "جَدْيٌ" ....

قوله: (﴿وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ﴾) حال متداخلة.

قوله: (**قيل: أحللنا**) هذا على الوجه الأوّل، وهو أن تكون الإضافة بمعنى "مِن"، ومعناه: البهيمة مِن الأنعام. وقوله: (**بعضَ الأنعام**) إنّما ذكر البعض نظرًا إلى الاستثناء، وهو قوله: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾، فتأمّل.

قوله: (**ويعلم أنّه حكمة**) تفسير لقوله: (﴿يُرِيدُ﴾) ويشير به إلى أنّه لا يريد إلّا ما هو حكمة.

قوله: (**والأفعالِ**) عطف على (**مواقف**).

في جمع "جَدْيَةِ السَّرجِ".

و﴿ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: جمع قِلادةٍ، وهي ما قُلِّد به الهديُ من نعلٍ أو عُرْوةِ مَزادةٍ، أو لِحَاءِ شجرٍ، أو غيره.

و"آمُّوا المسجد الحرام": قاصِدوه، وهم الحجَّاجُ والعُمَّار.

وإِحْلال هذه الأشياء: أن يُتهاوَن بحرمة الشعائر، وأن يُحالَ بينها وبين المتنسِّكين بها، وأن يُحْدِثوا في شهر الحج ما يَصدُّون به الناسَ عن الحج، وأن يُتعرَّض للهَدْي بالغَصْب أو بالمنع من بلوغ محلِّه.

وأما القلائدُ ففيها وجهان:

أحدهما: أن يراد بها: ذواتُ القلائد من الهَدْي، وهي البُدْن، وتُعطَف على ﴿الهَدْىَ﴾ للاختصاص وزيادةِ التوصية بها؛ لأنها أشرفُ الهدي؛ كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢]؛ كأنَّه قيل: والقلائدَ منها خصوصًا.

والثاني: أن يُنهَى عن التعرُّض لقلائد الهدي مبالغةً في النهي عن التعرُّض للهدي، على معنى: ولا تُحِلُّوا قلائدَها فضلًا أن تُحِلُّوها، كما قال: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ [النور ٣١/٢٤] فنُهي عن إبداء الزينة مبالغةً في النهي عن إبداء مَواقعها.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ﴾: ولا تُحِلُّوا قومًا قاصدين المسجدَ الحرام ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وهو الثواب ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾: وأن يرضَى عنهم؛ ....

قوله: (**جَديَة**[١] **السَّرج**) الجَدْية بإسكان الدال: شيء محشوّ تحت دفتي السرج والرحل، وهما جَدْيتان والجمع جَدْي وجَدَيات بالتحريك.

قوله: (**وأن يُحال**) مِن تتمّة قوله: (**أن يُتهاون**)، وذلك بأن يمنع الموقف مِن الوقوف فيه ويمنع المسعى مِن السعي فيه إلى غير ذلك.

قوله: (﴿**يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ**﴾) قيل: إنّ حُطيم بن ضُبيعة أتى النبي عليه السلام[٢] مِن اليمامة إلى المدينة فعرض عليه الإسلام فلم يُسلم، فلمّا خرج

---

[١] ر: جذية.

[٢] ن ر: صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

أي: لا تتعرَّضوا لِقومٍ هذه صفتُهم، تعظيمًا لهم واستنكارًا أن يُتعرَّض لمثلهم.

قيل: هي محكَمةٌ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «المائدة مِن آخِر القرآن نُزولًا فأَحِلُّوا حَلالَها وحَرِّموا حرامَها».

وقال الحسن: ليس فيها منسوخ.

وعن أبي مَيْسَرةَ: فيها ثماني عشرةَ فريضةً وليس فيها منسوخ.

وقيل: هي منسوخة.

وعن ابن عبّاس: كان المسلمون والمشركون يحجُّون جميعًا، فنهَى الله المسلمين أن يمنعوا أحدًا عن حِجّ البيت بقوله: ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ ثم نزل بعد ذلك:

مرّ بسَرْح المدينة فاستاق الإبل فطلبوه فعجزوا عنه، فلمّا[١] خرج رسول الله عليه السلام[٢] عام القضية سمع تلبية حجّاج اليمامة فقال لأصحابه: هذا الحُطيم وأصحابه فدونكم، وكان قد قلّد ما نهب مِن / سرح النبيّ عليه السلام وأهداه إلى الكعبة، فلمّا توجّهوا في طلبه أنزل الله تعالى هذه الآية.[٣] وعلى هذا يكون منسوخًا. وعام القضية، أي: عام قضاء العمرة التي أُحصر عنها في العام الماضي. [٣٢٨ظ]

قوله: (تعظيمًا) مفعول له عن فعل محذوف، أي: إنّما قال: ﴿يَبْتَغُونَ﴾... إلخ تعظيمًا، ولا يحسن أن يكون مفعولًا له عن قوله: (لا تتعرّضوا) لعطف (واستنكارًا) على "تعظيمًا". ويجوز أن يكون "تعظيمًا"[٤] مصدرًا لفعل محذوف، أي: عظِّموا تعظيمًا،[٥] وكذا استنكروا استنكارًا، أو نصب مصدرًا عن قوله: "لا تتعرّضوا" لأنّ عدم التعرُّض هو التعظيم والاستنكار.

قوله: (نزولًا) تمييز.

قوله:[٦] (وعن ابن عبّاس)[٧] هذا لتقرير[٨] قوله: (هي منسوخة). والحاصل أنّه

---

١ ر - فلما.
٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٣ بلفظ قريب في البسيط للواحدي، ٢٢٣/٧ (المائدة، ٢/٥).
٤ ن ر - تعظيمًا.
٥ ن ر - تعظيمًا.
٦ ن - قوله.
٧ انظر: جامع البيان للطبري، ٨٣/٨ (المائدة، ٢/٥).
٨ ر: التقرير.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة ٩/٢٨] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/١٧].

وقال مجاهد والشعبيُّ: ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾ نُسِخَتْ بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [النساء ٤/٨٩].

وفُسِّر ابتغاءُ الفضل بالتجارة، وابتغاءُ الرضوان بأنَّ المشركينَ كانوا يظنون في أنفسهم أنهم على سَدادٍ من دينهم، وأن الحج يقرِّبهم إلى الله، فوصفهم الله بظنِّهم.

وقرأ عبدُ الله: "ولا آمِّي البيتِ الحرامِ" على الإضافة.

وقرأ حُميْدُ بنُ قيس والأعْرجُ: ....

إن فُسّر بما مرّ مِن كون الآية في حقّ المسلمين، فهي[١] غير منسوخة،[٢] وإن فُسّر بما ذكر ابن عبّاس رضي الله عنه[٣] فهي منسوخة.

قوله: (﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة ٩/٢٨]) فاعل (نزل). وذَكَر المصنّف بعد ذلك آية أخرى مِن غير عطف، كما وقع في كلام ابن عبّاس رضي الله عنه[٤] كذلك.

قوله: (وفُسِّر ابتغاء) أي: على تفسير ابن عبّاس رضي الله عنه[٥] قولَه: ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾، إذ لا يستقيم المعنى المتقدّم للفضل والرضوان في حقّ الكافرين.

قوله: (حُميد بن قيس) أبو صفوان مولى بني أسد بن عبد العزّى (الأعرج)[٦] المكي مِن قريش أخو عمر[٧] بن قيس، سمع مجاهدًا وعطاء، روى عنه مالك بن أنس والثوري.

---

١ ن: فهو.

٢ ر - والحاصل أنّه إن فُسّر بما مرّ مِن كون الآية في حقّ المسلمين، فهي غير منسوخة.

٣ د - رضي الله عنه.

٤ د - رضي الله عنه.

٥ د - رضي الله عنه؛ ر - رضي الله عنه كذلك قوله: (وفُسِّر ابتغاء) أي: على تفسير ابن عبّاس رضي الله عنه.

٦ د ن ر: والأعرج. | وهي كذلك في أكثر ما راجعتُ من نسخ **الكشّاف**. وفي هامش د: قيس الأعرج بغير واو. نسخة. | قلت: وهو الصواب بناءً على تعليق الجاربردي، لأنّه جعل عرَّف حُميد بن قيس بأنّه الأعرج المكيّ، وهو لقب له، فلا تصلح الواو مع ذلك التفسير. إلّا أن يكون الزمخشري أراد بالأعرج غير حميد فتصلح الواو معه.

٧ د ن ر: عمرو. | والتصحيح من كتب التراجم.

"تبتغون" بالتاء على خطاب المؤمنين.

﴿فَٱصۡطَادُواْ﴾ إباحةٌ للاصطياد بعد حظرِه عليهم؛ كأنه قيل: فإذا حلَلْتُم فلا جُناحَ عليكم أن تصطادوا، وقرئ بكسر الفاء، وقيل: هو بدلٌ من كَسْر الهمزة عند الابتداء.

وقرئ: "وإذا أَحْللتم" يقال: حَلَّ المُحْرِمُ وأحلَّ.

"جَرَم" يجري مجرى "كَسَبَ" في تعدِّيه إلى مفعولٍ واحدٍ واثنين، تقول: "جَرَم ذنبًا" نحو: كسَبه، و"جَرَمتُه ذنبًا" نحو: كَسَبْتُه إيَّاه، ويقال: "أجرمتُ إيَّاه ذنبًا" على نَقْل المتعدِّي إلى مفعولٍ بالهمزة إلى مفعولين؛ كقولهم: أَكْسَبْتُه ذنبًا، وعليه قراءةُ عبدِ الله: "ولا يُجْرِمنكم" بضمِّ الياء.

قوله: ("تَبۡتَغُونَ")[1] وهو إمّا رفع على الاستئناف على حذف الاستفهام، أو نصب على الحال مِن[2] ﴿لَا تُحِلُّواْ﴾، أي: لا تُحلّوا مبتغين، وعلى قراءة الياء نصب على الصفة لـ﴿ءَآمِّينَ﴾ أي: آمّين مبتغين، أو على الحال في قراءة الإضافة، أو على الصفة أيضًا؛ لأنّ الإضافة ما أفادت تعريفًا.

قوله: (**بكسر الفاء**) أي: كسر فاء الجزاء في ﴿فَٱصۡطَادُواْ﴾.[3] وقيل: كُسر الفاء إمالةً[4] لإمالة ما بعده، نحو "عمادا" على مذهب مَن يُميله ولو فيه حرف الاستعلاء، وهي[5] الصاد والطاء؛ لأنّ ألفه منقلبة عن الياء، فلا يمنع حرفُ الاستعلاء.

قوله: (**وقيل**) أي: في تعليله، وهو عطف على (**قرئ**) أي: قرئ كذا، وقيل في وجهه كذا.

قوله: (**أكسبتُه**) قال الشاعر:

أكسبَته الوَرِق البيض أبًا ... ولقد كان ولا يدعى لأبْ[6]

وقوله: (**وعليه**) أي: على نقل. وقوله: (**عبد الله**) هو ابن مسعود.

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن حميد بن قيس والأعرج. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٧٠٣.

[2] ر + قبل.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن بن عمران. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٧٠٣.

[4] ن ر - إمالة.

[5] ر: وهو.

[6] البيت لمسكين الدارمي في **ديوانه**، ص ٢٢؛ وهو له في **دلائل الإعجاز** للجرجاني، ص ٢٠٧.

وأوّلُ المفعولَين على القراءتين ضميرُ المخاطبين، والثاني: ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾.

و﴿أَن صَدُّوكُمْ﴾ بفتح الهمزة متعلِّق بالشَّنآن بمعنى العلَّة، والشَّنآن: شدَّة البُغض، وقرئ بسكون النون.

والمعنى: ولا يَكْسِبَنَّكم بُغْضُ قوم لِأَنْ صدُّوكم الاعْتداءَ ولا يحملنَّكم عليه.

وقرئ: ﴿إِنْ صدُّوكم﴾ على "إنْ" الشرطية، وفي قراءة عبد الله: "إنْ يَصدُّوكم".

ومعنى صدِّهم إيَّاهم عن المسجد الحرام: منعُ أهل مكة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحُديبية عن العُمْرة.

ومعنى الاعتداء: الانتقامُ منهم بإلحاق مكروهٍ بهم.

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾: على العفو والإغضاء ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: على الانتقام والتَّشَفِّي.

قوله: (ولا يحملنَّكم) ممّا مرّ أنّه للبيان.

قوله: (وفي قراءة عبد الله: "إن يَصدُّوكُمْ")[1] على الشرط أيضًا، والجواب محذوف في القراءتين. وفيه ضعف مِن حيث إنّهم لا يقدرون على الصدّ بعد فتح مكّة. وهذا الإيراد ضعيف؛ لأنّ المراد المبالغة وفرضُ ذلك، أي: إن يحصُل الصدُّ فلا يجرمنّكم، أو نقول: هو بمعنى المضيّ، كأنّه قيل: إن صدوّكم قبل ذلك، كقولك: "لا تُهِنه إن أهانك أمسِ"، وهو مثل[2] قول الشاعر:

أتغضب إن أذْنا قتيبةَ حُزَّتا جِهارًا[3]

قوله: (﴿وَتَعَاوَنُوا﴾) الوقف على ﴿تَعْتَدُواْ﴾ لازم؛ لأنّ الاعتداء منهيّ عنه، والتعاون على البرّ مأمورٌ به، فلو وصل لصار التعاون داخلًا تحت / النهي. [٣٢٩و]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٧٠٤.

٢ ر - أكسبته الورق... وهو مثل.

٣ البيت للفرزدق في **ديوانه**، ٨٥٥/٢، وتمامه:
ولم تجزع لقتل ابن خازم

وهو له في **كتاب سيبويه**، ١٦١/٣؛ و**معاني القرآن** للفرّاء، ٢٧/٣؛ و**الحجّة** لأبي عليّ، ٢١٣/٣. | وقتيبة المذكور هو قتيبة بن مسلم الباهلي. وانظر تفصيل الكلام على البيت ومناسبته في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٧٨/٩.

ويجوز أن يراد العمومُ لكلِّ برٍّ وتقوى وكلِّ إثمٍ وعدوان، فيتناولَ بعمومه العفوَ والانتصار.

كان أهل الجاهلية يأكلون هذه المحرَّمات: البهيمةَ التي تموت حَتْفَ أنفها، والفصيدَ وهو الدمُ في المباعِر يَشْوونَها ويقولون: "لم يُحرَمْ مَن فُزْدَ له".

﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣﴾

قوله: **(وتقوى)** غير منصرف أصله "وقيى" قُلبت ياؤه واوًا ثمّ الواو التي هي[1] فاءٌ تاءً.

قوله:[2] **(حتفَ أنفها)** مفعول مطلق مِن قوله: **(تموت)** كأنّه قال: "موتَ أنفها"، وهو نوع مِن الموت، فإنّ مَن مات بالمرض مثلًا مِن غير قتل يقال: «مات حتفَ أنفه»؛[3] لأنّه تنقطع حياته بخروج النفس مِن أنفه[4] وبآخر نفس يخرج مِن الأنف تنقطع الحياة، فلذلك يقال: «مات حتفَ أنفه».

قوله: **(المباعِر)** موضع البَعَر، والمراد ههنا الأمعاء، يعني: يجعلون الدم في المباعِر ثمّ يشوونها ويأكلونها.

قوله: **(مَن[5] فُزْدَ له)**[6] أصله "فُصِد" على لغة طيّئ فصار "فُزْد" بالزاي،[7]

---

[1] ر – هي.

[2] ن: وقوله.

[3] هو من أمثال العرب. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٦٦. وجاء في كلام النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. انظر: **مسند أحمد**، ٢٦/٣٤٠ (١٦٤١٤).

[4] ر – لأنّه تنقطع حياته بخروج النفس مِن أنفه.

[5] ر – مِن.

[6] القول في **أمالي القالي**، ٢/١١٤؛ و**سرّ صناعة الإعراب** لابن جنّي، ١/٥٠؛ و**المستقصى** للزمخشري، ٢/٢٩٤.

[7] ن: بالزاء.

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ أي: رُفِع الصوتُ به لغير الله، وهو قولُهم: "باسم اللات والعُزَّى" عند ذَبْحه.

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: التي خنقوها حتى ماتت، أو انْخنقَتْ بسببٍ.

﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: التي أَثْخنوها ضربًا بعصًا أو حجرٍ حتى ماتت. والتي تردَّت من جبلٍ أو في بئرٍ فماتَتْ. والتي نطحَتْها أخرى فماتت بالنَّطْح.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ بعضَه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: إلّا ما أدركتُم ذكاتَه وهو يضطربُ اضطرابَ المذبوح وتَشْخُبُ أوداجُه.

وقرأ عبد الله: "والمنطوحة".

وفي رواية عن ابن عمرو: ﴿ٱلسَّبُعُ﴾ بسكون الباء.

وقرأ ابن عباس: "وأَكِيلُ السَّبُع".

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ كانت لهم حجارةٌ منصوبةٌ حولَ البيت يذبحون عليها ويَشْرَحون اللحم عليها يعظِّمونها بذلك ويتقرَّبون به إليها تُسمَّى: الأَنْصابَ،

ثمّ خُفِّفت فقيل: "فُزْد"، وأوّل مَن تكلّم بهذا الكلام حاتم الطائي، ومعناه: لم يُحرَم مِن الضيافة مَن عُمل له الفصيد.

قوله: (**أثخنوها**) أثخنته الحجارة: أوهنته، ويقال: أثخن في الأرض قتلًا.

قوله: (**اضطرابَ المذبوح**) فيه نظر لأنّ الذكاة في تلك الحالة غير معتبرة عند الشافعي، لكنه مذهب محمّد بن الحسن. ويجوز أن يكون[١] قوله: (**وهو يضطرب**)[٢] إشارة إلى أنّ الذبح إنّما يُعتبر بشرط أن يكون معه شدّة حركة وانفجار دم، وهو قوله: "وأوداجه تشخُبُ". الأوداج جمع الوَدَج، وهو: عِرق في العنق، وهما ودَجان، فكأنه قيل: ذبحتموه وهو يتحرك في حال ذبحكم إيّاه كما هو شأن المذبوحات مِن التحرّك والاضطراب، ويدلّ على أنّ المراد هذا قوله: (**وتشخُب أوداجُه**).

قوله: (**إلّا ما**) مستثنى مِن ﴿مَآ أَكَلَ﴾.

---

[١] ر: يقول.

[٢] ر: مضطرب.

والنُّصُبُ واحدٌ. قال الأعشى:

وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تَعْبُدَنَّه

وقيل: هو جمعٌ والواحد: نِصاب، وقرئ: "النُّصْب" بسكون الصاد.

﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِ﴾: وحُرِّم عليكم الاستقسامُ بالقِداح، كان أحدُهم إذا أراد سفرًا أو غزوًا أو تجارةً أو نكاحًا أو أمرًا من مَعاظم الأمور ضَرِبَ بالقداح، وهي مكتوبٌ على بعضها: "نهاني ربّي" وعلى بعضها: "أمرني ربّي" وبعضُها غُفْل، فإن خرج الآمرُ مضى لِطِيَّتِهِ، وإن خرج الناهي أَمْسَك، وإن خرج الغُفْل أَجَالها عَوْدًا، فمعنى الاستقسامِ بالأزلام: طلبُ معرفةِ ما قُسِمَ له مما لم يُقسَم له بالأزلام.

قوله: (والنصُب) هو كلّ ما نُصب وعُبد مِن دون الله.

قوله:[1] (لا تَعبُدنّه) تمامه:

لعاقبةٍ[2] واللهَ ربَّك فاعبُدا[3]

أراد "فاعبُدَنْ" فأبدل النون ألفًا ولو لم يكن النصُب واحدًا لقال: "المنصوبات" أو "المنصوبة"، ولقال: "ذي" و"ذه" أو "أولاء" مكان "ذا".

قوله: (لطِيَّته) أي: لقصده.

قوله: (غُفْلٌ) يقال: أرض غفل: لا عَلَمَ بها ولا أثر عمارة. والأغفال: الأموات. وأرض غُفل: لم تُمطَر. ودابّة غُفل: لا سمةَ عليها. ورجل غُفل: لم يجرِّب الأمور.[4]

قوله: "لطِيّته" «الطيّة: تكون منزلًا وتكون منتأى، تقول: مضى لطِيّته، أي: لنيّته التي انتواها، وبعُدت عنّا طِيّته، وهو: المنزل الذي انتواه».[5]

قوله: (عودًا) أي: عائدًا، والمعنى أعادها عودًا.

---

١ ر - (والنصُب) هو كلّ ما نُصب وعُبد مِن دون الله. قوله.

٢ ر: العاقبة.

٣ البيت للأعشى في ديوانه، ص ١٣٧، وروايته فيه:
وذا النُّصب المنصوب لا تنسكنّه
ولا تعبد الأوثان واللهَ فاعبدا
وهو له في غريب الحديث لابن قتيبة، ١٨٩/٢؛ والصحاح للجوهري، «نصب».

٤ انظر: الصحاح للجوهري، «غفل».

٥ الصحاح للجوهري، «طوى».

وقيل: هو الميسر، وقسمتُهم الجزورَ على الأَنصباء المعلومة.

﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ الإشارةُ إلى الاستقسام، أو إلى تناول ما حرِّم عليهم؛ لأن المعنى: حرّم عليكم تناولُ الميتة وكذا وكذا.

فإن قلتَ: لِمَ كان استقسامُ المسافر وغيرِه بالأزلام لتعرُّف الحال فِسْقًا؟

قلتُ: لأنّه دخولٌ في علم الغيب الذي استأثَر به علّامُ الغيوب وقال: ﴿لَا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل ٢٧/٦٥]، واعتقادُ أَنَّ إليه طريقًا وإلى استنباطه وقولَه: "أَمَرني ربِّي" و"نهاني ربِّي" افتراءٌ على الله، وما يُدريه أنّه أَمَرَه أو نهاه، والكهَنَة والمنَجّمون بهذه المثابة.

وإن كان أراد بالربِّ الصَّنَمَ -فقد رُوي أنهم كانوا يُجِيلُونها عند أصنامهم- فأَمْرُه ظاهرٌ.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾ لم يُرِدْ به يومًا بعَيْنه، وإنما أراد به الزمانَ الحاضر، وما يتَّصل به

قوله: **(استأثر)** أي: استبدّ.

قوله: **(وقولَه)** بالنصب عطف على الضمير المنصوب في **(لأنّه)**.

قوله: **(وما يدريه)** استفهام إنكار.

قوله: **(بهذه المثابة)**[1] لأنّ الكهانة والتنجيم دخول في علم الغيب، أي: دعوى ذلك.

قوله: **(إليه)** أي: إلى علم الغيب وكذا الضمير في **(استنباطه)** يعود إلى علم الغيب.[2]

قوله: **(بالربّ)** في قولهم: **(أمرني ربي)**.

قوله: **(فقد رُوي)** جملة معترضة.

قوله: **(يُجيلونها)** أي: يُديرون ويحرِّكون القِداح.

---

[1] ر: الشابة.

[2] د - قوله: إليه أي: إلى علم الغيب وكذا الضمير في استنباطه يعود إلى علم الغيب. | وجاءت تعليقًا في هامش د.

ويُدانيه من الأزمنة الماضية والآتية؛ كقولك: "كنتَ بالأمس شابًا وأنت اليوم أَشْيَبُ" فلا تريدُ بـ"الأمس" اليومَ الذي قبلَ يومِك، ولا بـ"اليوم" يومَك، ونحوُه "الآنَ" في قوله:

الآن لـمَّـا ابْـيَـضَّ مَـسْـرُبـتـي   وعَـضِـضْـتُ من نـابي على جِـذْمِ

وقيل: أريد يومُ نزولها، وقد نزلت يومَ الجمعة -وكان يومَ عرفةَ- بعد العَصْر في حجَّة الوَدَاع.

﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾: يئسوا منه أن يُبْطِلوه وأن ترجِعوا محلِّلين لهذه الخبائث بعدما حرِّمت عليكم.

قوله: (أشيَبُ) الأشيَب: المبيَضّ[١] الرأس، وقد شاب رأسه[٢] شَيبًا وشَيبةً فهو أشيَب، على غير[٣] القياس، لأنَّ هذا النعت إنَّما يكون من باب فعِل يفعَل.

قوله: (مسرُبتي) «المسرُبة بضمّ الراء: / الشعر المستدِّق الذي يأخذ مِن [٣٢٩ظ]
الصدر إلى السُّرّة».[٤] "الجِذم" بالكسر: أصل الشيء.

قوله: (وعضِضتُ) هذا مثل للنَّخِر البالي، كأنّه أكل بنابه جِذْمَه، أي: أصله حتّى فنيَ أعضاؤه.

قوله:

(عـضِـضـتُ مِـن نـابـي عـلـى جِـذمِ)[٥]

العضّ: التناول بالأسنان، يقال في المَثَل: «عضّ مِن نابه على جِذمٍ»،[٦] يُضرب للمجرِّب المحنَّك. والجِذم: الأصل، تقول: تحاتّت أسناني مِن الكبر حتّى عضِضت على أصلها، تريد: لستُ[٧] بحدَث غِرّ[٨] لم يجرِّب الأمور؛

---

١ في هامش د: المُبيَّض. خ [اختصارًا من "نسخة"].

٢ ر - رأسه.

٣ ر - غير.

٤ **الصحاح** للجوهري، «سرب».

٥ البيت للحارث بن وعلة الذُهلي في **حماسة البحتري**، ص ١٧٦؛ **وأمالي القالي**، ٢/٦٩؛ **والصحاح** للجوهري، «سرب»؛ وهو بلا عزو في **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٧.

٦ **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٧.

٧ ر: ليست.

٨ ر: غير.

وقيل: يئسوا من دِينكم أنْ يَغْلبوه؛ لأن الله عزَّ وجل وَفَى بوعده من إظهاره على الدِّين كلِّه.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ بعد إظهارِ الدِّين وزوالِ الخوف من الكفار وانقلابِهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾: وأخْلِصوا لي الخشيَةَ.

﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: كَفَيْتُكم أمرَ عدوِّكم، وجعلتُ اليدَ العُليا لكم؛ كما تقول الملوك: "اليوم كَمَلَ لنا المُلْكُ وكَمَل لنا ما نريد" إذا كُفُوا مَن ينازعهم الملك، ووصلوا إلى أغراضهم ومَباغيهم.

أو: أكملتُ لكم ما تحتاجون إليه في تكليفكم؛ من تعليم الحلال والحرام، والتوقيفِ على الشرائع وقوانين القياس وأصولِ الاجتهاد.

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ بفتح مكة ودخولِها آمنين ظاهرين، وهَدْمِ مَنَار الجاهلية ومناسكهم، وأنْ لم يَحُجَّ معكم مشركٌ ولم يَطُفْ بالبيت عُريان.

أو: أتممتُ نعمتي عليكم بإكمالِ أمر الدِّين والشرائع؛ كأنه قال: اليومَ أكملتُ لكم دينَكم وأتممتُ عليكم نعمتي ....

بل أنا شيخ محنَّك قد[1] عرفتُ الدهر وتصرُّفه، وأتيتُ ما آتي عن علم. وحنّكت الشيء: فهمته،[2] ويقال: حنّكته السنّ وأحنكَته إذا[3] أحكمته التجارب والأمور فهو محنَّك ومُحنَك.

قوله: (**وأخلِصوا**) لأنّه لمّا نهى عن خشيتهم ثمّ أمر بخشيته دلّ على الأمر[4] بالإخلاص،[5] أي: بأن تخشَوا منه تعالى لا منهم.

قوله: (**كفيتُكم**) يقال: كفاه مؤنته.

قوله: (**كمل**) بالحركات الثلاث.

قوله: (**وأن لم**) عطف على قوله: "فتح" مِن حيث المعنى، كأنّه قال: "وبأن".

---

[1] ر: وقد.
[2] ر: وفهمته.
[3] ر: إذ.
[4] ر – الأمر.
[5] ر: الإخلاص.

بذلك؛ لأنه لا نعمةَ أتمُّ من نعمة الإسلام.

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ بمعنى: اختَرْتُه لكم من بين الأديان، وآذَنْتُكم بأنه هو الدِّين المرضيُّ وَحْده ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران ٨٥/٣] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء ٩٢/٢١].

فإن قلتَ: بمَ اتَّصل قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾؟

قلتُ: بذكر المحرَّمات، وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ اعتراضٌ أُكِّد به معنى التحريم، وكذلك ما بعده؛ لأنَّ تحريم هذه الخبائث من جملةِ الدِّين الكامل والنعمةِ التامة والإسلامِ المنعوتِ بالرضا دون غيره من المِلَل.

قوله: (**بذلك**) أي: بإكمال دينكم.

قوله: (﴿**وَرَضِيتُ**﴾) إن عدَّيتَ ﴿رَضِيتُ﴾[١] إلى واحد نصبتَ ﴿دِينًا﴾ حالًا، وإن عدَّيته إلى مفعولين[٢] وجعلتَه بمعنى "صيَّرتُ" نصبتَه مفعولًا ثانيًا.

قوله: (﴿**أُمَّةً وَٰحِدَةً**﴾ [الأنبياء ٩٢/٢١]) ذكر المصنِّف هاتين الآيتين[٣] لبيان الإيذان بأنَّه الدِّين المرضيّ وحدَه، فإنّه تعالى اختاره لنا وبيّن لنا بهاتين الآيتين أنّه المرضيّ وحدَه.[٤]

قوله: (**لأنَّ تحريم هذه المحرَّمات**) بيان أنَّ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ﴾... إلخ، معترِض للتأكيد بأنَّ تحريم هذه الأشياء إذا كان للدِّين يكون ذِكر إنَّ الكفار يئسوا مِن تغييركم وتركِكم له وذِكر إنَّ الدين دينٌ أكمله الله[٥] تعالى وأتمّه ورضيَه تأكيدًا لتحريم هذه الأشياء.

قوله: (**ما بعده**) مِن قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ﴾... إلخ.

قوله: (**دون غيره**) متعلِّق بقوله: (**الإسلام المنعوت**). والضمير مِن "غيره"

---

١ ر - إن عدَّيتَ ﴿رَضِيتُ﴾.

٢ ر + وعديته.

٣ ر: للآيتين.

٤ ر - فإنّه تعالى اختاره لنا وبيّن لنا بهاتين الآيتين أنّه المرضيّ وحدَه.

٥ ن ر - الله.

ومعناه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى الميتةِ أو إلى غيرها ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ في مَجاعةٍ ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: غيرَ مُنْحرِفٍ إليه؛ كقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [البقرة ١٧٣/٢].

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لا يؤاخذه بذلك.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ④﴾

في السؤال معنى القول، فلذلك وقع بعده: ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ كأنَّه قيل: يقولون لك: ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ وإنما لم يُقل: "ماذا أُحلَّ لنا" حكايةً لِمَا قالوه؛ لأن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ بلفظ الغيبة؛ كما تقول: "أقسم زيدٌ ليَفْعلن"، ولو قيل: "لأفعلنَّ" و: "أحلَّ لنا" لكان صوابًا.

و﴿مَاذَا﴾ مبتدأ و﴿أُحِلَّ لَهُمْ﴾ خبرُه؛ كقولك: "أيُّ شيءٍ أحلَّ لهم؟" ومعناه: ماذا أحلَّ لهم من المطاعم، كأنهم حين تُلِيَ عليهم ما حُرِّم عليهم من خبيثات المآكلِ سألوا عمَّا أُحلَّ لهم منها فقيل: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ أي: ما ليس بخبيثٍ منها، وهو كلُّ ما لم يأتِ تحريمُه في كتابٍ أو سنَّةٍ أو قياسِ مجتهدٍ.

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾؛ أي: أُحِلَّ لكم الطيِّباتُ وصيدُ ما علَّمتم، فحُذف المضاف، أو تُجعلُ "ما" شرطيَّةً وجوابها: ﴿فَكُلُوا۟﴾.

والجوارح: الكَوَاسِبُ من سباع البهائم والطير؛ كالكلبِ والفهد والنَّمِر والعُقاب والصَّقْر والبازي والشاهين.

يعود إلى "الإسلام". وقوله: (**غيرها**) كالدمّ.

قوله: (**فلذلك وقع بعده ﴿مَاذَآ أُحِلَّ﴾**) فإنّ مفعول "سأل" يكون مفردًا لا جملة.

قوله: (**أو تُجعل ﴿مَا﴾**) فلا تقدّر المضاف حينئذٍ، وعلى هذا تكون الجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

قوله: (**والباز**) بحذف الياء،[1] كأنّه حذف الياء واكتفى بالكسرة.

---

[1] في مطبوع **الكشّاف**: البازي. | وهي كذلك فيما راجعت من نسخ **الكشّاف**.

والمكلِّبُ: مؤدِّبُ الجوارح ومُضَرِّيها بالصيد لصاحبها، ورائضُها لذلك بما علِم من الحيَل وطرقِ التأديب والتثقيف. واشتقاقُه من الكَلْب؛ لأن التأديب أكثرُ ما يكون في الكلاب فاشتُقَّ من لفظه لكثرته في جنسه.

أو لأن السبُع يُسمَّى كلبًا، ومنه قوله عليه السلام: «اللّٰهمَّ سَلِّط عليه كلبًا من كلابك» فأكله الأسد، أو مِن الكَلَب الذي هو بمعنى الضَّرَاوة، يقال: هو كَلِبٌ بكذا: إذا كان ضاريًا به.

وانتصابُ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ على الحال من ﴿عَلَّمْتُم﴾.

فإن قلتَ: ما فائدةُ هذه الحال وقد استُغني عنها بـ﴿عَلَّمْتُم﴾.

قلتُ: فائدتُها: أن يكون مَن يعلِّم الجوارح نحريرًا في علمه مُدَرَّبًا فيه موصوفًا بالتكليب.

قوله:[١] **(ومُضَرِّيها)** التضريَة: الإغراء.

قوله: **(بما علِم)** تنازع فيه المؤدِّب والمضرِّي والرائض.

قوله: **(والتثقيف)** هو تقويم[٢] المعوَّج بالثِّقاف، ويستعار للتأديب والتهذيب.

قوله: **(«سَلِّط»)**[٣] قال عليه السلام في عتبة بن أبي لهب حين أراد سفر الشام فغاظ النبيّ عليه السلام.[٤] وقيل: لم يثبت أنّه في حقّ عتبة.

قوله: **(قلتُ: فائدتُها)** إشارة إلى أنّ معنى مكلِّبين عالمون بالتكليب ماهرون فيه، بحيث أشهروا بين الناس بأنّهم موصوفون بهذه الصفة لحِذقهم فيه.

قوله: **(مدرَّبًا)** يقال: «رجل مدرِّب ومدرَّب مثل مجرِّب ومجرَّب قد درَّبته / الشدائد حتّى قويَ ومرِن عليها. والدُّربة: عادة وجرأة[٥] على كلّ أمر مِن حَرْب وغيره. وقد درِب بالشيء إذا اعتاده وضريَ به».[٦] [٢٣٠و]

---

[١] ر – (والباز) بحذف الياء، كأنّه حذف الياء واكتفى بالكسرة. قوله.

[٢] ر: تقديم.

[٣] **شرح السنّة** للبغوي، ٢٦٨/٧.

[٤] ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[٥] ر: وجرأته.

[٦] **الصحاح** للجوهري، «درب»، باختلاف في الترتيب.

و﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حالٌ ثانيةٌ أو استئناف، وفيه فائدةٌ جليلة: وهي أنَّ على كلِّ آخذٍ علمًا أن لا يأخذَه إلَّا من أَقْتَلِ أَهْلِه علمًا، وأنحرهم درايةً، وأَغْوَصِهم على لَطائفه وحقائقه، وإن احتاجَ إلى أن يَضربَ إليه أكبادَ الإبل، فكم من آخذٍ من غيرِ متقِنٍ قد ضَيَّع أيامَه، وعَضَّ عند لقاء النحارير أناملَه.

﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾: مِن عِلم التكليب؛ لأنه إلهامٌ من الله ومكتسَب بالعَقْل، أو: مما عرَّفكم أن تُعَلِّموه من اتِّباع الصيد بإرسال صاحبه، وانزجاره بزجره، وانصرافه بدُعائه، وإمساكِ الصيد عليه، وأن لا يأكل منه.

وقرئ: "مُكْلبين" بالتخفيف، و"أَفْعَلَ" و"فَعَّلَ" يشتركان كثيرًا.

قوله: **(واستئناف)** كأنّه سُئل فقيل: كيف نُعلّمهن؟ فقيل: تُعلّموهنّ[1] ممّا علمكم الله. وقوله: **(وفيه)** أي: في كون معلِّمها نحريرًا... إلخ.

قوله: **(مِن أقتَلِ)** أي: أبلغِهم. يقال: «قتل أرضًا عالمُها»،[2] أي: ذلّلها بالعلم. ويقال: رجل مقتّل، أي: مجرّب، وقلبٌ مذلَّل قَتَله العِشق.

قوله: **(أكباد الإبل)** قال عليه السلام: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدوا عالمًا إلّا عالم المدينة»،[3] وهو مالك رضي الله عنه. وقوله قبل[4] ذلك: **(كلِّ آخذٍ)** صحَ **(آخذٍ عِلمًا)** بالتنوين على إعمال "آخذ". وقوله: **(وإن احتاج)** أي: وإن احتاج في الوصل إلى أقتَل أهله علمًا إلى أن يركب الإبل ويضرب بالرِّجل على أكبادها في المشي فإنّه يجب عليه ذلك. وقيل: المراد بضرب أكبادها أن يُسيّرها في المفاوز والبراري أوقات الحرّ ووقت الظهيرة حتّى ضربت الحرارة كبدَها.

قوله: **(أن تعلِّموه)** مفعول ثانٍ لقوله: **(عرَّفكم)**. والضمير المنصوب مِن قوله: "تُعلِّموه" عائد إلى "ما"، ومفعوله الثاني محذوف، أي: ممّا عرّفكم الله أن تعلِّموه الكلبَ. وقوله: **(مِن اتّباع)** بيان "ما".

---

١ ن: تعلمونهنّ.

٢ ر – عالمها. | **مجمع الأمثال** للميداني، ١٠٨/٢؛ **المستقصى** للزمخشري، ١٨٨/٢.

٣ **المستدرك** للحاكم، ١٦٨/١ (٣٠٧).

٤ د: وقبل؛ ر: وقيل.

والإمْساكُ على صاحبه: أن لا يأكل منه؛ لقوله عليهِ الصلاة والسلام لعَديّ بن حاتم: «وإنْ أكَلَ منه فلا تأكلْ، إنّما أمْسكَ على نفسه».

وعن عليّ رضيَ الله عنه: إذا أكل البَازي فلا تأكل.

وفرَّق العلماء: فاشترطوا في سباع البهائم تركَ الأكل؛ لأنها تؤدَّبُ بالضَّرْب، ولم يَشترِطوه في سباع الطير.

ومنهم مَن لم يَعتبرْ تركَ الأكل أَصْلًا، ولم يفرّق بين إمساك الكلّ والبعض، وعن سلمان وسعدِ بن أبي وقاص وأبي هريرة رضي الله عنهم: إذا أكل الكلب ثُلثيْه وبقي ثلثُه وذكرتَ اسمَ الله عليه فكُل.

فإن قلتَ: إلامَ رجع الضمير في قوله: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾؟

قلتُ: إمَّا أن يرجعَ إلى "ما أَمْسَكْنَ" على معنى: وسَمُّوا عليه إذا أدركتُم ذكاتَه، أو إلى "ما علَّمْتُم من الجوارح"؛ أي: سَمُّوا عليه عند إرساله.

﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٥﴾

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: هو ذبائحُهم، وقيل: جميع مطاعمهم.

قوله: («إنّما أمسك») فقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في محلّ الحال، أي:[١] مستقرة على تعليمكم لا على طبيعته وجبلّته، وكذا في الحديث في قوله عليه السلام:[٢] «على نفسه»،[٣] أي: أمسكَ مستقرًا على حال نفسه وطبيعته وجبلته لا على تعليمكم.

قوله: (عند إرساله) أو عند العضّ، وهذا هو المعتبر في مذهب الشافعيّ.[٤]

١ ر: أو.

٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ صحيح البخاري، ٨٦/٧ (٥٤٧٦)؛ صحيح مسلم، ١٥٢٩/٣ (١٩٢٩).

٤ ر + رضي الله عنه. | انظر: **المجموع** للنووي، ٩٣/٩-٩٦.

ويَسْتوي في ذلك جميع النصارى، وعن عليٍّ رضيَ الله عنه: أنه استثنى نصارى بني تغلِبَ، وقال: ليسوا على النصرانيّة ولم يأخذوا منها إلّا شُربَ الخمر. وبه أخذ الشافعيُّ رضي الله عنه.

وعن ابن عباس: أنه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال: لا بأس به، وهو قول عامّة التابعين، وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابُه رضي الله عنهم.

وحكمُ الصّابئين حكمُ أهل الكتاب عند أبي حنيفة رضي الله عنه، وقال صاحباه: هم صنفان: صنفٌ يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة، وصنفٌ لا يقرؤون كتابًا ويعبدون النجوم، فهؤلاء ليسوا من أهل الكتاب.

وأمّا المجوسُ فقد سُنَّ بهم سنَّةُ أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم. وقد روي عن ابن المسيِّب أنه قال: إذا كان المسلم مريضًا فأمَر المجوسيَّ أن يذكر الله ويذبح فلا بأس.

وقال أبو ثور: وإن أمره بذلك في الصحَّة فلا بأس وقد أسَاء.

﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ فلا عليكم أن تُطعموهم؛ لأنه لو كان حرامًا عليهم طعام المؤمنين لَمَا ساغ ....

قوله: (ذلك) أي: حلّ المطاعم.

قوله: (جميع النصارى) وإنّما لم يذكر اليهود، إذ لا تفصيل فيهم، فإنّ ذبائح جميعهم حلال.

قوله: (صاحباه) هما أبو يوسف ومحمّد رحمهما الله تعالى.[1]

قوله: (فقد سُنَّ) قال عليه السلام: في مجوس هجر.

قوله: (فلا بأسَ) أي: يكون حلالًا.

قوله: (وقد أساء) أي: المفوِّض المسلمُ أساء في تفويضه إلى المجوسيّ، وهو مِن كلام أبي ثور.

[1] د ر - تعالى.

لهم إطعامُهم.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ﴾: الحرائر، أو العفائف، وتخصيصُهنَّ بَعثٌ على تخيُّر المؤمنين لِنُطَفِهم، والإماءُ من المسلمات يصحُّ نكاحُهنَّ بالاتِّفاق، وكذلك نكاحُ غيرِ العفائف منهنَّ.

وأما الإماءُ الكتابيات فعند أبي حنيفة رضي الله عنه: هن كالمسلمات. وخالفه الشافعي رضي الله عنه. وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات، ويحتجُّ بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّ﴾ [البقرة ٢٢١/٢] ويقول: لا أعلم شركًا أعظم من قولها: إن ربَّها عيسى.

وعن عطاء: قد أكثر الله المسلمات، وإنما رُخِّص لهم يومئذ محصِنين أعفَّاء.

﴿وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾: صدائقَ، والخِدْنُ يقع على الذَّكَر والأنثى.

﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾: بشرائع الإسلام وما أحلَّ الله وحرَّم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾

قوله: **(لهم)** أي: المؤمنين. وقوله: **(إطعامهم)** أي: أهل الكتاب، وهو مضاف إلى المفعول.

قوله: **(والإماء)** حال أو معترضة. والتخيّر: الاختيار قال عليه السلام:[1] «تخيَّروا لنُطفكم».[2]

قوله: **(الكتابيّات)** مطلقًا.

قوله: **(وعن عطاء)** وهو مَيْل بمذهب ابن عمرَ.

قوله: **(يومئذٍ)** أي:[3] في[4] أول الإسلام حين لم يكن في المسلمات كثرة.

---

[1] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[2] **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٢٥/٤ (١٧٤٣٢)؛ **سنن ابن ماجه**، ١٤٢/٣ (١٩٦٨).

[3] ر: أو.

[4] ر - في.

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل ٩٨/١٦] وكقولك: "إذا ضربتَ غلامَك فَهَوِّنْ عليه" في أن المراد إرادةُ الفعل.

فإن قلتَ: لم جاز أن يُعبَّر عن إرادة الفعل بالفعل؟

قلتُ: لأن الفعل يُوجد بقدرةِ الفاعل عليه وإرادتهِ له، وهي قصدُه إليه ومَيْلُه وخلوصُ داعِيهِ، فكما عُبِّر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم: "الإنسان لا يَطيرُ" و"الأعمى لا يُبصر"؛ أي: لا يقدران على الطيران والإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿نُعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٤/٢١] يعني: إنَّا كنَّا قادرينَ على الإعادة، كذلك عُبِّر عن إرادةِ الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعلَ مسبَّبٌ عن القدرة والإرادةِ فأُقيم المسبَّبُ مَقام السبب للملابسة بينهما ولإيجازِ الكلام، ونحوُه من إقامة المسبَّبِ مُقام السَّبب قولُهم: "كما تُدين تُدان" عُبِّر عن الفعل المبتدأ الذي هو سببُ الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبَّبٌ عنه.

وقيل: معنى ﴿قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: قصَدْتُموها؛ لأن مَن توجَّه إلى الشيء وقام إليه كان قاصدًا له لا محالة، ....

قوله: (﴿إِذَا قُمْتُمْ﴾) أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، يقال: "قام إلى الصلاة" إذا باشرها عقيب القيام.

قوله: (**وهي**) أي: الإرادة. وقوله: (**قصدُه**) أي: الفاعل.

قوله: (**لا يُبصر**) إذ ليس المراد أنّهما يقدران ولا يفعلان؛ بل المراد أنّهما لا يقدران.

قوله: (**قادرين**) هذا قول الكرّامية والأشعريّة؛ لأنّهم يصفون الله في الأزل قادرًا على الحقيقة.

قوله: (**قصدتموها**) وليس المعنى قصدتم القيام إلى الصلاة، بخلاف المعنى الأوّل، والفرق أنّ المعنى على الأوّل إذا أردتم القيام إلى الصلاة،[١] وعلى هذا / إذا أردتم الصلاة وقصدتموها. [٣٣٠ظ]

---

[١] ر - بخلاف المعنى الأوّل، والفرق أنّ المعنى على الأوّل إذا أردتم القيام إلى الصلاة.

فعُبّر عن القصد له بالقيام إليه.

فإن قلتَ: ظاهرُ الآية يوجب الوضوءَ على كلِّ قائم إلى الصَّلاة محدِثٍ وغيرِ محدِثٍ، فما وجهُه؟

قلتُ: يحتمِل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدِثين خاصَّة، وأن يكون للندب، وعن رسول الله والخلفاءِ بعدَه أنهم كانوا يتوضَّؤون لكلِّ صلاةٍ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن توضَّأ على طُهْرٍ كَتَب اللهُ له عشرَ حَسَنات».

وعنه عليه الصلاة والسلام: أنه كان يتوضَّأ لكلِّ صلاةٍ، فلمَّا كان يومُ الفتح مَسَح على خفَّيه فصلَّى الصلواتِ الخمسَ بوضوءٍ واحد، فقال له عمر: صنعتَ شيئًا لم تكن تَصنعه؟ فقال: «عمدًا فعلتُه يا عمر» يعني: بيانًا للجواز.

قوله: **(فعُبّر)** أي: عُبّر على هذا التفسير بالقيام إلى الشيء عن القصد إلى ذلك الشيء، وأمّا على التفسير الأوّل فعُبّر بالقيام إلى الشيء عن القصد للقيام إلى ذلك الشيء.[1]

قوله: **(وأن يكون للندب)** فيكون الأمر عامًّا للمحدِث وغير المحدِث. قيل: لا يجوز أن يكون للندب؛ لأنّ الإجماع منعقد على[2] أنّ الوضوء للصلاة فرضٌ، ولأنّ الأمر للوجوب إلّا لمانع ولا مانعَ. ويمكن أن نقول:[3] إن انعقاد الإجماع لا يمنع مِن جواز كونه للندب؛ لأنّه ما ثبت أنّ أهل الإجماع إنّما[4] اجمعوا استدلالًا بهذه الآية، فيجوز أن يكون للندب بقرينة عمومه، فإنّ الوضوء ليس بواجب على مَن هو على وضوء.

قوله: **(كان يومُ)**[5] تامّة.

---

[1] ر – عن القصد إلى ذلك الشيء، وأمّا على التفسير الأوّل فعُبّر بالقيام إلى الشيء عن القصد للقيام إلى ذلك الشيء.

[2] ن – على.

[3] ن: يقال.

[4] ر: وإنّما.

[5] ر + كان. | **صحيح مسلم**، ٢٣٢/١ (٢٧٧).

﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ كقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [النحل ١٦/٩٨] وكقولك: "إذا ضربتَ غلامَك فَهَوِّنْ عليه" في أن المراد إرادةُ الفعل.

فإن قلتَ: لم جاز أن يُعبَّر عن إرادة الفعل بالفعل؟

قلتُ: لأن الفعل يُوجد بقدرةِ الفاعل عليه وإرادتهِ له، وهي قصدُه إليه ومَيْلُه وخلوصُ داعِيهِ، فكما عُبّر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم: "الإنسان لا يَطيرُ" و"الأعمى لا يُبصر"؛ أي: لا يقدران على الطيران والإبصار، ومنه قوله تعالى: ﴿نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٤] يعني: إنَّا كنَّا قادرينَ على الإعادة، كذلك عُبّر عن إرادةِ الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعلَ مسبَّبٌ عن القدرة والإرادةِ فأُقيم المسبَّبُ مَقام السبب للملابسة بينهما ولإيجازِ الكلام، ونحوُه من إقامة المسبَّبِ مُقام السَّبب قولُهم: "كما تُدين تُدان" عُبّر عن الفعل المبتدأ الذي هو سببُ الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبَّبٌ عنه.

وقيل: معنى ﴿قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: قصَدْتُموها؛ لأن مَن توجَّه إلى الشيء وقام إليه كان قاصدًا له لا محالة، ....

قوله: (﴿إِذَا قُمۡتُمۡ﴾) أي: إذا أردتم القيام إلى الصلاة، يقال: "قام إلى الصلاة" إذا باشرها عقيب القيام.

قوله: (**وهي**) أي: الإرادة. وقوله: (**قصدُه**) أي: الفاعل.

قوله: (**لا يُبصر**) إذ ليس المراد أنّهما يقدران ولا يفعلان؛ بل المراد أنّهما لا يقدران.

قوله: (**قادرين**) هذا قول الكرّامية والأشعريّة؛ لأنّهم يصفون الله في الأزل قادرًا على الحقيقة.

قوله: (**قصدتموها**) وليس المعنى قصدتم القيام إلى الصلاة، بخلاف المعنى الأوّل، والفرق أنّ المعنى على الأوّل إذا أردتم القيام إلى الصلاة،[١] وعلى هذا / إذا أردتم الصلاة وقصدتموها. [٣٣٠ظ]

---

[١] ر – بخلاف المعنى الأوّل، والفرق أنّ المعنى على الأوّل إذا أردتم القيام إلى الصلاة.

فعُبِّر عن القصد له بالقيام إليه.

فإن قلتَ: ظاهرُ الآية يوجب الوضوءَ على كلِّ قائم إلى الصَّلاة محدِثٍ وغيرِ محدِثٍ، فما وجهُه؟

قلتُ: يحتمِل أن يكون الأمر للوجوب فيكون الخطاب للمحدِثين خاصَّة، وأن يكون للندب، وعن رسول الله والخلفاءِ بعدَه أنهم كانوا يتوضَّؤون لكلِّ صلاةٍ.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَن توضَّأَ على طُهْرٍ كَتَبَ اللهُ له عشرَ حَسَنات».

وعنه عليه الصلاة والسلام: أنه كان يتوضَّأ لكلِّ صلاةٍ، فلمَّا كان يومُ الفتح مَسَح على خفَّيه فصلَّى الصلواتِ الخمسَ بوضوءٍ واحد، فقال له عمر: صنعتَ شيئًا لم تكن تَصنعه؟ فقال: «عمدًا فعلتُه يا عمر» يعني: بيانًا للجواز.

قوله: **(فعُبِّر)** أي: عُبِّر على هذا التفسير بالقيام إلى الشيء عن القصد إلى ذلك الشيء، وأمّا على التفسير الأوّل فعُبِّر بالقيام إلى الشيء عن القصد للقيام إلى ذلك الشيء.[١]

قوله: **(وأن يكون للندب)** فيكون الأمر عامًّا للمحدِث وغير المحدِث. قيل: لا يجوز أن يكون للندب؛ لأنّ الإجماع منعقد على[٢] أنّ الوضوء للصلاة فرضٌ، ولأنّ الأمر للوجوب إلّا لمانع ولا مانعَ. ويمكن أن نقول:[٣] إن انعقاد الإجماع لا يمنع مِن جواز كونه للندب؛ لأنّه ما ثبت أنّ أهل الإجماع إنّما[٤] اجمعوا استدلالًا بهذه الآية، فيجوز أن يكون للندب بقرينة عمومه، فإنّ الوضوء ليس بواجب على مَن هو على وضوء.

قوله: **(كان يومُ)**[٥] تامّة.

---

[١] ر – عن القصد إلى ذلك الشيء، وأمّا على التفسير الأوّل فعُبِّر بالقيام إلى الشيء عن القصد للقيام إلى ذلك الشيء.

[٢] ن – على.

[٣] ن: يقال.

[٤] ر: وإنّما.

[٥] ر + كان. | **صحيح مسلم**، ٢٣٢/١ (٢٧٧).

فإن قلتَ: هل يجوز أن يكون الأمر شاملًا للمُحْدِثين وغيرِهم: لهؤلاء على وجه الإيجاب ولهؤلاء على وجه الندب.

قلتُ: لا؛ لأن تناوُلَ الكلمة الواحدة لمعنَيين مختلفَين من بابِ الإِلْغاز والتَّعْمِيَة.

وقيل: كان الوضوء لكلِّ صلاةٍ واجبًا أوَّلَ ما فُرض، ثم نُسخ.

﴿إِلَى﴾ تُفيد معنى الغاية مطلقًا، فأمَّا دخولُها في الحُكم وخروجُها فأمرٌ يدور مع الدليل، فممَّا فيه دليلٌ على الخروج قوله: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة ٢٨٠/٢]؛ لأن الإعسار علَّةُ الإنظار، وبوجود الميسرة تزول العلَّة، ولو دخلت الميسرةُ فيه لكان مُنظَرًا في كلتا الحالتين مُعْسِرًا وموسِرًا، وكذلك: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة ١٨٧/٢] لو دخل الليل لوجَب الوصال.

ومما فيه دليلٌ على الدخول قولك: "حفظتُ القرآن من أوَّله إلى آخره" فإن الكلام مسوقٌ لحفظ القرآن كلِّه، ومنه قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء ١/١٧] لوقوع العلم بأنه لا يُسرَى به إلى بيت المقدس من غيرِ أن يدخُله.

وقوله: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ و﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ لا دليلَ فيه على أحد الأمرين، فأخذ

قوله: **(لهؤلاء)** بدل عمّا قبله.[١]

قوله:[٢] **(أو موسرًا)** بعض النسخ بـ"الواو" وبعضها بـ"أو"، فإن كان بـ"الواو" فهو بدل مِن قوله: **(في كلتا الحالين)**، وإن كان بـ"أو" فهو متعلِّق بمحذوف، أي: سواء كان معسِرًا أو موسِرًا، ووجهُ كونه بدلًا أن يكون التقدير: كائنًا أو مستقرًّا في كلتا الحالتين.[٣] والصواب أن نقول: هو على الأوّل بدل الكلّ وعلى الثاني بدل البعض.

قوله: **(وقوله)** مبتدأ خبره **(لا دليلَ)**.

قوله: **(﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾)** قيل: جُعل ﴿ٱلْمَرَافِقِ﴾ فيما ذكر غاية لليد، وليس كذلك،

---

[١] ر + لأنّه بوجه.
[٢] ر – قوله.
[٣] ن: الحالين.

كافَّة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغَسل، وأخذ زفرُ وداود بالمُتيقَّن فلم يُدخلاها، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: أنّه كان يُدير الماء على مَرْفِقَيه.

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ المراد: إلصاقُ المسح بالرأس، وماسِحُ بعضهِ ومستوعبُه بالمسح كلاهما ملصِقٌ للمسح برأسه، وقد أخذ مالك بالاحتياط فأوجب الاستيعابَ أو أكثرَه على اختلاف الرواية، وأخذ الشافعيُّ باليقين فأوجب أقلَّ ما يقع عليه اسمُ المسح، وأخذ أبو حنيفة ببيانِ رسول الله، وهو ما روي: أنه مَسَح على ناصيته، وقَدَّر الناصيةَ بربعِ الرأس.

قرأ جماعةٌ: ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ بالنصب، فدلَّ على أن الأرجُل مغسولة.

فإن قلتَ: فما تصنعُ بقراءة الجرِّ ودخولِها في حُكم المسح؟

فإنّ اليد إلى المنكِب فلو لم يُذكَر ﴿إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ لكان كلّ اليد داخلًا، ولَوَجب غَسْل الكلّ فلم تكن ﴿إِلَى﴾ ههنا لانتهاء الغاية، وفيه نظرٌ.

قوله: **(كافّة)** الكافّة الجميع مِن الناس. يقال: "لقيتهم كافّة"، يعني: كلّهم، وإنّما قال المصنّف: **(كافّة العلماء)** مع مخالفة زُفر وداود لقلتهما بالنسبة إلى الباقين، والقليل قد يُجعَل[1] في حكم المعدوم، وهذا كما قال ابن الحاجب في **أصوله للفقه**: وهو، أي: الإجماع حجّة عند الجميع، ولا يعتدّ بالنظّام وبعض الخوارج والشيعة.[2]

قوله: **(بالمتيقّن)**، يعني: قالوا: ما تيقّن وجوبه نأخذ فيه بالوجوب وهو ما دون المِرفق وما لم يُتيقّن وجوبُ غسله يُحكم فيه بعدم الوجوب إذ الأصل عدم الوجوب.

قوله: "بالمتيقَّن" لأنّ المتيقَّن[3] إلى المرفق.

قوله: **(أنّه كان)** دليل كافّة العلماء.

---

[1] ر: جعل.

[2] انظر: **المختصر** لابن الحاجب، ١/٤٣٢-٤٣٤.

[3] ر - يعني: قالوا: ما تيقّن وجوبه نأخذ فيه بالوجوب وهو ما دون المِرفق وما لم يُتيقّن وجوب غسله يُحكم فيه بعدم الوجوب إذ الأصل عدم الوجوب قوله: "بالمتيقّن" لأنّ المتيقّن.

قلتُ: الأَرْجُل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة تُغسَل بصبِّ الماء عليها، فكانت مظنَّةً للإسْراف المذمومِ المنهيِّ عنه، **فعُطفت على الرابع** الممسوحِ، لا لِتُمْسَح، ولكن لِيُنبَّه على وجوب الاقتصاد في صبِّ الماء عليها.

وقيل: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فجيء بالغاية إماطةً لظنِّ ظانٍّ يحسبها ممسوحةً؛ **لأنَّ المسح** لم تُضرَب له غايةٌ في الشريعة، وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّه أَشرف على فِتْيَةٍ من قريش فرأى في وضوئهم **تجوُّزًا**، فقال: وَيْلٌ للأَعْقاب من النار، فلمَّا سمعوا جعلوا يغسلونها غسلًا ويدلكونها دلكًا.

وعن ابن عمر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضَّأ قومٌ وأعقابُهم بيضٌ تَلوح فقال: «ويل للأَعقاب من النَّار».

وفي رواية جابر: «ويلٌ للعراقيب».

وعن عمر رضي الله عنه: أنه رأى رجلًا يتوضَّأ فترك باطن قدمَيْه، فأمره أن يُعيد الوضوءَ، **وذلك** للتغليظ عليه.

وعن عائشة رضي الله عنها: لَأنْ تُقْطَعا أحبُّ إليَّ من أن أمسح على القدمين بغير خفَّين.

قوله: **(على الرابع)** في بعض **النسخ** "فعُطفت على الثالث"، وقد يُظنّ أنّه الأصوب لأنّه هو الأشبه بإيراد لفظ **القرآن**، لكن لمّا كان الأعضاء الثلاثة المغسولة عبارة عن غيره فالرابع هذه بالضرورة، فيتبيّن أنّ الرابع هو الأصوب.

قوله: **(لأنّ المسح)** أي: المسح الفرض، وأمّا مسح الخفّ إلى الساق فسُنّة.

قوله: **(تجوُّزًا)**،[١] أي: تسهُّلًا.[٢] يقال: تجوّز في صلاته، أي: خفّفها، قاله في **الصحاح**.[٣] وقال في **المغرب**: «تجوّز في الصلاة: ترخَّص فيها وتساهل، ومنه "تجوَّز في أخذ الدراهم" إذا روَّجها ولم يردَّها».[٤]

قوله: **(وذلك)** أي: الأمر بالإعادة.

---

[١] ر: يجوز.
[٢] ر: تسهيلًا.
[٣] الصحاح للجوهري، «جوز».
[٤] المغرب للمُطرِّزي، «جوز».

وعن عطاء: والله ما علمتُ أن أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين.

وقد ذهب بعضُ الناس إلى ظاهرِ العطف فأوجَبَ المسحَ.

وعن الحسن: أنه جمع بين الأمرين.

ورُوي عن الشعبيّ: نزل القرآنُ بالمسح، والغَسلُ سنّةٌ.

وقرأ الحسن: "وأرجلُكم" بالرفع، بمعنى: وأرجلُكم مغسولةٌ أو ممسوحةٌ إلى الكعبين.

وقرئ: "فأَطْهِرُوا"؛ أي: فَطهِّروا أبدانكم، وكذلك: "ليُطْهِرَكم".

وفي قراءة عبد الله: "فأُمُّوا صعيدًا".

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ في باب الطهارة حتى لا يُرخِّصَ لكم في التيمُّم.

﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ بالتراب إذا أعْوَزكم التطهُّرُ بالماء.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾: وليُتِمَّ برُخَصِه إنعامَه عليكم بعزائمه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَه فيثيبَكم.

قوله: (**"ليُطْهِرَكُمْ"**)،[1] أي: وقرئ: "ليُطهِرَكُمْ" فيما بعدَ هذا، وهو يريد/ "ليُطْهِركم".[2] [٣٣١و]

قوله: (**حتّى لا يُرخِّص**) متعلِّق بقوله: ﴿يُرِيدُ﴾ مِن غير حرف النفي، فكأنّه قيل: إرادة الله تعالى جَعْلَ الحرج عليكم حتّى لا يُرخِّص في التيمُّم منتفية، أي: الإرادة المستلزمة لعدم الترخُّص منتفية.

قوله: (**أعوزكم**) يقال: أعوزني[3] المطلوب، أي: أعجزني واشتدّ عليّ.

قوله: (**بعزائمه**) والباء متعلِّق بإنعامه. عزائم الله: إيجاب الله تعالى.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن المسيّب. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٧٠٨.

٢ ر – أي: وقرئ: "ليُطهِرَكُمْ" فيما بعدَ هذا، وهو يريد "ليُطْهِركم".

٣ ن + في.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ وهي نعمةُ الإسلام.

﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦ﴾؛ أي: عاقَدَكم به عقدًا وثيقًا، هو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على السَّمْع والطاعة في حال اليُسر والعُسر والمَنْشَط والمَكْرَه، فقَبلوا وقالوا: سمعنا وأطعنا.

وقيل: هو الميثاق ليلةَ العقبة وفي بيعة الرضوان.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

عُدِّي ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بحرف الاستعلاء مضمَّنًا معنى فعلٍ يتعدَّى به؛ كأنه قيل: ولا يَحملنَّكم.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿أَن تَعْتَدُواْ﴾ [المائدة ٥/٢] بمعنى: "على أن تعتدُوا" فحُذف مع "أنْ"، ....

قوله: (والمَنشَط) النشاط. و(المَكْرَه) الكراهة.

قوله: (العقبة) بين مكّة والمدينة.

قوله: (بيعةِ الرضوان) الميثاق على الوجه **الأوّل** ميثاق عامّ مع جميع المسلمين، وعلى الوجه **الثاني** كان مع جَمْع[١] مِن[٢] الأنصار في العقبة قبل هجرته عليه السلام[٣] إلى المدينة، وعلى الوجه **الثالث** هو العهد الذي كان مع أصحابه بالحُديبية حين صدّه المشركون عن البيت، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح ٤٨/١٨].

قوله: (أن يكون قوله تعالى) أي: فيما مرّ قبلُ في أوّل السورة، فيكون هناك أيضًا

---

١ ر: جميع.
٢ ر – من.
٣ ن ر: صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

ونحوُه قولُه عليه الصلاة والسلام: «مَن أُتبع على مَلِيء فَلْيَتَّبِعْ»؛ لأنه بمعنى: أُحِيلَ.

وقرئ: "شَنْآن" بالسكون، ونظيرُه في المصادر: ليّان.

والمعنى: لا يَحملنّكم بُغضُكم للمشرِكين على أن تتركوا العدلَ فتعتدوا عليهم بأن تنتصِروا منهم وتتشَفَّوا بما في قلوبكم من الضَّغائن بارتكابِ ما لا يَحلُّ لكم مِن مُثْلةٍ أو قَذْفٍ، أو قتلِ أولادٍ أو نساءٍ، أو نقضِ عهدٍ، أو ما أشبهَ ذلك.

﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ نهاهم أولًا أن تحمِلهم البغضاء على ترك العدل، ثم استأنف فصرَّح لهم بالأمر بالعدل تأكيدًا وتشديدًا، ثم استأنف فذكر لهم وجهَ الأمر بالعَدْل وهو قوله: ﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾؛ أي: العدلُ أقربُ إلى التقوى وأَدْخَلُ في مناسَبتها، أو: أقربُ إلى التقوى لكونه لطفًا فيها، وفيه تنبيهٌ عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أَعْداءُ الله إذا كان بهذه الصفةِ من القوَّة فما الظنُّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحبّاؤه؟

معدّى بحرف الاستعلاء للتضمين، لكن حُذف لأنّ حَذْف الجارّ مع "أنّ" و"أنْ" قياس مستمرّ.

قوله: (ونحوُه) أي: نحو ﴿يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾، ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ﴾.

قوله:[١] («على مليء»)[٢] كان القياس مَن اتبع مليئًا، لكنّه ضُمّن معنى أحيلَ.

قوله: ("شَنْآن")[٣] حكاية بغير تنوين.

قوله: (ليّان) مِن لواه بدَينه ليًّا ولَيانًا مَطلَه.

قوله: (وتتشفّوا) أي: تأخذون الشفاء فهو للعمل المتكرّر في مهلة، نحو "تجرّعه". و"مِن" في (ممّا) للابتداء. و"مِن" في "مِن الضغائن" للبيان، أو بمعنى الاستفعال، نحو تكبّر وتعظّم بمعنى استكبر واستعظم.

قوله: (لطفًا فيها) أي: التقوى.

---

١ ن - قوله.

٢ صحيح البخاري، ٩٤/٣ (٢٢٨٨).

٣ قرأ بها ابن عامر وابن وردان وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢٥٣/٢.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠﴾

﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بيانٌ للوعد بعد تمام الكلام قبلَه؛ كأنَّه قال: "قَدَّم لهم وَعْدًا" فقيل: "أيُّ شيء وعدُه لهم؟" فقيل: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أو يكون على إرادة القول بمعنى: وعَدَهم وقال: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾، أو على إجراء "وعَدَ" مُجرى "قال"؛ لأنه ضربٌ من القول.

أو يجعل "وعَدَ" واقعًا على الجملة التي هي ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ كما وقع ﴿تَرَكْنَا﴾ على قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات ٧٩/٣٧] كأنه قيل: "وعدَهم هذا القولَ، وإذا وعَدَهم مَن لا يُخلِفُ الميعادَ هذا القولَ فقد وعدهم مضمونَهُ من المغفرة والأجر العظيم".

قوله: **(كأنّه)** أي: الله تعالى. وقوله: **(قدّم)** هو معنى "وَعَد".

قوله: **(كما وقع ﴿تَرَكْنَا﴾)**... إلخ، قال الله[١] تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات ٧٨/٣٧-٧٩]، والمعنى: تركنا على نوح في الآخرين مِن الأمم. هذه الكلمة وهي ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يعني: يُسلِّمون عليه تسليمًا ويدعون له، وهو مِن الكلام المحكيّ، وإلّا فالقياس "سلامًا"؛ لأنّه مفعول ﴿تَرَكْنَا﴾، ومثله في الحكاية قولك: قرأتُ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾، ومعنى قوله: ﴿فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الدعاء بثبوت هذه التحيّة فيهم جميعًا، وألّا يخلو أحد مِن العالمين مِن هذه التحيّة، كأنّ الآخرين قالوا[٢] في هذه التحيّة: ثبّت[٣] الله تعالى التسليمَ على[٤] نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يُسلِّمون عليه عن[٥] آخرهم.

قوله: **(فقد وَعَدهم مضمونه)**، يعني: إذا وَعَدهم هذا القول يقول هذا القول لأنّه لا يخلف الميعاد، وإذا قال هذا القول يقع[٦] مضمونه لأنّه لا يجوز الكذب عليه،

---

١ ر – الله.
٢ ر: قوله.
٣ ر: بيت.
٤ ر: يا.
٥ ر: وعن.
٦ ن ر + في.

وهذا القول يُتَلَقَّوْن به عند الموت ويومَ القيامة، فيُسَرُّون به ويَسْتَرْوِحُون إليه ويُهوِّنُ عليهم السَّكَرات والأهوالَ قبل الوصول إلى الثواب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾

رُوي: أن المشركين رأوْا رسولَ الله وأصحابه قاموا إلى صلاةِ الظهر يُصلُّون معًا، وذلك بعُسْفَانَ في غزوةِ ....

فالوعد بهذا القول وعدٌ بما يستلزم[1] مضمونه، والوعد بما يستلزم مضمون الشيء وعدٌ بمضمون الشيء، فيكون الوعد بهذا القول وعدًا[2] بالمغفرة وهو مضمون هذا القول.

قوله: **(وهذا القول)**، يعني: ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾. واعلم أنّ هذا على التفسير الأخير، وهو أنّ المعنى "وعدهم هذا القول"، فإنّ المصنّف لمّا ذكر أنّ المعنى / "وَعَدهم هذا القول" أشار إلى أنّ إنجاز هذا الوعد إنّما هو في وقت [٣٣١ظ]
الموت أو في القيامة، لمّا ذَكَر أنّه تعالى وَعَد هذا القول أشار إلى أنّه متى يقع هذا القول الموعود فقال: **(وهذا القول يُتلّقون به عند)**.

قوله: **(ويستروحون)** استروح واستراح بمعنًى.

قوله: **(رأوا رسول الله عليه السلام)**[3] الظاهر أنّ "رأوا" مِن رؤية البصر. فقوله: **(قاموا)** حال، و"قد" مقدّرة، ولو كان مِن رؤية القلب كان المفعول الثاني قوله قبل "رأوا" بسطر: **(فيسرُّون)**[4] فيه لفّ ونشر. فقوله: **(فيُسرُّون)** إلى قوله: **(السكرات)** متعلق بقوله: **(عند الموت)**. وقوله: **(والأهوال)**... إلخ، متعلِّق بقوله: **(يوم القيامة)**، أو نقول: قوله: **(يُسَرُّون ويستروِحون إليه)** متعلِّق بقوله: "عند الموت" و"يوم القيامة" وفي الباقي لفّ ونشر.

---

١ ن: يستلزمه.
٢ د ن ر: وعد.
٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم. | انظر: **جامع البيان** للطبري، ٧/٤٣٨ (النساء، ٤/١٠٢).
٤ ر: فيشترون.

ذي أَنْمارٍ، فلمّا صلَّوا نَدِموا ألّا كانوا أَكَبُّوا عليهم، فقالوا: إنَّ لهم بعدها صلاةً هي أحبُّ إليهم من آبائهم وأبنائهم، يعنون صلاةَ العصر، وهمُّوا بأَنْ يُوقِعُوا بهم إذا قاموا إليها، فنزل جبريل بصلاة الخوف.

وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعليٌّ رضي الله عنهم يستقرضُهم ديةَ مُسلِمَيْن قتَلهما عمرُو بنُ أميّةَ الضَّمْريُّ خطأً يَحْسبُهما مشركَين، فقالوا: نَعمْ يا أبا القاسم، اجلس حتى نُطعمَك ونُقرضَك، فأجلَسُوه في صُفَّةٍ وهمُّوا بالفتك به، وعمَدَ عمرو بن جَحَّاشٍ إلى رحًى عظيمةٍ يَطْرحُها عليه، فأمسك الله يده ونَزَل جبريل فأخبره فخرج.

وقيل: نزل مَنْزِلًا وتفرَّق الناسُ في العِضَاهِ يَستظلُّون بها، فعَلَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم سِلاحه بشجرةٍ، فجاء أعرابيٌّ فسَلَّ سيفَ رسول الله ثم أقبل عليه فقال: مَن يمنعُك مني؟ قال: "الله" قالها ثلاثًا، فَشَامَ الأعرابي السيفَ، فصاحَ رسول الله بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يُعاقَب.

قوله: (أنمارٍ) اسم مكان فيه تمورٌ كثيرة.

قوله:[١] (ألّا كانوا) أصله "أن لا" فأدغِمت النون، والتقدير: "على ألّا"، لأنّ "ندم" يعدّى بـ"على"، يقال: "ندم على ما فعل"، ثمّ حُذف "على" لأنّ حذف الجارّ مع "أن" قياس مستمرّ.

قوله: (أكبُّوا) أي: أقبَلوا.

قوله: (بالفتك) هو أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل حتّى يشدَّه فيقتله، وفيه ثلاث لغات فَتْك وفُتْك وفِتْك، مثل[٢] وَدّ ووُدّ ووِدّ، وزَعْم وزُعْم وزِعْم.

قوله: (العِضاه) كلّ شجر يعظُم وله شوك.

قوله: (فشامَ السيف)،[٣] أي: سلّها، وشامه: أغمدها أيضًا، مِن الأضداد.

---

[١] ر – قوله.
[٢] ر – مثل.
[٣] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ٤/٤٠ (٢٩١٣)؛ وصحيح مسلم، ٤/١٧٨٦ (٨٤٣).

يقال: "بَسَط إليه لسانه": إذا شتمه، و"بسط إليه يده": إذا بطَش به ﴿وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الممتحنة ٢/٦٠] ومعنى بَسْطِ اليد: مَدُّها إلى المبطوش به، ألَا ترى إلى قولهم: "فلان بسيطُ الباع" و"مَديدُ الباع" بمعنًى.

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: فمنعَها أن تُمدَّ إليكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

لمَّا استقرَّ بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرَهم الله بالمسير إلى أَريحَاء أرضِ الشام -وكان يَسْكنها الكنعانيُّون الجبابرةُ- وقال لهم: إني كتبتُها لكم دارًا وقرارًا، فاخْرجوا إليها وجاهِدُوا مَن فيها وإني ناصرُكم. وأُمرَ موسى بأن يأخذ مِن كلِّ سبطٍ نقيبًا يكون كفيلًا على قومه بالوفاء بما أُمروا به توثقةً عليهم، فاختارَ النُّقباءَ وأخذ الميثاق على بنِي إسرائيل وتكفَّل لهم به النقباءُ وسار بهم، فلمَّا دنا من أرض كَنْعان بعث النقباءَ يَتجسَّسُون، فرأوا أجرامًا عظيمةً وقوَّةً وشوكةً، فهابوا ورجعوا وحدَّثوا قومَهم وقد نهاهم موسى عليه السلام أن يُحدِّثوهم، فنكثوا الميثاقَ إلَّا كالِبَ بنَ يُوقَنَّا من سبط يهودا ويُوشَعَ بنَ نونٍ من سبطِ إفْرائيم بن يوسف وكانا من النقباء.

وقوله: **(الجبابرة)** صفة.

قوله: **(بعث)** أي: موسى.

قوله: **(كالِب)** السماع مِن المصنِّف "كالِب" بكسر[1] اللام، وهو القياس بعد التعريب.

قوله: **(إفرائيم)** صحَّ بكسر الهمزة.

---

[1] ر - بكسر.

والنقيبُ: الذي يُنَقِّبُ عن أحوال القوم ويفتِّشُ عنها، كما قيل له: عَرِيفٌ؛ لأنه يتعرَّفها.

﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾؛ أي: ناصرُكم ومُعينكم.

﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتُموهم ومنعتُموهم من أيدي العدوِّ، ومنه: التعزيرُ، وهو التنكيلُ والمنع من معاوَدة الفساد، وقرئ بالتخفيف، يقال: عَزَرْتُ الرجلَ: إذا حُطْتَه وكَنَفْته، والتعزير والتأزير من وادٍ واحد، ومنه: "لأَنْصرنَّكَ نصرًا مُؤزَّرًا"؛ أي: قويًّا.

وقيل: معناه: ولقد أخذنا ميثاقَهم بالإيمان والتوحيد، وبعَثْنا منهم اثني عشر مَلِكًا يقيمون فيهم العدلَ، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

واللام في ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ مُوطِّئةٌ للقسم، وفي ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ جوابٌ له، وهذا الجواب سادٌّ مسدَّ جواب القسم والشرط جميعًا.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد ذلك الشرط المؤكَّد المعلَّق بالوعد العظيم.

فإن قلتَ: مَن كفر قبل ذلك أيضًا فقد ضلَّ سواء السَّبيل.

قوله: **(مؤزَّرًا)** قال ورقةُ بن نوفل للنبيّ عليه السلام: «إن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا».[١] قال ذلك قبل مبعث النبيّ عليه السلام[٢] حين حملتْه إليه خديجة زوجة النبيّ عليه السلام.[٣]

قوله: **(وقيل: معناه)** عطفٌ على أوّل القصّة.

قوله: **(موطِّئة)** أي: مؤسِّسة، يعني: دالّة على أنّ الجواب الذي سيأتي جواب القسم لا جواب الشرط، وتقديره: والله لئن أقمتُم لأكفرنّ.

قوله: **(بالوعد العظيم)** وسها مَن ظنّ أنّ المراد بالوعد هنا الوعيد، فإنّ الشرط ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ﴾ إلى ﴿حَسَنًا﴾، والوعد "لأكفرنّ"... إلخ. وانظر إليهم كم خبطوا

---

١ صحيح البخاري، ١/٧ (٣)؛ صحيح مسلم، ١/١٣٩ (١٦٠).

٢ ن: صلّى الله عليه وسلّم؛ ر - «إن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزَّرًا». قال ذلك قبل مبعث النبي عليه السلام.

٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

قلتُ: أجل، ولكنَّ الضلالَ بعده أظهرُ وأعظمُ؛ لأن الكفر إنما عَظُم قبحُه لعظم النعمة المكفورةِ فإذا زادت النعمةُ زاد قبح الكفر وتمادَى.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾: طرَدْناهم وأخرجناهم من رحمتنا، وقيل: مسخناهم، وقيل: ضرَبْنا عليهم الجزية.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾: خَذَلْناهم ومنعناهم الألطافَ حتى قست قلوبهم، أو أمْلَيْنا لهم ولم نُعاجِلْهم بالعقوبة حتى قست.

وقرأ عبد الله: ﴿قَسِيَّةً﴾؛ أي: رَديَّةً مغشوشةً، من قولهم: "درهمٌ قَسِيٌّ"، وهو من القَسْوة؛ لأن الذهب والفضَّةَ الخالصَين فيهما لِينٌ، والمغشوشُ فيه يَبْسٌ وصلابةٌ، والقاسِي والقاسِحُ -بالحاء- أخوان في الدلالة على اليَبْس والصَّلابة.

وقرئ: "قِسِيَّةً" بكسر القاف للإتباع.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ بيانٌ لقسوة قلوبهم؛ لأنه لا قسوةَ أشدُّ من الافتراء على الله وتغييرِ وَحْيه.

في **الحواشي** وكادوا أن يُضلُّوا كثيرًا بعد أن ضلُّوا لولا أنّ الله تعالى بفضله أعطى القوس باريَها.[١] اللّهم زدنا مِن هذا التوفيق والفيض.

قوله: **(وتمادى)** المدى: الغاية. وتمادى، أي: بلغ الغاية.

قوله: **("دِرهم قَسيّ")**، «أي: رديّ ذو غِشّ مِن نحاس وغيره، وجمعه "قِسيان" كـ"صبيّ وصبيان"»،[٢] ودراهم قَسيّة وقَسيّات.

---

[١] إشارة إلى مثل العرب: «أعطِ القوس باريها». **مجمع الأمثال** للميداني، ١٩/٢.

[٢] **المغرب** للمُطرِّزي، «قسو».

﴿وَنَسُواْ حَظًّا﴾: وتركوا نصيبًا جزيلًا وقِسطًا وافيًا ﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: من التوراة، يعني: أن تَرْكهم وإعْراضَهم عن التوراة إغْفالُ حَظٍّ عظيمٍ.

أو: قست قلوبهم وفسدَت فحرَّفوا التوراةَ وزلَّت أشياءُ منها عن حفظهم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قد يَنْسَى المرءُ بعضَ العلم بالمعصيَة، وتلا هذه الآية.

وقيل: تركوا نصيبَ أنفسِهم ممّا أُمروا به من الإيمان بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وبيانِ نعته.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾؛ أي: هذه عادتُهم وهِجِّيراهم وكان عليها أسلافُهم، كانوا

قوله: (﴿مِّمَّا ذُكِّرُواْ﴾) بيان (نصيبًا). وقوله: (مِن التوراة) بيان "ما".

قوله: (إغفال حظٍّ) أي: تركوا التوراة وكان هذا الترك ترك حظٍّ عظيم، فالنسيان بمعنى الترك، وعلى هذا الوجه يكون قوله: (﴿نَسُواْ حَظًّا﴾) كالجملة المعترضة، لأنّ قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ في معنى تركوا التوراة، / فكأنّه قال بعد [٣٣٢و] ذلك: وكان تركُها تركَ حظّ عظيم، فيكون المراد بقوله: ﴿حَظًّا﴾ هو التوراة. وقوله: (أو قسَت) الصواب أن يقول: "أو قست" عطف على جملة قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ بيانٌ، ولا يجوز أن يكون عطفًا على قوله: (وتركوا) لأنّه تتمّة للتفسير الأوّل وهذا تفسير آخرُ، فتأمّل.

قوله: (فحرّفوا التوراة) فكأنّه قيل: فحرّفوا بعضها ونسُوا بعضها، والنسيان بمعناه المشهور، وعلى هذا الوجه الأوّل يكون قوله: ﴿نَسُواْ﴾ عطفًا على ﴿يُحَرِّفُونَ﴾، وكلتا الجملتين مسبَّب عن قوله: ﴿جَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ ولم يؤتَ بالفاء في ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ توكيلًا للترتُّب[1] إلى ذهن السامع، نحو "قمْ يدعوك".

قوله: (﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ﴾) الخطاب للنبيّ عليه السلام.[2]

قوله: (فهم كانوا) جملة مبيّنة لقوله: (أي: هذه).

---

[1] ن: للترتيب.

[2] ر: صلّى الله عليه وسلّم.

يخونون الرسُلَ وهؤلاء يخونونك؛ ينكثون عهودك ويظاهرون المُشركين على حربك ويَهمُّون بالفتك بك وأن يَسمُّوكَ.

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: على خيانةٍ، أو: على فَعْلةٍ ذاتِ خيانةٍ، أو على نَفْسٍ أو فِرْقة خائنة، ويقال: "رجل خائنَة" كقولهم: "رجل رَاوِيَةٌ للشِّعر" للمبالغة، قال:

قوله: (يَسُمُّوك) أي: يُطعِموك مسمومًا، سمّه: سقاه السمّ، وسمّ الطعام: جَعَل فيه السمّ.

قوله قبل[1] يسمّوك بسطرين: (ممّا أمروا به) "مِن" في "ممّا" بيان "ما"، وعلى هذا الوجه أيضًا يكون ﴿نَسُواْ﴾ عطفًا على ﴿يُحَرِّفُونَ﴾، أي: قست قلوبهم فحرّفوا التوراة وتركوا الإيمان بالنبيّ وبيانَ نعته. فقوله: (وقيل: تركوا) عطف على قوله: (وزلّت أشياءُ).

قوله: (على خيانة)[2] الخائنة بمعنى الخيانة، كالعافية بمعنى العَفْو، والكاذبة بمعنى الكذب.

قوله: (أو على "فَعْلة") فعلى هذا يكون بمعنى النسب، نحو دارعٍ ونابلٍ وطاعمٍ وكاسٍ،[3] فتكون التاء في "خائنة" للمبالغة، نحو "علّامة"، كما قالوا في[4] ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾.

قوله: (ويقال) أشار بقوله: "يقال"[5] إلى أنّه يجوز أن يكون التأنيث في ﴿خَآئِنَةٍ﴾ للمبالغة، كقولهم: "رجل علّامة" لا باعتبار النفس أو الفرقة، وعلى هذين الوجهين الأخيرين "الخائنة"[6] بمعنى اسم الفاعل لا بمعنى المصدر ولا بمعنى النسبة.

قوله:

---

[1] ن: قيل.

[2] ن: خائنة.

[3] ر: وكائن.

[4] ر - في.

[5] ر: تعالى.

[6] ر - الخائنة.

حَدَّثتَ نفسَك بالوفاء ولم تكن للغَدْر خائنةً مُغِلَّ الإِصْبعِ

وقرئ: "على خيانةٍ منهم".

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين آمنوا منهم.

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ بَعْثٌ على مخالَفتهم، وقيل: هو منسوخٌ بآية السيف.

وقيل: فاعفُ عن مؤمِنيهم ولا تؤاخِذْهم بما سلف منهم.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ١٤﴾

﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾: أخذنا من النَّصارى ميثاقَ مَن ذُكر قبلَهم من قوم موسى؛ أي: مثلَ ميثاقِهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير، أو: أخذنا من النَّصارى ميثاقَ أنفسِهم بذلك.

فإن قلتَ: فهلا قيل: من النصارى؟

(حدّثتَ نفسَك)[1] البيت

"حدَّثت" جواب "لو". وقوله: (**مُغِلّ الإصبع**) أي: خائن اليد سارقًا. قيل: نزل ضيفًا فطمع في جواري المُضيف، فأنشأ:[2]

أقُرَيْنُ إنّك لو رأيتَ فوارسي[3] بعَمايتين إلى جوانب ضَلفَعِ[4]

أي: لو رأيتَ فوارسي لخِفتَ وما غدرتَ، وهو معنى قوله: "حدَّثت نفسك". و"قُرين" اسم الضيف، وهو أخو عُمير الحنفي. والبيت للكلابي، وكان له عنده دم. والإغلال: الخيانة. وعَمايتان: جبلان متناوحان، أي: متقابلان.

قوله: (**مِن قوم**) بيان (**مَن ذُكر**).

---

[1] البيت للكلابي في **مجاز القرآن** لأبي عبيدة، ١٥٨/١؛ و**الكامل** للمبرّد، ٤٦٣/١؛ و**الصحاح** للجوهري، «خون»؛ و**الاقتضاب** للبطليوسي، ٢٨٤/٣؛ وهو بلا عزو في **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ٢٦٦.

[2] ر - فأنشأ.

[3] ر: فواري.

[4] البيت في **الكامل** للمبرّد، ٤٦٣/١؛ و**الاقتضاب** للبطليوسي، ٢٨٤/٣. | وضلفع: موضع.

قلتُ: لأنهم إنما سَمَّوا أنفسَهم بذلك ادِّعاءً لنصرةِ الله، وهم الذين قالوا لعيسى: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران ٥٢/٣] ثم اختلفوا بعدُ: نَسْطُورِيَّةً ويَعْقُوبِيَّةً ومَلْكانِيَّةً، أَنْصارًا للشيطان.

﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾: فألْصقنا وألزَمْنا، من غَرِيَ بالشيء: إذا لَزِمه ولَصِقَ به، وأغْراه غيرُه، ومنه: الغِراءُ الذي يُلصَقُ به.

﴿بَيۡنَهُمُ﴾: بينَ فرق النَّصارى المختلِفِين، وقيل: بينهم وبين اليهود، ونحوه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ [الأنعام ١٢٩/٦]، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ﴾ [الأنعام ٦٥/٦].

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ خطابٌ لليهود والنصارى.

﴿مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ﴾ من نحو صفةِ رسول الله ومن نحوِ الرَّجْم.

﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ مما تُخفونَه، لا يُبيِّنُه إذا لم تَضْطَرَّ إليه مصلحةٌ دِينيَّةٌ ولم يكن فيه فائدةٌ إلَّا افتضاحُكم، وصفتُه عليه الصلاة والسلام مما لا بدَّ من بيانه، وكذلك الرَّجْمُ وما فيه إِحْياءُ شريعةٍ وإماتةُ بِدْعةٍ.

قوله: (الغِراء) إذا كسرتَ الغين مددتَ وإذا فتحت قصرتَ.[1] قال: بالفتح والقصر لغة أهل الحجاز.

قوله: (﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ﴾) مِن لبَس الحق بالباطل.

قوله: (﴿شِيَعٗا﴾ [الأنعام ٦٥/٦])[2] جمع شِيعة.[3]

قوله: (وصفتُه) حال أو معترضة، أي: صفة النبيّ عليه السلام ممّا[4] لا بدّ مِن بيانه، فلهذا بيّنه ولم يعفُ عنه، وكذا المذكور بعده.

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «غرا».

[2] ر: شفعاء.

[3] ر: شفعة.

[4] ن: ما؛ ر: بما.

وعن الحسن: ويعفو عن كثيرٍ منكم لا يؤاخذُه.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ يُريد القرآن؛ لكشفهِ ظلماتِ الشرك والشكِّ، ولإبانته ما كان خافيًا على الناس من الحقِّ، أو لأنه ظاهرُ الإعجاز.

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾: مَن آمن به ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طُرقَ السلامة والنجاة من عذاب الله، أو: سبُلَ الله.

قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ﴾ معناه: بَتُّ القول على أن حقيقةَ الله هو المسيح لا غيرُ.

قيل: كان في النصارى قومٌ يقولون ذلك.

وقيل: ما صرَّحوا به، ولكن مذهبهم يُؤدِّي إليه، حيث اعتقدوا أنَّه يَخلُق ويُحيي ويُميت ويُدبِّر أمرَ العالَم.

﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: ....

قوله: (لكشفه) أبان الشيء فهو مُبين وأبنتُه أنا أوضحته، يتعدّى ولا يتعدّى، فإذا كان ههنا مُبين متعدّيًا يكون معناه لإبانته ما كان خافيًا[1] وإضافة الإبانة إلى الفاعل وإن كان لازمًا فمعناه أنّه[2] ظاهر في الإعجاز.

[٣٣٢ظ] قوله: (﴿مَنِ ٱتَّبَعَ﴾) مفعول / أوّل لقوله: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ﴾، و﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ مفعول ثان له، وهو لغة أهل الحجاز، يقولون: هديتُه الطريقَ والبيتَ، وغيرهم يقول: هديتُه إلى الطريق وإلى الدار. حكاه الأخفش.[3]

[1] ر: خائفًا.

[2] ر – أنّه.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «هدى».

فمَن يمنعُ من قدرته ومشيئته شيئًا ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ﴾ مَن دَعَوْه إلهًا من المسيح وأمِّهِ؛ دلالةً على أن المسيح عَبْدٌ مَخْلوقٌ كسائر العباد.

وأراد بعطف ﴿مَن فِى الأَرْضِ﴾ على ﴿المسيحَ... وأمَّه﴾ أنهما من جنسهم لا تفاوُتَ بينهما وبينهم في البشريَّة.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: يَخلُق من ذكرٍ وأنثى، ويخلُق من أنثى من غير ذكَرٍ كما خلَق عيسى، ويخلق من غيرِ ذكرٍ وأنثى كما خلَق آدم.

أو: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ كخلق الطير على يدِ عيسى معجزةً له، وكإحْياء الموتى وإبْراء الأكمه والأبْرص، وغيرِ ذلك، فيجب أن يُنسَبَ إليه ولا يُنسَبَ إلى البشر المُجرَى على يده.

قوله: (فمَن يمنع) هذا الذي ذكره المصنّف حاصل المعنى وما يئول المعنى إليه، وإلّا فالمعنى فمَن[1] يملك شيئًا مِن مقدورات الله تعالى ومراداته كالإهلال والإماتة والعذاب، فقوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾ مفعول ﴿يَمْلِكُ﴾، و﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ للتبعيض، ولكن لمّا كان المالك للشيء قادرًا على منعه فسّره المصنّف بما فسّره، أو نقول: لمّا كان المِلك مستلزمًا للمنع أو لمّا ضمّن الملك معنى المنع قيل: ﴿يَمْلِكُ﴾ وأريد يمنع، أي: مَن يمنع مِن الله شيئًا أراد أن يفعله، أي: إن أراد أن يُهلِك المذكورين فمَن يمنعه تعالى مِن ذلك. فعلى هذا يكون ﴿مِنَ﴾ متعلقًا بـ"يمنع" لا للتبعيض؛ بل للابتداء، وهذا المعنى أقرب إلى لفظ المصنّف وأوفق للفظ القرآن.

قوله: (مِن المسيح) بيان (مَن).

قوله: (يخلق مِن ذَكَر) "مِن" للابتداء[2] متعلِّق بـ"يخلق" لا للتبعيض وغيره وهو ظاهر.

قوله: (وأنثى) أي: كما خَلَق أكثر الخلائق كذلك.

---

[1] ر: ومن.

[2] ن: الأبتداء.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ١٨﴾

﴿أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ﴾: أشْياعُ ابْنَي الله عزيرٍ والمسيح؛ كما قيل لأشياعِ أبي خُبيبٍ -وهو عبد الله بن الزبير-: الخُبَيْبون، وكما كان يقول رَهْط مُسَيْلمة: نحن أنبياءُ الله، ويقول أقرباءُ الملك وذووه وحشمه: نحن الملوك، ولذلك قال مؤمن آل فرعون: ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر ٢٩/٤٠].

قوله: (**أبي خُبيب**) قال في **الصحاح**: خبيبٌ اسم رجل، وهو خبيب بن عبد الله بن الزبير، وكان عبد الله يُكنى بأبي خبيب. والخُبيبان: عبد الله بن الزبير وابنه، ويقال: هو وأخوه مصعب. قال حُميد الأرقط:[١]

قَـدْني[٢] مِـن نَـصْـر الـخُـبيبَيـن قَـدي[٣]

ومَن[٤] روى "الخُبيبين" على الجمع يريد ثلاثتهم. قال ابن السِّكِّيت: يريد أبا خبيب ومَن كان على رأيه.

قوله: (**الخُبيبُون**) فسمُّوا خُبيبًا.

قوله: (**مسيلمة**) وهو مسيلمة الكذّاب ادّعى النبوّة في زمن النبيّ عليه[٥] السلام وقُتل في خلافة أبي بكر رضي الله[٦] عنه.

قوله:[٧] (**مؤمن آل**) أي: مؤمن مِن آل فرعون.

قوله: (﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر ٢٩/٤٠]).

---

١ ر: الأرقد.

٢ ر: في.

٣ وتمامه:

ليس الإمـام بالشحيح المُلحِدِ

والبيت لحُميد الأرقط في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٩٣/٥؛ ونسبه الجوهري مرّة لحميد الأرقط ومرّة لحميد بن ثور. انظر: **الصحاح** للجوهري، «خبب»، «لحد»؛ وهو بلا عزو في **كتاب سيبويه**، ٣٧١/٢؛ و**النوادر** لأبي زيد، ص ٥٢٧؛ و**إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت، ص ٣٤٢.

٤ ن: من.

٥ ن + الصلاة و.

٦ ن + تعالى.

٧ ر: قال.

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾: فإن صحَّ أنَّكم أبناءُ الله وأحبَّاؤه فلمَ تُذْنِبُون وتُعذَّبون بذنوبكم؛ فتُمسخُون، وتمسَّكم النارُ أيامًا معدودات على زَعمكم، ولو كنتُم أبناءَ الله لكنتُم من جنس الأب غيرَ فاعِلينَ للقبائح ولا مستوجِبينَ للعقاب، ولو كنتُم أحبَّاءَه لَمَا عصَيْتُموه ولَمَا عاقبكم.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من جملة مَن خلقَ من البشر.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ وهم أهل الطاعة ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم العُصاة.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ إمَّا أن يُقدَّر المبيَّن وهو الدِّينُ والشرائعُ، وحذفُه لظهور ما وَرَد الرسول لتَبيينه، أو يقدَّر "ما كنتم تُخفون" وحذفُه لتقدُّم ذكره، أو لا يُقدَّرَ ويكون المعنى: يبذل لكم البيان.

ومحَلُّه النصبُ على الحال؛ أي: مبيِّنًا لكم.

و﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ متعلقٌ بـ﴿جَآءَكُمْ﴾؛ أي: جاءكم على حينِ فتورٍ من إرسالِ الرسل وانقطاعٍ من الوحي.

﴿أَن تَقُولُوا۟﴾: كراهةَ أن تقولوا.

﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ متعلِّق بمحذوفٍ؛ أي: لا تَعتذرُوا فقد جاءكم.

وقيل: كان بين عيسى ومحمدٍ صلواتُ الله عليهما خمسُ مئةٍ وستُّون سنةً، وقيل: ستُّ مئة، وقيلَ: أربعُ مئة ونَيِّفٌ وستُّون.

قوله: **(أو يُقدَّر)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(وهو الدِّين)**... إلخ، ولا يحسن عطفه على قوله: **(إمَّا أن يُقدَّر)** لأنَّ هذا ليس قسيمه كما لا يخفى؛ بل قسيمه هو قوله: "أو لا يُقدَّر".

قوله: **(يُبذَل لكم)** على نحو "فلان يعطي ويمنع"، أي: يبذل الإعطاء ويُوجِده.

وعن الكلبي: كان بين موسى وعيسى ألفٌ وسبعُ مئة سنةٍ وألفُ نبيّ، وبين عيسى ومحمدٍ أربعةُ أنبياء: ثلاثةٌ من بَني إسرائيل، وواحدٌ من العرب: خالدُ بنُ سِنَانٍ العَبْسيُّ.

والمعنى: الامتنانُ عليهم، وأن الرسول بُعث إليهم حين انطمسَت آثارُ الوَحْي أحوَجَ ما يكونون إليه؛ ليَهَشُّوا إليه ويَعُدُّوه أَعْظَمَ نعمةٍ من الله، وفَتْحَ بابٍ إلى الرحمة، وتلزمَهم الحجةُ فلا يعتلُّوا غدًا بأنّه لم يرسل إليهم مَن ينبِّههم من غفلتهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله: **(أحوجَ ما)** بدل مِن قوله: **(حين)**، و"ما" مصدريّة مفيدة معنى الوقت، و"كان" تامّة، و**(إليه)** يتعلَّق بـ"أحوج"، أي: أحوج أوقات وجودهم إلى الوحي، على إسناد الاحتياج إلى الوقت مجازًا، كما في "أخطبُ ما يكون الأمير قائمًا"، فـ"أحوج الأوقات" عبارة عن الوقت الذي كانوا فيه أشدّ احتياجًا،[١] فلذا صحّ وقوعه بدلًا مِن **(حين[٢] انطمست)**.

قوله: **(ليَهشُّوا)** قال في **الصحاح**: «هشِشتُ بفلان بالكسر أهَشُّ هَشاشةً إذا خففتُ إليه وارتحتُ له»،[٣] فعدّاه في **الصحاح** بالباء، فعلى هذا يمكن أن يقال: ضمّنه المصنّف معنى الارتياح والخفّة فلذا[٤] عدّاه بـ"إلى"، قال في **المُغرِب**: «قال عمرُ رضي الله عنه: 'هِشِشتُ وأنا صائم فقبّلت'،[٥] أي: اشتهيت ونشِطتُ، [٣٣٣و] وإن صحّ ما في الشرح "هشِشت إلى امرأتي" / فعلى تضمين معنى الميل والخفّة».[٦] وهذا المذكور في **المُغرِب** يدل على أنّ تعديته بـ"إلى" إنّما يصحّ على تقدير التضمين.

---

١ ر: احتياطًا.
٢ ر – حين.
٣ **الصحاح** للجوهري، «هشش».
٤ ر – فلذا.
٥ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.
٦ **المغرب** للمُطرّزي، «هشش».

﴿جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ﴾؛ لأنه لم يُبعث في أمّةٍ ما بُعث في بني إسرائيل من الأنبياء.

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾؛ لأنه مَلَّكَهم بعد فرعونَ مُلكَه، وبعد الجبابرة مُلْكَهم؛ ولأن الملوك تكاثروا فيهم تكاثُرَ الأنبياء.

وقيل: كانوا مملوكين في أيدي القِبْط فأنقذهم الله، فسُمّي إنقاذُهم ملكًا.

وقيل: المَلِكُ مَن له مسكنٌ واسعٌ فيه ماءٌ جارٍ.

وقيل: مَن له بيت وخَدم.

وقيل: مَن له مالٌ لا يَحتاج معه إلى تكلُّفِ الأعمال وتحمُّل المشاقّ.

﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: من فَلْقِ البحر وإغراقِ العدوّ وتظليلِ الغمام وإنزالِ المنّ والسلوى، وغيرِ ذلك من الأمور العظام.

وقيل: أراد عالَمِي زَمانِهم.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: أرضُ بيت المقدس، وقيل: الطُّورُ وما حوله، وقيل: الشام، وقيل: فِلَسْطِينُ ودمشقُ وبعضُ الأُرْدُنِّ.

وقيل: سمّاها الله لإبراهيم ....

قوله: (**وقيل: مَن[1] له مال**) وقيل: هو[2] الصحة والإسلام والأمن والفوز وقهر النفس.

قوله: (**وقيل: أراد**) أي: أراد بقوله: ﴿مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله: (**الأردنّ**) اسم نهر وكُورَة.[3]

قوله: (**سمّاها**) أي: الأرض المقدسة.

قوله: (**سمّاها لإبراهيم**) أي: جعلها له، مِن قولهم: **سمّيت هذا لزيد، أي:**

---

[1] ر - من.

[2] ر: هذا.

[3] الكورة: المدينة والصقع، والجمع كُوَر. **الصحاح** للجوهري، «كور».

ميراثًا لولده حين رُفع على الجبل، فقيل له: "أُنظرْ، فلَكَ ما أدرك بصرُك". وكان بيتُ المقدس قرارَ الأنبياء ومسكنَ المؤمنين.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: قَسَمها لكم وسَمَّاها، أو: خَطَّ في اللوح المحفوظ أنها لكم.

﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: ولا تَنْكِصُوا على أعقابكم مُدْبِرين من خوف الجبابرة جُبْنًا وهَلَعًا؛ قيل: لمَّا حدَّثهم النُّقباءُ بحالِ الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء، وقالوا: لَيْتَنا مُتنا بمصر، وقالوا: تعالَوا نجعلْ علينا رأسًا ينصرفُ بنا إلى مصر.

ويجوز أن يراد: ولا ترتدُّوا على أدباركم في دِينكم بمخالفتِكم أمرَ ربِّكم وعصيانِكم نبيَّكم فترجعوا خاسرين ثوابَ الدنيا والآخرة.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

جعلته باسمه، بمعنى صيّرته له. وقوله: (**ميراثًا**)[١] بدل مِن قوله: "لإبراهيم".

قوله: (**تنكصوا**) نكص ينكِص وينكُص رجع. وقوله: (**مدبرين**) أي:[٢] كمَن يهزِم، فلذلك قال: مِن خوف الجبابرة. وقوله: (**جُبنًا**) مفعول له، مثل[٣] قولك: "قعدتُ عن الحرب جبنًا". و"الهلع": أفحش الجزع، وقد هلِع بالكسر فهو هلِعٌ وهلوع، وقد جاء في الحديث: «مِن شرّ ما أوتيَ العبد شحّ هالع وجبنٌ خالع»،[٤] أي: يجزع فيه العبد ويحزن، كما يقال: "ريح عاصف" و"ليل نائم". وقوله: (**قيل: لمّا حدّثهم**) بيان للتفسير المتقدّم.

قوله: (**ويجوز أن يراد**) عطف على قوله: (**لا تنكِصوا**)... إلخ، يعني: يجوز ألّا يكون المراد الفرار مِن الجبابرة؛ بل يكون المراد الرِدَّة.

---

١ ر: ميزانًا.

٢ ر: إلى.

٣ ر – مثل.

٤ مسند أحمد، ٣٨٥/١٣ (٨٠١٠)؛ سنن أبي داود، ١٦٥/٤ (٢٥١١).

"الجَبَّارُ": فَعَّال مِن "جَبَره على الأمر" بمعنى: أَجْبَره عليه، وهو العاتي الذي يُجْبِرُ النَّاسَ على ما يريده.

﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ هما كالِبُ ويُوشَعُ.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾: من الذين يخافون الله ويخشونه؛ كأنّه قيل: رجلان من المتَّقين.

ويجوز أن تكون الواوُ لبني إسرائيل، والراجعُ إلى الموصول محذوفٌ، تقديره: من الذين يخافُهم بنو إسرائيل وهم الجبَّارون، وهما رجلان منهم ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالإيمان فآمَنَا، قالا لهم: إن العمالقةَ أجسامٌ لا قلوبَ فيها، فلا تَخافوهم وارْجِعُوا إليهم فإنكم غالبوهم، يُشَجِّعَانِهم على قتالهم، وقراءةُ مَن قرأ: "يُخَافون" بالضمِّ شاهدةٌ له، وكذلك ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ كأنه قيل: من المخُوفين.

وقيل: هو مِن الإخافة، ومعناه: من الذين يُخَوَّفُون من الله بالتَّذكرة والموعظة، أو يُخَوِّفُهم وَعيدُ الله بالعقاب.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾؟

قوله: **(ويجوز أن)** وعلى[1] الأوّل كان[2] للموصول.

قوله: **(وازحفوا)**[3] زَحَف إليه زحفًا، أي: مشى، والزَّحْف: الجيش يزحفون نحو العدوّ. وقوله: **(يُشجِّعانهم)** حال مِن الضمير في **(قالا)**.

قوله: **(له)** أي:[4] للوجه الثاني.

قوله: **(كأنّه قيل)** فعلى هذا يكون المراد بـ"الذين يُخافون" العمالقة البتّة ويكون مجهولًا مِن خاف يخاف، فإنّ معنى "يَخاف بنو إسرائيل العمالقةَ" و"يُخاف العمالقة" واحدٌ، كما أنّ معنى "ضرب زيد عمرًا" و"ضُرب عمرٌو"

---

[1] ر: على.

[2] يعني الواو.

[3] في مطبوع الكشّاف: وارجعوا. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

[4] ر – أي.

قلتُ: إن انْتَظَم مع قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ في حكم الوصفِ لـ﴿رَجُلَانِ﴾ فمرفوعٌ، وإن جُعل كلامًا مُعْتَرِضًا فلا محلَّ له.

فإن قلتَ: من أين عَلِمَا أنهم غالبون؟

قلتُ: من جهةِ إخبارِ موسى بذلك، وقولِه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

وقيل: من جهةِ غلبةِ الظنِّ، وما تَبيَّنَا مِن عادة الله في نُصرة رُسُله، وما عَهِدَا من صُنْع الله لموسى في قهر أعدائه، وما عَرَفا من حال الجبابرة.

والبابُ: بابُ قريتهم.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿لَن نَّدْخُلَهَا﴾ نَفْيٌ لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المُؤْيِسِ، و﴿أَبَدًا﴾ تعليقٌ للنفي المؤكَّد بالدهر المتطاوِل.

﴿مَا دَامُواْ فِيهَا﴾ بيانٌ للأبد.

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾ يحتمِلُ أن لا يقصدوا حقيقةَ الذهاب؛ ولكنْ كما تقول: "كلَّمتُه فذهَبَ يُجِيبُني" تريد معنى الإرادة والقصدِ للجواب؛ كأنَّهم قالوا: "أَرِيدَا قِتالَهم".

واحد، وعلى الوجهين الأخيرين[١] يكون المراد بهم بني إسرائيل ويكون مِن الإخافة.

قوله: **(انتظم)** جاء انتظم متعديًّا ولازمًا.

قوله: **(في حكم)** يصير كأنّه: قال[٢] رجلان مِن الذين يخافون منعَمٌ عليهما.

قوله: **(ما تبيّنا)** مفعوله ضمير محذوف عائد إلى "ما". و**(مِن)** بيان.

قوله: **(المؤيس)** الإياسة: التخييب.

---

[١] ر: الآخرين.

[٢] ر + قال.

والظاهرُ: أنهم قالوا ذلك استهانةً بالله ورسوله، وقِلَّةَ مبالاةٍ بهما واستهزاءً، وقصدوا ذهابَهما حقيقةً بجهلهم وجفائهم وقسوةِ قلوبهم التي عَبَدوا بها العجلَ وسألوا بها رؤيةَ الله جَهرةً، والدليلُ عليه مقابلةُ ذهابهما بقعودهم.

ويُحكى أن موسى وهارون خرَّا لوجوههما قدَّامَهم لشدةِ ما وَرَد عليهما، فهمُّوا برَجْمهما، ولأمرٍ مّا قَرَنَ اللهُ اليهودَ بالمشركين وقدَّمَهم عليهم في قوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة ٨٢/٥].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

لمَّا عصَوْه وتمرَّدوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمةِ الكفر، ولم يبق معه مُطيعٌ موافِقٌ يَثِقُ به إلَّا هارون عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ﴾ لنصرةِ دينك ﴿إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ وهذا من البَثِّ والحزن والشَّكوى إلى الله والحسرةِ ورقَّة القلب التي بمثلها تُسْتَجْلَبُ الرحمةُ وتُستَنزَل النُّصرةُ، ونحوُه قول يعقوبَ عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف ٨٦/١٢].

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنه كان يدعو الناسَ على منبر الكوفة إلى قتال البُغاة، فما أجابه إلَّا رجلان، فتنفَّسَ الصُّعَداءَ ودعا لهما وقال: أين تقعان مما أريدُ؟

وذُكرَ في إعراب "أخي" وجوهٌ:

أن يكون منصوبًا عطفًا على ﴿نَفْسِي﴾، أو على الضمير في ﴿إِنِّي﴾ بمعنى: "لا أملك

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنَّهم قصدوا الحقيقة.

قوله: (لوجوههما) هو مِثل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم ٤/٦٦].

قوله: (الصُّعَداء) بالمدّ: تنفُّس[1] ممدود.[2]

قوله: (أين[3] تقعان؟) أي: أنكما لا تكفيان لي.

قوله: (لا أملك) في بعض النُّسخ بالواو بعد قوله: (بمعنى)، هكذا "بمعنى

---

[1] ر: نفس.

[2] ر: محدود.

[3] ر: ابن.

إلا نفسي وإنَّ أخي لا يملك إلَّا نفسَه".

ومرفوعًا عطفًا على محلِّ "إنَّ" واسمها، كأنه قيل: "أنا لا أملكُ إلا نفسي وأخي هارونُ كذلك لا يملكُ إلَّا نفسَه"، أو على الضمير في ﴿لَآ أَمۡلِكُ﴾، وجاز للفَصْل.

ومجرورًا عطفًا على الضمير في ﴿نَفۡسِي﴾، وهو ضعيفٌ لقبحِ العطف على الضميرِ المجرور إلَّا بتكرير الجار.

فإن قلتَ: أَمَا كان معه الرجلان المذكوران؟

قلتُ: كأنه لم يَثِق بهما كلَّ الوثوق، ولم يطمئنَّ إلى ثباتهما؛ لِمَا ذاقَ على طول الزمان واتِّصالِ الصُّحبة من أحوال قومه وتلوُّنهم، فلم يَذكر إلَّا النبيَّ المعصومَ الذي لا شُبهةَ في أمره.

ويجوز أن يقول ذلك لفَرْط ضجره عندما سمع منهم تقليلًا لمن يُوافقه.

ويجوز أن يريد: ومَن يُؤاخِيني على ديني.

﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: فافصِلْ ﴿بَيۡنَنَا﴾ وبينَهم بأنْ تَحكمَ لنا بما نَستحِقُّ وتحكمَ عليهم بما يستحقُّون، وهو في معنى الدعاء عليهم، ولذلك وُصل به قوله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ على وجه التسبيب.

ولا أملك"، ووجهه أن يكون للعطف[1] على التفسير الأوّل، أي: بمعنى لا أملك إلّا نفسي وإلّا أخي، ولا أملك إلّا نفسي وإنّ أخي لا يملك إلّا نفسه. هذه **الحاشية** ليست بشيء، ولا اعتدادَ بزيادة الواو فإنّها في تلك **النسخة** زائدة مِن الناسخ.

قوله: **(لم يثق)**،[2] أي: لم يثق[3] بأن يفيا بقولهما وعهدهما.

قوله: **(على ديني)** فيدخل فيه الرجلان.

---

[1] ر: العطف.

[2] ر: يبق.

[3] ر: يبق.

أو: فباعِدْ بيننا وبينهم وخلِّصْنا من صُحبتهم؛ كقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم ٦٦/١١].

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾

﴿فَإِنَّهَا﴾: فإن الأرض المقدَّسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا يدخلونها ولا يملكونها.

فإن قلتَ: كيف تُوفِّقُ بين هذا وبين قوله: ﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾.

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد: كتبَها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلَها، فلمَّا أبَوْا الجهادَ قيل: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾.

والثاني: أن يراد: فإنها محرَّمةٌ عليهم أربعين سنة، فإذا مضت الأربعون كان ما كُتب، فقد رُوي أن موسى سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يُوشع على مقدمته، ففتح أَرِيحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قُبض.

وقيل: لمَّا مات موسى بُعث يُوشعُ نبيًا، فأخبرهم بأنه نبيُّ الله وأنَّ الله أمَرَه بقتال الجبابرة، فصدَّقوه وبايعوه وسار بهم إلى أَرِيحاء، وقَتَل الجبَّارِين وأخرجَهم، وصار الشامُ كلُّه لبني إسرائيل.

وقيل: لم يدخل الأرضَ المقدَّسة أحدٌ ممن قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ وهلَكوا في التِّيه، ونشأت نواشئُ من ذريَّاتهم فقاتلوا الجبَّارين ودخلوها.

قوله: **(أريحاء)**[1] اسم موضع مِن الشام.

قوله: **(وقيل: لم)** وعلى هذا الوجه أيضًا تكون الحُرمة مقيّدة بأربعين سنة؛ لأنّ ذرّيّاتهم دخلوها.

قوله: **(وقيل: لم يدخل)** يجوز أن يقال على هذا الجواب عن السؤال المتقدم المراد بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ كتبها بشرط أن تجاهدوا.

---

[1] د: أريحاء.

والعامل في الظرف إمَّا ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ وإما ﴿يَتِيهُونَ﴾.

ومعنى ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: يسيرون فيها متحيّرين لا يهتدون طريقًا، والتِّيه: المفازةُ التي يُتاه فيها.

رُوي أنهم لبثوا أربعين سنةً في ستَّة فراسخَ، يسيرون كلَّ يوم جادِّين حتى إذا سَئِمُوا وأَمْسوا إذا هُم بحيث ارتحلوا عنه، وكان الغمامُ يظلِّلُهم من حرِّ الشمس، ويَطْلُع لهم عمودٌ من نورٍ بالليل يضيء لهم، وينزل عليهم المنُّ والسلوى،

قوله: **(والعامل في الظرف إمّا ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾)** فإن كان العامل في الظرف ﴿أَرْبَعِينَ﴾ كانت الحرمة مفيدة بتلك المدّة، فجاز أن يقال: دخلها[١] موسى عليه السلام ببني إسرائيل أو دخلها يوشع بهم كما ذكر، وإن كان العامل ﴿يَتِيهُونَ﴾ كانت الحُرمة مُطلَقة غير مقيّدة بهذه المدّة، وكانت الكتابة بشرط الجهاد، فيقال حينئذٍ لم يدخلها أحد ممّن قال: "إنّا لن ندخلها" وهلكوا في التيه.

قوله: **(وعليهم مع ذلك النعمة)** "النعمة" مبتدأ خبره **(متظاهرةٌ)**. وقوله: "مع[٢] ذلك" حال مِن الضمير المستتر في "متظاهرة"، وذلك إشارة إلى النزول، أي: كائنة تلك النعمة مع نزول بعض النوازل. والجملة في محلّ الحال مِن **(العصاة)**. قوله: **(ومَثَلُ ذلك)** أي: مَثل نزول النوازل مع تظاهُر النعمة مَثل الوالد... إلخ، وهو مِن تشبيه المركَّب، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يونس ١٠/٢٤]، فتأمّل.[٣]

[٣٣٣ظ] قوله: **(والتيه: / المفازة)** قيل: كان مسافة[٤] التيه تسعين فرسخًا، لكنّهم تاهُوا في ستّة فراسخَ منها.

قوله: **(إذا سئموا)**... إلخ، "إذا" في "إذا سئموا"[٥] شرطيّة. وقوله: "إذا" في **(إذا هم)** للمفاجأة، والعامل في "إذا" المفاجأة تقديره "إذا سئموا فاجاءوا إذا هم"،

---

[١] ر: دخلهما.

[٢] ر - مع.

[٣] د - قوله: (وقيل: لم يدخل) يجوز أن يقال... فتأمّل. | وجاء تعليقًا في هامش د.

[٤] ر: مفازة.

[٥] ر - إلخ، "إذا" في "إذا سئموا".

ولا تطولُ شعورهم، وإذا وُلد لهم مولودٌ كان عليه ثوبٌ كالظُّفْر يَطُول بطُوله.

فإن قلتَ: فلمَ كانوا يُنعَم عليهم بتظليلِ الغمام وغيرِه وهم معاقَبون؟

قلتُ: كما ينزل بعضُ النوازل على العُصاةِ عَرْكًا لهم، وعليهم مع ذلك النعمةُ متظاهرةٌ، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الوالد المشفِق يضربُ ولدَه ويُؤدِّبُه ليتأدَّبَ ويتثقَّفَ، ولا يقطعُ عنه معروفَه وإحسانه.

فإن قلتَ: هل كان معهم في التِّيه موسى وهارون عليهما السلام؟

قلت: اختُلف في ذلك؛ فقيل: لم يكونا معهم؛ لأنه كان عقابًا وقد طلب موسى إلى ربه أن يفرُقَ بينهما وبينهم.

وقيل: كانا معهم، إلا أنه كان ذلك رَوْحًا لهما وسلامةً لا عقوبةً؛ كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب.

وروي أن هارون مات في التِّيه، ومات موسى بعده فيه بسنةٍ، ودخل يوشعُ أريحاءَ بعد موته بثلاثة أشهر، ومات النُّقباء في التِّيه بغتةً إلا كالبَ ويُوشعَ.

فالأولى ظرفه والثانية مفعول به. وكذا التقدير في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٦]: وإن تصبهم سيئة فاجاءوا زمان قنوطهم.

قوله: **(كالظُّفر)** أي: كجبَة آدم، كان يستر[1] آدمَ كلَّه كهيئة الظفر قبل الذنب، فلمّا أذنب لم يبقَ عليه مِن ذلك إلّا ظُفر أطراف الأصابع، وكان قبل ذلك يبرُق كالشمس.

قوله: **(عركًا لهم)** العَرْك الدلك[2] كما يُعرَك أذن الصبيّ.

قوله: **(وعليهم)**[3] حال.

قوله: **(ويتثقّف)** التثقيف: التسوية.

---

[1] ر: يشير.

[2] ر: الذي.

[3] ر: وعلمهم.

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تحزن عليهم؛ لأنه نَدِمَ على الدعاء عليهم، فقيل: إنهم أحِقَّاءُ لِفسْقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندَم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾

هما ابنا آدم لصلبه قابيلُ وهابيلُ، أَوْحى الله إلى آدم أن يزوِّجَ كلَّ واحد منهما توءمَةَ الآخر، وكانت توأَمةُ قابيلَ أجملَ واسمُها إقْلِيما، فحسد عليها أخاه وسخِط، فقال لهما آدم: قرِّبا قُربانًا فمِن أيِّكما قُبِل زُوِّجَها، فقُبل قُربانُ هابيل بأنْ نزلت نارٌ فأكلَتْه، فازداد قابيلُ حسدًا وسَخطًا وتوعَّدَه بالقتل.

قوله: **(لصُلبه)** أي: ليسا سبطيه، والوجه أن نقول: "لصُلبه" بدل مِن **(آدم)** بتكرير العامل، إذ اللام مقدَّرة في "آدم"؛ لأنّ الإضافة بمعنى اللام،[1] ثـمّ[2] إنّه جُعل الولد لصلبه مجازًا تحقيقًا لعدم الواسطة.

قوله: **(منهما تَوْءمة)** أي: مِن ابنيه.

قوله: **(إقليمَا)** مقصور، وتَوْءمة هابيل اسمها لُبوذا، وكانت أدَمَّ.

قوله: **(فمِن أيِّكما)** الفاء جزاء شرط محذوف، والجملة مِن الشرط والجزاء جوابُ الأمر،[3] أي: قرِّبا قربانًا إن[4] تقرِّبا قربانًا فمِن أيّكما... إلخ، و"مِن" متعلّق بـ"قُبِل"، و"أيّ" شرطيّة، وأصلُ هذا التركيب "أيُّكما قُبل منه زُوِّجها"، ثـمّ حُوِّل إلى قوله: "مِن أيِّكما قُبل" إفادة[5] للقصر والتخصيص، كما تقول في "مَن[6] مررتَ به مررتُ[7] به": بـ"مَن مررتَ مررتُ"،[8] وضمير "قُبِل" عائد إلى القربان. و**(زوِّجها)** جواب الشرط، والضمير المستتر فيه يعود إلى "أيّ"، والمنصوب إلى "إقليمَا"، والفاء في قوله: **(فقُبل)** فاء فصيحة، أي: فقرَّبا فقُبل، ولو صرَّح به لكان "فقرَّبا" عطفًا على **(فقال آدم)**.

---

[1] ر: السلام.
[2] ر: لسم.
[3] ر: والأمر.
[4] ر: أي.
[5] ر: فإن.
[6] ر: ومن.
[7] ر: ومررت.
[8] ر: ومررت.

وقيل: هما رجلان من بني إسرائيل.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: تلاوةً مُلْتَبِسةً بالحقِّ والصحَّة.

أو: أتْلُه نبأً مُلْتَبِسًا بالصدق مُوافقًا لِمَا في كُتب الأوَّلين.

أو: بالغرض الصحيح، وهو تقبيحُ الحسد؛ لأنّ المشركين وأهلَ الكتاب كلُّهم كانوا يحسدون رسول الله ويبغون عليه.

أو: أتل عليهم وأنت مُحِقٌّ صادقٌ.

و﴿إِذْ قَرَّبَا﴾ نصبٌ بـ"النبأ"؛ أي: قِصَّتَهم وحديثَهم في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون بدلًا من "النبأ"؛ أي: أتْل عليهم النبأ نبأَ ذلك الوقت، على تقديرِ حذفِ المضاف.

و"القُربانُ": اسمُ ما يُتقرَّب به إلى الله من نَسِيكةٍ أو صدَقةٍ؛ كما أن الحُلْوانَ اسم ما يُحْلَى؛ أي: يُعْطى، يقال: قرَّبَ صدقةً وتقرَّبَ بها؛ لأن "تقرَّب" مُطاوِعُ "قرَّبَ"، قال الأصمعيّ: ....

قوله: (تلاوةً) في هذا الوجه صفة مصدر محذوف، وفي الوجه الأوّل بالحقّ صفة مصدر ﴿أَتْلُ﴾، وفي الثاني حال مِن ﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ﴾، وإنّما قال المصنّف: (نبأً ملتبِسًا بالصدق) فذكر "نبأً" لئلا يُتوهَّم أنّه حال مِن الضمير المستتر، وهو على معنيين كما ذكر، وفي[١] الثالث مِن ضمير المخاطب في ﴿أَتْلُ﴾.

قوله: (لأنّ) بيان أنّ "الغرض الصحيح" أو متعلِّق بـ"التقبيح".

قوله: (مِن نسيكةٍ) النسيكة: الذبيحة.

قوله: (الحُلوان) يقال: حلوتُ فلانًا على كذا مالًا إذا وهبتَ له شيئًا على شيء يفعله لك غيرَ الأجرة.

قوله: (قال الأصمعيّ) كان يقول لأصحابه ذلك، ومعناه: تقرّبوا إليّ يا أصحابيّ قُرَب وَسَخ القِمع، بالقِمع يكرمهم ويستدنيهم إليه وقت القراءة عليه.

---

[١] ر: في.

"تقرَّبُوا قِزْفَ القمع" فيُعدَّى بالباء حتى يكون بمعنى "قرَّبَ".

فإن قلتَ: كيف كان قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ جوابًا لقوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾؟

قلتُ: لمَّا كان الحسد لأخيه على تقبُّل قربانه هو الذي حمله على توعُّده بالقتل، قال له: إنما أُتيتَ من قِبَل نفسك لانسلاخها من لباسِ التقوى لا من قبَلي، فلمَ تَقْتُلني؟ وما لك لا تُعاتِبُ نفسك ولا تحملَها على تقوى الله التي هي السببُ في القبول؟ فأجابه بكلامٍ حكيمٍ مختصَرٍ جامِعٍ لمعانٍ، وفيه دليلٌ على أن الله تعالى لا يقبل طاعةً إلَّا مِن مؤمن متَّقٍ، فما أَنْعاه على أكثر العاملين أعمالَهم!

وقيل: معناه "تقرَبوا[١] يا أوساخ القِمع"، جعل طلّاب العلم كذلك استخفافًا بهم بطريق التلطُّف، و(**القِمْع**) واحد الأقماع، «القِمْع والقِمَع: ما يصب فيه الدُّهن[٢] وغيره، مثال "نِطْع ونِطَع"، وناس يقولون: "قَمْع" بفتح أوله وتسكين ثانيه، حكاه يعقوب».[٣] وقمعتُ الوطبَ: وضعتُ في رأسه / القِمَع ليمكن فيه جعل المائع [٣٣٤و] ولا يخرج مِن جوانبه. و"القِرف":[٤] الوسخ.

قوله: (**بكلام حكيم**) أي: ذي حكمة وُصف بصفة صاحبه، كقوله تعالى:[٥] ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس ٣٦/١-٢] وُصف بصفة مُنزله.

قوله: (**إلّا مِن مؤمن متقٍ**) المراد بالمتّقي هنا هو الذي يتّقي الشِّرك، فلذا قال المصنّف: "إلّا مِن مؤمن متّقٍ".

قوله: (**أنعاه**) أنعى عليه معايبه. وقوله: "أنعاه" الضمير يعود إلى هذا القول، وهو: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ﴾، وهو منصوب كـ"زيدًا" في "ما أحسن زيدًا!"، وأمّا قوله: (**أعمالَهم**) فمنصوب بقوله: "أنعاه" أيضًا مِن حيث اقتضاءُ النعي مفعولًا.

---

١ ن + إليّ.
٢ ر: الذهن.
٣ **الصحاح** للجوهري، «قمع».
٤ ر: والفرق.
٥ ن ر - تعالى.

وعن عامر بن عبد الله: أنه بكى حين حضرَتْه الوفاةُ، فقيل له: ما يُبكيك فقد كُنتَ وكنت؟ قال: إني أسمع الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ قيل: كان أقوى من القاتل وأبطشَ منه، ولكنَّه تحرَّج عن قتلِ أخيه واسْتَسْلم خوفًا من الله؛ لأن الدفع لم يكن مباحًا في ذلك الوقت، قاله مجاهدٌ وغيره.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾: أن تحتمِلَ إثـمَ قتلي لـك لو قتلتُك وإثـمَ قتلِك لي.

فإن قلتَ: كيف يحتمِلُ إثمَ قتله له ولا تزِرُ وازرةٌ وزرَ أخرى؟

قلتُ: المراد: "بمثْلِ إثمي" على الاتِّساع في الكلام؛ كما تقول: "قرأتُ قراءةَ فلانٍ وكتبتُ كتابته" تريد المثْلَ، ....

قوله:[1] **(وعن عامر)**... إلخ،[2] اعلم أنّ هذا الكلام مِن عامر على طريق هَضْم النفس والتواضع لله تعالى واللَّجأ إليه، وإلّا فكان عامر يعلم أنّ المراد بالمتّقين: المؤمنون الذين يتّقون الشِّرك.

قوله: **(ولا تزر)** الأحسن أن يقال: الواو في قوله: "ولا تزر" واو **الكشّاف** لا واو **القرآن**، وإن كانت هنا واوٌ في **القرآن** لتكون الجملة حالًا أو معترضة، فتأمّل.

قوله: **(قراءةَ فلانٍ)** كما يقال: فلان يقرأ قراءة عاصم.

[1] ر - بقوله: (أنعاه) أيضًا مِن حيث اقتضاءُ النعي مفعولًا قوله.

[2] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٣٢٧/٨ (المائدة، ٢٧/٥).

وهو اتساعٌ فاشٍ مستفيضٌ لا يكاد يُستعمل غيرُه، ونحوُه قوله عليه الصلاة والسلام: «المُسْتَبَّانِ ما قالا فعلى البادئ ما لم يَعتدِ المظلوم» على أن البادئَ عليه إثمُ سَبِّهِ ومِثْلُ إثم سبِّ صاحبه؛ لأنّه كان سببًا فيه، ....

قوله: (**لا يكاد**) أي: لا يكاد "قرأتُ مثلَ قراءته" و"كتبتُ مثلَ كتابته" إلّا قليلًا.

قوله: (**قوله عليه السلام: «المُستبَان»**)،[1] أي: المتسابّان، فهو مِن "افتعل" بمعنى "تفاعل"، نحو "اجتوَروا" و"اختصموا"، وهو مبتدأ، و(«**ما قالا**») شرط جوابه («**فعلى البادئ**»). و(«**ما لم يعتدِ**»)[2] ظرف على البادي، والجملةُ الشرطيّة خبرُ المبتدأ، وفي الكلام حذف تقديره "المستبّان أيّ شيء قالا فإثمه على البادي ما لم يُجاوِز المظلومُ حدّ ما جاز له مِن مقابلة فعله بمِثل فعله"، فالمِثل محذوف كما ذكر.

قوله: (**ونحوه**) أي: نحو ﴿أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي﴾.

قوله: (**عليه السلام**) في حذف المِثل.

قوله: (**على أنّ البادئ**) متعلِّق بقوله: "نحوه".

قوله: (**كأنّه قال**) أشبهه[3] قوله: محمولًا على أنّ البادئ.

قوله: "فعلى البادئ"، أي: إثمه. وقوله:[4] «ما لم يعتدِ»، أي: ما لم يُجاوِز حدّ ما شتم البادئ.

قوله: (**لأنّه**) أي: البادئ، أي: ما[5] كان مثل إثم صاحبه عليه لأنّه كان سببًا، ولمّا كان قوله: (**مِثلُ إثم صاحبه**) دالًّا على أنّ لصاحبه إثمًا، وكان مظِنّة أن يقال: هل[6] له إثمٌ مع أنّه مكافئ دافعٌ عن نفسه؟ فقال: بلى له إثمٌ، لكن ذلك الإثم محطوط عنه معفوّ عنه.[7]

---

[1] ر + أي: المستبان.
[2] صحيح مسلم، ٤/٢٠٠٠ (٢٥٨٧).
[3] ر: أشبهته.
[4] ر: قوله.
[5] ر: إنما.
[6] ر: مثل.
[7] ر – عنه.

إلّا أنّ الإثم محطوطٌ عن صاحبه معفوٌّ عنه؛ لأنّه مكافئٌ دافعٌ عن عِرضه، ألا ترى إلى قوله: «ما لم يَعتدِ المظلوم»؛ لأنه إذا خرجَ من حدِّ المكافأة واعتدَى لم يَسْلم.

فإن قلتَ: فحين كفَّ هابيلُ عن قتل أخيه واستَسلم وتحرَّجَ عما كان محظورًا في شريعته من الدفع، فأين الإثمُ حتى يتحمَّل أخوه مثلَه فيجتمِعَ عليه الإثمان؟

قلتُ: هو مقَّدر، فهو يتحمَّل مثلَ الإثم المقدَّر؛ كأنّه قال: إني أريد أن تبوءَ بمثْلِ إثمي لو بَسطتُ إليك يدي.

وقيل: ﴿بِإِثْمِي﴾: بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾: الذي من أجله لم يُتقبَّل قربانك.

فإن قلتَ: فكيف جاز أن يريد شقاوةَ أخيه وتعذيبَه بالنار.

قوله: **(إلّا أنّ الإثم)** استثناء منقطع، وتحقيقُه أن نقول لا بدّ لصحة الاستثناء المنقطِع مِن مخالفة المستثنى للمستثنى منه في نفي الحكم الذي ثبت للمستثنى منه، نحو "ما جاءني القوم إلّا حمارًا" أو في أنّ المستثنى حكم آخرُ غيرُ حكم المستثنى منه،[١] مثل "ما زاد إلّا ما نقص"، فـ"ما" في "ما نقص"[٢] مصدريّة، ومفعول "زاد" محذوف، تقديره "ما زاد فلان شيئًا لكن النقصان". وإنّما ذكرتُ هذا الكلام هنا ليُعلم أنّ الاستثناء المنقطع هنا مِن القَبيل[٣] الثاني لا مِن الأوّل، فتأمّل.

قوله: **(لأنه مكافئ)** تنازع فيه **(محطوطٌ[٤] معفوّ)**. وقوله: **(ألا يُرى)**... إلخ، إشارةٌ إلى أنّ الحطَّ والعفوّ معلَّلان[٥] بكونه مكافِئًا.[٦]

قوله: **(استسلم)** أي: انقاد.

قوله: **(قتلي)** / مضاف إلى المفعول. [٣٣٤ظ]

---

١ ر - غيرُ حكم المستثنى منه.

٢ ر - فـ"ما" في "ما نقص".

٣ ن: قبيل.

٤ ر + عنه.

٥ من هنا وما قبله في هذا اللوح من د آثارُ رطوبة بمقدار ثلاث كلمات على طول خمسة عشر سطرًا، عسُرت معها القراءة، واستعنتُ عليها بما في ن ر.

٦ ن: كافيًا؛ ر: موافيًا.

قلتُ: كان ظالمًا، وجزاءُ الظالم حَسَنٌ جائز أن يراد، **ألَا تَرى إلى قوله**: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وإذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد؛ **لأنه لا يريد إلّا ما هو حسن**.

والمراد بالإثم: وبالُ القتل وما يجرُّه من استحقاق العقاب.

فإن قلتَ: لـِمَ جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاءُ بلفظ اسم الفاعل، وهو قوله: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ... مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾.

قلتُ: ليفيدَ أنه لا يفعل ما يكتسِبُ به هذا الوصفَ الشنيعَ، ولذلك أكّده بالباء المؤكِّدة للنفي.

﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ﴾: فوسَّعَتْه له ويَسَّرَتْه، مِن طاعَ له المرتعُ: إذا اتَّسَع.

وقرأ الحسن: "فطاوعَتْ"، وفيه وجهان:

أن يكون مما جاء من "فاعَل" بمعنى "فعَّل".

وأن يراد: أنَّ قَتْلَ أخيه كأنَّه دعا نفسه إلى الإِقْدام عليه فطاوعَتْه ولم تمتنِعْ، و﴿لَهُۥ﴾ لزيادة الربط كقولك: "حفِظْتُ لزيدٍ ماله".

قوله: **(مِن استحقاق)** بيان (ما).

قوله: **(﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ﴾)** أي: لست فاعلَ هذا الفعل.

قوله:[١] **(ليفيدَ)**،[٢] معناه: لا أفعل فعلًا يُشتَقّ لي منه هذا الوصف بأن يقال مثلًا: هو باسط اليد بالقتل.

قوله: **(بمعنى "فعَّل")** فيكون بمعنى "طوَّعَتْ"، نحو "ضاعفت" معنى "ضعَّفت".

قوله: **(فطاوَعته)** معنى المطاوِع أنّه قبِل الفعلَ[٣] ولم يمتنع.

قوله: **(و﴿لَهُۥ﴾)** أي: كلمةُ[٤] له، وعلى الأوّل ليست بزيادة.

---

[١] ر + يزيد.
[٢] ن ر + قال وقت البحث.
[٣] ر: العفو.
[٤] ر: أكلمه.

وقيل: قُتل وهو ابن عشرين سنةً، وكان قتلُه عند عقَبةِ حِرَاء، وقيل: بالبصرة في موضع المسجد الأعظم.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا﴾ رُوي أنَّه أوَّل قتيل قُتل على وجه الأرض من بني آدم، ولمَّا قتَلَهُ تَرَكه بالعَراءِ لا يدري ما يَصنعُ به، فخاف عليه السِّباعَ فحمله في جرابٍ على ظهره سنةً حتى أَرْوَحَ وعَكفتْ عليه السباع، فبَعث الله غُرابين فاقتَتَلا فقَتل أحدُهما الآخر، فحفَرَ له بمنقاره ورجلَيْه ثم ألقاه في الحُفْرة ﴿قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾.

وروي أنه لمَّا قتله اسْودَّ جَسَده وكان أبيضَ، فسأله آدم عن أخيه فقال: ما كُنتُ عليه وكيلًا، فقال: ....

قوله: (حراء) ذكر الخطّابيّ أنّ هذا الحديث بلغ بهم الخطأ أن أخطئوا في كلمة على ثلاثة أحرف في ثلاثة مواضع، وهو قولهم في "حِراء": "حَرى"، ففتحوا الحاء[1] وهي مكسورة، وأمالوا الألف في غير موضع الإمالة، وقصروا الألف وهي ممدودة.

قوله: (بالعراء) هو بالمدّ: الفضاء الذي لا سُترة به.

قوله: (سنة) كان الهواء[2] معتدلًا في الغاية بحيث بقي غير منتِنٍ[3] إلى سنة.[4] قال الشيخ في **الكواشي**: «بعد أن قتله حمله سبعةَ أيّام حتّى أروَح».[5] وأظنّ أنّ المذكور في **الكواشي**[6] هو الصواب، وأظنّ أن الصوابَ في قول المصنّف "ستّة"، أي: ستة أيّام، فوقع فيه التصحيف.

قوله: (أروَح) أي: تغيّر ريحه. يقال: أروَح الماء وغيرُه: تغيّر ريحه، وأراح اللحم: أنتن.[7]

---

[1] ر - الحاء.
[2] ن: الهوى كان؛ ر + كان.
[3] ر: مبين.
[4] ر: ستة.
[5] **تفسير الكواشي**، ١٤٦ظ.
[6] ن - بعد أن قتله حمله سبعة أيام حتّى أروَح، وأظنّ أنّ المذكور في **الكواشي**.
[7] انظر: **الصحاح** للجوهري، «روح».

بل قتلتَه ولذلك اسْودَّ جَسدك.

وروي أنَّ آدم مكث بَعْدَ قتله مئة سنة لا يضحك، وأنّه رَثاهُ بشعر، وهو كذِبٌ بَحتٌ، وما الشعر إلَّا منحولٌ مَلْحونٌ، فقد صحَّ أن الأنبياء معصومون من الشعر.

﴿لِيُرِيَهُۥ﴾: ليريَه الله، أو: ليريَه الغرابُ؛ ....

قوله: (بل قتلتَه) بل هنا[1] إضراب عن محذوف دلّ عليه قوله:[2] «ما كنتُ عليه وكيلًا»، لأنّه في معنى: ما أدري حاله وما أدري ما صنع؟ فكأنّه قال آدم بعد ذلك: تعلم حاله؛ بل قتلتَه. و"بل" ههنا لترك الكلام الأوّل والأخذ فيما هو أهمّ، أو كأنّ قابيل قال: "أنا بريء عن قتله"، فقال: لستَ ببريء[3] عن قتله؛ بل قتلتَه.

قوله: (وأنّه[4] رثاه بشعر):

تـغـيَّـرت الـبـلاد ومَـن عـليـهـا ووجـهُ الأرض مغبَـرٌّ قبيـحُ
تـغـيَّـر كـلّ ذي لـونٍ[5] وطـعـم[6] وقـلّ[7] بـشـاشـةُ الـوجـه المـليـحِ[8]

قوله: (منحول) نحلتُه القول أنحَلَه نحلًا بالفتح إذا أضفتُ إليه قولًا قاله غيره.

قوله: (ملحون)[9] لأنّ الرويّ وهو الحاء مضموم في البيت الأوّل مكسور في البيت الثاني.

قوله: (﴿لِيُرِيَهُۥ﴾) لو قلنا: معناه "ليُريه الله" فلا إشكالَ فيه، وأمّا لو[10] قلنا[11] معناه "ليُريه الغراب" فبمعنى[12] "ليعلِّمه الغرابُ"، وذلك لأنّ الغراب لمّا كان سببًا

---

١ ر: ههنا.
٢ ن – قوله.
٣ ر: بريء.
٤ ر – وأنه.
٥ ن ر: طعم.
٦ ن ر: ولون.
٧ ن: وقيل.
٨ البيتان منسوبان لآدم عليه السلام في جامع البيان للطبري، ٣٢٥/٨ (المائدة، ٢٧/٥)؛ وشرح كتاب سيبويه للسيرافي، ٢١٤/١؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٤٥/٣ (المائدة، ٣١/٥).
٩ ن: منحوب؛ ر: منحوت.
١٠ ن ر – لو.
١١ ن ر: قولنا.
١٢ ر: فمعنى.

أي: ليُعلِّمه؛ لأنه لمَّا كان سببَ تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز.

﴿سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾: عورةَ أخيه، وما لا يجوز أن يتكشَّف من جسده.

والسوأةُ: الفضيحةُ؛ لقبحها، قال:

يــا لَـــقَـــومٍ لـــلـــسَّـــوْأةِ الـــسَـــوْآء

في تعليم الله[1] قابيل أنّه كيف يواري فكأنّه، أي: فكأنّ الغرابَ قَصَد تعليم قابيل، وذلك على سبيل المجاز، لأنّ السبب في التعليم جُعل كأنّه يُعلِّم.

قوله: **(مِن جسده)** "مِن" في "مِن جسده" للتبعيض، وهو حال مِن الضمير في **(يتكشّف)**.

قوله: **(أي: ليعلِّمه)** لأنّه لمّا كان... إلخ، اعلم أنّ اللام في "ليُعلِّمه" لمّا كان[2] متعلِّقًا بقوله تعالى: ﴿بَعَثَ ٱللَّهُ﴾، فالمعنى "بعث الله تعالى غرابًا ليُري الله قابيل"، فيكون المعنى ظاهرًا ولا يحتاج إلى التكلُّف[3] الذي ذَكَره المصنّف، وأمّا إن كان اللام[4] متعلِّقًا بقوله تعالى: ﴿يَبۡحَثُ﴾ فالوجه ما ذكره المصنّف، وهو أنّه لمّا كان بحث[5] الغراب سببًا لتعلُّم قابيل فكأنّ الغراب قَصَد تعليم قابيل. ويظهر لك مِن هذا أنّ أصحّ **النُّسخ** "تعلّمه"[6] مِن باب التفعّل.[7]

قوله: **(الفضيحة)** أي: في اللغة.

قوله: **(لقبحها)** متعلِّق بمحذوف، أي: سمِّيت[8] الفضيحة / بالسوءة لقُبح الفضيحة، وهو بيان التناسب، فإنّه قد يُراعى التناسب في التسمية استحسانًا لا وجوبًا. **[٣٣٥و]**

قوله: **(يا لَقومٍ)**[9] البيت.

---

[1] ن + تعالى.

[2] ن ر – إلخ، اعلم أنّ اللام في ليُعلِّمه لمّا كان.

[3] ر: التكليف.

[4] ر: اللازم.

[5] ر: يبحث.

[6] ر: تعليمه.

[7] ر: الفعل.

[8] من هنا وما قبله في هذا اللوح من د آثارُ رطوبة بمقدار ثلاث كلمات على طول أحدَ عشرَ سطرًا، عسُرت معها القراءة، واستعنت عليها بما في ن ر.

[9] البيت لأبي زُبيد الطائي في **غريب الحديث** لأبي عبيد، ١/١٥٣؛ و**المسائل الحلبيّات** للفارسي، ص ٢٤٣؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «سوأ».

أي: لِلفضيحة العظيمة، فكُني بها عنها.

﴿فَأُوَارِيَ﴾ بالنصب على جواب الاستفهام، وقرئ بالسكون على: فأنا أواريْ، أو على التسكين في موضع النصب للتخفيف.

﴿مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على قتله؛ لِمَا تَعِبَ فيه من حمله، وتحيُّرِه في أمره، وتبيَّنَ له من عَجْزه وتلمُّذه للغراب، واسودادِ لونه وسخط أبيه، ولم يندَمْ ندمَ التائبين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: بسبب ذلك وبعِلَّته، وقيل: أصله مِن أَجَلَ شرًّا: إذا جَنَاه، يَأجِلُه أجَلًا، ....

يقال: امرأة سَوْآء، أي: قبيحة.

قوله: (بها) أي: بالسوءة عنها، أي: عن العورة.

قوله: (﴿فَأُوَارِيَ﴾) بالنصب على جواب الاستفهام سهوٌ منه؛ بل هو عطف على ﴿أَكُونَ﴾، ولا ينتصب جوابًا للاستفهام[1] لفساد المعنى، إذ ليس المعنى "أيكون منّي[2] عجزٌ فمواراة"، فإنّ معنى "أين بيتك فأزورَك؟" نصبًا: "لو عرفتُ لزرتُ"، وليس المعنى في الآية: لو عجزتُ لواريتُ.

قوله: (للتخفيف) قال المبرّد: هذا مِن الضرورات[3] الحسَنة التي يجوز مثلها في النثر، مثل «أعطِ[4] القوس باريها».[5]

قوله: (إذا جناه) كان خاصًّا بما فيه جناية، ثمّ عمَّ فيما فيه جنايةٌ أو لا.

---

[1] ر: الاستفهام.

[2] ن: بن.

[3] ر: الضرر أن.

[4] ن ر: أعطي.

[5] مجمع الأمثال للميداني، ٢/١٩.

ومنه قوله:

وأَهْـلِ خِبَـاءٍ صالــحٍ ذاتُ بينِهــم قـد احتَـرَبُـوا في عـاجلٍ أنـا آجِلُـه

كأنك إذا قلتَ: "من أجْلِك فعلتُ كذا" أردتَ: مِن أنْ جَنيْتَ فعلَه وأوْجَبْتَه، ويدلُّ عليه قولهم: "مِن جَرَّاك فعلتُه"؛ أي: من أنْ جَرَرْتَه، بمعنى: جَنيْتَه، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى القتل المذكور؛ أي: من أنْ جَنى ذلك القَتلُ الكَتْبَ وجَرَّه ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

و﴿مِنْ﴾ لابتداء الغاية؛ أي: ابتدأ الكَتْبُ ونشأ من أجل ذلك، ويقال: فعلتُ كذا لأجل كذا، وقد يقال: "أجْلَ كذا" بحذف الجارّ وإيصالِ الفعل؛ قال:

أَجْـــلَ أنّ الله قـــد فضَّلكـــم

وقرئ: ﴿مِنَ اجْلِ ذلك﴾ بحذف الهمزة وفتحِ النون لإلْقاء حركتها عليها.

قوله: (وأهلِ خباءٍ)[١] البيت. (ذاتُ) فاعل (صالحٍ). وقوله: (آجِله) أي: أنا جانيه وكاسبه، يريد: ربَّ قوم لم يكن بينهم شيء مِن الحرب أنا أوقعتُ بينهم الحربَ. (قوله) خوّات بن جبير. (أنا آجله) يُروى "أنت آجله".

قوله: (صالحِ ذات بينهم) أي: حالهم والأمور الواقعة بينهم.

قوله: (قد احتربوا)[٢] مِن الحرب، يصف نفسه بأنّه مِهياج للفتنة ويقول: رُبّ أهل خِباء كانوا ذا صلح وأمن قد وقعوا في الحرب عاجلًا وأنا جالب ذلك الحرب عليهم وجانيه.

قوله:

(أَجْــلَ أنّ الله قـــد[٣] فضَّلكـــم)

تمامه:

---

[١] ر – أو لا قوله: وأهل خباء. | البيت لخوّات بن جبير في مقاييس اللغة لابن فارس، ٦٤/١، «أجل»؛ والصحاح للجوهري، «أجل»؛ وشرح المفضّليّات للأنباري، ص ٧٣٠؛ واللامع العزيزي للمعري، ٨٩٢/١؛ وهو بلا عزو في إصلاح المنطق لابن السكّيت، ص ٩.

[٢] ن ر – قد احتربوا.

[٣] د ر – قد.

وقرأ أبو جعفر: ﴿مِنْ إِجْلِ ذلك﴾ بكسر الهمزة، وهي لغةٌ، فإذا خَفَّفَ كسَرَ النونَ مُلْقيًا لكسرة الهمزة عليها.

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾: بغيرِ قتلِ نفسٍ لا على وجهِ الاقتصاص.

﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ عطفٌ على ﴿نَفْسٍ﴾ بمعنى: أو بغيرِ فساد ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وهو الشركُ، وقيل: قطعُ الطريق.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾: ومَن استَنْقَذها مِن بعض أسباب الهلكة: قَتْلٍ أو غَرقٍ أو حَرْق أو هَدْمٍ أو غير ذلك.

فإن قلتَ: كيف شُبِّه الواحد بالجميع وجُعل حُكْمُه كحكمِهم؟

قلتُ: لأنَّ كلَّ إنسان يُدلي بما يُدلي به الآخَرُ من الكرامة على الله وثبوتِ الحرمة، فإذا قُتل فقد أُهين ما كَرُم على الله وهُتكت حرمَتُه، وعلى العكس، فلا فرقَ إذنْ بين الواحد والجميع في ذلك.

فوق مَن أحكأ صُلبًا بإزارِ[1]

أحكأتُ العقدة وأحكيتُها، أي: شددتُها. كان عليه السلام إذا دخل عشر أواخر رمضان أيقظ أهله وأحكأ صُلبه،[2] أي: جدّ وشدّ مِئزره.

قوله: (**الهلَكة**)[3] بفتح اللام.

قوله: (**يُدلي**) يقال: هو يدلي برحمه، أي: يمتُّ بها. وقوله: (**بما يدلي**) أي: وصل إليه.

قوله: (**على العكس**) أي: الأمر مستقرّ على ما ذكر[4] أيضًا، فإذا أحيا فقد أكرم ما كرُم على الله. وقوله: (**فلا فرقَ**) مسبَّب عن الأصل والعكس.

---

[1] البيت لعَدي بن زيد العِبادي في **ديوانه**، ص ٩٤؛ وهو له في **غريب الحديث** لأبي عبيد، ٧٤/٤؛ و**الصحاح** للجوهري، «حكا»؛ و**المقصور والممدود** للقالي، ص ٤٦٥.

[2] بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ٤٧/٣ (٢٠٢٤)؛ و**صحيح مسلم**، ٨٣٢/٢ (١١٧٤). وما وقفتُ على اللفظ المستشهد به عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

[3] ن: أهلكه؛ ر: أهله.

[4] ن: ذكره.

فإن قلتَ: فما الفائدةُ في ذِكر ذلك؟

قلتُ: تعظيمُ قتل النفس وإحيائها في القلوب؛ ليَشمئِزَّ الناسُ عن الجسارة عليها ويَتراغَبوا في المُحاماة على حُرمتها؛ لأنّ المُتَعَرِّضَ لقتلِ النفس إذا تصوَّر قتلَها بصورةِ قتلِ الناسِ جميعًا عَظُم ذلك عليه فثبَّطه، وكذلك الذي أرادَ إحْياءَها.

وعن مجاهدٍ: قاتلُ النفس جزاؤه جهنَّم وغَضَبُ اللهِ عليه والعذابُ العظيم، ولو قتل الناسَ جميعًا لم يَزِد على ذلك.

وعن الحسن: يا ابن آدم، أرأيتَ لو قَتَلتَ الناس جميعًا، أكنتَ تَطمَع أن يكون لك عملٌ يوازي ذلك فَيُغفرَ لك به، كلَّا إنه شيءٌ سَوَّلَتْه لك نفسُك والشيطانُ،

قوله: **(ذِكر ذلك)** أي: مِن أجل ذلك... إلخ، قوله: **(في القلوب)** متعلِّق بقوله: **(تعظيم)**.

قوله: **(ويتراغبوا)** فيه لفّ ونشر. وقوله: **(لأنّ)** بيان حصول التعظيم.

قوله: **(فثبّطه)** أي: فثبَّط التصوُّر المتعرِّض، أو فثبَّط العِظَم المتعرِّض.[١]

قوله: **(وعن مجاهد)** عطف على قوله: **(لأنّ كلّ إنسان)**... إلخ، **لأنّ هذا** جواب آخرُ عن السؤال المتقدِّم عليه.

قوله: **(وعن الحسن)** هذا تقرير لقول مجاهد.

قوله:[٢] **(كلّا)** كأنّه ردع عن مقدَّر،[٣] فإنّه إذا قيل: **أكنتَ تطمع؟** كأنّه[٤] قال المخاطب:[٥] "نعم أطمعُ"، فرُدِع عن ذلك وقال:[٦] "كلّا"، أي: **لا ينبغي أن تطمع**، فإنّ الطمع هناك مِن تسويل الشيطان.

قوله: **(نفسُك والشيطان)** نحو "أعجبني زيد وكرمُه".

قوله: **(فكذلك)**[٧] عطف على قوله: **(أرأيت إن قتلتَ الناس)**... إلخ، أي:

---

[١] ن ر: المعترض.
[٢] ر + قوله.
[٣] ر + فإن ذلك.
[٤] ن - كأنّه.
[٥] ن ر: قائل.
[٦] ن ر: قال.
[٧] انظر: **جامع البيان للطبري**، ٣٥٧/٨ (المائدة، ٣٢/٥).

فكذلك إذا قتلتَ واحدًا.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد ما كتَبْنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات.

﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ يعني: في القتل لا يبالون بعظمته.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾

﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يحاربون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ومحاربةُ المسلمين في حُكْم محاربته.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾: مفسِدِين، أو لأن سعيهم في الأرض لمّا كان على طريق الفساد نُزِّل منزلةَ: "ويفسدون في الأرض" فانتصب ﴿فَسَادًا﴾ على المعنى.

إذا قتلتَ واحدًا فلا تطمع التحقيق أنّه جواب شرط مقدَّر، أي: إذا تقرَّر أنّك لا تطمع إذا قتلتَ الجميع فكذلك إذا قتلتَ واحدًا لا تطمع.

قوله:[1] **(مفسِدين)** أي: ﴿فَسَادًا﴾ مصدر وقع حالًا بمعنى مفسدين.

قوله: **(أو لأنّ)** عطف على قوله: "مفسدين" مِن حيث المعنى، واللام متعلِّق بمحذوف، فكأنّه[2] قال: نُصب ﴿فَسَادًا﴾ على الحال لأنّه في[3] معنى[4] / "مفسدين"، أو نُصب على المصدر **(لأنّ سعيهم)**... إلخ، فقوله: "سعيهم" اسم "إنّ"، و**(لمّا)** ظرفيّة فيها معنى الشرط، وجوابُها والعامل فيها **(نزّل)** والضمير في "نزِّل" يعود إلى ﴿يَسْعَوْنَ﴾. [٣٣٥ظ]

قوله: **(فانتصب ﴿فَسَادًا﴾)** أي: فسادًا مفعول مطلق نُصب بفعل في معنى فعله.[5]

---

١ ن + قوله.
٢ ن ر: وكأنّه.
٣ ن ر - في.
٤ ن ر: بمعنى.
٥ ن: فعل.

ويجوز أن يكون مفعولًا له؛ أي: للفساد.

نزلت في قوم هلال بنِ عُوَيْمرٍ، وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ، وقد مرَّ بهم قوم يريدون رسولَ الله فقطعوا عليهم.

وقيل: في العُرنِيّين.

فأُوحيَ إليه: أنَّ مَن جمَع بين القتل وأخذِ المال قُتل وصُلِّب، ومَن أَفرد القتل قُتل، ومَن أفرد أخذَ المال قُطعت يدُه لأخذ المال ورِجْلُه لإخافةِ السبيلِ، ومَن أَفردَ الإخافة نُفي من الأرض.

وقيل: هذا حكمُ كلِّ قاطعِ طريقٍ كافرًا كان أو مسلمًا، ومعناه: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ﴾

قوله: **(ويجوز)** يريد أنّه يجوز أن يكون نصب ﴿فَسَادًا﴾ على أنّه مفعول له وإن لم يكن غرضًا،[١] فإنّ المفعول له لا يلزم أن يكون غرضًا. وقوله: **(للفساد)** بيان كون ﴿فَسَادًا﴾ مفعولًا له.[٢]

قوله: **(وقد مرّ بهم)** أي: بقوم هلال.[٣]

قوله: **(يريدون رسولَ الله عليه السلام)**،[٤] أي: ليُسلموا أو ليُعاهدوا.

قوله: **(في العُرَنِيّين)**[٥] عُرينة بالضم: اسم قبيلة، وإليها نسب العُرَنيّون، قومٌ أغاروا على السَّرح، والسَّرح: المال السائم. تقول: سَرَحتُ الماشية وسَرَحتْ[٦] هي،[٧] يتعدّى ولا يتعدّى.[٨]

قوله: **(قاطعِ[٩] طريق)** أكثر[١٠] العلماء على أنّ هذه الآية في حقّ قطّاع[١١] الطريق مِن المسلمين دون أهل الكفر والمرتدّين،[١٢] واحتجوا عليه بقوله تعالى:

---

١ ر: عوضًا.
٢ ر – له.
٣ ن ر: هلاك.
٤ ن ر – عليه السلام.
٥ ر: العرنبون.
٦ ن: وسرحتها.
٧ ن – هي.
٨ **الصحاح للجوهري**، «سرح».
٩ ن: فأطمع.
١٠ ر: أكبر.
١١ ر: قضاعة.
١٢ ر: والمتردين.

من غيرِ صلبٍ إن أفردوا القتل ﴿أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ، قال أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله: يُصَلَّب حيًّا ويُطعنُ حتى يموت.

﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ إن أخذوا المال.

﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إذا لم يزيدوا على الإخافة.

وعن جماعة منهم الحسنُ والنخعي: أن الإمام مخيَّر بين هذه العقوبات في كلِّ قاطع طريقٍ، من غير تفصيل.

والنفي: الحبس عند أبي حنيفة رحمه الله، وعند الشافعيِّ رحمه الله: النفيُ من بلدٍ إلى بلدٍ لا يزال يُطلب وهو هارِبٌ فَزَعًا.

وقيل: يُنْفَى من بَلدِه، وكانوا ينفونهم إلى دَهْلَكَ وهو بلدٌ في أقصى تِهَامة، ونَاصعٍ وهو من بلاد الحبشة.

﴿خِزْيٌ﴾: ذُلٌّ وفضيحةٌ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣٥﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ﴾، وتوبة الكافر في أنّه يُسقط العقوبة عنه لا تختلف بين أن تُوجَد[١] قبل القدرة عليه أو بعدها.

قوله: **(قال أبو حنيفة)** إنّما لم يعطف قوله: "قال أبو حنيفة"[٢] لأنّه بيان لكيفيّة الصلب.[٣]

قوله: **(فزعًا)** مفعول له مِن **(هاربٌ)**.

قوله:[٤] **(دَهْلَكَ)** غير منصرفٍ للتأنيث والعجمة.

قوله: **(وناصع)** عطف على "دَهْلَك".

---

١ ن: يؤخذ.
٢ ن - إنّما لم يعطف قوله: قال أبو حنيفة.
٣ انظر تفصيل المسألة في بدائع الصنائع للكاساني، ٧/٩٥.
٤ ن - فزعًا مفعول له من هاربٌ. قوله.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ استثناءٌ من المعاقَبين عقابَ قطع الطريق خاصَّة، وأمَّا حكمُ القتل والجراحِ وأخذِ المال فإلى الأولياء إن شاؤوا عفَوْا وإن شاؤوا استوفَوْا، وعن عليّ رضي الله عنه: أن الحارث بن بدر جاءه تائبًا بعد ما كان يقطعُ الطريق، فقَبِلَ توبتَه ودرأ عنه العقوبةَ.

"الوسيلةُ": كلُّ ما يُتوسَّلُ به؛ أي: يُتقرَّبُ من قرابةٍ أو صَنيعةٍ أو غيرِ ذلك، فاستُعيرت لِمَا يُتوسَّلُ به إلى الله مِن فعل الطاعات وتركِ المعاصي، وَأُنشد لِلَبيدٍ:

أَرَى الناسَ لا يَدْرونَ ما قَدْرُ أمرهم ... أَلَا كلُّ ذي لُبٍّ إلى الله واسلُ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾: ليجعلوه فِدْيةً لأنفسهم، وهذا تمثيلٌ لِلُزوم العذاب لهم،

قوله:

(أرى النــــاسَ)[1] البيـــــت

أي: الناس لا يعلمون ما مقدار حياتهم وكيف حالهم، فالعاقل مَن تقرَّب إلى[2] الله تعالى. وواسل، أي: متقرِّب أو ذو وسيلة. وبعده:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطلُ ... وكلُّ نعيم لا محالةَ زائلُ[3]

قوله: (﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾) اعلم أنّ المصنّف لم يُشر إلى معنى اللام في ﴿لِيَفْتَدُواْ﴾ ولا إلى أنّ تعلُّقه بأيّ شيء، فنقول: يجوز أن يتعلّق بمحذوف دلّ عليه سياق الكلام، أي: وأرادوا أو مريدين ليفتدوا، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ﴾ [الصف ٨/٦١]. ويجوز أن يكون متعلّقًا بقوله: (لهم) أي: ما في الأرض يثبت لهم ليفتدوا، أي: ثبوت هذه الأشياء لهم يكون لأجل الافتداء لا لغيره، ويكون الغرض مِن هذا[4] المبالغة في أنّهم لو افتدوا بجميع المذكورات كلّها لم تُقبل منهم البتّة.

[1] البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ٢٥٦.
[2] ن - إلى.
[3] البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه، ص ٢٥٦.
[4] ن: هذه.

وأنه لا سبيل لهم إلى النجاة منه بوجهٍ، وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «يقال للكافر يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ملءُ الأرض ذهبًا أكُنْتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد سُئلتَ أيْسَرَ من ذلك».

و﴿لَوْ﴾ مع ما في حيّزه خبرُ ﴿إِنَّ﴾.

فإن قلتَ: لمَ وحّد الراجعُ في قوله: ﴿لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ﴾ وقد ذُكر شيئان؟

قلتُ: هو نحوُ قوله:

فــإنّـــي وَقَـــيَّـــارٌ بــهــا لــغــريــبُ

أو على إجراء الضمير مُجْرى اسم الإشارة؛ كأنّه قيل: "لِيَفْتَدوا بذلك".

ويجوزُ أن يكون الواو في ﴿وَمِثْلَهُۥ﴾ بمعنى "مع" فيتوحَّد المرجوعُ إليه.

قوله:

(فــإنّــي وقــيّــار بــهــا لــغــريــبُ)[1]

أوله:

فـمَـن يـكُ أمـسـى بـالـمـديـنـة رحـلُـه

هو[2] على نيّة التقديم، أي: فإنّي لغريب وقيّارٌ، فالعطف بعد تمام الجملة، أو على رجوع الضمير إلى كلّ واحد. "قيّار"،[3] أي: أسوَد. "بها"، أي: بالبلدة. قائل البيت هو الضابئ بن الحارث البُرجميّ، وقيّار: اسم فرسه. تقديره: إنّي لغريب وقيّار كذلك، وعلى هذا تقدير الآية: لو أنّ ما في الأرض ما[4] تُقبَل، ولو كان لهم مثلُه ما تُقبَل.

---

١ البيت لضابئ بن الحارث البُرجُميّ، قاله وهو محبوسٌ بالمدينة في زمن عثمانَ رضي الله عنه. وهو له في **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ١٨٤؛ **والنوادر** لأبي زيد، ص ١٨٢، وروَياه على الخَزم؛ وفي **كتاب سيبويه** ٧٥/١، **والصحاح** للجوهري، «قير»؛ وهو بلا عزو في **شرح الحماسة** للمرزوقيّ، ٩٣٦/٢؛ **وأسرار البلاغة** للجرجاني، ص ١٩٥؛ **والإيضاح في شرح المفصَّل** لابن الحاجب، ١٣٤/١؛ **وشرح الرضي على الكافية** ٣٥٥/٤.

٢ ن ر – هو.

٣ ر – فالعطف بعد تمام الجملة، أو على رجوع الضمير إلى كلّ واحد. "قيّار".

٤ ن: من.

فإن قلتَ: فبِمَ يُنصب المفعولُ معه؟

قلتُ: بما تستدعيهِ ﴿لَوْ﴾ من الفعل؛ لأن التقدير: لو ثبتَ أن لهم ما في الأرض.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾

قرأ أبو واقدٍ: "أن يُخْرَجُوا" -بضمِّ الياء- من "أَخْرجَ"، ويَشهد لقراءة العامَّة قولُه: ﴿بِخَٰرِجِينَ﴾.

وما يُروى عن عكرمة أن نافع بن الأَزْرَقِ قال لابن عبَّاس: يا أَعْمَى البَصَرِ

قوله: (**بما تستدعيه ﴿لَوْ﴾**)... إلخ، مشكِلٌ؛ لأنّ قوله: ﴿مِثْلَهُۥ﴾ لا يستقيم مشاركته مع[1] فاعل (**ثبت**)؛ لأنّ مشاركة ﴿مِثْلَهُۥ﴾ مع كون ما في الأرض لهم، أي: مع الكون، لا معنى له، فتأمّل؛ بل الوجه أن يقال: هو منصوب بمعنى الفعل الذي هو ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنّ[2] فيه ضميرًا يعود إلى ﴿مَا﴾، أو بمعنى الفعل الذي في قوله: (**لهم**) لأنّ فيه أيضًا ضميرًا يعود إلى ﴿مَا﴾، وذلك لأنّك لو جعلتَ الواو للعطف لكان عطفًا على ﴿مَا﴾، فوجب / إذا جُعل بمعنى "مع" أن يكون مشاركًا لِما هو [٣٣٦و]
عبارة عنه، وهذا[3] معنى لطيف يستقيم به معنى الكلام وما ذكره غيرُ مستقيم.

قوله: (**عن عكرمة**) هو مولى ابن عبّاس رضي الله عنه.[4]

قوله: (**نافع بن الأزرق**) هو يهوديّ منافق.

قوله: (**وما يروى عن عكرمة**)... إلخ، نحن[5] أهل السنّة والجماعة لا نقول بصحّة هذا الحديث على هذا الوجه،[6] فلا يَروج طعن المصنّف في أهل السنّة بأنّهم ينقلون هذا الحديث بهذا الوجه، ولنا دلائلُ كثيرة على مذهبنا لا نحتاج إلى نقل مثل هذا الحديث.

---

[1] ن ر - مع.

[2] ن ر - مشاركة مثله مع كون ما في الأرض لهم، أي: مع الكون لا معنى له فتأمّل بل الوجه أن يقال: هو منصوب بمعنى الفعل الذي هو في الأرض لأنّ.

[3] ن ر: وهو.

[4] د ر - رضي الله عنه.

[5] ر: نحو.

[6] ر - على هذا الوجه.

أَعْمَى القَلْب تَزعم أن قومًا يُخرَجون من النار وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ فقال: وَيْحك، اقْرأ ما فوقها، هذا للكفار، فممّا لَفَّقَتْهُ المُجبرةُ، وليس بأوَّلِ تكاذيبهم وفِرَاهم، وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الأزرق ابنَ عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين أظهُر أَعْضَادِه من قريش وأنصارِه من بني عبد المطَّلب -وهو حَبْرُ الأمَّةِ وبحْرُها ومفسِّرها- بالخطاب الذي لا يَجْسرُ على مثله أحدٌ من أهل الدُّنيا، وبرفعهِ إلى عكرمة دليلين ناصَّيْن أن الحديث فِرْيَةٌ ما فيها مِرْيَة.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٣٨﴾

قوله: (﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾) فإن قلتَ: أما يُؤذن الضمير في[١] قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ﴾ بالاختصاص. قلتَ: ليس بمختصّ بالاختصاص،[٢] فإنّه يأتي للتأكيد،[٣] أعني تقوّي الحكم، كما يأتي لذلك، قال:

هم يُفرِشون اللِّبد كلّ طِمرّةٍ[٤]

أي: تجعلونه مفرَشًا[٥] لهم، ولا يختصّون بالفرش.

قوله: (**مِن قريش**) بيان (**أعضاده**).

قوله: (**وأنصادِه**)[٦] أنصادُ[٧] أعمامه وأخواله: المتقدّمون في الشرف.

قوله: (**وبرفعِه إلى عكرمة**) فإنّ عكرمة كان مولى ابن عبّاس،[٨] فكيف يذكر الكلام بهذه العبارة، وهو قوله: «يا أعمى».

قوله: (**مِرية**) المِرية: الشكّ. قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ [هود ١١/١٧].

---

١ ن ر: وفي.
٢ ن ر - قلت ليس بمختصّ بالاختصاص.
٣ ر + أي.
٤ صدر بيت للمعذّل بن عبد الله الليثي، وعجزه:
وأجردَ سبّاق يبذّ المُغاليا
ومضى بتخريجه وشرحه في تفسير البقرة، ٢/١٦٧.
٥ ن: مفروشًا.
٦ في مطبوع **الكشّاف**: وأنصاره. | وأثبتُّ ما في **حاشية الجاربردي** وما راجعته من أصول **الكشّاف**.
٧ ن ر + الرجل.
٨ ن + رضي الله عنه.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ رفعُهما على الابتداء، والخبرُ محذوف عند سيبويه؛ كأنه قيل: وفيما فُرِضَ عليكم السارقُ والسارقة؛ أي: حكمُهما.

ووجهٌ آخرُ: وهو أن يَرتفِعا بالابتداء، والخبرُ: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ ودخولُ الفاء لتضمُّنهما معنى الشرط؛ لأن المعنى: والذي سَرَقَ والتي سرقَتْ فاقطعوا أيديَهما، والاسم الموصول يُضمَّن معنى الشرط.

وقرأ عيسى بن عمرَ بالنصب، وفضَّلها سيبويه على قراءة العامَّة لأَجْل الأمر؛ لأن "زيدًا فاضرِبْه" أحْسَنُ من "زيدٌ فاضرِبْه".

﴿أَيْدِيَهُمَا﴾: يَدَيْهما، ونحوهُ: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم ٦٦/٤] اكْتَفى بتثنية المضاف إليه عن تثنية المضاف، وأريد باليَدين: اليَمينان، بدليل قراءة عبد الله: "والسارقون والسارقاتُ فاقطعوا أيمانَهم".

والسَّارقُ في الشريعة: مَن سَرَقَ من الحِرْز، والمقطع: الرُّسْغُ، وعند الخوارج: المَنْكِبُ.

والمقدار الذي يجب به القطعُ: عشرةُ دراهم عند أبي حنيفة، وعند مالكٍ والشَّافعيِّ رحمهم الله رُبعُ دينار، وعن الحسن: درهم، وفي مواعظِهِ: واحذَرْ مَن قطَعَ يدَكَ في درهم.

﴿جَزَآءَۢ﴾ و﴿نَكَٰلًا﴾ مفعولٌ لهما.

قوله: (**أي: حكمهما**)، يعني: بحذف المضاف وهو الحكم، تقديره: حكم السارق والسارقة فيما فرض.

قوله: (**ووجهٌ آخرُ**) أي: هنا وجه آخر.

قوله: (**اكتفى بتثنية المضاف إليه**)، يعني: إذا عُبّر عن اثنين مضافين إلى اثنين وهما متّصلان بهما عُبّر عن المضاف بلفظ الجمع كراهةَ اجتماع تثنيتين فيما تأكّد اتّصالهما لفظًا ومعنًى.

قوله: (**الرُّسْغ**) الرُّسْغ: مَفصِل الكفّ في الذراع والقدم في الساق.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٤٠﴾

﴿فَمَن تَابَ﴾ من السُّرَّاق ﴿مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾: من بعدِ سرقتهِ ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ أمرَه بالتفصِّي عن التَّبِعَاتِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾ وسَقَط عنه عقابُ الآخرة، وأمَّا القَطْعُ فلا تُسقِطه التَّوْبةُ عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، وعند الشافعي في أحد قوليه: تُسقطه.

﴿مَن يَشَآءُ﴾: مَن يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرةُ له من المصرِّين والتائبين.

وقيل: يُسْقِطُ حدَّ الحربيِّ إذا سرَقَ بالتوبة ليكون أَدْعى له إلى الإسلام وأَبْعدَ من التنفير عنه، ولا يسقطه عن المسلم؛ لأنَّ في إقامته الصَّلاحَ للمؤمنين والحياةَ ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة ٢/١٧٩].

فإن قلتَ: لم قُدِّم التعذيب على المغفرة؟

قوله: (**ويُسقِط**)[١] كالتفسير لقوله: ﴿يَتُوبُ﴾ فهو مِن العطف الذي يكون للبيان، فكذلك عطفه عليه.

قوله: (**وأمّا القطع**) فكأنّه قال: معنى ﴿يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾ سقوط عقاب الآخرة لا القطع إلّا على أحد قولي الشافعيّ.[٢]

قوله: (**مِن المصرِّين**) فيه لفّ ونشر.

قوله: (**وقيل: يُسقِط**) أي: الله تعالى يُسقِط.[٣] وأشار بالتفسيرين إلى أنّه يجوز أن يكون المراد التعذيب والمغفرة في الآخرة وأن يكون القطع وترك القطع[٤] في الدنيا.

قوله: (**لأنّ في إقامته**) أي: الحدّ.

---

[١] في مطبوع **الكشّاف**: وسقط. | وأثبتُّ ما في **حاشية الجاربردي** وما راجعته من أصول **الكشّاف**.

[٢] انظر: **الأم** للشافعي، ٣٨٩/٧.

[٣] ن ر: يسقطه.

[٤] ن ر - وترك القطع.

قلتُ: لأنه قُوبِلَ بذلك تقدُّمُ السرقة على التوبة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

قرئ: ﴿لا يُحْزِنْكَ﴾ بضمِّ الياء.

و: "يُسْرِعُون"، والمعنى: لا تَهْتَمَّ ولا تُبال بمسارعة المنافقين.

﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾؛ أي: في إظهاره بما يلُوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين، فإنِّي ناصرُك عليهم وكافيك شرَّهم، يقال: "أسرعَ فيه الشيبُ"، و"أسرع فيه الفسادُ" بمعنى: وقع فيه سريعًا، فكذلك مسارعتُهم في الكفر: وقُوعُهم وتهافُتُهم فيه أَسْرَعَ شيء إذا وَجَدُوا فُرصَةً لم يُخْطِئُوها.

و﴿ءَامَنَّا﴾ مفعولُ ﴿قَالُوٓا۟﴾، و﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ متعلق بـ﴿قَالُوٓا۟﴾ لا بـ﴿ءَامَنَّا﴾.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ منقطِعٌ مما قبلَه خَبرٌ لـ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾؛ أي: ومن اليهود قومٌ سَمَّاعون، ويجوز أن يُعطف على ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ ويرتفع ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ على:

قوله: (**قلتُ: لأنَّه قُوبِل**) فكأنَّ فيه لفًّا ونشرًا، لأنَّ قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ﴾ متعلِّق بالسارق، و﴿يَغْفِرُ﴾ متعلِّق بالتائب.

قوله: (**مِن آثار**) فإنَّ المنافق يُظهِر كفره بما يلوح منه مِن آثار الكيد.

قوله: (**أسرعَ شيء**) حال. "أفعل" التفضيل يقع حالًا إذا كان[١] مضافًا إلى النكرة، نحو "جاء زيد أحسنَ ما كان هو عليه".

قوله: (**أي: ومِن اليهود قوم سمّاعون**) حُذف الموصول[٢] وأقيمَ الصفة[٣] مُقامه.

---

[١] ن – آثار الكيد قوله: أسرع شيء حال أفعل التفضيل يقع حالًا إذا كان.

[٢] ن ر: الصفة.

[٣] ر: الموصوف.

هم سمَّاعون، والضمير للفريقين، أو لـ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾.

ومعنى ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: قابِلون لِمَا يفتَريهِ الأحْبارُ ويفتعِلونه من الكذب على الله وتحريفِ كتابهِ، من قولك: "الملك يَسمعُ كلامَ فلانٍ"، ومنه: سَمِعَ الله لِمَن حَمِده.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يعني: اليهودَ الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافَوْا عنه؛ لِمَا أَفْرطَ فيهم من شدةِ البغضاء وتَبالَغَ من العداوة؛ أي: قابلون من الأَحْبار ومِن أولئك المفرِطين في العداوة الذين لا يَقدرون أن ينظروا إليك.

وقيل: سمَّاعون إلى رسول الله لأَجْلِ أن يَكذِبُوا عليه بأن يَمْسَخُوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتَّبديل والتغيير، سمَّاعون من رسول الله لأَجْل قومٍ آخرين من اليهود وجَّهوهم عيونًا ليُبلِّغوهم ما سمعوا منه.

وقيل: السمَّاعون: بنو قريظة، والقومُ الآخرون: يهود خيبر.

قوله: (**ومنه "سمع الله"**) أي: في الاستعمال، وفي أنّه بمعنى "قَبِل".

قوله: (**﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ﴾**) أي: لكذب قوم، أو لكلام قوم.

قوله: (**﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾**) صفة لـ"قوم".

قوله: (**لِما أفرط**) أي: للذي جاوز الحدّ.

قوله: (**يمسخوا**) أي: يُبدِّلوا ويُغيِّروا.

قوله: (**وجَّهوهم**)،[1] أي: سمّاعون.

قوله: (**عيونًا**) أي: متجسِّسين.

قوله: (**منه**) أي: مِن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[2]

[٣٣٦ظ] قوله: (**وقيل: السمّاعون بنو قريظة**)، يعني: المراد بسمّاعون[3]/ لأجل أن يكذِبوا

---

[1] ر: وجوههم.

[2] د: عليه السلام.

[3] ن: سماعون.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾: يُمِيلونه ويُزِيلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها، فيُهْمِلونه بغير مواضعَ بعد أن كان ذا مواضع.

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ المحرَّفَ ....

على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.[١] وبـ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ لأجل قوم آخرين: هم بنو قريظة، فإنّهم كانوا يسمعون مِن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[٢] ليُبلِّغوا قومًا آخرين، والقوم الآخرون[٣] هم يهود خيبر.

قوله: (﴿ٱلْكَلِمَ﴾) واحدٌ، فلذلك ذكّر الضمير الراجع إليه.

قوله: (﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾) قال في **الوسيط**:

> ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾، أي: مِن بعد أن وضعه الله موضعَه، يعني آية[٤] الرجم. ﴿يَقُولُونَ﴾، يعني يهود خيبر ليهود المدينة: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾. قال المفسّرون: إنّ رجلًا وامرأة مِن أشراف أهل خيبر زنيا، فكان حدّهما الرجم، فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما، فبعثوا الزانيين[٥] إلى بني قريظة ليسألوا محمّدًا عليه السلام[٦] عن قضائه في الزانيين إذا أُحصنا[٧] ما حدّهما، وقالوا:[٨] إن[٩] أفتاكم بالجَلْد فخذوه واجلِدوا الزانيين، وإن أفتاكم بالرجم فلا تعملوا به. فذلك قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾، يعني الجلد، ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوا واعملوا به،[١٠] ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾، يعني الجلد، ﴿فَٱحْذَرُوا﴾ أن تعملوا بغير الجلد.[١١]

هذا لفظ **الوسيط**.

قوله: (﴿هَٰذَا﴾ **المحرَّفَ**)[١٢] وهو الجلد، لأنّهم أزالوه عن موضعه ووضعوه موضعَ الرجم وحذفوا الرجم، فالجلدُ هو المحرّف المُزال عن موضعه، والجلد[١٣]

---

١ د: عليه السلام.
٢ د: عليه السلام.
٣ ن - والقوم الآخرون.
٤ ن: أنه.
٥ ن: الروايتين؛ ر: الربانيين.
٦ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٧ ر: حصنا.
٨ ن: قالوا.
٩ ر: إذا.
١٠ ن ر - فذلك قوله: إن أوتيتم هذا يعني الجلد فخذوه فأقبلوا وأعلموا به.
١١ ن: الرحم. | **الوسيط** للواحدي، ٢/١٨٦-١٨٧ (المائدة، ٥/٤١).
١٢ ن: المخوف.
١٣ ن ر: والرجم.

....

هو الذي حُرِّف مِن بعد مواضعه، فإنّ تحريفهم على نوعين كما مرّ. فلذلك قال المصنّف: إن أوتيتم هذا المحرَّف المُزال عن مواضعه فخذوه.

واعلم أنّ هذه **الحاشية** فاسدة؛ فإنّه لم يمرّ في هذا الكتاب أنّ التحريف على نوعين فلا يستقيم قوله: "كما مرّ".[١] ثمّ إنّ هذه[٢] **الحاشية** لا تُناسب لفظ **الكشّاف** ولا مراد صاحب **الكشّاف**، فإنّه يجعل المحرَّف عن مواضعه والمحرَّف مِن بعد مواضعه شيئًا واحدًا، كما لا يخفى على المتأمّل في كلامه في هذا الموضع، ويؤيّد ما ذكرناه[٣] كلامه في سورة النساء في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء ٤/٤٦]، حيث قال:

> يميلونه عنها ويزيلونه لأنّهم إذا بدّلوه ووضعوا[٤] مكانه كلِمًا غيره، فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى[٥] فيها وأزالوه عنها، وذلك نحو تحريفهم "أسمر ربعة" عن موضعه في **التوراة** بوضعهم "آدم طُوال" مكانه، ونحو تحريفهم[٦] "الرجم" بوضع "الحدّ" بدله. فإن قلتَ: كيف قيل ههنا: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وفي المائدة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾؛ قلتُ: أمّا ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[٧] فعلى ما فسرنا مِن إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله[٨] وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم مِن إبدال غيره مكانه، وأمّا ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ فالمعنى أنّه كانت له مواضعُ هو قمِن[٩] بأن يكون فيها فحين[١٠] حرَّفوه تركوه كالغريب الذي لا موضعَ له بعد مواضعه ومقارّه. والمعنيان متقاربان.[١١]

جميع ذلك لفظ **الكشّاف** في سورة النساء، وهذا يدل على أنّ المحرَّف عن مواضعه وبعد مواضعه شيءٌ واحد لا يختلف إلّا بالاعتبار، فباعتبار[١٢]

---

١ يعني قول الجاربردي آنفًا.

٢ ن ر – هذه.

٣ ن: ذكرنا.

٤ ن ر: ووضعوه.

٥ د ر – تعالى.

٦ ن ر – "أسمر ربعة" عن موضعه في **التوراة** بوضعهم "آدم طوال" مكانه ونحو تحريفهم.

٧ ن ر – وفي سورة المائدة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ قلت: أمّا ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾.

٨ ن – تعالى.

٩ ر – قمن.

١٠ ر: فإن.

١١ **الكشّاف** للزمخشري، (النساء، ٤/٤٦).

١٢ ر: فباعتباراته.

المزالَ عن مواضعه ﴿فَخُذُوهُ﴾ واعلموا أنه الحقُّ واعملوا به.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وأفتاكم محمدٌ بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ وإيَّاكم وإيَّاه فهو الباطل والضَّلال.

أنّه[1] إذا حُرِّف أزيلَ عن موضعه[2] قيل: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، وباعتبار أنّه صار كالغريب الذي لا موضعَ[3] له قيل:[4] ﴿مِنۢ بَعْدِ/ مَوَاضِعِهِۦ﴾. وهذان الاعتباران صادقان في التحريف[5] سواء جُعل المحرَّف عبارة عن الجلد أو عن الرجم، فلذلك جعل المصنّف في سورة النساء المحرَّفَ المُزالَ عن مواضعه عبارة عن الرجم، وههنا جعله عبارةً عن الجلد، فقال: (﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ **المحرَّف المُزال عن موضعه**)، ففسّره بقوله: "عن موضعه"، وإن كان المذكور[6] ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ إشارةً إلى أنّ صلة التحريف محذوفةٌ[7] هنا، وإشارةً إلى أنّ الاعتبارين متحقِّقان في التحريف، فالله تعالى[8] ذكر الاعتبار الأوّل في سورة النساء وترك الاعتبار الثاني وفي هذه السورة بالعكس تعييرًا لليهود ونعيًا عليهم بلزوم الاعتبارين عليهم بطريق الاختصار بحذف واحد من الاعتبارين في كلا الموضعين. والمصنّف أشار في كلّ واحد مِن الموضعين إلى أنّ الاعتبارين متحقّقان فيه. [٣٣٧و]

واعلم أنّ إزالة الحكم عن موضعه تارة تتحقَّق بأن يزال عن موضعه ويُوضَع في مواضعَ[9] آخرَ كما فعلوا بالجلد، وتارة بأن يزال عن مواضعه ويترك رأسًا فلا يوضَع في موضع آخرَ كما فعلوا بالرجم وبقوله: "أسمر[10] ربعة". فقوله:[11] (**وإيّاكم**) أي: اتّقوا أنفسكم أن تتعرَّض لذلك الحكم. (**وإيّاه**) أي:

---

١ ر – إنه.
٢ ن – له.
٣ ر – قيل: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وباعتبار أنّه صار كالغريب الذي لا موضع.
٤ ن – ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ وباعتبار أنّه صار كالغريب الذي لا موضع له قيل.
٥ ن: التحرير.
٦ ن ر + ههنا.
٧ ن – محذوفة؛ ر: محذوف.
٨ ن: سبحانه.
٩ ر: موضع.
١٠ ن ر: اسم.
١١ ر: قوله. | في هامش د: قوله. خ [اختصارًا من "نسخة"].

وروي: أن شريفًا من خَيْبر زنى بشريفةٍ وهما محصَنان، وحدُّهما الرجم في التوراة، فكرهوا رجمَهما لشرفهما، فبعثوا رَهْطًا منهم إلى بني قريظةَ ليسألوا رسولَ الله عن ذلك، وقالوا: إن أمرَكم محمدٌ بالجَلد والتحمِيم فاقبلوا، وإنْ أمرَكم بالرَّجْم فلا تقبلوا، وأرسلوا الزانيين معهم، فأمَرَهم بالرَّجْم فأبَوْا أن يأخذوا به، فقال له جبريل: اجعَل بينك وبينهم ابنَ صُوريَا، فقال: «هل تعرفون شابًّا أمْردَ أبيضَ أعورَ يسكن فَدَك يقال له: ابن صوريا» قالوا: نعم، وهو أعلم يهوديّ على وجه الأرض، ورضُوا به حَكَمًا، فقال له رسول الله: «أَنْشُدُكَ الله الذي لا إلهَ إلَّا هو، الذي فلَق البحر لموسى، ورفع فوقكم الطورَ، وأنجاكم وأغرق آل فرعون، والذي أَنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه، هل تجدون فيه الرَّجْم على مَن أُحْصِن» قال: نعم، فوثب عليه سَفِلةُ اليهود، فقال: خِفتُ إن كَذَبْتُهُ أن ينزل علينا العذاب، ثم سأل رسولَ الله عن أشياء كان يعرفُها من أعلامه،

اتّقوا ذلك الحكم أن يتعرَّضكم ويلزمكم. فقوله: "وإيّاكم" عطف على ﴿فَٱحۡذَرُواْ﴾. فقوله: "وإيّاكم[١] وإيّاه" مثل "إيّاك والأسدَ".

قوله: **(وهما محصنان)**،[٢] أي: لم يكونا بكرين، يعني ذوا[٣] زوجين، لا[٤] الإحصان المطلق.

قوله: **(والتحميم)** هو تسويد الوجه بالفحم.

قوله:[٥] **(فقال له)** فاء فصيحة.

قوله: **(مِن أعلامه)** أي: مِن علامات النبيّ عليه[٦] السلام.

---

[١] ر - عطف على فاحذروا فقوله: وإيّاكم.

[٢] ر: مختصان.

[٣] ن ر: ذوي.

[٤] ن ر - لا.

[٥] ر + في التحريف فالله تعالى ذكر الاعتبار الأول في سورة النساء وترك الاعتبار الثاني وفي هذه السورة بالعكس تعييرًا لليهود ونعيًا عليهم بلزوم الاعتبارين عليهم بطريق الاختصار بحذف واحد مِن الاعتبارين في كلا الموضعين. والمصنّف أشار في كلّ واحد مِن الموضعين إلى أنّ الاعتبارين متحقِّقان فيه. واعلم أنّ إزالة الحكم عن موضعه تارة تتحقَّق بأن يُزال عن موضعه ويوضَع في مواضع آخر كما فعلوا بالجلد، وتارة بأن يزال عن مواضعه ويُترك رأسًا فلا يوضَع في موضع آخر. | وهذه الزيادة تكرار لِما مرّ آنفًا.

[٦] ن + الصلاة و.

فقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله النبيُّ الأمي العربي الذي بَشَّرَ به المرسلون. وأمر رسولُ الله بالزانيين فرُجما عند باب مسجده.

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: تَرْكَه مفتونًا وخِذْلانَهُ.

﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾: فلن تستطيع له من لطفِ الله وتوفيقه شيئًا.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾: لم يُرِدْ أن يَمْنَحهم من ألطافه ما يُطَهِّرُ به قلوبهم؛ لأنهم ليسوا من أهلها؛ لعِلْمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النحل ١٦/١٠٤]، ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [آل عمران ٣/٨٦].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

"السحت": كلُّ ما لا يَحِلُّ كسبُه، وهو مِن "سحَتَه": إذا استأصَله؛ ....

قوله: (**فرُجما**) الحنفيّة تشترط الإسلام،[1] وتقول: إنّما رجمهما على شريعة موسى.[2] وهذا ضعيف؛ لأنّه لو[3] لم يجُز في شريعتنا فكيف كان يرجُم بخلاف الشريعة؟

قوله: (**ترْكَه مفتونًا**) فسّر المصنّف قوله: ﴿**فِتْنَتَهُۥ**﴾ بقوله: "**ترْكَه مفتونًا**" وبقوله: (**خِذلانَه**)، إذ لا يجوز عنده أن يقال: "**أراد الله فتنته**"، فكان المعنى: إنّ الشيطان فتنَه وتركَه الله تعالى مفتونًا وخذله، وأمّا أهل السنّة فيحملونه على ظاهره.[4]

قوله:[5] (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل ١٦/١٠٤]) الآية الآيتان للاستشهاد.

---

[1] انظر: **بدائع الصنائع** للكاساني، ٧/٣٣.

[2] ن + عليه السلام.

[3] ر: لم.

[4] انظر تفصيله في **الإرشاد** للجويني، ص ٢١٠-٢١٤.

[5] ن - **قوله**.

لأنه مَسْحوت البركة؛ كما قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة ٢/٢٧٦] والربا بابٌ منه.

وقرئ: ﴿السُّحت﴾ بالتخفيف والتثقيل، و: "السَّحْت" بفتح السين على لفظِ المصدر مِن "سحَتَه"، و: "السَّحَت" بفتحتين، و: "السِّحْتُ" بكسر السين.

وكانوا يأخذون الرُّشَا على الأحكام وتحليلِ الحرام.

وعن الحسن: كان الحاكمُ في بني إسرائيل إذا أتاه أحدُهم برشوة جعلها في كمِّه فأراها إياه وتكلَّم بحاجته، فيسمعُ منه ولا ينظرُ إلى خصمه، فيأكلُ الرشوةَ ويَسمع الكذب.

وحُكيَ أن عاملًا قَدِم من عمله فجاءه قومُه، فقدَّم إليهم العُراضَة وجَعل يُحدِّثهم بما جَرَى له في عمله، فقال أعرابيٌّ من القوم: نحن كما قال الله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾.

وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «كلُّ لحمٍ أنْبتَه السُّحتُ فالنارُ أولى به».

قيل: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيَّرًا -إذا تحاكَمَ إليه أهل الكتاب- بين أن يحكمَ بينهم وبين أن لا يحكمَ.

وعن عطاء والنخعيِّ والشعبيِّ: أنهم إذا ارتفعوا إلى حُكام المسلمين فإن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا أعْرضوا.

وقيل: هو منسوخٌ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة ٥/٤٩].

قوله: **(مسحوت)** "فَعَل، فَعْل، فِعْل، فُعْل"[١] يجيء[٢] بمعنى "مفعول"، نحو[٣] "نَفَض، وصَيْد، وذِبْح، وخُبْز"، بمعنى: "منفوض، ومَصيد، ومذبوح، ومخبوز".[٤]

قوله: **(بالتخفيف والتثقيل)** أي: بالسكون والحركة.

قوله: **(العُراضة)** هي: هدية القادم من سفره.

---

١ ن – فعل.

٢ ن ر: يجر.

٣ ر – نحو.

٤ ن – ومخبوز.

وعند أبي حنيفة رحمه الله: إن احتكَموا إلينا حُمِلوا على حُكم الإسلام، وإن زنَى منهم رجل بمسلمةٍ أو سرق من مُسلمٍ شيئًا أُقيم عليه الحدُّ.

وأما أهلُ الحجاز فإنهم لا يَرَون إقامةَ الحدود عليهم، يذهبون إلى أنهم قد صُولِحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود، ويقولون: إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم رَجَم اليهوديَّين قبل نزول الجزية.

﴿فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾؛ لأَنّهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلَّا لطلبِ الأَيْسر والأهونِ عليهم كالجلد مكانَ الرجم، فإذا أَعرض عنهم وأبى الحكومةَ لهم شَقَّ عليهم وتكرَّهوا إعراضَه عنهم، وكانوا خُلَقاءَ بأن يُعادُوه ويُضارُّوهُ، فآمَنَ اللهُ سِرْبَه.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعَدْل والاحتياط كما حَكَم بالرَّجم.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ تعجيبٌ من تحكيمِهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه،

قوله: **(يذهبون)** هو كالتعليل لقوله: **(لا يَرَون)** فلذلك لم يأتِ بالواو، أو[1] جوابُ سؤال.

قوله: **(وهو أعظم)** أي: الصلح على الشِّرك أعظم مِن ترك الحدود.

قوله: **(لأنَّهم)** علّة بمحذوف، أي: إنّما قال تعالى: ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ﴾[2] لأنَّهم.[3]

قوله: **(سِرْبَه)** "فلان آمن في سِربه" بالكسر، أي: في نفسه.

قوله: **(تعجيبٌ)** التعجيب متعلِّق بهذا المجموع وهو تحكيمهم ثمّ إعراضهم؛ لأنَّهم لمّا حكَّموه بما هو في كتابهم ثمّ وجدوا حكمه موافقًا لكتابهم كان[4] الحقّ أن يقبلوا حكمه ولا يُعرضوا / عنه، فإذا لم يفعلوا ذلك كان [٢٣٧ظ] موضع تعجّب وظهر أنّهم غيرُ مؤمنين.

---

[1] ن: و.
[2] ر + قوله تعالى: ﴿فَلَن يَضُرُّوكَ﴾.
[3] ر – لأنهم.
[4] ن: فإن.

مع أن الحكم منصوصٌ في كتابهم الذي يدَّعون الإيمانَ به.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: ثم يُعرِضون من بعدِ تحكيمك عن حُكمِك الموافقِ لِمَا في كتابهم لا يرضَوْن به.

﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بكتابهم كما يدَّعون، أو: وما أولئك بالكاملين في الإيمان، على سبيل التهكُّم بهم.

فإن قلتَ: ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ ما موضعُه من الإعراب؟

قلتُ: إما أن ينتصِبَ حالًا من ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وهي مبتدأٌ خبرُه ﴿عندَهُم﴾.

وإما أن يرتفع خبرًا عنها؛ كقولك: وعندهم التوراةُ ناطقةٌ بحُكْم الله.

وإمَّا أن لا يكون له محلٌّ، وتكونَ جملةً مبيِّنةً؛ لأنَّ عندهم ....

قوله: (**الذي[1] يدّعون**) بدل مِن "الكتاب" أو صفته.

قوله: (**لا يرضَون**) هذه الجملة بيان لقوله: (**يُعرِضون**).

قوله: (**حالًا مِن ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾**) إنّما جعله حالًا مِن ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾[2] مع أنّه مبتدأ؛ لأنّه في معنى الفاعل، كأنّه قيل: ثبت **التوراة** عندهم. وإنّما لم يجعله حالًا مِن الضمير المستتر في ﴿عِندَهُمُ﴾ على أن يكون العامل "عند"؛ لأنّه يلزم منه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبيّ وهو المبتدأ. ثم اعلم أنّه مِن الأحوال المتداخلة؛ لأنّ ﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾[3] حال مِن الواو في ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾.

قوله: (خبره ﴿عِندَهُمُ﴾) وهو مقدّم على المبتدأ، تقديره: وعندهم **التوراة** ناطقة بحكم الله تعالى.

قوله: (مبيّنة **لأنّ عندهم**... **إلى آخره**)[4] والصواب أن يقال:[5] هي جملة مبيّنة لعدم إيمانهم بكتابهم على جهة التوطئة والتمهيد، وذلك **لأنّه** لو لم يكن الحكم الذي حكموه فيه مذكورًا في كتابهم ثمّ أعرضوا عنه وتولّوا ولم يقبلوا حكمه

---

١ د: الذين.

٢ ر - إنّما جعله حالًا من التوراة.

٣ ر - التوراة.

٤ د - إلى آخره.

٥ د - أن يقال.

ما يُغنيهم عن التحكيم؛ كما تقول: "عندك زيدٌ ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنعُ بغيره؟".

فإن قلتَ: لم أُنِّثت ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾؟

قلتُ: لكونها نظيرةً لِـ"مَومَاةٍ" و"دَوْداةٍ" ونحوها في كلام العرب.

ما كان ذلك دالًا على عدم إيمانهم بكتابهم، وإذا كان في كتابهم ولم يقبلوه[١] عُلم عدم إيمانهم بكتابهم، ويظهر لك مِن هذا أنّ المثال الذي ذكره غير صواب ولا مناسب؛ بل المثال المناسب لهذا المقام أن نقول: زيد ينصحك ويشير[٢] عليك بما تعرف أنّه صواب، فكيف تستشيره ثمّ تخالفه فيما يُشير به عليك مِن الصواب، وإذا فعلتَ[٣] ذلك فإنّك لا تعلم أنّ ما[٤] يشير به عليك الصواب، ودعواك أنّك تعلم أنّ ما يشير به عليك هو الصواب باطل، فظهر بطلان زعمك. ثمّ اعلم أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾... إلخ،[٥] كالتقوية والإرداف لِما تقدّم، أي: كان الأنبياء المتقدّمون والربانيّون والأحبار يحكمون **بالتوراة** لليهود، فما لكم تُعرضون عن حكم النبيّ محمّد[٦] عليه السلام[٧] بما **يُوافق التوراة**. وهذا المعنى سنح لنا، وأرجو أن يكون صوابًا بفضل الله تعالى ومنّه وتوفيقه.[٨]

قوله: "لأنّ عندهم" متعلِّق بقوله: "مبيّنة"، أي: مبيّنة لهذا المعنى وهو أنّ عندهم ما يُغنيهم.

قوله: (**فما تصنع؟**) قيل في "فما تصنع": الصواب[٩] بغير فاء.

قوله: (**لِمَ أُنِّثت ﴿ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾**) إذ ليست بعربيّة.

قوله: (**لـ"موماة"**) الموماة: المفازة. و"الدوداة": أرجوحة الصبيّ، أي: هي بمنزلة المَوماة في الوزن وتاء التأنيث.

---

[١] ر: يقبلوا.
[٢] ر: ويستر.
[٣] ن: فعلنا.
[٤] ن - ما.
[٥] ن: الآية.
[٦] ن - محمد.
[٧] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
[٨] د - وتوفيقه.
[٩] ر - الصواب.

فإن قلتَ: علامَ عُطف ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾؟

قلتُ: على ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾

﴿فِيهَا هُدٗى﴾ يهدي للحقِّ والعَدل ﴿وَنُورٞ﴾ يبيّن ما استَبْهَم من الأحكام.

﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ صِفةٌ أجريَت على "النبيّين" على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سُبحانه، لا للتَّفْصِلة والتوضيح، وأريدَ بإجرائها التعريضُ باليهود وأنّهم بُعَداءُ من ملَّة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلِّهم في القديم والحديث، وأن اليهوديَّة بمَعْزلٍ منها، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ منادٍ على ذلك.

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾: والزهَّاد والعلماء من ولدِ هارون الذين الْتَزَموا طريقةَ النبيّين وجانَبوا دينَ اليهود.

﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: بما سَألَهَم أنبياؤهم حِفْظَهُ من التوراة؛ أي: بسبب سؤال أنبيائهم إيَّاهم ....

قوله: **(تهدي)** و**(تُبيّن)** الصواب فيهما التاء لعود الضمير فيهما إلى ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾، وأمّا بالياء فلاعتبار أنّه كتاب.

قوله: **(وأنّهم)**[١] عطف على (التعريض) أي: وبيان أنّهم.

قوله: **(في القديم)** أي: في الزمان القديم والحديث.

قوله: **(بما سألهم)** أي: سأل الربّانيين والأحبار.

قوله: **(بسبب سؤال أنبيائهم)** اعلم أنّ قوله: بسبب سؤال أنبيائهم.[٢] وقوله: "مِن للتبيين" مشكِل؛ لأنّه إذا كان المراد ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ﴾ هو **التوراة** يئول المعنى

---

١ ر: وأنه.

٢ ن – اعلم أنّ قوله: بسبب سؤال أنبيائهم.

أن يحفظوه من التغيير والتبديل، و﴿مِن﴾ في ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ للتبيين.

﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾: رقباءَ لئلا يُبدَّل، والمعنى: ﴿يَحْكُمُ﴾ بأحكام التوراةِ ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ بين موسى وعيسى -وكان بينهما ألفُ نبيّ- ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ يحملونهم على أحكام التوراة لا يتركونهم أن يَعْدِلوا عنها؛ كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مِن حَمْلهم على حكم الرَّجم، وإرغام أُنوفهم، وإبائهِ عليهم

إلى قولك: "يحكم **بالتوراة** هؤلاء بسبب **التوراة**"، وهذا المعنى غيرُ مستقيم. والوجهُ عندي أنّ المعنى إنّما يستقيم: إمّا بأن[1] يقال: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ بدل مِن ﴿بِهَا﴾ و﴿مَا﴾ بمعنى "الذي"، و﴿مِن﴾ للبيان والفائدة في هذا الإبدال أنّهم / استحفظوا **التوراة**؛ وإمّا بأن يقال: الباء للسببية و﴿مَا﴾ مصدريّة و﴿مِن﴾ للابتداء [٣٣٨و]
متعلِّق بـ﴿ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ أو[2] زائدة في الإيجاب، والمعنى "يحكمون **بالتوراة** بسبب استحفاظهم **التوراة**"، فيستقيم المعنى ويظهر بتوفيق الله تعالى ومنّه.

قوله: **(أن يحفظوه)** لمّا كان ﴿مَا﴾ موصولة و﴿مِن﴾ للبيان فسّره أوّلًا بأنّ ظاهر المعنى: بما سألهم أنبياؤهم حفظَه مِن **التوراة**، ثمّ أشار إلى ما يئول إليه المعنى وهو أنّهم حكموا بها[3] بسبب سؤال أنبيائهم أن يحفظوه. واعلم أنّ هذا معنى[4] صحيح لا يرِد عليه اعتراض المكتوب مِن الجانب الآخر، والمعنى الذي كتبناه بعد الاعتراض صحيحٌ أيضًا.

قوله: **(﴿وَكَانُواْ﴾)** أي: الربّانيّون والأحبار المسلمون.[5]

قوله: **(والمعنى)** مِن قوله: **(﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾)**... إلخ.

قوله: **(وعيسى)** ليس في أكثر **النُّسخ**، وعلى تقدير ثبوته[6] فمعناه: ويحكم عيسى[7] أيضًا **بالتوراة**.

---

١ ن ر: أن.
٢ د - للابتداء متعلّق بـ﴿ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ أو.
٣ ن: أنها.
٤ ن ر: المعنى.
٥ ر: والمسلمون.
٦ ن ر - ثبوته.
٧ ن ر - عيسى.

ما اشتهَوْه من الجَلد، وكذلك حَكَمَ الربانيُّون والأحبار المسلمون بسبب ما استَحْفَظهم أنبياؤُهم من كتاب الله والقضاءِ بأحكامه، وبسبب كونهم عليه شهداء.

ويجوز أن يكون الضميرُ في ﴿ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ للأنبياء والربانيين والأحبار جميعًا، ويكون الاستحفاظ من الله؛ أي: كلَّفهم الله حفظَه وأن يكونوا عليه شهداءَ.

﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ نهيٌ للحكام عن خشيتهم غيرَ الله في حُكوماتهم، وإِدْهانهم فيها، وإمضائها على خلافِ ما أُمروا به من العَدْل؛ لخشية سلطانٍ ظالمٍ، أو خيفةِ أَذِيَّةِ أحدٍ من القُرَباء والأَصْدقاء.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾: ولا تستبدِلوا ولا تَسْتَعِيضُوا بآيات الله وأحكامه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وهو الرُّشوة، وابتغاءُ الجاهِ ورضا الناسِ؛ كما حرَّف أحبارُ اليهود كتابَ الله وغَيَّروا أحكامه رَغبةً في الدنيا وطلبًا للرياسة فهلكوا.

قوله: (**وبسبب كونهم**) ولمّا كان معنى قوله: ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾: وبسبب كونهم عليه شهداء، ولم يُبيِّن ذلك حيث بيَّن ما يئول إليه معنى ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ بيّنه هنا، وقال: (**وبسبب كونهم عليه شهداء**).

قوله: "كونهم"، أي:[1] الربّانيّون والأحبار المسلمون.

قوله: (**ويجوز أن يكون الضمير**) فعلى الأوّل الضمير في "ما استحفظوا" للربّانيّين والأحبار[2] والمستحفظون الأنبياء،[3] وعلى هذا الوجه الضمير للأنبياء والربّانيّين والأحبار والمستحفِظ هو الله تعالى.

قوله: (**وإدهانهم**) المداهَنة: كالمصانعة، والإدهان مثله.

قوله: (**لخشية**)[4] تنازع فيه قوله: "إدهانهم" و(**إمضائهم**).

قوله: (**ولا تستعيضوا**) استعاض: طلب العِوَض.

---

[1] ن ر: و.

[2] ر – المسلمون قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) فعلى الأوّل الضمير في "ما استحفظوا" للربّانيّين والأحبار.

[3] ن: للأنبياء.

[4] ن: تحسينه.

﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مستهينًا به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ و﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾: وَصْفٌ لهم بالعتوِّ في كفرهم حين ظلموا آياتِ الله بالاستهانة، وتمرَّدوا بأنْ حكَموا بغيرها.

وعن ابن عباس: أن الكافرين والظالمين والفاسقين: أهلُ الكتاب.

وعنه: نِعْمَ القومُ أنتم، ما كان من حُلْوٍ فلكم وما كان من مُرٍّ فهو لأهل الكتاب، مَن جَحَد حُكمَ الله كفرَ، ومَن لم يحكم به وهو مُقِرٌّ فهو ظالم فاسقٌ.

وعن الشعبيِّ: هذه في أهل الإسلام، والظالمون في اليهود، والفاسقون في النَّصارى.

قوله: (**مستهينًا**) إنّما قيَّد بقوله: "مستهينًا" لأنّ الاستهانة بما أنزل الله تعالى موجِب للكفر لا مجرَّد ترك الحكم، فإنّ تَرْكَ الحكم به معصية والمعصيةُ لا توجِب.[1]

قوله: (و﴿**ٱلظَّٰلِمُونَ**﴾ و﴿**ٱلۡفَٰسِقُونَ**﴾) يجيئان في آيتين عن قريب. وقوله: "والظالمون" مبتدأ "والفاسقون" عطف خبرُه "وصفٌ"، وفيه[2] لفٌّ ونشر. ويريد بهذا الكلام أنّ المراد بالظالمين والفاسقين هؤلاء الكفرة، لكن حكم عليهم بالعتوّ والتمرُّد بعد الحكم عليهم بكفرهم.

قوله: (**وعن الشعبيّ: هذه**) أي: الكافرون. واعلم أنّ ما قاله الشعبيّ وجه حَسَن لأنّ الخطاب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾ مع المسلمين، فيُناسب أن يكون قوله تعالى بعده: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ في حقّ المسلمين، ثمّ إنّ قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ معناه: كتبنا على اليهود إلى آخر ما ذكر، فوجب[3] أن يكون المراد بالظالمين اليهود أيضًا. وقوله: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ﴾ في حقّ النصارى، فيكون المراد بالفاسقين النصارى أيضًا.

---

[1] ن + للكفر؛ ر + الكفر.
[2] ن ر: فيه.
[3] ن: يوجب؛ ر: فموجب.

وعن ابن مسعود: هو عام في اليهود وغيرهم.

وعن حُذَيْفة: أنتم أشبهُ الأمم سَمْتًا ببني إسرائيل:، لَتركبُنَّ طريقَهم حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل والقُذَّةِ بالقُذَّةِ، غيرَ أني لا أدري أتعبدون العِجْلَ أم لا.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

في مصحف أبيّ: "وأنزل الله على بني إسرائيل فيها" وفيه: "وأنَّ الجروحَ قصاص".

والمعطوفاتُ كلُّها قُرئت منصوبةً ومرفوعةً، والرفعُ للعطف على محلِّ ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾؛ لأنّ المعنى: "وكتَبْنا عليهم النفسُ بالنفس" إمّا لإجراءِ ﴿كتَبْنا﴾

قوله:[1] (وعن ابن[2] مسعود: هو) أي: الكافرون، أو كلّ واحد.

قوله: (وعن حذيفة)[3] ما روي عن حذيفة[4] يؤيّد قول ابن مسعود.[5]

قوله: (بالقُذّة) «القُذّة بالقُذّة»،[6] و«الماء[7] بالماء»،[8] و«التمر بالتمر»،[9] هذه أمثال تضرب في إفراط الشَّبَه.

قوله: ("وَأَنْزَلَ اللهُ")،[10] أي: بدل ومكان[11] ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾: "وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَني إسرَائيلَ فيها"، وفي مصحف / أبيّ أيضًا: "وَأَنَّ الجُرُوحَ قِصَاصٌ".[12] [٣٣٨ظ]

قوله: (لأنّ المعنى) إشارة إلى أنّ محلّ ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ رفعٌ، وإنّما احتاج إلى هذه المعذرة لأنّه إنّما يعطف على محلّ اسم "إنّ" المكسورة دون المفتوحة.

---

١ ر + قال.

٢ ن ر - وعن ابن.

٣ ن ر + حذيفة.

٤ ر: الماء.

٥ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٤٥٩/٨ (المائدة، ٤٤/٤).

٦ **مجمع الأمثال** للميداني، ١٩٥/١.

٧ ن - حذيفة.

٨ **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٩٠/١.

٩ انظر: **نثر الدرّ** للآبي، ١٦٦/٦.

١٠ ما وقفتُ عليها فيما بين يديّ من المظانّ.

١١ ر: مكان.

١٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه. **المغني في القراءات** للنُّوْزاوازي، ص ٧١٦.

مُجرى "قُلْنا"، وإمَّا لأن معنى الجملة التي هي قولك: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءةُ، تقول: "كتبتُ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾" و: "قرأتُ ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَـٰهَا﴾"، ولذلك قال الزجَّاج: لو قرئ: "إن النفس" بالكسر لكان صحيحًا.

أو للاستئناف، والمعنى: فرَضْنا عليهم فيها أنَّ النفس مأخوذةٌ بالنفس مقتولةٌ بها إذا قَتَلَتْها بغير حقٍّ، وكذلك: العينُ مَفْقُوءَةٌ بالعين، والأنفُ مَجدُوعٌ بالأنف، والأذنُ مَصْلومةٌ بالأُذن، والسنُّ مقلوعةٌ بالسنِّ.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾: ذاتُ قصاصٍ وهو المُقاصَّةُ، ومعناه: ما يمكنُ فيه القصاصُ وتُعرَف المساواة، وعن ابن عباس: كانوا لا يقتلون الرجُلَ بالمرأة فنزلت.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ﴾ من أصحاب الحقِّ ﴿بِهِۦ﴾: بالقصاص وعفا عنه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: فالتصدُّق به كفَّارةٌ للمتصدِّق يُكفِّر الله من سيِّئاته ما تقتضيه الموازنةُ كسائر طاعاته.

وعن عبد الله بن عمرو: يَهدِم عنه من ذُنُوبه بقدر ما تصدَّق به.

وقيل: فهو كفَّارةٌ للجاني؛ إذا تجاوز عنه صاحبُ الحقِّ سَقَط عنه ما لزمه.

قوله: **(ولذلك)** أي: ولأجل أنّ المعنى "وكتبنا عليهم النفسُ بالنفس" قال الزجّاج.[١] أو لأجل[٢] أنه يقع عليه الكتب.

قوله: **(صحيحًا)** أو يقع عليه الكتابة.

قوله: **(وعفا عنه)** بيان (**﴿تَصَدَّقَ﴾**).

قوله: **(الموازنة)** الموازنة على مذهب المعتزلة.

قوله: **(فهو كفّارة للجاني)** أي: تصدُّق وليّ الدمّ كفّارة للجاني، ثمّ بيّنه بقوله: **(إذا تجاوز)**... إلخ.

قوله: **"فَهُو كَفَّارَتُهُ[٣] لَهُ"،[٤] هو كما تقول: "زيدٌ مالُه له".**

---

[١] **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/١٧٨.

[٢] ر - أو لأجل.

[٣] ن: كفارة.

[٤] ما وقفتُ عليها فيما بين يديّ من المظانّ.

وفي قراءة أبيّ: "فهو كَفَّارته له"، يعني: فالمتصدِّقُ كفارتُه له؛ أي: الكفارةُ التي يَستحقُّها له لا ينقصُ منها، وهو تعظيمٌ لِمَا فعَل كقوله: ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى ٤٢/٤٠] وترغيبٌ في العفو.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

"قَفَّيْتُه" مثلُ: عقَّبتُه، إذا اتَّبعتَه، ثم يقال: قفَّيْتُه بفلان وعقَّبتُه به، فتُعدِّيه إلى الثاني بزيادة الباء.

فإن قلتَ: فأين المفعول الأوَّل في الآية؟

قلتُ: هو محذوفٌ، والظرف الذي هو ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ كالسادِّ مَسدَّه؛

قوله: **(يستحقُّها)** أي: الذي يستحقّ المتصدِّق مِن الكفّارة بسبب العفو يثبت له ويحصل له.

قوله: **(قفيتُه)** قفوتُ أثره قَفْوًا وقُفُوًّا إذا تبعتَه، وقفّيتُ على أثره إذا أتبعتَه إيّاه.[1] هكذا في **الصحاح**، لكن المصنّف أشار إلى أنّه جاء "قفّيت" بمعنى "قفوتُ" متعدٍّ إلى مفعول واحدٍ، فإذا أريدَ تعديتُه إلى الثاني عُدّي بالباء، ومثلُه "عقّب" فإنّه يتعدّى إلى واحد بنفسه وإلى آخر بالباء، قال في **الصحاح**: «عاقَبَه جاء بعقبه فهو معاقب وعقيب، والتعقيب أيضًا مثله».[2] فقول المصنِّف: **(إذا اتّبعتَه)** بتشديد التاء بعد همزة الوصل. ويجوز "تبعته" مِن تبِع[3] يتبع بالكسر.

قوله: **(هو محذوف)** كان الأصل: وقفّيناهم على آثارهم بعيسى بن مريم.

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «قوف».
[2] **الصحاح** للجوهري، «عقب».
[3] ن ر: يتبع.

لأنّه إذا قَفَّى به على أثره فقد قَفَّى به إيَّاه. والضمير في ﴿ءَاثَٰرِهِم﴾ للنبيين في قوله: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾.

وقرأ الحسن: "الأَنْجيل" بفتح الهمزة، فإن صحَّ عنه؛ فلأنه أعجميٌّ خرج لعُجمته عن زِنَاتِ العربيّة كما خرج هابيلُ وآجُرٌّ.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾ عطفٌ على محلِّ ﴿فِيهِ هُدًى﴾ ومحلُّه النصبُ على الحال.

﴿وَهُدًى وَمَوۡعِظَةً﴾ يجوز أن ينتصبا على الحال، كقوله: ﴿مصدِّقًا﴾، وأن ينتصبا مفعولًا لهما كقوله: ﴿ولِيَحۡكُمَ﴾؛ كأنّه قيل: وللهدى والموعظة آتيناه الإنجيلَ وللحُكْم بما أنزل الله فيه من الأحكام.

فإن قلتَ: فإن نظَمْتَ ﴿هدًى وموعظةً﴾ في سلك ﴿مصدِّقًا﴾ فما تصنعُ بقوله ﴿ولِيَحۡكُمَ﴾؟

قوله: (**لأنّه إذا قفّى**) هذا تحقيق لسدّ الظرف مَسدَّه.

قوله: (خرج) صفة (**أعجميّ**).

قوله: (**﴿وَمَوۡعِظَةً﴾ يجوز أن ينتصبا**) أي: يجوز أن ينتصبا على الحال لأنّ ما تقدّمهما[1] مِن قبله ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال، ويجوز أن ينتصبا مفعولًا لهما، لأنّ ما تأخرهما مِن قوله: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ﴾ مفعول له، وإنّما حذف اللام منهما لأنّهما فعلان لفاعل الفعل المعلَّل لا مِن ﴿لِّيَحۡكُمۡ﴾ إذ ليس كذلك.

قوله: (**﴿ولِيَحۡكُم﴾**) بكسر اللام وفتح الميم مِن القراءات السبعة، وكذا بسكون الميم.[2] وأمّا "أَنْ لِيَحْكُمْ" فشاذّ.[3]

قوله: (**آتيناه الإنجيل**) إنّما احتاج إلى هذا التقدير لأنّه لا يجوز أن[4] يكون مفعولًا له لقوله متقدّمًا: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ﴾ لتخلّل الواو بينهما، فلا بدّ مِن تقدير الفعل بعد الواو.

---

١ ر: تقدمها.

٢ قرأ حمزة بكسر اللام ونصب الميم وقرأ الباقون بإسكان اللام. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٥٤.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٧١٧.

٤ ن ر - يجوز أن.

قلت: أصنعُ به ما صنعتُ بـ﴿هدًى وموعظةً﴾ حين جعلتُهما مفعولًا لهما، فأقدِّر: ولِيَحْكُمَ أهل الإنجيل بما أنزل الله آتيناه إيَّاه.

وقرئ: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ على لفظ الأمر، على معنى: "وقلنا: ليحكُمْ".

وروي في قراءة أبيّ: "وأَنْ لِيَحْكُمْ" بزيادة "أَنْ" مع الأمر على أنَّ "أنْ" موصولة بالأمر؛ كقولك: "أمرته بأَنْ قُمْ" كأنَّه قيل: وآتيناه الإنجيلَ وأمَرْنا بأنْ يَحكم أهل الإنجيل.

وقيل: إن عيسى عليه السلام كان متعبَّدًا بما في التوراة من الأحكام؛ لأن الإنجيل مواعظُ وزواجر، والأحكامُ فيه قليلة.

وظاهرُ قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ يَرُدُّ ذلك، وكذلك قوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وإن ساغ لقائل أن يقول: معناه: وليَحْكُموا بما أنزل الله فيه من إيجاب العمل بأحكام التوراة.

قوله: (**وقرئ: ﴿وَلْيَحْكُمْ﴾**) بسكون اللام والميم فيكون عطفًا على قوله: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾ بتقدير "قلنا"، كما أشار إليه.

قوله: (**موصولةٌ**) أراد بالموصول ما لا يتمّ إلّا بما بعده فهي مصدريّة، نحو[1] "أريد أن يفعل" و"جاءني الذي عرفتُه".

قوله: (**وإن ساغ لقائل**) أي: جاز لقائل أن يقول: معنى قوله: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾: ليحكموا بما أنزل الله في **الإنجيل** مِن وجوب العمل **بالتوراة** فعلى هذا لا يكون ظاهره منافيًا لما قيل مِن أنّ عيسى عليه السلام[2] كان متعبِّدًا بما في **التوراة** وأيضًا يكون مأمورًا بالأحكام القليلة التي فيه مع تعبّده بما في **التوراة**.

قوله: (**مِن إيجاب العمل**) أي: الأمر[3] فيه باتّباع أحكام **التوراة**.

---

١ ر – مصدرية نحو.
٢ ن: صلوات الله على نبيّنا وعليه؛ ر: صلوات الله عليه.
٣ ر: للأمر.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

فإن قلتَ: أيُّ فرق بين التعريفين في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وقوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

قلتُ: الأول تعريف العهد؛ لأنه عُني به القرآنُ، والثاني تعريف الجنس؛ لأنه عُني به جنسُ الكتب المنزلة، ويجوز أن يقال: هو للعهد؛ لأنه لم يُرَدْ به ما يقع عليه اسمُ الكتاب على الإطلاق، وإنما أريد نوعٌ معلوم منه، وهو ما أُنزل من السماء سوى القرآن.

﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: ورقيبًا على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحّة والثبات.

وقرئ: "ومهيمَنًا عليه" بفتح الميم؛ أي: هُومِنَ عليه بأنْ حُفظ من التغيير والتبديل كما قال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [فصلت ٤١/٤٢] والذي هَيْمَنَ عليه اللهُ عزَّ وجلَّ، ....

قوله: (﴿وَمُهَيْمِنًا﴾) على تقدير كسر الميم في[١] ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ ضمير يعود إلى الكتاب الأوّل، والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود / إلى الكتاب[٢] الثاني، وعلى تقدير [٢٣٩و]
فتحه لا يكون في[٣] ﴿مُهَيْمِنًا﴾ ضمير، والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ يعود إلى الكتاب الأوّل، وأصل "مهيمن": "مؤيمِن"؛[٤] لأنّه مِن الأمانة، قال في الصحاح: المهيمِن: الشاهد، فهو مَن آمن غيرَه مِن الخوف، وأصله أَأْمَن مؤأمن[٥] بهمزتين، قُلبت الهمزة الثانية كراهة اجتماعهما ياء، فصار مؤيمن، ثمّ صُيّرت الأولى[٦] هاء، كما قالوا: أراق الماء وهراقه.

---

١ ر: يكون.
٢ ن ر - الأوّل والضمير في عليه يعود إلى الكتاب.
٣ ر - في.
٤ ن ر - مهيمن مؤيمن.
٥ ن ر: فهو مأمن.
٦ ن + ها.

أو الحُفَّاظُ في كلِّ بلدٍ، ولو حُرِّف حرفٌ منه أو حركةٌ أو سكونٌ لتنبَّه عليه كلُّ أحدٍ، ولاشمأزُّوا رادِّين ومنكِرين.

ضُمِّنَ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ معنى: ولا تَنْحرفْ، فلذلك عُدِّي بـ"عن"؛ كأنه قيل: ولا تنحرِفْ عما جاءك من الحقِّ متبعًا أهواءهم.

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الناس ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة، وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين.

﴿وَمِنْهَاجًا﴾: وطريقًا واضحًا في الدِّين تَجْرُون عليه.

وقيل: هذا دليلٌ على أنَّا غيرُ متعبَّدين بشرائعِ مَن قَبْلَنا.

﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾: جماعةً متَّفقةً على شريعةٍ واحدة، أو: ذوي أمَّةٍ واحدة؛ أي: دينٍ واحد لا اختلافَ فيه.

﴿وَلَٰكِن﴾ أراد ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة: هل تعملون بها مذعِنينَ معتقدين أنها مصالحُ قد اختلفَت على حسَب الأحوال والأوقات مُعْترِفينَ بأن الله لم يقصِد باختلافها إلَّا ما اقتضَتْه الحكمة، أم تتَّبعون الشُّبَه وتفرِّطون في العمل؟

قوله: **(لو حُرِّف)** جملة مبيِّنة لقوله: **(أو الحفّاظ)**.

قوله: **(ولَاشمأزُّوا)** انقبضوا.[١]

قوله: **(وقيل: هذا دليل)** جوابه[٢] أنّ الموافقة في بعض الأحكام لا تستلزم خلاف قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾.

قوله: **(أراد ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾)**، يعني أنّه متعلِّق بمحذوف، كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ﴾ [المائدة ٥/٣٦].

قوله: **(أم تتّبعون)** "أم" هنا منقطعة؛ لأنّ همزة الاستفهام لا بدّ أن تكون مع "أم" المتّصلة.

---

[١] ن ر + وأبلغوا أعناقهم وتهيئوا للاستعداد.

[٢] ن ر: جواب.

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: فابتدِروها وتسابَقوا نحوها.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ استئنافٌ في معنى التعليلِ لاستباق الخيرات.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: فيُخبركم بما لا تشكُّون معه من الجزاء الفاصل بين محقِّكم ومُبطلِكم، وعاملِكم ومفرِّطكم في العمل.

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾

فإن قلتَ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم﴾ معطوفٌ على ماذا؟

قلتُ: على ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ كأنه قيل: وأنزلنا إليك أَنِ احْكم، ....

قوله: **(بما لا تشكّون معه)** الباء في "بما" مثل الباء في قولك: "ضربتُ بالسوط" في أنّها للآلة؛ لأنّه ليس المراد بقوله: "ما لا تشكون فيه" هو[١] المخبَر به؛ لأنّه فسّره بالجزاء الفاصل،[٢] وليس المعنى أنّه يُخبرهم بالجزاء الفاصل بمعنى أن يكون هذا مخبرًا؛ بل المعنى أنه تبيّن بسبب هذا الجزاء الفاصل أنّ المُحِقّ مَن هو والمبطل مَن هو، ثمّ إنّ المصنّف لم يذكر تفسير صلة الباء، أعني: قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾... إلخ، لظهوره، قال الواحدي في **الوسيط**: بما كنتم فيه تختلفون مِن الدِّين والفرائض[٣] والسنن.[٤] والحاصل أنّ قول المصنّف: "بما لا تشكون"... إلخ، إشارة إلى المحذوف المقدّر، وإنّما[٥] لم يذكر تفسير ما هو مذكور في القرآن وهو قوله: ﴿بِمَا كُنتُمۡ﴾، فتأمّل.

قوله: **(كأنّه قيل: وأنزلنا إليك أن احكم)** أي:[٦] كأنّه قيل: "وأنزلنا إليك الحكم"،

---

١ ن - هو.

٢ ر: الفاضل.

٣ ن: الفرائض.

٤ **الوسيط** للواحدي، ٢/١٩٥.

٥ ر: وأنه.

٦ ن: إن.

على أنَّ "أَنْ" وُصلت بالأمر؛ لأنه فِعْلٌ كسائر الأفعال.

ويجوز أن يكون معطوفًا على ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: أنزلناه بالحقِّ وبأَنِ احْكُم.

﴿أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾: أن يُضِلُّوك عنه ويَسْتَزِلُّوك، وذلك: أن كعب بن أَسِيدٍ وعبد الله بن صوريا وشَاسَ بن قيس من أحبار اليهود قالوا: اذهبوا بنا إلى محمد نَفْتِنُه عن دينه، فقالوا له: يا محمد، قد عرفتَ أنَّا أحبارُ اليهود، وأنَّا إن اتَّبعناك اتَّبعَتْنا اليهودُ كُلُّهم ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومةً، فنتحاكمُ إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدِّقك، فأبى ذلك رسول الله، فنزلت.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الحُكم بما أنزل الله إليك وأرادوا غيره.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ يعني: بذنب التولِّي عن حكم الله وإرادةِ خلافه، فوُضع ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ موضعَ ذلك، وأراد أنَّ لهم ذنوبًا جمَّةً كثيرةَ العدد وأنَّ هذا الذنبَ مع عِظَمِه بَعضُها وواحدٌ منها، وهذا الإبهامُ

فيصير عطف[١] الاسم،[٢] لكن لا بدّ أن يعتبر في هذا المعطوف معنى الطلب، لأنّ "أن" المصدريّة إذا دخلت على فعل جَعَله[٣] في معنى المصدر مع اعتبار حال الفعل[٤] مِن الماضي والمضارع والأمر، فكأنّه قيل: وأنزلنا إليك الأمر بالحكم بما أنزل الله تعالى.[٥]

قوله: (**لأنّه فِعلٌ**) فيجوز دخول "أن" المصدريّة عليه كدخولها على سائر الأفعال، فكأنّه قيل:[٦] وأنزلنا[٧] إليك الأمر بالحكم بما أنزل، كما عرفت في ﴿لِيَحْكُمْ﴾ عن قريب.

قوله: (**وبأنِ احكم**) أي: ملتبِسًا بالأمر بالحكم.[٨]

---

[١] ر - الحكم فيصير عطف.
[٢] ر: للاسم.
[٣] ن ر: جوابه.
[٤] ر: الفاعل.
[٥] ن ر - تعالى.
[٦] ر - قيل.
[٧] ن ر: أنزلنا.
[٨] ر + أو يرتبط.

لتعظيم التولِّي واسْتِشْرافهم في ارتكابه، ونحوُ البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد:

أو يَرتبِــطْ بعــضَ النفــوسِ حمامُهـــا

أراد نفسَه، وإنما قصَد تفخيمَ شأنها بهذا الإبهام؛ كأنه قال: نفسًا كبيرةً ونفسًا أيَّ نفسٍ، فكما أن التنكير يُعطي معنى التكبيرِ وهو في معنى البعضيَّة، فكذلك إذا صَرَّحَ بالبعض.

﴿لَفَٰسِقُونَ﴾: لمتمرِّدون في الكفر معتدُون فيه، يعني: أن التولِّيَ عن حكم الله من التمرُّد العظيم والاعتداءِ في الكفر.

قوله:

(أو يرتبــطْ بعــضَ النفــوسِ حِمامُهـــا)[1]

أوّله:

تـــرّاكُ أمكنـــــة إذا لــــم أرضَهـــــا

أي: أنا ترّاك، ونحو البعض في هذا الكلام ما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة ٢٥٣/٢] وأراد محمّدًا عليه السلام،[2] وهذا أفخم له مِن التصريح به. ومعنى البيت: إنّي أترك الأماكن إذا لم أرضَها وكنتُ سالمةَ النفس حيًّا قادرًا على الانتقال. وقوله: "إذا لم أرضها أو يرتبط" يريد به نفي الأمرين جميعًا، لأنّ "أو" في[3] الإثبات يفيد أحد الأمرين، ففي النفي يكون معناه نفي الأمرين لأنّ نقيض الثبوت الجزئيّ[4] النفيُ الكليّ. فقوله: "يرتبط" مجزوم معطوف على "أرضها". وقال بعضهم: "معناه: لأترك / أماكن أكرهها إلّا أن [٣٣٩ظ]
أموت فلا[5] أقدر على الانتقال". وهذا المعنى مثل ما ذكرنا، لكنّا بيّنا وجهَ الجزم في "يرتبط" وتحقيقَ المعنى.

---

١ ن: حماها. | عجز بيت للبيد بن ربيعة العامريّ في ديوانه، ص ٣١٣، وهو له في جامع البيان للطبري، ٦٣٦/٢٠ (الزخرف، ٦٣/٤٠).

٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ر - في.

٤ ن: الجزئين.

٥ ن: ولا.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن قُرَيْظةَ والنضيرَ طلبوا إليه أن يَحكم بما كان يَحكم به أهلُ الجاهلية من التفاضُل بين القتلى، وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: «القتلى بَوَاء» فقال بنو النَّضير: نحن لا نرضَى بذلك، فنزلت.

والثاني: أن يكون تعييرًا لليهود بأنهم أهلُ كتاب وعلمٍ وهم يبغون حكمَ الملَّة الجاهليَّة التي هي هَوًى وجَهْلٌ لا يَصْدُر عن كتابٍ ولا يرجعُ إلى وحيٍ من الله.

وعن الحسن: هو عامٌّ في كلِّ مَن يبتغي غيرَ حكمِ الله، والحُكْمُ حُكمان: حكمٌ بعِلمٍ فهو حُكمُ الله، وحكمٌ بجهلٍ فهو حكمُ الشيطان.

وسُئِل طاوسٌ عن الرجل يُفضِّل بعَضَ ولده على بعضٍ، فقرأ هذه الآية.

وقرئ: ﴿تَبْغُون﴾ بالتاء والياء.

وقرأ السُّلَمِيُّ: "أفحُكْمُ الجاهليةِ يَبغون" برفع الحكمِ على الابتداء، وإيقاعِ ﴿يَبْغُونَ﴾ خبرًا، وإسقاطِ الراجع عنه؛ كإسقاطه عن الصلة في ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان ٢٥/٤١]، وعن الصفة في: "الناسُ رجلان: رجلٌ أَهنتَ ورجلٌ أكرمتَ"، وعن الحال في ....

قوله: **(القتلى)** جمع "قتيل" كـ"جرحى" جمع "جريح".

قوله: **(بواء)** قال في **الصحاح**: البواء: السواء يقال: دم فلان بواء كدم فلان إذا كان كفئًا له. وفي الحديث: "أمرهم أن يتباءوا"،[١] والصحيح "أن يتباوؤا" على مثال يتقاولوا.[٢] قال[٣] الأستاذ فخر[٤] الدين الجاربردي:[٥] وإنّما كان الصحيح ما ذكره صاحب **الصحاح**؛ لأنّه أجوف[٦] مهموز اللام، فالمضارع منه "يتباوؤن"، فإذا دخل الناصب سقط النون ويقول: "يتباوؤا".

---

١ لم أجده فيما بين يديّ من المظانّ.

٢ ن: يتقاوا. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «بوأ».

٣ ن: وقال.

٤ ن ر + الملّة و.

٥ ن ر + رحمه الله.

٦ ن: أحرف؛ ر: حرف.

"مررتُ بهندٍ يضربُ زيدٌ".

وقرأ قتادةُ: "أفحَكَمَ الجاهلية" على أن هذا الحُكمَ الذي يبغونه إنما يَحكم به أَفْعَى نَجْرانَ أو نظيرُه من حكّام الجاهلية، فأرادوا بسَفَههم أن يكون محمدٌ خاتمُ النبيين حَكمًا كأولئك الحكّام.

اللام في قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ للبيان كاللام في ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣]؛ أي: هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون، فإنّهم [هم] الذين يتيقّنون أنْ لا أعْدلَ من الله ولا أحسنَ حكمًا منه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

لا تتّخذوهم أولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتُؤاخُونهم وتُصافُونَهم وتُعاشِرُونهم معاشرةَ المؤمنين، ثم علّل النهي بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛

قوله: **(يضرِب زيد)** أي: يضربها زيد.

قوله: **(أفعى)** اسم رجل كأنّه سُمّي به لدهائه.[١]

قوله: **(﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف ١٢/٢٣])** أي: هلّم، كأنّه يقول: "هذا الأمر لك"؛ لأنّ في قولك: "هَيْتَ" ضميرًا مستترًا هو فاعله، فتعيّن أن يكون "لك" بيانًا للمُهيّت به.

قوله: **(أي: هذا الخطاب)** هذا تلخيص تفسير[٢] الآية.

قوله: **(فإنّهم هم[٣] الذين)** في تعليل المصنّف اختصاص هذا الخطاب وهذا الاستفهام بالموقنين[٤] إشارة إلى أنّ الكلام ينبغي ألّا يوجّه إلّا إلى مَن[٥] يُعلم منه أو يُرجى منه أن ينتفع به ويستفيد منه شيئًا، وأمّا مَن لا يُرجى ولا يُتوقع منه ذلك فلا ينبغي أن يوجّه إليه الكلام أو يخاطب بما فيه فائدة دينيّة أو دناويّة، إذ يكون ذلك ضائعًا ويكون مِن قبيل العبث واللعب وما لا طائلَ تحته.

---

[١] ن ر: لذهابه.

[٢] ن - تفسير.

[٣] في مطبوع **الكشّاف** - هم. | وهي مثبتة من **حاشية الجاربردي** وما راجعته من أصول **الكشّاف**.

[٤] ن: بالوقتين.

[٥] د ن ر: أن.

أي: إنما يوالي بعضُهم بعضًا؛ لاتِّحاد ملَّتهم، واجتماعهم في الكفر، فما لِمَن دينُه خلافُ دينهم ولِموالاتهم؟

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾: من جملتهم، وحكمُه حكمُهم، وهذا تغليظٌ من الله وتشديدٌ في وجوب مُجَانبة المخالف في الدِّين واعتزالِهِ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَرَاءَى نَارَاهما».

ومنه قولُ عمر رضي الله عنه لأبي موسى في كاتبه النصرانيِّ: لا تُكرموهم إذ أهانَهم الله، ولا تأمنوهم إذْ خَوَّنهم الله، ولا تُدْنوهم إذْ أَقْصَاهم الله.

قوله: **(فما لمَن دينه؟)** "ما" استفهاميّة مبتدأ و"لمَن" خبره، و**(لموالاتهم)** عطف عليه، والضمير مِن "دينه" يعود إلى "مَن"، ومِن "دينهم" و"موالاتهم" إلى اليهود والنصارى، وهذا التركيب مثل قولك: "ما لزيد وعمرو"، وفيه معنى المعية والمقارنة، كما في قولك: "مالك وزيدًا"، أو الاستفهام بمعنى الإنكار فيئول المعنى إلى إنكار مقارنة المؤمنين موالاة اليهود والنصارى، وإذا لم يقارنوا[١] موالاتهم[٢] لا يوالونهم،[٣] فالمعنى المنع مِن موالاتهم.

قوله: **(«لا تراءى ناراهما»)**،[٤] أي: لا تتقابل[٥] نار أهل الإيمان وأهل الكفر، كما قال عليه السلام: «لا يستضيئوا بنار المشركين».[٦] والمعنى: ينبغي أن يبعد المسلمون[٧] مِن الكفّار بحيث لو أوقد[٨] المسلمون في مقامهم ومنزلهم نارًا لا يظهر مِن ذلك الموضع ولا ترى النار التي أوقدها الكفّار في مقامهم، وإسنادُ التراءي إلى النار مجاز مِن قبيل الإسناد إلى السبب، لأنّ النار سبب للرؤية، أي: لرؤية كلٍّ مِن صاحبي النار النارَ الأخرى.[٩]

---

١ ر: يفارقوا.

٢ ن: مولاتهم.

٣ ن: يولونهم.

٤ ن: تراها؛ ر: أي: تراهما. | **سنن أبي داود**، ٢٨١/٤ (٢٦٤٥)؛ **سنن الترمذي**، ٢٠٧/٣ (١٦٠٤).

٥ ن ر: تقابل.

٦ **سنن النسائي**، ١٧٦/٨ (٥٢٠٩).

٧ ر: المؤمنون.

٨ ر: وقد.

٩ ن ر - مِن قبيل الإسناد إلى السبب، لأنّ النار سبب للرؤية، أي: لرؤية كلٍّ مِن صاحبي النار النارَ الأخرى.

وروي: أنه قال له أبو موسى: لا قِوامَ للبصرة إلّا به، فقال: مات النصرانيُّ والسلام.

يعني: هَبْ أنه قد مات، فما كنتَ تكون صانعًا حينئذ فاصنَعْه الساعةَ واستَغْنِ عنه بغيره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: الذين ظلموا أنفسَهم بموالاة الكفرِ يمنعُهم الله ألطافَه ويَخْذلهم مقتًا لهم.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾: ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها، ويعتذرون بأنهم لا يأمَنون أن تصيبَهم دائرةٌ من دوائر الزمان -أي: صَرْفٌ من صروفه ودَولةٌ من دوَله- فيحتاجون إليهم وإلى معونتهم.

وعن عبادة بن الصامِت رضي لله أنه قال لرسول الله: إنَّ لي مَوَالي من يهود كثيرًا عدَدُهم وإني أَبرَأ إلى الله ورسوله مِن ولايتهم وأُوَالي الله ورسولَه، فقال عبد الله بن أبيّ: إني رجلٌ أخاف الدوائرَ لا أَبْرأ من ولاية موَاليَّ، وهم يهود بني قَيْنُقَاع.

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار المسلمين.

قوله: **(ينكمشون)** انكمش، أي: أسرع.

قوله: **(لا يأمنون أن تصيبهم)** الواو في "يأمنون" وكذا الضمير في "تُصيبهم" يعود إلى ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾.

قوله: **(إليهم)** إلى اليهود.

قوله: **(﴿بِٱلۡفَتۡحِ﴾ لرسول الله عليه السلام)**[1] ضمّن[2] الفتح معنى النصرة والغلبة فلذلك عداه بـ**(على)** ويؤيّده قوله: **(وإظهار)** عطفًا على الفتح بطريق البيان.

---

[1] ن ر - عليه السلام.

[2] ن ر: ضمير.

﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ يَقْطع شأفَةَ اليهود ويُجْلِيهم عن بلادهم، فيُصْبِحَ المنافقون نادمين على ما حَدَّثوا به أنفسهم، وذلك أنّهم كانوا يَشُكُّون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقولون: ما نظنُّ أن يَتِمَّ له أمرٌ، وبالحَرَى أن تكون الدولةُ والغلبةُ لهؤلاء.

وقيل: ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: أو أن يُؤمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بإظهار أسرار المنافقين وقَتْلهم فيَنْدموا على نفاقهم.

وقيل: أو أمرٍ من عند الله لا يكون فيه للناس فِعْلٌ؛ كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرُّعْبَ، فأعْطَوا بأيديهم من غير أن يُوجَفَ عليهم بخَيْلٍ ولا ركاب.

قوله: (﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾) على هذا الوجه يكون "الأمر" واحدَ الأمور.

[٣٤٠و] قوله: (شأفة) «الشأفة: القرحة تخرج في أسفل القدم / فتُكوى[١] فتذهب»،[٢] وفي المثل يقال:[٣] «استأصل الله شأفته»،[٤] أي: أذهبه[٥] الله كما أذهب[٦] تلك القرحة بالكيّ.

قوله: (وذلك أنّهم) أي: ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.[٧]

قوله: (أو أن يُؤمَر)[٨] وعلى هذا الوجه يكون الأمر واحدَ الأمور.[٩]

قوله: (أو أمر) واحدُ الأمور.

قوله: (كبني النضير) أي: كحال بني النضير.

قوله: (فأعطَوا) انقادوا يقال: أعطى بيده، أي:[١٠] انقاد.

قوله: (يُوجَف) وجف الشيء إذا اضطرب وأوجفته أنا، قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ﴾ [الحشر ٥٩/٦].[١١]

---

١ ن: فتكون.
٢ المستقصى للزمخشري، ١/١٥٦.
٣ ن – يقال.
٤ المستقصى للزمخشري، ١/١٥٦.
٥ ن: أذهب.
٦ ن: ذهب.
٧ ن + بالكي. قوله: وذلك أنهم.
٨ ن – قوله: (أو أن يُؤمَر).
٩ ن: الأوامر.
١٠ ر – أعطى بيده، أي.
١١ انظر: الصحاح للجوهري، «وجف».

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ قرئ بالنصب عطفًا على ﴿أَن يَأْتِيَ﴾، وبالرفع على أنه كلامٌ مبتدأ؛ أي: ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت.

وقرئ: ﴿يقولُ﴾ بغير واو، وهي في مصاحف مكّة والمدينة والشام كذلك على أنه جوابُ قائل يقول: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ فقيل: ﴿يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا﴾.

فإن قلتَ: لمن يقولون هذا القولَ؟

قوله: **(بالنصب عطفًا)** إن قيل: كيف قرأ أبو عمرو: ﴿وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالنصب،[١] وليس يجوز أن يقول:[٢] "عسى الله أن يقول الذين آمنوا"، فالقول في ذلك أنّه يحتمل أمرين غير ما ذكرت: أحدهما أن يحمله على المعنى لأنّه إذا قال: "فعسى الله أن يأتي بالفتح" فكأنّه قال: "عسى أن يأتي الله بالفتح ويقولَ الذين آمنوا"،[٣] كما أنّه إذا قال: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ [المنافقون ١٠/٦٣] فكأنّه قال: "أصدَّقْ وأكنْ". ووجهٌ آخرُ وهو أنّه جاز أن يبدل ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ مِن اسم الله عزّ وجل كما أبدلت "أن" مِن الضمير في قوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف ٦٣/١٨]، فإذا أبدلت منه حملت النصب في ﴿وَيَقُولَ﴾ على ذلك، كأنّك قلتَ: "عسى أن يأتي بالفتح ويقولَ الذين آمنوا". وقيل: هو عطف على ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾، أي: فعسى أن يأتيَ الله بالفتح[٤] وبأن يقولَ.

هذه الوجوه الثلاثة رأيتُها في الكتب، وأنا أقول: يمكن أن يكون عطفًا -والله أعلم- على قوله: ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾، ويئول المعنى إلى أنّه إذا جاء الله بالفتح يصير الكافرون نادمين ويقول المؤمنون: أهؤلاء... إلخ.

---

١ قرأ بها أبو عمرو ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٢٥٤/٢.

٢ ن: يقال.

٣ ر + فالقول في ذلك.

٤ ن - ويقولَ الذين آمنوا". وقيل: هو عطف على ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾، أي: فعسى أن يأتيَ الله بالفتح.

قلتُ: إمّا أن يقوله بعضُهم لبعضٍ تعجُّبًا من حالهم واغتباطًا بما مَنَّ الله عليهم من التوفيق في الإخلاص: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾ لكم بأغلاظ الأيمان أنّهم أولياؤكم ومُعاضِدوكم على الكفّار.

وإما أن يقولوه لليهود؛ لأنّهم حَلفُوا لهم بالمعاضدة والنُّصرة، كما حكى الله عنهم: ﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ [الحشر ١١/٥٩].

قوله: (في الإخلاص) على هذا الخطابُ لبعض المؤمنين المخاطَبين في ﴿لَمَعَكُمۡ﴾، وعلى الثاني الخطابُ لليهود.

قوله: (إنّهم) إن كُسر يكون جواب القسم، وإن فُتح يكون التقدير "أقسموا لأنّهم أولياؤكم"، ويكون جواب القسم محذوفًا يدلّ عليه المذكور. قال المرزوقي في شرح قول الشاعر:

تألّـــى[1] ابــنُ أوسٍ حلفـــةً ليَردّنـــي[2]

مَن روى بفتح اللام فهو جواب القسم، ومَن روى بالكسر فالمعنى "حلف لهذا الأمر"، وجواب القسم محذوف يدلّ عليه المذكور.[3] تقول: "حلف ليفعلنّ"، فإذا حذفت النون كسرتَ اللام وأعملتَها إعمال لام "كي"، والموضع[4] موضع القسم والمعنى معناه.

قوله: (يقولوه) أي: القول، وهو ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ﴾.

قوله: (لليهود) فعلى هذا يكون الخطاب في قوله: ﴿لَمَعَكُمۡ﴾ لليهود.

قوله: (لأنّهم) أي:[5] لأنّ المنافقين، وهذا بيانُ توجيه هذا الوجه، أي: يصحّ أن يكون الخطاب مع اليهود لأنّهم.

قوله: (لهم) أي: لليهود.

قوله: (﴿وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ﴾ [الحشر ١١/٥٩]) حكاية كلام المنافقين لليهود.

---

١ د ر: تأتّى. | في شرح ديوان الحماسة: تألّى.

٢ صدر بيت لزيد الفوارس، عجزه:

علـى نسـوة كـأنّـهـنّ مفـائدُ

وهو له في شرح الحماسة للمرزوقي، ٥٥٧/٢. وما عرفتُ مَن يريد بابن أوس.

٣ انظر: شرح الحماسة للمرزوقي، ٥٥٨/٢.

٤ ن: في الموضع.

٥ ن ر – أي.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ من جملةِ قول المؤمنين؛ أي: بَطَلَتْ أعمالهم التي كانوا يتكلَّفونها في رأي أَعْيُن الناس، وفيه معنى التعجُّب؛ كأنَّه قيل: ما أَحْبَطَ أعمالَهم! فما أخسرهم! أو من قول الله عزَّ وجلَّ شهادةً لهم بحُبوط الأعمال وتعجيبًا من سوءِ حالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

قرئ: ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ و: ﴿مَنْ يرتدِدْ﴾، وهو في الإمامِ بدالين، وهو من الكائنات التي أُخبر عنها في القرآن قبل كونها.

وقيل: كان أهلُ الرِّدة إحدى عشرةَ فرقةً: ثلاثٌ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بَنُو مُدْلِجٍ: ورئيسُهم ذو الحمار وهو الأسودُ العنسيُّ، وكان كاهنًا تَنَبَّأَ باليمن

قوله: (﴿لَمَعَكُمْ﴾) لليهود.[1]

قوله تعالى: ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غايتَها، يقال: اجهَد[2] جهدَك في هذا الأمر، أي: ابلغ غايتك.

قوله قبل هذا: (أغلاظ) جمع غليظ.

قوله: (في رأي) يقال: رأى رأيًا ورؤية.

قوله: (في الإمام) هو مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه.[3]

قوله: (وهو مِن الكائنات) أي: هذه الآية.

قوله: (ورئيسُهم) حال.

قوله: (ذو الحِمار)[4] سمّي ذا الحمار لحمار كان يركبه، وكان نساء أصحاب ذي الحمار يعقِدنَ / في خُمرهنَّ رَوث حماره فيتعطَّرنَ به. [٣٤٠ظ]

---

[1] د - قوله: ﴿لَمَعَكُمْ﴾ لليهود.

[2] ن ر: جهد.

[3] د - رضي الله تعالى عنه.

[4] هو الأسود العنسي.

واستولى على بلاده وأخرجَ عُمَّالَ رسول الله، فكتب رسول الله إلى معاذ بن جبل وإلى سادات اليمن، فأهلكه الله على يدي فَيْرُوزَ الدَّيلميِّ بَيَّتَهُ فَقَتله، وأَخْبَرَ رسولُ الله بقَتْله ليلةَ قُتل فَسُرَّ المسلمون، وقُبض رسول الله من الغدِ، وأتى خبرُه في آخر شهر ربيعٍ الأول.

وبنو حَنيفةَ قومُ مُسَيْلمةَ تنبَّأ وكتَب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مُسَيْلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أمَّا بعدُ فإن الأرض نصفُها لي ونصفُها لك، فأجاب: «مِن محمد رسول الله إلى مُسَيْلمة الكذَّاب، أما بعد فإنَّ الأرض لله يُورثها مَن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين».

فحارَبَه أبو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين، وقُتل على يدي وحشيٍّ قاتل حمزة، وكان يقول: قتلتُ خيرَ الناس في الجاهلية وشرَّ الناس في الإسلام، أراد: في جاهليتي وإسلامي.

قوله: **(فيروز)** قال المطرِّزي في **المغرِب**: فيروز الدَّيلمي ابن أخت النجاشي قاتل الأسود العنْسيّ،[١] خدم النبيّ عليه السلام[٢] وسأله عن الأشرِبة، وأسلم تحته أختان فقال له النبيّ عليه السلام:[٣] «طلّق أيّتَهما شئت».[٤]

قوله: **(وقُبض)** أي: قُبض رسول الله عليه السلام[٥] يوم الإثنين الثاني عشر مِن ربيع الأوّل.

قوله: **(وبنو حنيفة)** الفرقة الثانية.

قوله: **(خيرَ الناس)** أي: حمزة.

قوله: **(أراد: في جاهليتي)** وذلك لأنّ قتل حمزة كان في زمن[٦] النبيّ عليه السلام[٧] يومَ حرب الأُحد، ولم يكن زمن الجاهليّة؛ بل كان زمن الإسلام،

---

١ ر: العبسي.
٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٤ مسند أحمد، ٥٧٤/٢٩ (١٨٠٤٠)؛ سنن أبي داود، ٥٥٨/٣ (٢٢٤٣).
٥ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٦ ن ر: زمان. | في هامش د: زمان. خ [اختصارًا من "نسخة"].
٧ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

وبنو أسد: قومُ طُلَيْحة بنِ خُويلدٍ، تنبَّأ فبعَثَ إليه رسولُ الله خالدًا فانهزم، فأُخِذ بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسُنَ إسلامه.

وسبع في عهد أبي بكر رضي الله عنه: فَزَارةُ قومُ عُيينةَ بنِ حصنٍ، وغَطَفانُ قوم قُرَّةَ بن سَلمةَ القُشيريِّ، وبنو سُلَيْم قوم الفُجاءةِ بن عبد ياليلَ وبنو يربوعَ قومُ مالك بن نُويْرةَ، وبعضُ تميم قومُ سَجَاحِ بنت المنذر المتنبِّئةِ التي زوَّجت نفسَها مسيلمةَ الكذَّابَ، وفيها يقول أبو العلاء المعرِّيُّ في كتاب **استَغْفِرْ واستغفري**:

أمَّتْ سَجَاحُ وَوَالاها مسيلمةٌ كذَّابةٌ في بني الدنيا وكذَّابُ

وكِنْدةُ قومُ الأشعث بن قيس، وبنو بكر بن وائلٍ بالبحرين قومُ الحُطَم بن زيد. وكفى الله أمرَهم على يدِ أبي بكر رضي الله عنه.

وفرقةٌ واحدة في عهد عمر رضي الله عنه: غَسَّانُ قوم جَبَلةَ بن الأَيْهَم،

لكن كان وحشيّ كافرًا في ذلك الزمان، سمّاه زمن الجاهليّة.

قوله: (**بنو أسد**) الفرقة الثالثة.

قوله: (**قوم سَجاح**)[1] يجوز في سجاح[2] البناء والإعراب مع عدم الصرف.

قوله:

(أمَّتْ سَجاحُ[3] ووالاها)[4] البيت

"أمت" بالتخفيف والتشديد مِن "الأَيْمَة" و"الإمامة"، وقد أسلمت وحسُن إسلامها. وقيل: "أمت" بالقصر والمدّ، أي: صارت أمَةَ مسيلمة. لأبي العلاء كتاب في الشعر يقال[5] له: **استغفر واستغفري؛ لأنّه التزم[6] في قصائده لفظ** "استغفر واستغفري".

---

١ د: سجاج؛ ر: شحاح.

٢ د: سجاج؛ ر: شحاح.

٣ د: سجاج.

٤ البيت للمعري في كتابه **استغفر واستغفري**، كما ذكر الزمخشري.

٥ ر: فقال.

٦ ر: ألزم.

نصَّرَتْهُ اللَّطْمَةُ وسَيَّرته إلى بلاد الروم بعد إسلامه.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ قيل: لمّا نزلت أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى الأشعري فقال: «قوم هذا».

وقيل: هم ألفان من النَّخَع، وخمسةُ آلافٍ من كِنْدة وبَجِيلةَ، وثلاثةُ آلافٍ من أَفْناء الناس، جاهدوا يومَ القادسيَّة.

وقيل: هم الأنصار.

وقيل: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فضرب يده على عاتق سلمان وقال: «هذا وذووه»، ثم قال: «لو كان الإيمان معلَّقًا بالثريا لَناله رجالٌ من أبناء فارسَ».

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ محَبَّةُ العباد لربِّهم: طاعتهُ وابتغاءُ مرضاته، وأن لا يفعلوا

قوله: (اللَّطْمة) أي: لطمة واحد[1] مِن المسلمين مِن الأنصار، وكان جَبَلة يطوف بالكعبة فوطئ[2] أنصاريٌّ مئزره فانكشفت عورته فلطمه لطمةً، فرُفع إلى عمرَ رضي الله عنه[3] فقضى بالقصاص، فاستمهل ولحق بالروم فتنصّر، وفيه يقول حسّان بن ثابت:

تنصّرتِ الأشرافُ مِن عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو تجاوزتُ مِن خَطَرْ
تَداخلني[4] فيها لَجاجٌ ونخوةٌ ... وكنتُ كمَن باع السلامة بالغَدَرْ[5]

والغَدَر: الموضع الظلِف الكثير الحجارة.

قوله: (مِن أفناء)[6] يقال: «فلان مِن أفناء الناس إذا لم يُعلم ممّن هو».[7]

قوله: (القادسيّة) هي موضع بينه وبين الكوفة خمسةَ عشرَ مِيلًا.[8]

---

[1] ن: واحدة.
[2] ن: معطي؛ ر: فعطى.
[3] د - رضي الله عنه.
[4] ن: تداخلي.
[5] ليسا لحسان بن ثابت رضي الله عنه ولا هما في ديوانه ولا في زيادته. وهما لجَبَلة بن الأيهم الغساني في الأغاني للأصفهاني، ١١٤/١٥؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٤٠٠/٤.
[6] ر + الناس.
[7] الصحاح للجوهري، «فنى».
[8] انظر: معجم البلدان للحمويّ، ٢٩١/٤.

ما يُوجب سَخَطَه وعقابه، ومَحبَّةُ الله لعباده: أن يُثيبَهم أَحْسنَ الثواب على طاعتهم، ويُعظِّمَهم ويُثني عليهم، ويرضى عنهم، وأمَّا ما يعتقده أجهلُ الناس وأعداهم للعلم وأهلِهِ، وأمقتُهم للشرع، وأَسْوأُهم طريقةً، وإن كانت طريقتُهم عند أمثالهم من الجهلة السفهاء شيئًا، وهم الفرقة المُفْتَعِلَةُ المُتفَعِّلَةُ من الصُّوف، وما يَدِينون به من المحبَّة والعَشَق، والتغنِّي على كراسيِّهم خرَّبَها الله، وفي مَراقِصهم عطَّلها الله، بأبيات الغزل المقولة في المَرْدَانِ الذين يُسمُّونهم شهداء، وصَعَقَاتهم التي أين عنها صَعْقة موسى عند دكِّ الطور، فتعالى الله عنه علوًّا كبيرًا، ومن كلماتِهم: كما أنه بذاته يحبُّهم كذلك يحبُّون ذاتَه، فإن الهاء راجعة إلى الذات دون النعوت والصفات، ومنها: الحبُّ شرطُه أن تلحقَه سكرات المحبَّة، فإذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقةُ المحبة.

فإن قلتَ: أين الراجعُ من الجزاء إلى الاسم المتضمِّنِ لمعنى الشرط؟

قلتُ: هو محذوفٌ معناه: فسوف يأتي الله بقومٍ مكانَهم، أو بقومٍ غيرِهم، أو ما أَشبهَ ذلك.

﴿أَذِلَّةٍ﴾: جمع ذليلٍ، وأمَّا "ذَلُول" فجمعُه: "ذُلُلٌ"، ومَن زعم أنه من الذِّلِّ الذي هو نقيضُ الصُّعُوبة فقد غَبِيَ عنه أنَّ "ذَلُولًا" لا يُجمع على "أَذلَّة".

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "أَذلَّةٍ للمؤمنين أَعِزَّةٍ على الكافرين"؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يضمَّن الذلُّ معنى الحُنوِّ والعَطْف؛ كأنه قيل: عاطفين عليهم على وجه التذلُّل والتواضع.

والثاني: أنهم مع شَرفهم وعلوِّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم

قوله: (**المُفتعِلة**)[١] الكاذبة. و(**المتفعِّلة**[٢] **مِن الصوف**) هي المتصوِّفة.

قوله: (**المُردان**) الأمرَد يجمع على مُردان ومُرد، كأحمر وحُمران[٣] وحُمْر.

---

١ ن ر: المنفصلة.

٢ ن ر: والمنفصلة.

٣ ن: حمران.

أجنحتَهم، ونحوُه قوله عزَّ وعلا: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح ٤٨/٢٩].

وقرئ: "أذِلَّةً" و"أعزَّةً" بالنصب على الحال.

﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ يحتمِل أن تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالُهم في المجاهَدة خلافُ حال المنافقين، فإنهم كانوا مُوالين لليهود -لُعِنَت- فإذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود، فلا يعملون شيئًا ممّا يعلمون أنه يلحقهم فيه لومٌ من جهتهم، وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومةَ لائم قط.

وأن تكون للعَطف على أن مِن صفتهم المجاهدةَ في سبيل الله، وأنهم صِلابٌ في دينهم إذا شرعوا في أمرٍ من أمور الدِّين -إنْكارِ مُنكَرٍ أو أمرٍ بمعروف- مضَوْا فيه كالمسَامِير المُحمَّاة لا يَزَعُهم قولُ قائل ولا اعتراضُ معترِض ولا لومةُ لائم، يشقُّ عليهم جِدُّهم في إنكارهم وصَلابَتُهم في أمرهم.

واللَّوْمةُ: المَرَّةُ من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان؛ كأنه قيل: لا يخافون شيئًا قطُّ من لوم أحدٍ من اللُّوَّام.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما وُصف به القومُ من المحبَّة والذِّلة والعزَّة والمجاهَدة وانتفاءِ خوف اللَّوْمة.

قوله: **(ممّا يعملون)**...[١] إلخ، صفة لقوله: **(شيئًا)** فالضمير المستتر فيه المتحوّل إليه عائد إلى قوله: "شيئًا"، وأمّا الضمير مِن قوله: **(أنّه)** و**(فيه)**[٢] فعائدٌ[٣] إلى "ما" في قوله: "ممّا يعملون".

قوله: **(المُحماة)** أحميتُ الحديد في النار فهو مُحمًى.

قوله: **(يشقّ عليه)**[٤] صفة **(لائم)**، والضمير مِن "عليه" يعود إلى "اللائم"[٥] و"المعترض" و"القائل".

---

١ ر: تعلمون.

٢ ن ر - المتحوّل إليه عائد إلى قوله: "شيئًا"، وأمّا الضمير مِن قوله: (أنّه) و(فيه).

٣ ن: عائد.

٤ في مطبوع **الكشّاف**: عليهم. | وأثبتُّ ما **حاشية الجاربردي** وما راجعته من أصول **الكشّاف**.

٥ ن ر: اللام.

﴿يُؤۡتِيهِ﴾: يُوفِّق له ﴿مَن يَشَآءُ﴾ ممن يَعلم أنَّ له لُطفًا.

﴿وَٰسِعٌ﴾: كثيرُ الفواضل والألطاف ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو من أهلها.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥﴾

عقَّبَ النهيَ عن موالاة مَن تجب مُعاداتُهم ذكرَ مَن تجبُ موالاتهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ومعنى ﴿إِنَّمَا﴾: وجوبُ اختصاصهم بالموالاة.

فإن قلتَ: قد ذُكرتْ جماعةٌ، فهلا قيل: إنما أولياؤكم؟

قلتُ: أصل الكلام: "إنَّما وليُّكم الله" فجُعلت الولايةُ لله على طريق الأصالة ثم نُظِم في سلك إثباتها له إثباتُها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التَّبَع، ولو قيل: "إنما أولياؤكم الله ورسولُه والذين آمنوا" لم يكن في الكلام أصلٌ وتَبَعٌ.

وفي قراءة عبد الله: "إنما مولاكم".

فإن قلتَ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ ما محلُّه؟

قلتُ: الرفعُ على البدل من ﴿الذين آمَنوا﴾، أو على: هم الذين يقيمون، أو النصبُ على المدح، ....

قوله: **(على طريق الأصالة)** أو نقول: إنَّما لم[1] يقل: "أولياؤكم" لئلا[2] يجمع في اللفظ الواحد ذِكر[3] الله ورسوله والمؤمنين. ومنه قولُ رسول الله عليه السلام[4] لمَن قال: «مَن أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومَن عصاهما فقد غوى: بئس خطيبُ القوم أنت! هلّا قلتَ: ومَن عصى الله ورسوله فقد غوى».[5]

قوله: **(على المدح)** يتعلَّق بالرفع والنصب، فإنَّ الرفع أيضًا يفيد المدح.

---

[1] ن – لم.

[2] ن – لئلا.

[3] ن: وذكر.

[4] ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

[5] بلفظ قريب في مسند أحمد، ١٨٢/٣٠ (١٨٢٤٧)؛ وصحيح مسلم، ٥٩٤/٢ (٨٧٠).

وفيه تمييزٌ للخُلَّص من الذين آمنوا نفاقًا أو وَاطَأَت قلوبُهم ألسنتَهم إلَّا أنهم مفرِّطون في العمل.

﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ الواو فيه للحال؛ أي: يعملون ذلك في حال الركوع، وهو الخشوعُ والإخْباتُ والتواضعُ لله إذا صلَّوا وإذا زكَّوْا.

وقيل: هو حال من ﴿يؤتون الزكاة﴾ بمعنى: يؤتونها في حال ركوعهم في الصلاة، وأنها نزلت في عليّ رضي الله عنه حين سأله سائلٌ وهو راكعٌ في صلاته فطرَحَ له خاتمه، كأنه كان مَرِجًا في خِنصره فلم يتكلَّف لخَلْعه كثيرَ عملٍ تَفسدُ بمثله صلاتُه.

قوله:[١] (وفيه تمييز) أي: في هذا الكلام وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ﴾ تمييز[٢] للمؤمنين الخلَّص[٣] مِن المنافقين ومِن المفرِّطين، فهذا الكلام مِن المصنِّف بيان فائدة الإبدال والرفع والنصب على المدح.

قوله: (مِن الذين) متعلِّق بقوله: (تمييز).

قوله:[٤] (أو واطأت) عطف على (آمنوا نفاقًا) أي: آمنوا تحقيقًا لكنّهم مفرِّطون.

قوله: (حال مِن ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) مشكِلٌ؛ إذ يلزم منه ألّا تكون الزكاة بالمعنى[٥] الشرعيّ، وهو: القدر الواجب إخراجه مِن نصاب مِن المال، فيخلو ذِكر / الصلاة عن مقارنة ذِكر الزكاة الشرعيّة،[٦] ومثلُه لا يكاد يوجد في القرآن، [٣٤١و]
وأيضًا الحال يفيد التقييد فيلزم أن تكون زكاته مختصّة بحال الركوع في الصلاة بحيث لا توجد في غير[٧] حال الركوع.

قوله: (مَرِجًا) مَرِج الخاتم في إصبعي بالكسر، أي: قلِق واضطرب مِن السَّعة مثل "جرِح"،[٨] والمصدر المَرَج بالتحريك.

---

[١] ن ر – (على المدح) يتعلَّق بالرفع والنصب، فإنّ الرفع أيضًا يفيد المدح.
[٢] ن – تمييز.
[٣] ن: والمفرطين.
[٤] ر – (مِن الذين) متعلِّق بقوله: (تمييز) قوله.
[٥] ن: المعنى.
[٦] ن: فالشرعية.
[٧] ن – غير.
[٨] ن ر: مرج.

فإن قلتَ: كيف صحَّ أن يكون لعليّ رضي الله عنه واللفظُ لفظُ جماعةٍ؟

قلتُ: جيءَ به على لفظ الجمعِ وإن كان السببُ فيه رجلًا واحدًا ليَرْغَبَ الناسُ في مثلِ فِعْله فَيَنالُوا مثلَ ثوابهِ، ولينبِّه على أن سجيَّةَ المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البرِّ والإحسان وتفقُّد الفقراء حتى إنْ لَزَّهم أمرٌ لا يَقبل التأخيرَ وهم في الصلاة لم يؤخِّروه إلى الفراغ منها.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ٥٦﴾

﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ من إقامة الظاهرِ مُقام المضمَر، ومعناه: فإنَّهم هم الغالبون؛ ولكنّهم بذلك جُعلوا أَعْلامًا لكونهم حزبَ الله.

وأصل الحزب: القوم يجتمعون لأمرٍ حَزَبَهم.

ويحتمِل أن يريد بحِزْب الله: الرسولَ والمؤمنين، ويكون المعنى: ومَن يتولَّهم

قوله: **(لزَّهم)** أي: اضطرهم أمر مِن اللزاز، يقال: لزَّه يلزُّه لزًّا إذا شدَّه وألصقه.[١]

قوله: **(ولكنّهم بذلك)** أي: بوضع الظاهر موضع المضمر.

قوله: **(جُعلوا أعلامًا)** إذ[٢] بهذا الوضع[٣] فسَّر مَن يتول بـ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ فيكون ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ تفسيرًا وإيضاحًا[٤] لـ﴿مَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ﴾،[٥] فكأنّه جعل مَن يتولى الله علمًا[٦] لحزب الله، فكأنّه قيل: مَن أراد حال مَن يتولّى الله[٧] وصفتَهم، أو أراد أن يعرفهم ويتبيّنهم[٨] فعليه بحزب الله فإنّهم هم.[٩]

قوله: **(ويكون المعنى)** ومَن يتولّهم فقد تولّى حزب الله؛ لأنّه لمّا وضع ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ موضع "رسوله والمؤمنين" يئول المعنى إلى ما ذكر لا محالةَ.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لزز».

٢ ن: أي.

٣ ن ر - الوضع.

٤ ن: وأيضًا جاء.

٥ ر - فيكون ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ تفسيرًا وإيضاحًا لـ﴿مَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ﴾.

٦ في هامش د: أي: علامة.

٧ ن ر - الله علمًا لحزب الله، فكأنّه قيل: مَن أراد حال مَن يتولّى الله.

٨ ر: ويثبتهم.

٩ ن: بهم.

فقد تولّى حِزبَ الله واعتضَد بمَن لا يُغالَبُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

رُوي أن رِفاعة بن زيد وسُويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقَا، وكان رجال من المسلمين يَوادُّونَهما فنزلت.

يعني: أن اتخاذَهم دينَكم هُزوًا ولعبًا لا يصحُّ أن يقابَل باتخاذكم إيَّاهم أولياءَ، بل يقابَلُ ذلك بالبغضاء والشنآنِ والمنابَذة.

وفصَّل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار -وإن كان أهلُ الكتاب من الكفار- إطلاقًا للكفار على المشركين خاصّةً، والدليلُ عليه قراءةُ عبد الله: "ومن الذين أشركوا".

وقرئ: ﴿والكفار﴾ بالنصب والجرِّ، وتعضدُ قراءةَ الجرِّ قراءةُ أبيٍّ: "ومن الكفار".

قوله: **(واعتضد بمَن لا يُغالب)** لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات ١٧٣/٣٧] ولقوله: ههنا ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾. والحاصل أنّه لمّا وضع ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ موضع "رسوله والمؤمنين" وحكم على رسوله والمؤمنين بأنّهم الغالبون حصل هذان المعنيان: **الأوّل** مَن يتولّهم فقد تولّى حزب الله، **والثاني**[١] مَن يتولّهم فقد تولّى مَن لا يُغالَب. واعلم أنّه لا طائلَ ولا حاصلَ تحت قولنا: في **الحاشية**: "والحاصل أنّه"... إلخ، بل هو سهو، إذ الظاهرُ في الوجه **الأوّل** موضوع موضع الضمير العائد إلى ﴿مَن﴾، وفي الوجه **الثاني** إلى "رسوله والمؤمنين"،[٢] كما يدلّ عليه كلام المصنّف، فتأمّل.

قوله: **(ويحتمل)** وعلى الأوّل كان المراد بـ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾: مَن يتولّى.

قوله: **("وَمِنَ الذين")**[٣] بدلَ قوله: (**﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾**).

---

١ ر + أن.

٢ ن: المؤمنين.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود رضي الله عنه. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ٧٢١.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في موالاة الكفّار وغيرها.

﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا؛ لأن الإيمان حقًّا يأبَى موالاةَ أعداء الدِّين.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾

﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ الضمير لـ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أو للمناداة.

قيل: كان رجلٌ من النصارى بالمدينة إذا سمِعَ المؤذِّنَ يقول: "أشهد أن محمدًا رسول الله" قال: حُرِّقَ الكاذبُ، فدَخلَتْ خادمُه بنارٍ ذاتَ ليلة وهو نائم فتَطايرَتْ منها شَرارةٌ في البيت فاحترق البيتُ واحترق هو وأهله.

وقيل: فيه دليلٌ على ثبوت الأذان بنصِّ الكتاب لا بالمنام وحده.

﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾؛ لأن لَعِبَهم وهزؤهم من أفعالِ السفهاء والجهَلة، فكأنَّه لا عقل لهم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ۝٥٩﴾

قرأ الحسن: "هل تنقَمون" بفتح القاف، والفصيحُ كسرُها.

والمعنى: هل تَعيبون منَّا وتُنكرون إلا الإيمانَ بالكتب المنزلة كلِّها ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

قوله: (شرارةٌ)[1] «الشرارة واحد الشَّرار، وهو: ما يتطاير مِن النار وكذلك الشَّرَر والواحد شَرَرة».[2]

قوله: (مِن أفعال السفهاء) يوضِّحه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة ٦٧/٢].

قوله: (هل تعيبون) أي: لا تعيبون[3] منّا ولا تنكرون شيئًا إلّا الإيمان بالكتب.

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري، ٥٣٦/٨ (المائدة، ٥٨/٥).

[2] الصحاح للجوهري، «شرر».

[3] ر - أي: لا تعيبون.

فإن قلت: علامَ عُطف قوله: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾؟

قلت: فيه وجوه:

منها: أن يُعطف على ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾ بمعنى: وما تنقِمون منا إلَّا الجمعَ بين إيماننا وبين تمرُّدكم وخروجِكم عن الإيمان؛ كأنَّه قيل: وما تنكرون منا إلَّا مخالفتَكم حيث دخلنا في دِين الإسلام وأنتم خارجون منه، ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف؛ أي: واعْتَقادَ أنكم فاسقون.

ومنها: أن يُعطف على المجرور؛ أي: وما تنقِمون منَّا إلا الإيمانَ بالله وبما أَنزَل وبأنَّ أكثركم فاسقون.

ويجوز أن تكون الواو بمعنى "مع"؛ أي: وما تنقِمون منا إلَّا الإيمانَ مع أنَّكم فاسقون.

ويجوز أن يكون تعليلًا معطوفًا على تعليلٍ محذوف؛ كأنه قيل: وما تنقمون منا إلَّا الإيمان لقلَّة إنصافكم وفسقِكم واتِّباعِكم الشهوات، ويدلُّ عليه تفسير الحسن: لفسقكم نقمتُم ذلك علينا.

وروي: أنه أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ من اليهود فسألوه عمَّن يؤمن به من الرسل، فقال: أؤمن ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٣٦] فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى: ما نعلم أهلَ دينٍ

قوله: **(واعتقاد)** أي: واعتقادنا أنكم فاسقون.

قوله: **(وفسقِكم)** كأنّه قيل: إلّا لقلّة إنصافكم[١] ولأنّ أكثركم فاسقون.

قوله: **(فقال: أؤمن بالله)**،[٢] يعني ذِكرَ رسول الله عليه السلام[٣] الإيمانَ بالرسل المذكورين[٤] في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ٢/١٣٦].

---

١ ن: اتصافكم.

٢ ن ر + إلخ.

٣ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٤ ن: للمذكورين.

أقلَّ حظًّا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًّا من دينكم، فنزلت.

وعن نُعيم بن مَيْسرةَ: "وإنَّ أكثركم" بالكسر.

ويحتمِل أن ينتصِبَ ﴿وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ﴾ بفِعلٍ محذوف يدلُّ عليه ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ﴾؛ أي: "ولا تنقِمون أَنَّ أكثركم فاسقون".

أو يرتفع على الابتداء والخبرُ محذوف؛ أي: وفسقُكم ثابتٌ معلومٌ عندكم؛ لأنكم علمتم أنَّا على الحقِ وأنكم على الباطل، إلَّا أن حبَّ الرياسة وكسبِ الأموال لا يدَعُكم فتُنْصِفُوا.

﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٦٠﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المنقوم، ولا بد من حذفِ مضافٍ قبله أو قبل ﴿مَن﴾، تقديرُه: "بشرٍّ من أهل ذلك" أو: "دينُ مَن لعَنَه الله".

و﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ في محلِّ الرفع على قولك: هو مَن لعنَه الله؛ كقوله: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۚ ٱلنَّارُ﴾ [الحج ٢٢/٧٢] أو في محلِّ الجرِّ على البدل من "شرٍّ".

وقرئ: "مَثْوبَةً"، ومثالهما: "مَشُورة ومَشْوَرة".

فإن قلتَ: المثوبَةُ مُختصَّةٌ بالإحسان فكيف جاءت في الإساءة؟

قلتُ: وُضعت المثوبةُ موضعَ العقوبة على طريقةِ قوله:

تَـحِـيَّـةُ بَـيـنَـهِـمْ ضَـــرْبٌ وَجِـيـعٌ

ومنه: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٣/٢١].

قوله: (والمنقوم) المنقوم: الإيمان،[١] والمنقوم منهم: المؤمنون، معناه: هل أنبِّئكم بشرّ مِن أهل الإيمان على زعمكم؟ هو مَن لعنه، أو هل أنبِّئكم بشرّ مِن الإيمان على زعمكم؟ هو دين مَن لعنه الله. ففي كلامه لفّ ونشر.

---

[١] ن ر: للإيمان.

فإن قلتَ: المعاقَبون من الفريقين هم اليهود، فلِمَ شُورك بينهم في **العقوبة؟**

قلتُ: كان اليهود -لُعنوا- يَزْعمون أن المسلمين ضالُّون مستوجِبون للعقاب، فقيل لهم: مَن لعنه الله شرٌّ عقوبةً في الحقيقة واليقين من أهل الإسلام في زَعْمِكم ودَعْواكم.

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ عطفٌ على صلةِ ﴿مَن﴾؛ كأنه قيل: ومَن عَبَد الطاغوتَ.

وفي قراءةِ أبيٍّ: "وعَبَدُوا الطاغوتَ" على المعنى.

وقرأ ابن مسعود: "ومَن عَبَدوا".

وقرئ: "وعابِدَ الطاغوتِ" عطفًا على ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾.

قوله: **(فإن قلتَ: المعاقبون)**... إلخ، لمّا ذكر المصنّف أنّ المثوبة وُضعت موضعَ العقوبة آلَ[١] المعنى إلى قولك: "بشرّ من ذلك عقوبة"، فيلزم المشاركة بين المؤمنين واليهود في العقوبة حتّى يصحّ أن يقال: اليهود شرٌّ عقوبةً مِن المؤمنين لكنّهم لا يشتركون[٢] في[٣] العقوبة، فأورد المصنّف السؤال وأجاب عنه.

قوله: **(مِن الفريقين)** هم المؤمنون واليهود.

قوله: **(شُورك)** ليس فيه ضمير؛ بل هو مسند[٤] إلى قوله: **(بينهم)** أي: بين الفريقين. وإنّما جمع مع عَوده إلى "الفريقين" باعتبار المعنى لأنّ "الفريقين" جمع.

قوله: **(﴿وعبدَ الطاغوت﴾)** القراءة بفتح الباء ونصب[٥] ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ مِن السبعة،[٦] وكذا بضمّ الباء وجرّ الطاغوت،[٧] والباقي مِن الشواذّ.[٨]

قوله: **("وَعَابِدَ")**[٩] مِن هنا عطف على ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾.

---

[١] ر: إلى.

[٢] ر: يشركون.

[٣] ن ر - في.

[٤] ن: مستبعد؛ ر: مستفيد.

[٥] ر: نصب.

[٦] قرأ بها السبعة إلّا حمزة. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٤٦.

[٧] قرأ بها حمزة. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٤٦.

[٨] انظر تفصيلها في **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٢٢-٧٢٦.

[٩] قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة عن عبّاس. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٢٢.

و: "عابِدِي" و: "عِبادَ" و: "عَبْدَ".

و: "عَبُدَ"، ومعناه: الغُلُوُّ في العبُودية؛ كقولهم: "رجل حَذُرٌ وفَطُنٌ" للبليغ في الحذر والفطنة، قال:

أبَنِي لُبَيْنَى إنَّ أمَّكُمُ أمَةٌ وإن أباكُمُ عَبُدُ

و: "عُبُدَ" بوزن حُطَمٍ، و: "عَبِيدَ"، و: "عُبُدَ" بضمتين: جمع عبيد. و: "عَبَدَةَ" بوزن كفَرَةٍ.

و: "عَبَدَ" وأصله: "عَبَدةَ" فحُذفت التاءُ للإضافة، أو هو كخَدَمٍ في جمع خادم.

و: "عُبَّدَ"، و: "عُبَّادَ"، و: "أَعْبُدَ".

و: "عُبِدَ الطاغوتُ" على البناء للمفعول وحَذْفِ الراجع بمعنى: وعُبد الطاغوتُ فيهم أو بينهم.

قوله:

(أبَنِي لُبَيْنَى)[1]

"لُبينى": اسم[2] امرأة. و"بنو[3] لُبينى": قوم مِن بني أسد.

قوله: (عَبُدُ) أي: بليغ في العُبود.[4]

قوله: (فحُذفت التاء) مثل "أبو عُذرِه" والأصل "عُذرته"، / كراهة اجتماع الزائدتين التاء والمضاف إليه في عجز الكلمة، كقوله: [٣٤١ظ]

وأخلفوك عِدَ الأمرِ الذي وَعَدوا[5]

قوله: (و"عَبُدَ الطَّاغُوتِ"[6] معناه: الغلوّ في العُبودة) قالوا: "فرّ خذله الله[7]" خيرٌ مِن "قُتل[8] رحمه الله".

---

١ البيت لأوس بن حجر في ديوانه، ص ٢١؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «عبد»؛ والفائق للزمخشري، ١/٣٤٩.

٢ ر: أنتم.

٣ ر: وهو.

٤ ن: العبودية.

٥ ن ر: وعداه. | عجز بيت مختلف في نسبته، أوّله:

إنّ الخليط أجدُّوا البَيْن فانجردوا

ومضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/٢٨١.

٦ قراءة شاذّة، غير منسوبة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٧٢٥.

٧ ن ر - الله.

٨ ر: قبل.

و: "عَبُدَ الطاغوتُ" بمعنى صار الطاغوتُ معبودًا من دون الله؛ كقولك: أَمُرَ، إذا صار أميرًا.

و: ﴿عَبُدَ الطاغوتِ﴾ بالجرِّ عطفًا على ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يَجعل الله منهم عُبَّادَ الطَّاغوت؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أنه خذَلهم حتى عبدوها.

والثاني: أنّه حَكَم عليهم بذلك ووصفَهم به؛ كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣].

وقيل: "الطاغوت": العِجلُ؛ لأنه معبودٌ من دون الله، ولأن عبادتهم للعجل مما زيَّنَه لهم الشيطان، فكانت عبادتُهم له عبادةً للشيطان وهو الطاغوت.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أطاعوا الكهنةَ، وكلُّ من أطاع أحدًا في مَعْصية الله فقد عبَده.

قوله: (**بالجرّ**)[١] على ما مرّ أنّه بدل مِن "شرّ".

قوله: (**كيف جاز؟**) هذا السؤال يرِد على مذهبه، وأمّا على مذهب أهل السنّة والجماعة فلا يرِد؛ لأنّهم يقولون: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد.[٢]

قوله: (**والثاني أنّه**) ويلزم مِن هذا الوجه الثاني استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه؛ لأنّه في المعطوف عليه بمعنًى وفي المعطوف بمعنًى آخر.[٣]

قوله: (**كقوله تعالى**: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الزخرف ١٩/٤٣])، يعني اليهود، ولمّا[٤] قالوا وحكموا فعُبّر بـ﴿جَعَلُواْ﴾ منهما.

قوله: (**وقيل**) أي: قال بعضهم: المعنى أنّه جعل بعضهم القردة وبعضهم الخنازير، فجعل أصحاب السبت القردة، وكفار أهل مائدة عيسى[٥] الخنازير.

---

[١] ن ر: بالخير.
[٢] انظر: **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨١.
[٣] ر + حينئذٍ.
[٤] ن: لما.
[٥] ن + عليه السلام.

وقرأ الحسن: "الطواغيتَ".

وقيل: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ﴾: أصحابَ السبت ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾: كفَّارَ أهل مائدة عيسى.

وقيل: كِلَا المَسْخَيْن في أصحاب السبت، فشَبابُهم مُسِخُوا قردةً ومشايخهم مُسخوا خنازير.

ورُوي: أنها لمَّا نزلت كان المسلمون يُعَيِّرون اليهودَ ويقولون: يا إخوةَ القردة والخنازير، فيُنَكِّسون رءوسهم.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الملعونون الممسوخون ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ جُعلت الشرارةُ للمكان وهي لأهله، وفيه مبالغةٌ ليست في قولك: "أولئك شرٌّ وأضل"؛ لدخوله في باب الكناية التي هي أختُ المجاز.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

نزلت في ناسٍ من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يُظْهرون له الإيمانَ نفاقًا، فأخبره الله بشأنهم، وأنهم يَخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلَّق بهم شيءٌ ممَّا سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعِظك.

وقوله: ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾ و﴿بِهِۦ﴾ حالان؛ أي: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، وتقديره: مُلْتَبِسين بالكفر، وكذلك قولُه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ﴾، ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ﴾؛

قوله: (فيُنَكِّسون) أي: يُنكِّس اليهود رءوسهم[١] خَجْلةً حين يسمعون ذلك.

قوله: (لدخوله في باب الكناية) لأنَّه[٢] لا يُلعن المكان حتَّى يُلعن أهله، لأنَّه لا يكون المكان شرًّا حتَّى يكون أهله شرًّا.[٣] ويجوز أن يكون إسنادًا مجازيًّا مثل "يطؤهم الطريق".

---

[١] ن ر - رءوسهم.
[٢] ن - لأنه.
[٣] ن ر - لأنّه لا يكون المكان شرًّا حتّى يكون أهله شرًّا.

ولذلك دخلت "قد" تقريبًا للماضي من الحال، ولمعنًى آخر: وهو أن أماراتِ النفاق كانت لائحةً عليهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقِّعًا لإظهارِ اللهِ ما كتموه، فدخل حرفُ التوقُّع، وهو متعلِّق بقوله: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾؛ أي: قالوا ذلك وهذه حالُهم.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾﴾

"الإثم": الكذب، بدليل قوله: ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلم.

وقيل: "الإثم" كلمة الشرك، وقولُهم: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٩/٣٠].

وقيل: "الإثم": ما يختصُّ بهم، ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: ما يتعدَّاهم إلى غيرهم.

والمُسارعةُ في الشيء: الشروع فيه بسرعة.

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ كأنهم جُعلوا آثَمَ من مُرتكِبي المناكيرِ؛ لأن كلَّ عاملٍ لا يسمَّى صانعًا ولا كلَّ عملٍ يسمَّى صناعةً ....

قوله: **(وهو متعلِّق)** أي: ﴿قَد دَّخَلُوا۟﴾ ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟﴾، أي: قالوا حالَ دخولهم بالكفر وفي خروجهم: ﴿ءَامَنَّا﴾.

قوله: (**﴿عَن قَوْلِهِمُ﴾**): أي: فيما بعد.

قوله: **(ما يختصّ بهم)** أي: ما يختصّ بهم[1] مِن الذنوب، نحو ترك الصلاة والصوم. و﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: ما يتجاوز ضرره إلى غيره، نحو القتل والضرب والقذف والغيبة.

قوله: (**﴿مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾**) الضمير في "كانوا" و"يصنعون" و**(كأنّهم جُعلوا)** للربانيين والأحبار في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾.[2]

---

١ ن ر - أي: ما يختصّ بهم.

٢ ر - في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾.

حتى يتمكَّن فيه ويتدرَّبَ ويُنسبَ إليه، وكأنَّ المعنى في ذلك: أن مُواقِعَ المعصيةِ معه الشهوةُ التي تَدْعوه إليها وتحملُه على ارتكابها، وأمّا الذي يَنهاه فلا شهوةَ معه في فعلِ غيره، فإذا فَرَّطَ في الإنكار كان أشدَّ حالًا من المُواقِع، ولعَمْري إنَّ هذه الآيةَ ممّا يَقِذُ السامعَ، ويَنعَى على العلماء توانِيَهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي أشدُّ آيةٍ في القرآن.

وعن الضحاك: ما في القرآن آيةٌ أخوفُ عندي منها.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله: (**يتدرَّب**) الدُّرْبة: عادة وجرأة على الحرب وكلّ أمرٍ، وقد درَب بالشيء ودَرْدَب به إذا اعتاده وضَرِيَ به. تقول: ما زلتُ أعفو عن فلان حتّى اتّخذها دُربةً. قال الشاعر:

وفي الحلم[1] إدهانٌ وفي العفو دُربةٌ وفي الصدق منجاةٌ مِن[2] الشرّ فاصدقِ[3]

وفي المثل: 'دَرْدَب لمّا عضَّه الثِّقاف'،[4] أي: خضع وذلّ. والثِّقاف: خشبة تُسوَّى بها الرماح، وهو "فعلل" لا "فعفل"؛ لأنّ الفاء لا تُضاعف وحدها. و"رجل مدرِّب ومدرَّب" مثل "مجرِّب ومجرَّب"، وقد درَّبته الشدائد حتّى قوِي ومرن عليها.[5]

قوله: (**مِن المُواقِع**) أي: في المعصية.

قوله: (**ممّا[6] يقِذ**) وَقَذ يقِذ وَقْذًا ضربه حتّى استرخى وأشرف على الموت، ويقال: وقذَه النُّعاس إذا غلبه.[7]

---

[1] ن ر: الحكم.

[2] ن: وفي.

[3] البيت لزهير بن أبي سُلمى في **ديوانه**، ص ١٧٩؛ وهو بلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «درب».

[4] ن ر: النفاق. | **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٢٦٤.

[5] من قوله: "الدربة: عادة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «درب».

[6] د ن ر: كما. | وأثبتُّ ما في أصول **الكشّاف**.

[7] انظر: **الصحاح** للجوهري، «وقذ».

غَلُّ اليدِ وبَسْطُها مجازٌ عن البخل والجود، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء ٢٩/١٧] ولا يَقصد مَن يتكلمُ به إثباتَ يدٍ ولا غَلٍّ ولا بَسطٍ، ولا فرقَ عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازًا عنه؛ لأنهما كلامان مُعتقِبان على حقيقةٍ واحدة، حتى إنَّه يستعملُه في مَلِكٍ لا يُعْطي عطاءً قطُّ ولا يمنعُه إلَّا بإشارته من غيرِ استعمالِ يد وبَسْطِها وقبضِها، ولو أَعْطى الأَقْطَعُ إلى المنكِب عطاءً جَزلًا لقالوا: ما أبسطَ يَدَه بالنَّوال! لأن بَسْطَ اليد وقَبْضَها عبارتان وقعتا مُتَعاقِبتين للبُخل والجود، وقد استعملوها حيث لا تصحُّ اليد، كقوله:

جَادَ الحِمَى بُسُطُ اليدينِ بوابلٍ   شكَرَت نَداهُ تِلاعُه وَوِهادُه

ولقد جعَل لَبِيدٌ للشمال يدًا في قوله:

قوله: (إلّا بالإشارة)[١] متعلِّق بالجملتين، أي: لا يعطي إلّا بالإشارة ولا يمنع إلّا بالإشارة.

قوله:

(جـــاد الـحـمـى)[٢] الـبـيـت

جاد المطر جَودًا فهو جائد، والجمع "جَوْد" مثل "صاحب وصَحْب"، وقد جِيدت الأرض فهي مَجُودة،[٣] قال:

والخازِبازِ السَّنِمَ[٤] المَجُودا[٥]

قوله: (تِلاعُه)[٦] فاعل "شكَرَتْ". و(شكرَتْ) صفة "وابل". و(بُسطُ اليدين) فاعل "جاد". «قال أبو عبيدة: التلعة: ما ارتفع مِن الأرض وما انهبط أيضًا، وهو عنده مِن الأضداد. وقال أبو عمرو: التِّلاع[٧] مجاري أعلى الأرض إلى بطون الأودية،

---

١ ن: بالإنسان. | وفي مطبوع الكشّاف: بإشارته. وهي كذلك فيما راجعتُ من أصوله، وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي.

٢ ما في وقفت عليه فيما سبق الكشّاف من المصادر.

٣ ن: مجيدة.

٤ ن: السم.

٥ ما عرفت صاحب هذا الرجز؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «جود»، «خوز»، «سنم»؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٢٢١؛ وخزانة الأدب للبغدادي، ٤٤٥/٦.

٦ ن: بلاغة.

٧ ن: البلاع.

إِذْ أَصبحَتْ بيدِ الشمال زمامُها

ويقال: "بَسَطَ اليأسُ كفَّيه في صدري" فجُعِلَتْ لليأس الذي هو من المعاني -لا من الأعيان- كفَّان.

واحدتها "تلعة"».[1] والوِهاد: جمع الوَهْدة، وهي: ما اطمأنّ مِن الأرض، أي: جاد الحمى سحابٌ بُسط اليدين بوابل مِدرار، بحيث شكرت تلاعُ الحمى ووهاده ندى ذلك السحاب.

قوله: "شكرَتْ"... إلخ، صفة "وابل"، لكن بحال متعلِّقة، أو صفة "سحاب" مثل "بُسُط"،[2] شكرتْ[3] يداه[4] صفة "سحاب" المحذوف لـ"بُسُط اليدين"، والمراد بـ"نداه"،[5] أي: عطاؤه وهو المطر، والمراد بشكر التلاع والوهاد إنباتهما الكلأ والرياحين الفائحة.[6] وإنما فسّرتُ الشكرَ بهذا المعنى أخذًا مِن قول المتنبي:

وذكيّ رائحة الرياضِ كلامُه تبغي الثناء على الحيا فتفوحُ
جُهْدَ المُقلِّ فكيف بابن كريمةٍ تُوليه خيرًا واللسانُ فصيحُ[7]

وأنا أقول: ما رأيت أحدًا فسّر الشكر في هذا البيت بما ذكرتُ، وإنّما استخرجته أنا كما ذكرتُ، وبالله التوفيق.

قوله:

(إذ أصبحَتْ بيد الشَّمال زمامُها)[8]

أوله:

وغداةِ ريحٍ قد شهدتُ وقِرّةٍ

القِرّة بالكسر: البرد.[9] **(ويقال: بَسَط اليأس كفيه)**. قال:

---

١ الصحاح للجوهري، «تلع».
٢ ن + قوله.
٣ ن + شكرت.
٤ ن: نداه.
٥ ن: بيداه.
٦ ن: والفائحة؛ ر - الفائحة.
٧ في ديوان المتنبي، ص ٦٢.
٨ البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه ٣١٥؛ وهو له في أسرار البلاغة للجرجاني، ص ٤٥؛ وأساس البلاغة للزمخشري، «يدي».
٩ ن ر + قوله.

ومَن لم ينظر في علم البيانِ عَمِيَ عن تبصُّر محَجَّة الصَّواب في تأويل أمثال هذه الآية، ولم يتخلَّصْ من يد الطاعن إذا عَبِثَ به.

فإن قلتَ: قد صح أن قولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ عبارةٌ عن البخل؟ فما تصنعُ بقوله: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ومِن حقِّه أن يطابقَ ما تقدَّمه وإلا تَنَافرَ الكلام وزلَّ عن سَنَنِه.

قلتُ: يجوز أن يكون معناه الدعاءَ عليهم بالبُخل والنكَد، ومِن ثَمَّ كانوا أبخلَ خلق الله وأنكدَهم، ونحوُه بَيْتُ الأَشْتر:

بَقَّيْتُ وَفْرِي وانحرَفْتُ عن العُلا

وقد رابني وهنُ المنى وانقباضها وبسط جديدِ الياس كفّيه في صدري[1]

قوله: **(ولم يتخلّص مِن يد الطاعن)**، يعني: إذا طعن يهوديّ أو غيره مِن المخالفين وقال: "لَم يقل يهوديٌّ: يد الله مغلولة"، فجوابه ما ذكر مِن أنّ ذلك مجاز عن البخل كما أنّ البسط عن الجود.

قوله: **(عبِثَت)** العبث: اللعب. وقد عبِثَ بالكسر يعبَث عَبَثًا.

قوله: **(وأنكَدَهم)**،[2] أي: أقلّ خير، وهو اسم التفضيل.

قوله:

(بقيتُ[3] وفري) البيت

[٣٤٢و] "بقّيتُ" / و"انحرفتُ" و"لقيتُ" دعاء على نفسه بالبخل، وهو متعلِّق بالشرط. تمامه:

ولقيتُ أضيافي بوجهِ عبوسِ[4]

«"الوفر": المال الكثير».[5]

---

١ ما عرفتُ قائله، ولا وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المصادر.

٢ ن: وأنكرهم.

٣ ر: يقنت.

٤ البيت من حماسيّة للأشتر النخَعي في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١/١٤٩؛ وهو له في **الزاهر** لابن الأنباري، ١/٤٨٨؛ و**أمالي القالي**، ١/٨٥؛ و**الفائق** للزمخشري، ١/٣٤.

٥ **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١/١٤٩.

ويجوز أن يكون دعاءً عليهم بغَلِّ الأيدي حقيقةً، يُغلَّلون في الدنيا أُسارى وفي الآخرة مُعَذَّبين بأغلال جهنَّم، والطِّباقُ من حيث اللفظُ وملاحظَةُ أصلِ المجاز؛ كما تقول: "سبَّني سَبَّ اللهُ دَابِرَهُ"؛ أي: قَطَعهُ؛ لأن السَّبَّ أصلُه القطعُ.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يدعوَ الله عليهم بما هو قبيحٌ وهو البخلُ والنَّكَدُ؟

قلتُ: المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسُو به قلوبُهم فيزيدون بُخلًا إلى بخلهم ونكدًا إلى نكدهم، أو بما هو مسبَّبٌ عن البخل والنَّكَد من لُصوق العار بهم وسُوءِ الأُحْدوثة التي تُخزيهم وتُمزِّق أعْراضَهم.

فإن قلتَ: لم ثُنِّيت اليدُ في قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ وهي مفردةٌ في ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾؟

قلتُ: ليكون رَدُّ قولهم وإنكارُه أبلغَ وأدلَّ على إثبات غاية السخاء والجود له ونَفْيِ البخل عنه، وذلك أنَّ غايةَ ما يبذله السخيُّ بماله عن نفسه أَنْ يُعطيَه بيديه جميعًا فَبُني المجاز على ذلك.

وقرئ: "ولُعْنوا" بسكون العين.

وفي مصحف عبد الله: "بل يداه بُسُطانِ"، يقال: يدَه بُسُطٌ بالمعروف، ونحوُه: "مِشْيَةٌ سُجُح" و"ناقةٌ سُرُحٌ".

قوله: **(فإن قلتَ: كيف جاز؟)** هذا السؤال مبنيّ على الوجه الأوّل.

قوله: **(مِن لصوق)** بيان المسبَّب، فعلى هذا يكون مِن باب المجاز لإطلاق الملزوم وإرادة اللازم، وعلى الأوّل كان كناية[1] لأنّ الخذلان سبب البخل.

قوله: **(الأُحدوثة)** ما يتحدّث به.

قوله: **(سُجُحٌ)** أي: سهلة.

قوله: **(سُرُحٌ)**،[2] أي: سريعة.[3]

---

[1] ر: كنايته.

[2] ن: شرح؛ ر: شرع.

[3] ن ر: شريعة.

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ تأكيدٌ للوصف بالسخاء، ودلالةٌ على أنه لا يُنفِق إلا على مُقتضَى الحكمة والمصلحة.

روي: أن الله تعالى كان قد بَسط على اليهود حتى كانوا من أكثرِ الناس مالًا، فلمَّا عصَوا الله تعالى في محمدٍ صلى الله عليه وسلم وكذَّبوه كفَّ الله تعالى ما بَسَط عليهم من السَّعة، فعند ذلك قال فنحاصُ بن عازوراءَ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ ورَضي بقوله الآخرون فأُشْرِكوا فيه.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾؛ أي: يَزْدَادُون عند نزول القرآن -لحسدهم- تماديًا في الجحود وكُفرًا بآيات الله.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ﴾ فكَلِمُهم أبدًا مختلِفٌ، وقلوبُهم شتَّى، لا يقع اتفاقٌ بينهم ولا تعاضدٌ.

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾: كلما أرادوا مُحاربَة أحدٍ غُلبوا وقُهروا ولم يَقُم لهم نصر من الله على أحد قطُّ، وقد أتاهم الإسلام وهم في ملكِ المجوس.

وقيل: خالَفوا حكمَ التوراة، فبعثَ الله عليهم بُخْتَ نصَّرَ، ثمَّ أَفْسدوا فسَلَّط عليهم فُطْرُسَ الروميَّ، ثم أفسدوا فسلَّط الله عليهم المجوسَ، ثم أفسدوا فسلَّط عليهم المسلمين.

وقيل: كلما حاربوا رسولَ الله نُصر عليهم.

وعن قتادة: لا تلقَى اليهودَ ببلدة إلَّا وجدتَهم من أذلِّ الناس.

﴿وَيَسْعَوْنَ﴾: ويجتهِدون في الكيد للإسلام ومحوِ ذكر رسول الله من كتبهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾

قوله: (**يزدادون**) يُشير به إلى أنَّ إسناد الزيادة إلى ما أنزل مجاز؛[١] لأنَّهم يزدادون عند نزوله طغيانًا.

---

[١] ر: فجاز.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مع ما عَدَدْنا من سيّئاتهم ﴿ءَامَنُواْ﴾ برسول الله وبما جاء به، وقرَنوا إيمانهم بالتقوى التي هي الشريطةُ في الفوز بالإيمان ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ﴾ تلك السيئاتِ ولم نُؤاخذهم بها ﴿وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ﴾ مع المسلمين الجنَّةَ.

وفيه إعلام بعظَم معاصي اليهود والنصارى وكثرةِ سيّئاتهم، ودلالةٌ على سعة رحمة الله تعالى وفتحه بابَ التوبة على كلِّ عاص وإن عظُمت معاصيهِ وبلَغتْ مبالغَ سيئات اليهود والنصارى، وأن الإيمان لا يُنجِي ولا يُسْعِدُ إلّا مشفوعًا بالتقوى؛ كما قال الحسن: هذا العمود فأين الأَطْناب؟

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: أقاموا أحكامَهما وحدودَهما وما فيهما من نَعْت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ من سائرِ كتب الله؛ لأنهم مكلَّفون الإيمانَ بجميعها فكأنها أنزلت إليهم، وقيل: هو القرآن، لوسَّع الله عليهم الرزق، وكانوا قد قُحِطوا.

وقوله: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ عبارةٌ عن التوسِعة، وفيه ثلاثُ أوجُهٍ:

قوله: (**هي الشريطة**)، يعني أنّ شرط الفوز بالنجاة مِن النار والوصول إلى دار القرار بالإيمان إنّما هو التقوّي عن المعاصي، فمجرّد الإيمان لا يقتضي الفوزَ أصلًا، وهذا مذهبه.

قوله: (**هذا العمود**) قال هذا للفرزدق حين اجتمعا في جنازة فقال له: ما أعددت لهذا المقام؟ قال: شهادة أن لا إله إلّا الله منذ كذا سنة، فقال له: «هذا العمود فأين الأطناب».[١] و«الطُّنُب: حبل الخِباء، والجمع أطناب».[٢] والعمود: عمود الخباء أيضًا. يريد أنّ البيت كما لا يستقيم بالعمود مِن دون الأطناب كذا أمر الدين لا يتمّ بكلمة الشهادة دون الأعمال الصالحة.

---

١ ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

٢ الصحاح للجوهري، «طنب».

أن يُفيض عليهم بركاتِ السماء وبركات الأرض.

وأن يُكْثِرَ الأشجارَ المُثمرة والزروعَ المُغِلَّةَ.

وأن يَرزقهم الجنان اليَانِعَةَ الثمارِ يجتنون ما تهدَّل منها من رؤوس الشَّجر، ويلتقطون ما تساقَطَ على الأرض من تحت أرجلهم.

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾: طائفةٌ حالُها أَمَمٌ في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل: هي الطائفةُ المؤمنةُ عبدُ الله بن سلَامٍ وأصحابه، وثمانيةٌ وأربعون من النصارى.

و﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ فيه معنى التعجُّبِ؛ كأنَّه قيل: وكثيرٌ منهم ما أَسْوَأَ عَملَهم.

وقيل: هم كعب بن الأشرف وأصحابُه والرُّومُ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: جميعَ ما أُنزلَ إليك، ....

قوله: (اليانعة) اليَنع: إدراك الثمر.

قوله: (تهدّل)[1] «تهدّلتْ[2] أغصان الشجرة، أي: تدلّت».[3]

قوله: (منها) "مِن" بيان (ما) والضمير عائد إلى (الثمار).

وقوله: (مِن رءوس) متعلِّق بـ"تهدّل".

قوله: (أَمَم) الأَمم: بين القرب والبعد. والأَمم: الشيء اليسير. يقال: ما سألت إلّا أممًا.[4]

قوله: (و﴿سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾) الواو مِن قول المصنّف.

قوله: (ما أسوء!) تعجُّب.

---

[1] ن: هدك.

[2] ن: تهدك.

[3] الصحاح للجوهري، «هدل».

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «أمم».

وأيَّ شيءٍ أنزل إليك، غيرَ مراقبٍ في تبليغه أحدًا، ولا خائفٍ أن ينالك مكروهٌ.

﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: وإنْ لم تبلِّغْ جميعَه كما أمرتُك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ -وقرئ: ﴿رسالاتِه﴾-: فلم تبلِّغْ إذَنْ ما كُلِّفتَ من أداء الرسالات، ولم تؤدِّ منها شيئًا قط، وذلك أنَّ بعضَها ليس بأولى بالأداء من بعضٍ، فإذا لم تؤدِّ بعضها فكأنك أغفلْتَ أداءها جميعًا؛ كما أنَّ مَن لم يؤمِنْ ببعضِها كان كمَن لم يؤمِنْ بكلِّها؛ لإدلاءِ كلٍّ منها بما يُدْليهِ غيرُها، وكَوْنُها كذلك في حكمِ شيءٍ واحد، والشيءُ الواحد لا يكون مُبَلَّغًا غيرَ مبلِّغ مُؤمَنًا به غيرَ مُؤمَنٍ به.

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: إنْ كَتَمْتَ آيةً لم تبلِّغْ رسالاتي.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَعثَني اللهُ برسالاته فَضِقْتُ بها ذَرْعًا، فأوحى الله إليَّ: إن لم تبلِّغْ رسالاتي عذَّبْتُك، وضَمِنَ لي العصمةَ فقَوِيتُ».

فإن قلتَ: وقوعُ قوله: ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ جزاءً للشرط ما وَجْهُ صِحَّته؟

قلتُ: فيه وجهان:

قوله: **(وأيّ شيء)** موصولة.

قوله: **(أغفلتَ)** أغفلتُ الشيء إذا تركتَه على ذُكرٍ منك.

قوله: **(لإدلاءِ)** بالتوسُّل.[١] وقوله: **(منها)** أي: رسالات.

قوله: **(«فضِقتُ»)**[٢] ضاق ذَرْعي به.

قوله في السؤال: **(ما وجه صحته؟)**[٣] تقرير[٤] أنَّ معنى ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾: وإن لم تُبلِّغ، فكأنّه قيل: إن لم تبلِّغ الرسالة فلم تُبلِّغ الرسالة،[٥] وهذا على ظاهره غير مستقيم لرجوع الشرط والجزاء[٦] إلى معنًى واحد، فما وجه استقامته؟

---

[١] ر: التوسل.

[٢] **الكشف والبيان** للثعلبي، ٤٣٥/١١ (المائدة، ٦٧/٥)؛ **أسباب النزول** للواحدي، ص ٢٠٤.

[٣] ر: صحبة.

[٤] ر: تقريره.

[٥] ر - فلم تُبلِّغ الرسالة.

[٦] ر - والجزاء.

أحدهما: أنه إذا لـم يَمتثِلْ أمرَ الله في تبليغِ الرسالات وكَتَمَها كلَّها كأنَّه لم يُبعث رسولًا كان أمرًا شنيعًا لا خَفاءَ بشَناعته، فقيل: إن لم تُبلغ منها أدنى شيءٍ وإن كان كلمةً واحدةً فأنت كمَن رَكبَ الأمر الشنيع الذي هو كتمانُ كلِّها؛ كما عَظَّم قَتْلَ النفس بقوله: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة ٥/٣٢].

والثاني: أن يراد: فإنْ لم تفعل فلَكَ ما يُوجِبُه كتمانُ الوحي كلِّه من العقاب، فوُضع السبَبُ موضعَ المسبَّب، ويَعضدُه قولُه عليه الصلاة والسلام: «فأوحى اللهُ إليَّ إن لم تبلِّغ رسالاتي عذَّبتُك».

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾ عِدَةٌ من الله بالحفْظ والكلاءة، والمعنى: والله يَضْمَنُ لك العصمةَ من أعدائك فما عُذرُك في مراقبتهم.

فإن قلتَ: أين ضمانُ العصمةِ وقد شُجَّ في وجهه يوم أُحُدٍ وكُسِرَتْ رَباعِيَتُه؟

قلتُ: المراد: أنه يَعْصِمُه من القَتْل، وفيه: أنَّ عليه أن يحتمِلَ كلَّ ما دون النفسِ في ذات الله تعالى، فما أشدَّ تكليفَ الأنبياء عليهم السلام!

وقيل: نزلت بعد أحدٍ، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: الكفَّار، بدليل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ومعناه: أنَّه لا يمكِّنهم مما يريدون إنزالَه بك من الهلاك.

وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحرَسُ حتى نزلت، فأخْرَج رأسَه من قبَّة أَدَمٍ وقال: «انصَرفوا يأيُّها الناس فقد عَصَمَني الله من الناس».

قوله: **(كما عظَّم)** مفعول مطلق ممّا دلّ عليه قوله: **(فقيل: إن لم تبلّغ)**... إلخ، كأنّه عظّم[١] تركَ تبليغ البعض كما عظّم قتلَ النفس... إلخ، أو هو خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا كما في[٢] قوله: **(في مراقبتهم)** أي: في محافظة جانبهم خوفًا منهم.

قوله: **(في ذات الله)** أي: في الله، يعني: احتمِل جميع ذلك لله تعالى.

---

[١] ن ر – مفعول مطلق مما دلّ عليه قوله: فقيل: إن لم تبلّغ... إلخ، كأنّه عظّم.

[٢] ن ر – في.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾؛ أي: على دِينٍ يُعتدُّ به حتى يُسمَّى شيئًا لفساده وبطلانه؛ كما تقول: "هذا ليس بشيء" تُريد تحقيرَه وتصغيرَ شأنه، وفي أمثالهم: "أقلُّ من لا شيءٍ".

﴿فَلَا تَأْسَ﴾: فلا تتأسَّفْ عليهم لزيادةِ طُغيانهم وكُفرهم، فإنَّ ضرر ذلك راجعٌ إليهم لا إليك، وفي المؤمنين غنًى عنهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ رفعٌ على الابتداء وخبرُه محذوف، والنيَّةُ به التأخيرُ عمَّا في حيِّز ﴿إِنَّ﴾ من اسمها وخبرِها؛ كأنه قيل: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمُهم كذا والصَّابئون كذلك، وأنشد سيبويه شاهدًا له:

وإلَّا فاعْلمـــوا أنَّـــا وأنتـــم بـغـاةٌ مـا بَـقِـيـنَـا فـي شـقـاقِ

قوله: (**كما تقول**) خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا القول،[1] أعني: قوله تعالى: (﴿**لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ**﴾)، كما تقول.

قوله: (**لفساده**)، الضمير مِن "فساده" يعود إلى ما دلّ عليه سياق الكلام، أي: لفساد دينكم، فإنّ[2] قوله: (**لستُم على دين يعتدّ به**) في معنى: لا يُعتدّ بدينكم.

قوله:

(**وإلّا فاعلمـــــــــوا**)[3] البيت

---

١ ن: السؤال.

٢ ن + إليه.

٣ البيت لبشر بن أبي خازم في ديوانه، ص ١٦٥؛ وهو له في كتاب سيبويه، ١٥٦/٢؛ وهو بلا عزو في المفصّل للزمخشري، ص ٣٩٤.

أي: فاعلموا أنَّا بُغاةٌ وأنتم كذلك.

فإن قلتَ: هلا زعمتَ أن ارتفاعَه للعطف على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها.

قلتُ: لا يصحُّ ذلك قبل الفراغ من الخبر، لا تقول: إن زيدًا وعمرٌو منطلقان.

فإن قلتَ: لِمَ لا يصحُّ والنِّيَّةُ به التأخيرُ؛ فكأنك قلتَ: إن زيدًا منطلقٌ وعمرٌو؟

قبله:

إذا جُـــزّت نواصـــي آل[1] بـــدرٍ   فـــأدُّوهـــا[2] وأســـرى فـي الـوثـاقِ[3]

قوله: (**خبرُه محذوف**) هذا بخلاف "إنّ الزيدِين والعمرون ذاهبون؛ لأنّ فيه "ذاهبون" خبر "العمرون"، والعامل فيهما التجريد،[4] وخبر "الزيدين" محذوف، بخلاف الآية فإنّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، وخبر ﴿ٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ محذوف، وفيه التقديم والتأخير لفائدة ذِكرها.

قوله: (**قلتُ: لا يصحُّ**) فيه بحث؛ لأنّه يُشترط في العطف على محلّ اسم "إنّ" مضيّ الخبر لفظًا أو حكمًا، وهنا وإن لم يمضِ الخبر لفظًا فقد مضى حكمًا، وهو مثل قولك: "إنّ الزيدِين والعمرون ذاهبون"، وليس مثل قولك:[5] "إنّ زيدًا وعمرٌو ذاهبان"، إذ لم يمضِ فيه الخبر لا لفظًا ولا حكمًا. والجوابُ عن هذا البحث أنّه لا كلام له في جواز "إنّ[6] الزيدِين والعمرون[7] ذاهبون"، وكلام المصنّف في قوله: ﴿ٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾ هل هو عطف[8] على محلّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها أو ليس كذلك، ويريد بيان أنّه[9] ليس كذلك لئلا تفوت الفائدة الحاصلة مِن التقديم والتأخير المرادة[10] في الآية كما سنُبيّن.

قوله: (**فإن قلتَ: لِمَ لا يصحّ؟**) أي: لمَ لا يصحَ أن يكون ﴿ٱلصَّـٰبِـُٔونَ﴾

---

[1] ن ر: إلى.

[2] ن: فأدرها.

[3] **ديوان بشر بن أبي خازم**، ص ١٦٥.

[4] ن: التجرير.

[5] ن: ذلك.

[6] ر – إن.

[7] ن: والعمرين.

[8] ن ر – عطف.

[9] ر: أنها.

[10] ر: المراد.

قلتُ: لأني إذا رفعتُه رفعتُه عطفًا على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها، والعاملُ في محلِّهما هو الابتداءُ، فيجب أن يكون هو العاملَ في الخبر؛ لأن الابتداء يَنتظِم الجزأين في عمله كما تنتظِمُهما "إنَّ" في عملها، فلو رفعتُ "الصَّابئون" المنويَّ به التأخيرُ بالابتداء وقد رفعتُ الخبرَ بـ﴿إِنَّ﴾ لأَعْملتُ فيهما رافعَين مختلفين.

فإن قلتَ: فقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ معطوفٌ لا بدَّ له من معطوفٍ عليه، فما هو؟

قلتُ: هو مع خبره المحذوفِ جملةٌ معطوفةٌ على جملةِ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلى آخره ولا محلَّ لها كما لا محلَّ للَّتي عُطفَتْ عليها.

فإن قلتَ: ما التقديمُ والتأخير إلَّا لفائدةٍ، فما فائدةُ هذا التقديم؟

قلتُ: فائدتُه: التنبيهُ ....

عطفًا على محلّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها، والحال أنّ النيّة به التأخير، وإذا[1] كان النيّة به التأخير كان مثل قولك: "إنّ زيدًا منطلق وعمرٌو" في جوازه.

[٣٤٢ظ] قوله:[2] / **(بالابتداء)**، يعني: لو رُفع ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ بالابتداء بمعنى أن يكون عطفًا على محلّ ﴿إِنَّ﴾ مع اسمها لكان العامل في المبتدأ وهو ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ الابتداء والعامل في الخبر ﴿إِنَّ﴾، فيكون العامل في المبتدأ غير العامل في الخبر. والحاصلُ أنّ ههنا مانعًا خاصًّا وهو إرادة التقديم والتأخير.

قوله: **(وقد رفعتُ الخبر بـ﴿إِنَّ﴾)** لئلا يفوت فائدة التقديم والتأخير على ما سيجيء.

قوله: **(لأعملتُ فيهما)** أي: في ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾، والخبر "عاملين"، لأنّ المذكور في الآخر[3] خبر الثاني، وقد عرفتَ أنّه معمول لـ"إنّ" فيلزم أن يكون خبر المبتدأ معمولًا لـ"إنّ"، وإنّما قلنا: "المذكور في الآخر خبر للثاني"

---

[1] ن ر: إن.

[2] ر + في.

[3] ن + قوله: فيهما، أي: في ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ والخبر والعاملان الابتداء وإن.

....

لأنّ مذهب سيبويه في مثل قولك: "زيدٌ وعمرٌو قائم": أنّ الخبر للثاني، وهذا مثلُه، واستدلّ سيبويهِ[1] على ذلك بقوله:

نـحـن بـمـا عـنـدنـا وأنـــت بـمـا   عنـــدك راضٍ والـــرأي مختلـــفُ[2]

ووجه الاستدلال أنّه لو كان خبرًا عن "نحن" وجب أن يقال: "راضون"، ولمّا قال: "راضٍ" دلّ على أنّه خبر لـ"أنتَ".

والحاصل أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ محمول على التقديم والتأخير، تقديره: إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى مَن آمن بالله... إلخ، والصابئون كذلك.[3] وإنّما[4] حُمل على التقديم والتأخير لفائدة التنبيه الذي ذكره المصنّف، فوجب أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾... إلخ، خبر ﴿إِنَّ﴾ لا خبر ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ ليتحقّق التقديم والتأخير، وإذا[5] كان كذلك وجب أن تكون جملة ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مع خبره عطفًا على جملة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾... إلخ، ولا يجوز أن يكون ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ عطفًا على محلّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها عطفَ المفرد على المفرد؛ لأنّه[6] لو كان كذلك لزم أن يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ خبرًا لـ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ كما في قوله:

نـحـن بـمـا عـنـدنـا وأنـــت بـمـا   عندك راضٍ[7]

---

١ ر - في مثل قولك: "زيدٌ وعمرٌو قائم": أنّ الخبر للثاني، وهذا مثلُه، واستدلّ سيبويهِ.

٢ البيت لعمرو بن امرئ القيس الخزرجيّ في **البيان والتبيين** للجاحظ، ١٠٠/٣؛ و**جمهرة أشعار العرب** للقرشيّ، ص ٥٣١. وهو بلا عزو في **معاني القرآن** للأخفش، ٣٥٧/١؛ و**جامع البيان** للطبري، ٤٣٤/١١ (التوبة، ٣٤/٩). وجاء منسوبًا إلى قيس بن الخطيم في مطبوع **كتاب سيبويه**، ٧٥/١، وهو في قسم المنسوب إلى شعره من **ديوانه**، ص ٢٣٩، وبيّن محقّق **ديوان** قيس أنّه لعمرو، وبيّن أنّ شعرهما قد يتداخل. انظر: **ديوان قيس بن الخطيم**، ص ١٠١-١٠٢، ٢٣٩. وفصل البغداديُّ الكلام في هذا البيت وأنّ الصحيح نسبته لعمرو. انظر: **خزانة الأدب**، ٢٧٥/٤-٢٨٣.

٣ ر - كذلك.

٤ ر: إنما.

٥ ر: وإن.

٦ ن ر: لأن.

٧ ن ر - راضٍ. | ومضى تخريجه آنفًا.

على أن الصَّابئين يُتاب عليهم إن صحَّ منهم الإيمانُ والعملُ الصالح، فما الظنُّ بغيرهم؟ وذلك أنَّ الصابئين أَبْينُ هؤلاء المعدودِين ضلالًا وأشدُّهم غيًّا، وما سُمُّوا صابئين إلّا لأنهم صَبَؤُوا عن الأديانِ كلِّها؛ أي: خرجوا؛ كما أن الشاعر قدَّم قوله: "وأنتم" تنبيهًا على أن المخاطَبين أوغَلُ في الوصف بالبُغاة من قومه، حيث عاجَلَ به قبل الخبر الذي هو "بُغاةٌ" لئلا يُدخِلَ قومَه في البغي قبلهم مع كونهم أوغلَ فيه منهم وأثبتَ قَدَمًا.

فإن قلتَ: فلو قيل: "والصَّابئين وإيَّاكم" لكان التقديمُ حاصلًا.

قلتُ: لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيءٍ؛ لأنه لا إزالةَ فيه عن موضعه، وإنما يقال: "مقدَّم" و"مؤخَّر" للمُزالِ لا للقارِّ في مكانه، ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراضِ في الكلام.

وإذا كان خبرًا عنه لزم أن يكون العامل في المبتدأ وخبره رافعين مختلفين؛ لأنّ العامل في ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ الابتداء والعامل في ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ هو "إنّ"، وإلا لفات التقديم والتأخير، لأنّه لو لم يكن ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾[١] معمولًا لـ"إنّ" لا يتحقّق التقديم والتأخير.

قوله: **(وذلك)** إشارة إلى كيفيّة تحقُّق التنبيه، وفي الكلام حذف، أي: بيان التنبيه أنّ الصابئين أبيَن ضلالًا مِن غيرهم، فإذا قُدِّم للإشارة[٢] إلى أنّهم تقبل توبتهم البتّة، يُعلم بالطريق[٣] الأولى أنّ إيمان غيرهم مقبولٌ قطعًا. وقوله: "ذلك" إشارة إلى ما دلّ عليه قوله: **(أنّ الصابئين يُتاب)**[٤] إلى قوله: **(فما الظنّ بغيرهم؟)** وهو[٥] أولويّة توبة غير الصابئين.

قوله: **(وإيّاكم)** أي: لو قيل: "وإيّاكم" في البيت مكان "وأنتم"،[٦] و"الصابئين" في موضع ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ لكان فائدة التقديم.

---

[١] ن ر – هو إن وإلا لفات التقديم والتأخير، لأنه لو لم يكن ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾.

[٢] ن: الإشارة.

[٣] ر: بطريق.

[٤] ر: بيان.

[٥] ن ر: فهو.

[٦] يعني في بيت بشر بن أبي خازم المذكور آنفًا.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ثم قيل: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أن يراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون.

وأن يراد بـ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾: مَن ثبتَ على الإيمان واستقام ولم يُخالجْه ريْبةٌ فيه.

فإن قلتَ: فما محلُّ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾؟

قلتُ: إما الرفعُ على الابتداء وخبرُه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ والفاءُ لتضمُّن المبتدأ معنى الشرط، ثم الجملةُ كما هي خبرُ ﴿إِنَّ﴾. وإما النَّصبُ على البدل من اسم ﴿إِنَّ﴾ وما عُطف عليه أو من المعطوف عليه.

فإن قلتَ: فأين الراجعُ إلى اسم ﴿إِنَّ﴾؟

قلتُ: هو محذوفٌ تقديره: "مَن آمن منهم" كما جاء في موضعٍ آخر.

وقرئ: "والصابيون" بياءٍ صريحةٍ، وهو من تخفيف الهمزة كقراءةِ مَن قرأ: "يستهزيون".

قوله: **(على البدل)** أي: على البدل مِن المجموع مِن المعطوف عليه والمعطوف، أو على البدل مِن المعطوف على اسم "إنّ" فحسب. اعلم أنّ ههنا[١] معنى لطيفًا أشار إليه المصنّف وهو أنّه لو / كان ﴿مَنْ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾ والمعطوف عليه لكان معنى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾... إلخ، شرطًا في ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كما شُرط فيما عطف عليه، فيحتاج إلى أحد الجوابين كما مرّ، ولو كان بدلًا مِن المعطوف فحسب اندفع السؤال مِن أصله، إذ لا يكون ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ متعلّقًا بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فتأمّل. [٣٤٣و]

قوله: **(مِن المعطوف)** فيه ضمير يعود إلى اللام. وقوله: **(عليه)** راجع إلى اسم ﴿إِنَّ﴾.

قوله: **(فأين الراجع إلى اسم ﴿إِنَّ﴾؟)**[٢] لأن قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ راجع إلى ﴿مَنْ﴾ فلا بدّ مِن الراجع إلى اسم ﴿إِنَّ﴾ وهو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ و﴿ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾.

---

١ ن ر: هنا.

٢ ن - إن.

و: ﴿الصَّابِئُونَ﴾ وهو من صَبَوْت؛ لأنهم صَبَوْا إلى اتِّباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتَّبعوا أدلةَ العقل والسَّمْع.

وفي قراءة أُبيّ: "والصابئين" بالنصب، وبها قرأ ابن كثير.

وقرأ عبدُ الله: "يا أيها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون".

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا﴾ ميثاقَهم بالتوحيد ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا﴾ ليَقِفُوهم على ما يأتون وما يَذَورن في دينهم.

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ جملةٌ شرطية وقعتْ صفةً لـ﴿رُسُلًا﴾ والراجع محذوف؛ أي: رسولٌ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾: بما يُخالف هواهم ويضادُّ شهواتِهم من مشاقِّ التكليف والعمل بالشرائع.

فإن قلتَ: أين جوابُ الشرط، فإنَّ قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ نابٍ عن الجواب؛ لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين؛ ولأنه لا يَحسُن أَنْ تقول: إنْ أكرمتَ أخي أخاك أكرمتُ.

قوله: (**مِن صبوتُ**)[١] قال رحمه الله:[٢] كانت قريش يقولون للمؤمنين: "الصُّباة"، فهذا دليل على صحّة هذه[٣] القراءة. صبا يصبو صَبْوة وصُبُوًّا، أي: مال إلى الجهل.

قوله: (**صفةٌ**) وأظنّ أنّ الأَولى ألّا يُحمل على الصفة؛ بل يُحمَل على الاستئناف، فيكون جوابَ سائل سأل فقال: ماذا فعلوا حين جاء الرسل؟ فقيل: ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ﴾... إلخ.

قوله: (**أخاك أكرمتُ**) أي: بغير فاء، فإنّ الفاء يستحسن إدخالها تشبيهًا بالجملة الاسميّة ويقبح[٤] تركها، فيه نظرٌ، والصواب أن نقول: إنّما لا يحسن؛ لأنّ معمول

---

١ ن: صوت.
٢ ن - رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.
٣ ن - هذه.
٤ ن: ويفتح.

قلتُ: هو محذوفٌ يدلُّ عليه قوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾؛ كأنّه قيل: كلّما جاءهم رسول منهم ناصَبوه، وقوله: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾ جوابٌ مستأنفٌ لقائل يقول: "كيف فَعلوا برسلهم؟".

فإن قلتَ: لمَ جيءَ بأحدِ الفعلين ماضيًا وبالآخَرِ مضارعًا؟

قلتُ: جيءَ بـ﴿يَقْتُلُونَ﴾ على حكايةِ الحال الماضية استفظاعًا للقتل واستحضارًا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ٧١﴾

قرئ: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ بالنصب على الظاهر، وبالرَّفع على أنَّ ﴿أَن﴾ هي المخففةُ من الثقيلة، أصله: "أنّه لا تكونُ فتنةٌ" فخفِّفت "أنَّ" وحُذف ضمير الشأن.

فإن قلتَ: كيف دخل فعلُ الحسبان على ﴿أَن﴾ التي هي للتحقيق؟

قلتُ: نُزّل حسبانُهم لقوّته في صدورهم منزلةَ العلم.

الجزاء لا يتقدّم عليه كما أنّ معمول الشرط لا يتقدّم عليه.[١] فيه نظر؛ لأنّه ليس مِن الشرط والجزاء، أي: لفعل الشرط والجزاء صدرُ الكلام، وإنّما ذلك لأدوات الشرط.

قوله: **(منهم)** أي: مِن الرُّسل المعهودين.

قوله: **(ناصبوه)** يقال: «نصبتُ لفلان نَصْبًا إذا عاديتَه وناصبتُه الحرب مُناصبةً».[٢] فقوله: "ناصبوه" مفعوله الثاني محذوف، أي: ناصبوه الحربَ.

قوله: **(للتحقيق)** الفعل الذي يدخل على المفتوحة مشدّدة أو مخفّفة يجب أن يُشاكلها في التحقيق كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [النور ٢٥/٢٤]. وقوله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ﴾ [طه ٨٩/٢٠].

قوله: **(منزلة العلم)** ما يحتمل مِن الأفعال وجهين الشكّ واليقين تدخل عليهما، أعني "أن" الناصبة للفعل و"أنّ" المشدَّدة والظنّ والحسبان إذا قويا التحقا

---

١ ن ر - كما أنّ معمول الشرط لا يتقدّم عليه.
٢ الصحاح للجوهري، «نصب».

فإن قلتَ: فأين مفعولا "حَسِب"؟

قلتُ: سَدَّ ما يشتمِلُ عليه صلةُ "أنْ" و"أَنَّ" من المسنَد والمسندِ إليه مَسدَّ المفعولين.

والمعنى: وحَسِبَ بنو إسرائيل أنهم لا يُصيبهم من الله فتنةٌ؛ أي: بلاءٌ وعذابٌ في الدنيا والآخرة ﴿فَعَمُوا۟﴾ عن الدِّين ﴿وَصَمُّوا۟﴾ حين عَبَدوا العجلَ ﴿ثُمَّ﴾ تابوا عن عبادة العجل فـ﴿تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾ كرَّةً ثانيةً بطلبهم المحالَ غيرَ المعقول في صفات الله وهو الرُّؤية.

باليقين،[1] تقول: "ظننتُ أن تخرُجَ" و"أنّك تخرج"، فلهذا دخل فعل الحسبان على "أن" التي[2] للتحقيق.

قوله: **(بطلبهم المحال)** اعلم أنّ الرؤيّة ليست محالًا؛ بل هي معقولة في صفات الله تعالى،[3] وكأنّ المصنّف[4] توهّم أنّ الرؤية لا تحصل إلّا بالمقابلة والمواجهة فلذلك قال: "هو محال". وتوهُّمه باطل؛ لأنّ الله تعالى يرانا مِن غير المواجهة، وبالجملة فسّر الآية بما يُوافق مذهبه. قال الواحديّ في **الوسيط**:

> ﴿فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟﴾، أي: عن[5] الهدى فلم يفعلوه. ثمّ قال الزجّاج: تأويله أنّهم لم يعملوا بما سمعوا ولا بما رأوا مِن الآيات فصاروا كالعُمي والصمّ. ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ﴾[6] عليهم بإرساله محمّدًا عليه السلام[7] داعيًا إلى الصراط المستقيم، فكانوا بذلك معرّضين للتوبة. ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾ بعد تبيُّن الحقّ، يعني: الذين لم يؤمنوا منهم. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ مِن قتل / الأنبياء وتكذيب الرسل.[8] [٣٤٣ظ]

---

١ ن ر – تدخل عليهما أعني أن الناصبة للفعل وأنّ المشدّدة والظنّ والحسبان إذا قويا التحقا باليقين.

٢ ر: أي.

٣ انظر تفصيل المسألة في **الإرشاد** للجويني، ص ١٧٦.

٤ ر + رحمه الله وعفا عنه.

٥ ر – عن.

٦ ن + تعالى.

٧ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٨ **الوسيط** للواحدي، ٢/٢١١ (المائدة، ٥/٧١).

وقرئ: "عُمُوا وصُمُّوا" بالضمِّ على تقدير: عَمَاهُم الله وصَمَّهم؛ أي: رَماهم وضَرَبهم بالعمى والصَّمم؛ كما يقال: "نَزَكْتُه": إذا ضربتَه بالنَّيْزَك، و: "ركَبْتُه": إذا ضربتَه بِرُكبتِك.

﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ بدلٌ من الضمير:، أو على قولهم: "أكلوني البراغيثُ"، أو هو خبر مبتدأ محذوفٍ؛ أي: أولئك كثيرٌ منهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾

لم يَفرُق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم في أنه عَبْدٌ مربوبٌ كمِثْلهم، وهو احتجاجٌ على النصارى.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ في عبادته أو فيما هو مختصٌّ به من صفاته أو أفعاله ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ التي هي دار الموحِّدين؛ أي: حَرمَه دخولها، ومنَعه منه كما يُمنع المحرَّم من المحرَّم عليه.

﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ....

قوله: (بالنَّيزك) «النيزك: رمح قصير، كأنّه فارسيّ معرّب، وقد تكلّمت[1] به الفصحاء، والجمع "النيازك" وقد نَزَكه، أي: طعنه، وكذلك إذا نزغه وطعن فيه بالقول. ورجل نزّاك،[2] أي: عيّاب».[3]

قوله: (البراغيث) قالوا: لا اعتدادَ بلغة قوم أكلتهم البراغيثُ.

قوله: (لم يفرُق) في قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾.

قوله: (﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾) إنّما قيل: ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ تعييرًا[4] لهم؛ لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ لهم أنصارًا كثيرًا فيما يقولون ويعتقدون، فنفى الله تعالى[5] ذلك.

---

١ ن: تكلم.
٢ ن: نزاك.
٣ **الصحاح** للجوهري، «نزك».
٤ ر: تعبيرًا.
٥ د ر - تعالى.

من كلام الله تعالى على أنّهم ظلموا وعدَلوا عن سبيل الحق فيما تقوَّلوا على عيسى، فلذلك لم يساعِدْهم عليه ولم يَنصر قولهم، ورَدَّه وأنكره، وإن كانوا مُعَظِّمِينَ له بذلك ورافِعِينَ من مقداره.

أو من قول عيسى على معنى: ولا ينصرُكم أحدٌ فيما تَقُولون ولا يساعدُكم عليه؛ لاستحالته وبُعدِه عن المعقول، أو: ولا ينصركم ناصرٌ في الآخرة من عذاب الله.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ للاستغراق، وهي المقدَّرةُ مع "لا" التي لنفي الجنس في قولك: "لا إله إلَّا الله" والمعنى: وما مِن إلهٍ قطُّ في الوجود إلَّا إلهٌ موصوف بالوحدانيَّة لا ثانيَ له وهو الله وحده لا شريكَ له.

و"مِن" في قوله: ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ للبيان؛ كالتي في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج ٢٢/٣٠].

فإن قلتَ: فهلَّا قيل: "ليَمسنَّهم عذابٌ أليم"؟

قلتُ: في إقامة الظاهر مُقام المضمَر فائدةٌ، وهو تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾.

قوله: **(كلام الله)** صحّ هنا "كلام الله" بغير "مِن"، وفي الوجه الثاني مِن قول[١] عيسى، أي:[٢] بإثبات "مِن" لأنّ ما تقدَّمه في القرآن هو مِن كلام عيسى، فالمناسب أن يقال مثلًا: هذا إمّا[٣] كلام الله بأن يكون قد[٤] تمّ[٥] كلام عيسى كما مرّ، وإمّا هو مِن كلام عيسى عليه السلام[٦] أيضًا كما أنّ ما قبله مِن كلام عيسى.

قوله: **(على[٧] أنّهم)** أي: على معنى أنّهم.

---

١ ن: قوله.
٢ ن: إن.
٣ ن - إما.
٤ ن ر: تقديم.
٥ ن ر - تم.
٦ د ر - عليه السلام.
٧ ن ر - على.

وفي البيان فائدةٌ أخرى، وهي الإعْلام في تفسير ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بهم أنهم بمكان من الكفر، والمعنى: ليمسنَّ الذين كفروا من النصارى خاصةً ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ أي: نوعٌ شديدُ الألم من العذاب؛ كما تقول: "أَعْطني عشرين من الثياب" تريد: من الثياب خاصَّةً، لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون.

ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى: ليمسنَّ الذين بَقُوا على الكفر منهم؛ لأن كثيرًا منهم تابوا من النصرانيَّة.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾: ألَا يتوبون بعد هذه الشهادةِ المكرَّرةِ عليهم بالكفر، وهذا الوعيدُ الشديدُ مما هم عليه، وفيه تعجيبٌ من إصرارهم.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يغفرُ لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ صفةٌ لـ﴿رَسُولٌ﴾؛ أي: ما هو إلا رسولٌ من جنسِ الرسل الذين خلَوْا من قبله، جاء بآياتٍ من الله كما أَتَوْا بأمثالها: إنْ أَبْرَأَ اللهُ الأبرصَ ....

قوله: (وفي[١] البيان) أي: في بيان الذين كفروا بقولهم:[٢] ﴿مِنْهُمْ﴾.

قوله: (بهم) أي: فسّر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بهؤلاء، أعني النصارى المذكورين.

قوله: (أنّهم) معمول (الإعلام) فأعمله[٣] مع وجود الفاصل.

قوله: (لأنّ كثيرًا) تعليل معلَّله محذوف، أي: إنّما قيّد بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ لأنّ كثيرًا، أو هو متعلِّق بقوله: (يجوز) وهذا هو الصواب.

---

١ ن ر + الثاني.
٢ ن ر: بقوله.
٣ ن: فأعلمه.

وأَحيا الموتى على يده، فقد أَحْيا العصا وجَعلها حيَّةً تسعى وفَلَقَ البحرَ وطَمَسَ على يد موسى، وإنْ خلَقَه من غير ذكَرٍ فقد خَلق آدم من غير ذكرٍ ولا أنثى.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾؛ أي: وما أمُّه أيضًا إلا كبعضِ النساء المصدِّقات للأنبياء المؤمنات بهم، فما منزلتُهما إلَّا منزلةُ بشرَيْن: أحدهما نبيٌّ والآخر صحابيٌّ، فمِن أين اشتَبَه عليكم أمرُهما حتى وصَفْتُموهما بما لم يُوصف به سائرُ الأنبياء وصحابتُهم، مع أنَّه لا تميُّزَ ولا تفاوتَ بينهما وبينهم بوجهٍ من الوجوه.

ثم صرَّح ببُعْدهما عما نُسب إليهما في قوله: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ لأنَّ مَن احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يَتْبعه من الهضم والنَّفْض لم يكن إلَّا جسمًا مركَّبًا من عَظم ولحم وعروقٍ وأعصابٍ وأخلاطٍ وأمزِجةٍ مع شهوةٍ وقَرَمٍ

قوله: **(على يده)** أي: بيده، وذِكر اليد تمثيل، وذلك لأنَّ أكثر الأعمال يكون باليد، وأمَّا ذِكر "على" فليَدلَّ على الاستعلاء، فكأنَّه قال: أجرى الله تعالى الإبراء والإحياء على يده، فإنَّ المبرئ والمحيي هو الله تعالى.

قوله: **(على يد موسى)** تنازع فيه **(أحيا)** و"جَعَل" و**(فَلَق)** و**(طمس)** على المعنى المذكور آنفًا، أي: أجرى الله تعالى إحياء العصا[1] على يد موسى عليه السلام،[2] وأمَّا صلة "طمس" كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [يونس ١٠/٨٨] فحذَفه المصنِّف ههنا، والتقدير: طمس على أموالهم على يد موسى عليه السلام.[3]

قوله: **(والنفض)** «نفضتُ الثوبَ والشجر أنفضُه نفضًا إذا حركتَه لينتفض»،[4] ومراد المصنِّف به دفعُ الفضلة بطريق قضاء الحاجة، وإنَّما عَدَل إلى هذا اللفظ رعاية للأدب، كما قال الله[5] تعالى: ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾، فعبَّر بالأكل عن الدفع.

قوله: **(وقَرَمٍ)** «القَرَم بالتحريك: شدَّة شهوة اللحم. وقد قرمتُ إلى اللحم بالكسر إذا اشتهيتَه».[6]

---

[1] ر: القضاء.

[2] د ر - عليه السلام.

[3] د ر - عليه السلام.

[4] **الصحاح** للجوهري، «نفض».

[5] د ر - الله.

[6] **الصحاح** للجوهري، «قرم».

وغيرِ ذلك مما يدلُّ على أنَّه مَصْنُوع مُؤلَّف مُدَبَّرٌ كغيره من الأجسام.

﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَٰتِ﴾؛ أي: الأعلامَ من الأدلَّة الظاهرةِ على بطلان قولهم.

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصْرَفون عن استماع الحقِّ وتأمُّله.

فإن قلتَ: ما معنى التراخي في قوله: ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ﴾؟

قلت: معناه: ما بَيْن العَجَبين، يعني: أنه بَيَّنَ لهم الآيات بيانًا عجبًا وأَنَّ إعْراضَهم عنها أعجبُ منه.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ هو عيسى؛ أي: لا يستطيع أن يضرَّكم بمثلِ ما يضرُّكم به الله من البلايا والمصائب في الأنفُس والأموال، ولا أن ينفعكم بمثلِ ما ينفعُكم به من صحة الأبدان والسَّعةِ والخِصْب؛ ولأنَّ كلَّ ما يستطيعه البشر من المضارِّ والمنافع فبإقْدار الله وتمكينه، فكأنّه لا يملك منه شيئًا، وهذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّ أمره مُنافٍ للربوبيَّة حيث جعلَه لا يستطيع ضَرًّا ولا نفعًا.

قوله: **(شيئًا)** هو معنى قوله: ﴿مَا﴾. وقوله: **(لا يستطيع)**... إلخ، معنى قوله: **(لا يملك)**... إلخ، وفسّره بوجهين.

قوله: **(والمصائب)** المصائب جمع المصيبة، وأصله الواو، كأنّهم[١] شبّهوا الأصليّ بالزائد، ويجمع أيضًا على "مصاوب".

قوله: **(ولأنّ كلّ)**... إلخ، عطف مِن حيث المعنى على جملة قوله: "لا يستطيع"... إلخ، والمعنى **الأوّل** إشارة إلى أنّه لا يملك الأمور المخصوصة، **والثاني** إلى أنّه لا يملك شيئًا ما. وقوله: "ولأنّ"... إلخ، علّة[٢] مِن حيث المعنى لقوله: **(فكأنّه لا يملك)**. ويمكن أن يقال: التفسيران لتقرير[٣] مذهب الاعتزال، فإنّ لأهل السنّة أن يُجروا الكلام على ظاهره بأن يقولوا: لا يستطيع شيئًا أصلًا بالحقيقة،

---

١ ن: فإنهم.
٢ ن ر: عليه.
٣ ر: التقدير.

وصفةُ الربِّ أن يكون قادرًا على كلِّ شيء لا يخرج مقدورٌ عن قدرته.

﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ متعلِّق بـ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾؛ أي: تُشْركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمعُ ما تقولون ويعلم ما تعتقدون.

أو: أتعبدون العاجزَ واللهُ هو السميع العليم الذي يصحُّ منه أن يسمعَ كلَّ مسموعٍ ويعلمَ كلَّ معلوم، ولن يكون كذلك إلَّا وهو حيٌّ قادر.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ صفةٌ للمصدر؛ أي: لا تغلو في دينكم غُلوًّا غيرَ الحقِّ؛ أي: غُلوًّا باطلًا؛ لأنَّ الغلوَّ في الدِّين غُلوَّان:

حقٌّ: وهو أن يفحَصَ عن حقائقه ويُفَتِّش عن أباعِدِ معانيه، ويَجتَهدَ في تحصيل حُجَجه؛ كما يَفعلُ المتكلِّمون من أهل العدل والتوحيد رضوانُ الله عليهم.

وغلوٌّ باطلٌ: وهو أن يتجاوزَ الحقَّ ويتخطَّاه، بالإعراض عن الأدلَّة، واتِّباعِ الشُّبَه؛ كما يفعل أهل الأهواء والبدع.

﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾: هم أئمتُهم في النصرانيَّة؛ كانوا على الضلال قبل مَبعث النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ ممَّن شايَعهم على التثليث ﴿وَضَلُّوا۟﴾ لمَّا بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ حين كذَّبوه وحَسَدوه وبغَوْا عليه.

لأنَّ الإنسان مجبرٌ غيرُ[١] قادرٍ، فالله هو القادر وحدَه. وقوله: "فكأنَّه[٢] / لا يملك" الضمير يجوز أن يعود إلى البشر وإلى عيسى.[٣] [٣٤٤و]

قوله: (العاجزَ) والفرق[٤] بين الوجهين أنَّ الأوَّل متضمِّن للوعيد والثاني للتعيير[٥] والتجهيل.

---

١ ن ر: عن.
٢ ن: فإنك.
٣ ن + عليه ابسلام.
٤ ر: الفرق.
٥ ر: للتعبير.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨﴾

نزَّل الله لَعْنَهم في الزبور على لسانِ داودَ وفي الإنجيل على لسان عيسى.

وقيل: إنَّ أهلَ أَيْلة لمَّا اعتدَوْا في السبت قال داود عليه السلام: «اللّٰهمَّ الْعَنْهم واجْعَلهم آيةً»، فمُسِخُوا قردةً، ولمَّا كفر أصحابُ عيسى عليه السلام بعد المائدة قال عيسى: «اللّٰهمَّ عذِّبْ مَن كفر بعد ما أكل من المائدة عذابًا لم تُعذِّبه أحدًا من العالمين، والعَنْهم كما لعَنْتَ أصحاب السبت»، فأصبحوا خنازيرَ، وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأةٌ ولا صبيٌّ.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾؛ أي: لم يكن ذلك اللَّعْنُ الشنيعُ الذي كان سببَ المسخِ إلَّا لأجْلِ المعصية والاعتداء لا لشيءٍ آخَرَ، ثم فسَّر المعصيةَ والاعتداء بقوله:

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾: لا ينهَى بعضهم بعضًا ﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُ﴾، ثم قال:

﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ للتعجيب من سُوء فِعْلهم مؤكِّدًا لذلك بالقسم، فيا حَسْرةً على المسلمين في إعْراضهم عن باب التناهِي عن المناكير، وقلَّةِ عَبْئهم به كأنَّه ليس من ملة الإسلام في شيء، مع ما يَتْلون من كتاب الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب.

قوله: **(واجعلهم)**[١] وعلى هذا الوجه يكون المراد باللعن دُعاءً هو سبب المسخ.

قوله: **(لا لشيء آخرَ)** جمع المصنّف بين "لا" العاطفة والاستثناء، ومثلُه غير جائز.

قوله: **(التناهي)** التناهي: نهي بعضهم بعضًا.

قوله: **(وقلّة عِبئهم)** أي: عدم مبالاتهم بذلك. وقوله: **(كأنّه)** أي: التناهي.

قوله: **(وما فيه)** يجوز أن يكون عطفًا على **(كلام)**[٢] أو[٣] على **(ما يتلون)**.

---

١ ن: وجعلهم.

٢ في مطبوع **الكشّاف**: كتاب. | وأثبتُّ ما في حاشية **الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف**.

٣ ن ر: أبو.

فإن قلتَ: كيف وقع تركُ التناهي عن المنكَر تفسيرًا للمعصية والاعْتداء؟

قلتُ: مِن قِبَل أن الله عزَّ وجل أَمر بالتناهي فكان الإخلالُ به معصيةً، وهو اعتداء؛ لأن في التناهي حَسْمًا للفساد فكان تركُه على عكسه.

فإن قلتَ: ما معنى وصفِ المنكَر بـ﴿فَعَلُوهُ﴾، ولا يكون النهيُ بعد الفعل؟

قلتُ: معناه: لا يتناهَوْن عن مُعاودةِ منكرٍ فعلوه، أو: عن مثلِ منكرٍ فعلوه، أو: عن منكرٍ أرادوا فعلَه؛ كما تَرَى أَمَاراتِ الخَوْض في الفِسْق وآلاته تُسوَّى وتُهيَّأ فتُنكِرُ.

ويجوز أن يراد: لا يَنْتَهون ولا يمتنعون عن منكرٍ فعلوه، بل يُصرُّون عليه ويُداومون على فعله، يقال: تناهَى عن الأمر وانتهَى عنه: إذا امتَنع منه وتَرَكَه.

قوله: (**فإن قلتَ: كيف وَقَع ترك التناهي؟**) اعلم أنّ هذا السؤال والجواب مبنيّ على قوله: (فسّر المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُواْلَا يَتَنَاهَوْنَ﴾) ويحتمل عندي أن يقال: المراد بعصيانهم إتيانهم بالمنكر، والمراد بالاعتداء تركُ التناهي عن المنكر، ثمّ يقال: فسّر الاعتداء بقوله: ﴿كَانُواْلَا يَتَنَاهَوْنَ﴾، ويؤيّده تكرير[١] ﴿كَانُواْ﴾ فيهما، فيكون في الكلام إشارة إلى أنّ تارك النهي عن المنكر آثمُ ممَّن[٢] أتى بالمنكر، حيث جعل تارك النهي معتديًا، وذلك لِما مرّ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

قوله: (**على عكسه**) أي: يكون فتح باب الفساد وإغراءً على الفساد فيكون اعتداءً.

قوله: (**بعد الفعل**) لأنّه قبل أن يفعل يجب[٣] أن يُنهى لئلا يفعل، فلمّا فعل وفرغ لا يفيد النهي؛ بل لا يكون نهيًا، وإنّما يكون لومًا وتوبيخًا.

قوله: (**ويجوز**)[٤] أن يُراد عطف مِن حيث المعنى على قوله: (**لا ينهى بعضهم بعضًا**).

---

١ ن: تكريره.
٢ ر: فمن.
٣ ر: بحيث.
٤ ن ر - ويجوز.

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ هم منافقو أهل الكتاب، كانوا يوالون المشركين ويُصافُونهم.

﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هو المخصوصُ بالذمِّ ومحلُّه الرفع؛ كأنه قيل: لبئسَ زادُهم إلى الآخرة سَخَطُ الله عليهم، والمعنى: مُوجِبُ سخطِ الله.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ﴾ إيمانًا خالصًا غيرَ نفاقٍ ما اتَّخذوا المشركين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يعني: أن موالاة المشركين كفَى بها دليلًا على نفاقهم، وأن إيمانهم ليس بإيمانٍ.

﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: متمرِّدون في كفرهم ونفاقهم.

وقيل معناه: ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدَّعون ما اتَّخذوا المشركين أولياءَ كما لم يُوَالِهم المسلمون.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

وصَفَ الله شدَّة شكيمة اليهود وصُعوبةَ إجابتهم إلى الحق، ....

قوله: **(والمعنى)** وذلك لأنّهم إنّما[١] قدّموا موجب سخط الله تعالى لا سخط الله، فتأمّل.

قوله: **(وقيل: معناه)** على الوجه **الأوّل** تكون الآية في المنافقين، وعلى **الثاني** في اليهود.

قوله: **(شكيمة اليهود)** يقال: "فلان شديد الشكيمة" إذا كان شديد النفس أنِفًا أبيًّا، و"فلان ذو شكيمة" إذا كان لا ينقاد. والشكيمة في اللِّجام: الحديدة[٢]

---

[١] ن ر: إذا.

[٢] ن: الحديد.

ولينَ عريكة النصارى وسهولةَ ارْعوائهم وميلِهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قُرناءَ المشركين في شدَّة العداوة للمؤمنين، بل نبَّه على تقدُّم قدَمهم فيها بتقديمهم على الذين أشركوا، وكذلك فعَل في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [البقرة ٩٦/٢] ولعَمْري إنهم لكذلك وأشدُّ، وعن النبيِّ صلى الله عليه وسلم: «ما خلا يهوديَّان بمسلمٍ إلا هَمَّا بقتله».

المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس.[١] وإنّما تُجعل الشكيمة شديدة إذا كانت الدابة شديدة النفس أبيًا جموحًا، فلذلك جُعل شدّة الشكيمة كنايةً عن شدّة النفس وإبائها[٢] وصعوبتها.

قوله: **(عريكةِ)** «العريكة: الطبيعة، يقال: فلان ليّن العريكة، أي: سَلِس منقاد. ولانت عريكته، أي: انكسرت نخوته».[٣]

قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ الآية، في هذه الآية دقيقةٌ لا بدّ مِن التنبُّه[٤] لها وهو أن قال[٥] تعالى في حقّ اليهود: ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾، فأثبت[٦] العداوة لليهود والمشركين وسائر[٧] الكفّار مِن النصارى وغيره، ثمّ وصف اليهود بأن عداوتهم أشدّ، وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ في حقّ النصارى، فلم يُثبت لهم المودة؛ بل ما أثبت لهم إلّا قُرب المودّة، وذلك لأنّهم ما داموا على كفرهم وتنصّرهم يُعادون المسلمين ولا[٨] يوادّونهم، لكنّ إسلام النصارى أرجى[٩] وأقربُ حصولًا، فمودّتهم تكون أقربَ، فلذلك يجب على المسلمين معاداة النصارى كاليهود، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

قوله: **(عنتَهم)** أي: إيقاعهم في العنت، وهو: المشقّة / والشدّة. [٣٤٤ظ]

قوله: **(وكذلك فعل)**... إلخ، عطف على قوله: **(وذلك نحو ما يُحكى)**... إلخ.

---

١ ر: أنفاسّ. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «شكم».
٢ ر: وإياها.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عرك».
٤ ن ر: التنبيه.
٥ ن – قال.
٦ ن ر: ما يثبت.
٧ ر: وسار.
٨ ن: فلا.
٩ في هامش د: أرخى. خ [اختصارًا من "نسخة"].

وعلَّلَ سهولةَ مأخذِ النصارى وقُربَ مَودَّتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ أي: علماء وعُبَّادًا ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ قومٌ فيهم تواضعٌ واستكانةٌ ولا كِبرَ فيهم، واليهودُ على خلاف ذلك.

وفيه دليلٌ بيِّنٌ على أن العلم أنفعُ شيء وأهْداه إلى الخير وأدلُّهُ على الفوز حتى عِلْم القسِّيسين، وكذلك غمُّ الآخرة والتحدُّثُ بالعاقبة وإن كان في راهبٍ، والبراءةُ من الكبر وإن كانت في نصرانيٍّ.

ووصَفَهم الله برقَّة القلوب وأنهم يبكون عند استماع القرآن، وذلك نحوُ ما يُحكَى عن النجاشيِّ: أنه قال لجعفر بن أبي طالبٍ حين اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة والمشركون وهم يُغرُونَه عليهم ويتطلَّبون عَنَتَهم عنده: هل في كتابكم ذكرُ مريم؟ قال جعفر: فيه سورةٌ تُنسب إليها، فقرأها إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم ٣٤/١٩]، وقرأ سورةَ طه إلى قوله: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه ٩/٢٠] فبكى النجاشيُّ.

وكذلك فَعَل قومُه الذين وفَدُوا على رسول الله -وهم سبعون رجلًا- حين قرأ عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سورةَ "يس" فَبَكَوا.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقت اللام في قوله: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

قلتُ: بـ﴿عَدَٰوَةً﴾ و﴿مَّوَدَّةً﴾ على أن عداوةَ اليهود التي اختصَّت المؤمنين أشدُّ العداوات وأظهرُها، وأن مودَّة النصارى التي اختصَّت المؤمنين أقربُ المودَّات وأَدْناها وُجودًا وأسهلُها حصولًا، ووصفُ اليهود بالعداوة والنصارى بالمودَّة مما يؤذِن بالتفاوت، ثم وصفُ العداوة والمودَّة بالأشدِّ والأقرب.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾؟

قوله: (**والأقربُ**) أي: أيضًا ممّا يؤذِن بالتفاوت.

قلت: معناه: تَمْتَلئُ من الدَّمع حتّى يفيضَ؛ لأن الفيض أن يمتلئ الإناءُ أو غيرُه حتى يَطْلُعَ ما فيه من جوانبه، فوُضع الفيضُ الذي هو من الامتلاء موضعَ الامتلاء، وهو من إقامة المسبَّب مقامَ السبب، أو قُصدت المبالغةُ في وصفهم بالبكاء فجُعلت أعينُهم كأنها تفِيض بأنفسها؛ أي: تسيل من الدمع من أجل البكاء، من قولك: دمعَتْ عيْنُه دَمْعًا.

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين "مِن" و"مِن" في قوله: ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

قلتُ: الأولى لابتداء الغاية على أنَّ فيض الدَّمع ابتدأ ونشأ من معرفة الحقِّ وكان من أجله وبسببه، والثانيةُ لتبيين الموصول الذي هو "ما عرفوا"، وتحتمِل معنى التبعيضِ على أنهم عرفوا بعضَ الحقِ فأَبْكاهم وبلغَ منهم، فكيف إذا عرفوه كلَّه وقَرَؤوا القرآنَ وأحاطوا بالسنَّة؟

وقرئ: "تُرى أعينُهم" على البناء للمفعول.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾ المراد به إنشاءُ الإيمان والدخولُ فيه ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾:

قوله: **(معناه: تمتلئ مِن الدمع)** فيكون المعنى "تمتلئ أعينهم مِن الدمع"، فلذلك جيء بـ"مِن". يقال: امتلأ منه. وأمّا قوله: **(حتّى يفيض)** أيِ: الدمع، فشيء مُراد حُذف مِن اللفظ لدلالة سياق الكلام عليه، فإنّ الكناية لا تُنافي الحقيقة. ثمّ أشار المصنّف إلى وجه استعمال "تفيض" بمعنى "تمتلئ"، فقال: لأنّ الفيض، يعني[١] أنّ الفيض هو طلوع ما في الشيء مِن جوانبه بسبب امتلائه، فيكون الفيض مسبَّبًا[٢] عن الامتلاء فوُضع مقامَ[٣] سببه وهو الامتلاء. والدمعُ على هذا الوجه اسمُ عين وهو ماء العين، وأمّا على الوجه الثاني فهو اسم معنى مصدر كما ذكر، يقال: **(دمعَت عينه دمْعًا)** ودمَعًا.

قوله: **(إنشاءُ الإيمان)**، يعني: ليس المراد به الإخبار عن إيمانهم السابق؛ بل المعنى أنّهم أنشئوا الإيمان ودخلوا فيه بهذا القول.

---

١ ن: معنى.

٢ ر: سببًا.

٣ ن - مقام.

مع أمّة محمد الذين هم شهداءُ على سائر الأمم يوم القيامة: ﴿لِتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة ٢/١٤٣] وقالوا ذلك لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٤ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٥ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ٨٦﴾

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ﴾ إنكارٌ واستبعادٌ لانتفاءِ الإيمانِ مع قيام مُوجِبه، وهو الطمعُ في إنعام الله عليهم بصحبة الصالحين.

وقيل: لمّا رجعوا إلى قومهم لامُوهم، فأجابوهم بذلك، وأرادوا: "وما لنا لا نؤمنُ بالله وحدَه"؛ لأنهم كانوا مثلِّثين وذلك ليس بإيمانٍ بالله.

ومحلُّ ﴿لَا نُؤۡمِنُ﴾ النصبُ على الحال، بمعنى: غيرَ مؤمنين؛ كقولك: ما لكَ قائمًا؟

والواوُ في ﴿وَنَطۡمَعُ﴾ واوُ الحال.

فإن قلتَ: ما العاملُ في الحال الأولى والثانية؟

قلتُ: العامل في الأولى ما في اللام من معنى الفعل؛ كأنه قيل: أيُّ شيءٍ حصل لنا غيرَ مؤمنين؟ وفي الثانية معنى هذا الفعلِ ولكنْ مقيَّدًا بالحال الأولى؛ لأنك لو أزلْتَها وقلتَ: "وما لنا ونطمعُ" لم يكن كلامًا.

ويجوزُ أن يكون ﴿وَنَطۡمَعُ﴾ حالًا من ﴿لَا نُؤۡمِنُ﴾ ....

قوله: **(واو الحال)** ويكون التقدير "ونحن نطمع"، ليكون جملة اسميّة، فيحسن دخول الواو.

قوله: **(لم يكن كلامًا)** أي: لم يكن له معنى صحيح.

قوله: **(ويجوز أن يكون)** على هذا الوجه يكونان حالين متداخلين،[١]

---

[١] ن ر: متداخلتين.

على أنهم أنكروا على أنفسهم أنهم لا يوجِدون الله ويطمَعون مع ذلك أن يَصْحَبوا الصالحين.

وأن يكون معطوفًا على ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ على معنى: "وما لنا نجمعُ بين التثليث وبين الطمع في صحبةِ الصالحين؟" أو على معنى: "وما لنا لا نجمعُ بينهما بالدخول في الإسلام؟"؛ لأنّ الكافر ما ينبغي له أن يطمع في صحبة الصالحين.

قرأ الحسن: "فآتاهم الله".

وعلى **الأوّل** حالين مترادفين،[١] والمعنى على الوجه **الثاني**: أيّ شيء[٢] حصل لنا غيرَ مؤمنين[٣] في حال الطمع.

قوله:[٤] **(وأن يكون معطوفًا)** وعلى هذا الوجه لا تكون الواو في ﴿وَنَطْمَعُ﴾ واو الحال؛ بل تكون واوَ العطف، عُطف بها جملة حاليّة على جملة أخرى حاليّة. والتحقيقُ في هذا الموضع أنّ كلّ واحد مِن هاتين الجملتين، أعني قوله: ﴿لَا نُؤْمِنُ﴾ وقوله: ﴿نَطْمَعُ﴾ في محلّ مفرد معمول لفعل محذوف، وذلك المحذوف هو[٥] في محلّ الحال. ثم إنّه يجوز أن يقدّر ذلك المحذوف قبل حرف النفي أو بعده، والتقدير: نجمع ألّا نُؤمن ونطمعَ، أو لا نجمع أن نُؤمن ونطمعَ،[٦] ثمّ حُذف العامل وحُذف "أن" أيضًا فبقي الفعلان مرفوعين.[٧] تلخيصُه ما لنا نجمع بين عدم الإيمان والطمع، أو ما لنا لا نجمع بين الإيمان والطمع. وقوله: **(لأنّ الكافر)** متعلِّق بهذين الوجهين.

قوله: **(وبين الطمع)** أي: كيف نجمع بين عدم الإيمان والطمع، أو لِمَ لا نجمع بين الإيمان والطمع؟

قوله: **(بينهما)** أي: بين الإيمان والطمع.

---

١ ن: مترادفتين.

٢ ن - شيء؛ ر: من.

٣ ر: المؤمنين.

٤ ن - قوله.

٥ ر - هو.

٦ ن + في.

٧ ن: ونوعين؛ ر: وقوعين.

﴿بِمَا قَالُواْ﴾: بما تكلّموا به عن اعتقادٍ وإخلاص، من قولك: "هذا مِن قول فلان"، أي: اعتقادُه وما يذهب إليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾

﴿طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾: ما طابَ ولَذَّ من الحلال، ومعنى ﴿لَا تُحَرِّمُواْ﴾: لا تمنعوها أنفسَكم كمنع التحريم، أو: لا تقولوا: "حرَّمناها على أنفسنا" مبالغةً منكم في العزم على تركها تزهُّدًا منكم وتقشُّفًا.

وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَفَ القيامة لأصحابه يومًا، فبالَغ وأشبعَ الكلام في الإنذار، فرقُّوا واجتمعوا ....

قوله: (وتقشُّفًا) التقشُّف:[١] قِلّة التعمّد[٢] في المطعم والملبس. والقَشَف التغيُّر مِن الفقر أو تلويح الشمس، وقد قَشِف بالكسر قشفًا إذا لوَّحته الشمس[٣] أو الفقر فهو قشِف. والمتقشِّف الذي يتبلَّغ بالقوت والمُرقَّع.[٤] قاله[٥] في **الصحاح**. وقال في **المُغرِب**: «المتقشِّفة: المتعمّقة في الدِّين، وأصل المتقشِّف الذي لا يتعاهد النظافة، ثمّ قيل: للمتزهِّد الذي يقنع بالمُرقَّع مِن القَشف، وهو: شدّة العيش وخشونته».[٦]

قوله: (فَرَقُّوا) أي: رقّ قلوبهم بعد سماع كلام النبيّ عليه السلام.[٧] قال في **المُغرِب**: أصل الرِّقّ مِن الرِّقة التي بمعنى الضعف، ومنه «إنّ أبا بكر[٨] رجل رقيق»،[٩] أي: ضعيف القلب.[١٠] وكذا قوله: فلمّا سمع ذِكر النبيّ عليه السلام[١١] رقّ، أي: رقّ قلبه واستشعر الخشية.

---

١ ن: المتقشف.

٢ ر: النعمة.

٣ ن: الفقر.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قشف».

٥ ر: قال.

٦ **المغرب** للمطرّزي، «قشف».

٧ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٨ ر + أنه.

٩ **صحيح البخاري**، ١٥٠/٤ (٣٣٨٥)؛ **صحيح مسلم**، ٣١٣/١ (٤١٨).

١٠ ن – التي بمعنى الضعف ومنه أنّ أبا بكر رجل رقيق، أي: ضعيف القلب.

١١ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

في بيت عثمان بن مَظْعونٍ واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفُرُش، ولا يأكلوا اللحم والودَك، ولا يَقْرَبوا النساء والطِّيب، ويَرْفُضُوا الدنيا، ويَلبَسُوا المَسُوحَ، ويَسيحوا في الأرض، ويَجُبُّوا مذاكيرَهم، فبلَغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «إنّي لم أُومَر بذلك، إنَّ لأنفُسكم عليكم حقًّا، فصوموا وأَفْطِروا، وقُوموا وناموا، فإنّي أقومُ وأنام، وأصوم وأفطر، وآكُلُ اللحمَ والدَّسَمَ، وآتي النساء، فمَن رغب عن سنَّتي فليس منِّي» ونزلت.

وروي: أن رسول الله كان يأكل الدجاج والفالُوذَ، وكان يُعجبه الحلواءُ والعسل، وقال: «إنَّ المؤمن حلوٌ يُحِبُّ الحلاوةَ».

وعن ابن مسعود أنَّ رجلًا قال له: إنّي حرَّمتُ الفِراش، فتلا هذه الآية وقال: نَمْ على فراشك، وكفِّرْ عن يمينك.

وعن الحسن: أنه دُعي إلى طعام ومعه فَرقَدٌ السَّبَخيُّ وأصحابُه، فقعدوا على المائدة وعليها الألوان من الدُّرَّاج المسمَّن والفالوذ وغيرِ ذلك، فاعْتزل فَرقَدٌ ناحيةً، فسأل الحسنُ: أهو صائم؟ قالوا: لا، ولكنه يَكره هذه الألوانَ، فأَقْبَلَ الحسنُ عليه وقال: يا فُرَيْقَدُ! أترَى لُعابَ النَّحْل بلُباب البُرِّ بخالص السَّمْن يَعيبُه مُسلم؟!

وعنه أنه قيل له: فلانٌ لا يأكل الفالوذ ويقول: لا أُؤدِّي شكره، قال: أفيشربُ الماء الباردَ؟ قالوا: نعم، قال: إنه جاهلٌ؛ إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثرُ من نعمته عليه في الفالوذ.

قوله: **(عثمان)** هو[1] أوّل من دُفن بالبقيع.

/ قوله: **(مذاكيرَهم)**[2] المذاكير جمع الذَّكَر على غير القياس، كأنّهم فرّقوا بين الذَّكَر الذي هو العضو في[3] الجمع[4] وبين الذَّكَر الذي هو خلاف الأنثى. قال الأخفش: هو مِن الجمع الذي لا واحدَ له مثل "العباديد" و"الأبابيل". [٣٤٥و]

---

[1] ن ر: وهو.
[2] انظر: **جامع البيان** للطبري، ٨/٦٠٩ (المائدة، ٥/٨٧).
[3] ن ر - في.
[4] ن ر: بالجمع.

وعنه: أنَّ الله تعالى أدَّب عبادَه فأحسَنَ أَدَبَهم، قال: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق ٧/٦٥] ما عابَ الله قومًا وَسَّعَ عليهم في الدنيا فتنعَّمُوا وأطاعوا، ولا عذَرَ قومًا زَوَاهَا عنهم فعَصَوْه.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾: ولا تتعدَّوْا حدودَ ما أُحلَّ لكم إلى ما حُرِّم عليكم، أو: ولا تُسرفوا في تناوُلِ الطيِّبات، أو جُعل تحريم الطيِّبات اعتداءً وظلمًا فنُهي عن الاعتداء ليدخل تحته النهيُ عن تحريمها دخولًا أوليًّا لوُروده على عقبه، أو أرادَ: ولا تعتدوا بذلك.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٨٨ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩﴾

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: من الوجوه الطيِّبة التي تُسمَّى رزقًا ﴿حَلَٰلًا﴾ حالٌ من "ما رزقكم الله".

قوله: **(زَوَاها)** يقال: زوى فلان المال عن وارثه زيًّا.

قوله: **(ولا تعتدوا بذلك)** أي: بتحريم الطيبات، يعني: يكون المراد بالاعتداء هو تحريم الطيِّبات فقط.

قوله: **(أي: مِن الوجوه الطيِّبة)** فسَّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بقوله: "من الوجوه الطيِّبة"،[1] وكأنّه أراد بتلك الوجوه الطرق التي شرعها الله تعالى[2] في كسب المأكولات والملبوسات، ولذلك لم يقل: "مِن الأشياء الطيِّبة" ويؤيِّد ما ذكرنا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ﴾ [الزخرف ٣٢/٤٣] بطريق السؤال والجواب:

---

[1] د - فسَّر المصنِّف قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بقوله: "من الوجوه الطيِّبة".
[2] د ر - تعالى.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ تأكيدٌ للتوصية بما أَمرَ به، وزادَه تأكيدًا بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أَمرَ به وعمَّا نَهى عنه.

اللغوُ في اليمين: الساقطُ الذي لا يتعلَّق به حكمٌ، واختُلف فيه:

فعن عائشة رضي الله عنها أَنها سُئلت عنه فقالت: هو قولُ الرجل: "لا والله"، و"بلى والله". وهو مذهب الشافعيِّ رحمه الله.

فإن قلتَ: معيشتهم ما يعيشون به مِن المنافع، ومنهم مَن يعيش بالحلال ومنهم مَن يعيش بالحرام، فإذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال؛ قلتُ: الله تعالى قسم لكلّ عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه مِن المنافع وأذِن له في تناولها، ولكن شَرَط عليه وكلّفه أن يسلك في تناولها الطرق التي شرعها، فإذا سلكها فقد تناول قسمته مِن المعيشة حلالًا وسمّاها "رزق الله"، وإذا لم يسلكها تناولها حرامًا وليس له أن يسمّيها "رزق الله تعالى"، فالله تعالى قاسم[١] المعايش[٢] والمنافع، ولكن العباد هم الذين يُكسِبونها صفة الحُرمة، وهو عدولهم فيه[٣] عمّا شرعه الله تعالى إلى[٤] ما لم يشرعه.[٥]

هذا كلام المصنّف في ذلك الموضع، وليس فيما ذكره دليل على أنّ الحرام لا يكون رزقًا، وإذا سلَّم أنّه تعالى هو قاسم المعايش لزم أن يكون رازق المعايش، وما الفرق بينهما؟ وكأنّ المصنّف جعل ذلك بحثًا لفظيًا حيث قال: «ليس أن يسمّيها رزق الله تعالى»، ثمّ إنّ هذا الذي ذَكَره المصنّف إنّما يتأتّى فيما عَرَض له الحُرمة بفعل العبد كالمغصوبات والمسروقات ولحم الشاة الموقوذة وما أشبهها، وأمّا ما يكون حرمته بما لا مَدخَل لفعل[٦] العبد فيه كالمَيتة والدم ولحم الخنزير فلا يتأتى كلامه فيه، وهو وارد عليه مُبطِل لمذهبه، وإذا نظرتَ في الآية التي نحن فيها ظهر لك أنّ الرزق شامل للحلال والحرام، والله تعالى

---

١ ن: قاس.
٢ ر: المعاش.
٣ ر: فيها.
٤ ن: أن.
٥ **الكشّاف** للزمخشري، (الزخرف، ٤٣/٣٢).
٦ ن: بفعل.

وعن مجاهد: هو الرَّجُلُ يحلِفُ على الشيء يَرى أنه كذلك وليس كما ظنَّ، وهو قولُ أبي حنيفة رحمه الله.

﴿بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: بتعقيدكم الأيمانَ، وهو توثيقُها بالقصد والنيَّة.

ورُوي: أن الحسن سُئِل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدقُ، فقال: يا أبا سعيد، دَعْني أُجِبْ عنك، فقال:

ولستَ بمأخوذٍ بلغوٍ تقولُه ... إذا لم تَعَمَّدْ عاقداتِ العَزائمِ

وقرئ: ﴿عقَدتم﴾ بالتخفيف، و﴿عاقدتم﴾.

والمعنى: "ولكنْ يؤاخذُكم بما عقَّدتم إذا حَنِثتم" فحذف وقت المؤاخذة؛ لأنه كان معلومًا عندهم، أو: "بنكث ما عقَّدتم" فحذف المضاف.

قيَّد الأمر بأكل رزق الله تعالى[١] بحال كونه حلالًا، ولو[٢] لم يكن الحرام ممّا رزق الله تعالى لم يكن لتقييد قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بقوله: ﴿حَلَٰلًا﴾ زيادةُ فائدة.

قوله: **(هو الرجل)** أي: هو حَلِف الرجل وإنّما حذفه لدلالة يحلِف عليه.

قوله:

(ولستَ بمأخوذ)[٣] البيت

(عاقداتِ) مفعول **(تعمَّد)**. و**(العزائم)**: الأمور المعزومة. و"عاقدات العزائم": هي الأيمانُ التي تُعقد بها، أي:[٤] إذا لم تُقصَد الأيمان التي تُعقد بها، أي: تُوثِّق بها. وقوله: **(تقوله)**... إلخ،[٥] صفة "لَغْو"، وهي صفة كاشفة لا مميِّزة،[٦] لأنَّ اللغو هو الذي يقال عن غير تعمّد، و**(إذا)** ظرف **(تقوله)**، فعلى هذا يكون "تقوله" مقيّدًا بالظرف و"مأخوذ" غير مقيّد به. ويجوز أن يكون "إذا" ظرف "مأخوذ" فهو مقيَّد بالظرف دون "تقوله".

---

١ د - تعالى.
٢ ر - لو.
٣ البيت للفرزدق، ومضى بتخريجه في تفسير النساء، ٤/٢٤.
٤ ر - أي.
٥ ن ر + العزائم، وهو تعليق بهامش د.
٦ ن: ميره.

﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ﴾ فكفَّارةُ نَكْثه، والكفَّارة: الفَعْلةُ التي من شأنها أن تَكْفُرَ الخطيئةَ؛ أي: تَسْتُرَها.

﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾: مِن أَقْصَدِهِ؛ لأن منهم مَن يُسْرِفُ في إطعام أهله ومنهم مَن يُقَتِّرُ، وهو عند أبي حنيفة رحمه الله نصفُ صاعٍ من بُرٍّ أو صاعٌ من غيره لكلِّ مسكين، أو يُغَدِّيهم ويُعَشِّيهم، وعند الشافعي رحمه الله: مدٌّ لكلِّ مسكين.

وقرأ جعفر بن محمد: "أهالِيْكم" بسكون الياء، والأَهالي: اسم جمعٍ لأَهْلٍ؛ كالليالي في جمع ليلةٍ، والأراضي في جمع أرض، وقولهم: "أَهْلون" كقولهم "أَرْضون" بسكون الراء، وأما تسكينُ الياء في حالِ النصب فللتخفيف؛ كما قالوا: "رأيتُ مَعدي كَرِبَ" تشبيهًا للياء بالألف.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ عطفٌ على محلِّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾.

وقرئ بضم الكاف، ونحوه: قُدوَةٌ في قِدْوَة، وأُسْوة في إِسْوة.

قوله: (مِن أقصَدِه) أصل القَصْد: ما بين الإسراف[١] والتقتير،[٢] ومنه قوله: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ [لقمان ١٩/٣١].

قوله: (مُدّ)[٣] رطل وثلث.

قوله: (لأَهْل) "أهل" مثل "ليلة". / والتاء مقدّرة في "أهل" وكذا في "أرض". [٣٤٥ظ]

قوله: (مَعدِي كَرِبَ) حقّ "مَعدي كَرِب" أيضًا فتح فيمن[٤] يُعرب.

قوله: (عطف على محلّ ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾) قال رحمه الله:[٥] وجهُه[٦] أن يكون ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾ بدلًا مِن الإطعام، والبدلُ هو المقصود، ولذلك كان المبدل منه في حكم المنحّى، فكأنّه قيل: فكفّارته مِن أوسط ما تطعمون.

---

[١] ن ر: الإشراف.

[٢] ر: والتقصير.

[٣] ن + المد.

[٤] ن: ضمير.

[٥] ن ر: رضي الله عنه.

[٦] ن ر - وجهه.

والكِسْوة: ثوبٌ يُغَطِّي العورةَ، وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت العَبَاءةُ تُجزئُ يومئذٍ.

وعن ابن عمر: إزار أو قميص أو رداءٌ أو كساءٌ.

وعن مجاهدٍ: ثوب جامعٌ.

وعن الحسن: ثوبان أبيضان.

وقرأ سعيد بن المسيِّب واليماني: "أو كإِسْوتُهم" بمعنى: أو مثلُ ما تُطعمون أهليكم إِسرافًا كان أو تقتيرًا، لا تَنْقُصونهم عن مقدارِ نفقتهم ولكنْ تُوَاسُون بينهم وبينهم.

فإن قلتَ: ما محلُّ الكاف؟

قلتُ: الرفعُ؛ تقديره: أو طعامُهم كإسْوتهم، ....

قوله: (**ثوب جامع**)،[1] أي: جامع[2] للإزار[3] والرداء، وهو حُلّة ثوبان إزار ورداء.[4]

قوله: (**واليماني**) اليماني هو محمّد بن السَّمَيْفَع.

قوله: (**"أو كإسوتهم"**)[5] «الإسوة: اسم مِن ائتسى به إذا اقتدى به[6] واتّبعه. آسيته بما لي، أي: جعلتُه إسوة أقتدي به ويقتدي هو بي، وواسيته لغة ضعيفة. ومنه قوله في باب الأذان: "فواسَوه". وفي كتاب عمرَ: آسِ بين الناس في وجهك، أمر منه، ومعناه: شارك بينهم في نظرك والتفاتك».[7] وقيل: سوِّ بينهم.

قوله: (**بينهم وبينهم**) أي: بين أهليكم وبين المساكين.

قوله: (**فإن قلتَ: ما محلّ الكاف؟**) أي: على تقدير "كإسوتهم".

قوله: (**تقديره: طعامُهم**) أي: طعام عشرة مساكين كإسوتهم، أي:[8] كإسوة

---

١ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٦٤٣/٨ (المائدة، ٨٩/٥).

٢ ن - أي: جامع.

٣ ن ر: الإزار.

٤ ن ر - وهو حُلّة ثوبان إزار ورداء.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جبير واليماني. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٣١.

٦ ر + ويقتدي هو.

٧ انظر: **المُغرب** للمطرِّزي، «أسو».

٨ ر: أو.

بمعنى: كمِثْل طَعَامِهم إنْ لم تُطعموهم الأوسطَ.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ شَرَط الشافعي رحمه الله الإيمانَ قياسًا على كفَّارة القتل، وأَمَّا أبو حنيفة وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فقد جوَّزوا تحريرَ الرقبة الكافرة في كلِّ كفَّارةٍ سِوَى كفارة القتل.

فإن قلتَ: ما معنى ﴿أَوْ﴾؟

قلتُ: التخييرُ وإيجاب إحدى الكفَّارات الثلاث على الإطلاق، بأيِّها أَخَذ المُكفِّر فقد أصاب.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ إحداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعاتٍ عند أبي حنيفة رحمه الله تمسُّكًا بقراءة أبيٍّ وابن مسعود رضي الله عنهما: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات".

وعن مجاهد: كلُّ صوم متتابعٌ إلَّا قضاءَ رمضان، ويخيَّرُ في كفَّارة اليمين.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ ولو قيل: "تلك كفَّارة أيمانكم" لكان صحيحًا، بمعنى: تلك الأشياءُ، أوْ لتأنيث الكفَّارة، والمعنى: ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحَنِثتُم، فتَرك ذكر الحِنث لوقوعِ العلم ....

أهليكم، بمعنى: كمثل طعام أهليكم إن لم تُطعموا المساكينَ الأوسطَ، فجعل المصنّف الإسوة هنا بمعنى المثل، كما قال قبله: (**أو كإسوتهم"**،[1] **بمعنى: أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافًا أو تقتيرًا**)، فيئول المعنى إلى أنّه أمَر بأوسط طعام أهليكم ثمّ بما يماثله، فظهر لك مِن هذا أنّ المضاف محذوف، والتقدير: كإسوة طعامهم، أي: كمثل طعامهم.

قوله: (**﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾**)، أراد: فمَن لم يملك،[2] بخلاف قوله: **﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾** أي: لم تقدروا.

قوله: (**﴿ذَٰلِكَ﴾**) إنّما اختير ذلك لأنّه أدخَلُ في الاستعمال كلفظة الفعل، وبيانه أنّ الرجل إذا قال: "أكرمتُ وأحسنتُ إليه وأعطيتُه كذا"، فتقول: "نِعْمَ ما فعلتَ"،

---

[1] ن: كاسبهم.
[2] ن: يكن.

بأن الكفّارة إنما تجبُ بالحِنث في الحَلِف لا بنفسِ الحَلِف.

والتكفيرُ قبل الحِنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله، ويجوز عند الشافعي رحمه الله بالمال إذا لم يَعصِ الحانثُ.

﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ فبَرُّوا فيها ولا تَحنَثوا، أراد الأيمانَ التي الحِنثُ فيها مَعْصيةٌ؛ لأن الأيمانَ اسمُ جنسٍ يجوز إطلاقه على بعضِ الجنس وعلى كلِّه.

وقيل: احفظوها بأنْ تكفِّروها.

وقيل: احفظوها كيف حَلَفْتم بها ولا تَنْسَوها تَهاوُنًا بها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثلَ ذلك البيانِ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: أَعْلامَ شريعته وأَحْكامَه. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَه فيما يُعلِّمكم ويُسَهِّل عليكم المخرجَ منه.

صار كأنّك أعدتَ[١] جميع ما ذَكَر إلّا[٢] أنّك[٣] اختصرتَ، فكذلك ههنا لو قيل: "تلك" وإنّه إشارة إلى جميع المذكورات، فكأنّك صرّحتَ بها، بخلاف لفظ "ذلك".

قوله: (**بالحِنث**) أي: عند الحِنث باليمين السالفة إلّا أنّه توسَّع في العبارة، فيه نظرٌ.

قوله: (﴿**وَٱحْفَظُوٓاْ**﴾) وقيل: معنى ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ أمرٌ بترك اليمين، يعني: أمسكوا أنفسكم عنه، كما قال الشاعر:

قليلُ الألايا حافظٌ ليمينهِ   وإنْ[٤] بدرَت منه الأليّة برَّتِ[٥]

قوله: (**المخرَج منه**) الضمير عائد إلى "ما"، وهو عبارة عن الحنث، فيه نظرٌ. والصواب أنّ "ما"[٦] في "ما يُعلمكم" مصدريّة، والضمير يعود إلى "الحنث".

---

١ ن: أعددت.

٢ ن – إلا.

٣ ن: لأنك.

٤ ر: وإني.

٥ البيت لكُثيّر عزّة في **ديوانه**، ص ٣٢٥؛ وهو له في **المقصور والممدود** للقالي، ص ١٥٢؛ و**المُغرب** للمطرّزي، «ألا»؛ وبلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «ألا».

٦ ر: بنا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾

أكَّدَ تحريمَ الخمر والميْسر وجوهًا من التأكيد:

منها: تصديرُ الجملة بـ﴿إِنَّمَا﴾.

ومنها: أنَّه قرنهما بعبادة الأصنام، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «شاربُ الخمر كعابدِ الوثن».

ومنها: أنه جعلهما رجسًا؛ كما قال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج ٢٢/٣٠].

ومنها: أنه جعلهما من عمل الشيطان، والشيطانُ لا يأتي منه إلا الشرُّ البَحْتُ.

ومنها: أنه أمَرَ بالاجتناب.

ومنها: أنه جعَل الاجتناب من الفلاح، وإذا كان الاجتنابُ فلاحًا كان الارتكابُ خَيْبَةً ومَحْقةً.

ومنها: أنه ذكر ما يُنْتَجُ منهما من الوبال، وهو وقوعُ التعادي والتباغُضِ بين أصحاب الخمر والقَمْر، وما يُؤدِّيان إليه من الصدِّ عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة.

قوله: **(وجوهًا مِن التأكيد)** نصب على المصدر،[١] نحو "ضربت أنواعًا".

قوله: **(ومنه قوله عليه السلام)**،[٢] أي: مِن قَرْن الخمر بعبادة الأصنام، يقال: قرنتُ البعيرين أقرُنهما قَرْنًا جمعتَ بينهما في حبل، وذلك الحبل هو القِران.[٣]

قوله: **(البحت)** أي: الصِّرف والمَحْض.

قوله: **(فلاحًا)** لأنَّ الفلاح هو الظفر بالمطلوب.

قوله: **(ومَحْقة)** انتقاصًا.

قوله: **(ما يُنتَج)** الصواب ضمّ حرف المضارعة وفتح ما قبل الآخر مبنيًا

---

١ ن ر - يعود إلى الحنث قوله: وجوهًا من التأكيد نصب على المصدر.

٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قرن».

وقوله: ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ من أبلغِ ما يُنهَى به؛ كأنَّه قيل: قد تُلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون، أم أنتم على ما كنتم عليه كأنْ لم تُوعَظوا ولم تُزْجَرُوا؟

فإن قلتَ: إلامَ يرجع الضميرُ في قوله: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾؟

قلتُ: إلى المضاف المحذوف؛ كأنَّه قيل: إنَّما شأنُ الخمر والميسر، أو تعاطِيهما، أو ما أشبَه ذلك؛ ولذلك قال: ﴿رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.

فإن قلتَ: لمَ جَمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام أوَّلًا ثم أفردهما آخِرًا؟

قلتُ: لأن الخطاب مع المؤمنين، وإنما نَهاهم عمَّا كانوا يتعاطَونه من شرب الخمر واللعب بالميسر، وذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر، وإظهارِ أن ذلك جميعًا من أعمال الجاهليَّة وأهلِ الشرك، فوجب اجتنابُه بأسره؛ فكأنَّه لا مبايَنةَ بين مَن عَبَدَ صنمًا ....

للمفعول،[1] مِن الانتتاج، فإنّه[2] متعدٍّ[3] إلى مفعول واحد، والنتج إلى مفعولين، يقال: نَتَج فلان الناقةَ فصيلًا.

قوله: (**أو تعاطيهما**) تناولهما.

[٣٤٦و] قوله: (**ولذلك قال: ﴿رِجۡسٞ﴾**) / فإنّ تعاطيهما وتناولهما يكون مِن عمل الشيطان.

قوله: (**في علم الغيب**) متعلِّق بقوله: (**لا مباينةَ**) أي: لا فرقَ بين الشِّرك والشُّرب في عِلم الله تعالى.[4] هذه **الحاشية** ليست بشيء، والصواب أن نقول: في عِلم الغيب متعلِّق بقوله: (**أشرك**)، وهذا إشارة إلى ما تقدّم مِن أنّهم كانوا يكتبون على بعض الأزلام "أمرني ربي ونهاني ربي"، فهو[5] دخول في عِلم الغيب، وما أدراه أنّه أمَره ربه، فقول[6] المصنّف: (**مَن عَبَد صنمًا**) إشارة إلى قوله تعالى:

---

١ ن + به.
٢ ن ر - من الانتتاج فإنّه.
٣ ن: معتديًا؛ ر: مقيدًا.
٤ د ر - تعالى.
٥ ر: في.
٦ ن ر: فيقول.

وأشرك بالله في عِلم الغيب وبين مَن شَرِبَ خمرًا أو قَامَر، ثم أفردهما بالذكر ليُرى أن المقصود بالذكر الخمرُ والميسر.

وقوله: ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ اختصاصٌ للصلاة من بين الذكر؛ كأنَّه قيل: وعن الصلاة خصوصًا.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَٱحْذَرُواْ﴾: وكونوا حذِرين خاشِين؛ لأنهم إذا حذِروا دعاهم الحَذَرُ إلى اتِّقاء كلِّ سيِّئةٍ وعملِ كلِّ حسنة.

ويجوز أن يرادَ: واحْذَروا ما عليكم في الخمر والميسر، أو في ترك طاعة الله والرسول.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ أنكم لم تضرُّوا بتولِّيكم الرسولَ؛ لأن الرسول ما كلِّفَ إلَّا البلاغَ المبينَ بالآيات، وإنما ضررتُم أنفسَكم حين أعرضتُم عمَّا كُلِّفتُموه.

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾. وقوله: **(وأشرك بالله في علم الغيب)** إشارة إلى قوله:[1] ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾، فتأمّل فيه فإنّه هو المعنى، لا أن يكون متعلِّقًا بقوله: "لا مباينةَ"، كما قال بعضهم.

قوله: **(ويجوز)** عطف مِن حيث المعنى على قوله: **(وكونوا حذِرين)**، يعني: يجوز أن يكون المراد بقوله: (**﴿وَٱحْذَرُواْ﴾**) الأمرَ بالحذر على الإطلاق مِن غير التقييد بشيء. ويجوز أن يكون متعلَّقه محذوفًا، ثمّ إذا كان المتعلَّق المحذوف مرادًا يحتمل أن يكون المراد الحذَرَ عن الخمر والميسر لأنّهما المقصودان هنا، ويحتمل أن يكون المراد الحذرَ[2] عن ترك طاعة الله تعالى[3] والرسول عليه السلام،[4] فإنّ ذلك أقرب المذكورَين.

---

[1] ن ر – تعالى: ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ وقوله: وأشرك بالله في علم الغيب إشارة إلى قوله.

[2] ن ر: الترك.

[3] ر – تعالى.

[4] ن ر – عليه السلام.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

رفَع الجناحَ عن المؤمنين في أيِّ شيء طَعِمُوه من مُستَلَذَّات المطاعم ومُشتَهَيَاتها.

﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ ما حُرِّم عليهم منها ﴿وَّءَامَنُواْ﴾ وثبَتوا على الإيمان والعمل الصالح وازدادوه ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾ ثم ثبَتوا على التقوى والإيمان.

﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ ثم ثبَتوا على اتِّقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم، أو: وأحسَنوا إلى الناس وآسَوْهم بما رزقَهم الله من الطيِّبات.

وقيل: لمَّا نزل تحريم الخمر قالت الصحابة: يا رسولَ الله، فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر؟ فنزلت.

يعني: أن المؤمنين لا جُناح عليهم في أيِّ شيء طَعِمُوه من المباحات إذا اتَّقوا المحارمَ ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾، على معنى: أن أولئك كانوا على هذه الصفة؛ ثناءً عليهم وحمدًا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان.

ومثاله أن يقال لك: هل على زيدٍ فيما فَعَل جناحٌ؟ وقد علمتَ أن ذلك أمرٌ مباحٌ، فتقول: ليس على أحدٍ جناحٌ في المباحِ إذا اتَّقى المحارمَ وكان مؤمنًا مُحْسِنًا، تريد: أن زيدًا تقيٌّ مؤمنٌ محسِنٌ، وأنه غيرُ مؤاخَذٍ بما فعَل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

نزلت عامَ الحديبيةِ، ابتلاهم الله بالصَّيد وهم مُحْرِمُون، وكثُر عندهم حتى كان يغشاهم في رِحَالهم، فيَسْتمكِنون من صيده أَخْذًا بأيديهم وطَعنًا برماحهم.

قوله: (أخذًا) و(طعنًا) مفعول مطلق مِن غير لفظ الصيد، وهو بمعناه مثل "رجع القَهْقرى" بعينه، ولا يجوز أن يكون تمييزًا كما ذكر في "رَجَع القهقرى"،[١] أنّه ليس تمييزًا لأنّه لا يرفع الإبهام عن الذات.

---

١ ن ر – بعينه ولا يجوز أن يكون تمييزًا كما ذكر في رجع القهقرى.

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾: ليَتميَّزَ مَن يخافُ عقابَ الله -وهو غائبٌ مُنْتظَرٌ في الآخرةِ- فيتَّقي الصيدَ ممن لا يخافُه فيُقْدِم عليه.

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ فصاد ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الابتلاءِ فالوَعِيدُ لاحِقٌ به.

فإن قلتَ: ما معنى التقليلِ والتصغير في قوله: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾؟

قلتُ: قُلِّلَ وصُغِّر ليُعلمَ أنَّه ليس بفتنةٍ من الفتَن العظام التي تَدْحَضُ عندها أَقْدامُ الثابتين كالابتلاءِ ببذل الأرْواح والأموال، وإنما هو شبيهٌ بما ابتُلي به أهلُ أيْلةَ من صيد السَّمك، وأنهم إذا لم يَثبتُوا عنده فكيف بثباتهم عند ما هو أشدُّ منه.

وقرأ إبراهيم: "يناله" بالياء.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

﴿حُرُمٌ﴾: مُحْرِمون، جمعُ حرامٍ كرُدُحٍ في جمع رَدَاح.

والتَعمُّدُ: أن يقتُلَه وهو ذاكرٌ لإحْرامهِ، أو عالمٌ أنَّ ما يَقتله مما يَحرُم عليه قتلُه،

قوله تعالى: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾ أراد البَيضة، وأراد بالرِّماح[1] تناول الفرخ.

قوله: (أيلة) اسم موضع، وأهل أيلة أصحاب السبت.

قوله: (رَداحٍ) الرداح والرجاح بمعنًى واحد، وهي: الثقيلة امرأةً كانت أو كتيبة أو جفنة.

قوله: (أو عالمٌ) صوابه[2] بـ"الواو" مكان "أو"، لأنّه لا بدّ في[3] التعمُّد مِن اجتماع هذين الأمرين وهو الذِّكر والعِلم المذكوران، بدليل أنّه أشار إلى أنّه إذا انتفى شيء مِن المذكورين يكون خطأ لا عمدًا.

---

[1] ر: الرياح.

[2] ن ر – الثقيلة امرأةً كانت أو كتيبة أو جفنة قوله: أو عالم صوابه.

[3] ن ر: و.

فإنْ قَتَلَه وهو ناسٍ لإحْرامه، أو رَمَى صَيْدًا وهو يظنُّ أنه ليس بصَيْدٍ فإذا هو صَيْدٌ، أو قَصدَ برَمْيه غيرَ صَيْدٍ فعَدَلَ السهمُ عن رَمِيَّته فأصاب صيدًا= فهو مخطئٌ.

فإن قلتَ: فمحظوراتُ الإحرام يستوي فيها العَمْدُ والخطأ، فما بالُ التعمُّد مشروطًا في الآية؟

قلتُ: لأنَ مَورد الآية فيمَن تَعمَّد، فقد رُوي أنَّه عَنَّ لهم في عُمرةِ الحديبية حمارُ وَحْشٍ، فحَمل عليه أبو اليَسَرِ فطعنه برُمْحه فقتله، فقيل له: إنك قتلْتَ الصيد وأنت مُحرم، فنزلت.

ولأن الأصلَ فِعلُ المتعمِّدِ، والخطأُ لاحِقٌ به للتغليظ، ويدلُّ عليه قوله: ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾.

وعن الزُّهْرِيِّ: نزل الكتاب بالعَمْد ووردت السنَّة بالخطأ.

وعن سعيد بنِ جُبير: لا أرى في الخطأ شيئًا. أَخْذًا باشتراط العَمْد في الآية.

وعن الحسن روايتان.

﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ برَفْعِ ﴿جزاء﴾ و﴿مِثْلُ﴾ جميعًا بمعنى: فعليه جزاءٌ يُماثِلُ ما قتل من الصيدِ، وهو عند أبي حنيفة رحمه الله قيمةُ المَصِيد يقوَّم به حيث صِيدَ،

قوله: **(لأنَ مورد)** أي: التعمُّد كان سبب نزول الآية.

قوله: **(للتغليظ)**[1] للمبالغة في المنع عن الصيد.

قوله: **(﴿وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾)** لأنَّ في الخطأ ليس وبال وانتقام مِن الله لأنَّه معفو.

قوله: **(وعن سعيد)** عطف على قوله: **(لأنَّ)** في الأوَّل، فكأنَّه أجاب بوجهين: **الأوّل** بتسليم استواء العمد والخطأ وهو مِن وجهين، **والثاني** بمنع ذلك كما هو مذهب سعيد.

قوله: **(أخذًا باشتراط)** أي: تمسَّك بأنَّه اشترط في الآية التعمُّد فعُلم أنَّه لا يكون حُكم الخطأ كذلك.[2]

---

[1] ن ر: التغليظ.

[2] ن: وكذلك؛ ر: ولذلك.

فإن بلغت قيمتُه ثمنَ هَدْيٍ تخيَّر بين أَنْ يُهْدِيَ من النَّعَم ما قيمتهُ قيمةُ الصيد وبين أن يَشْتريَ بقيمته طعامًا فيعطيَ كلَّ مسكينٍ نصفَ صاعٍ من بُرٍّ أو صاعًا من غيرِه، وإن شاء صام عن طعامِ كلِّ مسكين يومًا، فإن فَضَل ما لا يبلغُ طعامَ مسكينٍ صام عنه يومًا أو تصدَّق به.

وعند محمد والشافعي رحمهما الله: "مِثلُهُ": نظيرُه من النَّعَم، فإنْ لم يُوجد له نظيرٌ من النَّعَم عُدل إلى قولِ أبي حنيفة رحمه الله.

فإن قلتَ: فما يَصنعُ مَن يفسِّر المثْلَ بالقيمة بقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾، وهو تفسيرٌ للمِثْل، وبقوله: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾؟

قلتُ: قد خيَّرَ مَن أوجب القيمة بين أن يشتريَ بها هَدْيًا أو طعامًا أو يصومَ؛ كما خَيَّر الله تعالى في الآية، وكان قوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ بيانًا للهَدْي المشتَرَى بالقيمة في أحد وجوه التخيير؛ لأن مَن قوَّمَ الصيدَ واشْتَرى بالقيمة هَدْيًا وأَهْداه فقد جَزَى بمثلِ ما قتَل من النَّعم، على أن التخييرَ الذي في الآية -بين أن يَجزيَ بالهدي أو يُكفِّرَ بالإطعام أو الصَّوم- إنما يستقيم استقامةً ظاهرةً بغير تعسُّفٍ إذا قوَّم ونظَر بعد التقويم أيَّ الثلاثةِ يختار.

فأمَّا إذا عَمَد إلى النظير وجَعَله الواجبَ وَحْده من غيرِ تخييرٍ فإذا كان شيئًا لا نظيرَ له قوَّمَ حينئذٍ ثم تخيَّر بين الإطعام والصَّوم= ففيه نُبوٌّ عمَّا في الآية،

قوله: (وبقوله: ﴿هَدْيًا﴾) فإنّه أيضًا يقتضي أن يكون مِن النَّعم.

قوله: **(فأمّا إذا عَمَد)**... إلخ، هذا صحيح لكن ليس هذا مذهب الشافعي، فلا يرِد علينا، فإنّ مذهب[1] الشافعي[2] التخيير[3] كما كتبنا آنفًا، لكنّه يمكن أن يكون ذلك إشارة إلى رواية أبي ثور، وفيه أيضًا بحث؛ لأنّ رواية أبي ثور هو الترتيب مطلقًا لا كما ذكرتُم أنّ استقامة الآية استقامة ظاهرة في التخيير ليست مقصورة على ما ذكره المصنّف ههنا؛ بل تستقيم أيضًا إذا حُمل على ما هو المشهور

---

[1] ن: مذهبه.
[2] ن ر - الشافعي.
[3] انظر: **الأم للشافعي**، ٣/٤٧٢-٤٧٤.

ألا ترى إلى قوله: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ كيفَ خيَّر بين الأشياء الثلاثة، ....

في مذهب الشافعي وهو أنّه إن كان له[١] مثل صورةً يتخيَّر[٢] بين الهدي والتكفير بالطعام أو الصيام مِن غير أن يُقوَّم الصيد؛ بل ينظر إلى[٣] مثله صورةً.[٤]

[٣٤٦ظ] ثمّ إنّك إذا تأملت في الآية وجدتَها موافقة ظاهرةً / الموافقة لمذهب الشافعيّ، وتحتاج في تطبيقها على مذهب أبي حنيفة إلى نوع عدول عن ظاهر الآية؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ وقوله: ﴿هَدْيَۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ يخالف اعتبار القيمة مطلقًا مخالفةً ظاهرة، ثمّ إنّ ما ذكره[٥] المصنّف في الجواب تكلُّف فيه عدول عن ظاهر الآية كما لا يخفى على المتأمّل. قال الإمام الرافعي في **الشرح الكبير**:

الصيد ينقسم إلى مِثليّ، ونعني به ما له مِثل[٦] مِن النَّعم، وإلى ما ليس بمِثليّ: أمّا الأوّل فجزَؤه على التخيير والتعديل، فيتخيّر بين أن يذبح مِثله فيتصدّق به على مساكين الحرم، إمّا[٧] بأن يُفرّق اللحم أو يُملِّك جملته إيّاهم مذبوحًا، ولا يجوز أن يُخرِجه حيًّا، وبين أن يُقوِّم[٨] المِثل دراهمَ، ولا يجوز أن يتصدّق بالدراهم، ولكن إن شاء[٩] اشترى بها طعامًا وتصدّق به على مساكين الحرم، وإن شاء صام عن كلّ مُدّ مِن الطعام يومًا حيث كان؛ وأمّا غير المِثليّ[١٠] كالعصافير فيقدِّر قيمته ولا يتصدّق بها؛ بل يجعلها طعامًا، ثمّ إن شاء تصدّق بها وإن شاء صام عن كلّ مُدٍّ يومًا، وإن انكسر مُدّ في القسمين صام يومًا.[١١] وإذا تأمّلت هذا التفصيل عرفتَ أنّ للجزاء ثلاثةَ أركان في القسم **الأوّل** الحيوان والطعام والصيام، وركنين في **الثاني** وهما الطعام والصيام على التخيير في ظاهر المذهب وعن رواية أبي ثور قول إنّها[١٢] على الترتيب، وهو أضعف الروايتين عن أحمد.[١٣]

---

١ ن – له.
٢ ن: فيخير.
٣ ن ر – إلى.
٤ ن ر + كما مر.
٥ ر: ذكر.
٦ ن ر – مثل.
٧ ر: وإما.
٨ ر: القوم.
٩ د ن ر – إن شاء.
١٠ ر: المثل.
١١ ن ر – وإن انكسر مدّ في القسمين صام يومًا.
١٢ ن: إنهما.
١٣ **الشرح الكبير** للرافعي، ٧/٤٩٩-٥٠٠.

ولا سبيلَ إلى ذلك إلا بالتقويم.

وقرأ عبد الله: "فجزاؤه مثلُ ما قتل".

وقرئ: ﴿فجزاءُ مثلِ ما قَتَل﴾ على الإضافة، وأصله: "فجزاءٌ مثلَ ما قَتَل" بنصب "مِثْلَ" بمعنى: "فعليه أن يَجْزِيَ مثلَ ما قَتَل" ثم أُضيف؛ كما تقول: "عجبتُ مِن ضربٍ زيدًا" ثم: "مِن ضربِ زيدٍ". وقرأ السُّلَمي على الأصل.

وقرأ محمد بن مقاتل: "فجزاءً مثلَ ما قَتَل" بنصبهما، بمعنى: فلْيَجْزِ جزاءً مثلَ ما قتل.

وقرأ الحسن: "من النَّعْم" بسكونِ العين، استَثْقَل الحركةَ على حرفِ الحَلْق فسكَّنَهُ.

﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ﴾: بمثلِ ما قَتَل ﴿ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ﴾: حَكَمان عادِلان من المسلمين.

قالوا: وفيه دليلٌ على أن المِثْلَ القيمةُ؛ لأن التقويم مما يحتاجُ إلى النظر والاجتهاد دون الأشياء المشاهَدة.

وعن قَبِيصَةَ: أنه أصاب ظبيًا وهو مُحرمٌ، فسأل عُمرَ، فشاوَرَ عبدَ الرحمن بن عوفٍ ثم أمره بذبحِ شاةٍ، فقال قَبِيْصةُ لصاحبه: واللهِ ما عَلِم أميرُ المؤمنين حتَّى سأل غيره، ....

قوله: (ولا سبيلَ إلى ذلك إلّا بالتقويم)[1] فيه نظرٌ؛ لأنَّه يمكن التخيير بين[2] المِثل والطعام والصيام مِن غير التقويم الذي ذَكَره المصنِّف بأن يكون مخيّرًا بين المِثل، أعني: ما يُماثله صورةً مِن النَّعم والطعام بقيمة النَّعم والصيام بعدد الأمداد، فهذا هو التخيير الموافق لظاهر الآية.

قوله: (دون الأشياء المشاهَدة) هذا[3] إنّما يصحّ أن لو كان المراد بالمِثل المِثلُ مِن النوع، وأمّا إذا كان صورة فلا، كما قالوا: في حمار الوحش بقرة وفي الحمام شاة. قال الإمام الرافعي[4] في الشرح الكبير للوجيز: «إنّ المِثل ليس معتبرًا على التحقيق،

---

[1] ن ر – بالتقويم.
[2] ر: بل.
[3] ر – هذا.
[4] ن ر + رحمه الله.

فأقبل عليه ضَرْبًا بالدرَّة وقال: أَتغْمِصُ الفُتْيا وتقتلُ الصيدَ وأنت محرمٌ؟ قال الله تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ فأنا عمرُ وهذا عبدُ الرحمن.

وقرأ محمد بن جعفر: "ذُو عَدْلٍ منكم"، أراد: يحكمُ به مَن يَعْدِلُ منكم، ولم يُرِدِ الوَحْدة، وقيل: أراد الإمامَ.

﴿هَدْيًا﴾ حالٌ عن "جزاءٌ" فيمَن وصَفه بـ﴿مِثْلُ﴾؛ لأن الصفة خصَّصَتهُ فقرَّبته من المعرفة، أو بَدَلٌ عن "مِثْلَ" فيمَن نصبَه، أو عن محلِّه فيمَن جَرَّه، ويجوزُ أن ينتصِبَ حالًا عن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾.

ووصَفَ ﴿هَدْيًا﴾ بـ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾؛ لأن إضافتَه غيرُ حقيقيَّة، ومعنى بلوغه الكعبةَ: أن يُذبح بالحَرم، فأما التصدُّقُ به فحيث شئتَ عند أبي حنيفة، وعند الشافعي -رحمهما الله-: في الحرم.

فإنْ قلتَ: بمَ يرفع ﴿كَفَّٰرَةٌ﴾ مَن ينصبُ "جزاءً"؟

قلتُ: يجعلُها خبرَ مبتدأ محذوفٍ؛ كأنَّه قيل: "أو الواجبُ عليه كفَّارةٌ"، أو يُقدِّر: "فعَلَيْه أن يجزي جزاءً أو كفَّارةٌ"، فيعطفُها على "أن يجزيَ".

وإنّما هو معتبر على التقريب، وليس معتبرًا[١] في القيمة؛ بل هو معتبر في الصورة والخِلقة، لأنّ الصحابة رضي الله[٢] عنهم حكموا في النوع الواحد مِن الصيد بالنوع الواحد مِن النَّعم مع اختلاف البلاد وتفاوت الأزمان واختلاف القِيَم[٣] بسببها،[٤] فعُلم أنّهم اعتبروا الخِلقة والصورة».[٥]

قوله: (**أتغمِصُ؟**):[٦] أتعيبُ. قال المطرِّزي في **المُغرِب**: «الغمَص:[٧] الاستحقار، مِن باب "ضَرَب"، ومنه "أتغمِص[٨] الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم"».[٩]

---

١ ر – على التحقيق، وإنّما هو معتبر على التقريب، وليس معتبرًا.

٢ ن + تعالى.

٣ ر: القسم.

٤ ن: تشبيهًا.

٥ **الشرح الكبير** للرافعي، ٥٠٢/٧.

٦ ر: أتغمض.

٧ ر: الغمض.

٨ ر: أتغمض.

٩ **المُغرب** للمطرّزي، «غمص». وحديث عمر في **جامع البيان** للطبري، ٦٨٤/٨ (المائدة، ٩٥/٥).

وقرئ: ﴿أو كفَّارةُ طعامِ مساكين﴾ على الإضافةِ، وهذه الإضافةُ مبيَّنةٌ؛ كأنه قيل: "أو كفَّارةٌ من طعام مساكين" كقولك: "خاتمُ فضَّةٍ" بمعنى: "خاتمٌ من فضَّة".

وقر أ الأَعرجُ: "أو كفَّارةٌ طعامُ مِسكينٍ"، وإنَّما وَحَّد؛ لأنه واقعٌ مَوقع التَّبْيين، واكتفى بالواحد الدالِّ على الجنس.

وقرئ: "أو عِدْل ذلك" بكسر العين، والفرق بينهما: أنَّ عَدْلَ الشيء: ما عادَلَه من غير جنسه كالصوم والإطعام، وعِدْلَه: ما عُدِلَ به في المقدار، ومنه: عِدْلا الجَمَلِ؛ لأن كلَّ واحد منهما عُدِل بالآخر حتى اعتدلا؛ كأنَّ المفتوحَ تسميةٌ بالمصدر والمكسورَ بمعنى المفعول به كالذِّبْح ونحوِه، ونحوُهما: الحَمْل والحِمْل.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الطعام و﴿صِيَامًا﴾ تمييزٌ للعَدْل؛ كقولك: "لي مثلُه رجلًا"، والخيارُ في ذلك إلى قاتلِ الصيدِ عند أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله، وعند محمدٍ إلى الحَكَمين.

﴿لِيَذُوقَ﴾ متعلِّقٌ بقوله: ﴿فَجَزَآءٌ﴾؛ أي: فعليه أن يُجَازيَ أو يُكفِّرَ ليذوقَ سُوءَ عاقبة هَتْكِه لحرمة الإحرام، والوبالُ: المكروه والضَّررُ الذي يَنال في العاقبة مَن عَمِلَ سُوءًا لثقله عليه، مِن قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل ٧٣/١٦]: ثقيلًا، والطعامُ الوَبيلُ: الذي يَثْقُل على المعدة فلا يُسْتمرأُ.

قوله: **(خاتمُ فضَّة)** مَن أضاف الكفارة إلى الطعام، فلأنَّه لمَا خُيِّر المكفِّر بين ثلاثة أشياءَ الهديَ والطعام[1] والصيام استجاز[2] الإضافة لذلك، فكأنَّه قال: كفَّارة طعام لا كفارةُ هدي ولا كفارةُ صيام.

قوله: **(ونحوُهما)** أي: نحو "العِدل والعَدل". و"الحِمل"[3] بالكسر: ما كان على ظهر أو رأس، وبالفتح: ما كان في بطن أو شجر.[4]

---

[1] ن ر – فلأنَّه لما خير المكفِّر بين ثلاثة أشياء الهدى والطعام.

[2] ر: الاستحار.

[3] ر: الحمل.

[4] عن ابن السِّكِّيت في **الصحاح** للجوهري، «حمل».

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ من الصيدِ في حالِ الإحرام قبلَ أن تُراجعوا رسولَ الله وتسألوه عن جوازه.

وقيل: عمَّا سلفَ لكم في الجاهلية منه، لأنَّهم كانوا متعبِّدين بشرائعِ مَن قَبْلَهم، وكان الصيد فيها محرَّمًا.

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى قتلِ الصيد وهو محرمٌ بعد نزول النهي عنه.

﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ "ينتقم": خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديره: "فهو ينتقمُ الله منه" ولذلك دخلت الفاء، ونحوُه: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن ١٣/٧٢]. يعني: ينتقمُ منه في الآخرة.

واختُلف في وجوب الكفَّارة على العائد:

فعن عطاءٍ وإبراهيمَ وسعيد بن جبيرٍ والحسن: وجوبُها، وعليه عامَّة العلماء.

وعن ابن عباس وشُرَيحٍ: أنه لا كفَّارة عليه؛ تَعَلُّقًا بالظاهر وأنَّه لم يذكر الكفَّارة.

[٣٤٧و] قوله: (**ولذلك دخلت الفاء**) قال بعضهم: / وإن لم تكن جملة اسميّة لا تدخل الفاء ويُجزم الفعل، وارتفاعُ "ينتقمُ"[1] دليلُ الحذف. وقال الشيخ فخر الدين الجاربردي:[2] اعلم[3] أنّ كلام المصنّف كلام صحيح، وأمّا هذه **الحاشية** ففيها نظرٌ؛ لأنّه إذا كان الشرط ماضيًا والجزاء مضارعًا كما في هذه[4] الصورة جاز ألّا تدخل الفاء في الجزاء ولا يجزم، كقولك: "إن أكرمتني أكرمك" مِن غير فاء، ذكره المصنّف في غير هذا الموضع مِن هذا الكتاب،[5] واستشهد بقول الشاعر:

وإن أتاه خليل يومَ مسألةٍ   يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ[6]

---

[1] ن ر: بينهم.

[2] ن ر + رحمه الله.

[3] ن - اعلم.

[4] ر - هذه.

[5] انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (النساء، ٧٨/٤).

[6] ن ر - بقول الشاعر: وإن أتاه خليل يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ. | البيت لزهير بن أبي سُلمى في ديوانه، ص ١٢٠؛ وهو له في **كتاب سيبويه**، ٦٦/٣؛ و**غريب الحديث** للخطابي، ٣٨٨/١؛ **الصحاح** للجوهري، «خلل»، «حرم»؛ و**المفصّل** للزمخشريّ، ص ٤٣٩؛ و**الكشّاف** للزمخشري، (النساء، ٧٨/٤).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾: مَصِيداتُ البحر ممَّا يؤكَل وما لا يؤكلُ ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: وما يُطعَمُ مِن صيده.

والمعنى: أُحلَّ لكم الانتفاعُ بجميعِ ما يصاد في البحر، وأُحلَّ لكم أكْلُ المأكول منه، وهو السمك وَحْده عند أبي حنيفة رحمه الله.

وعند ابن أبي ليلى: جميعُ ما يصادُ منه، على أن تفسير الآية عنده: أحلَّ لكم صيدُ حيوانِ البحر وأنْ تَطْعَمُوه.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ مفعولٌ له؛ أي: أُحلَّ لكم تمتيعًا لكم، وهو في المفعول له بمنزلةِ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٧٢] في باب الحال؛ لأن قوله: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ مفعولٌ له مختصٌّ بالطعام كما أن ﴿نَافِلَةً﴾ حالٌ مختصَّةٌ بـ﴿وَيَعْقُوبَ﴾، يعني: أُحلَّ لكم طعامُه تمتيعًا لتَنَائِكم يأكلونه طريًّا، ولسيَّارتكم يَتزوَّدونه قَدِيدًا كما تزوَّدَ موسى عليه السلام الحوتَ في مسيره إلى الخَضِر.

وقرئ: "وطُعْمُه".

قوله: (﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾) قال بعضهم: يريد: ما أصيبَ مِن داخل البحر، وعنى بالبحر جميعَ المياه، والأنهارُ داخلة في هذا. (﴿وَطَعَامُهُۥ﴾)، يعني: ما لفظه البحر أو حُسِر عنه الماء.

قوله: (وعند ابن أبي ليلى)... إلخ، اعلم أنَّ "الصيد" على قول ابن أبي[1] ليلى بمعنى المصدر وكذا "طعامه"، أي: أحل لكم أن تصيدوا[2] وأن تَطعَموا، وعلى الأوّل بمعنى المفعول.

قوله: (لتَنَائكم) تنأتُ بالبلد تُنوءًا: قطنتُه، وهم تُنَاء البلد.[3]

---

١ ن - أبي.

٢ ن + قوله.

٣ انظر: الصحاح للجوهري، «تنأ»، وفي مطبوعه: «تِناء» مكان «تنَاء».

و﴿صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾: ما صِيدَ فيه، وهو ما يُفرِّخُ فيه وإن كان يعيش في الماء في بعض الأوقات؛ كطير الماء عند أبي حنيفة رحمه الله، واختلف فيه:

فمنهم مَن حرَّم على المحرِم كلَّ شيءٍ يقع عليه اسمُ الصيد، وهو قول [ابن] عمرَ وابن عباس.

وعن أبي هريرةَ وعطاءٍ ومجاهدٍ وسعيدِ بن جبير: أنهم أجازوا للمُحْرِم أكلَ ما صاده الحلالُ وإنْ صاده لأَجْلِه إذا لم يدلَّ ولم يُشِرْ، وكذلك ما ذبحه قبلَ إحرامه، وهو مذهب أبي حنيفةَ وأصحابه رحمهم الله.

وعند مالكٍ والشافعي وأحمدَ رحمهم الله: لا يباحُ له ما صِيدَ لأَجْله.

فإن قلتَ: ما يصنعُ أبو حنيفةَ رحمه الله بعموم قوله: ﴿صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾.

قلتُ: قد أَخذ أبو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾؛ لأنَّ ظاهره أنه صَيدُ المُحرِمين دون صيدِ غيرهم؛ لأنهم هم المخاطَبون؛ فكأنه قيل: "وحرِّم عليكم ما صِدْتُم في البر" فيخرجُ منه مَصيدُ غيرهم، ومصيدُهم حين كانوا غيرَ محرمين، ويدلُّ عليه قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾.

قوله: **(فيه)** أي: في[1] صيد البرّ.

قوله: **(يقع عليه اسمُ الصيد)** أي: مِن صيد البرّ سواء صاده هو أو غيره، كما بيّنه.

قوله: **(قلتُ: قد أخذ أبو حنيفة بالمفهوم)**... إلخ، هذا استدلال ضعيف؛ لأنّ المفهوم لا يكون حجّة عند أبي حنيفة، إلّا أن يقال: ليس المراد هنا ذلك المفهوم المختلف فيه؛ بل المراد ما يُعلَم مِن الآية ويفهم منه، ولذلك قال المصنّف: "ظاهر الآية".

قوله: **(ما صِدتُم)** أي: أنتم بيدكم.

---

[1] ن - في.

وقرأ ابن عباس: "وحَرَّم عليكم صيدَ البر"؛ أي: اللهُ عزَّ وجل.

وقرئ: "ما دِمْتُم" بكسر الدال فيمَن يقول: دام يَدام.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ عطفُ بيانٍ على جهة المدح لا على جهةِ التوضيح كما تجيءُ الصفة كذلك.

﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾: ....

قوله: (دام يَدام) على "فعَل يفعَل" كـ"خاف يخاف".

قوله: (عطف بيان) إنّما جعله عطف بيان لأنّ ﴿ٱلْبَيْتَ﴾ عَلَم،[١] فصحّ وقوعه عطفَ بيان،[٢] ولمّا لم يكن للتوضيح لا يُشترط فيه كونه أوضحَ.

قوله: (﴿قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾) في الكلام[٣] حذفٌ لأنّ الكعبة لا تكون عينَ قيام الناس. قال الشيخ في **الكواشي**: «القراءة ﴿قِيَـٰمًا﴾ بألف مصدر "قام" كـ"الصِيام"، وبغير ألف مصدر "قام" أيضًا، أو مختصر مِن قيام كـ"خِيَم" مِن "خِيام". و﴿جَعَلَ﴾ هنا بمعنى صيّر، فتنصب ﴿قِيَـٰمًا﴾ مفعولًا ثانيًا، والمعنى: جعل حجّ الكعبة وقصدها قيامًا لأمر الناس في دنياهم وأخراهم ومعاشهم؛ لأنّه[٤] كان لا يُتعرّض إلى قاصد البيت».[٥] وقال **الواحديّ في الوسيط**: «﴿قِيَـٰمًا﴾، أي: سببًا لقيام الناس إليها للحجّ وقضاء النُسك، فيُصلح بذلك دينهم، لأنّه يحطُّ عنهم الذنوب والأوزار عندها، ويغفر لهم ما اقترفوه قبل حجّها. وقال جماعة مِن المفسِّرين: جَعَل الله حجّ الكعبةِ البيتِ الحرام قيامًا لمعاش الناس ومكاسبهم، لِما يحصل لهم في زيارتها[٦] مِن التجارة وأنواع البركة».[٧] وأنا أقول:

---

[١] ن ر: على.
[٢] ن - بيان.
[٣] ر: كلامه.
[٤] ر: لأنهم.
[٥] **تفسير الكواشي**، ١٥٨و.
[٦] ر: زيادتها.
[٧] **الوسيط** للواحدي، ٢٣١/٢ (المائدة، ٩٧/٥).

انتعاشًا لهم في أمر دينهم ودنياهم، ونُهُوضًا إلى أغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومَعادهم؛ لِمَا يَتِمُّ لهم من أمرِ حَجِّهم وعُمرتهم وتجارتهم وأنواعِ منافعهم.

وعن عطاء بن أبي رَباح: لو تركوه عامًا واحدًا لم يُنْظَرُوا ولم يُؤَخَّروا.

﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾: والشهرَ الذي يؤدَّى فيه الحجُّ وهو ذو الحجة؛ لأنَّ لاختصاصه من بين الأشهُر بإقامة موسم الحج فيه شأنًا قد عرَفه الله.

وقيل: عُني به جنسُ الأشهر الحُرُم.

﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾: والمقلَّدَ منه خصوصًا وهو البُدنُ؛ لأنّ الثوابَ فيه أكثرُ

على الوجه الثاني المذكور في **الوسيط** لا بدّ أيضًا مِن تقدير المضاف، لأنّ الكعبة لا تكون عينَ[١] قيام معاش الناس.

قوله: (**انتعاشًا**) انتعش العاثر، أي: نهض وقام مِن عثرته.

قوله:[٢] (**لِما يتمّ**) تعليل لقوله: "انتعاشًا" و(**نهوضًا**) أي: لِما يتمّ به لهم، فالضمير المستتر عائد إلى "ما"، والمحذوف المجرور إلى ﴿ٱلْبَيْتَ﴾، و(**من**) بيان / للمستتر،[٣] بل لِـ"ما"، أمّا تمام أمر الحجّ والعمرة به فظاهر، وأمّا أمر [٣٤٧ظ]
التجارة فلأنّهم كانوا في تجاراتهم آمنين لم يتعرّضهم أحد لحرمة البيت، وكانوا يقولون: نحن سكّان حرم الله.[٤]

قوله: (**لم[٥] يُنظَر ولم يُؤخَّر**) أي: يُعذَّبون[٦] بغير مهلة وتأخير.

قوله: (**﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾**) على هذا الوجه اللام للعهد.

قوله: (**لأنّ لاختصاصه**)[٧] تعليل لمحذوف، أي: إنّما ذَكَر تعالى الشهر الحرام لأنّ، وكذا اللام في (**لأنّ الثواب**) متعلِّق بمحذوف، أي: إنّما ذكر ﴿ٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ خصوصًا لأنّ الثواب.

---

١ ر: عن.
٢ ن ر – انتعاشًا انتعش العاثر، أي: نهض وقام من عثرته. قوله.
٣ ن: المستتر.
٤ ن – الله.
٥ ن – لم.
٦ ن: تعدلون.
٧ ر: اختصاصه.

وبَهاءَ الحجِّ معه أظهرُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى جَعْل الكعبة قيامًا للناس، أو إلى ما ذُكر مِن حِفظ حُرمةِ الإِحْرام بتركِ الصيد وغيره.

﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ كلَّ شيءٍ، وهو عالمٌ بما يُصلِحكم ويَنْعَشُكم مما أمركم به وكلَّفكم.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ﴾ وجهُ حصول علمنا بسبب ذلك أنّه يعلم مِن ذلك أنّه تعالى يعلم الجزئيّات كما يعلم الكلّيّات، فيُعلم منه أنّه يعلم جميع الأشياء. قال في **الوسيط**:

> قال ابن قتيبة: فعل الله تعالى ذلك لعلمه بما فيه صلاح شئونهم، لتعلموا أنّه كما علم ما فيه مِن الخير لهم يعلم أيضًا ما في السماوات والأرض. وقال ابن الأنباري: ذكر الله تعالى في هذه السورة[١] غُيوبًا كثيرة مِن أخبار الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم وأشياءَ من أحوال المنافقين واليهود كانت مستورة عن النبيّ عليه السلام[٢] والمسلمين، فلمّا دلّ عليها قال: لتعلموا أنّ الله تعالى يعلم ما في السماوات والأرض، أي: ذلك الغيب يدلُّكم على أنّه يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأنّه لا تخفى عليه خافية.[٣]

قوله: (**وقيل: عُني به**) وعلى هذا اللام[٤] للاستغراق.[٥]

قوله: "لأنّ الثواب" أي: خصّه لأنّ الثواب[٦] فيه أكثر.

قوله: (**ويَنعَشكم**) «نَعَشه الله تعالى[٧] يَنعَشه نَعْشًا: رفعه، ولا يقال: أنعشه».[٨]

---

١ ن – السورة.
٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٣ **الوسيط** للواحدي، ٢/٢٣٢.
٤ ر – اللام.
٥ ر: الاستغراق.
٦ ن – أي: خصّه لأنّ الثواب.
٧ ن ر – تعالى.
٨ **الصحاح** للجوهري، «نعش».

﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن انتهك محارمَه ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن حافظ عليها.

﴿مَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ تشديدٌ في إيجاب القيام بما أَمر به، وأنّ الرسول قد فَرَغَ مما وَجَب عليه من التبليغ، وقامت عليكم الحجةُ ولزمتكم الطاعةُ فلا عذرَ لكم في التفريط.

البَوْنُ بين الخبيث والطيّب بعيدٌ عند الله وإن كان قريبًا عندكم، فلا تعْجَبوا بكثرةِ الخبيث حتى تُؤْثِروه لكثرته على الطيّب القليلِ، فإنَّ ما تتوهّمونه في الكثرة من الفضل لا يُوازي النقصانَ في الخُبث وفواتَ الطيّب، وهو عامٌّ في حلالِ المال وحرامه، وصالحِ العملِ وطالحه، وصحيحِ المذاهب وفاسدها، وجيّد الناس ورديّهم.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وآثِروا الطيّبَ وإنْ قلَّ على الخبيثِ وإن كثر.

ومن حقِّ هذه الآية أن تُكفَحَ بها وُجوهُ المجبِرة إذا افتخروا بالكثرة:

قوله: (انتهك) أي: أبطل.

قوله: (وأنّ الرسول) عطف على قوله: (تشديدٌ)،[١] أي: تشديد[٢] في إيجاب وإيذان أنّ[٣] الرسول، ففي[٤] الكلام حذفٌ.

قوله: (البَوْن)[٥] «الفضل والمزيّة. يقال: بانه يبونه ويبينه،[٦] وبينهما بونٌ بعيد وبينٌ بعيد، والواو أفصح في البعد فيقال: إنّ بينهما لبينًا لا غير».[٧]

قوله: (وهو عامٌّ) أي: عدم استواء الخبيث والطيب.

قوله:[٨] (أن تُكفَح بها وجوه المجبِرة) بل ينبغي أن يُضرَب بها وجوه المعتزلة، فإنّهم مع قلّتهم[٩] أذلّة ومع هُجنة مذهبهم ضَعَفة، وأمّا أهل السنّة

---

١ ن – تشديد.
٢ ر – أي: تشديد.
٣ ن: لك.
٤ ر: في.
٥ ن ر + البون.
٦ ن ر: في يبينه.
٧ **الصحاح** للجوهري، «بين».
٨ ن ر – وهو عام، أي: عدم استواء الخبيث والطيب قوله.
٩ ر: قبلتهم.

كــاثِــرْ بِــسَــعْــدٍ إنَّ سَــعْــدًا كثيرةٌ ولا تَــرْجُ مِــن سعدٍ وفــاءً ولا نصْرَا
لا يَدْهمنك من دَهْمائهم عَدَدٌ فَــإنَّ جُــلَّــهــمُ بــل كــلّــهــم بَــقَــرُ

وقيل: نزلت في حُجَّاج اليمامة حين أراد المسلمون أنْ يُوقِعوا بهم، فنُهوا عن الإيقاع بهم وإن كانوا مشركين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١﴾

الجملةُ الشرطيةُ والمعطوفةُ عليها أعني قولَه: ﴿إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ﴾ صفةٌ لـ﴿أَشۡيَآءَ﴾.

والمعنى: لا تُكثِروا مسْألةَ رسول الله حتى تسألوه عن تكاليفَ شاقَّةٍ عليكم إنْ أفتاكم بها وكلَّفكم إياها تَغمُّكم وتَشُقُّ عليكم وتَندَمُوا على السؤال عنها، وذلك نحوُ ما روي: أن سُراقةَ بن مالك أو عكَّاشةَ بن مِحْصَنٍ قال: يا رسول الله! الحجُّ علينا كلَّ عامٍ؟ فأعرضَ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أعاد مَسْألتَه ثلاثَ مرَّات، فقال صلى الله عليه وسلم: ....

فإنّهم كثيرون غالبون، ولا يقدح في رفعة المذهب كثرةُ أهله، لكنّ المصنّف كان مضطربًا مقلقًلا لترويج مذهبه الباطل، ولم يتيسَّر له ذلك فهيهاتَ هيهاتَ.

وقوله: "تُكفَح"، أي: تُضرب بالسيف.

وقوله: (كاثِرْ) أي: افتخر بكثرة سعد.

قوله: (مِن دهمائهم)[1] دَهِمهم الأمر، ودهماء الناس: جماعتهم.

قوله: (وقيل) سبب النزول.

قوله: (وإن كانوا مشركين) لأنّ مالهم خبيث لا خيرَ في كثرته، أو[2] الإيقاع بهم هو الخبيث وإن كانوا مشركين، لأنّ ذلك كان في الشهر الحرام.

---

[1] البيت من حماسيّة ما عرفتُ قائلها. وهو بلا عزو في شرح الحماسة للمرزوقي، ١٥٢٢/٣؛ والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ١١٧/٢.

[2] ر: و.

«وَيحك! وما يُؤمِنُكَ أنْ أقول: نعم، والله لو قلت: نعم، لوجَبَتْ، ولو وجَبَتْ ما استطعتُم، ولو تَركتُم لكفرتُم، فاتركوني ما تركتُكم فإنما هلَك مَن كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتُكم بأمر فخذوا منه ما استطعتُم وإذا نهيتُكم عن شيء فاجتنِبوه».

﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾: وإنْ تسألوا عن هذه التكاليِف الصَّعْبة في زمانِ الوحي وهو ما دام الرسولُ بين أَظْهركم يوحَى إليه ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ تلك التكاليفُ التي تَسُوؤكم، وتُؤمَروا بتحمُّلها، فتُعرِّضون أنفسَكم لغضب الله بالتفريط فيها.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾: عفا الله عمَّا سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى مثلِها.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ لا يُعاجلُكم فيما يَفْرُط منكم بعقوبته.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَـٰفِرِينَ ١٠٢﴾

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ ثم قال: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ ولم يقل: "قد سأل عنها".

قوله: (**ويحك**) ويح[١] كلمة رحمة، و"ويل" كلمة عذاب، تقول: "ويحٌ لزيد" و"ويلٌ لزيد" برفعهما على الابتداء، ولك أن تقول: "ويحًا لزيد" و"ويلًا لزيد" فتنصبهما بإضمار فعل، كأنّك قلت: "ألزَمَه[٢] الله ويحًا وويلًا"، ولك أن تقول: [٣٤٨و] "ويحَك" و"ويحُ[٣] / زيد" بالإضافة فتنصبهما أيضًا.[٤]

قوله: (**عفا الله**)[٥] «يقال: عفوتُ عن فلان أو عن ذنبه إذا صفحتَ عنه وأعرضتَ[٦] عن عقوبته، وكما ترى يعدَّى بـ"عن"[٧] إلى الجاني وإلى الجناية، فإذا اجتمعا عدّى إلى الأوّل باللام فقيل: عفوتُ لفلان عن ذنبه وعلى ذا قوله: "عفوتُك[٨] عن القطع أو عن الشجّة" خطأ».[٩]

---

١ ن ر – ويح.
٢ ن: أكرمه.
٣ ن: ويح.
٤ من قوله: "ويح كلمة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «ويح».
٥ ر + تعالى.
٦ ر: واعترضت.
٧ ن ر: يعني.
٨ ر: عقوبتك.
٩ **المُغرب** للمطرّزي، «عفو».

قلتُ: الضميرُ في ﴿سَأَلَهَا﴾ ليس براجعٍ إلى ﴿أَشْيَآءَ﴾ حتى يجبَ تعديتُه بـ"عن"، وإنّما هو راجعٌ إلى المَسألة التي دلَّ عليها ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ﴾، يعني: قد سأل هذه المسألةَ قومٌ من الأوَّلين ﴿ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا﴾؛ أي: بمرجوعها أو بسببها ﴿كَٰفِرِينَ﴾.

وذلك أن بني إسرائيل كانوا يَسْتفتون أنبياءهم عن أشياءَ، فإذا أُمروا بها تركوها فهلَكوا.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ١٠٣﴾

كان أهلُ الجاهلية إذا نُتِجت الناقةُ خمسةَ أَبْطُنٍ آخِرُها ذكَرٌ بَحَروا أُذنَها؛ أي: شقُّوها وحرَّموا ركوبها، ولا تُطْرَدُ عن ماءٍ ولا مَرعًى، وإذا لقيَها المُعْيِي لم يركبها، واسمُها: البَحيرةُ.

قوله: (**وإنّما هو راجع إلى المسألة**)، يعني: راجع إلى المصدر لا المفعول به ليحتاج إلى تعدّيه بـ"عن"، وإنّما قال كذلك لأنّه لا يتعدّى إلى المفعول به[١] بنفسه كما مرّ، ويقال: سألت عن النبيّ ولا يقال: سألت النبيَّ.

قوله: (**إذا نُتجت[٢] الناقة**) اعلم أنّ النتج يتعدّى إلى مفعولين، يقال: نتجتُ الناقةَ[٣] فصيلًا، فالناتج في الناقة بمنزلة القابلة في النساء، فالأصل[٤] في قول المصنف: "نُتجت الناقة": "نتج أهلُ الجاهلية الناقةَ فصيلًا"، فبنى الفعل للمفعول بعد حذف الفاعل وأقام المفعول الأوّل مُقام الفاعل ونصب المفعولَ[٥] الثاني.

قوله: (**المُعيي**) «الإعياء: التعب. وقوله: الرجل يصلّي تطوّعًا وقد افتتح قائمًا ثمّ يعيا، الصواب: أعيا أو يُعيي».[٦]

---

١ ن ر - ليحتاج إلى تعدّيه بعن وإنّما قال كذلك لأنّه لا يتعدّى إلى المفعول به.

٢ ن ر: أنتجت.

٣ ن ر - اعلم أنّ النتج يتعدّى إلى مفعولين يقال: نتجت الناقة.

٤ ن - فالأصل.

٥ ر - وأقام المفعول الأول مقام الفاعل ونصب المفعول.

٦ **المُغرب** للمطرّزي، «عيي».

وكان يقول الرجل: إذا قدِمْتُ من سفري أو بَرِئْتُ من مرضي فناقتي سائبةٌ، وجعلَها كالبَحيرة في تحريم الانتفاع بها.

وقيل: كان الرجل إذا أعتق عبدًا قال: هو سائبةٌ، فلا عَقْلَ بينهما ولا ميراث.

وإذا وَلدتِ الشاةُ أنثى فهي لهم، وإنْ وَلَدتْ ذكرًا فهو لآلهتهم، فإنْ ولدت ذكرًا وأنثى قالوا: وصلَت أخاها، فلم يذبحوا الذَّكَر لآلهتهم، وإذا نُتجَتْ من صُلب الفحل عشرةَ أبطن قالوا: قد حَمَى ظهرَهُ، فلا يُركب ولا يُحمل عليه، ولا يُمنع من ماءٍ ولا مرعًى.

ومعنى ﴿مَا جَعَلَ﴾: ما شَرَع ذلك، ولا أمَر بالتَّبْحير والتسييب وغيرِ ذلك، ولكنَّهم بتحريمهم ما حرَّموا ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فلا ينسِبُون التحريم إلى الله حتى يفتروا، ولكنَّهم يقلِّدون في تحريمها كبارَهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٠٤﴾

الواوُ في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ واوُ الحال قد دخلت عليها همزةُ الإنكار،

قوله: **(سائبة)**[١] ساب،[٢] أي: جرى وذهب كلّ مذهب.

قوله: **(فلا عقلَ)** أي: لا يكون عاقلته.

قوله: (**﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾**) معنى هذا أنّ كبارهم الذين[٣] يدّعون العقل فيهم يفترون على الله بأن يقولوا: أمَر الله بالتبحير[٤] والتسبيب وغير ذلك، وأمّا جُهّالهم الذين لا يعقلون فلا يفترون على الله[٥] لأنّهم لا ينسِبون التحريم إلى الله، ولا يقولون: أمَر الله بكذا، ولكن يقلِّدون أباءهم وكبارهم في التحريم، فهو مثل قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة ٧٨/٢]، لكن ذاك[٦] في اليهود وهذا في المشركين.

---

[١] ر: شائبة.
[٢] ر: شاب.
[٣] ن: الذي.
[٤] ن: بالتخيير.
[٥] ن + تعالى.
[٦] ن ر: ذلك.

وتقديره: أَحَسْبُهم ذلك ولو كان آباؤهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، والمعنى: أن الاقتداء إنَّما يصحُّ بالعالِم المهتدي، وإنما يُعرف اهتداؤه بالحجَّة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾

كان المؤمنون تَذهبُ أنفسُهم حسرةً على أهل العُتوّ والعنادِ من الكفَرة يتمنَّون دخولَهم في الإسلام، فقيل لهم: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ وما كُلِّفتم من إصلاحها والمشي بها في طُرُق الهُدى ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾ الضُّلَّالُ عن دِينكم إذا كنتُم مهتدِين؛ كما قال عزَّ وجلَّ لنبيِّه: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر ٣٥/٨].

وكذلك مَن يتأسَّف على ما فيه الفَسَقةُ من الفجور والمعاصي ولا يَزال يَذكر معايِبَهم ومناكيرَهم فهو مخاطبٌ به.

وليس المراد تركَ الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، فإن مَن تَركهما مع القدرةِ عليهما فليس بمهتدٍ، وإنما هو بعضُ الضُّلَّال الذين فصَلت الآية بينهم وبينه.

وعن ابن مسعود: أنها قُرِئَتْ عنده فقال: إن هذا ليس بزمانها، إنَّها اليوم

قوله: (وما كُلِّفتم) العائد مِن "كُلِّفتم" إلى "ما" محذوف، أي: كلِّفتموه و"مِن" بيان "ما".

قوله: (﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾)، [فاطر ٣٥/٨] ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

قوله: (وبينه) أي: المهتدي.

قوله: (إنّها اليوم) أي: الأمرة والحِسْبة.[١]

قوله:[٢] (بزمانها)،[٣] أي: بزمان هذه الآية، أي: العمل بها، فإنَّ الأوامر والنواهي مقبولة الآن.

---

[١] ر: والحسنة.

[٢] ر + فقال: أتتمروا يقال: ائتمروا به.

[٣] **جامع البيان** للطبري، ٩/٤٥ (المائدة، ٥/١٠٥).

مقبولةٌ، ولكنْ يوشِكُ أن يأتيَ زمانٌ تأمرون فلا يُقبلُ منكم، فحينئذٍ عليكم أنفسَكم.

فهي على هذا تَسْليةٌ لمن يأمرُ ويَنْهَى فلا يُقبَلُ منه، وبَسْطٌ لعُذره.

وعنه: ليس هذا زمانَ تأويلها، قيل: فمتى؟ قال: إذا جُعل دونها السيفُ والسَّوْطُ والسجنُ.

وعن أبي ثَعْلبة الخُشَنيِّ: أنه سُئل عن ذلك فقال للسائل: سألتَ عنها خبيرًا، سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: «ائتَمِروا بالمعروف وتناهَوا عن المنكَر، حتّى إذا ما رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهوًى متَّبعًا، ودُنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه فعليك نفسَك ودَعْ أَمْرَ العوامِّ، وإنَّ من ورائكم أيّامًا الصبرُ فيهنَّ كقَبْضٍ على الجَمر، للعامل منهم مثلُ أجر خمسين رجلًا يعملون مثلَ عملِه».

وقيل: كان الرجلُ إذا أسلَمَ قالوا له: «سَفَّهْتَ آباءك» ولامُوه، فنزلت: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾.

﴿عَلَيْكُمْ﴾: من أسماء الفعل بمعنى: الْزَموا إصلاحَ أنفسِكم، ولذلك جُزم جوابه.

قوله: **(وعنه)**، ليس هذا زمان تأويلها، أي: معنى الآية لا يتعلَّق بهذا الزمان.

قوله: **(دونها)** أي: الأمرة والحِسبة.[١]

قوله: **(فقال: ائتمروا)** يقال: ائتمروا به إذا همّوا به وتشاوروا فيه، ويقال: ائتمرَ الأمرَ، أي: امتثل، ومعنى قوله عليه السلام[٢] في هذا الحديث: "ائتمروا": ليأمر بعضكم بعضًا، وكذا معنى **(تناهَوا)**: لِيَنهَ بعضكم بعضًا، يوضحه قوله عليه السلام[٣] بعد ذلك: **(حتّى إذا ما رأيتَ)**... إلخ،[٤] فـ"افتعل" هنا بمعنى "تفاعل"[٥] نحو "اجتوروا" و"اختصموا" بمعنى "تجاوروا" و"تخاصموا".

---

١ ر: والحسنة.

٢ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٣ ن: صلّى الله عليه وسلّم.

٤ سنن أبي داود، ٣٩٦/٦؛ سنن الترمذي، ١٠٧/٥ (٣٠٥٨).

٥ ن: التفاعل.

وعن نافع: "عليكم أنفسُكم" بالرفع.

وقرئ: ﴿لَا يَضُرُّكُم﴾، وفيه وجهان:

أن يكون خبرًا مرفوعًا، وتنصره قراءة أبي حَيْوة: "لا يَضِيرُكم".

وأن يكون جوابًا للأمر مجزومًا، وإنما ضُمَّت الراءُ إتْباعًا لضمَّة الضادِ المنقولةِ إليها من الراء المدْغَمة، والأصل: لا يضرُرْكم.

ويجوز أن يكون نهيًا.

و: "لا يَضِرْكم" بكسر الضاد وضمِّها من ضَارَهُ يَضِيرُه ويَضُورُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٍ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ١٠٦﴾

ارتفع ﴿ٱثۡنَانِ﴾ على أنه خبرٌ للمبتدأ الذي هو ﴿شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ على تقدير: شهادةُ بينِكم شهادةُ اثنين، أو على أنه فاعلُ ﴿شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ على معنى: فيما فُرض عليكم أن يشهدَ اثنان.

وقرأ الشعبي: "شهادةٌ بينَكم" بالتنوين.

وقرأ الحسن: "شهادةً" بالنصب والتنوين، على: لِيُقِمْ شهادةً اثنان.

و﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ظرفٌ للشهادة، و﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ بدلٌ منه، وفي إبداله منه

قوله: (﴿شَهَـٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾) اتُّسع في "بين" فأضيفَ إليه المصدر، وهذا قول مَن قال: إنّ الظرف قد يستعمل اسمًا في الشعر وغيره. قال الله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الأنعام ٦/٩٤].

قوله: (و﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾) بدل[1] منه. ويرِد/ في خاطري أنّه أبدل ﴿حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ﴾ [٣٤٨ظ]

---

[1] ن ر: بل.

دليلٌ على وجوب الوصية، وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يَتَهَاونَ بها المسلم ويَذْهَلَ عنها، وحضور الموت: مُشارَفتُه وظهورُ أمارات بلوغ الأجل.

﴿مِنكُمْ﴾: من أقاربكم، و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من الأجانب.

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحدٌ من عشيرتكم فاستشهِدوا أجنبيين على الوصية، وجُعل الأقاربُ أولى؛ لأنهم أعلمُ بأحوال الميِّت وبما هو أصلحُ، وهم له أنصحُ.

وقيل: ﴿مِنكُمْ﴾: من المسلمين و﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من أهل الذمَّة.

وقيل: هو منسوخ، لا تجوزُ شهادة الذميّ على المسلم، وإنما جازت في أوَّل الإسلام لقلَّة المسلمين وتعذُّرِ وجودهم في حال السفر.

مِن ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ ليكون إشارة إلى أنّ المراد بحضور الموت هو مشارفة الموت وظهور أماراته، لا الوقوع في الموت بأن يرى الملك ويكون في نَزْع الروح، فإنّ كلامه في ذلك الوقت لا يُعتبر أصلًا لا وصيّته ولا بيعه ولا هبته ولا إسلامه ولا توبته ولا إقراره ولا إشهاده، فأشيرَ بهذا الإبدال إلى أنّ الإشهاد المأمور[1] به ينبغي أن يكون قبل تلك الحالة ليُعتدّ[2] به.

قوله: (**دليل على وجوب الوصية**) كأنّه أشار بجعله ظرفًا لـ﴿ٱلْوَصِيَّةِ﴾ إلى أنّه ينبغي أن يُوقع الوصيّة[3] فيه ولا يكون خاليًا عن الوصيّة.

قوله: (**أولى**) وإنّما قال: "جُعلوا أولى" لقوله[4] تعالى بعد: ﴿ٱلْأَوْلَيَانِ﴾، أو لتقديمها على الأجانب في الآية. والأَولى أن نقول: إنّما عُلِم الأولويّة مِن قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، إذ معناه: إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد مِن عشيرتكم، فعلى هذا قوله: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ قيد لقوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾.

قوله: (**على المسلم**) قال في **الوسيط**: «قال شُريح: إذا كان الرجل بأرض غربة

---

١ ر: مأمور.
٢ ن: ليفيد؛ ر: ليقيد.
٣ ن - لـ﴿ٱلْوَصِيَّةِ﴾ إلى أنّه ينبغي أن يوقع الوصية؛ ر + لـ﴿ٱلْوَصِيَّةِ﴾ إلى أنّه ينبغي أن يوقع الوصية.
٤ ن ر: بقوله.

وعن مكحولٍ: نسخَها قولُه: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق ٦٥/٢].

وروي: أنَّه خرجَ بُدَيْلُ بنُ أبي مريم مولى عمرِو بن العاص -وكان من المهاجرين- مع عديِّ بن يزيدَ وتميم بن أَوْس -وكانا نصرانيَّين- تجارًا إلى الشام، فمرِضَ بديلٌ وكتب كتابًا فيه ما معه وطرحَه في متاعه ولم يُخبِرْ به صاحبيْه، وأمرهما أن يَدفعا متاعَه إلى أهله، ومات، ففتَّشا متاعه فأخذا إناءً من فضَّة فيه ثلاثُ مئةِ مثقالٍ منقوشًا بالذهب فغيَّباه، فأصابَ أهلُ بديلٍ الصحيفةَ وطالبُوهما بالإناء فجحَدَا، فرفعوا إلى رسول الله فنزلت.

﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تَقِفُونهما وتَصْبِرُونهما للحَلِف.

﴿مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: من بعدِ صلاةِ العصر؛ لأنه وقتُ اجتماع الناس.

ولم يجد مسلمًا يُشهِده على وصيّته[١] فأشهد يهوديًّا أو نصرانيًّا أو أيّ كافر كان فشهادته جائزة».[٢]

قوله: (**فيه ثلاث مئة**) **يريد أنّه**[٣] كان ثلاث مئة مِثقال، وهو مثل[٤] قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٣٣/٢١]، أي: رسول الله أسوة حسنة.

قوله: (**وتصبُرونهما**)[٥] الصبر: حبس النفس على[٦] المكاره[٧] وعن الجزع، والمراد بالحبس هنا الوقف والصبر لليمين، ويمين[٨] الصبر، ويمين مصبورة،[٩] وهي التي يُصبَر عليها الإنسان، أي: يحبس حتّى يحلف.[١٠]

اعلمْ أنّ حاصل معنى قوله تعالى:[١١] ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾... إلخ، إيجاب الإشهاد على مَن حضره الموت، فجعل إيجاب الإشهاد كالأمر المعلوم المفروغ عنه، وأنّ المحتاج إلى البيان أنّ الشاهد كم[١٢] يكون وكيف يكون، فقيل: اثنان... إلخ،

---

[١] ن ر: وصية.
[٢] **الوسيط** للواحدي، ٢٤٢/٢ (المائدة، ١٠٦/٥).
[٣] ن ر + إذا.
[٤] ن – مثل؛ ر: قيل.
[٥] ن: وتصبرونها.
[٦] ر: عن.
[٧] ر: المكان.
[٨] ن ر: وعن.
[٩] ن: مصورة.
[١٠] انظر: **الصحاح** للجوهري، «صبر».
[١١] ن ر: قال.
[١٢] ر: يكون.

وعن **الحسن**: بعد صلاة العصر أو الظهر؛ لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما.

وفي حديث بديلٍ: أنها لمّا نزلت صَلَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ العصر ودعا بعديٍّ وتميم فاستحلَفَهما عند المنبر، فحلَفا، ثم وُجد الإناءُ بمكّة فقالوا: إنا اشتريناه من تميم وعديٍّ.

وقيل: هي صلاة أهل الذمّة، وهم يُعظِّمون صلاةَ العصر.

﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ اعتراضٌ بين القَسَم والمقسَمِ عليه، والمعنى: إن ارتبتُم في شأنهما واتَّهمْتُموهما فحلِّفوهما.

وقيل: إنْ أريد بهما الشاهدان فقد نُسخ **تحليفُ** الشاهدين، ....

فهذا خبر في معنى الأمر. قال في **الوسيط**: «قال الفرّاء: أي: ليشهَدكم اثنان»،[١] وقول المصنّف: "فيما فُرض عليكم" يدلّ على أنّ المعنى أمر مَن حضره[٢] الموت بإشهاد اثنين، لكن لمّا كان شهادة اثنين مِن لوازم إشهاد اثنين قيل: أن يشهد اثنان وأريدَ أن يُشهِدوا اثنين. وقوله في قراءة الحسن: **(ليُقِم شهادةً)** أيضًا يدلّ عليه، ثمّ إنّ شهادة اثنين مِن لوازم إشهاد اثنين فقيل: **(ليُقم شهادةً اثنان)** وأريدَ: ليشهد مَن حضره الموت اثنين، وعلى قراءة الشعبي ﴿شَهَٰدَةُ﴾ مبتدأ، ﴿بَيۡنِكُمۡ﴾ صفته، ﴿ٱثۡنَانِ﴾ خبره. وفي قوله: "لِيُقم شهادةً اثنان" الأمر متوجّه إلى الاثنين[٣] بأن يشهدا، والمراد أمر مَن حضره[٤] الموت بالإشهاد، فهو قريب مِن قولهم: "لا أرينّك ههنا"، تأمّل جميع ذلك فإنّه موضع مشكِل يظهر بتوفيق الله تعالى، ثمّ أقول: لمّا بيّن تعالى وجوب إشهادِ اثنين أشار إلى أنّه إن وقع الشكّ في صحّة شهادتهما حين يشهدان فالوجه أن يُحبسا ويحلَّفا.

قوله: **(فقد نُسِخ)** الناسخ قوله عليه السلام: «البيّنة على المدّعي واليمين

---

[١] **الوسيط** للواحدي، ٢/٢٤١ (المائدة، ٥/١٠٦).
[٢] ن ر: حضرت.
[٣] ن ر: اثنين.
[٤] ن ر: حضر.

وإنْ أُريدَ الوصيَّان فليس بمنسوخٍ تحليفُهما.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنه كان يُحلِّف الشاهدَ والرَّاوي إذا اتَّهمهما.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقسَم، وفي ﴿كَانَ﴾ للمُقْسَم له، يعني: لا نستبدِلُ بصحة القسَم بالله عَرَضًا من الدنيا؛ أي: لا نَحلفُ بالله كاذِبَينِ لأجل المال ولو كان مَن نُقْسِمُ له قريبًا منًّا، على معنى: أنَّ هذه عادتُهم في صدقهم وأمانتهم أبدًا، وأنَّهم داخلون تحت قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء ١٣٥/٤].

﴿شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها.

وعن الشعبيّ: أنه وقف على "شهادهْ" ثم ابتدأ "آللهِ" بالمدِّ على طرحِ حرف القسم وتعويضِ حرفِ الاستفهام منه، وروِيَ عنه بغير مدٍّ على ما ذَكر سيبويه أن منهم مَن يحذفُ حرف القسم ولا يُعوِّض منه همزةَ الاستفهام فيقول: أللهِ لقد كان كذا.

على مَن أنكر».[١] وأوّل مَن قال به قُسّ[٢] بن[٣] ساعدة / الإياديّ. [٣٤٩و]

قوله: **(الوصيّان)** قيل: المراد بـ﴿ٱثْنَانِ﴾[٤] الوصيّان؛ **لأنَّ الآية نزلت فيهما،** ولأنّ الشاهد لا يلزمه[٥] يمينٌ، والوصية لواحد تصحّ، **وجاء باثنين توكيدًا،**[٦] فالشهادة بمعنى الحضور نحو: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ [النور ٢/٢٤].

قوله: **(لا[٧] نستبدل بصحّة القَسَم) فإنّهم لو كانوا فاجرين كاذبين لكانوا قد** تركوا صحّة القسم لغرض الدنيا، **فكانوا مستبدلين بصحّة القسم بالله عَرَضًا مِن** عروض الدنيا، **فيحلفون أنّهم ليسوا كذلك.**

---

١ السنن الكبرى للبيهقي، ٤٤٧/١٦ (١٦٥٢٤)؛ وهو في سنن الترمذي، ١٩/٣ (١٣٤١) بلفظ: «البيّنة على المدّعي واليمين على المدّعى عليه».

٢ ن ر: فسره.

٣ ن ر: من.

٤ ن: باثيان.

٥ ن: يلزم.

٦ ر - توكيدًا.

٧ ر: ولا.

وقرى: "لَمَلَّاثمين" بحذف الهمزة وطرحِ حركتها على اللام وإدغامِ نونِ "مِن" فيها كقوله: "عادَ لُّوُلَى".

فإن قلتَ: ما موقعُ ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾؟

قلتُ: هو استئنافُ كلام؛ كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما: فكيف نعملُ إن ارتَبْنا بهما؟ فقيل: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾.

فإن قلتَ: كيف فسِّرت الصلاةُ بصلاةِ العصر وهي مطلَقة؟

قلتُ: لمَّا كانت معروفةً عندهم بالتحليف بعدها أَغْنى ذلك عن التقييد؛ كما لو قلتَ في بعض أئمَّة الفِقْهِ: "إذا صلَّى أخذ في الدرس" عُلم أنها صلاةُ الفجر.

ويجوز أن تكون اللام للجنس، وأن يُقصد بالتحليف على أثر الصلاة: أن تكون الصلاةُ لطفًا في النطق بالصِّدق وناهيةً عن الكذب والزُّور: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت ٢٩/٤٥].

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: فإن اطُّلِع ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾؛ أي: فَعَلا ما أوجَبَ إثمًا واستَوجَبَا أن يقال: إنهما لمن الآثمين.

﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران ﴿يقومانِ مَقامَهُما من الذين استُحِقَّ عليهم﴾؛ أي: من الذين استُحِقَّ عليهم الإثم، ....

قوله: **(فشاهدان آخران)** قال في **الكواشي**: «خبر مبتدأ محذوف، تقديره: فالشاهدان آخران مِن أولياء الميّت».[1] وأنا أقول: كلام صاحب **الكشّاف** يدلّ على أنّه صفة موصوف محذوف، وهو في محلّ المبتدأ خبره ﴿يَقُومَانِ﴾.

قوله: **(أي: مِن الذين استُحق عليهم الإثم)** أي: القائم مقام الفاعل ضمير يرجع إلى ﴿إِثْمًا﴾، أي: استُحق عليهم الإثم، وإنّما جاز استُحقّ الإثم،

---

١ **تفسير الكواشي**، ١٦٠ظ.

ومعناه: من الذين جُني عليهم، وهم أهل الميت وعشيرتهُ، وفي **قصَّة بديلٍ**: أنه لمَّا ظهرت خيَانة الرجلين حلف رجلان من ورثته أنه إناءُ صاحبهما، وأن شهادتهما أحقُّ من شهادتهما.

لأنّ آخذ الإناء بأخذه إثمٌ فسُمّي الإناء إثمًا كما سمي ما يُؤخذ منّا بغير حقّ مَظلَمة. قال سيبويه: المَظلَمة: اسم ما أُخذ منك،[1] فكذا سُمّي هذا المأخوذ باسم المصدر، فأمّا "على" فبمنزلة "في" كأنّه استحقّ فيهم وقام "على" مقام "في" كما قام "في" مقام "على" في قوله تعالى:[2] ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه ٧١/٢٠]، والمعنى: مِن[3] الذين استُحق عليهم بشهادة الآخر مِن اللذين هما مِن غيرهما.

واعلم أنّ هذه **الحاشية** كلام صحيح، لكنّه ليس بيانًا لكلام المصنّف؛ بل هو كلام آخرُ وتوجيه[4] آخرُ لقوله: "استُحقّ عليهم الإثم"، وأمّا بيان كلام المصنّف فهو أن نقول: لمّا قال تعالى أوّلًا: ﴿اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ فقد حكم عليهما بأنّهما مستحقّان للإثم، فمَن استحق الإثم عليه هما الوارثان، فإنّ الشاهدَين[5] لمّا[6] أثِما[7] بحلفهما[8] كان حاصل ذلك ونتيجته أن أَخَذ الإناءَ فرَجَع ضررُ ذلك على الورثة، فالاستحقاق كان وبالًا وضررًا على الورثة فلذلك[9] قيل: "استُحق عليهما"، وهذا معنى قول المصنّف: **(مِن الذين جُني عليهم)** لأنّ مَن حلف كاذبًا وأخذ حقّ غيره ظلمًا فقد جنى على الغير.

قوله: **(الإثم)**،[10] أي: استُحق الإثم عليهم بالجناية عليهم أو[11] ظلمًا، وهذا مغاير لِما كتبنا مِن الجانب[12] الآخر.

قوله: **(وأنّ شهادتهما)** سمّى قولهم شهادةً؛ لأنّ الدعوى أيضًا شهادة، والإقرار شهادة، فإنّ مَن أقرّ بشيء فقد شهد على نفسه ومَن ادّعى على غيره

---

[1] انظر: كتاب سيبويه، ٩١/٤.
[2] ر: عزّ وجلّ.
[3] ن ر: في.
[4] ر: ويوجبه.
[5] ر: الشاهدان.
[6] ر: لا.
[7] ر: إثم.
[8] ن ر: عليهما.
[9] ر - فلذلك.
[10] ن ر: أثمَ.
[11] ن ر: و.
[12] ن ر: إيجاب.

و﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾: الأحقَّانِ بالشهادة لقرابتِهما ومعرفتهما، وارتفاعُهما على: هُما الأوْليان، كأنه قيل: ومَن هما؟ فقيل: الأوليان.

وقيل: هما بدلٌ من الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾ أو من "آخران".

ويجوز أن يرتفعا بـ﴿استُحِقَّ﴾؛ أي: من الذين استُحِقَّ عليهم انتدابُ الأوْلَيَيْنِ منهم للشهادة لاطِّلاعهم على حقيقة الحال.

وقرئ: ﴿الأَوَّلِينَ﴾ على أنه وصف لـ﴿الذين استُحِقَّ عليهم﴾ مجرورٌ أو منصوبٌ على المدح، ومعنى الأوَّليَّة: التقدُّمُ على الأجانب في الشهادة لكونهم أحقَّ بها.

فيشهد على ذلك الغير، وغايتُه أنّه لا يقبل للتهمة أو لغيرها، قال في **الحجّة**: «قال الواقدي: فحلف عبد الله بن عمرو والمطّلب بن أبي وَداعة واستحقّا، ثمّ إنّ تميمًا أسلم وبايع رسول الله عليه السلام،[1] وكان يقول: صدق الله وبلّغ رسوله أنا أخذتُ الإناء».[2]

قوله: (**وهما بدل**) أي: ﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾ بدل (**مِن الضمير في** ﴿**يَقُومَانِ**﴾) فيه نظر؛ لِما ذكر بعد ذلك في قوله تعالى: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ [المائدة ٥/١١٧]، لا يجوز أن يكون ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ بدلًا مِن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ / لبقاء الموصول بغير راجع. فأقول: على هذا يبقى الموصول[3] هنا بلا عائد. ثمّ إنّي كتبت جواب ذلك هناك بأن ليس المبدَل منه مطروحًا مِن كلّ الوجوه وليس مهدَرًا بالكليّة. وهنا شيء آخر، وهو أن يقال: ضمير ﴿ٱلۡأَوۡلَيَـٰنِ﴾ يعود إلى ﴿ءَاخَرَانِ﴾ لا إلى اللام؛ لأنّ اللام حرف، فإنّ اللام الداخلة في اسم التفضيل والصفة المشبّهة حرفٌ لا غير. [٣٤٩ظ]

قوله: (**مِن الذين استُحقّ عليهم**) أي: مِن الذين وجب عليهم أن يُجيب الأوليان منهم للشهادة،[4] يقال: ندبه الآمر فانتدب له، أي: دعاه له فأجاب.

قوله: (**وقرئ: "الأوّلين"**)[5] قال في **الوسيط**:

---

١ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٢ **الحجّة** لأبي علي، ٣/٢٦٢.
٣ د: الموصوف.
٤ ر: الشهادة.
٥ قرأ بها حمزة وعاصم في رواية أبي بكر عنه. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٤٨.

وقرئ: "الأَوَّلَيْنِ" على التثنية، وانتصابُه على المدح.

وقرأ الحسن: "الأَوَّلان".

ويَحتجُّ به مَن يَرى ردَّ اليمين على المُدَّعي، وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله لا يَرون ذلك، فوجهُه عندهم: أن الورثة قد ادَّعوا على النصرانيَّين أنهما اختانا فحلفا، ....

قرأ حمزة: "الأوّلِين"، وهو نعت لجميع الورثة المذكورة في هذه الآية،[1] وإنّما قيل لهم: "الأوّلين" لتقدُّم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ [المائدة ١٠٦/٥]، وكذلك: ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة ١٠٦/٥] ذُكرا[2] في اللفظ قبل قوله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ﴾ [المائدة ١٠٦/٥]، وقرأ حفص: ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾ بفتح الحاء والتاء،[3] والمعنى فآخران من الذين وجب عليهم الإيصاء بتوصية منهم وهم قريبه.[4]

قوله: (ويحتجّ به) أي: بهذا الأمر الذي مرّ. اعلم أنّ ظاهر الآية يدل على أنّ اليمين تُردّ على المدّعي بعد نُكول المدّعى عليه عن اليمين؛ لأنّ الورثة ادّعوا على النصرانيّين، ولا شكّ أنّ القول ليس قولهم مع اليمين؛ بل حجّتهم إقامة الشهادة على ذلك، ولمّا عَجَزوا عن إقامة البيّنة توجّه اليمين على المدّعى عليهما وهما النصرانيّان، فلو لم يَرُدّا[5] لم يُتصوّر يمين المدّعي، فثبت[6] أنّ هذه الآية دلّت على ردّ اليمين على المدّعي، وأمّا مَن لا يرى ردّ اليمين على المدّعي فيئوِّل الآية بما ذكر المصنّف. ثمّ إنّ قول المصنّف: **(فوجهُه)**... إلخ، يدلّ على أنّ هذا القول الذي يقولونه في التأويل لم يثبت[7] ثبوتًا واضحًا؛ بل إنّما يدّعونه ويوجِّهون الآية بهذه الطريقة ليُوافق مذهبهم.

---

[1] د - قوله: وقرئ: "الأوّلَين" قال في **الوسيط**: قرأ حمزة: "الأوّلِين"، وهو نعت لجميع الورثة المذكورة في هذه الآية. | وجاء تعليقًا في هامش د.

[2] ن: ذكره.

[3] انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٤٨.

[4] ر - وهو نعت لجميع الورثة المذكورة في هذه الآية، وإنّما قيل لهم: "الأوّلين". | **الوسيط** للواحدي، ٢٤٢/٢ (المائدة، ١٠٧/٥).

[5] ن ر: يرد.

[6] ن ر: فيثبت.

[7] ن + به.

فلمّا ظهر كذبهما ادَّعيا الشِّرى فيما كتَما، فأنكر الورثة، فكانت اليمينُ على الورثة لإنكارهم الشرى.

فإن قلتَ: فما وجهُ قراءةِ مَن قرأ: ﴿ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ على البناء للفاعل؟ وهم عليٌّ وأبيٌّ وابن عباس رضي الله عنهم.

قلتُ: معناه: من الورثة الذين استَحَق عليهم الأَوْليان من بينهم بالشهادة أن يُجرِّدُوهما للقيام بالشهادة ويُظهروا بهما كذب الكاذبَين.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ١٠٨﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تقدَّم من بيان الحكم ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ أن يأتي الشهداءُ على نحو تلك الحادثة ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ﴾ أن يُكرَّ أيمانُ شهود آخرين ﴿بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ فيَفْتضِحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصّة بديلٍ.

قوله: (**فلمّا ظهر كذبهما**)... إلخ، يعني: لمّا عُثر على إناء مِن فضة منقوش بذهب قالوا: هذا[١] متاعه، فقالوا اشتريناه منه.

قوله: (﴿ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾)... إلخ،[٢] ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾ فاعل ﴿ٱسۡتَحَقَّ﴾، و(**أن يُجرِّدوهما**) مفعوله فالمفعول محذوف من لفظ القرآن. وقوله: "يجرّدوهما" كأنّهما لما صارا أولى منهم بهذه الشهادة استحقا عليهم أن يجرّدوهما لهذه الشهادة والباء من قوله: بالشهادة متعلق بـ﴿ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ﴾.

قوله: (﴿وَجۡهِهَآ﴾) أي: وجه الشهادة.

قوله: (﴿أَوۡ يَخَافُوٓاْ﴾) أو أولى وأحقّ أن[٣] يخافوا.

قوله: (**أن تُكرَ**)[٤] "كرّ"[٥] لازم ومتعدّ، يقال: كرّهٔ[٦] وكرّ[٧] بنفسه.[٨]

---

١ ن: هذه.
٢ ن ر - إلخ.
٣ ن ر: أو.
٤ ن ر - أن تكرّ.
٥ ن ر: تكرر.
٦ ن: كرّ.
٧ ن: وكريته.
٨ ن - بنفسه.

﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ سَمْعَ إجابةٍ وقبولٍ.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١٠٩﴾

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ﴾ بدلٌ من المنصوب في قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وهو من بدلِ الاشتمال؛ كأنَّه قيل: واتَّقوا الله يومَ جمعه، أو ظرفٌ لقوله: ﴿لَا يَهۡدِي﴾؛ أي: لا يهديهم طريقَ الجنَّة يومئذ كما يفعلُ بغيرهم، أو يُنصب بإضمار: "اذكر"، أو: يومَ يجمعُ الله الرسُل كان كيتَ وكيتَ.

و﴿مَاذَآ﴾ منتصِبٌ بـ﴿أُجِبۡتُمۡ﴾ انتصابَ مصدره على معنى: "أيَّ إجابةٍ أُجبْتم؟"، ولو أُريدَ الجواب لقيل: "بماذا أُجبْتُم؟".

فإن قلتَ: ما معنى سؤالهم؟

قلتُ: توبيخُ قومهم كما كان سؤالُ المَوْؤُدة توبيخًا للوائد.

فإن قلتَ: كيف يقولون: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ وقد علِموا بمَ أُجيبوا؟

قلتُ: يعلمون أن الغرضَ بالسؤال توبيخُ أعدائهم، فيَكِلون الأمرَ إلى علمه وإحاطته بما مُنُوا به منهم وكابَدُوا من سُوء إجابتهم؛ إظهارًا للتشكِّي

قوله: **(يومَ جمعه)** أشار إلى أنَّ الظاهر وُضع موضع المضمر، لأنَّ بدل الاشتمال لا بدّ أن يكون فيه ضمير يرجع إلى المبدَل منه.

قوله: **(كيت وكيت)** فينصبُ الظرفَ هذا الفعلُ المؤخَّر عنه، وهو "كان[1] كيتَ وكيتَ" في تركيب **الكشّاف**، وهو عبارة عمّا يكون ويقع ذلك اليوم.

قوله: **(إجابةٍ)** مصدر أجاب يُجيب إجابةً.

قوله: **(بما مُنوا به)** «مَنَوتُه ومنيتُه إذا ابتليتَه».[2]

قوله: **(وكابدوا)** «كابدتُ الأمر إذا قاسيتَ شدّته».[3]

---

[1] ر - كان.

[2] **الصحاح** للجوهري، «منا».

[3] **الصحاح** للجوهري، «كبد».

واللَّجَأِ إلى ربهم في الانتقام منهم، وذلك أعظم على الكفرة وأفتُّ في أعضادهم وأجلبُ لحسْرتهم وسُقوطهم في أيديهم، إذا اجتمع توبيخ الله وتشكِّي أنبيائه عليهم.

ومثالُه: أن يَنكبَ بعضُ الخوارج على السلطان خاصَّةً من خواصِّهِ نَكْبَةً قد عرَفها السلطان واطَّلع على كُنْهها، وعزم على الانتصار له منه، فيَجمع بينهما ويقول له: "ما فعَل بك هذا الخَارجيُّ؟" وهو عالمٌ بما فَعل به، يريد توبيخه وتبكيتَه، فيقول له: "أنت أعلمُ بما فعل بي" تفويضًا للأمر إلى عِلمِ سلطانه، واتِّكالًا عليه وإظهارًا لشَكاتِه وتعظيمًا لِمَا حلَّ به منه.

وقيل: من هولِ ذلك اليومِ يَفزعون ويَذهَلون عن الجواب، ثم يُجيبون بعد ما تَثُوبُ إليهم عقولُهم بالشهادة على أُممهم.

وقيل: معناه: عِلْمُنا ساقطٌ مع عِلْمِك ومغمورٌ به؛ لأنك علَّامُ الغيوب، ومَن علِم الخفيَّات لم تَخْفَ عليه الظواهرُ التي منها إجابةُ الأمم لرسلهم، فكأنَّه لا عِلْمَ لنا إلى جَنْبِ عِلمكَ.

وقيل: لا علمَ لنا بما كان منهم بعدَنا، وإنما الحكمُ للخاتمة، وكيْفَ يخفَى عليهم أمرُهم وقد رأَوْهم سودَ الوجوه زُرقَ العيون مُوبَّخين؟

وقرئ: "علَّامَ الغيوب" بالنصبِ على أن الكلام قد تمَّ بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾؛

قوله: (**وسُقوطهم**) سُقط في يده: ندم.[١]

قوله: (**يريد**) حال مترادفة لقوله: (**وهو عالم**).

قوله: (**لشِكايته**)[٢] «شكوتُ فلانًا أشكوه شَكْوًا وشِكاية وشَكِيّةً[٣] وشَكاةً إذا أخبرت عنه بسوء فعله بك».[٤]

قوله: (**وكيف يخفى**) اعتراض على القول الأخير.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «يدي».

٢ في مطبوع **الكشّاف**: لشَكاته. | وهي كذلك في بعض أصول **الكشّاف**، وأثبتُّ ما في **حاشية الجاربردي** وأكثر ما راجعتُ من أصول **الكشّاف**.

٣ ن - وشكية.

٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شكا».

أي: إنك الموصوفُ بأوصافك المعروفةِ من العلم وغيره، ثم نُصبَ "علّامَ الغيوب" على الاختصاص أو على النداء، أو هو صفةٌ لاسم "إنَّ".

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بَدَلٌ من ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ والمعنى: أنه يوبّخ الكافرين يومئذٍ بسؤال الرسل عن إجابتهم، وبتعديدِ ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذّبوهم وسمّوهم سحرةً، أو جاوَزوا حدَّ التصديق إلى أن اتَّخذوهم آلهةً؛ كما قال بعضُ بني إسرائيل فيما أُظهر على يد عيسى من البيّنات والمعجزات: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف ٦/٦١] واتخذه بعضُهم وأمَّه إلهين.

﴿أَيَّدتُّكَ﴾: قوّيتُك، وقرئ: "آيَدْتُك" على أفعَلْتُك.

قوله: **(أو هو صفة)** قيل: فيه نظر؛ لأنّ المضمر[1] لا يُوصَف، وهذا النظر مدفوع؛ لأنّ المصنّف يذكر الأقوال المذكورة، وبعضهم جوّز وصف الضمير، وهذا بناء على / مذهبه، وهذا كما يُجوّز بعضهم إضافته في[2] نحو "إيّاك"؛[3] بل هذا أولى، إذ لا فائدةَ للإضافة المعنوية سوى التعريف أو[4] التخصيص، وللصفة فوائدُ أخرى غيرهما،[5] وإذا جوّز بعضهم إضافته[6] فلا بُعد في تجويز الصفة. [٣٥٠و]

قوله: **(بدل)**[7] فيكون هذا الخطاب يوم القيامة.

قوله: **(اتّخذوهم)** الجاهل إمّا مُفرِط أو مفرِّط.

---

١ ن: الضمير.

٢ ن ر - في.

٣ نقل هذا الرأي عن الزجّاج والسيرافي في **شرح الرضي على الكافية**، ٤٢٥/٢.

٤ ن: و.

٥ ر: غيرها.

٦ ر: إضافة.

٧ ن ر: بدال.

﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: بالكلام الذي تُحيي به الدِّينَ، وأضافَه إلى ﴿ٱلْقُدُسِ﴾؛ لأنه سببٌ للطُّهْر من أَوْضار الآثام، والدليلُ عليه قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾.

و﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ في موضع الحال؛ لأن المعنى: تكلِّمهم طفلًا ﴿وَكَهْلًا﴾ إلّا أن ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ فيه دليلٌ على حَدٍّ من الطُّفولة.

وقيل "روح القدس": جبريل صلوات الله عليه، أُيِّدَ به لتَثْبيت الحجة.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾؟

قلتُ: معناه: تكلِّمهم في هاتين الحالتين من غيرِ أن يتفاوتَ كلامُك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقتُ كمال العقل وبلوغِ الأشُدِّ والحدِّ الذي يُسْتَنْبَأُ فيه الأنبياء.

و﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ خُصّا بالذِّكر مما تناوله ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾؛ لأن المراد بهما جنسُ الكتاب والحكمة.

وقيل: الكتاب: الخطُّ، والحكمة: الكلام المحكَم الصَّوابُ.

﴿كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: هيئةً مثلَ هيئةِ الطير ﴿بِإِذْنِى﴾: بتسهيلي.

﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ الضميرُ للكاف؛ لأنها صفةُ الهيئة التي كان يخلقُها عيسى ويَنفخ فيها، ....

قوله: (﴿ٱلْقُدُسِ﴾) القُدس والقُدّوس:[١] الطُّهر، اسم ومصدر، ومنه قيل للجنّة: "حظيرة القُدس"، فسمّي ذلك الكلام روح الطهر، لأنّه يحصل به الطهر، فكأنّه روحه.

قوله: (**والدليل عليه**) أي: على أنّ المراد بروح القدس: الكلام.

قوله: (**على حدٍّ**) أي: على قدر مقدَّر، وهو مدّة كونه في المهد، يعني: إنّما قال: ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ دون "طفلًا"، وهو معنى قوله: (**إلّا أنّ**).

قوله: (**الأشُدّ**) القوى، جمع لا واحدَ له.

---

[١] ن ر: القدوس فيجعل.

ولا يرجع إلى الهيئة المضافِ إليها؛ لأنها ليست من خَلْقه ولا نفخه في شيء، وكذلك الضميرُ في ﴿فَتَكُونُ﴾.

﴿تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: تخرجُهم من القبور وتبعثهم، قيل: أَخرجَ سامَ بن نوح ورجلين وامرأةً وجارية.

﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ يعني: اليهود حين همُّوا بقتله.

وقيل: لمَّا قال الله لعيسى: ﴿ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾ كان يَلبس الشَّعرَ ويأكل الشجرَ ولا يدَّخر شيئًا لغدٍ، يقول: مع كلِّ يومٍ رِزْقُه، ولم يكن له بيتٌ فيخربَ، ولا ولدٌ فيموتَ، أينما أَمْسَى بَاتَ.

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُواْ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

قوله: **(ولا يرجع إلى الهيئة)** أي: لا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها "مثل"، أي: التي أضيفَ "مثل" إليها. وإنّما قال كذلك لأنّ الكاف بمعنى المثل مضاف إلى الهيئة، ولا يحسن أن يقال: التقدير المضاف إليها "مثل"؛ لأنّه حينئذٍ يكون جاريًا على غير مَن هي له، فكان يجب إبراز[١] الضمير.

قوله: **(وقيل: لمّا قال الله)** وهذا يدلّ على أنّ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ﴾... إلخ، كان في الدنيا، والأوّل كما كتبنا على الحاشية دلّ على أنّه يوم القيامة، فكأنّ هذا قول آخر ومخالفٌ للأوّل،[٢] وعلى هذا لا يكون ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ بدلًا مِن ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾.

قوله: **(﴿نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾)** وإنّما أراد الله تعالى نِعمَه التي ذكرها في هذه الآية لأنّها المعتبرة، ومعنى كلام المصنّف أنّ[٣] عيسى كان بهذه المثابة مِن شكر النعمة، ومع ذلك خوطب بقوله: ﴿ٱذْكُرْ﴾.

---

١ ن: إيراد.
٢ ر: الأول.
٣ ن ر: وأن.

﴿أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أمرتُهم على ألسنة الرسل.

﴿مُسْلِمُونَ﴾: مخلِصون، مِن أسلَمَ وجهَه لله.

﴿عِيسَى﴾ في محلِّ النصبِ على إتْباع حركتهِ حركةَ الابن؛ كقولك: "يا زيدَ بنَ عمرٍو" وهي اللغة الفاشيةُ، ويجوز أن يكون مضمومًا كقولك: "يا زيدُ بنَ عمرو"، والدليل عليه في قوله:

أَحَارِ بنَ عمرٍو كَأني خمِرْ ... ويعدو على المرء ما يَأتمِرْ

قوله: **(في محلّ النصب)** فيه نظر؛ لأنّ حركته حركة بناء لا إعراب، إلّا أن يقال: أراد بالنصب الفتح، وهو المراد والنظر مدفوع،[1] والدليل عليه أنّه[2] قال: **(على[3] إتباع حركته)**.

قوله: **(حركةَ الابن)** تحتُّم الفتح[4] في المنادى إذا وقع بعده "ابن" بين العلمين[5] هو قول بعض النحويين، والصواب أنّ ذلك ليس بمتحتِّم؛ لأنّ علة انضمام المنادى في نحو "يا زيد بن عمرو" موجودة، فيكون المقتضي لجوازه[6] موجودًا، فيجوز كما قال.

قوله:

(أحارِ[7] بنَ عمرو كأنّي[8] خَمِرْ)

تمامه:

ويعدو على المرء ما يأتمِرْ[9]

أي: ما تأمر به نفسه فيرى أنّه رُشد فيمتثل، فربّما كان هلاكه في ذلك.

---

١ ر: مرفوع.
٢ ن: إذ.
٣ ن ر – على.
٤ ن ر: بالفتح.
٥ ر: علمين.
٦ ر: بجوازه.
٧ ر: أجاز.
٨ ن ر: كان.
٩ البيت لامرئ القيس في **ديوانه**، ص ١٥٤؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «أمر»، «خمر»؛ و**أمالي ابن الشجري**، ٣٠٢/٢. وقد ينسب لربيعة بن جُشم. انظر: **المعاني الكبير** لابن قتيبة، ١٢٥٩/٣؛ و**خزانة الأدب** للبغدادي، ٣٧٤/١.

لأن الترخيم لا يكون إلّا في المضموم.

فإن قلتَ: كيف قالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ بعد إيمانهم وإخلاصهم؟

قلتُ: ما وصفَهم الله بالإيمان والإخلاص، وإنّما حكَى ادِّعاءهم لهما، ثم أَتْبعه قولَه: "إذ قالوا"، فآذَنَ أنَّ دَعْواهم كانت باطلةً وأنهم كانوا شاكِّين، وقوله:

و"العَداء" بالفتح والمدّ: تجاوُز الحدّ والظلم، تقول منه: "عدا عليه عَدْوًا"، قال الله تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ [الأنعام ٦/١٠٨]. قال في **الصحاح**: «الخُمار: بقيّة السُّكر، تقول منه: رجل خمر، أي: في عقِب خُمار».[١] وتمثّل بهذا البيت، ثمّ قال: «ويقال: هو الذي خامره الداء».[٢] وقال في **مجمل اللغة**: «ائتمرتُ إذا فعلتَ ما أمِرتَ به، وائتمرتُ[٣] إذا فعلتَ[٤] أمرًا من تلقاء نفسك. قال:

ويـعـدو عـلـى الـمـرء مـا يـأتـمـر»[٥]

وقال في **مجمل اللغة**: وأمّا[٦] قول امرئ القيس:

كـأنّـي خَـمِـرْ

خامرني داء ووجع.[٧]

قوله: **(إلّا في المضموم)** لأنّ المفتوح مع ما بعده / يكون بمنزلة الاسم الواحد [٣٥٠ظ] كالمركّب فلا يُرخَّم منه، لأنّه لو رُخِّم آخرُ الأوّل لكان الحذف مِن الوسط.

قوله: **(ما وصفهم الله)** في قوله: ﴿ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ﴾.

قوله: **(وإنّما حكى)** قال الواحديّ في **الوسيط**:

قال ابن الأنباريّ: لا يجوز لأحد أن يتوهّم على الحواريّين أنّهم شكّوا في قدرة الله تعالى، ولا يدلّ قوله: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على[٨] أنّهم شكّوا

---

١ **الصحاح** للجوهري، «خمر».

٢ ر: الدواء. | **الصحاح** للجوهري، «خمر».

٣ ن - إذا فعلتَ ما أمرتَ به وائتمرت.

٤ ر - ما أمرتَ به وائتمرت إذا فعلتُ.

٥ **مجمل اللغة** لابن فارس، ١٠٣/١، «أمر».

٦ ن: فأما.

٧ انظر: **مجمل اللغة** لابن فارس، ٣٠٢/١، «خمر». وفي **مطبوعه**: «فإنّه يريد: خامرني...».

٨ ن ر - على.

﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ كلامٌ لا يَرِدُ مثلُه عن مؤمنين مُعَظِّمين لربهم، وكذلك قولُ عيسى عليه السلام لهم معناه: اتَّقوا الله ولا تشكُّوا في اقتدارِهِ واستطاعته، ولا تقترحوا عليه، ولا تتحكَّموا ما تَشتهُونَ من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن كانت دعواكم للإيمان صحيحةً.

وقرئ: ﴿هل تَسْتطيعُ ربَّك﴾؛ أي: هل تستطيعُ سُؤالَ رَبِّك، والمعنى: هل تسألُه ذلك من غير صارفٍ يصرفُك عن سُؤاله؟

والمائدة: الخِوانُ إذا كان علَيه الطعام، وهي مِن مادَهُ: إذا أعطاه ورفَدَهُ؛ كأنها تَميدُ مَن تُقدِّم إليه.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ١١٣﴾

في استطاعة الله تعالى،[1] وهذا كما يقول الإنسان لصاحبه: "هل تستطيع القيام معي؟" وهو يعلم أنّه مستطيع للقيام، ولكنّه[2] يريد "هل يسهُل عليك، وهل يخِفُّ عليك"، وكذلك في الآية "هل يقبل ربّك دعاءك، وهل يريد إجابتَه، وهل يُسهِّل[3] عليك إنزال هذه المائدة".[4]

هذا قول صاحب **الوسيط** وأنا أقول: يؤيِّد هذا[5] الكلام قراءةُ[6] بعضهم: ﴿هَلۡ تَسۡتَطِيعُ رَبَّكَ﴾[7] بالنصب، وتفسيرُ المصنِّف لها على ما فسَّره.

قوله: **(وكذلك قولُ عيسى)** أي: كذلك قول عيسى قولٌ لا يقال مع مؤمنين معظِّمين لربّهم، ثمّ بيّن معنى قولِ عيسى بقوله: معناه... إلخ.

قوله: **(الخِوان)** الخوان بالكسر: الذي يؤكل عليه، معرَّب، وثلاثة أخوِنة، والكثير خُوْن، ولا يثقَّل كراهةَ الضمة على الواو.

---

١ ن ر – تعالى.
٢ ن ر: لكنه.
٣ ن ر: يشهد.
٤ **الوسيط** للواحدي، ٢٤٥/٢ (المائدة، ١١٢/٥).
٥ ن: بهذا.
٦ ن ر: قرأ.
٧ قرأ بها حمزة. **النشر** لابن الجزري، ٢٥٦/٢.

﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: نشهدُ عليها عِنْد الذين لم يَحضروها مِن بني إسرائيل، أو: نكونَ من الشاهدين لله بالوَحْدانيّة ولك بالنبوَّةِ عاكفِين عليها، على أنَّ ﴿عَلَيْهَا﴾ في موضع الحال.

وكانت دعواهم لإرادةِ ما ذَكَرُوا كدعواهم للإيمان والإخلاص، وإنما سأل عيسى عليه السلام وأُجيبَ ليُلزَموا الحجةَ بكمالها، ويُرسَلَ عليهم العذابُ إذا خالفوا.

وقرئ: "ويُعْلَمَ" بالياء على البناء للمفعول.

و: "وتَعْلَم... وتكونَ" بالتاء، والضميرُ للقلوب.

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿ٱللَّهُمَّ﴾ أصلُه: يا أللهُ، فحُذف حرف النداء وعُوِّضت منه الميم.

و﴿رَبَّنَا﴾ نداءٌ ثان ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾؛ أي: يكون يومُ نزولها عيدًا.

قوله: (عليها) أي: حاصلين ومستقرّين على المائدة.

قوله: (كدعواهم للإيمان) أي: كما أنّ دعواهم للإيمان والإخلاص كانت باطلة كذلك دعواهم لإرادة ما ذكروا مِن قولهم: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ باطلةٌ. ثمّ أجاب عن سؤال مقدَّر، وهو أنّه إذا كانت دعواهم كدعواهم فلِمَ سأل عيسى عليه السلام[١] المائدة، ولِمَ أجابه الله تعالى؟[٢] فأجاب بأنّ ذلك لإلزام الحجّة.

قوله: (أي:[٣] يكون يوم نزولها)، يريد أنّ الضمير مِن ﴿تَكُونُ﴾ عائد[٤] إلى المائدة، والأصل: يكون يوم نزولها عيدًا،[٥] ولمّا حُذف المضاف والمضاف إليه استتر في "يكون" ضمير المائدة فأنّث.

---

١ د ر - عليه السلام.
٢ د ر - تعالى.
٣ ر: أن.
٤ د: عائدًا.
٥ ن ر: غدا.

قيل: هو يوم الأحَدِ، ومن ثَمَّ اتَّخذه النصارى عيدًا.

وقيل: العيد: **السرور العائد، ولذلك يقال: "يومُ عيدٍ"، وكأن معناه: تكون لنا سرورًا وفرحًا.**

وقرأ عبد الله: "تكُنْ" على جواب الأمر، ونظيرُهما: ﴿يَرِثْنِى﴾ و﴿يَرِثُنِى﴾.

﴿لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ بدلٌ مِن ﴿لَنَا﴾ بتكرير العامل؛ أي: لمَنْ في زماننا من أهل ديننا ولمَنْ يأتي بعدنا.

وقيل: يأكلُ منها آخرُ الناس كما يأكلُ أوَّلُهم.

ويجوز: للمقدَّمين منَّا والأَتْباع.

وفي قراءة زيد رضي الله عنه: "لأولانا وأُخْرانا" والتأنيثُ بمعنى: الأمَّة والجماعة.

﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿عَذَابًا﴾ بمعنى: تعذيبًا، والضمير في ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ﴾ للمصدر، ولو أريد بالعذاب ما يُعذَّبُ به لم يكن بُدٌّ من الباء.

رُوي: أن عيسى عليه السلام لمَّا أراد الدعاء لَبِسَ صوفًا ثم قال: اللّٰهمَّ أنزل علينا، فنزلت سُفرة حمراءُ بينَ غَمامَتيْن: غمامَةٍ فوقها وأُخرى تحتها،

قوله: (**وقيل: العيد**) عطف على قوله: "أي: يكون"، يعني يجوز أن يكون العيد بمعنى السرور، فعلى هذا يعود الضمير إلى المائدة كما في الأوّل، لكن لا يحتاج هنا إلى تقدير المضاف والمضاف إليه.

قوله: (**يومُ عيدٍ**) بالإضافة.

قوله: (**نظيرهما**) أي: نظير القراءتين، فالرفع على الصفة، والجزم على جواب الأمر.

قوله: (﴿عَذَابًا﴾) كـ"السلام" و"المتاع"، بمعنى التسليم والتمتيع.

وهم ينظرون إليها، حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى وقال: اللّٰهمّ اجعلني من الشاكرين، اللّٰهمّ اجعلها رحمةً ولا تجعلها مُثْلةً وعقوبة، وقال لهم: ليَقُم أحْسنُكم عَملًا يَكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها، فقال شمعون رَأسُ الحواريين: أنت أولى بذلك، فقام عيسى عليه السلام فتوضَّأ وصَلَّى وبكى، ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خيرِ الرازقين، فإذا سمكةٌ مشوية بلا فلوسٍ ولا شَوْكٍ تسيل دسَمًا، وعند رأسها مِلح وعند ذنبها خلٌّ، وحولها من ألوان البُقول ما خلا الكرَّاث، وإذا خمسة أرغفَةٍ: على واحدٍ منها زيتونٌ، وعلى الثاني عسلٌ، وعلى الثالث سَمْنٌ، وعلى الرابع جُبْنٌ، وعلى الخامس قَديدٌ، فقال شمعون: يا روحَ الله! أمِن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة؟ فقال: ليس منهما، ولكنَّه شيء اخترعَه الله بالقدرة الغالبة، كلوا ما سَألتم واشكروا يُمدِدْكم الله ويَزِدْكم من فضله، فقال الحواريون: يا روحَ الله! لو أريْتَنا من هذه الآيَة آيةً أخرى، فقال: يا سمكةُ احيَيْ بإذن الله، فاضطربت، ثم قال لها: عودي كما كُنتِ، فعادت مشوية، ثم طارت المائدة، ثم عصَوا بعدها فمُسِخُوا قردةً وخنازيرَ.

وروي: أنهم لمَّا سمِعُوا بالشريطة وهي قوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ﴾ قالوا: لا نريد، فلم تنزل.

قوله: (مُثلةً) والمُثلة: العقوبة، لأنَّها تُماثل الذنب.

قوله: (فإذا سمكةٌ) "إذا" للمفاجأة و"سمكة" مبتدأ ما بعدها صفة، والخبر محذوف، تقديره: ففاجأ زمان سمكةٌ موصوفةٌ بتلك الصفات حاصلةٌ موجودة.

قوله: (أمِن طعام الدنيا) "مِن طعام" خبر مبتدأ محذوف، أي: أهذا مِن الأطعمة التي كان الله تعالى خلقها قبل هذا الوقت في الدنيا، أو مِن الأطعمة التي خلقها الله تعالى قبل ذلك في الجنَّة؟ فأجاب عيسى عليه السلام بأنّه ليس مِن هذا ولا من ذاك؛[1] بل هو طعام خلقه الله تعالى الآن، أي:[2] عند / دعائنا [٣٥١و]
بقدرته تعالى إجابةً لدعائنا وكرامةً منه تعالى لنا.

---

[1] ر: ذلك.

[2] ر - أي.

وعن الحسن: والله ما نزلت، ولو نزلت لكان عيدًا إلى يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَءَاخِرِنَا﴾.

والصحيح أنَّها نزلت.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ من أن يكون لك شريكٌ ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾: ما ينبغي لي ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ قولًا لا يَحِقُّ لي أن أقوله.

﴿فِى نَفْسِى﴾: في قلبي، والمعنى: تعلمُ معلومي ولا أعلم معلومَك، ولكنَّه سُلِك بالكلام طريقُ المشاكلة، وهو من فصيح الكلام وبيِّنِه، فقيل: ﴿فِى نَفْسِكَ﴾ لقوله: ﴿فِى نَفْسِى﴾.

﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقريرٌ للجملتين معًا؛ لأنَّ ما انْطوَت عليه النفوس من جملةِ الغيوب؛ ولأن ما يعلمه علَّامُ الغيوب لا ينتهي إليه علمُ أحد.

قوله: (﴿سبحانك﴾) أي: أنزِّهك تنزيهًا.

قوله: (طريق المشاكلة) المشاكلة: «أن يُذكَر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته».[1] كقوله:

قالوا اقترح شيئًا نُجِدْ لك طبخهُ قلتُ اطبخوا لي جبَّةً وقميصا[2]

قوله: (تقريرٌ للجملتين) والمراد بالجملتين ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، وقول المصنِّف: (﴿إِنَّكَ﴾) إلى (﴿ٱلْغُيُوبِ﴾) في محلّ المبتدأ، خبره "تقريرٌ"، وإنّما أفاد تقرير الجملتين؛ لأنَّ فيه إثباتَ العلم لله تعالى، وهو ظاهر؛ ونفي العلم، أي: نفي علم الغيب عن عيسى عليه السلام لإفادة هذا التركيب الحصر. وقد أوضحه المصنِّف بقوله: (لأنَّ)... إلخ، يعني: ما اشتملت عليه النفوس مِن[3]

---

[1] **مفتاح العلوم** للسكَّاكي، ص٥٣٣.

[2] البيت لجَحظة البَرمكي أو أبو الرَّقَعْمَق. ومضى بتخريجه في تفسير الفاتحة، ١/٤.

[3] في هامش د: خبر.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١١٧﴾

"أَنْ" في قوله ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إن جعلتَها مفسِّرةً لم يكن لها بدٌّ من مُفسَّرٍ، والمفسَّرُ إما فعلُ القول وإما فعلُ الأمر، وكلاهما لا وجه له:

أما فعلُ القول فيُحكَى بَعده الكلامُ من غيرِ أنْ يُوسَّط بينهما حرفُ التفسير، لا تقول: ما قلتُ لهم إلَّا أن اعبُدُوا الله، ولكن: "ما قلتُ لهم إلَّا اعبدوا الله".

وأما فعلُ الأمر فمسندٌ إلى ضمير الله عزَّ وجل، فلو فسَّرتَه بـ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ لم يستقِمْ؛ لأن الله لا يقول: "اعبدوا الله ربي وربكم".

وإنْ جعلتَها موصولةً بالفعل لم تَخلُ من أن تكونَ بدلًا من ﴿مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ﴾

علوم الغيب، فيكون قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تقريرًا لقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾، ولمّا أفاد انحصار علم الغيب في الله تعالى أفاد أنّ عيسى عليه السلام[١] لا يعلم الغيوب التي يعلمه الله تعالى، فيكون مقرّرًا لقوله: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾.

قوله: (لم يستقِم) فيه نظرٌ لجواز أن يكون الأصل "اعبدوا الله ربّ عيسى وربّكم"، لكن لمّا كان المتكلِّم بهذا الكلام عيسى عليه السلام[٢] عَدَل به إلى قوله: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، كما تقول: "حَلَف زيد ليفعلنّ"،[٣] و"حَلَف زيدٌ لأفعلنّ"، وقد تقدّم ذلك مرارًا، ويكون[٤] الأصل "اعبدوا الله ربّك وربّكم"، والخطاب لعيسى عليه السلام[٥] وللناس، ثمّ عدل لِما ذكرنا، وهو قريب مِن قوله تعالى: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه ٢٠/٤٩].

قوله: (موصولةً) أي: مصدريّة، أي: متّصلة، بحيث أنّ الكلّ كشيء واحد، وهذا معنى الموصول، يعني: تجعل الفعل في تقدير[٦] المصدر، ويصير المجموع كشيء واحد. وقوله: (بالفعل) أي: بقوله:[٧] ﴿ٱعْبُدُواْ﴾.

---

١ د ر - عليه السلام.
٢ د ر - عليه السلام.
٣ ن: يفعلن.
٤ ر: أو يكون.
٥ د ر - عليه السلام.
٦ ن: تقرير.
٧ ن ر: قوله.

أو من الهاء في ﴿بِهِۦ﴾ وكلاهما غيرُ مستقيم؛ لأنّ البدل هو الذي يقوم مقام المبدَل منه، ولا يقال: "ما قلتُ لهم إلّا أن اعبدوا الله" بمعنى: "ما قلتُ لهم إلّا عبادتَه"؛ لأن العبادة لا تُقال، وكذلك إذا جعلتَه بدلًا من الهاء؛ لأنك لو أَقَمْتَ ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ مُقام الهاء فَقُلتَ: "إلّا ما أمرتَني بأن أعبدوا الله" لم يصحَّ؛ لبقاء الموصول بغير راجع إليه من صلته.

قوله: (لأنّ البدل)... إلخ، فيه نظرٌ؛ لأنّه يجوز بالتبعيّة ما لا يجوز بالاستقلال، نحو "ربّ شاةٍ وسخلتِها"، وتحقيقه في هذا الموضع أنّ ﴿مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦ﴾ عبارة عن القول المقول، وهو ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، لكن لمّا عبّر عنه بـ﴿مَا﴾ وهو مفرد لفظًا أبدِل عنه ما هو مفرد وهو ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، والمقصود معنى ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، أي: الأمر بعبادة الله تعالى،[1] وهو ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، والله أعلم. وفي صحّة هذه الحاشية بحثٌ، فليُتأمّل فيه.

قوله: (لبقاء الموصول)... إلخ، لأنّ المبدَل منه في حكم الساقط، وفي قوله: "لبقاء الموصول"... إلخ، نظرٌ؛ لأنّه قال في المفصّل: وقولهم: إنّ البدل في حكم تنحية[2] الأوّل إيذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقتِه[3] التأكيدَ والصفة في كونهما تتمّتين لِما يتبعانه، لا أن يعنُوا إهدار الأوّل واطِّراحه، ألا[4] تراك تقول: "زيد رأيتُ غلامَه رجلًا صالحًا" فلو ذهبت تُهدِر الأوّل لم يَسُدّ كلامك لعدم الراجع إلى المبتدأ.[5] ففي كلامَيه تناقضٌ، والعجبُ[6] أنّه لم يُجوِّز هذا وجوَّز أن يكون ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ بدلًا مِن الضمير في ﴿يَقُومَانِ﴾ فيما مرّ عن قريب، مع أنّه لا بدّ مِن رجوع الضمير إلى ﴿ءَاخَرَانِ﴾ مِن صفته، إلّا / أن يمنع كون ﴿يَقُومَانِ﴾ صفة [٣٥١ظ]
﴿ءَاخَرَانِ﴾ أو يقال: ضمير ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ يعود إلى "الآخران" لا إلى اللام؛ لأنّ اللام حرف، فإنّ اللام[7] الداخلة في اسم التفضيل والصفة المشبّهة حرفٌ لا غيرُ.

---

[1] د ر - تعالى.
[2] ر: تنحيته.
[3] ر: في مفارقته.
[4] ن ر: وألا.
[5] انظر: المفصّل للزمخشري، ص ١٥٧.
[6] ن ر: والعجب.
[7] ن - اللام.

فإن قلتَ: فكيف تَصنعُ؟

قلتُ: يُحمل فعلُ القول على معناه؛ لأن معنى ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾: ما أمرتُهم إلّا بما أمرتَني به، حتى يستقيم تفسيره بـ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾.

ويجوز أن تكون ﴿أَنِ﴾ موصولةً عطفَ بيانٍ للهاء لا بدلًا.

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيبًا كالشاهد على المشهود عليه أَمْنَعُهُم من أن يقولوا ذلك ويتديَّنُوا به.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تمنعُهم من القول به بما نصَبْتَ لهم من الأدلَّة، وأنزلتَ عليهم من البيّنات، وأرسلتَ إليهم من الرسل.

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨﴾

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الذين عرفتَهم عاصينَ جاحدين لآياتك مكذِّبين لأنبيائك.

﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القويُّ القادرُ على الثواب والعقاب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يثيبُ ولا يُعاقِب إلَّا عن حكمةٍ وصواب.

قوله: (**على معناه**) أي: معنى القول، وهو الأمر.

قوله: (**ما أمرتُهم**) قال رحمه الله:[١] كان الأصل "ما أمرتُهم إلّا بما أمرتني به"، فوُضع القول موضع الأمر نزولًا على قضية الأدب الحسَن، لئلّا يجعل نفسه وربَّه آمرَين، ودلّ على الأصل بإقحام "أن" المفسِّرة.

قوله: (**ويتديّنوا به**) إشارة إلى أنّهم لو كانوا يقولونه[٢] كان يتبيّن[٣] لهم فساده ويمنعهم، أي:[٤] يعتقدوه ويتديّنوا به.

قوله: (﴿**فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ**﴾) أي: تتصرّف في مُلكك وأنت الحاكم تحكم كما تريد، هذا هو الموافق لتفسير[٥] أهل السنّة.

---

١ ن ر: رضي الله عنه.
٢ ر: يقولون.
٣ ن ر: يبين.
٤ ن: أن.
٥ ن - لتفسير؛ ر: لنفسه.

فإن قلتَ: المغفرةُ لا تكون للكفَّار فكيف قال: ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾؟

قلتُ: ما قال: "إنك تغفر لهم" ولكنه بَنى الكلام على ﴿وَإِن﴾ فقال: إن عذَّبتَهم عدلتَ؛ لأنهم أحقَّاءُ بالعذاب، وإن غَفرْتَ لهم مع كفرهم لم تَعدَمْ في المغفرة وجهَ حكمةٍ؛ لأن المغفرة حسنةٌ لكلِّ مُجرم في المعقول، بل متى كان الجِرمُ أعظمَ جِرمًا كان العفو عنه أحسنَ.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرُۢ ١٢٠﴾

قرئ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ﴾ بالرفع والإضافة، وبالنصب إمَّا على أنه ظرفٌ لـ﴿قَالَ﴾، وإما على أن ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ والظرفُ خبر، ومعناه: هذا الذي ذكرنا

قوله: **(في المعقول)** أي: في العقل[١] وإن لم يكن في الشرع، وهو قول أبي القاسم الكعبيّ فحسب.

قوله: **(ظرف لـ﴿قَالَ﴾)**[٢] تقديره قال الله تعالى[٣] هذا القصص وهذا الكلام ﴿يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾، فـ﴿يَوۡمُ﴾ ظرف للقول و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما تقدّم ذكره مِن قوله عزّ[٤] وجلّ:[٥] ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾، وجاء على لفظ المضيّ وإن كان المراد الآتي، كما قال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف ٤٤/٧]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ [الأعراف ٤٨/٧]، ونحو ذلك، وليس ما بعد ﴿قَالَ﴾ بالحكاية في هذا الوجه، كما كان إيّاها في الوجه الأوّل. ويجوز أن يكون المعنى على الحكاية، تقديره: قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ﴾، أي: هذا[٦] الذي اقتصصنا يقع ويحدث يومَ ينفع الصادقين فـ﴿يَوۡمُ﴾ هو[٧] خبر المبتدأ

---

١ ر: الفعل.
٢ ن: لقائك؛ ر: لقاك.
٣ د ر – تعالى.
٤ ن: تعالى.
٥ ن – وجلّ.
٦ ن ر – المعنى على الحكاية تقديره قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ﴾، أي: هذا.
٧ ن – هو.

من كلام عيسى واقعٌ يومَ ينفعُ، ولا يجوز أن يكون فتحًا كقوله: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ [الانفطار ١٩/٨٢]؛ لأنه مضاف إلى متمكِّن.

وقرأ الأعمش: "يومٌ ينفع" بالتنوين؛ كقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ [البقرة ٤٨/٢].

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ إن أريد صدقُهم في الآخرة فليست الآخرةُ بدارِ عملٍ، وإنْ أريدَ صدقُهم في الدنيا فليس بمطابقٍ لِمَا ورد فيه؛ لأنّه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يُجِيب به يوم القيامة.

قلت: معناه: الصدقُ المستمرُّ بالصادقين في دُنياهم وآخرتهم.

الذي هو ﴿هَٰذَا﴾، لأنّه إشارة إلى حدث، وظروفُ[1] الزمان تكون أخبارًا عن الأحداث، والجملةُ في موضع نصب بأنّها في موضع مفعول ﴿قَالَ﴾. فقوله: ﴿هَٰذَا﴾ في الوجهين إشارةٌ إلى الكلام والقصص.

قوله: **(ولا يجوز أن يكون فتحًا)** لأنّه مضاف إلى متمكِّن، قال أبو عليّ: «والإضافةُ إلى الفعل نفسِه في الحقيقة لا إلى المصدر، ولو كانت الإضافة إلى المصدر لم يُبْنَ المضاف، في نحو:

على حينَ عاتبتُ المَشيبَ على الصِّبا»[2]

وقوله: **(متمكِّن)** أي: معرَب.

قوله: **(فليس)** أي: كون الصدق مرادًا في الدنيا.

قوله: **(ورد)** أي: قوله: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

قوله: **(لأنّه)**،[3] أي: لأنّ قوله: ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4] كالشهادة لعيسى، وإذا كان هذا كالشهادة على صدق عيسى فيما أجاب به يوم القيامة لا يُناسب أن يقال: ينفع الصادقين الصدقُ الذي قالوه في الدنيا.

---

[1] ر: فظروف.

[2] **الحجّة** للفارسي، ٢٨٤/٣. والشعر صدر بيت للنابغة الذبياني، عجزه:

وقلتُ ألمّا أصحُ والشيبُ وازعُ

في ديوانه، ص ٣٢؛ وهو له في **كتاب سيبويه**، ٣٣٠/٢؛ و**الزاهر** لابن الأنباري، ٢٩٨/٢؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «عتب».

[3] ن ر: لأن.

[4] ر + قوله.

وعن قتادةَ: متكلِّمان تَكلَّما يوم القيامة، أَما إبليس فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم ٢٢/١٤] فصدَق يومئذ، فكان قبل ذلك كاذبًا فلم ينفَعْه صِدْقهُ، وأما عيسى فكان صادقًا في الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه.

فإن قلت: في السماوات والأرض العُقلاءُ وغيرهم، فهلّا غلِّب العقلاءُ فقيل: "ومن فيهنَّ؟"

قلتُ: "ما" يتناول الأجناس كلَّها تناولًا عامًّا، ألا تراك تقول إذا رأيت شبحًا من بعيد: ما هو قبل أن تعرف أعاقل هو أم غيره فكان أولى بإرادة العموم.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة المائدة أُعطي من الأجر عشرَ حسناتٍ، ومُحي عنه عشرُ سيئات، ورُفع له عشر درجات، بعدد كلِّ يهودي ونصرانيٍّ يتنفَّس في الدنيا».

قوله: **(وعن قتادة)**... إلخ،[١] كلام قتادة يدلّ أيضًا على أنّ الصدق النافع هو الصدق المستمرّ.

قوله: **(فهلّا)** أي: لِمِ لم يُغلَّب العقلاء.

---

[١] الكشف والبيان للثعلبي، ٥٧١/١١ (المائدة، ١١٩/٥).

سورة الأنعام

مكيَّة، وهي مئة وخمس وستون آية،

وعن ابن عباس: غيرَ ست آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ①﴾

"جَعَل" يتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ إذا كان بمعنى: "أحْدَث وأنشأ"؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ وإلى مفعولين إذا كان بمعنى: "صيَّر"؛ كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣].

والفرقُ بين الخلق والجعل: أن الخلقَ فيه معنى التقديرِ، وفي الجعل معنى التضمين؛ كإنشاء شيءٍ من شيءٍ، أو تصييرِ شيءٍ شيئًا، أو نقلِه من مكانٍ إلى مكانٍ،

/ سورة الأنعام [٣٥٢و]

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: **(غيرَ ستّ آيات)** هي ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأنعام ٩١/٦] الثلاث، وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟﴾ [الأنعام ١٥١/٦] إلى ﴿تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣/٦]. قال جار الله: هذه السورة ممّا[1] ارتُفع[2] بالطائف عند قبر ابن عبّاس رضي الله عنهما.[3]

قوله: **(معنى التضمين)** أي: جَعْله في ضمن آخرَ.

---

[1] ن ر - ممّا.

[2] في هامش د: أي: كُتب.

[3] د - رضي الله تعالى عنهما. | هذا الكلام للزمخشري في حاشية صحّت منه على هامش الكشّاف. انظر مخطوطة آيا صوفيا (٢٤٨)، ٣٢٠و.

ومن ذلك ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف ١٨٩/٧]، ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام ١/٦]؛ لأن الظلمات من الأجرام المتكاثِفة والنورَ من النار، ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر ١١/٣٥] ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص ٥/٣٨].

فإن قلتَ: لمَ أُفردَ النور؟

قلتُ: للقصد إلى الجنسِ؛ كقوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة ١٧/٦٩]، أو لأن الظلماتِ كثيرةٌ؛ لأنه ما من جنسٍ من أجناس الأجرام إلّا وله ظلٌّ وظلُّهُ هو الظلمةُ، بخلافِ النور فإنه من جنسٍ واحد وهو النار.

قوله: (﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ [الأعراف ١٨٩/٧]) مثال إنشاء شيء مِن شيء. وقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ إنشاء شيء مِن شيء. وقوله: (وجعلناكم)[١] مثال تصيير شيء شيئًا. وقوله: (﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ﴾ [ص ٥/٣٨]) مثالُ نقلِ الشيء مِن مكان إلى مكان؛ لأنّه نقلها مِن التعدُّد إلى الوَحدة.

قوله: (﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة ١٧/٦٩]) الضمير في ﴿أَرْجَآئِهَا﴾ للسماء، أي: والملك على جوانب السماء. والرجا مقصورًا: ناحية البئر[٢] وحافتاه. وكلّ ناحية رجًا. يقال منه: أرجيتُ البئر. والرَّجَوان: حافتا البئر. فإذا قالوا: "رُميَ[٣] به الرجوان"[٤] أرادوا أنّه طُرح في المهالك، والجمع أرجاء.[٥] يقال هذا المَثَل لمَن دخل مجلسًا فلم يجد مقامًا يجلس فيه، فيجول مِن جانب إلى جانب، كالدلو إذا أُرسل في البئر فيقع على هذا الجانب مرّة وعلى ذاك أخرى.

قوله: (مِن جنس واحد وهو النار) هذا مُشكِل؛ لأنّ النور[٦] ضوء النار وضوء كلّ نيّر،[٧] كما ذكر[٨] في سورة البقرة.

---

١ الظاهر أنّ الزمخشري أراد الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر ١١/٣٥]، فسها عنها.

٢ ر: البين.

٣ ن: رمى.

٤ انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ٢١٣/١، ٢١٢، **والمستقصى** للزمخشري، ٢٦٩/٢.

٥ ر: أرجاية. | من قوله: "الرجا مقصورًا" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «نجش».

٦ ن ر - النور.

٧ ن: بين.

٨ في هامش د: جار الله. | ذكر ذلك الزمخشريّ في تفسير البقرة، ١٧/٢.

فإن قلتَ: علَامَ عُطف قولُه: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾؟

قلتُ: إمَّا على قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ على معنى: أن الله حقيقٌ بالحمد على ما خلَق؛ لأنه ما خلَقه إلَّا نعمةً، ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمتَه، وإمَّا على قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على معنى: أنه خلق ما خلقَ مما لا يَقْدر عليه أحدٌ سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه.

فإن قلتَ: فما معنى ﴿ثُمَّ﴾؟

قلتُ: استبعادُ أَنْ يَعدلوا به بعدَ وضوحِ آيات قدرته وتبليغِ دعوته، وكذلك ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [الأنعام ٦/٢] استبعادٌ لأن يَمْترُوا فيه بعدما ثبت أنه مُحييهم ومُميتُهم وباعثهم.

قوله: (**يعدِلون به**)[١] ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ في الوجه **الأوّل** مِن العُدول، والباء في "به" صلة ﴿كَفَرُواْ﴾، وفي الوجه **الثاني** يكون قوله: ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ مِن الظاهر الموضوع موضعَ المضمر، أي: "به"؛ لأنّه لا بدّ في المعطوف على الصلة أن يكون فيه ضمير يعود إلى الموصول كما في المعطوف عليه، وإنّما قلنا: "إنّه في الوجه الأوّل مِن العدول"؛ لأنّ تقابل طرفَي الكلام إنّما يحسن إذا قيل: الحمد لله ثمّ الذين كفروا بربهم يعدلون عن الله فيكفرون نعمته، كأنّه قيل: الحمد حقُّه وهم لا يحمدونه. وإنّما قلنا: "إنّه في الوجه الثاني مِن العدل"؛ لأنّ التقابل إنّما يحسن[٢] على تقدير العطف على ﴿خَلَقَ﴾ أن لو قيل: هو خلَق وهم يسوُّون به مَن لا يقدِر على الخَلْق.

قوله: (**يعدِلون به ما لا يقدِر**) قال رحمه الله:[٣] تُرِك ذِكرُ[٤] المفعول ليقع الإنكار على نفس الفعل الذي هو العدل، وإنّه ممّا يجب ألّا يخطر ببال، وينبغي أن يُجعل العدل ههنا كأنّه غير متعدٍّ، فلا يُضمَر[٥] له مفعول به البتّة.

---

[١] ن + النور.

[٢] ن: حسن.

[٣] ن – رحمه الله؛ ر: رضي الله عنه.

[٤] ن ر – ذكر.

[٥] ر: يضم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾: أجَلَ الموت ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾: أجلُ القيامة.

وقيل: الأجل الأوَّل: ما بين أن يُخْلَقَ إلى أن يموت، والثاني: ما بين الموت والبعث وهو البَرزخ.

وقيل: الأول: النوم، والثاني: الموت.

فإن قلتَ: المبتدأ النكرةُ إذا كان خبرُه ظرفًا وجَب تأخيرُه، فلِمَ جاز تقديمُه في قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾؟

قلتُ: لأنه تخَصَّص بالصفة فقارَب المعرفة؛ كقوله: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة ٢/٢٢١].

فإن قلتَ: الكلام السائر أن يقال: "عندي ثوبٌ جيِّدٌ" و"لي عبدٌ كيِّس" وما أشبهَ ذلك، فما أوجَبَ التقديم؟

قوله: (﴿أَجَلًا﴾) تنكير التبعيض.

قوله: (﴿وَأَجَلٌ﴾) تنكير التعظيم، وهو عطف الجملة، ويجوز أن يكون واو الحال.

قوله: (﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾) قال ابن عبّاس:[١]

> إنّ الله تعالى قضى لكلّ نفسٍ أجلين مِن مولده إلى موته ومِن موته إلى مبعثه، فإذا كان الرجل صالحًا واصلًا لرحمه[٢] زاد الله له في أجل الحياة مِن أجَل الممات إلى المبعث، وإذا كان[٣] غير صالح ولا واصل نقصه الله تعالى[٤] مِن أجل الحياة وزاد في أجَل المبعث، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر ٣٥/١١].[٥]

قوله: (**وقيل: الأجل الأوّل**) وهذان الوجهان بناء على أنّ الأجل يُطلق على الجزء الأخير وعلى جميع المُدّة.

---

١ ن ر + رضي الله عنهما.

٢ ن ر: لوجهه.

٣ ن: كانت.

٤ ن ر - تعالى.

٥ البسيط للواحدي، ١٢/٨ (الأنعام، ٦/٢).

قلتُ: أَوْجَبَه أن المعنى: "وأيُّ أجلٍ مسمًّى عنده" تعظيمًا لشأن الساعة، فلمَّا جرى فيه هذا المعنى وَجَبَ التقديم.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٣﴾

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ متعلقٌ بمعنى اسم الله؛ كأنه قيل: وهو المعبودُ فيها، ومنه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف ٨٤/٤٣]، أو: وهو المعروف بالإلهيَّة، أو: المتوحِّد بالإلهيَّة فيها، أو: وهو الذي يقال له: ﴿ٱللَّهُ﴾ فيها لا يُشرَكُ به في هذا الاسم. ....

قوله: (قلتُ: أوجَبه) / حاصل الجواب أنّه جرى هذا على لفظ الخبر الصِّرف، وليس المراد منه ذلك؛ بل المراد به الاستفهام لمعنى[1] التعجُّب، فلذلك قدِّم[2] وعُدِل عمّا هو الكلام السائر، ليكون تقديمه إشارة إلى[3] المعنى المراد وما يضاهي ذلك، وإن كان على عكسه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة ٦/٢] فإنّه وَرَد على صورة الاستفهام وليس المراد به الاستفهام، ولذلك أُخِّر عن[4] خبره. [٣٥٢ظ]

قوله: (أنّ المعنى) فاعل "أوجَب".

قوله: (وأيّ أجل) أي: في "أيّ" معنى الاستفهام.

قوله: (جرى فيه) هو كقولهم: "شرٌّ ما أجاءك"[5] و"أمرٌ ما جاء بك" و"شرٌّ أهرَّ ذا ناب"،[6] أي: أيُّ أمر؟ وأيُّ شرّ؟

قوله: (وَجَب التقديم)؛ لأنّه صار في معنى الاستفهام الذي للتعظيم، وذلك الاستفهام له صدر الكلام، فكذا الذي في معنى ذلك الاستفهام وإن لم يكن استفهامًا.

---

[1] ن: بمعنى.
[2] ر: مقدم.
[3] ر – إلى.
[4] ر – عن.
[5] انظر: **المستقصى** للزمخشري، ١٣١/٢.
[6] **كتاب سيبويه**، ٣٢٩/١؛ **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٧٠/١؛ **المستقصى** للزمخشري، ١٣٠/٢.

ويجوز أن يكون ﴿ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرًا بعد خبرٍ، على معنى: أنه الله وأنه في السماوات والأرض، بمعنى: أنه عالمٌ بما فيها لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاتَه فيها.

فإن قلتَ: كيف موقعُ قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾؟

قلتُ: إن أردتَ المتوحِّدَ بالإلهية كان تقريرًا له؛ لأن الذي استوى في علمه السرُّ والعلانيةُ هو الله وحده، وكذلك إذا جعلتَ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرًا بعد خبرٍ، وإلَّا فهو كلامٌ مبتدأ بمعنى: هو يعلم سرَّكم وجهركم، أو خبرٌ ثالث.

﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ من الخير والشرِّ فيثيبُ عليه ويُعاقب.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾

﴿مِنْ﴾ في ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ للاستغراق، وفي ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ للتبعيض، يعني: وما يظهرُ لهم دليلٌ قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلَّا كانوا عنه مُعْرِضين تاركين للنظر، ....

قوله: (**ويجوز أن يكون ﴿ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾**)... إلخ، فعلى هذا لفظة ﴿ٱللَّهُ﴾ يكون خبرًا، و﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرًا[1] آخرَ، ويكون الجارّ متعلِقًا بمحذوف لا بمعنى لفظة ﴿ٱللَّهُ﴾.

قوله: (**أو خبرٌ ثالث**) مُشكِل؛ لأنّه لا يكون خبرًا ثالثًا إلّا إذا جُعل ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبرًا ثانيًا، فكيف يصحُّ أن يقال: وإلّا[2] يكن كما ذكرنا يكون[3] خبرًا ثالثًا وممّا ذكر أنّ ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبر بعد خبر؟

قوله: (**مِن الخير والشرّ**) بيان ﴿مَا﴾.

وقوله: (**ويُثيب ويُعاقِب**) إمّا عطف على ﴿يَعْلَمُ﴾ بطريق البيان، إذ المراد بقوله: ﴿يَعْلَمُ﴾ أنّه يُثيب ويُعاقِب، أو هو تفسير لقوله: ﴿وَيَعْلَمُ﴾[4] مِن غير عطف،

---

[1] ر: خبر.
[2] ر: وإن.
[3] ن + ويكون.
[4] ر - أنّه يثيب ويعاقب أو هو تفسير لقوله: و﴿يَعْلَمُ﴾.

لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأسًا؛ لقلّة خوفهم وتدبُّرهم للعواقب.

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٥﴾

﴿فَقَدْ كَذَّبُواْ﴾ مردودٌ على كلامٍ محذوف؛ كأنه قيل: إن كانوا معرِضين عن الآيات فقد كذّبوا بما هو أعظمُ آيةٍ وأكبرُها وهو الحقُّ.

﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ يعني: القرآن الذي تُحُدُّوا به على تبالُغِهم في الفصاحة فعجزوا عنه.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾ الشيءِ الذي ﴿كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو القرآنُ؛ أي: أخباره وأحواله، بمعنى: سيعلمون بأيِّ شيءٍ استهزءوا، وسيظهرُ لهم أنه لم يكن بموضِع استهزاءٍ، وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا، أو يومَ القيامة، أو عند ظهور الإسلام وعُلوّ كلمتهِ.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝٦﴾

فالواو فيه كما هو في الأوّل، أو هو مِن كلام المصنِّف لا بطريق التفسير؛ بل ابتداء كلام. فكأنّه قال: كما يعلمه يُثيب ويُعاقِب أيضًا على ذلك.

قوله: **(لا يرفعون)** أي: لا يَنْبَهون.[١]

قوله: **(مردودٌ)** أي: متعلِّق بشرط. اعلم أنّه لا بدّ مع ما ذَكَر مِن تقدير كلام آخر هو[٢] جواب ذلك الشرط المحذوف وهذا المذكور دليل عليه، فكأنّه قال: إن كانوا معرضين فلا تستبدع وتستبعدْ[٣] ذلك منهم؛ لأنّهم[٤] كذّبوا بما هو أعظم.

---

١ ن ر: ينتهون. | والظاهر أنّها بمعنى يفطنون. انظر: **لسان العرب** لابن منظور، «دحو».

٢ ن ر: وهو.

٣ ن ر: يستعبد.

٤ ن: لأنّه.

"مكَّنَ له في الأرض": جعَل له مكانًا، ونحوُه: أَرَّض له، ومنه قولُه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف ٨٤/١٨]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ﴾ [القصص ٥٧/٢٨]، وأما "مكَّنْتُه في الأرض" فـ: أثبتُّه فيها، ومنه قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف ٢٦/٤٦]، ولتقارُب المعنيين جُمِع بينهما في قوله: ﴿مَكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ والمعنى: لم نُعطِ أهلَ مكة نحوَ ما أعطينا عادًا وثمود وغيرَهم من البَسْطة في الأجسام والسَّعةِ في الأموال والاستظهارِ بأسباب الدنيا.

و﴿ٱلسَّمَآءَ﴾: المُظِلَّةُ؛ لأنّ الماء يَنزلُ منها إلى السحاب، أو السحابُ، أو المطرُ.

والمِدْرار: المِغْزار.

فإن قلتَ: أيُّ فائدةٍ في ذكر إنشاءِ قرْنٍ آخرين بَعدهم؟

قلتُ: الدلالةُ على أنه ....

قوله: **(مكّن له)** فسَّر المصنِّف مكَّن له بـ**(جعل له مكانًا)**، وفسَّر **(مكَّنه)** بـ**(أثبتَه)**، ثمّ فسَّر الآية بغير أحد هذين المعنيين، فإنّه لو كان بالنظر إلى المعنى **الأوّل** لوجب أن يقول: المعنى "لم نجعل لأهل مكّة مكانًا نحو ما جعلنا لهؤلاء"، ولو نظر إلى المعنى **الثاني** لوجب أن يقول: "لم نُثبِت أهل مكّة مثل ما أثبتنا هؤلاء"، وكأنّه عدل إلى ما ذَكَر[1] إشارةً إلى أنّ المراد بإعطاء[2] المكان لهم وتثبيتهم هو إعطاء البسطة والسَّعة، فتأمَّل.

قوله: **(لأنّ الماء)** متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: **(﴿ٱلسَّمَآءَ﴾ المُظِلّة)**، فكأنّه قيل: فسَّر السماء بالمُظِلّة لأنّ، أو أريدَ بالسماء المُظِلّةُ لأنّ.[3]

قوله:[4] **(أو المطر)** قد جاء "السماء" بمعنى "المطر" في قول الشاعر:

إذا نـزل الـسـمـاءُ بـأرض قـومٍ رعـيـنـاه وإن كـانـوا غِـضـابـا[5]

---

[1] ر: ذكرنا.

[2] ن: بالإعطاء.

[3] أي: إلى آخر الكلام.

[4] ن ر - (لأنّ الماء) متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (السماء المُظِلة) فكأنّه قيل: فسَّر السماء بالمظلّة لأنّ أو أريد بالسماء المظلّة لأنّ. قوله.

[5] البيت لمعاوية بن مالك المُلقَّب بمُعوِّد الحُكماء. ومضى بتخريجه في سورة البقرة، ١٩/٢.

لا يتعاظَمُه أن يُهلكَ قرنًا ويُخرِّب بلادَه منهم، فإنه قادرٌ على أن يُنشئ مكانهم آخَرِين يَعمُر بهم بلادَه كقوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس ٩١/١٥].

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾

﴿كِتَٰبًا﴾: مكتوبًا ﴿قِرْطَاسٍ﴾: في وَرَقٍ ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ ولم يُقتصَر بهم على الرؤية لئلا يقولوا: ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر ١٥/١٥]، فلا تبقَى لهم علةٌ.

لقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنُّتًا وعنادًا للحق بعد ظهوره.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨﴾

﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: لقُضي أمر هلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ بعد نزوله طرفةَ عين:

إمَّا لأنهم إذا عاينوا الملَك قد نزل على رسول الله في صورته -وهي آيةٌ لا شيءَ أبينُ منها وأيقنُ- ثمّ لا يؤمنون كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾

قوله: **(لا يتعاظمه)** يقال: "تعاظمه أمر كذا"، وتقول: "أصابنا[1] مطر لا يتعاظمه شيء"، أي: لا يعظُم عنده شيء. وقوله: **(أن يُهلِك)** فاعل "يتعاظم".

قوله: (﴿سُكِّرَتْ﴾ [الحجر ١٥/١٥]) أي: عُقدِت أبصارنا بكيد محمَّدٍ صلّى الله تعالى عليه وسلّم[2] وسُكِّرت أبصارنا، أي: حُبِسَت عن النظر وحُيِّرت. / وقال[3] أبو عمرو بن العلاء: معناها غُطِيت.[4] [٣٥٣و]

قوله: **(ثمّ لا يؤمنون)** وخطر ببالي أنّه إنّما أتى المصنّف بالمضارع في قوله: لا يؤمنون،[5] ولم يقل: لم يؤمنوا ليكون المعنى "إذا عاينوا الملك لم يكن بدّ مِن إهلاكهم؛ لأنّهم ممّن لا يؤمنون"، ويؤيِّده قوله: **(كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾**

---

١ ر: أضاء بنا.

٢ ر - صلّى الله تعالى عليه وسلّم.

٣ تغيَّر ههنا خطّ ناسخ د إلى خطٍّ رديء فيه ضعف وأخطاء جمّة، ويستمر إلى ٣٥٦ظ، ثمّ يعود إلى الخطّ الأوّل.

٤ ر: غَطيت.

٥ ن ر - وخطر ببالي أنّه إنّما أتى المصنّف بالمضارع في قوله: لا يؤمنون.

[الأنعام ٦/١١١]= لم يكن بدٌّ من إهلاكهم كما أهلك أصحابَ المائدة.

وإمَّا لأنه يَزُول الاختيارُ الذي هو قاعدةُ التكليف عند نزول الملَك فيجبُ إهلاكهم.

وإمَّا لأنهم إذا شاهدوا ملَكًا في صورته زَهَقتْ أرواحُهم من هولِ ما يشاهدون.

ومعنى ﴿ثُمَّ﴾: بُعْدُ ما بين الأمرين: قضاءِ الأمر وعدم الإنظار، جعَل عدمَ الإنظار أشدَّ من قضاءِ الأمر؛ لأن مفاجأةَ الشدَّة أشدُّ من نفسِ الشدَّة.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾: ولو جعلنا الرسولَ ملَكًا كما اقترحوا؛ لأنهم كانوا يقولون: لولا نُزِّل على محمدٍ مَلَك، وتارةً يقولون: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون ٢٣/٢٤، ٣٣] و: ﴿لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [فصلت ٤١/١٤].

[الأنعام ٦/١١١]) فإنّه استشهاد على أنّهم لا يؤمنون.

قوله: (لم يكن بدّ) أي: إذا عاينوا ثمّ هم لا يؤمنون لم يكن بدّ.

قوله: (يزول[١] الاختيار)[٢] وإنّما يزول[٣] الاختيار؛[٤] لأنّهم إذا رأوا[٥] الملك نازلًا[٦] يضطرون إلى الإيمان كمَن يقع في حال النزع، ويشاهد[٧] هذا[٨] المَلَك القابض،[٩] وكمَن يرى الشمس طالعة مِن المغرب، وإذا بَقوا[١٠] على كفرهم إلى انقطاع[١١] التكليف وجب إهلاكهم.

قوله: (لولا أنزل على محمّد) أي: لولا أنزل مَلَك على محمّد على وجه يراه[١٢] في صورته ويعاينه.

---

١ ن ر: تزول.
٢ د ر ن: الإجام.
٣ د: بذول.
٤ د ر ن: الإجام.
٥ د ر: أرادوا.
٦ د: بازلًا؛ ر + لا.
٧ د: ولباسه.
٨ ن ر - هذا.
٩ د: النابض.
١٠ د: بقوى.
١١ د: الانقطاع.
١٢ د: تراء.

﴿لَجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾: لأرسلناه في صورةِ رجلٍ؛ كما كان ينزلُ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعمِّ الأحوال في صورةِ دَحْيَةَ؛ لأنهم لا يَلْقَونَ -مع رُؤية الملائكةِ- الملائكةَ في صورهم.

﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾: ولخلَطنا عليهم ما يَخْلِطون على أنفسهم حينئذٍ؛ فإنّهم يقولون إذا رأوا الملك في صورة الإنسان: هذا إنسانٌ وليس بملَك، فإن قال لهم: الدليلُ على أني ملك أنّي جئتُ بالقرآن المعجز وهو ناطقٌ بأني ملَكٌ لا بشر، كذَّبوه كما كذَّبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم، فإذا فعلوا ذلك خُذلوا كما هم مخذولون الآن، فهو لَبْسُ الله عليهم.

ويجوز أن يراد: وللبسنا حينئذ مثلَ ما يلبسون على أنفسهم الساعةَ في كفرهم بآيات الله البيّنة.

قوله: **(في صورة دحية)**[1] في رواية الأصمعيّ بفتح الدال، وعند المحدّثين بكسرها.[2] الدحية في كلام العرب: الرئيس. هكذا في بعض **الحواشي**، وما رأيته في كتب اللغة.[3]

قوله: (**﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾**) أي: لبسنا، أي: المَلَك، ما يلبِسون على أنفسهم في محمّد.

قوله: **(ولَخلطنا)**[4] و**(يخلِطون)** كلاهما[5] متوجِّه إلى قوله: **(حينئذ)**، وفي الوجه الثاني قوله: **(لَلبسنا)** متعلِّق بقوله:[6] **(حينئذ)**، و**(يلبسون)** متعلِّق بقوله: **(الساعةَ)**. وبهذا يبين الفرق بين الوجهين.

قوله: **(فإنّهم يقولون)** إلى قوله: **(محمّدًا)** بيانُ خلطهم على أنفسهم. وقوله: **(فإذا فعلوا خُذلوا)** بيانُ خلط الله عليهم. ثمّ قال: **(كما هم مخذولون)** وهو متعلِّق بقوله: **(خُذلوا)** فكأنّه قال: ولَلبسنا عليهم حينئذٍ مثلَ ما يلبسون عليهم حينئذ،

---

[1] د: وجنة.

[2] ن: بكسر.

[3] في لسان العرب لابن منظور، «دحو»: «حكاه ابن السِّكِّيت بالكسر وحكاه غيره بالفتح. قال أبو عمرو: وأصل هذه الكلمة السيِّد بالفارسيّة... قال ابن بري: أجاز ابن السِّكِّيت في دحية الكلبي فتح الدال وكسرها، وأما الأصمعي ففتح الدال لا غير... والدِّحية: رئيس الجند ومقدَّمهم».

[4] د: ولخلطناه.

[5] د: كلامها؛ ر: كلامهما.

[6] ن - بقوله.

وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ: "ولَبَسْنا" بلامٍ واحدة.

وقرأ الزُّهريُّ: "ولَلَبَّسنا عليهم ما يُلبِّسون" بالتشديد.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ﴾ تسليةٌ لرسول الله عمّا كان يَلْقَى من قومه.

﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ﴾: فأحاط بهم الشيءُ الذي كانوا يستهزئون به -وهو الحقُّ- حيث أُهلكوا من أجل الاستهزاء به.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين قوله: ﴿فَٱنظُرُوا۟﴾ [آل عمران ١٣٧/٣] وبين قوله: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُوا۟﴾؟

وإذا لبسنا عليهم حينئذ خُذلوا حينئذ، أي: حين أُنزِل المَلَك عليهم كما هم مخذولون الآن، أي: قبل نزول المَلَك، فيظهر أنّهم لا يُفيدهم إنزال المَلَك.

قوله: (**فأحاط بهم**) المراد بالإحاطة الإهلاكُ، أخذًا مِن إحاطة العدوّ. ثم[١] أشار بقوله: (**حيث**)... إلخ، إلى أنّ الله تعالى لمّا[٢] أهلكهم لأجل الاستهزاء بالحقّ أسند[٣] الإهلاك[٤] [إلى][٥] ما كانوا. وفي الكلام حذف، أي: إنّما أسند الحقّ وهو الإهلاك -كما عرفتَ- إلى الحقّ الذي كانوا يستهزئون،[٦] حيث أهلِكوا مِن جهة الاستهزاء -كما عرفتَ-[٧] بذلك الحقّ، ولو لم يُقدّر ما ذكرنا له يستقيم الكلام، إذ يصير[٨] الكلام هكذا: أهلكهم[٩] الشيء [الذي][١٠] كانوا يستهزئون به مِن حيث أهلكوا مِن أجل الاستهزاء به.

---

١ د: ولم.
٢ د: إلى.
٣ د: استدلا.
٤ د: لإهلاك.
٥ د ن ر - إلى.
٦ ر + به.
٧ ر - كما عرفت.
٨ د: يضمر؛ ر: بضمير.
٩ د: أتاكهم.
١٠ د ن ر - الذي.

قلتُ: جُعل النظرُ مسبَّبًا عن السير في قوله: ﴿فَٱنظُرُواْ﴾؛ فكأنه قيل: سيروا لأجل النظر ولا تَسيروا سيرَ الغافلين، وأما قوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ فمعناه: إباحةُ السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع، وإيجابُ النظر في آثار الهالكين، ونُبِّه على ذلك بـ﴿ثُمَّ﴾ لتباعُدِ ما بين الواجبِ والمباح.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿لِمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سؤالُ تبكيتٍ، و﴿قُل لِّلَّهِ﴾ تقريرٌ لهم؛ أي:

قوله: (قلتُ: جُعل النظر)... إلخ، يعني أنّ الفاء[١] لمّا[٢] أفاد[٣] السببيّة دلَّ على أنّ المراد بالسير هنا السير الذي يكون سببًا للنظر واجب، فالسببُ الموصل إليه ينبغي أن يكون واجبًا؛ لأنّ التوصّل[٤] إلى الواجب واجب، فيكون معنى "سيروا فانظروا" إيجابَ السير لأجل النظر، وأمّا ﴿ثُمَّ﴾ فلمّا لم يدلّ على[٥] السببيّة لايستفاد منه[٦] إيجاب السير لأجل النظر، لكنّه يفيد التراخيَ والبعد، فيُحمل على البعد بين الطرفين، فيكون إشارة إلى أنّ المراد بالأمر بالسير[٧] إباحتُه، وبالأمر بالنظر بعده إيجابه. وهذا[٨] مِن لطائف التنزيل ودقائق التأويل.

قوله: (على ذلك)، يعني استعمال "ثمّ" في التباعد[٩] في الأوصاف مجازًا.

قوله: (تبكيت) «التبكيت كالتقريع والتعنيف. وبكّته بالحجّة: غلبه».[١٠]

قوله: (و﴿قُل لِّلَّهِ﴾) تقرير[١١] لهم. وقرّره: ألجأه[١٢] إلى الإقرار، وجعله[١٣] مقرًّا. ومنه همزة التقرير.

---

١ د: ألف؛ ن + في.
٢ د – لمّا.
٣ د: إخلافًا ذا.
٤ ن: الموصل.
٥ د: من.
٦ د: من.
٧ د: السير.
٨ ن: وهو.
٩ ن: الساعد.
١٠ د ن: عليه. | **الصحاح** للجوهري، «بكت».
١١ د: تعزيز.
١٢ د: إيحاء.
١٣ د: وحمله.

هو لله لا خلافَ بيني وبينكم، ولا تَقدرون أن تُضِيفُوا شيئًا منه إلى غيره.

﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾؛ أي: أَوْجَبَها على ذاته في هدايتكم إلى مَعْرفتِه ونَصْبِ الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرُّون به مِن خلقِ السماوات الأرض.

ثم أوعدهم على إغفالهم النظرَ وإِشْراكِهم به مَن لا يقدر على خَلْقِ شيء بقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ فيجازيكم على شركِكُم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ نصبٌ على الذمِّ أو رفع؛ أي: أريدُ الذين خسروا أنفسهم، أو: أنتم الذين خسروا أنفسهم.

فإن قلتَ: كيف جعَل عدم إيمانهم مسبَّبًا عن خُسرانهم والأمرُ على العكس؟

قوله: (**في هدايتكم**)... إلخ، فإنّه تعالى رحم عباده وأنعم عليهم بخلق السماوات والأرض وما فيهما ليستدلوا بها على وحدانيته وعلمه وقدرته.

قوله:[١] "في هدايتكم" ظرف "أوجَب" أو لـ"الرحمة"، وهذا أحسن، فتأمَّل، فإنّ الهداية ونَصْب الأدلّة بخَلْق السماوات والأرض، هو المراد بإيجاب الرحمة أو بالرحمة.

قوله: (**مِن خلق السماوات والأرض**)،[٢] فإذا علمتم أنّه تعالى هو خالق السماوات والأرض فاعلموا أنّه رحم عباده بذلك الخَلْق، حيث نَصَب الأدلّة فتفكَّروا في تلك الأدلّة واستدلّوا على وحدانيته، فإن لم يتفكروا[٣] ولم ينظروا[٤] فيها يعاقبوا[٥] يوم القيامة، حين يجمعهم للحساب. تأمَّل فيما ذكره المصنِّف يظهر لك ربط الكلام في قوله تعالى: ﴿سِيرُواْ﴾ إلى ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وادعُ له بالرحمة والرضوان ورَفْع الدرجات في الجنان.

قوله: (**أو رفعٌ**) أي:[٦] على الذم. وعلى الوجهين هو بيان للضمير في ﴿لَيَجْمَعَنَّكُم﴾.

---

[١] ر: وقوله.

[٢] د - هو المراد بإيجاب الرحمة أو بالرحمة. قوله: (مِن خلق السماوات والأرض).

[٣] د: يتفكر.

[٤] د: ينظر.

[٥] د ن ر: يعاقب.

[٦] ر - أي.

قلتُ: معناه: الذين خسروا أنفسَهم في عِلْم الله لاختيارهم الكفرَ فهم لا يؤمنون.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣﴾

﴿وَلَهُۥ﴾ عطف على ﴿لِلَّهِ﴾.

﴿مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: من السُّكْنَى، وتعدِّيه بـ﴿فِي﴾ كما في قوله: ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [إبراهيم ١٤/٤٥].

قوله: (**قلتُ: معناه "الذين خسروا أنفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر"**) في واللام متعلِّق بـ﴿خَسِرُوٓاْ﴾، والحاصل أنّه عَلِم خسرانهم فلم يؤمنوا.

قوله: (**و﴿وَلَهُۥ﴾ عطف على ﴿لِلَّهِ﴾**) لمّا[١] كان قوله تعالى جوابًا مِن حيث المعنى لهذا السؤال، أي: ﴿لِمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ رجع المعنى إلى قوله: لله[٢] ما في السماوات والأرض وله ما استقرَّ وتمكَّن في الليل والنهار، فذكر المكان والزمان، فهذا الجواب طابق السؤال وزاد،[٣] وهذان[٤] المخلوقان أعني المكان والزمان مخلوقان عظيمان لا تجد مخلوقًا أعظمَ منهما، أمّا المكان فمِن أسفل السفليّات على السطح الأعلى[٥] للعرش[٦] العظيم، وأمّا الزمان فمِن مبدأ الإيجاد إلى ما لا يعلم كُنهه إلّا الله تعالى شأنُه وعظُم كبريائه.

قوله: (**مِن السُّكنى**)[٧] لا مِن السكون ضدّ الحركة. والسُّكنى:[٨] مصدر سكن الدار وفيها إذا قام، أو اسم[٩] بمعنى الإسكان، كـ"الرُّقبى" بمعنى الإرقاب، وهي[١٠] مِن قولهم: "داري لك سكنى"،[١١] في محلّ النصب / على الحال، على معنى مَسكَنة أو مَسكونًا فيها. ذكره[١٢] المُطرِّزي في **المُغرِب**.[١٣] **[٢٥٣ظ]**

---

١ د: ما.

٢ د: الله.

٣ د: ويراد.

٤ د ر: وهذا؛ ر + أن.

٥ ن: إلى.

٦ ن ر: العرش.

٧ د: السكن.

٨ د: والسكن.

٩ د: أوهم.

١٠ د: من.

١١ د: سكن.

١٢ د: ذكر.

١٣ انظر: **المغرب** للمطرّزي، «سكن».

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يسمعُ كلَّ مسموعٍ، ويَعلمُ كلَّ معلومٍ، فلا يخفَى عليه شيءٌ مما يشتمِل عليه المَلَوانِ.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

أُولِيَ ﴿غيرَ ٱللَّه﴾ همزةَ الاستفهام دون الفعل الذي هو ﴿أَتَّخِذُ﴾؛ لأنَّ الإنكار في اتخاذ غيرِ الله وليًّا، لا في اتِّخاذ الوليِّ، فكان أولَى بالتقديم، ونحوُه: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر ٣٩/٦٤] ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [يونس ١٠/٥٩].

وقرئ: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالجر صفةً لـ﴿ٱللَّهِ﴾، وبالرفع على المدح.

وقرأ الزهري: "فَطَرَ".

وعن ابن عباس: ما عرفتُ ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها؛ أي: ابْتَدَأْتُها.

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: وهو يَرزُق ولا يُرْزَق؛ كقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات ٥١/٥٧] والمعنى: أن المنافع كلَّها مِن عنده، ولا يجوز عليه الانتفاع.

وقرئ: "ولا يَطْعَم" بفتح الياء.

وروى ابن المأمون عن يعقوب: "وهو يُطْعَمُ ولا يُطْعِم" على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل، والضميرُ لغير الله.

وقرأ الأشهب: "وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعِم" على بنائهما للفاعل، ....

قوله: (المَلَوان) المَلَوان: الليل والنهار، الواحد "ملا"[١] مقصورًا.[٢]

قوله: (أُولِيَ ﴿غَيْرَ ٱللَّهِ﴾) مفعول أقيمَ مقام الفاعل، لكن صحّ بالفتح؛ لأنه حكاية ما وقع[٣] في القرآن.

---

١ د: فلا.
٢ انظر: الصحاح للجوهري، «ملا».
٣ ن - وقع.

وفسّر بأن معناه: وهو يُطْعِمُ ولا يَسْتطْعِم، وحكى الأزهري: "أطعمتُ" بمعنى: "استطعمتُ" ونحوه: "أَفَدْتُ".

ويجوز أن يكون المعنى: وهو يُطعِمُ تارةً ولا يُطْعِمُ أخرى على حسب المصالح؛ كقولك: هو يُعْطِي ويَمْنَعُ، ويَبْسُطُ ويَقْدِرُ، ويُغْنِي ويُفْقِرُ.

﴿أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾؛ لأن النبيَّ سابقُ أمتِه في الإسلام؛ كقوله: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام ١٦٣/٦]، وكقول موسى: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف ١٤٣/٧].

﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾ وقيل لي: لا تكونن ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ومعناه: أُمرتُ بالإسلام ونُهيتُ عن الشرك.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ العذابُ ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ اللهُ الرحمةَ العظمى، وهي النجاةُ؛

قوله: (وفسّر) فعلى هذا يكون معناه موافقًا للمعنى في القراءة المشهورة، قال رضي الله عنه:[١] وهذا التفسير بعيد، قال الأصمعي: استأذن النعمانَ بن منذر بن ماء السماء النابغةُ يومًا وهو على الشراب، فقال:[٢] هذا وقت المَلَق تقبله النفوس وهي جذل[٣] للرحيق والسماع، فإن تبلّج عذر المجد عن أفق مواهبه[٤] فأنت قسيم [ما][٥] أفدتَ،[٦] أي: استفدت.

قوله: (وقيل لي)، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مفعولُ قول محذوف، فكأنّه قيل: أمرتُ أن أكون،[٧] وقيل: لا تكوننّ مِن المشركين.

---

١ ن – رضي الله عنه.

٢ د: يقال. | أي: فقال النعمان.

٣ د: بذل.

٤ د: مواثبته.

٥ د ن ر – ما. | وأثبتُّها مِن أساس البلاغة للزمخشري، «فلق».

٦ د: لأفدت. | والخبر في أساس البلاغة للزمخشري، «فلق».

٧ د: أكفر.

كقولك: "إن أطعمتَ زيدًا من جُوعه فقد أحسنتَ إليه" تريد: فقد أتْمَمْتَ الإحسان إليه.

أو: فقد أدخلَه الجنة؛ لأن مَن لم يُعذَّبْ لم يكنْ له بدٌّ من الثواب.

وقرئ: ﴿مَن يَصْرِفْ عنهُ﴾ على البناء للفاعل، والمعنى: مَن يَصْرِفِ اللهُ عنه في ذلك اليوم ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾، بمعنى: مَن يَدفعِ اللهُ عنه ويَحفظْه، وقد عُلم مَن المَدْفوعُ عنه، وتُرِكَ ذكرُ المصروفِ لكونه معلومًا، أو مذكورًا قبله وهو العذابُ، ويجوز أن ينتصِب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بـ﴿يَصرف﴾ انتصابَ المفعول به؛ أي: مَن يَصرفِ الله عنه ذلك اليومَ -أي: هَوْلَه- فقد رَحِمهُ، وتنصُر هذه القِراءةَ قراءةُ أُبيٍّ: "من يصرِفِ الله عنه".

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ من مرضٍ أو فقرٍ أو غيرِ ذلك من بلاياه، فلا قادرَ على كشفه إلّا هو.

وإنّما حُذف لدلالة الأمر[١] على القول، فهو مثل:

علفتُه تبنًا وماءً باردا[٢]

قوله: (**المدفوع عنه**) وهم[٣] المؤمنون.

قوله: (**انتصابَ المفعول به**) فيكون المصروف[٤] مذكورًا.

قوله: (**﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ﴾**) أي: وإن يمسسك بخير فهو يُديمه[٥] لا غيرُه؛ لأنّه يقدر على إدامته[٦] لا غيرُه، لمّا ذكر أن الضرّ[٧] لا يكشفه إلّا هو ذكر أنّ الخير لا يُديمه[٨] إلّا هو، فالمعنى أنّ إدامة الخير بيد الله تعالى ككشف الضرّ.[٩]

---

١ د: اللام.
٢ لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في سورة البقرة، ٧/٢.
٣ د: وجه؛ ر: هم.
٤ ر: المظروف.
٥ د: يدعيه.
٦ د: أو أمته.
٧ د: الغير.
٨ د: يدعيه.
٩ د: الغير.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ من غِنًى أو صحّةٍ ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكان قادرًا على إدامته أو إزالتهِ.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٨ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝١٩﴾

﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ تصويرٌ للقهر والعلوّ بالغلبة والقدرة؛ كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف ١٢٧/٧].

"الشيءُ" أعمُّ العامّ لوقوعه على كلِّ ما يصحُّ أن يُعلَم ويُخبَرَ عنه، فيقعُ على القديم والجِرم والعَرَض والمُحال والمستقيم.

ولذلك صحَّ أن يقال في الله عزَّ وجل: شيءٌ لا كالأشياء؛ كأنك قلتَ: معلومٌ لا كسائر المعلومات، ولم يصحَّ: جسمٌ لا كالأجسام.

قوله: (تصوير) يعني شُبّه[1] قهره تعالى للعباد وعلوّه الذي هو الغلبة بالعلوّ[2] المكانيّ[3] حيث قيل:[4] ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، وذلك لتصوير قهره وعلوّه.

قوله: (والمحال)، يريد أن اسم الشيء يقع على المعدوم الممكن[5] وعلى المعدوم المحال،[6] وأمّا قول المتكلِّمين: "المعدوم المحال ليس بشيء بالاتفاق"، فمعناه أنّه ليس له ماهيّة متقرِّرة قابلة للوجود عند المعتزلة خلافًا لأهل السنّة والجماعة.

قوله: (والمستقيم) أي: الممكن، وعن سعيد بن جبير... إلخ،[7] معنى كلام سعيد أنّ مَن بلغه القرآن فقد أنذره النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

---

١ د: مشبه.
٢ د ن: والقدرة.
٣ د: لمكاني؛ ن: لمعافي.
٤ ن – قيل.
٥ ر: والممكن.
٦ ر: المجال.
٧ انظر قوله في **البسيط** للواحدي، ٢٦٠/٦ (آل عمران، ١٩٣/٣)، و**معالم التنزيل** للبغوي، ١٣٤/٣ (الأنعام، ١٩/٦).

وأراد: أيُّ شهيدٍ ﴿أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ فوضَع "شيئًا" مقام "شهيدٍ" ليبالغ في التَّعميم.

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ يحتمِلُ أن يكون تمامُ الجواب عند قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ بمعنى: اللهُ أكبرُ شهادة، ثم ابتُدئ: ﴿شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: هو شهيدٌ بيني وبينكم.

وأن يكون ﴿ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ هو الجوابَ؛ لدلالته على أنَّ الله عزَّ وجل إذا كان هو الشهيدَ بينه وبينهم فأكبرُ شَيء شهادةً شهيدٌ له.

﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ عطفٌ على ضميرِ المخاطَبين من أهل مكة؛ أي: لأُنذركم به وأُنذرَ كلَّ مَن بلَغَه القرآنُ من العرب والعجم، وقيل: من الثقلين، وقيل: مَن بَلَغه إلى يوم القيامة.

وعن سعيد بن جبير: مَن بلغَه القرآنُ فكأنما رأى محمدًا صلى الله عليه وسلم.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ تقريرٌ لهم مع إنكارٍ واستبعاد.

﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ شهادتَكم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني: اليهودَ والنَّصارى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾: يعرفون رسولَ الله بحِلْيته ونَعْتِه الثابتِ في الكتابين معرفةً خالصةً.

﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ بحُلاهم ونعوتهم لا يَخْفَوْنَ عليهم ولا يَلْتبسون بغيرهم، وهذا استشهادٌ لأهل مكّة بمعرفةِ أهل الكتاب به وبصحَّة نبوَّته.

قوله: (**بحُلاهم**)[١] حِلية الرجل: صفته، والجمع حِلى.[٢]

قوله: (**لأهل مكّة**) أي: هذا الكلام استشهاد[٣] لأهل مكّة؛ لأنّ[٤] أهل الكتاب يعرفون النبيّ صلى الله عليه وسلم.

---

١ د: فخلاهم.
٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حلا».
٣ د + حمل.
٤ ن ر: بأن.

ثم قال: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدِين ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، جَمعُوا بين أمرين متناقضين: تكذَّبُوا على الله ما لا حجة عليه، وكذَّبُوا ما ثبت بالحجة البيّنة والبرهان الصحيح، حيث قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام ١٤٨/٦]، وقالوا: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف ٢٨/٧]، وقالوا: "الملائكة بناتُ الله"، و: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس ١٨/١٠]، ونَسبوا إليه تحريمَ البَحائر والسَّوائب، وذهبوا فكذَّبوا القرآنَ والمعجزات وسمَّوها سحرًا ولم يؤمنوا بالرسول.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ ناصبُه محذوفٌ، تقديره: "ويوم نحشرُهم كان كيت وكيت" فتُرك ليَبقَى على الإبهام الذي هو أدخلُ في التخويف.

قوله: (جمعوا بين متناقضين) بيانُ التناقض أنهم صدّقوا الباطل وكذّبوا بالحقّ، ولمّا كان الجمع بين هذين الأمرين ممّا[1] يمنعه الشرع والعقل جَعَل المصنِّف الجمع بينهما جمعًا بين المتناقضين.

قوله: "جمعوا بين متناقضين"؛[2] لأنّهم إذا أثبتوا[3] ما ليس بثابت فقد جمعوا بين وجوده وعدمه، فإذا[4] نفوا[5] ما هو ثابت فقد جمعوا بين عدمه ووجوده، فعلى[6] هذا يكون في كلّ واحد مِن أمريهم جمع[7] بين المتناقضين؛ لأنّ[8] الجمع بين الأوّل والثاني[9] جمعٌ بين المتناقضين. ويمكن أن يقال: جعل المصنِّف الجمع بينهما[10] جمعًا[11] بين المتناقضين لِما كتبنا[12] مِن الجانب الآخر.

---

١ د ن ر: فما.

٢ أعاد الجاربردي ههنا التعليق على عبارة الزمخشري مرّتين، ويظهر مِن كلامه أنّه علّق حاشية على العبارة في جانب مِن الكتاب، ثمّ علّق حاشية أخرى مِن الجانب الآخر على العبارة نفسها.

٣ د: ثبتوا.

٤ ر: وإذا.

٥ د: أنفوا.

٦ د: فهل.

٧ د ر: جمعًا.

٨ ر: لا أنّ.

٩ د - بين الأول والثاني؛ د: بينهما.

١٠ ن - جمع بين المتناقضين. ويمكن أن يقال: جعل المصنّف الجمع بينهما.

١١ ن: جمع.

١٢ د: كسبا.

﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾؛ أي: آلهتُكم التي جعَلْتُموها شركاءَ لله.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ معناه: تزعُمونهم شركاءَ، فحُذف المفعولان.

وقرئ: ﴿يحشُرهم... ثم يقولُ﴾ بالياء فيهما.

وإنما يقال لهم ذلك على وجهِ التوبيخ، ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكونُ منهم ما رَجَوْا من الشفاعة فكأنَّهم غُيَّبٌ عنهم، وأن يحالَ بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليَفقِدُوهم في الساعة التي علَّقوا بهم الرجاء فيها، فيَرَوا مكانَ خزْيِهم وحَسْرتهم.

﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾: كفرُهم، والمعنى: ثم لم تكن عاقِبةُ كُفْرهم الذي لزِموه أعمارَهم وقاتَلوا عليه وافتَخرُوا به وقالوا: "دِينُ آبائنا" إلا جحودَه والتبرُّؤَ منه، والحَلِفَ على الانتفاء من التَّديُّن به.

ويجوز أن يراد: "ثمَّ لم يكن جوابُهم إلَّا أن قالوا" فسمِّي فتنةً؛ لأنه كذب.

وقرئ: ﴿تَكُن﴾ بالتاء و﴿فتنتَهم﴾ بالنصب، وإنما أنَّث ﴿أَن قَالُواْ﴾ لوقوع

قوله: (حين لا ينفعونهم) استعمل المصنِّف "حين" هنا استعمال "إذا"[١] الشرطيّة، وجوابه (فكأنّهم)، والجملة خبر "أنّ". ولا يجوز أن يقال:[٢] "حين" خبر "أنّ"؛ لأنّ ظرف الزمان لا يقع خبرًا عن الجثّة. والأصوب أن يقال: إنّ[٣] قوله: "حين"[٤] ظرف لفعل محذوف دلَّ عليه ما تقدَّم،[٥] أي: يشاهدونهم[٦] حينَ لا ينفعونهم، أو التقدير: يسألون عنهم حينَ لا ينفعونهم.

قوله: (﴿فِتۡنَتُهُمۡ﴾) الفاتن المضلّ عن الحقّ.

قوله: (وقالوا) عطف على الصلة، وفيه حذف، أي: قالوا في حقّه.

---

١ د: إلى.

٢ ر + إنّ قوله.

٣ د: أفي.

٤ ر - خبر "أنّ"؛ لأنّ ظرف الزمان لا يقع خبرًا عن الجثّة. والأصوب أن يقال: إنّ قوله: "حين".

٥ ن ر: تقدمه.

٦ ر: ليشاهدونهم.

الخبر مؤنَّثًا؛ كقولهم: "مَن كانت أمَّكَ". وقرئ بالياء ونصب الفتنة، وبالياء والتاء مع رفع الفتنة.

وقرئ: ﴿ربَّنا﴾ بالنَّصب على النداء.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ٢٤﴾

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وغاب عنهم ﴿مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾؛ أي: يفترونَ إلاهيَّته وشفاعته.

فإن قلتَ: كيف يصحُّ أن يَكذِبُوا حين يَطَّلعون على حقائق الأمور على أن الكذب والجحودَ لا وجهَ لمنفعته؟

قلتُ: المُمتحَن يَنطِق بما ينفعُه وبما لا ينفعُه من غيرِ تمييزٍ بينهما حيرةً ودَهَشًا، أَلَا تَراهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون ١٠٧/٢٣]، وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكُّوا فيه ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف ٧٧/٤٣] وقد علِموا أنه لا يُقْضى عليهم.

وأمَّا قولُ مَن يقول: معناه: "ما كنَّا مشرِكين عند أنفُسِنا، وما عَلِمْنا أنَّا على خطأ في معتقَدِنا" وحملُ قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: في الدنيا= فتمحُّلٌ وتعسُّفٌ وتحريفٌ لأفصح الكلام إلى ما هو عيٌّ وإفحامٌ؛ لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمتَرْجِمٍ عنه ولا منطبِقٍ عليه، وهو نَابٍ عنه أشدَّ النُّبُوِّ، وما أَدري ما يَصنَعُ مَن ذلك تفسيرُه بقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة ١٨/٥٨]

قوله: **(يعني في الدنيا)** هذا مِن حيث المعنى متعلِّق بقوله: **(حمل)**.

قوله: (**﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾** [المجادلة ١٨/٥٨]) **قال الله تعالى في** سورة المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة ١٤/٥٨] لهم:[١] وتناصحون اليهود! ما هم منكم يا مسلمون، ولا منهم، ولا مِن اليهود. كقوله[٢] تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء ١٤٣/٤].

---

[١] ن ر: أثم عليهم.

[٢] ن ر: لقوله.

بعد قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة ١٤/٥٨] فشَبَّه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حين تتلو القرآنَ، روي: أنَّه اجتمع أبو سفيان والوليدُ والنَّضْرُ وعتبة وشَيْبة وأبو جهل وأضرابُهم يَستمِعون تلاوةَ رسول الله،

(﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ [المجادلة ١٤/٥٨]) أي: يقولون: والله إنّا المسلمون وهم يعلمون أنّ[١] المحلوف عليه كذبٌ. ثمّ قال الله تعالى: (﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ [المجادلة ١٨/٥٨]) أي: يحلفون لله على أنّهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا، ويحسبون أنّهم على شيء مِن النفع، يعني: ليس العجب مِن حلفهم[٢] لكم في الدنيا، وإنّما العجب مِن حلفهم[٣] لله[٤] تعالى مع عدم النفع لهم في ذلك. والمرادُ وصفهم بالتوغُّل في نفاقهم وأنّ ذلك بعد موتهم باقٍ فيهم. قال المصنِّف: اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة، والقرآن ناطق بثباته نطقًا مكشوفًا، كما ترى في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ﴾.[٥]

قوله: (رُوي أنّه اجتمع، أبو[٦] سفيان)... إلخ، هؤلاء أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام، وهؤلاء الكفرة لمّا كانوا يُعاندون ولا يطلبون الحقّ ولم[٧] يقدِّر لهم الإيمان لم يفهموا شيئًا، وأمّا أبو سفيان لما لم يكن حينئذ بتلك المثابة مِن العناد

---

١ د: أي.
٢ د: خلفهم.
٣ د: خلفهم.
٤ د: الله.
٥ انظر: الكشّاف للزمخشري، (المجادلة، ١٤/٥٨).
٦ د ن ر: أبي.
٧ ن: لم.

فقالوا للنَّضْر: يا أبا قُتَيلَةَ، ما يقول محمدٌ؟ فقال: والذي جعلَها بَيْتَه -يعني: الكعبة- ما أدري ما يقول، إلّا أنّه يُحرِّك لسانَه ويقول أساطيرَ الأولين مثلَ ما حَدَّثْتُكم عن القُرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني لأرَاهُ حقًّا، فقال أبو جهل: كلَّا، فنزلت.

والأكِنَّةُ على القلوب والوَقْر في الآذان: مَثَلٌ في نُبوِّ قلوبهم ومسامعِهم عن قبوله واعتقادِ صحَّته، ووجهُ إسناد الفعل إلى ذاته -وهو قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾-:

وقدّر الله تعالى له أن يؤمن قال: (لأراه)،[1] أي: "لأظنّه حقًّا"، ثمّ أيقن بعد فتح مكّة بسنة[2] أنّه حقّ فآمن إيمانًا صحيحًا رضي الله عنه.

قوله: (إلّا أنّه يُحرِّك لسانه) هذا استثناء منقطع، فكأنّه قال: لكنّه يحرِّك لسانه ويقول: أساطير الأوّلين. ثمّ إنّ قول النضر: "يقول أساطير الأوّلين" مع قوله: "ما أدري ما يقول" متنافيان، فكأنّه[3] لعناده[4] لعنه[5] الله[6] أراد[7] بـ"إلا":[8] أصغي[9] إلى قوله ولا أستمع إليه حتّى أعرف كلامه بالتفصيل، لكنّي[10] أعرف إجمالًا أنّه يقول الأساطير.

قوله: (مَثَل في نبوّ)،[11] يعني: شُبِّه نبوّ[12] قلوبهم[13] / ومسامعهم عن قبوله[14] [٣٥٤و]
واعتقاده بالأكنّة على القلوب والوَقْرِ في الآذان، ثمّ ذُكر المشبّه به والمراد[15] المشبّه، فيكون استعارة[16] مصرَّحة.

قوله: (ووجهُ إسناد الفعل) يريد أنّ أصل الكلام بناء على ما ذكرنا مِن الاستعارة أن يقال: "على قلوبهم أكنّة وفي آذانهم وَقْر"، لكن أُسند الفعل إليه تعالى

---

[1] د: لأراها. | والخبر في الكشف والبيان للثعلبي، ١٢/٥٥-٥٦ (الأنعام، ٦/٢٥)؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٣/١٣٦ (الأنعام، ٦/٢٥).
[2] د: لسنة.
[3] د: وكأنّه.
[4] د: إعناده.
[5] د - لعنه.
[6] د: إرادة.
[7] د: لا.
[8] د - بألا.
[9] د: أصغ.
[10] د: لكن.
[11] د: بنوا.
[12] د: بنو.
[13] د + نبوّ قلوبهم.
[14] د: قوله.
[15] ن: وأراد.
[16] د: اعتقاده.

الدلالةُ على أنه أمرٌ ثابتٌ فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه، أو هي حكايةٌ لِمَا كانوا يَنطقون به من قولهم: ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت ٤١/٥].

وقرأ طلحة: "وِقرًا" بكسر الواو.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ هي التي تقع بعدها الجملُ، والجملةُ قولُه: ﴿إِذَا جَآءُوكَ... يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ في موضع الحال.

ويجوز أن تكون الجارَّةَ، ويكون ﴿إِذَا جَآءُوكَ﴾ في محلِّ الجرِّ بمعنى: حتى وقتِ مجيئهم، و﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾ حال، وقوله: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ تفسيرٌ له، والمعنى: أنه بَلَغَ تكذيبُهم الآياتِ إلى أنهم يجادلونك ويناكِرونك،

للدلالة على ثبات الأكنّة والوَقْر. وقوله: "ووجهُ إسناد" على تقدير أن يكون مثلًا، وأمّا على الوجه الثاني فظاهر.

قوله: (﴿إِذَآ﴾) شرطيّة. وقوله: (﴿يَقُولُ﴾) جزاء الشرط.

قوله: (**ويكون**[١] **إذا**) ظرفية.

قوله: (**والمعنى أنّه بلغ تكذيبهم**)،[٢] يعني أنّ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ فيه معنى الغاية، وليس المراد بجعل حتّى هنا[٣] غاية أنّه ينقطع تكذيبهم[٤] وتركِهم الإيمان عند هذه الغاية؛ بل المراد بيان غاية كفرهم أنّه[٥] بلغ كفرهم الغاية التي لا شيءَ بعدها، وهي أنّهم يجادلونك على هذا الوجه. واعلم أنّ التحقيق في هذا الموضع أنّ معنى الغاية في "حتّى"[٦] المبالغة في ذمّهم، وذلك بأن يكون مِن قبيل الذمّ ممّا يشبه المدح، فإنّ ظاهر[٧] "حتّى" المفيد الغاية[٨] في جميع وجوهه أن يكون[٩] ما بعده مخالفًا لِما قبله فيدلّ بظاهره أنّ كفرهم ينقطع إذا جاءوك، فذكر[١٠] بعده

---

[١] د: ويكفر.
[٢] د ن ر: بكذبهم.
[٣] ر - هنا.
[٤] د ر: بكذبهم.
[٥] ن ر: وأنّه.
[٦] ر: حق.
[٧] ر + هذا.
[٨] ن ر: للغاية.
[٩] د - يكون.
[١٠] د: فترك.

وفسَّر مجادَلَتَهم بأنهم يقولون: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيجعلون كلام الله وأصدقَ الحديث خُرافاتٍ وأكاذيبَ، وهي الغايَةُ في التكذيب.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦﴾

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناسَ عن القرآن وعن الرسول واتِّباعه، ويُثبِّطونهم عن الإيمان به ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ بأنفسِهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون.

﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ بذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ولا يتعدَّاهم الضررُ إلى غيرهم، وإن كانوا يظنون أنهم يَضرُّون رسول الله.

وقيل: هو أبو طالبٍ؛ لأنه كان يَنْهَى قريشًا عن التعرُّض لرسول الله، ويَنْأى عنه فلا يؤمن به.

ورُوي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله سوءًا، فقال:

والله لن يَصِلُوا إلَيكَ بجمعِهم حَتى أُوسَّدَ في التـرَابِ دَفينا

ما يدلُّ عليه[1] الكفر العظيم تسجيلًا عليهم بغاية الكفر والعِناد، وهو عكس ما قول الشاعر:

هو البدر[2] إلّا أنّه [البحرُ][3] زاخرًا سوى[4] أنّه الضرغام لكنّه وَبْلُ[5]

فإنّ ما في الآية ذمّ بما يشبه المدح وما في البيت مدح بما يشبِه الذمّ، فتأمَّل فيه، واحمد الله.[6]

قوله: (خُرافاتٍ) الخُرافة: هي الموضوعة مِن حادث[7] الليل.

قوله: (وإن كانوا) شرطيّة، جوابه محذوف.

---

١ ر: على.

٢ د: الدرر.

٣ د ن ر - البحر. | وأثبتُّها من المصادر الآتية في تخريج البيت.

٤ د + قوله.

٥ البيت لبديع الزمان الهمَذاني في ديوانه، ص ١٢٠؛ ويتيمة الدهر للثعالبي، ٣٤٤/٤؛ وهو له في حدائق السِّحر للوطواط، ص ١٣٣، ونهاية الإيجاز للرازي، ص ١٧٦.

٦ ن ر + تعالى على التوفيق وادع واحمد إذ بين ذلك إفادة لك بتوفيق الله تعالى.

٧ ن ر: أحاديث.

فَاصدَعْ بِأمرِكَ ما عَلَيكَ غَضَاضَةٌ وَابْشِرْ بِذَاكَ وَقرَّ منك عيُونا
ودَعَوْتَني وزعمتَ أنك ناصحٌ ولقد صدَقْتَ وكنتَ ثَمَّ أَمِينا

قوله:

(فاصدع بأمرك)[١] الأبيات[٢]

صدعتُ [الشيء: أظهرتُه وبيَّنته]،[٣] «ويقال: "صدعتُ بالحقّ" إذا تكلمتَ به جهارًا. قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر ٩٤/١٥]، قال الفرّاء: فاصدع بالأمر،[٤] أي: أظهِرْ دينك».[٥]

قوله:[٦] (وابشر) «تقول: "أبشِر بخير" بقطع الألف، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت ٣٠/٤١]، و"بشِرت[٧] بكذا" بالكسر "أبشَر"، أي: استبشرتُ به».[٨] قال الشاعر:[٩]

وإذا رأيتَ الباهِشين[١٠] إلى العُلى غُبرًا أكفتهم[١١] بقاعِ مُمحِلِ[١٢]
فأعِنهمُ وابشَر بما[١٣] بَشِروا به وإذا همُ نَزَلوا[١٤] بضَنْك فانزلِ[١٥]

قوله: (غضاضةٌ)[١٦] «يقال: ليس عليك في[١٧] هذا الأمر[١٨] غضاضة،[١٩] أي: ذلّة ومَنقَصة».[٢٠] وقوله: (ثَمّ) أي: في ذلك الأمر.[٢١]

---

١ الأبيات لأبي طالب. انظر تفصيل الكلام عليها في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٢٩٥/٣-٢٩٧.
٢ د ن ر: الآيات.
٣ د ن ر - الشيء: أظهرته وبيَّنته. | وزدته مِن موضع نقله مِن **الصحاح** للجوهري، «صدع».
٤ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ٩٣/٢.
٥ **الصحاح** للجوهري، «صدع».
٦ ن: وقوله.
٧ د: وبشرني.
٨ **الصحاح** للجوهري، «بشر».
٩ ن ر - الشاعر.
١٠ د: الباشين.
١١ ن ر: كفهم.
١٢ د: محمل؛ ن: محل.
١٣ د: لِما؛ ر: ما.
١٤ د - وإذا هم نزلوا.
١٥ البيتان لعطيّة بن زيد الجاهليّ في **الصحاح** للجوهري، «بشر»، والظاهر أنّ الجاربردي أغفل هذه النسبة في نقله عن **الصحاح**؛ لأنّها غير مسلّمة له، فالصواب أنّهما لعبد قيس بن خفاف البرجمي، وهما له في **المفضّليّات** للضبّي، ص ٣٨٥؛ **والأصمعيّات** للأصمعي، ص ٢٣٠؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ١٢٨/٢. وبَهَش إليه يبهَش بَهْشًا إذا ارتاح إليه وخفّ. **الصحاح** للجوهري، «بهش».
١٦ د ن ر: غضاغضة.
١٧ ر: مِن.
١٨ ن: إلا.
١٩ د ن ر: غضاغضة.
٢٠ **الصحاح** للجوهري، «غضض».
٢١ ن - وقوله: ثم أي: في ذلك الأمر.

وعَـرَضْـتَ دِينًـا لا مـحَالـةَ أنَّه ... مِـن خيـر أديــان الـبَـرِيَّـة دِينـا
لـولا الـملامـةُ أو حِـذارِي سُبَّةً ... لـوجَدْتَـنـي سَـمْـحًـا بـذاك مُبِينا

فنزلت.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٧﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوفٌ تقديره: ولو ترى لرأيتَ أمرًا شنيعًا.

﴿وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾: أُرُوها حتَّى يُعاينوها، أو: أُطْلعوا عليها إطلاعًا وهيَ تحتَهم، أو: أُدْخلوها فعُرِّفوا مقدارَ عذابها، من قولك: وقَفْتُه على كذا إذا فَهَّمْتَه وعَرَّفْتَه.

وقرئ: "وَقَفوا" على البناء للفاعل من: وَقَفَ عليه وقوفًا.

﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ تمَّ تمنِّيهم، ثم ابتدؤوا: ﴿ولا نكذِّبُ بآياتِ ربِّنا ونكونُ من المؤمنين﴾ واعِدينَ الإيمان؛ كأنهم قالوا: "ونحن لا نكذِّبُ ونؤمنُ" على وجه الإثبات، وشبَّهه سيبويه بقولهم: "دعني ولا أَعُودُ" بمعنى: دعني وأنا لا أعودُ تركْتَني أو لم تترُكْني.

قوله: (سَمْحًا) أي: منقادًا.

قوله:[1] (شنيعًا) الشناعة: الفظاعة، وقد شنُعَ[2] الأمر فهو شنيع،[3] أي: شديد جاوَزوا المقدار.

قوله: (ولا نكذِّبُ) يقال: كذَّبه[4] وكذَّب به.[5]

قوله: (بقولهم: دعني)[6] إنَّما ذكر هذا[7] للرفع،[8] وإن كان يجوز في الآية النصب ولا يجوز في هذا المثال[9] إلَّا الرفع،[10] لتعذُّر النصب والجزم فيه:

---

[1] ر - (سمحًا) أي: منقادًا. قوله.
[2] ر: أشنع.
[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «شنع».
[4] د: كذب.
[5] د: وكذب.
[6] ر: بدعني. | **الكتاب** لسيبويه، ٣/٤٤.
[7] د - هذا.
[8] د: الدفع.
[9] د ن ر: المال.
[10] د: لدفع.

ويجوز أن يكون معطوفًا على ﴿نُرَدُّ﴾، أو حالًا على معنى: "يا ليتنا نردُّ غيرَ مكذِّبين وكائنين من المؤمنين" فيدخل تحت حكم التمنِّي.

فإن قلتَ: يَدفع ذلك قولُه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾؛ لأن المتمنِّي لا يكون كاذبًا.

قلت: هذا تمَنٍّ قد تضمَّن معنى العِدَة، فجاز أن يتعلق به التكذيبُ؛ كما يقول الرجل: "ليت الله يرزقُني مالًا فأُحْسنَ إليك وأُكافِئك على صَنِيعِك" فهذا متمنٍّ في معنى الواعد، فلو رُزق مالًا ولم يُحْسِنْ إلى صاحبه ولم يُكافِئه كُذِّب؛ كأنَّه قال: "إنْ رزقني الله مالًا كَافَأتُك على الإحسان".

وقرئ: ﴿وَلَا نُكَذِّبَ... وَنَكُونَ﴾ بالنصب بإضمار "أنْ" على جوابِ التمنِّي، ومعناه: "إن رُدِدْنا لم نكذِّبْ ونكُنْ من المؤمنين".

أمّا النصب فلفساد[1] المعنى، إذ المعنى على هذا "ليجتمع[2] تركُك وتركي لما تنهاني[3] عنه"، وقد عُلم أنّ طلب[4] هذا المتأدِّب لترك[5] المؤدِّب إيّاه إنّما هو في الحال بقرينة ما عراه مِن ألمه بتأديب مؤدِّبه، وغرضُ المؤدِّب الترك لِما نهى عنه في المستقبل، ولا يحصل هذا الغرض بترك التأدُّب المنهيّ عنه في الحال، وإنّما يحصل بترك العود في المستقبل.

وأمّا الجزم فامتناعه[6] بالعطف لأداء العطف إلى عطف المعرب على المبنيّ، وهو ممتنع[7] لأداء العطف لاشتراك الشيئين في الإعراب، ولا يمكن العطف على محلّه؛ لأنّه لا محلّ له مِن الإعراب، والاشتراكُ في المحلّ إنّما يتأتى[8] فيما ثبت له الإعراب في الأصل[9] ومنعه مانع عارض كالأسماء المبنيّة،[10] وأمّا فعل الأمر للمخاطب[11] الفاعل فلا إعراب له البتّة لا أصلًا ولا فرعًا.

---

١ ر: فللفساد.
٢ د: السجع.
٣ د: تنهى لي.
٤ د: الطلب.
٥ د: لشرك.
٦ ن – فامتناعه.
٧ د ن ر: جميع.
٨ ن: ينافي.
٩ ن ر – ومثله لاشتراك الشيئين في الإعراب ولا يمكن العطف على محلّه؛ لأنّه لا محلّ له مِن الإعراب والاشتراك في المحلّ إنّما يتأتى فيما ثبت له الإعراب في الأصل.
١٠ ن – المبنية.
١١ ن: المخاطب.

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾

﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ﴾ من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحُفهم وبشهادةِ جَوارحهم عليهم، فلذلك تمنَّوا ما تمنَّوا ضَجَرًا، لا أنهم عازمون على أنهم لو رُدُّوا لآمَنوا.

وقيل: هو في المنافقين، وأنه يَظهر نفاقُهم الذي كانوا يُسِرُّونه.

وقيل: هو في أهل الكتاب، وأنه يَظهر لهم ما كانوا يُخفونه من صحَّة نبوَّة رسول الله.

﴿وَلَوْ رُدُّواْ﴾ إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما وَعَدوا من أنفسِهم لا يَفُون به.

وأمّا امتناع الجزم بلا التي للنهي[١] فإنّه إن[٢] جزم بها تكون الجملة نهيية[٣] معطوفة على جملة أمريّة وهي "دعني"، فكأنّه قال: "دعني" ثمّ شَرَع في جملة أخرى ناهيًا[٤] لنفسه عن العَود. وهذا فاسد[٥] مِن جهة المعنى؛ إذ لا يتحقّق الموجِب لترك التأديب إلّا بالخبر عن نفي العَود، لا ينهى نفسه عن العَود؛ لأنّه لا يلزم مِن النهي تحقُّق الامتناع، ولذا لم يأتِ التناقض في قولك: "أنا أنهى نفسي عن كذا في كلّ وقت ثمّ أفعله"، كما أتى[٦] التناقض في قولك: "أنا لا[٧] أفعل كذا في كلّ وقت ثمّ أفعله"،[٨] والمقصود نفيُ وقوع العَود في المستقبل، ولا يحصل هذا إلا بالخبر.

قوله: **(مِن قبائحهم)** بيانُ (﴿مَا كَانُواْ﴾).

قوله: **(وبشهادة جوارحهم)** معطوف على المعنى، كأنّه قال: بل بدا لهم ما كانوا يخفون بسبب الكتابة في صفحهم وبسبب شهادة[٩] جوارحهم[١٠] عليهم.

---

١ د: المنهي.
٢ ن: لو.
٣ ن: نهية.
٤ ر: ناهية.
٥ د: ما.
٦ ن: في.
٧ د - لا.
٨ د: أفعل.
٩ د: شهادتهم.
١٠ د: جوابهم.

﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾

﴿وَقَالُوٓاْ﴾ عطفٌ على ﴿لَعَادُواْ﴾؛ أي: ولو رُدُّوا لكفروا ولقالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا﴾ كما كانوا يقولون قبل معايَنةِ القيامة.

ويجوز أن يُعطف على قوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ على معنى: وإنَّهم لقومٌ كاذبون في كلِّ شيء وهم الذين قالوا: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا﴾، وكفَى به دليلًا على كذبهم.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ قَالَ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾

﴿وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ مجازٌ عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يُوقَفُ العبد الجاني بين يدي سيّده ليعاتبه.

وقيل: ﴿وُقِفُواْ عَلَىٰ﴾ جزاء ﴿رَبِّهِمۡ﴾.

وقيل: عُرِّفوه حقَّ التعريف.

﴿قَالَ﴾ مردودٌ على قول قائلٍ قال: ماذا قال لهم ربُّهم إذْ وقفوا عليه؟ فقيل: قال: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّ﴾ وهذا تَعْييرٌ من الله لهم على التكذيب، وقولِهم لِمَا كانوا يسمعون من حديثِ البعث والجزاء: "ما هو بحقٍّ، وما هو إلَّا باطلٌ".

﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾: بكفركم بلقاءِ الله ببلوغِ الآخرة وما يتَّصلُ بها، وقد حُقِّق الكلام فيه في موضع آخر.

﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٣١﴾

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةٌ لـ﴿كَذَّبُواْ﴾ لا لـ﴿خَسِرَ﴾؛ لأن خُسرانهم لا غايةَ له؛ أي: ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقتَ مجيء الساعة.

قوله: (وكفى به) أي: بقولهم: ﴿إِنۡ هِيَ﴾.

فإن قلتَ: أمَا يتحسَّرون عند موتهم؟

قلتُ: لمَّا كان الموت وقوعًا في أحوال الآخرة ومقدِّماتها جُعل من جنسِ الساعة وسمِّي باسمها؛ ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن مات فقد قامَتْ قِيَامته».

أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسُرعته كالواقع بغير فَتْرةٍ.

﴿بَغْتَةً﴾: فُجَاءةً، وانتصابُها على الحال بمعنى: باغِتةً، أو على المصدر؛ كأنه قيل: بغَتَتْهم الساعةُ بغتةً.

﴿فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ الضميرُ للحياة الدنيا جيء بضميرِها وإن لم يَجْرِ لها ذكرٌ لكونها معلومةً، أو لـ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ على معنى: قصَّرنا في شأنها وفي الإيمان بها؛ كما تقول: فرَّطتُ في فلان، ومنه: فرَّطتُ في جنب الله.

﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ كقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى ٤٢/٣٠]؛ لأنَّه اعتِيدَ حَملُ الأثقال على الظهور كما أُلِفَ الكسبُ بالأيدي.

﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئسَ شيئًا يَزِرُون وِزْرُهم؛ كقوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الأعراف ٧/١٧٧].

جَعل أعمال الدنيا لعبًا ولهوًا واشتغالًا بما لا يُغني ولا يُعْقِب منفعةً كما تُعْقِب أعمالُ الآخرة المنافعَ العظيمة.

قوله: **(عند موتهم) فكيف** يكون غاية تكذيبهم الساعة وهي القيامة، وكيف تكون الساعة وقت حسرتهم، فإنَّه ينقطع تكذيبهم عند الموت ويتحسَّرون هنالك، أي: عند الموت.

قوله: **(﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾)**، يعني أنَّ ﴿سَآءَ﴾ مِن أفعال الذمّ، فاعله ضمير مستتر و﴿مَا﴾ نكرة بمعنى "شيء" تمييز، والمخصوص بالذمّ محذوف، أي: **ذلك**[1] **فهو**[2] **وزرُهم**.

---

[1] ن + أي: ذلك.

[2] ن ر: وهو.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ دليلٌ على أن ما سوى أعمالِ المتقين لعبٌ ولهو.

وقرأ ابن عباس: ﴿ولدارُ الآخرة﴾.

وقرئ: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء والياء.

﴿قَدْ﴾ في ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ بمعنى: "ربّما" الذي يَجيءُ لزيادة الفعل وكثرته؛ كقوله:

أخي ثِقَةٍ لَا تُهلِكُ الخمرُ مَالَهُ ... ولكنَّهُ قد يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهْ

والهاءُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ ضميرُ الشأن.

﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ قرئ بفتحِ الياء وضمِّها، و﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ هو قولُهم: ﴿سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص ٣٨/٤].

﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ قرئ بالتشديد والتخفيف، مِن كذَّبه: إذا جعلَه كاذبًا في زعمه، وأَكْذَبَهُ: إذا وجده كاذبًا.

والمعنى: أن تكذيبك أمرٌ راجعٌ إلى الله؛ لأنك رسولُه المُصدَّقُ بالمعجزات، فهم لا يكذِّبونك في الحقيقة، وإنما يكذِّبون الله بجحود آياته، فَالْهَ عن حزنك

قوله: (بمعنى ربّما) مثال "ربّما" بمعنى التكثير:

فإن تمسِ[1] مهجورَ[2] الفناءَ فربما ... أقام به بعد الوفود وفودُ[3]

قوله: (فالهَ) لَهِيتُ عن الشيء ألهى لِهيانًا إذا سلوتَ عنه وتركتَ ذكره[4] وأضربتَ عنه. ويقال: الهَ عن الشيء، أي: اتركه. ويقال: إذا استأثر بشيء فالهَ عنه،

---

١ د: تمش.

٢ ن: فهجور.

٣ البيت لأبي عطاء السندي في الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٧٥٧/٢؛ والزاهر لابن الأنباري، ١٦٣/١؛ وأمالي القالي، ٢٧٢/٢؛ وإيضاح شواهد الإيضاح للقيسي، ٣٠٠/١؛ ورسائل في اللغة للبطَلْيوسي، ص ١٤١؛ وهو بلا عزو في شرح الرضيّ على الكافية، ٢٨٨/٤.

٤ د: وكذا.

لنفسِك وأنهم كذبوك وأنت صادق، ولْيَشْغَلك عن ذلك ما هو أَهَمُّ، وهو استعظامك لجحودِ آيات الله والاستهانةِ بكتابه.

ونحوُه قولُ السيّدِ لغلامه إذا أهانه بعضُ الناس: إنهم لم يُهينُوك وإنما أهانوني.

ومن هذه الطريقة قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح ١٠/٤٨].

وقيل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بقلوبهم ولكنهم ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بألسنتهم.

وقيل: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾؛ لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق، ولكنهم ﴿يَجْحَدُونَ﴾ بآيات الله.

وعن ابن عباس: كان رسول الله يسمَّى الأمينَ، فعرفوا أنه لا يكذِّب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون.

وكان أبو جهل يقول: ما نكذِّبك وإنك عندنا لمُصَدَّق، وإنما نكذِّب ما جئتنا به.

وروي: أن الأخنسَ بن شَرِيقٍ قال لأبي جهل: يا أبا الحَكَم، أخبرني عن محمد: أصادقٌ هو أم كاذب؟ فإنَّه ليس عندنا أحد غيرُنَا، فقال له: والله إن محمدًا لصادق وما كذَبَ قط، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيْ باللواء والسِّقايَة والحجابَة والنبوَّة فماذا يكون لسائر قريش، فنزلت.

أي: اتركه. وفي الحديث[1] في البلل[2] بعد الوضوء: «الهَ عنه».[3] وكان ابن الزُّبير إذا سمع صوت الرعد لهى عن حديثه، أي: تركه وأعرض عنه. الأصمعي: الهَ عنه ومنه بمعنى.[4]

قال أبو عليّ في **الحجّة**: «لا يكذِّبونك أي: لا يصادفونك كاذبًا، / كما [٣٥٤ظ] تقول: أحمدتُه إذا أصبتَه محمودًا؛ لأنّهم يعرفونك بالصدق والأمانة، ولذلك سُمّي الأمين.[5] قال أبو طالب: إن ابن آمنة[6] الأمين محمّدًا».[7]

---

[1] ر - في الحديث.
[2] ن: الليل.
[3] **مصابيح السنّة** للبغوي، ٤٩٦/١ (١٠٤٤).
[4] مِن قوله: "لهيت عن الشيء" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «لها».
[5] ن ر: الأمير.
[6] ن: أمية.
[7] **الحجّة** للفارسي، ٣٠٣/٣.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من إقامةِ الظاهر مُقام المضمَر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ﴾ تسليةٌ لرسول الله، وهذا دليلٌ على أن قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك: ما أهانوك ولكنهم أهانوني.

﴿عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ﴾: على تكذيبهم وإيذائهم.

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لمواعيده من قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ [الصافات ١٧١/٣٧-١٧٢].

﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بعضُ أنبائهم وقِصصهم وما كابَدُوا من مصابرة المشركين.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

كان يَكبُر على النبي صلى الله عليه وسلم كُفرُ قومه وإعراضُهم عما جاء به، فنزل: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشعراء ٣/٢٦]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص ٥٦/٢٨]، ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾: مَنفَذًا تَنْفُذُ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تُطْلِع لهم آيةً يؤمنون بها ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم﴾ منها بآيةٍ فافعل.

قوله: (**تكذيبهم**)[١] يريد أنّ ﴿مَا﴾ مصدريّة.

قوله:[٢] (**فافعل**) يريد أنّ جواب (**إن استطعت**)[٣] محذوف.

---

١ د: وتكذيبهم.
٢ ر - قوله.
٣ د: أسقطت؛ ن ر: استعطت.

يعني: إنك لا تستطيع ذلك، والمراد: بيانُ حرصه على إسلام قومه وتهالُكِه عليه، وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآيةٍ من تحت الأرض أو من فوق السماء لَأتَى بها رجاءَ إيمانهم.

وقيل: كانوا يَقْترحون الآيات، فكان يودُّ أنْ يُجابُوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم، فقيل له: "إن استطعتَ كذا فافعل" دلالةً على أنه بلغ من حرصه أنَّه لو استطاع ذلك لَفعَله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعَلهم يؤمنون.

ويجوز أن يكون ابتغاءُ النفَق في الأرض أو السُّلَّم في السماء هو الإتيانَ بالآية، كأنَّه قيل: لو استطعتَ النفوذَ إلى ما تحتَ الأرض أو الرُّقِيَّ إلى السماء لفعَلْتَ لعلَّ ذلك يكون لك آيةً يؤمنون عندها.

وحُذف جواب "إنْ"؛ كما تقول: إن شئتَ أن تقوم بنا إلى فلان نَزُورُه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بأنْ يأتيَهم بآيةٍ مُلجِئةٍ؛ ولكنَّه لا يفعل لخروجه عن الحكمة.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: من الذين يجهلون ذلك ويَرُومُون ما هو خلافُهُ.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ٣٦﴾

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ يعني: أن الذين تحرصُ على أن يصدِّقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، وإنما يستجيبُ مَن يسمع كقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل ٢٧/٨٠].

﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ مَثَلٌ لقدرتهِ على إلجائهم إلى الاستجابة بأنَّه هو الذي يبعثُ الموتى من القبور يوم القيامة.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ للجزاء، فكان قادرًا ....

قوله: (بأنَّه هو الذي يبعث) "بأنه" متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: (مَثَل)؛ لأنَّ فيه معنى البيان والتوضيح؛ لأنَّ الأمثال إنَّما تُورَد للبيان والتوضيح.

على هؤلاء الموتى بالكُفْر أن يُحْيِيَهم بالإيمان، وأنت لا تقدرُ على ذلك.

وقيل: معناه: وهؤلاء الموتى -يعني: الكفرة- يبعثُهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون، وأمَّا قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم.

وقرئ: ﴿يَرْجِعون﴾ بفتح الياء.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٧﴾

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ ﴿نُزِّلَ﴾ بمعنى: "أُنزل".

وقرئ ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ بالتشديدِ والتخفيف.

وذُكِّر الفعلُ والفاعلُ مؤنَّث؛ لأن تأنيث "آيةٌ" غيرُ حقيقيٍّ، وحَسُن للفصل.

وإنما قالوا ذلك -مع تكاثُرِ ما أُنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم- لتَرْكِهم الاعتدادَ بما أنزل عليه كأنه لم يُنزَل عليه شيء من الآيات عنادًا منهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ تَضطرُّهم إلى الإيمان، كنَتْق الجبل على بني إسرائيل ونحوِه، أو: آيةً إنْ جحدوها جاءَهم العذابُ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله قادرٌ على أن ينزِّل تلك الآية، وأنَّ صارفًا من الحكمة يَصْرفهُ عن إنْزالِها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨﴾

قوله: **(أن يحييَهم)**[1] بدل مِن **(هؤلاء)** بدل الاشتمال.

قوله: **(وقيل: معناه)** عطف على جملة[2] قوله: "والموتى مثل"... إلى آخره.

قوله: **(وحَسُن)** أي: التذكير.

[1] ر: يجيبهم.

[2] د: حمله.

﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مكتوبةٌ أرزاقُها وآجالُها وأعمالها كما كُتبت أرزاقُكم وآجالُكم وأعمالُكم.

﴿مَا فَرَّطْنَا﴾: ما تركنا وما أَغْفلنا ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: في اللوح المحفوظ ﴿مِن شَيْءٍ﴾ من ذلك لم نكتُبه ولم نُثبتْ ما وجَبَ أن يُثبت مما نَخْتَصُّ به.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ يعني: الأممُ كلُّها من الدوابِّ والطير، فيُعوِّضها ويُنصِفُ بعضَها من بعض؛ كما رُوي: أنه يأخذُ للجمَّاء منَ القَرْناء.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ مع إفراد الدابّة والطائر.

قلتُ: لمَّا كان قولُه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ﴾ دالًّا على معنى الاستغراق ومُغنِيًا عن أن يقال: وما من دوابَّ ولا طَيْرٍ حُمِلَ قوله: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ﴾ على المعنى.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "وما من دابةٍ ولا طائرٍ إلا أممٌ أمثالُكم"، وما معنى زيادةِ قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾؟

قوله: (﴿مِن شَيْءٍ﴾) أي: ما تركنا شيئًا مِن الأرزاق والآجال والأعمال. فـ"مَن" في قوله: (**مِن ذلك**) للتبعيض، وفي ﴿مِن شَيْءٍ﴾ لتأكيد النفي. وقيل قوله: "مِن ذلك" كالتفسير والبيان لقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فأعاد[١] حرف الجر[٢] فيه. والأوّل أولى.[٣]

قوله: (**لم نكتبه**) الضمير مِن "نكتبه" و(**به**) عائد إلى "الشيء". وقوله: "لم نكتبه[٤] ولم نُثبت" حال مِن ضمير تركنا أو أغفلنا وهذا أولى مِن جعله صفة لـ﴿شَيْءٍ﴾.

قوله: (**وما مِن دابّة ولا طائر**) كانا يحتملان أن يقدَّر فيهما صفة فيُخصصا،[٥] نحو "ترفع" و"يصيد"، فلمّا قيِّد بقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿يَطِيرُ﴾ حصل التعميم وزال الاحتمال.[٦]

---

[١] د – لتأكيد النفي وقيل قوله: مِن ذلك كالتفسير والبيان لقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فأعاد.

[٢] ر: الجزء.

[٣] د – أولى.

[٤] د – وبه عائد إلى الشيء وقوله: لم نكتبه.

[٥] د: فيتخصصا.

[٦] د: الإجمال.

قلتُ: معنى ذلك: زيادةُ التعميم والإحاطةِ كأنه قيل: وما من دابةٍ قطُّ في جميع الأرضين السبعِ، وما من طائرٍ قطُّ في جَوِّ السماء من جميع ما يطير بجناحيه، إلا أممٌ أمثالُكم محفوظةٌ أحوالُها غيرُ مُهملٍ أمرُها.

فإن قلتَ: فما الغرضُ في ذِكْر ذلك؟

قلتُ: الدلالةُ على عظمِ قدرته ولطفِ علمه وسعةِ سلطانه وتدبيره تلك الخلائقَ المتفاوتةَ الأجناس المتكاثرةَ الأصنافِ، وهو حافظٌ لِمَا لها وما عليها، مهيمِنٌ على أحوالها، لا يَشغَلُه شأنٌ عن شأنٍ، وأن المكلَّفين ليسوا بمخصوصينَ بذلك دون ما عَدَاهم من سائر الحيوان.

وقرأ ابن أبي عبلةَ: "ولا طائرٌ" بالرفعِ على المحل؛ كأنَّه قيل: وما دابةٌ ولا طائرٌ.

وقرأ علقَمة: "ما فرَطْنا" بالتخفيف.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكۡمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٩﴾

فإن قلتَ: كيف أَتبعه قولَه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؟

قلتُ: لمَّا ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يَشهد لربوبيَّتهِ وينادِي على عظمته قال: والمكذِّبون ﴿صُمٌّ﴾ لا يسمعون كلام المنبِّه ﴿وَبُكۡمٌ﴾ لا ينطقون بالحق خابِطون في ظلمات الكفر، فهم غافلون عن تأمُّل ذلك والتفكُّرِ فيه.

ثم قال إيذانًا بأنهم من أهل الطَّبْع: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ﴾؛ أي: يَخذُلْه ويُخلِّهِ وضلالَه لم يَلطفْ به؛ لأنه ليس من أهل اللطف ﴿وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾؛ أي: يَلْطُفْ به؛ لأن اللُّطفَ يُجدِي عليه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٠ بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ ٤١﴾

قوله: ("فرَطْنا") فرَط وفرّط بمعنى.

﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أخبِروني، والضميرُ الثاني لا محلَّ له من الإعراب؛ لأنك تقول: "أرأيتَك زيدًا ما شأنُه؟" فلو جعلتَ للكافِ محلًّا لكنتَ كأنك تقول: "أرأيتَ نفسك زيدًا ما شأنه؟" وهو خَلْفٌ من القول.

ومتعلَّق الاستخبار محذوفٌ تقديره: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ مَن تدعون؟ ثم بكَّتهم بقوله:

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ بمعنى: أتخصُّون آلهتَكم بالدَّعْوة فيما هو عادتُكم إذا أصابكم ضرٌّ أم تدعون الله دونها.

قوله: **(والضمير الثاني)** تساهل في العبارة؛ لأنّ الكاف هنا ليس بضمير، وقد صرّح بذلك في **المفصّل**،[١] وأشار إليه[٢] هنا بقوله: **(لا محلّ له[٣] مِن الإعراب)**.

قوله: **(فيما هو عادتكم)**[٤] فإنّه لو كان اسمًا وقد وقع في التركيب لم يكن له بدّ مِن محلّ مِن[٥] الإعراب.

قوله: "فيما هو عادتكم"[٦] "ما" عبارة مِن الدعاء؛ لأنّ عادتهم الدعاء عند إصابة الضرّ، وتلخيص معنى كلامه أنّه إذا كنتم سائرين وجارين فيما هو عادتكم وهو الدعاء عند الضرّ أتخصُّون بالدعاء غير الله تعالى[٧] أم تخصُّون الله تعالى بالدعاء؟ وعلى هذا يكون قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾... إلخ، عدولًا إلى كلام آخرَ؛ لأنّ الأوّل سؤال عن أنّه إن أتاهم بعد الوقت الذي هم فيه عذاب الله والقيامة[٨] مَن تدعون. وقوله:[٩] ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ﴾... إلى آخره، بيان أنّ حالهم أنّهم كانوا في الأزمنة المتقدِّمة وفي الحال يدعون الله تعالى خاصّة فيما ينوبهم. وقول المصنِّف: "أتخصُّون أم تدعون"[١٠] إشارة إلى أنّ عَديل الهمزة مِن[١١] قوله تعالى:

---

١ انظر: **المفصّل** للزمخشري، ص ٤٢١.
٢ ر: إليها.
٣ ن – له.
٤ ن – قوله: (فيما هو عادتكم).
٥ د – من.
٦ ر – فإنّه لو كان اسمًا وقد وقع في التركيب لم يكن له بدّ مِن محلّ مِن الإعراب. قوله: "فيما هو عادتكم".
٧ د ر – تعالى.
٨ د ر: أو القيامة.
٩ د: قوله.
١٠ د + أم الله وإنّما حذف لدلالة.
١١ د – إشارة إلى أنّ عديل الهمزة من.

﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾: بل تخصُّونه بالدعاء دون الآلهة ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾؛ أي: ما تَدْعونه إلى كشفه ﴿إِن شَآءَ﴾: إن أراد أن يتفضَّل عليكم ولم يكن مفسدةً ﴿وَتَنسَوۡنَ مَا تُشۡرِكُونَ﴾: وتتركون آلهتكم، أو: لا تذكُرونها في ذلك الوقت؛ لأن أذهانكم مغمورةٌ بذكر ربكم وحده، إذ هو القادر على كشفِ الضر دون غيره.

ويجوز أن يتعلَّق الاستخبار بقوله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾؛ كأنه قيل: أرأيتَكم أغيرَ الله تدعون إن أتاكم عذابُ الله؟

فإن قلتَ: إنْ عَلَّقتَ الاستخبار به فما تصنعُ بقوله: ﴿فَيَكۡشِفُ مَا تَدۡعُونَ إِلَيۡهِ﴾

﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾[١] محذوفٌ، وتقديره "أغير الله تدعون أم الله"، وإنّما حُذف لدلالة قوله تعالى:[٢] ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾ عليه[٣] والسؤالِ عن خصوص أحدهما على التعيين بالدعاء ﴿بَلۡ إِيَّاهُ تَدۡعُونَ﴾، ولم يقل:[٤] "بل تدعونه". وإلى هذا المعنى أشار المصنِّف بقوله: "أتخصُّون آلهتكم أم تدعون الله دونها"[٥] فبيّن أنّ السؤال عن خصوص أحدهما على التعيين. وإنّما[٦] ورد الكلام على هذا الأسلوب؛ لأنّ المراد أمرُهم بخصوص[٧] الله تعالى بالدعوة في السراء كما يخصُّونه في الضرّاء.

قوله: (**فإن قلتَ: إن[٨] علقتَ**) السؤال وارد على الوجه الثاني؛ لأنّ الاستخبار على الوجه **الأوّل** متعلِّق بمَن تدعون وهو مقيَّد بقوله: ﴿أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾. وقوله:[٩] ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ منقطع عنه، وكذلك ما في حيّزه[١٠] منقطع عن هذا القيد، فلا تعلُّق لكشف الضرّ بالقيامة، بخلاف[١١] الوجه **الثاني**؛ لأن قوله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾ إذا كان متعلِّقًا بالاستخبار يكون ﴿أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ قيدًا له. فكشفُ الضرّ يتعلَّق بالقيامة؛ لأنّه في حيّزه، فلا يكشف قوارع الساعة عن[١٢] المشركين.

---

١ د ر + تعالى.
٢ ن - تعالى.
٣ د: إليه.
٤ د: يقبل.
٥ د: دونهما.
٦ د: وإن.
٧ د: تخصون.
٨ ر - قلت إن.
٩ د: قوله.
١٠ د: خبره.
١١ ن - بخلاف.
١٢ د ن ر: من.

مع قوله: ﴿أَوۡ أَتَتۡكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ وقوارعُ الساعة لا تُكشف عن المشركين؟

قلتُ: قد اشترَط في الكشف المشيئةَ -وهو قوله: ﴿إِن شَآءَ﴾- إيذانًا بأنه إنْ فعَل كان له وجهٌ من الحكمة، إلَّا أنه لا يَفعل لوجهٍ آخرَ من الحكمة أرجحَ منه.

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

"البأساءُ والضَّرَّاءُ": البُؤسُ والضُّرُّ.

وقيل: البأساءُ: القحطُ والجوع، والضراء: المرضُ ونقصان الأنفس والأموال،

ثمّ اعلم أنّه إذا كان الاستخبار متعلِّقًا بقوله: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ﴾ وكان التقدير "أرأيتكم أغيرَ الله تدعون" كان هناك حذفٌ في الكلام، إذ[١] المعنى ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ جوابُ ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَدۡعُونَ﴾، كما قال سيبويهِ في قول القائل: "علمتُ أزيد عندك أم عمرو": "علمتُ" جوابُ هذا الكلام.[٢] وكذا[٣] إذا قلنا: "متعلّق الاستخبار محذوف" يكون المعنى ﴿أَرَءَيۡتَكُمۡ﴾ جوابُ "مَن تدعون؟".

وقوله: **(وقوارعُ)** «القارعة: الشديدة مِن شدائد الدهر، وهي الداهية، يقال: قرعتهم[٤] قوارع[٥] الدهر، أي:[٦] أصابتهم. ونعوذ بالله مِن قوارع فلان ولوادغه وقوارص لسانه».[٧]

قوله: **(البأساء)** البوس: الشدّة.[٨] قال في[٩] **الصحاح**: «عذاب بئيس، أي: شديد.[١٠] قال: وبئس الرجل يبأس بؤسًا وبئسًا،[١١] أي: اشتدَّت حاجته، فهو بائس».[١٢] وقال: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ بشدّة الفقر.[١٣]

---

١ د: إذا.
٢ ر - علمتُ أزيد عندك أم عمرو: علمت جواب هذا الكلام. | انظر: **كتاب سيبويه**، ٣/١٧٠.
٣ د - وكذا.
٤ ر + القوارع.
٥ ن - قوارع.
٦ د ن: أو.
٧ **الصحاح** للجوهري، «قرع».
٨ د: الشديدة.
٩ د - في.
١٠ د: شدايد.
١١ ر: وبئيسًا.
١٢ **الصحاح** للجوهري، «بأس».
١٣ ليس هذا الكلام في مطبوع **الصحاح**.

والمعنى: ولقد أرسلنا إليهم الرُّسلَ فكذَّبوهم فأخذناهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذلَّلون ويتخشَّعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ معناه: نفيُ التضرُّع؛ كأنه قيل: فلمْ يتضرَّعوا إذ جاءهم بأسُنا، ولكنَّه جاء بـ"لولا" ليفيدَ أنه لم يكن لهم عُذْرٌ في تركِ التضرُّع إلَّا عنادُهم وقسوةُ قلوبهم وإعجابُهم بأعمالهم التي زيَّنها الشيطان لهم.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ من البأساء والضرَّاء؛ أي: تركوا الاتِّعاظَ به ولم يَنفعْ فيهم ولم يَزجُرهم ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من الصِّحةِ والسَّعةِ وصُنوفِ النعمة ليُزاوِجَ عليهم بين نَوبتي الضرَّاء والسرَّاء كما يَفعل الأب المشفِقُ بولده

قوله: (**معناه نفيُ التضرُّع**) وذلك بطريق المجاز؛ لأنَّ اللوم على الترك في الزمان الماضي يستلزم عدمه في الزمان الماضي قطعًا.

وقوله: (**لكنّه**)[١] إشارة إلى فائدة العدول إلى المجاز هنا.

قوله: (**ليفيد أنّه لم يكن لهم عذرٌ**)؛ لأنّ نفي التضرُّع لا يدلّ على عدم المانع مِن التضرُّع، فربَّما كان عدم التضرُّع لعذر ومانع، أمّا إذا جاء بـ"لولا" ولام على ترك الفعل فقد بيَّن أنّ عدم التضرُّع ما كان لعذر ومانع؛ بل للعناد.[٢]

قوله: (**إلّا عنادهم**) إن قُرئ: "إلّا عنادُهم" بالرفع كما هو مقيَّد في **النُّسخ** فالوجه أن يكون قوله: "عذرٌ" في معنى قولك: "مانع أو سبب إلّا عنادهم"، وإن قُرئ: بالنصب فهو استثناء منقطع، وهو ظاهر.

قوله: (**لنُراوِح**)[٣] المراوحة[٤] في العلمين أن يعمل هذا مرّة وهذا مرّة،[٥]

---

١ ر: ولكنه.

٢ د: للعباد.

٣ د: لتزواج؛ ن ر: لترواح. | وفي مطبوع **الكشّاف**: ليزاوج.

٤ د: المراوجة؛ ن: المزاوحة.

٥ في **المغرب**: «المراوحة بين العملين وهي أن تقرأ مرّة وتكتب مرّة مثلًا».

يُخاشنُه تارةً ويلاطفُه أخرى طلبًا لصلاحه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ من الخير والنِّعم لم يَزِيدُوا على الفرح والبَطَرِ، من غيرِ انتدابٍ لشُكْرٍ ولا تصدٍّ لتَوْبةٍ واعتذار.

﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾: واجِمُون مُتحسِّرون آيسُون.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ﴾: آخِرُهم لم يُترك منهم أحدٌ قد استُؤصلَتْ شأفَتُهم.

﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إيذانٌ بوجوب الحمدِ لله عند هلاك الظَّلَمة، وأنه من أَجَلِّ النِّعَم وأَجْزل القِسَم.

وقرئ: ﴿فَتَّحنَا﴾ بالتشديد.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ٤٦﴾

﴿إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ﴾ بأنْ يُصِمَّكم ويُعميَكم.

وتقول: راوح[١] بين رجليه إذا قام على أحدهما مرّة وعلى الأخرى مرّة.[٢] ويقال: «إنّ يديه لتتراوحان[٣] بالمعروف».[٤]

قوله: (مِن غير انتداب) «ندبه لأمر فانتدبَ له، أي:[٥] دعاه[٦] له فأجاب».[٧]

قوله: (واجمون) «الواجم: الذي اشتدّ حُزنه حتّى أمسك عن الكلام. يقال: مالي أراك واجمًا؟».[٨]

قوله: (شأفتُهم) «الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى[٩] فتذهب.[١٠] يقال: استأصل الله شأفته، أي: أذهبه الله[١١] كما أذهب تلك القرحةَ بالكَي».[١٢]

---

١ د: زاوج.
٢ انظر: **المغرب** للمُطرّزي، «روح».
٣ د: ليتزاوجان.
٤ **أساس البلاغة** للزمخشري، «روح».
٥ د ن ر + عطا.
٦ د: دعاء؛ ر: دعاه.
٧ **الصحاح** للجوهري، «ندب».
٨ **الصحاح** للجوهري، «وجم».
٩ د - فتكوى.
١٠ ر + قوله.
١١ د - الله.
١٢ **الصحاح** للجوهري، «شأف».

﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ بأن يُغَطِّيَ عليها ما يَذهبُ عنده فَهْمُكم وعقلُكم.

﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾؛ أي: يأتيكم بذلك؛ إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة، أو: بما أُخذ وخُتم عليه.

﴿يَصْدِفُونَ﴾: يُعرِضون عن الآيات بعد ظهورها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾

لمّا كانت البَغتةُ أن يقع الأمر من غيرِ أن يُشعَر به وتَظْهَرَ أماراتُه قيل: ﴿بغتةأوجهرة﴾.

وعن الحسن: ليلًا ونهارًا.

وقرئ: "بَغَتَةً أَوْ جَهَرَةً".

﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾؛ أي: ما يُهلَك هلاكَ تعذيبٍ وسَخطٍ ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وقرئ: "هل يَهْلِكُ" بفتح الياء.

﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مَن آمَنَ بهم وبما جاؤوا به وأطاعهم، ومَن كذَّبَهم وعصاهم، ولم يُرسِلْهم لِيُتَلَهَّى بهم ويُقْتَرحَ عليهم الآياتُ بعد وضوحِ أمرهم بالبراهين القاطعة.

﴿وَأَصْلَحَ﴾ ما يجب إصلاحُه مما كُلِّف.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله: (بذاك) إشارة إلى السمع والأبصار والقلوب.

[٣٥٥و] قوله: (ليتلهّى)،[١] / يقال: تلهّى بفلان إذا سخر[٢] به.[٣]

---

١ د ر + قال؛ ن + أي.

٢ ن: سحرته.

٣ ن – به.

جُعِل العذابُ ماسًّا كأنّه حيٌّ يَفعلُ بهم ما يريد من الآلام، ومنه قولُهم: "لقيتُ منه الأَمرّينَ والأَقْوَرِين" حيث جُمعوا جمعَ العقلاء، وقولُه: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان ١٢/٢٥].

أي: لا أدَّعي ما يُستبعَدُ في العقول أن يكون لبشرٍ من مِلْكِ خزائن الله وهي قِسَمُهُ بين الخلق وأرزاقُهُ، وعِلمِ الغيب، وأنّي من الملائكة ....

قوله: **(كأنّه حيّ)**، يعني: شبّه العذاب بالشخص العاقل الذي له إرادة وقصدٌ، ثمّ[1] ذُكر العذاب وأريدَ العاقل المريد، فهو استعارة بالكناية وقرينته[2] إسناد المسّ[3] إليه.[4]

قوله: **(الأمرّين)**[5] الأمرّ مأخوذ مِن المرارة،[6] ثمّ جمعوه[7] جمع[8] العقلاء.[9] و"الأقور": الأقبح الأوسع. وهما اسمان[10] للدواهي.[11]

قوله:[12] **(ما يستبعد)**[13] كان[14] المناسب أن يقول: "ما يستحيل ويمتنع" بدل قوله:[15] "يستبعد"،[16] لِما أشار بـ**(أي)** ثانيًا إلى أن المراد **(لم أدّعِ الإلهيّة)**. وكأنّه أراد بالاستبعاد[17] الاستحالة.[18]

قوله: **(وهي قسمه)**[19] القِسم بالكسر: النصيب، وجمعه قِسَم. والقَسْم بالفتح مصدر.[20]

قوله:[21] **(وأنّي)**[22] مِن الملائكة معطوف على قوله: "ما[23] يستبعد"، أي: لا أدّعي

---

١ د: بهم.
٢ د: وقرينة.
٣ د: المتعد.
٤ د: المتوالية.
٥ د: الأميرين.
٦ ن: المرأة.
٧ د: جمعوا.
٨ د: جميع.
٩ د: الفضلاء.
١٠ د: اشتمالا.
١١ د: للدوائين.
١٢ د - قوله.
١٣ د: يستعيد.
١٤ د + في.
١٥ ر + ما.
١٦ د: يستفيد.
١٧ د: الاستبعاد.
١٨ د: والاستعالة.
١٩ ر: القسمة.
٢٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قسم».
٢١ د - قوله.
٢٢ د ن: وا.
٢٣ ر: وما.

الذين هم أشرفُ جنسٍ خَلَقَه الله وأَفضلُه وأقربُه منزلةً منه؛ أي: لم أَدَّعِ إلهيَّةً ولا مَلَكيَّة؛ لأنّه ليس بَعْد الإلهيَّة منزلةٌ أرفع من منزلة الملَكيَّة حتّى تستبْعِدُوا دَعْوايَ وتستنكرونها، وإنما أدَّعي ما كان مثلُه لكثيرٍ من البشر وهو النُّبوَّة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ مَثَلٌ للضالِّ والمهتدي، ويجوز أن يكون مَثَلًا لمَن اتَّبع ما يوحَى إليه ومَن لم يَتَّبِعْ، ....

ما يستبعد ولا أدعي أنّي مِن الملائكة؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ ولم يذكر القول قبل ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾؛ لأنّ[١] المجموع بمعنى "لا أدّعي الإلهيّة"، كما أشار بقوله: "أنّي" ثانيًا. وقوله: **(لأنّه)** تعليل المحذوف، فكأنّه قال: إنّما ذكر الملائكة بعد الإلهيّة؛ لأنّه ليس.[٢] والأولى أن يقال: إنّ قوله: "أنّي مِن الملائكة" عطف على قوله: "ملك"، لقوله: **(حتّى تستبعدوا)**، فإنّه لمّا جعل غاية ادّعاء الإلهيّة والملائكة الاستبعادَ عُلم أنّ دعوى[٣] الملكيّة[٤] ممّا استبعد فلا[٥] يكون عطفًا على ما استبعد؛[٦] بل[٧] على ما هو داخل في حيّزه.

قوله: **(ويجوز أن يكون مثلًا لمَن اتّبع ما يُوحى إليه)**... إلخ، بيَّن أوّلًا أنّ[٨] المراد[٩] بالأعمى الضالّ وبالبصير[١٠] المهتدي، ثمّ أشار إلى أنّ المراد بالضالّ مَن لم يتّبع وبالمهتدي مَن[١١] اتّبع، أو المراد بالضالّ مَن يدّعي المُحال وبالمهتدي مَن يدّعي المستقيم، فالمعنى الأوّل بالنظر إلى قوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾... إلى آخره، والمعنى الثاني بالنظر إلى المجموع، أي: مِن قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ﴾... إلى آخره.[١٢] ويظهر مِن هذا أن قوله: "ويجوز"... إلى آخره تتمّة لقوله: **(مَثَل للضالّ والمهتدي)** وليس بيانًا[١٣] إلى وجه آخر. ويحتمل أن يقال: "ويجوز" إشارة إلى وجه آخر لا مِن تتمّة الوجه الأوّل،

---

١ د ن: لا في.
٢ أي: إلى آخر كلامه.
٣ د ن ر: الدعوى.
٤ د ن ر: الملائكة.
٥ د: ولا.
٦ د: استبعديك.
٧ د - بل.
٨ د- أن.
٩ د: والمراد.
١٠ د: البصير.
١١ د: ثم؛ ر - أشار إلى أنّ المراد بالضال مِن لم يتبع وبالمهتدي من.
١٢ ر + والمعنى الثاني بالنظر.
١٣ د ن ر: بيان.

أو لمَن ادَّعى المستقيمَ وهو النبوَّةُ، والمحالَ وهو الإلهيَّةُ أو الملَكيَّةُ.

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فلا تكونوا ضالِّين أَشْبَاهَ العُميان، أو: فتعلموا أني ما ادَّعيتُ ما لا يليق بالبشر، أو: فتعلموا أن اتِّباع ما يوحَى إليَّ مما لا بدَّ لي منه.

فإن قلتَ: ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما محلُّه من الإعراب؟

قلتُ: النصبُ عطفًا على محلِّ قوله: ﴿عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنه من جملة القول؛ كأنه قال: لا أقول لكم هذا القولَ ولا هذا القولَ.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ الضميرُ راجعٌ إلى قوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾.

و﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟﴾ إمَّا قومٌ داخلون في الإسلام مُقِرُّون بالبعث إلَّا أنهم مفرِّطون في العمل، فيُنذرهم بما أُوحي إليه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: يدخلون

فيكون الوجه المذكور[1] ثلاثة. والدليل عليه أنّه ذكر لقوله: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ثلاثة أوجه، كلّ وجه متعلّق بوجه، لكنّ التقدير الأوّل أولى؛ بل هو متعيّن. وقولنا في **الحاشية**: إن قوله: "ويجوز" تتمّة، نعني[2] به أنّه تفصيل له وأنّ في[3] قوله: **(ولمَن ادّعى)** عطف على قوله: "لمَن اتّبع"، فيكون ذِكره لقوله: "مَثَل للضالّ والمهتدي" وجهين.

قوله: **(فلا تكونوا)** جواب الاستفهام.

قوله: **(ضالّين)** بدلالة قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.

قوله: **(ما لا يليق بالبَشر)**[4] بدلالة قوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾... إلخ.

قوله: **(فتعلموا أن اتّباع ما يوحى)**... إلخ، بدلالة قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾ [الشعراء ٢٦/١١٣].

---

[1] د: المذكورة.
[2] د ن ر: يعني.
[3] د ر - في.
[4] د: بالشر؛ ر: بالتشديد.

في زمرةِ أهل التَّقوى من المسلمين.

وإمَّا أهلُ الكتاب؛ لأنهم مقرُّون بالبعث.

وإما ناسٌ من المشركين عَلِم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديثِ البعث أن يكون حقًّا فيَهلِكوا، فهم ممن يُرجى أن يَنْجَعَ فيهم الإنذارُ دون المتمرِّدين منهم، فأُمر أن يُنذِرَ هؤلاء.

وقوله: ﴿لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ﴾ في موضعِ الحال من ﴿يُحۡشَرُوٓاْ﴾ بمعنى: يخافون أن يحشروا غيرَ منصورين ولا مشفوعًا لهم، ولا بدَّ من هذه الحال؛ لأن كلًّا محشورٌ، فالمخُوفُ إنما هو الحشر على هذه الحال.

﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾

ذكر غيرَ المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتَّقوا، ثم أَردفهم ذِكرَ المتقين منهم وأمره بتقريبهم وإكرامهم، وأن لا يُطيع فيهم مَن أرادَ بهم خلافَ ذلك، وأَثْنَى عليهم بأنهم يواصلون دُعاءَ ربهم؛ أي: عبادتَه، ويواظبون عليها.

قوله: **(أن يكون حقًّا)** هو مفعول **(يخافون)** أي: يخافون كونَ الحشر حقًّا. وأمّا على الوجهين الأوّلين فالمعنى على ظاهره، أي: يخافون الحشرَ.[١]

قوله: **(أن ينجَع)** نجع الطعام ينجَع نُجوعًا، أي: هَنَأ آكله. ونجع فيه الخطاب[٢] والوعظ والدواء، أي: دخل وأثّر.[٣]

قوله: **(ولا بدّ)**... إلخ، وذلك لأنّ الخوف إنّما يكون مِن توقُّع مكروه لا يقطع بوقوعه، ولذلك قالوا: في الخوف طَرَفٌ مِن الظنّ.[٤]

قوله: **(خلاف ذلك)** أي: التقريب والإكرام.

---

١ ر – حقًّا وأمّا على الوجهين الأوّلين فالمعنى على ظاهره، أي: يخافون الحشر.

٢ ن: الخِصاب؛ د ر: الخضاب. | وأثبتُّ ما في مطبوع الصحاح.

٣ مِن قوله: "نجع الطعام" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «نجع».

٤ د: الطعن.

والمراد بذكر الغَداةِ والعَشيِّ: الدوامُ، وقيل: معناه: يصلُّون صلاة الصبح والعصر.

ووسَمَهم بالإخلاص في عبادَتهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ والوجهُ يُعبَّر به عن ذات الشيء وحقيقتِه.

رُوي: أن رؤوسًا من المشركين قالوا لرسول الله: "لو طردتَ عنَّا هؤلاء الأَعْبُدَ" يعنون: فقراءَ المسلمين، وهم عمارٌ وصُهيبٌ وخَبَّابٌ وسلمانُ وأضْرابُهم "وأرْواحَ جِبَابِهم" وكانت عليهم جِبَابٌ من صوفٍ "جَلسنا إليك وحادثناك"، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما أنا بطاردِ المؤمنين»، فقالوا: "فأَقِمْهم عَنَّا إذا جئنا فإذا قُمْنَا فأَقْعِدهم معك إن شئت"، قال: «نعم» طمعًا في إيمانهم.

وروي: أن عمر رضي الله عنه قال له: لو فعلتَ حتى ننظُرَ إلى ماذا يصيرون؟ قالوا: "فاكتُبْ بذلك كتابًا" فدعا بالصَّحيفة وَبعليٍّ ليكتب، فنزلت، فرَمى بالصَّحيفة واعتذر عمرُ من مقالته.

قال سلمانُ وخَبَّابٌ وصُهيبٌ: فينا نزلت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقعد معنا ونَدْنو منه حتى تَمَسَّ رُكَبُنَا ركبتَه، وكان يقوم عَنَّا إذا أرَاد القيام، فنزلت: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ فترك القيام عَنَّا إلى أن نقوم عنه، وقال: «الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أمرني أن أصبرَ نفسي مع قوم من أمَّتي، معكم المَحْيَا ومعكم المماتُ».

﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ كقوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾ [الشعراء ١١٣/٢٦]،

قوله: (﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ [الشعراء ١١٣/٢٦]) قال صاحب المفتاح في قوله تعالى:[١] ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾: «معناه: حسابهم مقصور على الاتصاف بـ"على ربي" لا يتجاوزه بأن يتّصف بـ"عليّ"».[٢]

---

[١] ر - (﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾) قال صاحب المفتاح في قوله تعالى.

[٢] مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٠١.

وذلك أنّهم طعنوا في دِينهم وإخلاصهم فقال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ بعد شَهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم، على معنى: وإِنْ كان الأمرُ على ما يقولون عند الله فما يلزمُك إلا اعتبارُ الظاهِر والاتِّسامُ بسيرة المتقين، وإن كان لهم باطِنٌ غيرُ مرضيّ فحسابُهم عليهم لازمٌ لهم لا يتعدَّاهم إليك كما أنَّ حسابك عليك لا يتعدَّاك إليهم؛ كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام ١٦٤/٦].

فإن قلتَ: أمَا كفى قولُه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ حتى ضمَّ إليه

قوله: **(أنّهم)** المشركون.[١] وقوله:[٢] **(في دينهم)** أي: المؤمنين الخلّص، وهم أصحاب الصفّة. وقوله:[٣] **(شهادتِه)** أي: الله تعالى. وقوله: **(الأمر)** أي: أمر المؤمنين وهم فقراء المسلمين. وقوله: **(على ما يقولون)** أي: على الوجه الذي يدّعونه مِن عدم الإخلاص.

قوله: **(فحسابهم[٤] عليهم لازمٌ لهم)** اعلم أنّ قوله تعالى في موضع آخر ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء ١١٣/٢٦] يدلّ على أنّ المعنى ههنا[٥] "فحسابهم عليّ[٦] لازمٌ لا يتعدّاني إليك، كما أنّ حسابك أيضًا عليّ لا يتعدّاني[٧] عليهم، والمعنى "إذا كان حسابهم وحسابك عليّ فكيف تطردهم"، ويؤيّده أنّ المصنِّف بيّنه[٨] قوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾. وإذا تأمّلت ظهر لك أن كلام المصنِّف أوّلًا ينافي كلامه آخرًا، ثمّ إنّ هذا السؤال والجواب اللذين أوردهما مبنيّان على تفسيره، وأمّا على التفسير الذي أشرنا إليه فالوجه أن يقال: لمّا منعه عن البحث عن أمر باطنهم وسريرتهم بقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أكّد الرد والمنع بقوله: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، فكأنّه تعالى قال والله أعلم: ونحن أيضًا نُحاسبك كما نحاسبهم. ويجوز أن يكون ذِكره للاستطراد، والله أعلم، ونسأل منه تعالى العصمة عن الخطأ والتوفيق للسداد.

---

[١] د: المشركين.
[٢] د: قوله.
[٣] ر: قوله.
[٤] ن: فحسابه.
[٥] ر: هنا.
[٦] د: عليهم.
[٧] د ر: يبعُدُ أني.
[٨] د ر: شبّه.

﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾؟

قلتُ: قد جُعلت الجملتان بمنزلةِ جملةٍ واحدة وقُصد بهما مُؤدًّى واحدٌ، وهو المعنيُّ في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ولا يستقلُّ بهذا المعنى إلّا الجملتان جميعًا؛ كأنَّه قيل: لا تؤاخَذُ أنت ولا هم بحساب صاحبه.

وقيل: الضمير للمشركين، والمعنى: لا يؤاخَذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يُهِمَّك إيمانُهم ويَجرَّك الحرصُ عليه إلى أن تطرُد المؤمنين.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جواب النهي، ويجوز أن يكون عطفًا على ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ على وجه التسبيب؛ لأن كونه ظالمًا مسبَّبٌ عن طردهم.

وقرئ: ﴿بالغُدْوةِ والعَشِيِّ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: ومِثْلَ ذلك الفَتْنِ العظيم فتنَّا بعضَ الناس ببعضٍ؛ أي: ابتليناهم بهم، وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الذين ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾؛ أي: أنْعَمَ عليهم بالتوفيق لإصابة الحقِّ ولِمَا يُسعِدهم عنده من دوننا، ونحن المقدَّمون والرؤساء وهم العَبِيدُ والفقراء، إنكارًا؛ لأنْ يكون أمثالُهم على الحقِّ ومَمْنُونًا عليهم من بينهم بالخير، ونحوُه: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [القمر ٥٤/٢٥] ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ٤٦/١١].

ومعنى فتنَّاهم ليَقولوا ذلك: خذَلْناهم فافتَتَنُوا حتى كان افتتانُهم سببًا لهذا القول؛ لأنه لا يقول مثلَ قولهم هذا إلا مخذولٌ مفتون.

قوله: **(وقيل: الضمير)** عطف على قوله: **(وذلك أنّهم)**... إلخ.

قوله: **(جواب النهي)** ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ﴾.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: الله أعلم بمَن يقع منه الإيمانُ والشكرُ فيُوفِّقُه للإيمان، وبمن يُصَمِّم على كفره فيَخْذُله ويَمنَعُه التوفيق.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ إما أن يكون أمرًا بتبليغ سلام الله إليهم، وإما أن يكون أمرًا بأَنْ يَبْدأهم بالسلام إكرامًا لهم وتطييبًا لقلوبهم، وكذلك قوله: ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ من جملةِ ما يقول لهم ليَسُرَّهم ويُبشِّرَهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبةَ منهم.

وقرئ: ﴿إنه... فإنه﴾ بالكسر على الاستئناف؛ كأنَّ الرحمةَ استُفسِرَتْ فقيل: ﴿إنه من عَمِلَ منكم﴾ وبالفتح على الإبدال من الرحمة.

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ في موضعِ الحال؛ أي: عَمِله وهو جاهل، وفيه معنيان:

أحدهما: أنه فاعلٌ فعلَ الجهَلة؛ لأن مَن عَمِل ما يؤدِّي إلى الضرر في العَاقبة وهو عالمٌ بذلك أو ظانٌّ فهو من أهل السَّفَه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير، ومنه قولُ الشاعر:

قوله: (**وقُرئ**: ﴿**إنّه مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ**﴾) أي: بكسر "إنّ"[١] وفتحها،[٢] فمَن قرأ ﴿إنَّهُ﴾ بالكسر[٣] فهو (**على الاستئناف**)، ومَن قرأ ﴿أَنَّهُۥ﴾ بالفتح[٤] فهو (**على**[٥] **الإبدال مِن** ﴿**ٱلرَّحْمَةَ**﴾).

قوله: (**كأنّ الرحمة**) جملة مستأنفة لبيان الاستئناف.

قوله: (**بذلك**) أي: بإدنائه إلى الضرر.

---

١ قرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٥٨.

٢ د ر: وبفتحها. | قرأ بالفتح نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٥٨.

٣ ن ر: بالفتح.

٤ ر: بالكسر.

٥ د - الاستئناف) ومَن قرأ "أنّه" بالفتح فهو (على.

علـى أنـهـا قـالَـتْ عَـشِـيَّـةَ زرتُـهـا   جَهِلتَ على عَمْدٍ ولم تكُ جاهلًا

والثاني: أنه جاهلٌ بما يتعلَّق به من المكروه والمضَرَّة، ومن حقِّ الحكيم أن لا يُقْدِمَ على شيءٍ حتى يَعلَمَ حالَه وكيفيتَه.

وقيل: إنها نزلت في عُمر حين أشارَ بإِجَابةِ الكَفَرةِ إلى ما سألوا ولم يَعلم أنها مَفسدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قرئ ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء والياء مع رفع "السبيل"؛ لأنها تُذكَّر وتؤنَّث، وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب "السَّبيل"، يقال: استبان الأمرُ وتبيَّن، واستَبَنْتُه وتَبيَّنْتُه.

قوله:

(علـى أنـهـا قـالـتْ)[1] البيت

(جهلتَ):[2] سفهت، أي: ما تدبرت العاقبة بهذه الزورة، كأنَّها خافت مِن قومها حين زارها / أن يعلموا به ويقتلوه، فلامته على ذلك ونسبته إلى الجهل. [٣٥٥ظ]
وقريب مِن معنى البيت قول الآخر:

فـمـا لـك والـتـلـدُّدَ[3] حـول نـجدٍ   وقـد غـصَّـت[4] تِـهـامـةُ بـالـرجـال[5]

قوله: (**﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ بالتاء والياء**)... إلخ. قوله: "بالتاء والياء" مع رفع "السبيل" ونصبها جميعًا مِن السبعة.[6]

---

١ ما وقفتُ عليه بهذه الرواية. على أنَّ الزمخشري أنشد في **أساس البلاغة**، «نبت» بيتًا قريبًا منه للنمر بن تولب، وهو:
علـى أنَّـهـا قـالـت عـشـيَّـةَ زرتـهـا
هُبلتَ ألم ينبت لهذا حلمه بعدي
وهو في **ديوان النمر بن تولب**، ص ٥١.

٢ د ن ر: جملته.

٣ ر: بالتلذذ.

٤ د: غضت.

٥ البيت لمسكين الدارمي في **ديوانه**، ص ٦٦، والرِّواية فيه:
أتـوعـدنـي وأنـت بـذات عِـرق
وقـد غـصَّـت تـهـامـةُ بـالـرجـالِ
وهو له بالرِّواية ههنا في **كتاب سيبويه**، ٣٠٨/١؛ وبلا عزو في **المفصَّل** للزمخشري، ص ٨٤.

٦ انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٥٨.

والمعنى: ومثلَ ذلك التفصيلِ البيّن نُفَصِّلُ آياتِ القرآن ونُلخِّصُها في صفةِ أحوال المجرمين: مَن هو مطبوعٌ على قلبه لا يُرجى إسلامُه، ومَن تُرى فيه أمارةُ القبول وهو الذي يَخاف إذا سمع ذكرَ القيامة، ومَن دخل في الإسلام إلّا أنه لا يحفَظُ حدودَه، ولِتَسْتَوْضِحَ سبيلَهم فتُعامِلَ كلًّا منهم بما يجب أن يُعامَلَ به فصَّلنا ذلك التفصيلَ.

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾

﴿نُهِيتُ﴾: صُرِفْتُ وزُجِرْتُ بما رُكِّبَ فيَّ من أدلةِ العقل، وبما أوتيتُ من أدلةِ السَّمع، عن عبادةِ ما تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وفيه استجهالٌ لهم ووصفٌ بالاقتحام فيما كانوا فيه على غيرِ بَصيرةٍ.

﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾؛ أي: لا أجري في طريقتِكم التي سلَكْتُموها في دينكم من اتِّباع الهوى دونَ اتِّباع الدليل، وهو بيانٌ للسبب الذي منه وقَعُوا في الضَّلال، وتنبيهٌ لكلِّ مَن أراد إصابةَ الحقِّ ومجانَبةَ الباطل.

﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾؛ أي: إن اتبعتُ أهواءكم فأنا ضالٌّ وما أنا من الهدى في شيء، يعني أنكم كذلك.

﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧ قُل لَّوۡ أَنَّ عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨﴾

قوله: (مَن هو مطبوع)[1] متعلِّق بمحذوف، أي: "ليُعلم[2] مَن هو". فقوله: "مَن هو" إلى قوله: (حدوده) مِن تتمّة تفسير قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، ثمّ شرع في تفسير قوله: ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ﴾ فأشار إلى أنّ متعلّق اللام محذوف.

قوله: (بالاقتحام) بالوقوع في الشدائد.

---

[1] ن ر: متطوع.

[2] د - أي: ليعلم.

ولمَّا نَفى أن يكون الهوى مُتَّبعًا نبَّه على ما يجب اتِّباعُه بقوله: ﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾.

ومعنى قوله: ﴿إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ﴾: إني من مَعْرِفَةِ رِبِّي وأنَّه لا معبودَ سواه على حجَّةٍ واضحةٍ وشاهدِ صدقٍ ﴿وَكَذَّبۡتُم بِهِۦ﴾ أنتم حيث أشركتُم به غيرَه، ويقال: "أنا على بيِّنةٍ من هذا الأمرِ" و"أنا على يقين منه" إذا كان ثابتًا عندك بدليلٍ.

ثمّ عقَّبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدةِ غضبه عليهم لذلك، وأنهم أَحِقَّاءُ بأن يُغافَصُوا بالعذاب المستأصِل فقال: ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾

قوله تعالى: (﴿قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾) ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ خبر "إنَّ"، و﴿مِّن رَّبِّي﴾ حال مِن الضمير[١] المستتر في الخبر، و﴿مِن﴾ فيه للابتداء، أي: إنِّي مستقرّ على بيّنة مبتدئًا مِن معرفة ربي ومعرفة وحدانيته وأنّه لا شريكَ له في العبادة.

قوله: (ثمّ عقّبه)، يعني أنّ تكذيبهم بالاستعجال بنزول عذاب الله تعالى؛ لأنّ تكذيبهم أمر عظيم فظيع يُوجِب نزول عذاب الله تعالى،[٢] ويجعلهم أحقّاء بمفاجأتهم[٣] عذاب الله تعالى، فكأنّهم بالتكذيب مستعجلون عذاب الله تعالى. والضمير مِن قوله: "عقبه" عائد إلى "التنبيه"[٤] لدلالة "نبّه"[٥] عليه، أي: عقّب التنبيه على ما يجب اتباعه بقوله:[٦] ﴿مَا عِندِي مَا تَسۡتَعۡجِلُونَ بِهِۦٓ﴾. وفيه إشارة إلى استعظام التكذيب، والمعنى المطابق لكلام المصنِّف أنكم بهذا التكذيب تستحقُّون معافصة[٧] العقاب[٨] الذي استعجلتموه بقولكم: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال ٣٢/٨].

قوله: (**بأن يُغافصوا**)[٩] المغافصة:[١٠] الأخذ على غِرّة.[١١]

---

١ د: ضمير.
٢ د - تعالى.
٣ ر: بمعاجلتهم.
٤ د: المشبه.
٥ د: بينه.
٦ د: قوله.
٧ د ن: معافضة.
٨ ر: العذاب.
٩ د ن: تغافضوا.
١٠ د ن: المغافضة.
١١ د ن ر: غيره. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «غفص».

يعني: العذابَ الذي استعجلوه في قولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال ٨/٣٢].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ في تأخير عذابكم ﴿يقضِ الحق﴾؛ أي: القضاءَ الحقَّ في كلِّ ما يقضِي من التأخير والتعجيل في أقسامه.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؛ أي: القاضين.

وقُرئ: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: يتَّبع الحق والحكمةَ فيما يَحكم به ويقدِّرُه، من "قَصَّ أثرَه".

﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾؛ أي: في قُدرتي وإمكاني ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾: لأَهْلكتُكم عاجلًا غَضَبًا لربي وامتعاضًا من تكذيبكم به، ولتخَلَّصتُ منكم سريعًا.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وبما يجب في الحكمة من كُنْهِ عقَابهم.

وقيل: ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾: على حُجَّةٍ من جهةِ ربي وهي القرآن ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾؛ أي: بالبيِّنة، وذُكِّر الضمير على تأويل البيان أو القرآن.

فإن قلتَ: بمَ انتَصب الحق؟

قلتُ: بأنه صفةٌ لمصدرِ ﴿يقضِ﴾؛ أي: يقضي القضاء الحقَّ، ويجوز أن يكون مفعولًا به من قولهم: "قضَى الدِّرعَ": إذا صنعها؛ أي: يصنعُ الحقَّ ويُدبِّره.

وفي قراءة عبد الله: "يقضي بالحقِّ".

فإن قلتَ: لم أُسقِطَت الياء في الخط؟

قلتُ: إتْباعًا للخطِّ اللفظَ، وسقوطُها في اللفظ لالتقاء الساكنين.

قوله:[١] **(وامتعاضًا)**[٢] «امتعضتُ منه إذا غضبتَ وشقَّ عليك».[٣]

قوله: **(إذا صنعها)** وقد جاء في قول الشاعر "قضَى" بمعنى "صنع"، قال:

---

[١] د – قوله.
[٢] د + به.
[٣] الصحاح للجوهري، «معض».

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

جعَل للغيب مَفاتِحَ على طريق الاستعارة؛ لأنّ المفاتحَ يُتوصَّل بها إلى ما في المخازن المُسْتَوْثَق منها بالأَغْلاق والأقفال، ومَن عَلِم مفاتِحَها وكيف تُفتَح توَصَّل إليها، فأراد: أنه هو المتوصِّل إلى المغيَّبات وحده لا يتوصَّل إليها غيرُه، كمَن عنده مفاتحُ أقفالِ المخازن ويَعلَمُ فتحها، فهو المتوصِّل إلى ما في المخازن.

وعليهما مسرودتان قضاهما[1] داودُ أو صنع السوابغَ تُبَّعُ[2]

قوله: **(لأنّ المفاتح)** بيان كيفيّة الاستعارة، فنقول: شبّه كونه متوصِّلًا إلى المغيَّبات بكون مفتاح[3] المخازن عند شخص يقدر عند فتحها،[4] ثمّ ذُكر المشبّه به[5] وأريدَ المشبه،[6] وأضيف المفاتح[7] ليكون قرينة الاستعارة، ثم أشار المصنِّف إلى أصل الكلام وحقيقته بقوله: **(فأراد)**... إلخ، عطفًا على **(جعل)** فإنّ الاستعارة فرع التشبيه، فتأمّل. وقوله: **(ويعلم)** عطف على[8] **(عنده)**، لأنّ تقديره:[9] يثبت عنده. وقوله: **(فهو)**... إلخ، مسبَّب عمّا قبله. وقوله: **(بالأغلاق)** الغَلَق بالتحريك المِغلاق، وهو: ما يُغلَق به الباب.[10]

قوله: **(ومَن عَلِم مفاتحها)** إن جعل "مَن" موصولة جاز أن يكون عطفًا على "المفاتح"،[11] لكنّ جَعْله موصولًا ضعيفٌ؛ لأنّه يفوِّت الإبهام المراد ههنا.

---

[1] د + كونه متوصلًا إلى المغيبات أبي.

[2] البيت لأبي ذؤيب الهذلي في **شرح ديوان الهذليين** للسكّري، ٣٩/١، وفيه «ماذيّتان» مكان «مسرودتان»؛ و**المفضّليّات** للضبّي، ص ٤٢٨؛ و**الصحاح** للجوهري، «صنع». وفي **شرح ديوان الهذليين**: السرد: النظم، وإنّما قيل للدرع: مسرودة؛ لأنّها منظومة. وقضاهما: فرغ من عملهما. والصَّنَع: الحاذق بالعمل. وسمع بأنّ داود سُخّر له الحديد فكان يصنع منه ما أراد، وسمع بأنّ تُبّعًا عملهما، فقال: عملهما تُبّع، وظنّ أنّه عملها، وإنّما أمر بها تُعمل، وكان تُبّع أعظم شأنًا من أن يصنع بيده. وفي **الصحاح** للجوهري، «تبع»: والتبابعة: ملوك اليمن، واحدها تُبّع.

[3] ر: مفاتح.

[4] د: فسخها.

[5] د ر - به.

[6] د - المشبه؛ ر + به.

[7] د ر: الفاتح.

[8] د ر: إلى.

[9] د: تقريره.

[10] انظر: **الصحاح** للجوهري، «غلق».

[11] ر: الفاتح.

والمفاتِح: جمعُ "مِفتَحٍ" وهو المفتاحُ، وقرئ: "مفاتيح".

وقيل: هي جمع مَفتح بفتح الميم، وهو المَخْزَنُ.

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطفٌ على ﴿وَرَقَةٍ﴾ وداخلٌ في حُكمها؛ كأنه قيل: وما يَسقط من شيء من هذه الأشياء إلّا يعلمه.

وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ كالتكرير لقوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾؛ لأن معنى ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ومعنى ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ واحدٌ.

والكتاب المبين: علمُ الله تعالى أو اللوحُ، وقرئ: "ولا حبةٌ.. ولا رطبٌ ولا يابسٌ" بالرفع، وفيه وجهان: أن يكون عطفًا على محلِّ ﴿مِن وَرَقَةٍ﴾، وأن يكون رفعًا على الابتداء وخبرُه ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾؛ كقولك: لا رجلَ منهم ولا امرأةٌ إلا في الدار.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ والخطابُ للكفرة؛ أي: أنتم مُنْسَدِحُون الليلَ كلَّه كالجِيَف.

فـ"مَن" شرطية ويكون عطفًا مِن حيث المعنى على قوله: "المفاتح"، وإن كان لـ"مَن" الشرطية صدرُ الكلام، لأنّه يجوز تقديرًا[1] ما لا يجوز مصرَّحًا به.

قوله: **(منسدِحون)**،[2] أي: مستقبِلون. السدح:[3] الصرع بطحًا على الوجه أو إلقاءً[4] على الظهر، تقول: سدحتُه[5] فانسدح.[6]

قوله: **(كالجِيَف)**[7] الجِيَف جمع جِيفة، وهي بدنٌ[8] لا[9] روحَ.[10]

١ ن: تقدير.

٢ د ن ر: منسرحون.

٣ د ن ر: السرح.

٤ د: البقاء.

٥ د: شدحته.

٦ مِن قوله: "السدح" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «سدح».

٧ د: كما يجيف.

٨ ر: البدن.

٩ د - لا.

١٠ د: الأرواح.

﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: ما كسبتم من الآثام فيه.

﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾: ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتُم به أعماركم من النوم بالليل وكسبِ الآثام بالنهار ومن أَجْله؛ كقولك: فيمَ دعَوْتَني؟ فيقول: في أمر كذا.

﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ وهو الأجَلُ الذي سمَّاه وضَربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم.

﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ وهو المرجعُ إلى موقفِ الحساب ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ في ليلكم ونهاركم.

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ٦١﴾

﴿حَفَظَةً﴾: ملائكةً حافظين لأعمالكم، وهم الكرامُ الكاتبون.

وعن أبي حاتمٍ السِّجِسْتانيِّ أنه كان يكتُب عن الأَصْمعي كلَّ شيءٍ يَلفِظُ به من فوائد العلم، حتّى قال فيه: أنت شبيهُ الحفَظة، تكتبُ لَفْظَ اللَّفَظَة، فقال أبو حاتمٍ: وهذا أيضًا مما يُكتب.

قوله: (ذلك الذي)... إلخ، فقوله تعالى: ﴿فِيهِ﴾ جارٍ مجرى اسم الإشارة؛ لأنّ حقّه في ذلك مسمّى إلّا أن يقدَّر مضاف، أي: "إلّا لقضاء[١] أحوال أو[٢] أمور[٣] أجلٍ مسمّى". وفي أكثر التفاسير: ﴿يَبۡعَثُكُمۡ﴾ يوقظكم فيه، أي: في النهار ليُقضي أجل مسمّى، أي: مدّة الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بعد الممات. ومعنى ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ على ما ذَكَره المصنِّف[٤] ظاهرٌ، إذ هو لتراخي الزمان، وأما على ما[٥] ذَكَره غيره -على ما بيَّنا- فلتراخي الرتبة وهو تعظيم أمر البعث.

قوله: (حتّى قال فيه) أي: قال الأصمعي في شأن أبي حاتم.

---

١ د: القضاء.
٢ د - أو.
٣ د: وأمور.
٤ ر + جائز.
٥ د - ما.

فإن قلتَ: الله تعالى غنيٌّ بعلمه عن كتبةِ الملائكة فما فائدتُها؟

قلتُ: فيها لطفٌ للعباد؛ لأنهم إذا علِموا أن الله رقيبٌ عليهم والملائكةَ الذين هم أشرفُ خلقه موكَّلون بهم يحفظون عليهم أعمالَهم ويكتبونها في صحائفَ تُعرض على رؤوس الأَشْهاد في مواقفِ القيامة كان ذلك أزجرَ لهم عن القبيح وأبعدَ عن السوءِ.

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي: استوفَتْ روحَه وهم ملكُ الموت وأعْوانهُ.

وعن مجاهد: جُعلت الأرض له مثلَ الطَّسْت يتناولُ مَن يتناولُه، وما من أهلِ بيتٍ إلَّا ويطوفُ عليهم في كلِّ يومٍ مرَّتين.

وقرئ: ﴿توفَّاه﴾ ويجوز أن يكون ماضيًا، ومضارعًا بمعنى: يتوفَّاه.

و﴿يُفَرِّطُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف، فالتفريطُ: التَّواني والتأخيرُ عن الحدِّ، والإفراطُ: مجاوزةُ الحدِّ؛ أي: لا يُنقِصون ممَّا أُمروا به أو لا يزيدون فيه.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: إلى حُكمِه وجزائهِ ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: مالكُهم الذي يَلي عليهم أمورَهم ﴿ٱلْحَقِّ﴾: العدل الذي لا يَحكم إلا بالحق.

﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يومئذ، لا حكمَ فيه لغيره ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ لا يَشغَلُه حسابٌ عن حسابٍ.

قوله: **(على رءوس الأشهاد)** «شهد له بكذا شهادةً، أي: أدّى ما عنده مِن الشهادة، فهو شاهد، والجمع شَهْد، مثل "صاحب وصَحْب" و"سافر وسَفْر"، وبعضُهم يُنكره. وجمع "الشَّهْد" شهود وأشهاد. والشهيد: الشاهد، والجمع الشهداء».[1]

قوله: **(مَن يتناوله)** مفعول **(يتناول)**.

---

[1] الصحاح للجوهري، «شهد».

وقرئ: "الحقَّ" بالنصب على المدح؛ كقولك: الحمدُ لله الحقَّ.

﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ مجازٌ عن مخاوفهما وأهوالهما، يقال لليوم الشديد: "يومٌ مظلمٌ" و"يومٌ باردٌ" و"يومٌ ذو كواكبَ"؛ أي: اشتدَّت ظلمتُه حتَّى عاد كالليل.

ويجوز أن يراد: ما يُشْفُونَ عليه من الخَسفِ في البرِّ والغَرَقِ في البحر بذنوبهم، فإذا دَعوا وتضرَّعوا كشَفَ الله عنهم الخَسْفَ والغرقَ فنجَوا من ظلماتهما.

﴿لئن أنجيتنا﴾ على إرادةِ القول ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: من هذه الظُّلمةِ والشدَّة.

وقرئ ﴿يُنَجِّيكُم﴾ بالتشديد والتخفيف، و: ﴿أَنجَىٰنَا﴾، و: ﴿خُفْيَةً﴾ بالضم والكسر.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾: هو الذي عرَفْتُموه قادرًا، وهو الكاملُ القدرةِ.

﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ كما أَمْطرَ على قومِ لوطٍ وعلى أصحابِ الفيل الحجَارةَ،

قوله: (**يُشفُون**) أشفى[١] على الشيء: أشرف عليه.

قوله: (**على إرادة القول**) أي: على إضمار القول، أي: يقولون: إن أنجيتنا.

قوله: (**﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾**) حرف التعريف في قوله: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾ يُشعِر بكمال قدرته؛ لأنّه أمارة تخصيص القدرة به، كأنّه[٢] يقول: أيّها المخاطَب إن كنتَ تعرف قادرًا فذاكَ هو هو[٣] لا غيرُ، وهو إمّا للعهد أو للجنس، وقد فسَّر[٤] بهما.[٥]

قوله: (**كما أمطر**) "ما" في قوله: "كما"[٦] مصدريّة، ولمّا كان[٧] معنى الإمطار والإرسال والإغراق قريبًا مِن البعث؛ لأن هذه الأشياء بيانٌ وتفصيل[٨] للبعث

---

[١] د: الشفي.
[٢] د: كما.
[٣] ن - هو.
[٤] د: فسرتهما.
[٥] د - بهما.
[٦] ر: ما.
[٧] د ر + في.
[٨] د: والتفضيلي.

وأرسل على قوم نوحٍ الطُّوفانَ.

﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كما أغرق فرعونَ وخَسف بقارون.

وقيل: ﴿مِن فَوْقِكُمْ﴾: من قِبَلِ أكابركم وسلاطينكم، ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: من قِبَلِ سَفِلتكم وعبيدكم. وقيل: هو حَبْس المطر والنَّبات.

﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: أو يَخلِطكم فِرَقًا مُختلفين على أهواءٍ شتَّى كلُّ فرقةٍ منكم مُشايِعَةٌ لإمام، ومعنى خَلْطِهم: أن يُنشِبَ القتالَ بينهم فيختلِطوا ويشتبكوا في ملاحم القِتال، من قوله:

وكـتـيـبَـةٍ لَـبَّـسـتُـهـا بكـتـيبةٍ حتـى إذا الْتبسَـتْ نَفَضـتُ لهـا يَـدي

قال المصنِّف: "كما أمطر" إلخ، فكأنَّه قال: يبعث عليكم بعثًا مثل ذلك الإمطار والإرسال والإغراق.

قوله: (مِن قِبَل أكابركم) أي: يسلِّط[١] عليكم أكابركم وسلاطينكم، أن:[٢] يعذبوكم.

قوله: (أن ينشب) نشِب الشيء في الشيء نشوبًا: علِق به، وأنشبتُه أنا،[٣] أي: أعلقته.[٤] ويقال: نشبت الحرب بينهم.[٥]

قوله: (في ملاحم القتال) بينهم، أي: اختلط واشتبك.

قوله: (وكتيبةٍ)[٦] البيت، أي: ربّ كتيبةٍ، أي: جيش. خلطها بكتيبة أخرى فلمّا[٧] اختلطت نفضتُ يدي منها،[٨] وخلّيتهم وشأنهم. الشاعر يتبجح بأنّه مِهياج شرّ جمّاع بين كتائب شتى[٩] تتقابل[١٠] مِن دونه، ثمّ يخرج مِن بينهم غير مبالٍ بما يجرون إليه. و"الكتيبة" مِن "كتبتُ الشيء:"[١١] جمعتُه، فهو "فعيل" بمعنى "مفعول"

---

١ ر: ليسلط.
٢ ر: أي.
٣ د: إلي.
٤ د ن: أغلقته.
٥ مِن قوله: "نشِب" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «شهد».
٦ البيت للفرّار السُّلمي في الحيوان للجاحظ، ١٨٥/٥؛ وشرح الحماسة للمرزوقي، ١٩١/١؛ وبلا عزو في غريب الحديث للخطابي، ٥٩٢/١.
٧ ر: فما.
٨ د - منها.
٩ د - شتى.
١٠ د: مقابل.
١١ د ن ر: الشمس.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سألتُ اللهَ أنْ لا يبعثَ على أمَّتي عذابًا من فوقهم أو مِن تحت أرجُلِهم فأعْطاني ذلك، وسألتُه أنْ لا يجعلَ بأسَهم بينهم فمنَعني، وأخبرني جبريل أنَّ فَناءَ أمتي بالسيف».

وعن جابر بن عبد الله: لمَّا نزل ﴿مِن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعوذُ بوجهكَ» فلمَّا نزل: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قال: «هاتان أهونُ».

ومعنى الآية: الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

والضميرُ في قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ راجعٌ إلى العذاب ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي: لا بدَّ أن ينزل بهم ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظٍ وُكِلَ إليَّ أمرُكم أمنعُكم من التكذيب إجبارًا، إنما أنا منذر.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: لكلِّ شيء يُنْبأُ به، يعني: إنْباءَهم بأنهم يُعذَّبون وإيعادَهم به ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقتُ استقرارٍ وحصولٍ لا بدَّ منه.

وقيل: الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للقرآن.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: في الاستهزاء بها والطَّعْنِ فيها، وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك.

ألحق بها الهاء؛ لأنه جُعل اسمًا كالحقيقة. وأصل النَّفْض الإلقاء والإماطة، وتوسعوا فيها فقيل: "نفضتُ اليد مِن فلان ولفلان" إذا وكلتَه إلى نفسه يائسًا مِن رجعته. وفي ضدّه "قبضتُ عليه / يدي" وجمعتُ عليه كفّي. [٣٥٦و]

قوله: (﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾) المراد بالنبأ المنبأ به.

﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾: فلا تجالِسْهم وقُمْ عنهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ فلا بأس أن تُجالسَهم حينئذ.

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: وإنْ شغلك بوَسْوسته حتى تنسَى النهيَ عن مجالَستِهم ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ﴾ معهم ﴿بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: بعد أن تَذْكُر النهي.

وقرئ: ﴿يُنَسِّيَنَّك﴾ بالتشديد.

ويجوز أن يراد: وإن كان الشيطان يُنسِيكَ قبل النهي قبحَ مجالسة المستهزئين؛ لأنها مما تُنْكره العقولُ ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: بعد أن ذَكَّرْناكَ قُبحَها ونَبَّهناك عليه معهم.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٦٩﴾

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾: وما يلزمُ المتقين الذين يجالسونهم شيءٌ مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم أن يذكِّروهم ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ إذا سمعوهم يخوضون، بالقيام عنهم، وإظهارِ الكراهة لهم، وموعظتِهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾: لعلّهم يجتنبون الخوضَ حياءً، أو كراهةً لِمَساءَتهم.

ويجوز أن يكون الضمير لـ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾؛ أي: يذكرونهم إرادةَ أن يَثْبُتوا على تقواهم ويزدادوها.

قوله: (لمساءتهم) مصدر، أي: الذين يتّقون. ساءه[1] يسوءه[2] مساءةً،[3] وإضافة "المساءة" إلى المفعول وهم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أو إلى[4] الفاعل، أي: لمساءتهم إيّاهم. والأوّل أظهرُ.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) عطف على قوله: (لعلّهم يجتنبون)، يعني أنّ الضمير على الوجه الأوّل في ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ كان عائدًا إلى ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ﴾، وكان المعنى "لعلّ الخائضين يجتنبون الخوض ويتركون الخوض"،

---

١ د ر: ساءة.
٢ د ر: بسوءة.
٣ د ر: ومساءة.
٤ ن: وإلى.

ورُوي: أن المسلمين قالوا: لئن كنَّا نقومُ كلما استهزؤا بالقرآن لم نَستطعْ أن نجلسَ في المسجد الحرام وأن نطوف، فرُخِّصَ لهم.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿ذِكۡرَىٰ﴾؟

قلتُ: يجوز أن يكون نصبًا على: "ولكن يذكِّرونهم ذكرى"؛ أي: تذكيرًا، أو رفعًا على: "ولكن عليهم ذكرى"، ولا يجوز أن يكون عطفًا على محلِّ ﴿مِن شَيۡءٍ﴾ كقولك: "ما في الدار من أحدٍ ولكن زيد"؛ لِأَنَّ قوله: ﴿مِنۡ حِسَابِهِم﴾ يأبَى ذلك.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠﴾

﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا﴾؛ أي: دينَهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبًا ولهوًا، وذلك أن عبادةَ الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسَّوائب وغيرِ ذلك من باب اللعبِ واللهوِ واتِّباعِ هوى النفسِ والعملِ بالشهوة، ومن جنس الهزلِ دون الجِدِّ.

فقال: ويجوز أن يكون الضمير[١] في ﴿لَعَلَّهُمۡ﴾ لـ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، فكأنَّه قيل: لعلَّ الذين يتَّقون يدومون بسبب التذكير على تقواهم.

قوله: (**على "ولكن"**) أي: على معنى[٢] ولكن.

قوله:[٣] (**ذِكرى**)[٤] مصدر.

قوله: (**ولكن زيد**)،[٥] أي: زيدٌ في الدار.

قوله: (**﴿مِنۡ حِسَابِهِم﴾ يأبى ذلك**)؛ لأنَّه يلزم أن يكون ذِكري مِن حسابهم، وليس كذلك.

---

[١] ن - الضمير.
[٢] ر - معنى.
[٣] ر: وقوله.
[٤] ر: ذكر.
[٥] د: زيدًا.

أو: اتَّخذوا ما هو لعبٌ ولهوٌ من عبادة الأصنام وغيرها دِينًا لهم.

أو: اتَّخذوا دينَهم الذي كُلِّفوه ودُعُوا إليه -وهو دينُ الإسلام- لعبًا ولهوًا حيث سَخِروا به واستهزؤوا.

وقيل: جعل الله لكلِّ قوم عِيدًا يُعظِّمونه ويصلُّون فيه ويَعمرونه بذكر الله، والناسُ كلُّهم من المشركين وأهلِ الكتاب اتَّخذوا عيدَهم لعبًا ولهوًا، غيرَ المسلمين فإنهم اتخذوا عِيدَهم كما شرَعه الله.

ومعنى "ذرهم": أعْرِض عنهم ولا تُبالِ بتكذيبهم واستهزائهم، ولا تَشْغَل قلبك بهم.

﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ﴾؛ أي: بالقرآن ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ﴾: مخافةَ أن تُسْلَمَ إلى الهلَكة والعذاب وتُرْتَهَنَ بسوءِ كَسْبِها، وأصلُ الإبْسال: المنع؛ لأنَّ المُسْلَمَ إليه

قوله: (مخافةَ) مفعول له، أي: عظيم مخافة.

قوله: "مخافة[١] أن يبسل" إشارة إلى أنّ أن يبسل في مقام المفعول له، وكذا ذُكر في الكواشي حيث قيل فيه: محلّ ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾ نصبُ مفعول له، أي: مخافةَ أن تهلك، أي: تسلّم إلى الهلاك بما كسبت بسبب كَسْبها.[٢] وقال في الوسيط: «ومعنى الآية: وذكِّرهم بالقرآن إسلام الجانين بجناياتهم لعلّهم يخافون فيتّقون».[٣] وعلى ما ذُكر في الوسيط: يكون ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾ مفعولًا به لا مفعولًا له.

قوله: (لأنّ المسلَم إليه) بيانُ صحّة استعمال الابتسال[٤] بمعنى الإسلام، فإنّه ذكر أوّلًا أنّ الابتسال[٥] بمعنى[٦] الإسلام، ثمّ قال: "أصله المنع"، فأشار بعد ذلك إلى صحّة استعمال[٧] الإبسال الذي بمعنى المنع في معنى الإسلام بأنّ الإسلام يستلزم المنعَ، فيكون كناية لإطلاق اللازم[٨] وهو الإبسال الذي بمعنى المنع وإرادة ملزومه وهو الإسلام.

---

١ ر - قوله: "مخافة.
٢ انظر: تفسير الكواشي، ١٧١و.
٣ الوسيط للواحدي، ٢/٢٨٦.
٤ د: يسأل.
٥ د ر: الإبسال.
٦ د + الإبسال بمعنى.
٧ ر - استعمال.
٨ د ر: اللام.

يَمنعُ المُسْلَمَ، قال:

وإبسالي بَنيَّ بغير جُزمِ

ومنه: "هذا عليك بَسْلٌ"؛ أي: حرامٌ محظور، والباسل: الشجاعُ؛ لامتناعه من قِرْنه، أو لأنه شديد البُسور، يقال: بَسَرَ الرجلُ: إذا اشتدَّ عُبُوسُه، فإذا زاد قالوا: بَسَل، والعابسُ منقبِضُ الوجه.

وقوله: (يمنع المسلَم) إذا أسلموا أحدًا إلى الهلاك فالهلاك يمنع الشخص مِن الخروج منه.

قوله:

(وإبسالي[1] بنيّ بغير جُرمِ)[2]

تمامه:

بَعَوناه ولا بدمٍ مُراقِ[3]

و"إبسالي"،[4] أي:[5] وإسلامي بنيّ إلى الهلكة.[6] «وأبسلتُ فلانًا إذا أسلمتَه إلى التهلُكة،[7] فهو مُبسَل».[8] والبَعْو: الجِناية والجُرم.[9] الشعر لعوف بن الأحوص بن جعفر، وكان حمل عن[10] غنيّ لبني قشير دم ابني السَّجفيّة، فقالوا: لا نرضى بك، فرهنهم بنيه طلبًا للصلح.[11] فهو يتلهَّف ويتحسَّر على تسليم أبنائه إلى الهلكة بغير جُرم.

قوله: (مِن قِرنه)[12] «القِرن بالكسر: كفء[13] في الشجاعة».[14]

---

[1] د: والسالي.

[2] د: جزم.

[3] البيت لعوف بن الأحوص في النوادر لأبي زيد، ص ٤٣١؛ والمعاني الكبير لابن قتيبة، ١١١٤/٢؛ ومقاييس اللغة لابن فارس، ٢٤٨/١، «بسل»؛ والصحاح للجوهري، «بسل»؛ وهو بلا عزو في البسيط للواحدي، ٢١٦/٨ (الأنعام، ٧٠/٦).

[4] د: وإبساله.

[5] د - أي.

[6] ر: الهلكة.

[7] ر: الهلكة.

[8] الصحاح للجوهري، «بسل».

[9] د: الجزم.

[10] ر: على.

[11] مِن قوله: "والشعر لعوف" إلى هنا في الصحاح للجوهري، «بسل».

[12] ن: قرية.

[13] د: كفؤًا. | وفي مطبوع الصحاح: كفؤك.

[14] الصحاح للجوهري، «قرن».

﴿وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٍ﴾: وإن تَفْدِ كلَّ فِداءٍ، والعدل: الفدية؛ **لأن الفاديَ يَعْدِل المَفْدِيَّ** بمثله، و﴿كُلَّ عَدۡلٍ﴾ نصبٌ على المصدر.

وفاعل ﴿يُؤۡخَذۡ﴾ قوله: ﴿مِنۡهَآ﴾ لا ضميرُ العدل؛ لأن العدل هاهنا مصدرٌ فلا يُسنَدُ إليه الأخذُ، وأما في قوله: ﴿وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ﴾ [البقرة ٤٨/٢] فبمعنى المَفْدِيِّ به فصحَّ إسناده إليه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى المتَّخِذين دينَهم لعبًا ولهوًا.

﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾

قيل: نزلت في أبي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنُهُ عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان.

﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ﴾: أنعبدُ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الضَّارَ والنافعِ ما لا يقدر على نفعِنا ولا مَضرَّتِنا.

﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾ راجعينَ إلى الشرك بعد إذْ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام.

﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: كالذي ذهبتْ به مَرَدةُ الجنِّ والغِيلانُ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: في المَهْمَهِ ﴿حَيۡرَانَ﴾: تائهًا ضالًّا عن الجادة لا يَدْري كيف يصنَعُ.

﴿لَهُۥٓ﴾؛ أي: لهذا المُسْتَهوَى ﴿أَصۡحَٰبٞ﴾: رُفقةٌ ﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾: إلى أن يَهدُوه الطريقَ المستويَ، أو سمّي الطريق المستقيم بالهدى.

قوله: (﴿**وَإِن تَعۡدِلۡ**﴾) الضمير منه يعود إلى "النفس".

قوله: (**قيل: نزلتْ**) فاعل "نزلتْ" ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ﴾، وإنّما ابنه؛ لأنّه في معنى الآية.

قوله: (**أو سمّي**) عطف على قوله: (**إلى أن يهدوه**) مِن حيث المعنى، يريد أنّ ﴿ٱلۡهُدَى﴾ يجوز أن يكون مصدرًا، ويجوز أن يكون[1] بمعنى الطريق المستقيم.

---

[1] ن - مِن حيث المعنى يريد أنّ ﴿ٱلۡهُدَى﴾ يجوز أن يكون مصدر ويجوز أن يكون.

يقولون له: ﴿ٱئۡتِنَا﴾ وقد اعتسَفَ المهمهَ تابعًا للجنّ لا يُجيبهم ولا يأتيهم.

وهذا مَبنيٌّ على ما تزعُمه العرب وتعتقده: أنّ الجنَّ تستهوي الإنسانَ، والغِيلانَ تستولي عليه؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [البقرة ٢٧٥/٢]، فشُبّه به الضالُّ عن طريق الإسلام التابعُ لخُطُوات الشيطان، والمسلمون يَدْعونه إليه فلا يَلتفتُ إليهم.

﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلامُ ﴿هُوَ ٱلۡهُدَىٰ﴾ وحدَه وما وراءَه ضلالٌ وغيٌّ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران ٨٥/٣] ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس ٣٢/١٠].

فإن قلتَ: ما محلُّ الكاف في قوله: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾؟

قلتُ: النصبُ على الحال من الضمير في ﴿نُرَدُّ علىٓ أَعۡقابِنا﴾؛ أي: أَنُنكَّصُ مُشْبِهين مَن استهوَتْه الشياطين؟

فإن قلتَ: ما معنى ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾؟

قلتُ: هو استفعالٌ من هَوَى في الأرض: إذا ذهب فيها؛ كأن معناه: طَلَبَتْ هُوِيَّهُ وحَرَصَتْ عليه.

قوله: (وقد اعتسف)،[١] أي: ضرب في الأرض على غير استواء. يريد أن هذا المعنى مرادٌ، حُذف لأنّه دلّ عليه ما تقدّمه مِن الكلام.

قوله: (لا يُجيبهم) أي: لا يجيب أصحابه ورفقته.[٢]

قوله: (أنّ الجنّ) بدل[٣] مِن (ما)،[٤] أو التقدير "مِن أنّ الجن"، فحذف "مِن" البيانيّة.

قوله: (فشُبّه به) أي: بالإنسان الذي تستهويه الجنّ، وهو عطف على قوله: (وهذا مبنيّ)... إلخ.

قوله: (هُوِيّه) هوى في الأرض هَوِيًا إذا صعِد، وهُوِيًّا إذا هبط.

---

[١] ن: اعتسفت.
[٢] ن: فدفقته.
[٣] ر: يدُل.
[٤] د: ماء.

فإن قلتَ: ما محلُّ: ﴿أُمِرْنا﴾؟

قلتُ: النَّصبُ عطفًا على محلِّ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ على أنهما مقولان؛ كأنه قيل: قل هذا القولَ وقل: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾.

فإن قلتَ: ما معنى اللام في ﴿لِنُسْلِمَ﴾؟

قلتُ: هي تعليلٌ للأمر بمعنى: "أُمِرنا وقيل لَنا: أَسْلِموا؛ لأجل أَن نُسْلِمَ".

فإن قلتَ: فإذا كان هذا واردًا في شأن أبي بكر، فكيف قيل للرسول: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ﴾؟

قلتُ: للاتحاد الذي كان بين رسول الله والمؤمنين، خصوصًا بينه وبين الصدِّيق رضي الله عنه.

﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

فإن قلتَ: عَلَامَ عُطِف قوله: ﴿وَأَنْ أَقِيمُواْ﴾؟

قلتُ: على موقع ﴿لِنُسْلِمَ﴾؛ كأنه قيل: "وأُمِرنا أن نُسْلِمَ وأنْ أقيموا"، ويجوز أن يكون التقدير: "وأُمِرْنا لأنْ نُسْلِم ولأنْ أقيموا"؛ أي: للإسلام ولإقامة الصلاة.

قوله: (**فإن قلتَ: ما معنى اللام؟**) قيل: هي[١] معنى الباء. وقيل: هي[٢] زائدة.

قوله: (**قلتُ: على موقع ﴿لِنُسْلِمَ﴾**) موقع "أن نسلم" نصب بحذف حرف الجرّ؛ لأنّ الإسلام مأمور به، كأنّه قيل: أمرنا بأن نسلم، فإنّ ﴿أَقِيمُواْ﴾ أيضًا منصوب الموقع بحذف الجارّ، كأنّه قيل: وأمرنا بأن[٣] أقيموا، وحَذْفُ الزمخشري اللام مِن "أن نسلم" دليل على ذلك، فيه نظرٌ. والحاصل أنّ ﴿لِنُسْلِمَ﴾ مفعول له مِن حيث الظاهر كما ذكرنا، لكنّه مفعول فيه في الحقيقة. فقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ﴾

---

١ د: هو.

٢ د: هو.

٣ ر: بيان.

﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ مبتدأ، و﴿يومَ يقولُ﴾ خبرُه مقدَّمًا عليه، وانتصابُه بمعنى الاستقرار؛ كقولك: "يومَ الجمعة القتالُ"، واليومُ بمعنى الحين، والمعنى: أنَّه خلق السماوات والأرضَ قائمًا بالحق والحكمة، وحين يقول لشيء من الأشياء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ ذلك الشيء ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ والحكمة؛ أي: لا يكوِّن شيئًا من السماوات والأرض وسائر المكوَّنات إلا عن حكمةٍ وصواب.

و﴿يَوۡمَ يُنفَخُ﴾ ظرفٌ لقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [غافر ١٦/٤٠].

ويجوز أن يكون ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾ فاعلَ "يكونُ" على معنى: وحين يقولُ لقولِه الحقِّ -أي: لقضائه الحقِّ-: ....

إمّا أن يكون عطفًا على ظاهره فيكون مفعولًا له مثلَه، وإمّا أن يكون عطفًا على معناه فيكون مفعولًا به، وقد ذكرنا أنّ "أن" المصدريّة تدخل على الأمر فتجعله في تأويل المصدر، فكأنّه عطف المصدر على المصدر.

هذا تقرير كلام المصنِّف، وفيه تعسُّف. والصواب أن يقول: إنّ ﴿أَقِيمُواْ﴾ عطف على محذوف، والأصل "أمرنا بأن أسلِموا لنسلم، وبأن[1] أقيموا الصلاة واتّقوه لنقيمها"، ونتّقيه محذوف مِن الأوّل الأوّلُ ومِن الثاني والثالث الثاني لقوة الدلالة في الكلام عليه، وأنّ في الموضعين محذوفًا ومبنيًّا هو "أن" الناصبة للفعل، كما ذكر المصنِّف في أوّل سورة نوح عليه السلام: «﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ [نوح ١/٧١] أصله "بأن أنذر" حذف[2] الجار[3] وأوصل الفعل، وهي "أن" الناصبة للفعل».[4] هكذا كلامه هناك، ويجوز أن نقول: "أن" هنا مفسِّرة، كما يشعر به كلام المصنِّف.

قوله: (﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّ﴾) ﴿قَوۡلُهُ﴾ مبتدأ و﴿ٱلۡحَقُّ﴾ صفته، أي: قوله الحقّ والحكمة ثابتٌ[5] يوم يقول لشيء مِن الأشياء: "كُن" فيكون ذلك الشيء.

قوله: (ويجوز)... إلخ، فعلى هذا التقدير: "ويقوم بالحقّ يومَ يقول لقوله الحقّ، فيكون ذلك القولُ الحقُّ".[6]

---

١ ن ر + أن.
٢ د ر: محذوف.
٣ د - الجار.
٤ الكشّاف للزمخشري، (نوح، ١/٧١).
٥ ر: بانت.
٦ د - فيكون ذلك القول الحق.

﴿كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، وانتصابُ اليوم بمحذوفٍ دَلَّ عليه قولُه ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ كأنه قيل: وحين يُكوِّنُ ويُقدِّرُ يقوم بالحقِّ.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: هو عالمُ الغيب، وارتفاعُه على المدح.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾

﴿آزر﴾: اسمُ أبي إبراهيم، وفي كتب التواريخ ....

قوله: (﴿فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾) ولمّا قيل: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ عُلم أنّ الخطاب في ﴿كُن﴾ مع ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾، فالتقدير: يقوم بالحقّ يوم يقول لقوله الحقّ "كن" فيكون ذلك القول الحقُّ.

قوله: (**وانتصاب "اليوم"**) أي: ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾.

قوله: (**بمحذوف**) أي: يقوم بالحقّ.

قوله:[1] (**وحين يُكوِّن**) عبارة عن قوله: "كُن".[2]

قوله: (**آزر اسم[3] أبي[4] إبراهيم**) قال الواحدي في **الوسيط**: «قال جماعة مِن المفسِّرين: آزر أبو إبراهيمَ. قال الفرّاء والزجّاج: ليس بين النسّابين اختلاف أنّ اسم أبي إبراهيمَ تارح،[5] والذي في **القرآن** يدل أنّ اسمه آزر، فكأنّ آزر لقبٌ له.[6] قال ابن الأنباري: قد يغلب على اسم الرجل لقبه حتّى يكون به أشهرَ منه باسمه، فجائز أن يكون آزر لقبًا أبطلَ الاسم لشهرته، فخبّر الله تعالى[7] بأشهر اسمه؛[8] لأنّ اللقب مضارع الاسم».[9]

قوله: (**وفي كتب التواريخ**) يشير به إلى أنّ اللفظ عُرِّب فغُيِّر، أو إلى أنّه لا اعتدادَ بالتواريخ، والمعتمد هو الذي / في **القرآن**. [٣٥٦ظ]

---

١ ن + قوله.
٢ ر + قال.
٣ ن: هو.
٤ ن: أبو.
٥ ر: تارخ.
٦ انظر: **معاني القرآن** للفرّاء، ١/٣٤٠؛ و**معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/٢٦٥.
٧ د - تعالى.
٨ في مطبوع **الوسيط**: اسميه.
٩ **الوسيط** للواحدي، ٢/٢٨٨-٢٨٩ (الأنعام، ٦/٧٤).

أن اسمه بالسُّريانية: تارَحُ، والأقربُ أن يكون وزنُ ﴿ءَازَرَ﴾: فاعَلَ؛ مثلَ: تارَحَ وعابَرَ وعازَرَ وشالَخَ وفالَغَ وما أشبهها من أسمائهم، وهو عطفُ بيان لـ﴿أبيه﴾.

وقرئ: ﴿آزرُ﴾ بالضمِّ على النداء.

وقيل: "آزَرُ" اسم صنم، فيجوز أن يُنْبَزَ به للُزومه عبادتَه كما نُبِز ابنُ قيس بالرُّقيَّات اللاتي كان يُشَبِّبُ بهن فقيل: ابنُ قيسِ الرُّقَيَّاتُ، وفي شعر بعضِ المُحْدَثين:

أُدْعَى بَأَسْمَاءَ نَبزًا في قَبَائِلِهَا كَأَن أسمَاءَ أَضحَت بعضَ أسمَائِي

قوله: (تارح)[١] تارح[٢] بالحاء[٣] غير المعجمة.

قوله: (وفالغ) هم أولاد آدم.

قوله: (أن ينبز[٤] به) أي: ينبز[٥] أبو إبراهيم بآزر اسم الصنم للزومه عبادة الصنم.

قوله:[٦] (يشبِّب) «التشبيب: النسيب،[٧] يقال: هو يشبِّب بفلانة، أي: ينسُب بها»،[٨] يعني[٩] يذكر صفتها وحالَه معها في الشعر.

قوله: (ابنَ قيسٍ[١٠] الرُّقيّات) في بعض النُّسخ: "ابن قيسِ الرُّقيّات" بغير تنوين.

قوله:

(أُدعـــى بـــأســـمـــاءَ)[١١]

"أسماء" اسم محبوبة الشاعر،[١٢] فيقول: سمّاني أهل قبيلتها أسماءَ، ويدعونني أسماءَ، وليس اسمي أسماءَ، وإنّما سمّوني بذلك لكثرة تردُّدي إلى دارها لطلب رؤيتها ولمحبتي إيّاها.

---

[١] د ر: تارخ.
[٢] د ر: تارخ.
[٣] د: بالخاء.
[٤] ن: يبين.
[٥] ن: يبين.
[٦] د - قوله: (أن ينبز به) أي: يبيّن أبو إبراهيم بآزر اسم الصنم للزومه عبادة الصنم. قوله.
[٧] د - النسيب.
[٨] الصحاح للجوهري، «شبب».
[٩] ر: يغني.
[١٠] د: القيس.
[١١] البيت لأبي محمّد الخازن في يتيمة الدهر للثعالبي، ٢٢٩/٣؛ ومعجم الأدباء للحمويّ، ٧٠٣/٢؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٢٥٥/٢.
[١٢] د + قال.

أو أريد: "عابدُ آزر" فحُذف المضاف وأقيمَ المضاف إليه مقامه.

وقرئ: "أأَزْرًا تتخذ أصنامًا آلِهَةً" بفتح الهمزة وكسرِها بعد همزة الاستفهام، وزَايٍ ساكنةٍ وراءٍ منصوبة منوَّنة، وهو اسم صَنَم، ومعناه: أتعبدُ أزْرًا؟ على الإنكار، ثمّ قال: "تتَّخذ أصنامًا آلهة" تثبيتًا لذلك وتقريرًا، وهو داخلٌ في حُكم الإنكار؛ لأنه كالبيان له.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ عطفٌ على ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ﴾، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جملةٌ معترَضٌ بها بين المعطوف والمعطوفِ عليه، والمعنى: ومِثْلَ ذلك التعريفِ والتبصيرِ نُعرِّفُ إبراهيم ونبصِّرُه ملكوتَ السماوات والأرض، -يعني: الربوبيَّةَ والإلهيَّةَ- ونوفِّقه لمَعرفتها، ونُرشِدُه بما شرحْنا صدرَه وسَدَّدْنا نظره وهديناه لطريقِ الاستدلال، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فعَلْنا ذلك.

و﴿نُرِى﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ، وكان أبوه وقومُه يعبدون الأصنامَ والشمسَ والقمر والكواكب، فأراد أن ينبّهَهم على الخطأ في دِينهم، وأن يرشدَهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويُعرِّفَهم أن النظر الصحيح مُؤدٍّ إلى أن شيئًا منها

قوله: (وقُرئ: "أأَزْرَ")... إلخ، على القراءة المشهورة همزةُ الإنكار داخلة على ﴿تَتَّخِذُ﴾، وعلى هذه القراءة همزة الإنكار داخلة على[1] "آزر"، ثمّ قال: "تتّخذ أصنامًا" للتقرير.

قوله: (بفتح الهمزة وكسرها).[2]

قوله: (ثمّ قال) أي: بعد أن أدخَل همزة الإنكار على "آزر".

---

[1] د ر: إلى.

[2] كذا ورد في النُّسخ مِن غير تعليق حاشية عليه. والقراءتان شاذّتان: الأولى بفتح الهمزة، مرويّة عن مجاهد عن عبّاس؛ والثانية بكسر الهمزة، مرويّة عن عصمة عن الأعمش. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٧٧٠.

لا يصحُّ أن يكون إلهًا؛ لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها مُحدِثًا أحدَثها وصانعًا صَنَعها، ومُدبِّرًا دبَّر طلوعَها وأُفولها وانتقالها ومسيرها وسائرَ أحوالها.

﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ قولُ مَن يُنصِفُ خصمَه مع عِلمه أنه مُبْطِلٌ، فيَحكي قولَه كما هو غيرَ متعصِّبٍ لمذهبه؛ لأن ذلك أدْعَى إلى الحقِ وأَنْجَى من الشَّغْب، ثم يَكُرُّ عليه بعد حكايته فيُبطِلُه بالحجة.

﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾: لا أحبُّ عبادةَ الأربابِ المتغيِّرين عن حالٍ إلى حالٍ، المتنقِّلين من مكانٍ إلى مكانٍ، المحتجِبينَ بسترٍ، فإن ذلك من صفات الأجرام.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾

﴿بَازِغٗا﴾: مبتدِئًا في الطلوع.

﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾ تنبيهٌ لقومه على أنَّ مَن اتَّخذ القمر إلهًا -وهو نظيرُ الكوكب في الأُفول- فهو ضالٌّ، وأن الهداية إلى الحقِّ بتوفيق الله ولطفه.

﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ من باب استعمال النَّصَفةِ أيضًا مع خصومه.

﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ من الأجرام التي تجعلونها شركاءَ لخالقها.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾؛ أي: للَّذي دلَّتْ هذه المحدَثاتُ عليه وعلى أنه مبتدِئُها ومُبتدِعُها.

وقيل: هذا كان نَظَرَهُ واستدلالَه في نفسه، فحَكاه الله.

قوله: **(مِن الشَّغْب)** «الشَّغْب بالتسكين: تهييج الشرّ، ولا يقال: شَغَب».[١]

قوله: **(وقيل: هذا كان نظره)** عطف على قوله: **(وكان أبوه)**... إلخ.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «شغب».

والأوّل أظهر؛ لقوله: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي﴾، وقوله: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.

فإن قلتَ: لـمَ احتجَّ عليهم بالأُفول دون البُزوغ، وكلاهما انتقالٌ من حالٍ إلى حالٍ؟

قلتُ: الاحتجاجُ بالأُفول أظهرُ؛ لأنه انتقالٌ مع خفاءٍ واحتجابٍ.

فإن قلتَ: ما وجهُ التذكير في قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ والإشارةُ للشمس؟

قلتُ: جعل المبتدأ مثلَ الخبر لكونهما عبارةً عن شيءٍ واحدٍ؛ كقولهم: "ما جاءتْ حاجَتَك؟"، و: "مَن كانَت أمَّك؟"، و: ﴿لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الأنعام ٦/٢٣]، وكان اختيارُ هذه الطريقةِ واجبًا لِصيانة الربِّ عن شُبْهة التأنيث، ألَا تراهم قالوا في صفة الله: "علَّام" ولم يقولوا: "علَّامة" -وإن كان العلَّامةُ أبلغَ- احترازًا من علامة التأنيث.

وقرئ: "تُرِي إبراهيمَ ملكوتُ السمواتِ والأرض" بالتاء ورفع الملكوت، ومعناه: تُبصِّره دلائلَ الربوبية.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠﴾

قوله: **(والأوّل أظهرُ)** وهو استدلاله عند القوم لا في نفسه، فإنّ ما ذَكَره في القولين دلّ[١] على أنّه كان عارفًا بالله تعالى، وإنّما أراد إثباته عندهم وإلزامَهم.

قوله: (﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ﴾ [الأنعام ٦/٢٣]) عطف على قوله: **(ما جاءت)**[٢] مِن حيث المعنى وهو مِن قبيل:

علفتُه تبنًا وماءً باردا[٣]

والتقدير: كقوله تعالى: ﴿لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾[٤] في مقام فاعل ﴿تَكُن﴾، وأنّث باعتبار الفتنة.

---

١ د: دالّ.

٢ ن: كان. | قول العرب: "ما جاءت حاجتك" مذكور في **كتاب سيبويه**، ١/٥٠.

٣ لا يُعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في تفسير البقرة، ٢/٧.

٤ د ن + بقوله: إلى أن قالوا.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ وكانوا حاجُّوه في توحيدِ الله ونفيِ الشركاء عنه منكِرين لذلك.

﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ يعني: إلى التوحيد.

﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ وقد خوَّفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾: إلَّا وقتَ مشيئة ربِّي شيئًا يُخاف، فحذف الوقت، يعني: لا أخاف معبوداتِكم في وقتٍ قطُّ؛ لأنها لا تقدرُ على منفعةٍ ولا مَضرَّةٍ إلَّا إذا شاء ربِّي أن يُصيبني بمَخُوفٍ من جهتها إنْ أصبتُ ذَنْبًا أَستوجبُ به إنزالَ المكروه، مثل أن يَرجُمَني بكوكبٍ أو بشِقَّةٍ من الشمس أو القمر، أو يجعلها قادرةً على مَضَرَّتي.

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾؛ أي: ليس بعَجَبٍ ولا مُستبعَدٍ أن يكون في علمه إنزالُ المخُوفِ بي من جهتها ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتُميّزوا بين الصحيح والفاسد، والقادر والعاجز.

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ﴾ بتخويفكم شيئًا مأمُونَ الخوف لا يتعلَّق به ضررٌ بوجهٍ ﴿و﴾ أنتم ﴿لا تخافون﴾ ما يتعلَّق به كلُّ خوفٍ، وهو إشراككم بالله ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ﴾ بإشراكه ﴿سُلۡطَٰنٗاۚ﴾؛ أي: حُجَّةً؛ لأن الإشراكَ لا يصحُّ أن يكون عليه حُجَّةٌ؛ كأنَّه قال: وما لكم تُنكِرون عليَّ الأَمْنَ في موضعِ الأمن ولا تنكرون على أنفسِكم الأَمْنَ في موضع الخوف؟! ولم يَقُل: "فأيُّنا أحقُّ بالأَمْن أَنا أم أنتم؟" احترازًا من تزكيةِ نفسه، فعدَل عنه إلى قوله: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ يعني: فريقَي المشركين والموحِّدين، ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾؛ أي: لم يَخلِطوا إيمانَهم بمعصيةٍ تُفَسِّقُهم، وأَبَى تفسيرَ الظلم بالكفر لفظُ اللَّبس.

قوله: **(لفظُ اللبس)** إذ يمتنع كونَ المؤمن كافرًا ولا يمتنع كونه عاصيًا.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وَتِلْكَ﴾ إشارةٌ إلى جميع ما احتجَّ به إبراهيم على قومه من قوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ومعنى ﴿ءَاتَيْنَٰهَا﴾: أرشدناه إليها ووفّقْناه لها.

﴿نرفع درجاتٍ مَن نشاء﴾ يعني: في العلم والحكمة، وقرئ بالتنوين.

والصواب[١] أنّه لا يمنع لفظ اللبس تفسير[٢] الظلم[٣] بالكفر، إذ المراد بعدم اللبس أن يكون الإيمان عن إخلاص لا عن نفاق، أو يكون المراد الثبات على الإيمان وأن لا يبطلوه بارتداد. ورُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّه لمّا نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: «يا رسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا ترون إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١]».[٤] رواه مسلم. ورُوي أيضًا عن ابن مسعود رضي الله عنه: لمّا نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شقّ ذلك على المسلمين، فقالوا: «يا رسول الله وأيُّنا[٥] ذلك»، قال: «ليس ذلك وإنّما هو الشِّرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١]».[٦] رواه البخاري ومسلم. فهذا حديث متّفق على صحته، فكيف يسوغ التفسير للآية[٧] بخلاف ما دلَّ عليه الحديث المتّفق على صحّته، وكأنّه لم يبلغه هذا الحديث الصحيح.

قوله: (بالتنوين)[٨] وعلى هذا يجوز أن ينتصب ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ انتصاب المصدر مِن غير لفظه؛ لأنّ المعنى: نرفعه رَفعات. ويجوز أن ينتصب على التمييز مِن ﴿نَشَآءُ﴾ لأنّه ما رفع أنفسهم وإنّما رفع درجاتِهم.

---

١ ر: والجواب.

٢ د: نعته.

٣ د: التظلم.

٤ بلفظ قريب في **صحيح البخاري**، ١٦٣/٤ (٣٤٢٩)، و**صحيح مسلم**، ١١٤/١ (١٢٤). وهو بلفظه هنا في **الوسيط** للواحدي، ٢٩١/٢ (الأنعام، ٨٢/٦).

٥ ن: رابنا.

٦ **صحيح البخاري**، ١٤١/٤ (٣٣٦٠)؛ **صحيح مسلم**، ١١٤/١ (١٢٤).

٧ د: الآية.

٨ قرأ بها حمزة والكسائي وعاصم وخلف ويعقوب، وقرأ الباقون مِن غير تنوين. **النشر** لابن الجزري، ٢٦٠/٢.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ الضميرُ لنوحٍ أو لإبراهيم، و﴿دَاوُۥدَ﴾ عطفٌ على ﴿نُوحًا﴾؛ أي: وهدينا داود.

قوله: (﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾) أي: مِن ذرية نوح؛ لأن يونس ولوطًا مذكوران معهم وليسا مِن ذرّيّة إبراهيمَ. هكذا في **الوسيط**[1] **والكواشي**.[2] وأمّا على الوجه الذي ذكره المصنِّف وهو أنّ الضمير لإبراهيم فيكون ﴿يُونُسَ وَلُوطًا﴾ عطفًا على قوله: ﴿نُوحًا﴾ لا على ما عُطف على نوح، فتأمَّل.

ثمّ قال المصنِّف: (**و﴿دَاوُۥدَ﴾ عطفٌ على ﴿نُوحًا﴾**) أي: سواء جُعل الضمير في[3] ﴿مِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لنوح أو لإبراهيمَ، إذ لا بُعد في[4] أن يقال: هدينا نوحًا وهدينا داود مِن[5] ذرّيّة إبراهيمَ.

فإن قلتَ: إن كان الضمير في[6] ﴿ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لإبراهيم وكان ﴿يُونُسَ﴾ عطفًا على ﴿نُوحًا﴾ كما ذكرت، فما فائدة هذا الفصل؟ ولو لم يقل هكذا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ[7] وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾، أي: ومِن ذرّيّة إبراهيمَ وداودَ وسليمانَ إلى قوله: ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾، ثمّ بعد ذلك كان ذِكر نوحٍ والمعطوف عليه هكذا: ونوحًا هدينا مِن قبل ويونس ولوطًا.

قلتُ: في هذا الفصل فوائدُ جليلة مِن جملتها إيقاع التفريق بين تارات ذِكر إبراهيم عليه السلام مرّة بعد أخرى، وتطريَة ذِكره ثانية بعد الأولى بالإشارة

---

[1] انظر: **الوسيط** للواحدي، ٢/٢٩٤-٢٩٥ (الأنعام، ٨٤/٦).
[2] **تفسير الكواشي**، ١٧٣و.
[3] د - في.
[4] ر - في.
[5] د: ومن.
[6] د - ذرية إبراهيم فإن قلت: إن كان الضمير في.
[7] ن ر - ﴿كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾.

﴿وَمِنْ ءَابَآبِهِمْ﴾ في موضع النصب عطفًا على ﴿كُلًّا﴾، بمعنى: وفضّلنا بعضَ آبائهم.

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ مع فَضْلهم وتقدُّمهم وما رُفِعَ لهم من الدرجات، لكانوا كغيرهم في حُبوط أعمالهم؛ كما قال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر ٦٥/٣٩].

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ يريد: الجنس.

إلى هدايته وهداية أولاده وذرياته، فقيل: ﴿ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ثمّ قيل: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ﴾، ثمّ رَجَع إلى ذِكره بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾، ثمّ قيل:[١] ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾، ثمّ رجع[٢] إلى ذِكره[٣] قبل تمام ما يتعلّق بنوح مِن المعطوف عليه فقيل: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾، أي: ذرّيّة إبراهيمَ، فدلَّ على شدّة الاعتناء بذِكر إبراهيمَ وبيانِ هدايته وإيتائه[٤] الحجّة، ومثالُه أن يحدِّث الرجل بحديث وفي صدره اهتمامٌ لشيء[٥] منه وفضلُ عنايةٍ فتراه يُعيد ذكره ولا ينفكّ عن الرجوع إليه. وقد ذَكَر المصنِّف[٦] مثل هذا التفريق بين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الشعراء ١٩٢/٢٦]، وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [الشعراء ٢١٠/٢٦]، وقوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [الشعراء ٢٢١/٢٦]، مع أنَّ هذه الآيات أخواتٌ.

أو نقول: قوله: ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ معطوفان على ﴿دَاوُۥدَ﴾... إلى آخره، ولا يلزم أن يكونا مِن ذرّيّة إبراهيمَ، وإن كان الضمير ﴿مِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ لإبراهيم، فإنّ قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ حالٌ، ولا يلزم اشتراك المعطوف مع المعطوف عليه في الحال، كقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء ٧٢/٢١]. وقوله:

---

١ ر – ثم قيل.

٢ ر + ذكره بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ﴾، ثم قيل: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾، ثم رجع.

٣ د ن ر: ذكر.

٤ ر: إتيانه.

٥ ر: بشيء.

٦ د ر + رحمه الله.

﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ بالكتاب والحُكمِ والنبوَّة، أو بالنُبوَّة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: أهل مكة.

﴿قَوۡمًا﴾ هم الأنبياءُ المذكورون ومَن تابَعهم، بدليل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ وبدليلِ وَصْلِ قوله: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بما قبله.

وقيل: هم أصحابُ النبيّ صلى الله عليه وسلم وكلُّ مَن آمن به.

وقيل: كلُّ مؤمنٍ من بني آدم.

وقيل: الملائكةُ.

وادَّعى الأنصارُ أنها لهم.

وعن مجاهد: هم الفُرس.

ومعنى توكيلهم بها: أنهم وُفِّقوا للإيمان بها والقيامِ بحقوقها كما يوكَّل الرجل بالشيء ليقومَ به ويتعهَّدَه ويحافظَ عليه، والباء في ﴿بِهَا﴾ صلة "كافرين"، وفي ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾ تأكيدُ النفي.

﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾: فاخْتَصَّ هُداهم بالاقتداء ولا تَقْتَدِ إلَّا بهم، وهذا معنى تقديم المفعول، والمراد بـ"هداهم": طريقتُهم في الإيمان بالله وتوحيدِه وأصول الدِّين، دون الشرائعِ فإنها مختلفةٌ، وهي هدًى ما لم تُنْسَخْ، فإذا نُسخَت لم تبقَ هدًى، بخلافِ أصول الدِّين فإنها هدًى أبدًا.

والهاء في ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ للوقف تسقط في الدَّرْج، واستُحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف.

"و﴿دَاوُۥدَ﴾" عطف، وذلك لأنَّ قوله: ﴿مِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ حالٌ مِن قوله: ﴿دَاوُۥدَ﴾ إلى آخره، فكأنّه قال: وداود وسليمان إلى آخر ما قال مِن ذريته.

قوله: (فاختَصَّ) أمر للنبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: (في المصحف) أي: مصحف عثمان رضي الله عنه،[1] وقرأ[2] "اقتده"

---

[1] ن - رضي الله عنه.
[2] ر: وقرئ.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾: وما عرفوه حقَّ معرفته في الرحمة على عباده واللُّطفِ بهم حين أنكروا بعثةَ الرسل والوحيَ إليهم، وذلك من أعظم رحمته وأجلِّ نعمته ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧/٢١].

أو: ما عرَفوه حقَّ معرفته في سخطه على الكافرين وشدةِ بطشه بهم، ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوّة.

والقائلون هم اليهودُ بدليلِ قراءةِ مَن قرأ: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾ بالتاء، وكذلك ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾.

وإنما قالوا ذلك مبالغةً في إنكار إنزالِ القرآن على رسول الله، فأُلزموا ما لا بدَّ لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى، وأُدرج تحت الإلزام توبيخُهم، وأَنْ نُعي عليهم سُوءُ حملِهم لكتابهم وتحريفِهم وإبداءِ بعضٍ وإخفاءِ بعضٍ، فقيل: ﴿جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ وهو نورٌ وهدًى للناس، حتى غَيَّروه وبعَّضوه وجعلوه قراطيسَ مقطَّعةً وورقاتٍ مُفرَّقةً؛ ليَسْتَمكِنوا مما رامُوا من الإبداءِ والإِخْفاء.

على الوصل، أي: بما دلَّ عليه الفعل وهو المصدر، فالهاء[١] ضمير المصدر، أي: اقتدِ الاقتداء.

قوله: (عرفوه) أي: عرفوا الله عزّ وجلّ.

قوله: (النبوّة) إذا ما قالوا: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾.

قوله: (ما لابدّ) مفعول "أُلزِموا".

قوله: (حتّى غيَّروه) أي: هو نورٌ[٢] إلى ما غيروه.

---

١ ن: قالها.

٢ ر: نورًا.

وروي: أن مالك بنَ الصَّيْفِ من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنشُدُك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجدُ فيها إنّ الله يُبْغِض الحبرَ السمينَ، فأنت الحبرُ السمين، قد سَمِنْتَ من مالك الذي يُطعمك اليهودُ»، فضحك القوم، فغضِبَ ثم التفتَ إلى عمر فقال: ما أنزل الله على بشرٍ من شيء، فقال له قومه: ويلك! ما هذا الذي بَلَغَنا عنك؟ فقال: إنه أَغضَبَني، فَنَزَعُوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف.

وقيل: القائلون قريشٌ، وقد أُلزموا إنزالَ التوراة؛ لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذِكرَ موسى والتوراة، وكانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام ٦/١٥٧].

﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ الخطاب لليهود؛ أي: علِّمتم على لسانِ محمدٍ مما أُوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حَمَلةُ التوراة، ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أَعْلَمَ منكم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل ٢٧/٧٦].

وقيل: الخطاب لمن آمن من قريش؛ كقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يس ٣٦/٦].

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أنزله الله، فإنهم لا يَقْدرون أن يُناكِروك.

﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾: في باطلهم الذي يخوضون فيه، ولا عليك بعد إلزام الحجة.

ويقال لمن كان في عملٍ لا يُجدِي عليه: "إنما أنت لاعبٌ"، و﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال من ﴿ذَرْهُمْ﴾ أو من ﴿خَوْضِهِمْ﴾.

قوله: (إنّ الله) بالكسر[1] / على الحكاية. [٣٥٧و]

قوله: (حال مِن ﴿ذَرْهُمْ﴾) أي: حال مِن "هم" في ﴿ذَرْهُمْ﴾، أو[2] في[3] ﴿خَوْضِهِمْ﴾.

---

[1] هنا ينتهي تغير الخطّ في د ويعود الخطّ الأوّل.
[2] ر: أولى.
[3] ن: إلى؛ ر- في.

ويجوز أن يكون ﴿فِي خَوْضِهِمْ﴾ حالًا من ﴿يَلْعَبُونَ﴾، وأنْ يكون صلةً له أو لـ﴿ذَرْهُمْ﴾.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿مُبَارَكٌ﴾: كثيرُ المنافع والفوائد.

﴿وَلِتُنذِرَ﴾ معطوفٌ على ما دلَّ عليه صفةُ الكتاب؛ كأنَّه قيل: أنزلناه للبركات وتصديقِ ما تقدَّمه من الكتب وللإنذار.

وقرئ: ﴿لِيُنْذِر﴾ بالياء والتاء.

وسمِّيت مكةُ: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ لأنها مكانُ أوَّل بيتٍ وضع للناس؛ ولأنها قِبلةُ أهل القرى كلِّها ومَحجُّهم؛ ولأنها أعظمُ القرى شأنًا، ولبعض المجاوِرين:

فَمَن يُلْقِ فِي بعضِ القُرَيَّاتِ رَحْلَهُ ... فَأُمُّ القُرَى مُلْقَى رِحَالِي وَمُنتَابِي

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾: يصدِّقون بالعاقبة ويخافونها ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بهذا الكتاب، وذلك أن أصل الدِّين خوفُ العاقبة، فمَن خافها لم يَزَلْ به الخوف حتى يؤمِنَ،

قوله: (صلةً[١] له) أي: موصولًا به على أنّه ظرفه.

قوله: (**قبلةُ أهل القرى**)؛ لأنّه لمّا نُسِخ التوجُّه إلى غير الكعبة فتكون الكعبة قِبلة الكلّ.

قوله: (**ولبعض المجاورين**) أراد نفسه. (**ومُنتابي**) أي:[٢] مرجعي. «انتاب فلان القوم، أي: أتاهم مرّة بعد أخرى، وهو افتعال مِن النوبة».[٣] قيل للزمخشري: لِمَ[٤] تُجاور[٥] مكّة قال: القلب الذي أجده[٦] ثمّة لا أجده[٧] ههنا.

---

[١] ر: صلى.

[٢] ن - أي.

[٣] ن ر: التوبة. | **الصحاح** للجوهري، «نوب».

[٤] ن: فلم.

[٥] ن ر: تتجاور.

[٦] ن ر: آخذه.

[٧] ر: آخذه.

وخصَّ الصلاةَ؛ لأنها عمادُ الدين، ومَن حافَظَ عليها كانت لطفًا له في المحافظة على أخواتها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنَّ الله بَعثَه نبيًّا ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وهو مسيلمةُ الحَنَفيُّ الكذاب، أو كذابُ صنعاءَ الأَسْودُ العنسيُّ.

وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ فيما يَرى النائمُ كأنَّ في يديَّ سوارَين من ذهبٍ، فكَبُرَا عليَّ وأَهمَّاني، فأوحى الله إليَّ أن انْفُخْهما، فنفختُهما فطارَا عَنّي، فأوَّلتُهما الكذَّابَين اللَّذين أَنَا بَيْنهما: كذَّابُ اليمامة مسيلمةُ، وكذَّاب صنعاءَ الأسودُ العَنْسي».

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ هو عبد الله بن سعد بن أَبِي سَرْحٍ القرشيُّ، كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا أملَى عليه "سميعًا عليمًا" كتب هو: "عليمًا حكيمًا"، وإذا قال: "عليمًا حكيمًا" كتب "غفورًا رحيمًا"، فلما نزلت: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ إلى آخر الآية [المؤمنون ٢٣/١٢] عجبَ عبد الله من تفصيل خلقِ الإنسان، فقال: "تبارك الله أحسنُ الخالقين"، فقال عليه الصلاة والسلام: «اكتُبْها، فكذلك نزلت» فشكَّ عبد الله وقال: "لئن كان محمدٌ صادقًا لقد أُوحي إليَّ كما أُوحي إليه، ولئن كان كاذبًا لقد قلتُ كما قال"، فارتدَّ عن الإسلام ولَحِقَ بمكة، ثم رجع مسلمًا قبل فتح مكة.

وقيل: هو النَّضْر بنُ الحارث والمستهزئون.

قوله: (كانت) أي: الصلاة.

قوله: (كان يكتب) كان كاتب الوحي.

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ جوابه محذوف؛ أي: لرأيت أمرًا عظيمًا.

﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يريد: الذين ذكرهم من اليهود والمُتنبِّئة، فتكون اللام للعهد، ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله.

و﴿غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ﴾: شدائده وسكراته، وأصل الغَمْرة: ما يَغمر من الماء، فاستُعيرت للشدة الغالبة.

﴿بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾: يبسطون إليهم أيديَهم يقولون: هاتوا أرواحَكم أَخْرِجُوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارةٌ عن العنف في السِّيَاق، والإلحاحِ والتشديد في الإزهاق، من غير تَنْفيسٍ وإمهالٍ، وأنهم يفعلون بهم فعلَ الغريم المُلِظِّ يَبسط يده إلى مَن عليه الحقُّ ويُعَنِّف عليه في المطالبة ولا يُمهِلُه، ويقول له: أَخْرِجْ إليَّ ما لي عليك السَّاعةَ، ولا أَرِيمُ مكاني حتى أَنزِعه من أَحْداقك.

وقيل: معناه: باسطو أيديهم عليهم بالعذاب.

﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾: خَلِّصُوها من أيدينا؛ أي: لا تقدرون على الخلاص.

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ﴾ يجوز أن يريدُوا وقتَ الإماتة وما يُعذَّبون به من شدَّة النَّزْع، وأن يريدوا الوقتَ الممتدَّ المتطاوِلَ الذي يَلحقُهم فيه العذابُ في البرزخ والقيامة.

قوله: (المُلِظُّ) الملازم. ألظَّ فلان بفلان إذا لزمه،[١] عن أبي عمرو. هو مُلِظٌّ إذا لزمه[٢] لا يفارقه.[٣]

قوله: (لا أَرِيمُ) أي: لا أبرح.

قوله: (ما لي) أي:[٤] الذي لي.

قوله: (﴿أَخۡرِجُوٓاْ﴾) أي: يقولون أخرِجوا. وزُيِّف[٥] هذا التفسير.

قوله: (في البَرزخ) «البرزخ: الحاجز بين الشيئين. والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة مِن وقت الموت إلى البعث».[٦]

---

١ ر: ألزمه.
٢ ن ر: ألزمه.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «لظظ».
٤ ن ر: أرى.
٥ ن ر: أو زيف.
٦ **الصحاح** للجوهري، «برزخ».

و﴿ٱلْهُونِ﴾: الهوانُ الشديدُ، وإضافةُ العذاب إليه كقولك: "رَجُلُ سَوْءٍ"، تريد العَرَاقَةَ في الهوان والتمكُّنَ فيه.

﴿عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ فلا تؤمنون بها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿فُرَٰدَىٰ﴾: مُنفرِدِينَ عن أموالكم وأولادكم وما حرَصْتُم عليه وآثرْتمُوهُ من دنياكم، وعن أوثانكم التي زعمتُم أنها شفعاؤكم وشركاءُ الله.

﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: على الهيئة التي وُلدتُم عليها في الانفراد.

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾: ما تفضَّلنا به عليكم في الدنيا فشُغِلتُم به عن الآخرة.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ لم ينفَعْكم ولم تحتمِلوا منه نقيرًا ولا قدَّمتُمُوه لأنفُسِكم.

﴿فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾: في استعبادكم؛ لأنهم حين دعَوهم آلهةً وعَبَدُوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم، وقرئ: ﴿فرادًى﴾ بالتنوين، و: "فُرادَ" مثل ثُلاثَ، و: "فَرْدَى" نحو: سَكْرى.

قوله: (**في استعبادكم**) استعبده جعله عبدًا. فقوله: "**في استعبادكم**"، أي: في استعباد الآلهة إيّاكم.

قوله: (**وعبدوها**) إذا عبدوها، أي: الآلهة، فكأنّهم جعلوا الله تعالى[1] مع آلهتهم شركاء فيهم، بأن صار بعضهم لله تعالى وبعضهم لآلهتهم. وقوله: (**فيهم**) أي: في أنفسهم.

قوله: (**"فرادًى" بالتنوين**) "فرادى" بالألف[2] بغير تنوين جمع "فَرْدان" مثل "سَكْران" و"سَكارى". هذا في قراءة[3] السبعة، وقُرئ في الشاذّ: "فُرادًى"[4] بالتنوين،

---

١ د ر - تعالى.
٢ ن ر: بألف.
٣ د ن: القراءة.
٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي البرهسم وأبي حَيْوَة. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٧٩.

فإن قلتَ: ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ في أيِّ محلٍّ هو؟

قلتُ: في محلِّ النصبِ صفةً لمصدرِ ﴿جِئْتُمُونَا﴾؛ أي: مَجيئًا مثلَ خَلْقِنا لكم.

﴿تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾: وقع التقطُّعُ بينَكم، كما تقول: "جُمع بين الشيئين" تُريدُ: أُوقعَ الجمعُ بينهما، على إسنَاد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل.

ومَن رَفَعَ فقد أَسنَدَ الفِعْلَ إلى الظرف، كما تقول: "قُوتِلَ خلفُكم وأمامُكم"، وفي قراءة عبد الله: "لقد تَقَطَّعَ ما بينَكم".

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ بالنبات والشجر، وعن مجاهد: أراد الشقَّيْن اللذين في النواة والحنطة.

جعلوه اسمًا صريحًا، نحو "تُؤام" و"فُراد" مثل[١] "ثُلاث". و"فَرْدى" كـ"سكرى"، و"تُؤام"[٢] بمعنى "التَّوْءم".[٣]

قوله: **(صفة لمصدر)** وذلك أنّ مجيئهم عبارة عن خلق الله تعالى إيّاهم[٤] ثانيًا، وهو مثل خلقه إيّاهم أوّلًا،[٥] فهو[٦] في المعنى كقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، فكأنّه قيل: ولقد خلقناكم فرادى ثانيًا كما خلقناكم أوّلًا.

قوله: **(إلى الظرف)**[٧] قال رحمه الله:[٨] **الظرف**: اسم مكان أو زمان يُنصب بمعنى "في"، ثمّ يُتَّسع فيه فيستعمل استعمال المفعول به.

قوله: **(وعن مجاهد)** إشارة إلى وجه آخرَ، فالوجه **الأوّل** هو أنّ المراد أنّه تعالى يفلق الحبّ فيخرج منه النبات ويفلق النوى فيخرج منه الشجر،

---

١ ر - فُراديّ بالتنوين جعلوه اسمًا صريحًا نحو "تُؤام" و"فُراد" مثل.

٢ ر: وتواءم.

٣ ن: تؤام.

٤ ن: إياكم.

٥ ن ر: فهو.

٦ ن: أولى؛ ر: أولًا.

٧ ر: الطواف.

٨ ن ر: رضي الله عنه.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾؛ أي: الحيوانَ والنَّاميَ من النُّطف والبَيضِ والحَبِّ والنوى ﴿وَمُخْرِجُ﴾ هذه الأشياءِ الميتةِ من الحيوان والنَّامي.

فإن قلتَ: كيف قال: ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ بلفظ اسم الفاعل بعد قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾.

قلتُ: عَطَفه على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ لا على الفعل، و﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ موقعُه موقع الجملة المُبيِّنَة لقوله: ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾؛ لأن فَلْقَ الحَبِّ والنوى بالنبات والشجر الناميَيْن من جنس إخراج الحي من الميت؛ لأن الناميَ في حُكم الحيوان، ألا تَرى إلى قوله: ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم ٣٠/٥٠].

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾: ذلكم المحيي المُميتُ هو الله الذي تَحِقُّ له الربوبيَّةُ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: فكيف تُصرفون عنه وعن تولِّيه إلى غيره؟

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

"الإصباحُ": مصدرٌ سمِّي به الصبح، وقرأ الحسن: "الأَصباح" بفتح الهمزة جمعُ صُبحٍ، وأُنشد قولُه:

والوجه **الثاني** هو أنّه تعالى يشقُّ الحبّ الذي هو الحنطة مثلًا، فالمراد الشِّقّ الذي في الحِنطة، وكذا النوى ففيه الشقّ الذي[1] هو النقير.

قوله: **(مِن النُّطف)**... إلخ، فيه لفّ ونشر.

قوله:[2] **(وعن تولّيه)** التولّي بمعنى الموالاة.

قوله تعالى: **﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ جُعل في هذه الآية الليل مفلوقًا والنهار** مفلوقًا عنه، وفي قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس ٣٦/٣٧] بالعكس، فتأمّل.

---

[1] ر - الذي.

[2] د - (مِن النطف) إلى آخره فيه لف ونشر قوله.

أَفْـنَـى رِيَـاحًـا وبـنـي رِيَـاحِ   تـنـاسُـخُ الأَمْـسـاء والأَصْـبـاحِ

بالكسر والفتح مَصْدَرين، وجمعَي مُسْيٍ وصُبْحٍ.

فإن قلتَ: فما معنى فَلْقِ الصبح، والظلمةُ هي التي تَنْفَلِقُ عن الصبح؟ كما قال:

تَـفَـرِّيَ لَـيْـلٍ عـن بـيـاضِ نـهَـارِ

قوله:

(أفـنـى ريـاحًـا) الـبـيـت

"رياح": قبيلة. وقيل: اسم رجل. وقوله:

(تـنـاسـخُ الإمـسـاء والإصـبـاح)[1]

تناسخ الأزمنة: ذهاب القرن بعد القرن. وأصل النسخ: إزالة أمر كان ثابتًا[2] بأمرٍ[3] يأتي[4] بعده.

قوله:

[٣٥٧ظ] **(تـفـرّيَ / لـيـلٍ عـن بـيـاض نـهـارِ)**[5]

أوَّله، وهو لأبي نواس في صفة الخمر:

تـــردَّتْ بــه ثــمّ انـفـرى عــن أديـمـهـا

وقبله:

كـأنّ بقايا مـا[6] عـفا[7] مِـن[8] حَبابها[9]   تـفاريـقُ شيب فـي سـواد عِـذارِ[10]

تردَّت، أي: أسقطت[11] الخمر الحَباب، أي: أظهرتُه على وجهها. ثمّ انفرى، أي: ذهب الحَباب عن وجه الخمر. وعفا، أي: اندرس.

---

١ ما عرفتُ قائله. وهو بلا عزو في **الأفعال** للسرقسطي، ٣٩٦/٣؛ و**لسان العرب** لابن منظور، «صبح».
٢ ر: بائنًا.
٣ د - بأمر.
٤ ر + عليه.
٥ **ديوان أبي نُواس**، ١٥٩/١.
٦ ن ر: من.
٧ ر: أعفى.
٨ ر: عن.
٩ ر: حبالها.
١٠ **ديوان أبي نُواس**، ١٥٩/١.
١١ ن ر: سقطت.

قلتُ: فيه وَجهان:

أحدهما: أن يراد: فالقُ ظلمةِ الإصباح، وهي الغَبَش في آخر الليل، ومُنقضاه الذي يلي الصُّبحَ.

والثاني: أن يراد: فالقُ الإصباحِ الذي هو عمودُ الفجر عن بياض النهار وإسفاره، وقالوا: "انشق عمودُ الفجر" و: "انصَدَعَ الفجر"، وسمَّوا الفجرَ فَلَقًا بمعنى: مفلوقٍ، وقال الطائيُّ:

وأَزْرَقُ الفجـــرِ يَبـــدُو قَبـــلَ أبيضـــهِ

وقرئ: "فالقَ الإصباحِ وجَاعِلَ الليلِ" بالنصب على المدح.

وقرأ النخعيُّ: "فَلَقَ الإصباحَ وجَعَلَ الليلَ".

السكنُ: ما يَسكن إليه الرجل ويطمئنُّ استئناسًا به واسْتِرواحًا إليه من زوجٍ أو حبيب، ومنه قيل للنار: سَكَنٌ؛ لأنه يُستأنس بها، ألا تراهم سمَّوها: المُؤنِسَة، والليلُ يَطمئنُّ إليه التَّعِبُ بالنهار لاستراحته فيه وجِمامِه.

ويجوز أن يراد: "وجَعَل الليل مسكونًا فيه" من قوله: ﴿لِتَسْكُنُواْفِيهِ﴾ [يونس ٦٧/١٠].

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ قُرئا بالحركات الثلاث، فالنصبُ على إضمار فعلٍ دلَّ عليه ﴿جاعلُ الليلِ﴾؛ أي: وجعَلَ الشمس والقمر حُسبانًا، أو يُعطفان على محلِّ ﴿الليلِ﴾.

قوله: **(الطائي)** أي: البحتري.

قوله:

(وأزرقُ الفجـــرِ يبـــدو قبـــل أبيضـــهِ)

تمامه:

وأوّل الغيـــث رشٌّ ثـــمَ ينســـكبُ[١]

---

[١] مضى بيت البحتري بتخريجه في شرح مقدّمة الكشّاف.

فإن قلتَ: كيف يكون لـ﴿ٱلَّيۡلَ﴾ محلٌّ والإضافةُ حقيقيةٌ؛ لأن اسم الفاعل المضافَ إليه في معنى المضيّ، ولا تقول: زيد ضاربٌ عمرًا أمس؟

قلتُ: ما هو في معنى المضيّ، وإنَّما هو دالٌّ على جَعْلٍ مستمرٍّ في الأزمنة المختلفة، وكذلك ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ و﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾؛ كما تقول: "الله عالمٌ قادرٌ" فلا تقصدُ زمانًا دون زمانٍ.

والجرُّ عطفٌ على لفظِ ﴿الليلِ﴾.

والرفعُ على الابتداء والخبرُ محذوف، تقديره: "والشمسُ والقمرُ مجعولان حُسبانًا" أو: "محسوبان حُسبانًا".

ومعنى جَعْلِ الشمس والقمر حُسبَانًا: جَعلُهما على حُسبانٍ؛ لأن حسابَ الأوقات يُعلم بدَوْرهما وسيرهما، والحُسْبان بالضم: مصدرُ حسَبَ؛ كما أن الحِسْبانَ بالكسر مصدرُ حَسِبَ، ونظيرُهُ الكفران والشُّكْران.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى جعلِهما حُسبانًا؛ أي: ذلك التسييرُ بالحساب المعلوم ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ الذي قهرهما وسخَّرهما ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما وتدويرهما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٩٧ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ٩٨﴾

﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾: في ظلمات الليلِ بالبرِّ والبحر، وأضافها إليهما لملابَسَتِها لهما، أو شَبَّهَ مشتَبِهات الطُّرق بالظلمات.

مَن فَتَح قافَ المستقَر كان المستودَعُ ....

قوله: (**قلتُ: ما هو في معنى المُضيّ**) هذا مُشكِلٌ؛ لأنّه ذكر في سورة الفاتحة أنّه إذا قصد معنى الماضي كقولك: "هو مالك عبده أمس"، أو زمانٌ مستمرٌّ كقولك: "زيد مالكُ العبيد" كانت الإضافة حقيقيّة كقولك: مولى العبيد.

قوله: (**مَن فتح فاء[1] المستقرّ**) أي: فاء فعله[2] وهو القاف.

---

[1] ن: قاف.

[2] ن: مقوله.

اسمَ مكانٍ مثلَه أو مصدرًا، ومَن كسَرَها كان اسمَ فاعل والمستودَعُ اسم مفعول، والمعنى: فلكم مستقَرٌّ في الرحم ومستودَعٌ في الصُّلْب، أو مستقَرٌّ فوق الأرض ومستودَعٌ تحتها، أو: فمنكم مُستقِرٌّ ومنكم مستودَع.

فإن قلتَ: لـمَ قيل: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع ذكر النجوم و: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ مع ذكر إنشاءِ بني آدم؟

قلتُ: كأنَّ إنشاءَ الإنس من نفسٍ واحدةٍ وتصريفَهم بين أحوالٍ مختلفةٍ ألطفُ وأدقُّ صَنْعةً وتدبيرًا، فكان ذكرُ الفقه الذي هو استعمالُ فِطْنةٍ وتدقيقُ نظرٍ مطابقًا له.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: نَبْتَ كلِّ صنفٍ من أصناف النامي، يعني: أن السبب واحدٌ وهو الماء، والمسبَّبات صنوفٌ مُفْتَنَّة؛ كما قال: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد ١٣/٤].

قوله: **(اسمَ مكان)** أي: كلاهما اسم مكان.

قوله: **(أو مصدرًا)** أي: مصدرًا[١] مثلَه.

قوله: **(والمعنى)** إلى قوله: **(تحتها)** على تقدير كون المستقرَّ مفتوحَ الفاء،[٢] ويحتمل على كلِّ واحد مِن المعنيين كون "المستقَرّ" و"المستودَع" اسمَ مكان أو مصدرًا.

قوله: **(أو: فمنكم)** على كسر القاف، فـ"المستقِرُّ" اسم فاعل و"المستودَع" اسم مفعول. وقوله: **(أو مستقرّ في الأرض)** أو على العكس. عن أبي عليّ والكعبي وأبي مسلم: أي مستقَرّ تحت الأرض ومستودَع فيها.

---

[١] ر – أي: مصدرًا.
[٢] ن: القاف.

﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾: من النبات ﴿خَضِرًا﴾: شيئًا غَضًّا أخضر، يقال: أخضَرُ وخَضِرٌ كأَعْوَرَ وعوِرٍ، وهو ما تشعَّبَ من أصل النبات الخارج من الحبَّة.

﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾: من الخَضِر ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ وهو السُّنبلُ.

و﴿قِنْوَانٌ﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿مِن النخل﴾ خبرُه، و﴿مِن طَلْعِهَا﴾ بدلٌ منه؛ كأنَّه قيل: وحاصلةٌ من طلعِ النخل قنوانٌ.

ويجوز أن يكون الخبرُ محذوفًا لدلالةِ "أخرجنا" عليه، تقديره: ومُخرَجَةٌ من طلعِ النخل قنوانٌ.

ومَن قرأ: "يَخرُجُ منه حَبٌّ متراكبٌ" كان ﴿قِنْوَانٌ﴾ عنده معطوفًا على "حبٌّ".

والقنوان: جمعُ قِنْوٍ، ونظيرُه: صِنوٌ وصِنْوانٌ، وقرئ بضمِّ القاف، وبفتحها على أنه اسمُ جمعٍ كـ: «رَكْبٍ»؛ لأن «فَعْلان» ليس من زِنَات التكسير.

قوله: (ويجوز أن يكون الخبر محذوفًا) الفرق بين الوجهين أنّك إذا قدَّرت متعلَّق الجارّ أمرًا عامًّا يكون الجارُّ مع المجرور[١] ثابتًا في موضع الخبر، ويقال له: "إنّه خبر"، ولا يقال: "الخبر محذوف"، وإذا قدرتَ أمرًا خاصًّا نحو "مُخرَجةٌ"، فيكون هو الخبر، فيقال فيه: "الخبر محذوف" لدلالة ما تقدَّم عليه.

قوله: (﴿قِنْوَانٌ﴾) القِنوان: عُذوق النخل، وهي أغصانه. العَذْق: بالفتح النخلة، وبالكسر الكِباسة.[٢]

قوله: (وقُرئ بضمّ القاف،[٣] وبفتحها)[٤] أمّا الفتح فعلى أنّه اسم جمع... إلخ، وأمّا القُنوان بالضمّ فجمع كـ"رُكبان" و"فُرسان".[٥]

---

١ ر: المحذوف.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عذق».

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش، والخفّاف عن أبي عمرو، وأبي عبد الرحمن السُّلمي وأبي رجاء. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٨٤.

٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعرج، وهارون عن أبي عمرو. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٨٤.

٥ ر: فرسان.

﴿دَانِيَةٌ﴾: سهلةُ المُجتَنَى مُعْرِضَةٌ للقاطف كالشيء الداني القريبِ المتناوَلِ؛ ولأنّ النخلة وإن كانت صغيرةً ينالُها القاعد، فإنها تأتي بالثمر لا تَنتظِر الطولَ.

وقال الحسن: ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبٌ بعضُها من بعض.

وقيل: ذكَرَ القريبةَ وتَرَكَ ذكرَ البعيدة؛ لأن النعمة فيها أظهرُ، أو دلَّ بذكر القريبة على ذكر البعيدة؛ كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل ٨١/١٦].

وقوله: "وجناتٌ من أعنابٍ" فيه وجهان:

أحدهما: أن يرادَ: وثَمَّ جناتٌ من أعنابٍ؛ أي: مع النَّخل.

والثاني: أن يُعطف على ﴿قِنْوَانٌ﴾ على معنى: ....

قوله: **(مُعرِضةٌ)** مِن أعرض لي[1] السيرُ، أيِ: أمكَن، يقال: أعرض له كذا إذا أمكَنه وحقيقتُه أبدى عُرضه، والعُرْض بضم العين وسكون الراء: الجانب.

قوله: **(ولأنّ النخلة)** عطف على **(سهلةُ المجتنى)** مِن حيث المعنى، فكأنّه قال: إنّما قال تعالى: ﴿دَانِيَةٌ﴾؛ لأنّ النخلة سهلة ولأنّ النخلة.[2] وأمّا[3] على ما ذكر الحسن فالمراد بدُنوّ القِنوان قُربُ بعضها مِن بعض،[4] فالأصل "دانٍ بعضُ القِنوان مِن بعض"،[5] ثمّ حُذف المضاف فصار كما ترى. وقوله: **(ينالها)** صفة **(صغيرة)**.

قوله: **(والثاني أن يُعطَف)** في هذا الوجه الثاني نظرٌ؛ إذ لا يستقيم أن يقال: حصلت أو خرجت مِن النخل جنّات[6] مِن نباتِ أعنابٍ، فإنّ الجنّات[7] مِن نبات الأعناب لم تحصل ولم تخرج مِن النخل، فالوجه هو المذكور أوّلًا. وقال في **الوسيط**: ومَن رفع / فقال ابن الأنباري: تقديره "وجنّات مِن أعناب أخرجناها"، [٣٥٨و]
كقول[8] العرب: أكرمتُ عبدَ الله وأخوه، يريدون: وأخوه أكرمتُه أيضًا.[9]

---

١ ن ر: إلى.
٢ ن ر – سهلة ولأنّ النخلة.
٣ ن ر: أمّا.
٤ قوله في **النكت والعيون** للماوردي، ١٤٩/٢ (الأنعام، ٩٩/٦).
٥ ن ر – فالأصل "دانٍ بعض القنوان مِن بعض".
٦ ر: حبات.
٧ ر: الحبات.
٨ د: كقولك.
٩ انظر: **الوسيط** للواحدي، ٣٠٥/٢ (الأنعام، ٩٩/٦).

وحاصلةٌ أو ومُخرجَةٌ من النخل قنوانٌ وجناتٌ من أعناب؛ أي: من نباتِ أعناب.
وقرئ: ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ بالنصب عطفًا على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: وأخرجنا به جناتٍ من أعناب، وكذلك قوله: ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾، والأحسن أن ينتصِبَا على الاختصاص؛ كقوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء ١٦٢/٤] لفضلِ هذينِ الصِّنفين.
﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ يقال: اشْتَبَه الشَّيئان وتشابَها؛ كقولك: استوَيَا وتساوَيَا،

قوله: (**عطفًا على ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾**) قال في **الوسيط**: الوجه في ﴿جَنَّٰتٍ﴾ كسر التاء؛ لأنّها في موضع نصب[1] نسَقًا على قوله: ﴿خَضِرًا﴾.[2] وهذا المذكور في **الوسيط** خير ممّا ذكر في **الكشّاف**؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ شامل لنبات العنب وغيره كما ذَكَره هو، فبعد ما ذَكَر[3] الله تعالى أنّه أخرج بالماء نبات كلّ شيء أشار إلى أنّه أخرج مِن النبات خضِرًا وجنات مِن أعناب، فكأنّه قال تعالى: "أخرجنا مِن النبات[4] الخَضْراوات والأشجار"، وكذا قوله: ﴿ٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾، وهذا أحسن مِن قوله: (**والأحسن**).

ويمكن أن يقال: هذا الذي ذكره صاحب **الكشّاف** أحسن؛ لأنّه إذا قيل: ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بالكسر عطفٌ على ﴿خَضِرًا﴾ كان المعنى يخرج مِن ذلك النبات خضِرًا، ويخرج أيضًا مِن النبات جنّات، وليس الأمر في الأشجار على ما هو في الخَضْراوات، فإنّه يخرج الخضِر مِن النبات في الخَضْراوات،[5] وأمّا في الأشجار فإنّ الخارج أوّلًا هو الذي يكبر ويصير شجرًا، لا[6] أنّه يخرج نباتٌ ثمّ يخرُج منه شيء يصير شجرًا. فهذا هو القول السديد الحسن، وأحسنه أحسن.

قوله: (**أي: مِن نباتِ أعناب**) وإنّما كان التقدير مِن نبات أعناب؛ لأنّ الجنّات لا تكون مِن أعناب؛ لأنّ العِنَب ثمر والجنّات تكون مِن الأشجار.

قوله: (**وتشابهَا**) يعني جاء "افتعل" و"تفاعل" بمعنًى واحد، فلذلك ذكر

---

[1] ن: مسق.
[2] انظر: **الوسيط** للواحدي، ٣٠٥/٢ (الأنعام، ٩٩/٦).
[3] ن ر: ذكره.
[4] د - خضرًا وجنات مِن أعناب فكأنّه تعالى قال: "أخرجنا مِن النبات.
[5] ن: الخضر.
[6] ر: إلا.

والافتعالُ والتفاعلُ يشتركان كثيرًا، وقرئ: "متشابهًا وغيرَ متشابهٍ".

وتقديره: والزيتونَ متشابهًا وغيرَ متشابهٍ والرمانَ كذلك؛ كقوله:

... كنتُ منه ووالدي بريئًا...

أحدهما في مقابلة الآخر فقال: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾، فكأنّه قال: "مُشْتبهًا وغير مُشْتبه"، أو كأنّه قال: "متشابهًا وغيرَ متشابه"،[١] كما جاء في القراءة الشاذّة.[٢]

قوله: **(والزيتونَ متشابهًا وغيرَ متشابه والرمانَ كذلك)** يُشير به إلى أنّ المحذوف إنّما هو مِن الثاني لا مِن الأوّل، ومذهب سيبويهِ في مثله أنّ المحذوف إنّما هو مِن الأوّل لا[٣] الثاني،[٤] واستدلّ عليه بقول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأيُ مختلفُ[٥]

وأمّا البيت الذي أورده المصنِّف فيحتمل أن يكون المحذوف فيه مِن الأوّل أو الثاني كالآية.

قوله: **(كنتُ منه[٦] ووالدي[٧] بريئًا)**.[٨]

رماني بأمر "كنتُ منه ووالدي بريًّا" ومِن أجل الطَّويّ رماني[٩]

---

١ ن ر - فكأنّه قال: "مشتبهًا وغير مشتبه" أو كأنّه قال: "متشابهًا وغير متشابه".

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن مَقسَم. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٧٨٤.

٣ ن + من.

٤ انظر: **كتاب سيبويه**، ١/٧٤-٧٥.

٥ البيت لعمرو بن امرئ القيس الخزرجيّ في **البيان والتبيين** للجاحظ، ٣/١٠٠؛ و**جمهرة أشعار العرب** للقرشيّ، ص ٥٣١. وهو بلا عزو في **معاني القرآن** للأخفش، ١/٣٥٧؛ و**جامع البيان** للطبري، ١١/٤٣٤ (التوبة، ٩/٣٤). وجاء منسوبًا إلى قيس بن الخطيم في مطبوع **كتاب سيبويه**، ١/٧٥، وهو في قسم المنسوب إلى شعره مِن ديوانه، ص ٢٣٩، وبيَّن محقّق ديوان قيس أنّه لعمرو، وذكر أنّ شعرهما قد يتداخل. انظر: **ديوان قيس بن الخطيم**، ص ١٠١-١٠٢، ٢٣٩. وفصّل البغداديُّ الكلام في هذا البيت وأنّ الصحيح نسبته لعمرو. انظر: **خزانة الأدب**، ٤/٢٧٥-٢٨٣.

٦ ن: فيه.

٧ ن: والذي.

٨ ر: برياء.

٩ مختلف في نسبته: فهو لعمرو بن أحمر الباهليّ في **كتاب سيبويه**، ١/٧٦، و**شرح أبيات سيبويه** لابن السِّيرافيّ، ١/٢٤٨-٢٤٩؛ وللأزرق بن طرفة بن العَمرَّد الفرّاصيّ في **البسيط** للواحدي، ١٨/٤٧٨ (يس، ٣٦/٣٥). وهو بلا عزو في **شرح الحماسة** للمرزوقيّ، ٢/٩٣٦.

والمعنى: بعضُه متشابهًا وبعضُه غيرَ متشابِهٍ، في القَدْر واللَّون والطَّعم، وذلك دليلٌ على التعمُّد دون الإهمال.

﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾: إذا أخرج ثمره كيف يُخرجه ضَئِيلًا ضعيفًا لا يكاد يُنتفَعُ به، وانظروا إلى حالِ يَنعِه ونُضجه كيف يعود شيئًا جامعًا لمنافعَ ومَلَاذَّ نَظَرَ اعتبارٍ واستبصارٍ واستدلالٍ على قدرة مقدِّره ومدبِّره وناقله من حالٍ إلى حال.

وقرئ "ويُنْعِه" بالضم، يقال: يَنَعَتِ الثمرةُ يَنْعًا ويُنْعًا، وقرأ ابن محيصن: "ويَانِعِه".

وقرئ: "ثُمُرِه" بالضم.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾

إن جعلتَ ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ مفعولي ﴿جَعلوا﴾ نصبتَ ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ بدلًا من ﴿شُرَكَآءَ﴾، وإن جعلتَ ﴿لِلَّهِ﴾ لغوًا كان ﴿شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ مفعولين قَدِّم ثانيهما على الأوَّل.

فإن قلتَ: فما فائدةُ التقديم؟

الطويّ: البئر المبنيّة بالحجر أو الآجرّ أو[1] غيرِهما.[2]

قوله: **(إلى حال يَنْعه)** قال رحمه الله:[3] هلّا قيل: إلى غضّ ثمره ويَنْعه؟ قلتُ: في هذا الأسلوب فائدة، وهي أن اليَنْع وقع فيه معطوفًا على الثمر، على سَنن الاختصاص في نحو قوله تعالى: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨]، للدلالة على أنّ اليَنْع أوفى مِن الغضّ.

قوله:[4] **(ونُضجِه)** «نضِج الثمر واللحم نَضْجًا ونُضْجًا، أي: أدرك».[5]

[٣٥٨ظ] قوله: **(وملاذَّ)** / مِن اللذة.

قوله: **(لَغْوًا)** أي: لم يُقدَّر فيه مستقَرّ.

---

[1] ر - أو.
[2] ر: وغيرهما.
[3] ن ر: رضي الله عنه.
[4] ن ر - تعالى: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ للدلالة على أنّ الينع أوفى مِن الغضّ. قوله.
[5] الصحاح للجوهري، «نضج».

قلتُ: فائدتُه: استعظامُ أن يُتَّخذَ لله شريكٌ مَن كان: مَلَكًا أو جنِّيًا أو إِنْسيًا أو غيرَ ذلك، ولذلك قُدِّم اسمُ الله على الشركاء.

وقرئ: "الجنُّ" بالرفع؛ كأنه قيل: مَن هم؟ فقيل: الجن، وبالجرِّ على الإضافة التي للتبيين.

والمعنى: أشرَكوهم في عبادته؛ لأنهم أطاعوهم كما يُطاعُ اللهُ.

وقيل: هم الذين زعموا أن الله خالقُ الخيرِ وكلِّ نافعٍ، وإبليسَ خالقُ الشرِّ وكلِّ ضارٍّ.

﴿وَخَلَقَهُمْ﴾: وخَلقَ الجاعلين لله شركاء، ومعناه: وعَلِمُوا أن الله خالقُهم دون الجنِّ، ولم يمنعهم علمُهم أن يتَّخذوا مَن لا يخلُقُ شريكًا للخالق.

وقيل: الضمير للجنِّ.

وقرئ: "وخَلْقَهم"؛ أي اختلاقَهم للإفك، يعني: وجعلوا للهِ خَلْقَهم حيث نَسبُوا قبائحَهم إلى الله في قولهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف ٧/٢٨].

﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ﴾: وخلقوا له؛ أي: افتعلوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾ وهو قول أهلِ الكتابَيْن في المسيح وعزيرٍ، وقولُ قريشٍ في الملائكة.

يقال: خَلَق الإفكَ وخَرَقَه واختَلقه واختَرَقه بمعنًى.

وسُئل الحسن عنه فقال: كلمةٌ عربيَّةٌ كانت العرب تقولها: كان الرجل إذا كذبَ كِذْبَةً في نَادِي القوم يقول له بعضهم: قد خَرَقها واللهِ.

ويجوز أن يكون من خَرَق الثوبَ: إذا شقَّهُ؛ أي: اشتقُّوا له بنينَ وبناتٍ.

وقرئ: ﴿وخرَّقوا﴾ بالتشديد للتكثير لقوله: ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ﴾.

قوله: (**شريكٌ**) أي: أيُّ شريك كان.

قوله: (**مَن هم؟**) أي: مَن الذين جعلهم الكفّار شركاءَ.

قوله: (**وخَلَق الجاعلين**) فالضمير للجاعلين.

قوله: (**الكتابين**) يهود ونصارى.

وقرأ ابن عُمر وابن عباس: "وحَرَّفُوا له"، بمعنى: وزَوَّرُوا له أولادًا؛ لأنَّ المُزوِّرَ محرِّفٌ مغيِّرٌ للحقِّ إلى الباطل.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: من غيرِ أن يَعلَموا حقيقةَ ما قالوه من خطأٍ أو صواب، ولكنْ رَمْيًا بقولٍ عن عَمًى وجهالة، من غيرِ فكرٍ ورَوِيَّة.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من إضافةِ الصفة المشبَّهة إلى فاعلها؛ كقولك: فلانٌ بديعُ الشِّعر؛ أي: بديعٌ شِعْرُه.

أو: هو بديعٌ في السماوات والأرض؛ كقولك: فلان ثَبْتُ الغَدَرِ؛ أي: ثابتٌ فيه، والمعنى: أنه عديمُ النظيرِ والمثْلِ فيهما.

وقيل: البديعُ بمعنى المبدِع.

وارتفاعُه على أنه خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أو هو مبتدأٌ وخبرُه: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾، أو فاعِلُ ﴿تعالى﴾.

قوله: (**الغَدَر**) الغَدَر: الموضع الكثير الحجارة. ورجل ثَبْتُ الغَدَر، أي: ثابت في قتال وكلام. قال ابن السِّكِّيت: يقال: ما أثبتَ غَدَره، أي: ما أثبته في الغَدَر. والغَدَر: الجِحْرة[١] واللخاقيق مِن الأرض. قال: يقال[٢] ذلك للفرس[٣] وللرجل إذا كان لسانه يثبت في موضع الزَّلَل والخصومة.[٤] جاء في الحديث أنّ رجلًا كان واقفًا مع النبيّ عليه السلام[٥] فوقصت[٦] به ناقته في أخاقيق جِرْذان.[٧] «قال الأصمعيّ: إنّما هو لَخاقيق، والواحد لُخقوق، وهو شقوق في الأرض».[٨]

---

١ ر: الحجرة.

٢ ن: ويقال.

٣ ن: النفوس.

٤ مِن قوله: "الغدر: الموضع" بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «غدر».

٥ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٦ ن: فوصت.

٧ **الصحاح** للجوهري، «خقق».

٨ **غريب الحديث** لأبي عبيد، ٧٥/٣؛ **الصحاح** للجوهري، «خقق»؛ **الغريبين** للهروي، ٥٧٨/٢.

وقرئ بالجرِّ ردًّا على قوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ أو على ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾، وبالنصب على المدح.

وفيه إبطالُ الولد من ثلاثة أوجُهٍ:

أحدها: أن مُبتدِعَ السماوات والأرض -وهي أجسامٌ عظيمةٌ- لا يستقيمُ أن يوصف بالولادة؛ لأن الولادة من صفاتِ الأجسام، ومخترعُ الأجسام لا يكون جسمًا حتى يكون والدًا.

والثاني: أن الولادة لا تكون إلَّا بين زوجين من جنسٍ واحد، وهو متعالٍ عن مجانسٍ، فلم يصح أن تكون له صاحبةٌ، فلم تصحَّ الولادة.

والثالث: أنه ما من شيءٍ إلا وهو خالقُه والعالِمُ به، ومَن كان بهذه الصفةِ كان غنيًّا عن كلِّ شيءٍ، والولدُ إنما يطلبُه المحتاج.

وقرئ: "ولم يَكُنْ له صاحبةٌ" بالياء، وإنما جاز للفصل؛ كقوله:

لقــــد وَلــــدَ الأُخيْطِــــلَ أُمُّ سَــــوْءٍ

قوله: (**أو على ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾**) على أنّه بدل مِن الضمير وهو الهاء في ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾.

قوله:

(لقــــد وَلَــــد الأُخيطــــلَ أمُّ سَــــوءٍ)

تمامه:

عـلـى بــاب استـهـا صُـلُـبٌ وشــام[1]

الصُّلُب جمع صليب، وهو: ودَكُ الجيفة.[2] والشام جمع شامة، وهي: العلامة. كان الأُخيطل مِن نصارى العرب، واسمه غياث بن غوث، وزعموا أنّ جريرًا لقّبه بذلك، والأخطل[3] كان اسمَ جدّه. والصُّلُب جمع صليب، وهو صليب النصارى.

---

١ البيت لجرير في **ديوانه**، ١/٢٨٣؛ وهو له في **شرح كتاب سيبويه** للسيرافي، ١/٢٥٣؛ **والمفصّل** للزمخشري، ص ٢٤٧؛ **وضرائر الشعر** لابن عصفور، ص ٢٧٨؛ وهو بلا عزو في **المذكّر والمؤنّث** لابن الأنباري، ٢/٢١٢.

٢ ر + وهو الجيفة.

٣ ن ر: الأخيطل.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ إشارةٌ إلى الموصوف بما تقدَّم من الصفات، وهو مبتدأ وما بعده أَخْبارٌ مترادفةٌ وهي ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾؛ أي: ذلكم الجامعُ لهذه الصفات.

﴿فَٱعۡبُدُوهُ﴾ مسبَّبٌ عن مضمونِ الجملة على معنى: أن مَن اسْتَجمعَتْ له هذه الصفاتُ كان هو الحقيقَ بالعبادة فاعبدُوه ولا تعبدوا مَن دونَه مِن بعضِ خلقه، ثم قال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ يعني وهو مع تلك الصفات مالكٌ لكلِّ شيء من الأرزاق والآجال رقيبٌ على الأعمال.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

"البَصَرُ": هو الجوهرُ اللطيفُ الذي ركَّبه الله في حاسَّة النظر به تُدرَكُ المبصَراتُ، فالمعنى: أن الأَبْصار لا تتعلَّق به ولا تُدركُه؛ لأنه متعالٍ أن يكون مُبْصَرًا في ذاته؛ لأنّ الأَبْصار إنما تتعلَّق بما كان في جهةٍ أصلًا، أو تابعًا كالأجسام والهَيْئاتِ.

والشام جمع شامة، وهي: الخال والعلامة، والمراد منهما النقوش كما تفعل[١] المُومِسة، وهي: الفاجرة. وكان القياس التاء؛ لأنّ الفاعل مؤنَّث حقيقيّ، لكن ترك التاء للفاصلة.

قوله: (**لأنّ الأبصار إنّما تتعلَّق بما كان في جهة**)... إلخ، هذا الذي ذكره مذهبُ المعتزلة[٢] ومقدِّماته المذكورة ممنوعة، والآية إنّما تدلّ على نفي أن يكون مدرَكًا بالبصر لا أن يكون مبصَرًا، والإدراك: عبارة عن إبصار الشيء مع إبصار جوانبه وأطرافه. ولمّا كان الله تعالى شانه[٣] منزَّهًا عن الجانب والطرف استحال أن يكون مدرَكًا، ولا يلزم منه ألّا يكون مبصَرًا.

---

١ ن: تفعله.
٢ انظر: **الإرشاد** للجويني، ص ١٧٦.
٣ ر - شانه.

﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ وهو للُطفِ إدراكِه للمُدرَكات يُدرِك تلك الجواهرَ اللطيفة التي لا يدركُها مدرِكٌ ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ يَلطُف عن أن تُدركَه الأبصار، ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ بكلِّ لطيفٍ، فهو يدركُ الأبصارَ لا تلطفُ عن إدراكه، وهذا من باب اللَّف.

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ١٠٤﴾

﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ هو واردٌ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾.

والبصيرة: نورُ القلب الذي به يُسْتَبْصَر؛ كما أن البَصر نورُ العين الذي به تُبْصِرُ؛ أي: جَاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر.

﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ﴾ الحقَّ وآمَنَ ﴿فَلِنَفۡسِهِۦ﴾ أَبْصَرَ وإيَّاها نَفَع ﴿وَمَنۡ عَمِيَ﴾ عنه فعلَى نفسه عَمِيَ وإيَّاها ضَرَّ بالعمى.

﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ أحفظُ أعمالَكم وأجازيَكم عليها، إنما أنا منذرٌ واللهُ هو الحفيظ عليكم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١٠٥﴾

﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ جوابُه محذوف تقديره: وليقولوا درَسْتَ نُصرِّفُها.

قوله: (وهو وارد) أي: ورد على إضمار القول، كأنّه قيل: قل قد جاءكم. وبصائر جمع بصيرة.

قوله: (﴿لِيَقُولُواْ﴾ جوابه محذوف)،[1] يريد بجوابه متعلّق اللام الذي[2] هو المعلّل.

---

[1] ن – محذوف).

[2] ر: التي.

ومعنى ﴿دَرَسْتَ﴾: قرأتَ وتعلّمتَ، وقرئ: ﴿دَارَسْتَ﴾؛ أي: دارَسْتَ العلماء، و: ﴿دَرَسَتْ﴾ بمعنى: قَدُمَتْ هذه الآيات وعَفَتْ؛ كما قالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الفرقان ٢٥/٥].

و: "دَرُسَتْ" بضمّ الراء مبالغةً في ﴿دَرَسَتْ﴾؛ أي: اشتدَّ دُروسُها.

و: "دُرِسَتْ" على البناء للمفعول، بمعنى: قرئت أو عُفيت.

و: "دَارسَتْ"، وفسّروها بـ: "دارسَتِ اليهودُ محمدًا"، وجاز الإضمارُ؛ لأن الشهرة بالدراسةِ كانت لليهود عندهم، ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها؛

قوله: (وقُرئ: ﴿دَارَسْتَ﴾)[1] قال الشيخ في **الكواشي**:

> ﴿دَرَسْتَ﴾ بفتح التاء وسكون السين، أي: قرأتَ كتب الأوّلين وجئتَ **بالقرآن** منها، و﴿دَارَسْتَ﴾ بألف، أي: قارأتَ أهل الكتاب بأن أعنتَهم وأعانوك، نحو ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان ٢٥/٤]، وبفتح السين وسكون التاء،[2] أي: انمحَتْ مِن "درس الأثر": عفا، أي: هذه الأخبار[3] قديمة لا[4] اعتدادَ[5] بها.[6]

هكذا ذكر ثمّ أشار إلى أنّ باقي القراءات شاذّة.

قوله: (قُرئت) بمعنى قرأها النبيّ عليه السلام[7] على أحد مِن الناس، يعني: تعلّمها منه.

قوله: (وفسَّروها) يريد أنّ من قرأ ﴿دَارَسْتَ﴾ على "فاعَلَتْ" وإسنادِ الفعل إلى ضمير المؤنَّث فالمعنى في قراءته (دارسَتِ اليهود)، وذلك على وجهين: الأوّل أن يكون الضمير فيه عائدًا[8] إلى / اليهود[9] وإن لم يجرِ ذِكرهم؛ لأنّ القرينة [٣٥٩و]

---

١ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. النشر لابن الجزري، ٢/٢٦١.

٢ قرأ بها ابن عامر ويعقوب. النشر لابن الجزري، ٢/٢٦١.

٣ ن: الاعتبار.

٤ ن ر - لا.

٥ ن: الاعتداد؛ ر: الاعتذار.

٦ **تفسير الكواشي**، ١٧٦و.

٧ ر - عليه السلام.

٨ ر: عائد.

٩ مِن هنا تغير الخطّ في د، وساءت النُسخة، وسيستمرّ التغيُّر إلى ٣٦٠ظ.

أي: دارَسَ أهلُ الآيات وحَمَلَتُها محمدًا، وهم أهل الكتاب.

و: "درَسَ"؛ أي: درس محمد.

و: "دارساتٌ" على: هي دارساتٌ؛ أي: قديمات، أو: ذاتُ دَرْسٍ؛ ك: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩].

فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين اللامَين في ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾.

قلتُ: الفرقُ بينهما: أن الأولى مجازٌ والثانيةَ حقيقةٌ، وذلك أن الآيات صُرِّفت للتبيين ولم تُصرَّف ليقولوا: ﴿دارَسْتَ﴾؛ ولكنْ لأنه حصل هذا القولُ بتصريفِ الآيات كما حصَل التبيينُ شُبِّه به فسِيقَ مساقَه وقيل: "ليقولوا" كما قيل: "لنبيِّنَه".

فإن قلتَ: إلامَ يرجعُ الضميرُ في قوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾؟

قلتُ: إلى ﴿ٱلْآيَـٰتِ﴾؛ لأنها في معنى القرآن؛ كأنَّه قيل: وكذلك نُصرِّف القرآنَ، أو إلى القرآن وإن لم يَجْرِ له ذكرٌ لكونه معلومًا، أو إلى التبيينِ الذي هو مصدرُ الفعل؛ ....

الحاليّة[1] دالّة على ذلك، **والثاني** أن يكون الضمير عائدًا[2] إلى الآيات، ويكون المضاف محذوفًا، أي: دارسَتْ أهلُ الآيات محمّدًا. وهذا التفسير مثل تفسير "دارسْتَ" إلّا أنّ "دارس" في الأوّل مسند إلى ضمير المخاطَب وهذا إلى ضمير الغائب العائد إلى اليهود، والمفعول محذوف فيهما.

قوله: **(دارَس)** أي: علّم.

قوله: **(دَرَس)** أي: قرأ وتعلّم.

قوله:[3] **(كما حصل)** أي: بتصريف الآيات.

قوله: **(شُبّه)** أي: هذا القول.

قوله: **(به)** أي: بالتبيين.

---

[1] د ر: الحالة.

[2] د: عائد.

[3] ر - (دارس) أي: علم قوله: (درس) أي: قرأ وتعلم. قوله.

كقولهم: "ضربتُه زيدًا".

ويجوز أن يراد فيمَن قرأ: ﴿دَرَسَتْ﴾ و: ﴿دارَسْتَ﴾: درسْتَ الكتاب ودارسْتَه، فيرجع إلى الكتاب المقدَّر.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ اعتراضٌ أكِّد به إيجابُ اتِّباع الوحي لا محلَّ له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالًا من ﴿رَّبِّكَ﴾، وهي حالٌ مؤكَّدةٌ؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة ٢/٩١].

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟﴾ الآلهة ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨]: لتَنْتَهِين عن سبِّ آلهتنا أو لنَهجُونَّ إلهك.

وقيل: كان المسلمون يسبُّون آلهتَهم، فنُهوا لئلا يكون سَبُّهم سببًا لسبِّ الله.

فإن قلتَ: سَبُّ الآلهة حقٌّ وطاعةٌ، فكيف صحَّ النهيُ عنه وإنما يصحُّ النهي عن المعاصي؟

قلتُ: رُبَّ طاعةٍ عُلِم أنها تكونُ مَفسَدَةً فتَخرُجُ عن أن تكون طاعةً، فيجب النهي عنها؛ لأنها معصيةٌ لا لأنها طاعةٌ؛ كالنهي عن المنكر هو من أَجلِّ الطاعات، فإذا عُلم أنه يؤدي إلى زيادة الشرِّ انقلب مَعْصيةً، ووجب النهيُ عن ذلك النهي كما يجب النهيُ عن المنكر.

فإن قلتَ: فقد روي عن الحسن وابن سيرين: أنهما حضرا جنازةً، ....

قوله: (**ضربتُه زيدًا**) أي: ضربتُ الضربَ زيدًا أي: لنبيِّن التبيين.

قوله: (**فإن قلتَ: فقد رُوي عن الحسن**)... إلى آخره، وجهُ السؤال

فرأى محمّد نساءً فرجع، فقال الحسن: لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في دِيننا.

قلتُ: ليس هذا مما نحن بصدَدِه؛ لأن حضور الرجالِ الجنازةَ طاعةٌ، وليس بسببٍ لحضور النساء، فإنهن يَحضُرْنها حضَر الرجالُ أو لم يحضُروا، بخلافِ سبِّ الآلهة، وإنما خُيّل إلى محمدٍ رحمه الله أنه مثلُه حتى نبّه عليه الحسنُ.

﴿عَدۡوَۢا﴾: ظلمًا وعدوانًا، وقرئ: ﴿عُدُوًّا﴾ بضم العين وتشديد الواو بمعناه، يقال: عَدَا فلان عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا وعَداءً.

وعن ابن كثير: ﴿عَدُوًّا﴾ بفتح العين بمعنى: أعداء.

﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾: على جهالةٍ بالله وبما يجبُ أن يُذكَر به.

﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾: مثلَ ذلك التزيينِ زيَّنَّا لكلِّ أمةٍ من أممِ الكفار سوءَ عملِهم؛ أي: خَلَّيْناهم وشأنَهم ولم نكفَّهم حتى حَسُن عندهم سوءُ عملهم،

أن سبّ آلهتهم طاعة وأُمروا بتركه حذرًا مِن المعصية المترقّبة وهو سبّ الله تعالى، فتناسب هذا مع[1] ما فعله ابن سيرين حيث ترك[2] الجنازة وهو طاعة حذرًا مِن المعصية وهو حضور النساء، ويخالفه فعل الحسن حيث أتى بالطاعة وهو حضور الجنازة وما بالى بالمعصية وهو حضور النساء، فكيف يصحّ قول الحسن وفعله ههنا؟ فأجاب بأنّ هذه المعصية ليست ممّا نحن فيه، فإنّ المعصية لم تلزم مِن الطاعة ولا تعلّقت بها.

قوله: **(فرأى محمّد)** وهو[3] ابن سيرين.

قوله: **(لأسرع[4] ذلك)** أي: لَأسرع[5] فسادُ ذلك في ديننا،[6] أو لأسرع[7] ذلك في إفساد ديننا.[8]

---

[1] ن – مع.
[2] ن ر + حضور.
[3] ر: هو.
[4] د ن: لا أسرع.
[5] د ن: لا أسرع.
[6] د: دنيا.
[7] ن: لإسراع؛ ر: أسرع.
[8] د: دنيا.

أو: أمْهَلْنا الشيطان حتى زيَّن لهم، أو زيَّنَّاه في زعمهم وقولِهم: إن الله أمَرنا بهذا وزَيَّنَه لنا.

﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: فيوبِّخهم عليه ويعاتبُهم ويعاقبُهم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ من مقترحاتهم ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو قادرٌ عليها؛ ولكنه لا يُنْزِلُها إلَّا على موجَبِ الحكمة، أو: إنما الآيات عندَ الله لا عِنْدِي، فكيف أُجِيبُكم إليها وآتيكم بها؟

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وما يُدريكم ﴿أَنَّهَا﴾: أن الآية التي تقترحونها ﴿إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها، يعني: أنا أعلمُ أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك.

وذلك أنّ المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآيةُ ويتمنَّون مجيئَها، فقال عزَّ وجلَّ: وما يدريكم أنهم لا يؤمنون، على معنى: إنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون، ألَا ترى إلى قوله: ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

وقيل: ﴿أَنَّهَا﴾ بمعنى: لعلَّها، من قول العرب: "ائتِ السوقَ أنك تَشْتري لحمًا"، وقال امرؤ القيس:

قوله: (وذلك أنّ المؤمنين) أي: سبب ذِكر ذلك أو نزول ذلك.[1]

قوله: (أنّه بمعنى لعلّهم) والصواب (وقيل: ﴿أَنَّهَا﴾ بمعنى "لعلّها") على[2] ما هو في بعض النُّسخ ليكون موافقًا للفظ القرآن، وأمّا على ما هو في المتن "أنّهم بمعنى لعلّهم" فغير سديد،[3] إلّا أن يقال: لمّا ذكر عن قريب في تقرير

---

[1] ر – ذلك.
[2] د ن: عن.
[3] د: شديد.

عُوجا عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لأننَا نَبكِي الديَارَ كَمَا بَكَى ابنُ خِذَامِ

ويُقَوِّيها قراءةُ أبيٍّ: "لعلَّها إذا جاءتهم لا يؤمنون".

وقرئ: ﴿إنها﴾ بالكَسر على أن الكلام قد تمَّ قبله، بمعنى: وما يُشعركم ما يكون منهم، ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتَّةَ.

ومنهم مَن جَعَل ﴿لَا﴾ مزيدةً في قراءةِ الفتح.

وقرئ: "وما يُشعِرهم أنها إذا جاءَتْهم لا يؤمنون"؛ أي: يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها، وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيرِه من الآيات مطبوعًا عليها فلا يؤمنوا بها.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠﴾

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ... وَنَذَرُهُمْ﴾ عطف على ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ داخلٌ في حكمِ ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ بمعنى: وما يشعرُكم أنهم لا يؤمنون وما يشعرُكم أنَّا نُقلِّب أفئدتَهم

معناه أنّهم لا يؤمنون أورده ههنا كذلك، لكنه لا يكون مناسبًا، لأنَّ ذلك التفسير لا يناسب هذا التفسير، فتأمّل.

قوله: **(عُوجوا)**[١] البيت. "عُوجوا"، أي: أقيموا. و**(المُحيل)** والمُحوَّل: الذي أتى عليه الحَول. أحال الشيء وأحوَل إذا مرّ عليه الحَول. قال امرؤ القيس:

ومثلِك حُبلى قد طرقتُ ومُرضِعٍ فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحوِلِ[٢]

قال: هو أوّل مَن بكى على الديار.

قوله: **(ومنهم مَن جعل ﴿لَا﴾ مزيدة)**،[٣] فيكون المعنى: وما يُدريكم أنَّ الآيات إذا جاءت يؤمنون بها حتّى تمنَّيتم إتيانَ الآياتِ ليؤمنوا.

قوله: **(فلا يؤمنوا) عطف على**[٤] **(أن تكون)**.

---

١ البيت لامرئ القيس في **ديوانه**، ص ١١٤؛ وفيه «عوجا» مكان «عوجوا».

٢ في **ديوانه**، ص ١٢؛ و**شرح القصائد السبع** لابن الأنباري، ص ٣٩، والرواية فيهما «فمثلك» مكان «ومثلك».

٣ د: يده.

٤ ن ر - على.

وأبصارَهم؛ أي: نطبعُ على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يُبصرون الحقَّ كما كانوا عند نزول آياتنا أوَّلًا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعًا على قلوبهم وما يُشعِركم أنا نَذرُهم في طغيانهم؛ أي: نُخلِّيهم وشأنَهم لا نكفُّهُم عن الطغيان حتى يَعمهوا فيه.

وقرئ: "ويُقلِّبُ... ويَذرُهم"؛ أي: اللهُ عزَّ وجل.

وقرأ الأعمشُ: "وتُقلَّبُ أفئدتُهم وأبصارهم" على البناء للمفعول.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ كما قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان ٢٥/٢١].

﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما قالوا: ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ [الدخان ٤٤/٣٦].

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ كما قالوا: ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء ١٧/٩٢].

﴿قُبُلًا﴾: كُفلاءَ بصحَّة ما بشَّرْنا به وأنذَرْنا، أو: جماعاتٍ.

وقيل: ﴿قُبُلًا﴾: مقابلةً، وقرئ: ﴿قِبَلًا﴾؛ أي: عِيَانًا.

﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ مشيئةَ إكراهٍ واضطرار.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ فيُقسِمون بالله جهدَ أيمانهم على ما لا يَشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات، أو: ولكنَّ أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء

قوله: **(لا يؤمنون)**[١] خبر **(كانوا)**.

قوله: **(﴿قُبُلًا﴾)** جمع "قَبِيل" بمعنى "كفيل"، أو بمعنى "جماعة"، أو هو مصدر.

قوله: **(كُفَلاء)**[٢] تفسير ﴿قُبُلًا﴾.

قوله:[٣] **(أو: ولكنّ[٤] أكثر المسلمين)**[٥] على **الأوّل** يكون ﴿لَوْ أَنَّنَا﴾ متعلِّقًا[٦] بقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾، وعلى **الثاني** بقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾.

---

١ د: ليؤمنون.
٢ ر: كفيلًا.
٣ د ن - قوله.
٤ د: لكن.
٥ ر: المسلمون.
٦ ر: متعلق.

لا يؤمنون إلّا أن يَضطرَّهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترَحَة.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾: وكما خلَّينا بينك وبين أعدائك كذلك فعَلْنا بمن قَبْلَك من الأنبياء وأعدائهم لم نَمنعْهم من العداوة لِمَا فيه من الامتحانِ الذي هو سببُ ظهورِ الثبات والصبر، وكثرةِ الثواب والأجر.

وانتصب ﴿شَيَٰطِينَ﴾ على البدل من ﴿عَدُوًّا﴾، أو على أنّهما مفعولان كقوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام ٦/١٠٠].

﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: يوسوسُ شياطينُ الجنّ إلى شياطين الإنس، وكذلك بعضُ الجنِّ إلى بعضٍ، وبعضُ الإنس إلى بعضٍ.

وعن مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشدُّ عليَّ مِن شيطان الجنّ؛ لأنّي إذا تعوَّذْتُ بالله ذهب شيطانُ الجنِّ عنّي، وشيطانُ الأنسِ يَجِيئُني فيَجُرُّني إلى المعاصي عِيانًا.

﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾: ما يُزيّنُه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويُمَوِّهُه.

قوله: **(لِما فيه)** أي: في عدم المنع.

قوله: **(أو على أنّهما مفعولان)** أي: ﴿عَدُوًّا﴾ و﴿شَيَٰطِينَ﴾، يعني: يكون كلّ واحد منهما مفعولًا ثانيًا بطريق التعدُّد والتكرُّر،[1] كما يتعدَّد الخبر في قولهم: "زيد عالم فاضل".[2] واعلم أنّ هذا البيان ليس بشيء ومراد المصنِّف أنّهما مفعولان قُدّم ثانيهما على الأوّل، والظرف لغوٌ قُدِّم.

قوله: **(﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾)** «الزُّخرف: الذهب، ثمّ يشبَّه به كلُّ مموّه مزوّر. والمزخرَف: المزيَّن».[3] والمراد بـ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ هنا: الكلام الباطل الذي زُيِّن

---

١ ر: التكرار.
٢ د: فاعل.
٣ **الصحاح** للجوهري، «زخرف».

﴿غُرُورًا﴾: خدعًا وأخذًا على غِرَّة.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾: ما فعلوا ذلك؛ أي: ما عادَوْك، أو: ما أَوْحَى بعضُهم إلى بعضٍ زُخرفَ القول، بأنْ يكفَّهم ولا يُخلِّيَهم وشأنَهم.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ١١٣﴾

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ جوابُه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعَلْنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا، على أن اللام لامُ الصيرورة، وتحقيقُها ما ذُكر، والضميرُ في ﴿إِلَيْهِ﴾ يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في ﴿فَعَلُوهُ﴾؛ أي: ولتَمِيلَ إلى ما ذُكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ الكفار ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الآثام.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١١٤﴾

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ على إرادةِ القول؛ أي: قل يا محمد: أفغيرَ الله أطلبُ حاكمًا يحكم بيني وبينكم ويَفصِل المحقَّ منَّا من المبْطِل؟

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ المعجِزَ ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبيَّنًا فيه الفصلُ بين الحقِّ والباطل، والشهادةُ لي بالصدق وعليكم بالافتراء، ثم عضَد الدلالةَ على أن القرآن حقٌّ بعلمِ أهل الكتاب أنه حقٌّ؛ لتصديقه ما عندهم وموافقتِه له.

بالكذب، وبيانه أنّه شبَّه الكلام الباطل بالزخرف وهو المموَّه المزوَّر، ثمّ ذُكر الزُّخرف وأُريدَ القول المزيَّن بالكذب وأضيفَ إلى القول ليكون ذلك قرينةً للاستعارة.

قوله: (**﴿غُرُورًا﴾**) مفعول له مِن قوله: ﴿يُوحِى﴾.

قوله: (**لامُ الصيرورة**) أي: لام العاقبة.

قوله: (**وتحقيقُها ما ذكره**)،[١] أي: ما ذكر[٢] عند الفرق بين اللامَين[٣] في ﴿لِيَقُولُوا۟﴾ و﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾.

---

[١] في أصول **الكشّاف** ومطبوعه: ذكر.
[٢] ن - ذكر.
[٣] د: الأمين؛ ن: الأمبين.

﴿فلا تكونن من الممترين﴾ من باب التهييج والإلْهاب؛ كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٦/١٤]، أو: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ في أن أهل الكتاب يعلمون أنه مُنزَل بالحق، ولا يَرِبْك جحودُ أكثرهم وكفرُهم به.

ويجوز أن يكون ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطابًا لكلِّ واحدٍ على معنى: أنه إذا تعاضَدتِ الأدلة على صحَّته وصدقه فما ينبغي أن يمتريَ فيه أحدٌ.

وقيل: الخطابُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطابٌ لأمته.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿وتَمَّتْ كلماتُ ربِّك﴾؛ أي: تَمَّ كلُّ ما أَخبر به وأَمَرَ ونَهى ووعَدَ وأَوْعَد.

﴿صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا أحَدَ يُبدِّلُ شيئًا من ذلك بما هو أصدقُ وأعدلُ، و﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ نصبٌ على الحال.

وقرئ: ﴿كلمةُ ربك﴾؛ أي: ما تكَلَّم به، وقيل: هي القرآن.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ﴾ الناسِ أضلُّوك؛ لأن الأكثر في غالب الأمر يتَّبعون أهواءهم، ثم قال:

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ وهو ظنُّهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلِّدونهم.

و﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يقدِّرون أنهم على شيء، أو: يَكذِبُون في أن الله حرَّم كذا وأحلَّ كذا.

قوله: (**مِن باب التهييج**)[1] فعلى هذا يكون المعنى: فلا تكونن مِن الممترين في أنه حقّ.

قوله: / (**الإلهاب**)[2] ألهبه على كذا: حرّضه عليه. [٣٥٩ظ]

قوله: (**ولا يَرِبْك**) أي: ولا يجعلك جحودُ أكثرهم شاكًّا في أنّهم يعلمون أنّه منزَّل بالحقّ فإنّهم جحدوا بها واستيقنتها أنفسُهم.

---

[1] د: الهيج.

[2] ن: والإلهاب.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

وقرئ: "مَن يُضِلُّ" بضم الياء؛ أي: يُضِلُّه الله.

﴿فَكُلُوا۟﴾ مسبَّبٌ عن إنكار اتِّباع المضلِّين الذي يُحِلُّون الحرام ويحرِّمون الحلال، وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تزعُمون أنكم تعبدون الله فما قَتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوا مما قتلتُم أنتم! فقيل للمسلمين: إن كنتُم متحقِّقين بالإيمان فكلوا ﴿مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ خاصَّةً، دون ما ذُكر عليه اسمُ غيره من آلهتهم أو مات حتفَ أنفه.

وما ذكر اسم الله عليه هو المُذَكَّى بـ"بسم الله".

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟﴾: وأيُّ غرضٍ لكم في أنْ لا تأكلوا ﴿وقد فُصِّلَ لكم﴾: وقد بُيِّن لكم ﴿ما حُرِّم عليكم﴾ مما لم يُحرَّمْ، وهو قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة ٥/٣].

وقرئ: ﴿فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ على تسمية الفاعل، وهو الله عزَّ وجل.

﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حُرِّم عليكم فإنه حلالٌ لكم في حالِ الضرورة.

﴿إِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ قرئ بفتح الياء وضمِّها؛ أي: يُضلُّون فيُحرِّمون ويحَلِّلون ﴿بأهوائهم﴾ وشهواتهم من غير تعلُّقٍ بشريعة.

قوله: (**أحقُّ**) أي: أحقّ بأن تأكلوا،[١] أي: بالأكل.

قوله: (**إن كنتم**) أي: إن ضربتُم[٢] عالمين حقائقَ الأمور بسبب إيمانكم بالله، وهذا مِن جملة ذلك فالزمن.[٣]

---

١ د: أكلوا.
٢ ن ر: صرتم.
٣ كذا في النُّسخ، ولم يتَّجه المعنى.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ
١٢٠ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ
أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾

﴿ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: ما أعلنتُم منه وما أسررتُم.

وقيل: ما عَمِلتُم وما نَوَيتُم.

وقيل: ظاهرُه الزنا في الحوانيتِ وباطنُه الصَّدِيقةُ في السِّرِّ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ﴾ الضميرُ راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي، يعني: وإن الأَكْلَ منه لفسق، أو إلى الموصول على: وإنَّ أَكْلَه لفسق، أو جُعل ما لم يُذكر اسم الله عليه في نفسه فِسْقًا.

فإن قلتَ: قد ذهب جماعة من المجتهِدِين إلى جواز أكل ما لم يُذكر اسم الله عليه بنسيانٍ أو عمدٍ.

قلتُ: قد تأوَّله هؤلاء بالميتة وبما ذُكر غيرُ اسمِ الله عليه كقوله: ﴿أوفسقًا أهل لغير ٱللَّه به﴾.

قوله: **(في الحوانيت)** قال في **الصحاح**:

الحانوت معروف يذكَّر ويؤنَّث، وأصله "حانُوة" مثل "تَرقُوة"، فلمّا سكنَت الواو بُدِّلت هاء التأنيث تاء، والجمع الحوانيت؛ لأنّ الرابع منه حرف لين. وإنّما يُردّ الاسم الذي جاوَز أربعة منه حرف المدّ واللين. والحانات:[1] المواضع التي يباع فيها خمر. والحانية: الخمر المنسوب[2] إلى الحانة، وهو حانوت الخمّار.[3]

والصديقة: المعشوقة.[4]

قوله: **(على: وإنّ أكله)** محذوف مِن قوله: **(ما لم يُذكر)** فالتقدير: **إن أكل** ما لم يُذكر.

---

١ د: إنحائك.

٢ ن ر: منسوب.

٣ **الصحاح** للجوهري، «حين».

٤ د: المتوفة.

﴿لَيُوحُونَ﴾: ليُوَسْوِسُون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ من المشركين ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ بقولهم: «ولا تأكلون مما قَتَله الله»، وبهذا يُرَجَّح تأويلُ مَن تأوَّله بالميتة.

﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾؛ لأنَّ مَن اتَّبع غيرَ الله في دِينه فقد أشرك به.

ومِن حقِّ ذي البصيرة في دينه أن لا يأكلَ مما لم يُذكَر اسمُ الله عليه كيفما كان؛ لِمَا يَرَى في الآية من التشديد العظيم، وإنْ كان أبو حنيفة رحمه الله مرخِّصًا في النسيان دون العمد، ومالكٌ والشافعيُّ فيهما.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

مثَّل الذي هدَاه الله بعد الضلالة ومَنَحه التوفيقَ لليقين الذي يُميِّز به بين المحقِّ والمبطِل والمهتدي والضالِّ بمَن كان ميتًا فأَحْياهُ الله وجعل له نورًا يمشي به في الناس مُستضيئًا به، فيُميِّز بعضَهم من بعضٍ، ويَفْصِل بين حِلَاهم، ومَن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفكُّ منها ولا يتخلَّص.

ومعنى قوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾: كمَن صفتُه هذه، وهي قوله: ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ بمعنى: هو في الظلمات ليس بخارج منها؛ كقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ [محمد ١٥/٤٧]؛ أي: صفتُها هذه، وهي قوله: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: زيَّنه الشيطان، أو الله عزَّ وعلا على قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل ٤/٢٧]، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾

قوله: (**حلاهم**) أي: صفاتهم التي بها يمتاز بعضهم مِن بعض، وهو جمع حِلية، وحلية الرجل: صفته التي بها يمتاز ويتبيَّن عن غيره.

قوله: (**﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ﴾**) أي: إنسانًا[١] و(**﴿مُجْرِمِيهَا﴾**) مضاف إليه

---

[١] ن: أنشأنا.

يعني: وكما جعلْنا في مكة صناديدَها ليمكروا فيها كذلك جعَلْنا في كلِّ قريةٍ أكابرَ مُجرميها لذلك، ومعناه: خَلَّيناهم ليَمكروا وما كفَفْناهم عن المَكْر، وخَصَّ الأكابرَ؛ لأنهم هم الحاملون على الضَّلال والماكرون بالناس؛ كقوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء ١٦/١٧].

وقرئ: "أكبرَ مُجرميها"، على قولك: «هم أكبرُ قومهم» و: «أكابرُ قومهم».

لـ(﴿أَكَٰبِرَ﴾). كذا قاله **المعزّي**.[١] ويجوز أن يكون[٢] ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ مفعولا ﴿جَعَلْنَا﴾، مثل قوله تعالى: ﴿جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام ١٠٠/٦]، أي: جعلنا مجرمي كلّ قرية أكابرَ. أو نقول: (**في كلّ قرية أكابر**) هما المفعولان، و(**مُجرميها**) بدل مِن "أكابر" كما في تلك الآية أيضًا. فيه نظرٌ، فإنّ ﴿أَكَٰبِرَ﴾[٣] مضافٌ إلى ﴿مُجْرِمِيهَا﴾؛ لأنّه لو لم يكن مضافًا لكان مستعملًا بـ"مِن" وحُذف عنها "مِن"، ولو كان كذلك لم يجُز جمعه؛ لأنّ الذي بـ"مِن" مفرد مذكَّر لا غير، وأمّا المضاف فيجوز فيه الوجهان.

قوله: (**وخصّ**) أي: خصّ أكابر المجرمين بالذّكر دون أصاغرهم وأوساطهم.

قوله: (**أكابر[٤] مجرميها**) يريد أنّه إذا أُضيف اسم التفضيل جاز فيه الإفراد والمطابقة، وهذا يدلُّ على أنّ ﴿أَكَٰبِرَ﴾ مضاف إلى ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ لا أنّهما مفعولان، يدلّ عليه قول ابن عبّاس رضي الله تعالى[٥] عنهما: أكابر مجرمي بكّة[٦] المستهزئون.[٧] قال المصنِّف رحمة الله تعالى عليه[٨] في **المفصل**: «وإذا أضيفَ ساغ[٩] فيه الأمران، قال الله تعالى: ﴿أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾، وقال الله[١٠] تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة ٩٦/٢]، وقال ذو الرُّمّة:

ومـيّـةُ أحـسـنُ الـثـقـلـيـن جِـيـدا وسـالـفـةً وأحـسـنُـه قَـذالا»[١١]

---

[١] د: المغربي.

[٢] د ن – يكون.

[٣] د: الأكابر.

[٤] د ر: أكثر.

[٥] ن ر – تعالى.

[٦] ن: مكة.

[٧] **الوسيط** للواحدي، ٣١٩/٢ (الأنعام، ١٢٣/٦).

[٨] ن ر – رحمة الله تعالى عليه.

[٩] د: صاغ.

[١٠] ن – الله.

[١١] **المفصّل** للزمخشري، ص ٢٩٨. وبيت ذي الرُّمّة في ديوانه، ١٥٢١/٣، وفيه «خدّا» مكان «جِيدا».

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾؛ لأن مكرهم يَحيق بهم، وهذه تسليةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقديمُ موعدٍ بالنُّصرة عليهم.

﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

روي: أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوةُ حقًّا لكنتُ أَوْلى بها منك؛ لأني أكبرُ منك سنًّا وأكثرُ منك مالًا.

وروي: أنَّ أبا جهل قال: زاحَمْنا بني عبد مناف في الشرف حتّى إذا صِرْنا كفَرَسَيْ رِهَانٍ قالوا: مِنَّا نبيٌّ يُوحَى إليه، والله لا نَرضَى به ولا نَتَّبعُه أبدًا

الجِيد: الرقبة. والسالفة: «مقدَّم العنق مِن لدن مُعلَّق[١] القُرط إلى[٢] قَلْت[٣] الترقوه».[٤] و«القذال: ما بين نقرة[٥] القفا[٦] إلى الأذن».[٧] وذكَّر الثقلين ووحّد ضميره في "وأحسنه"، كأنّه قال: أحسن المذكور، أو أحسن مَن ثمّ. وقيل: إنّما وحّد؛ لأنّ "الثقلين" في معنى الخلق، أي: المخلوق. والقَلْت: النُّقرة في الصخرة. وقَلْت العين وقَلْت الإبهام: النقرة تحتها.[٨]

قوله: **(حتّى إذا صرنا كفَرَسي)**[٩] "حتّى" هذه ابتدائيّة وقع بعدها الجملة الشرطيّة، وهي **(إذا[١٠] صرنا... قالوا)**. **(والله)** إلى آخره،[١١] ابتداء جملة في كلام أبي جهل، فكأنّه جواب سؤال سائل يقول: هل ترضون به[١٢] وهل تتّبعونه؟ فأقسم المخذول: "لا نرضى ولا نتبع".

---

١ د: متعلق.

٢ ر: إذا.

٣ د ن ر + إنّ. | وأثبتُّ ما في مطبوع **الصحاح**.

٤ **الصحاح** للجوهري، «سلف».

٥ د: نفدة.

٦ د: العصا.

٧ **المغرب** للمُطرِّزي، «قذل».

٨ **الصحاح** للجوهري، «قلت».

٩ د ر: كفرشي؛ ن: كفرشي. | وأثبتُّ ما في **الكشّاف**.

١٠ ن: أنا.

١١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ١٢/٢٠١-٢٠٢ (الأنعام، ٦/١٢٤)؛ **معالم التنزيل** للبغوي، ٣/١٨٥ (الأنعام، ٦/١٢٤).

١٢ ر: بي.

إلّا أن يأتينا وَحيٌ كما يأتيه! فنزلت، ونحوُها قولُه: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ [المدثر ٧٤/٥٢].

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ للإنكار عليهم، وأن الله لا يصطفي للنبوّة إلّا مَن عَلم أنه يَصلُح لها، وهو أعلم بالمكان الذي يضعُها فيه منهم.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾ من أكابرها ﴿صَغَارٌ﴾ وقماءةٌ بعدَ كِبرِهم وعِظَمهم. و﴿وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ﴾ في الدارين من الأَسْرِ والقتل وعذاب النار.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ﴾: أن يلطُفَ به، ولا يريد أن يَلطُفَ إلّا بمن له لطفٌ.

﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ يلطفْ به حتى يرغَبَ في الإسلام، وتسكنَ إليه نفسُه، ويحبَّ الدخولَ فيه.

﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾: أن يَخْذُلَه ويُخلّيَه وشأنَه، وهو الذي لا لطف له.

﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ يمنَعْه ألطافَه حتى يقسوَ قلبُه ويَنْبُوَ عن قبول الحقِّ وينسدَّ فلا يدخلَه الإيمان.

قوله: **(وأنّ الله لا يصطفي)** عطف على **(الإنكار)** أي: ولبيان أنّ.

قوله: **(وقماءةٌ)** أي: ذِلّة.[1]

قوله: **(﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾)** قال رضي الله تعالى[2] عنه: هذا آخر المرتفع عند قبر ابن عبّاس رضي الله تعالى[3] عنه، وصحّ عن المصنِّف فتح فاء "المرتفَع" مِن ارتفع،[4] أي: هذا آخر الحاصل.

قوله: **(له[5] لطفٌ)** أي: له صلاحية اللطف.

---

١ د: وله.
٢ ن ر – تعالى.
٣ ن ر – تعالى.
٤ ر – مِن ارتفع.
٥ د ن ر: أي. | وأثبتُّ ما في **الكشّاف**.

وقرئ: ﴿ضَيقًا﴾ بالتخفيف والتشديد. و: ﴿حَرِجًا﴾ بالكسر و: ﴿حَرَجًا﴾ بالفتح وصفًا بالمصدر.

﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: كأنما يُزَاوِلُ أمرًا غيرَ ممكن؛ لأن صعود السماء مَثَلٌ فيما يمتنِعُ ويَبعُدُ من الاستطاعة وتضيقُ عنه المقدرَةُ.

وقرئ: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ وأصله: يتصعَّد، وقرأ عبد الله: "يتصعَّد".

و: ﴿يصَّاعَدُ﴾، وأصله: يتصاعَدُ.

و: ﴿يَصْعَدُ﴾ من صَعِدَ. و: "يُصْعِدُ" من أَصْعَدَ.

﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ يعني: الخذْلان ومَنْعَ التوفيق، وصفَه بنقيض ما يُوصف به التوفيق من الطِّيب، أو أراد الفِعْلَ المؤدِّيَ إلى الرجس وهو العذاب، من الارتجاس وهو الاضطرابُ.

قوله: (**وقرئ: ﴿يَصَّعَّدُ﴾**) مِن عادته رضي الله تعالى[1] عنه[2] إذا قال: "قُرئ كذا وكذا" وعدّد قراءاتٍ متفاوتةً مشهورة وغير مشهورة أن يقدِّم المشهورة[3] كما فعل في هذا الموضع.[4] قال[5] المعزّي: وهذا المنقول غير صحيح، فإنّه قدَّم القراءة الشاذّة / في هذا الموضع على بعض القراءات المتواترة. قال أبو عليّ في **الحجّة**: [٣٦٠و]

> قرأ ابن كثير ساكنة الصاد خفيفة، وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي: ﴿يَصَّعَّدُ﴾ مشدّدة بغير ألف، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: ﴿يصَّاعَدَ﴾ بألف مشدَّدة الصاد، وروى حفص عن عاصم مشدّدة بغير ألف مثل حمزة. وقرأ ابن كثير: ﴿يَصْعَد﴾ مِن الصعود، والمعنى أنّه في نفوره[6] عن الإسلام وثقله عليه بمنزلة مَن يكلَّف ما لا يطيقه كما أن صعوده[7] السماء لا يطاع،[8] ومَن قرأ[9] ﴿يَصَّعَّدُ﴾ بالتشديد[10] أراد "يتصعّد" فأدغم،

---

[1] ر - تعالى.
[2] ن - رضي الله تعالى عنه.
[3] د - أن يقدم المشهورة.
[4] ر + قوله.
[5] ن ر: قاله.
[6] د: نفوده.
[7] ن: صعود.
[8] ن: يطاق. | في مطبوع **الحجّة**: يستطاع.
[9] د: ذا.
[10] د: لتشديد.

ومعنى "يتصعَّد" أنّه يتكلَّف ما يثقُل[١] عليه، فكأنّه يتكلف[٢] شيئًا بعد شيء، و"يتصاعد" مثل "يصعد" في المعنى مثل "ضاعف" و"ضعف" و"ناعَم" و"نعَّم"، فمَن قرأ ﴿يَصَّعَّدُ﴾ و﴿يصَّاعَدَ﴾ فهو مِن المشقة وصعوبة الشيء، ومِن ذلك قوله تعالى:[٣] ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن ١٧/٧٢]، وقوله: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر ١٧/٧٤]، أي: شأغشيه[٤] عذابًا صَعودًا، أو عقوبة صَعودًا، أي: شاقًّا،[٥] ومِن ذلك قول عمر رضي الله تعالى[٦] عنه: ما تصعّدني شيء كما تصعّدني خطبة النكاح،[٧] أي: ما شقّ على مشقّتها، وكان ذلك لِما يتكلّفه الخطيب في مدحه وإطرائه[٨] للمهلك، وربّما لم يكن كذلك فيحتاج أن يطلب التخلُّص، فلذلك شقّ. ومِن ذلك قول الشاعر:

وإن سيادة الأقوامِ فاعلمْ لها صعداءُ مطلبها شديدُ[٩]

فكأنّ معنى ﴿يَصَّعَّدُ﴾: يتكلّف مشقّة في ارتقاء صعداء، ولا يكون السماء في هذا القول[١٠] المُظِلّة للأرض، ولكن كما قال سيبويه: القيدود:[١١] الطويل في غير سماء،[١٢] أي: في غير ارتفاع الصعداء،[١٣] وعلى هذا قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة ١٤٤/٢].[١٤]

هكذا[١٥] قوله مذكور في **الحجّة**، وأما ما نقله عن سيبويه، يعني به أنّ سيبويه فسّر القيدود[١٦] بقوله: هو الطويل في غير سماء. قال أحمد بن فارس في **مجمل اللغة**: «القيدود:[١٧] الناقة الطويلة الظهر على الأرض».[١٨]

---

١ د: يعتل.
٢ ن: يتكلفه.
٣ ن – و﴿يصَّاعَدَ﴾ فهو مِن المشقة وصعوبة الشيء ومِن ذلك قوله تعالى.
٤ د: شيئا غشيه.
٥ د: صاف.
٦ ر – تعالى.
٧ **البيان والتبيين** للجاحظ، ١١٧/١.
٨ ر: واضطرابه.
٩ البيت للأعلم الهذلي في **شرح ديوان الهذليين** للسكّري، ٣٢٣/١؛ وهو للهذلي في **البيان والتبيين** للجاحظ، ٢٧٥/١؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «صعد».
١٠ د + القول.
١١ د: الفيدود.
١٢ انظر: **كتاب سيبويه**، ٣٦٥/٤.
١٣ ن ر: صعداء.
١٤ انظر: **الحجّة** لأبي علي، ٤٠١/٣-٤٠٥.
١٥ د – قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ هكذا.
١٦ د: الفيدود.
١٧ د: الفيدود.
١٨ **مجمل اللغة** لابن فارس، ٧٢٧/١، «قد».

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾: وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمةُ، وعادتُه في التوفيق والخذلان.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾: عادلًا مطَّردًا، وانتصابه على أنه حالٌ مؤكِّدة كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة ٩١/٢].

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٢٧﴾

﴿لَهُمْ﴾: لقومٍ يذَّكَّرون ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾: دارُ الله، يعني: الجنةَ، وأضافها إلى نفسه تعظيمًا لها. أو: دارُ السلامة من كلِّ آفةٍ وكَدَرٍ.

﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في ضمانه؛ كما تقول: لفلانٍ عندي حقٌّ لا يُنْسَى، أو: ذخيرةٌ لهم لا يعلمون كُنهَها؛ كقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة ١٧/٣٢].

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾: مُواليهم ومُحبُّهم، أو ناصرُهم على أعدائهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: بسبب أعمالهم.

أو: متولِّيهم بجزاءِ ما كانوا يعملون.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ١٢٨﴾

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ منصوبٌ بمحذوفٍ؛ أي: واذكر يومَ نحشرهم، أو: ويوم نحشرهم

قوله:[1] (﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾)، يعني أنّ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ﴾ إلى آخره.

قوله: (أضافها إلى نفسه)،[2] أي: أضاف الدار إلى ﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾ وهو اسم مِن أسماء الله تعالى.

---

[1] ر - قوله.

[2] د ر - إلى نفسه.

قلنا: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾، أو: ويوم نحشرهم وقلنا: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ كان ما لا يوصَفُ لِفَظَاعته. والضميرُ لمن يُحشَر من الثَّقَلين وغيرهم، والجنُّ هم الشياطين.

﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: أضْلَلْتُم منهم كثيرًا، وجعلتُموهم أتباعَكم فحُشِر معكم منهم الجَمُّ الغفير؛ كما تقول: استكْثَر الأميرُ من الجنود، واستكثر فلانٌ من الأشياع.

﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوسَتِهم:

﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾؛ أي: انتفع الإنسُ بالشياطين حيث دلُّوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصُّل إليها، وانتفع الجنُّ بالإنس حيث أطاعوهم وساعَدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم.

وقيل: استمتاعُ الإنس بالجنِّ ما في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن ٦/٧٢] وأنّ الرجل كان إذا نزل واديًا وخاف قال: "أعُوذُ بربِّ هذا الوادي"، يعني به كبيرَ الجن، واستمتاعُ الجنِّ بالإنس: اعترافُ الإنسِ لهم بأنهم يَقْدِرون على الدفعِ عنهم وإجارتهم لهم.

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ يعنونَ: يوم البَعث، وهذا الكلامُ اعترافٌ بما كان منهم من طاعة الشياطين واتِّباعِ الهوى والتكذيبِ بالبعث، واستسلامٌ لربهم وتحَسُّرٌ على حالهم.

قوله:[1] **(وقلنا)** أي: قائلين.

قوله: **(والضمير)** أي: في **﴿نَحْشُرُهُمْ﴾**.[2]

قوله: (**﴿أَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ﴾** [الجن ٦/٧٢]) مقول **(قوله)**.

قوله:[3] **(وأنّ الرجل)** عطف على قوله: **(ما في قوله)** وهو[4] أنّ الرجل. **(مِن عذاب النار)** بيان الضمير في (**﴿فِيهَا﴾**).

---

١ د - أضافها، أي: أضاف الدار إلى ﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾ وهو اسم مِن أسماء الله تعالى قوله.

٢ قرأ بالنون العشرة إلّا حفصًا وروحًا عن يعقوب. **النشر لابن الجزري**، ٢/٢٦٢.

٣ ن ر: وقوله.

٤ ر - وهو.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: تُخَلَّدُون في عذاب النار الأبدَ كلَّه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلّا الأوقاتِ التي يُنْقَلون فيها من عذابِ النار إلى عذاب الزَّمْهَرير، فقد روي: أنهم يدخلون واديًا فيه من الزمهرير ما يميّز بعضَ أَوْصَالِهم من بعضٍ، فيَتَعَاوَوْنَ ويطلبون الردَّ إلى الجحيم.

أو يكون من قول المَوْتُور الذي ظَفِرَ بواتره ولم يزل يَحْرُقُ عليه أَنْيابَه وقد طَلَب إليه أن يُنَفِّس عن خِنَاقِهِ: أهلكني الله إن نَفَّسْتُ عنك إلا إذا شئتُ، وقد علم أنه لا يشاءُ إلّا التشفِّيَ منه بأقصى ما يقدرُ عليه من التعنيف والتشديد، فيكون قوله: "إلا إذا شئتُ" من أشدِّ الوعيد مع تهكُّمٍ بالمُوعَد؛ لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع.

قوله: (﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾) "ما" هذه مصدريّة، ويقدر معه مضاف محذوف، وتقديره:[١] إلّا أوقات مشيئة الله تعالى.[٢]

قوله: (**فيتعاوون**) مِن العواء.

قوله: (**ويكون**) عطف على قوله: (**إلّا الأوقات**) مِن حيث المعنى؛ لأنّ هذا إشارة إلى وجه آخر. وقوله: "يكون"، أي: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ﴾.

قوله: (**الموتور**)[٣] الموتور:[٤] الذي قُتل[٥] له قتيل ولم يظفر بدمه.[٦]

قوله: (**يحرُق عليه**) كناية عن الغضب.

قوله: (**وقد طلب**) أي: الواتر.[٧]

قوله: (**أهلكني**)[٨] مقول القول.[٩]

قوله: (**ما يقدر**) أي: شيء.

---

١ ر: تقديره.
٢ ن - تعالى.
٣ ن ر: الموثور.
٤ ن ر: الموثور.
٥ د: قيل.
٦ د: بذمه.
٧ ن: الواثر.
٨ د: أهلكن.
٩ د ن - القول.

﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ لا يفعل شيئًا إلا بموجَب الحكمة ﴿عَلِيمٌ﴾ بأن الكفار يستوجِبون عذابَ الأَبَدِ.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

﴿نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾: نُخلِّيهم حتى يتولَّى بعضُهم بعضًا كما فَعَل الشياطينُ وغواةُ الإنس، أو نجعلُ بعضَهم أولياءَ بعض يومَ القيامة وقُرناءَهم كما كانوا في الدنيا.

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾: بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي.

يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ واختُلف في أن الجنَّ: هل بُعث إليهم رسلٌ منهم؟ فتعلَّق بعضُهم بظاهر الآية ولم يفرِّق بين مكلَّفينَ ومكلَّفين أن يُبعث إليهم رسولٌ من جنسهم؛ لأنهم به آنَسُ وله آلَفُ.

وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصَّة، وإنما قيل: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾؛ لأنه لمَّا جُمع الثَّقَلان في الخطاب صحَّ ذلك وإن كان من أحدهما؛ كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن ٥٥/٢٢].

وقيل: أراد رسُلَ الرُّسل من الجنِّ إليهم؛ كقوله: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف ٤٦/٢٩].

قوله: (حتّى يتولّى بعضهم) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ [الرحمن ٥٥/٢٢])، وإنّما يخرج مِن المالح.

قوله: (مِن الجنّ) "مِن"[١] متعلِّق بقوله: (رسل) لا بقوله (الرسل).

---

[١] د - من.

وعن الكلبيّ: كانت الرسل قبلَ أن يبعث محمدٌ صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الإنس والجن.

﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ حكايةٌ لتصديقهم وإيجابهم قولَه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾؛ لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريرًا لهم، وقولهم: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ إقرارٌ منهم بأن حُجَّةَ الله لازمةٌ لهم وأنهم محجوجون بها.

فإن قلتَ: ما لهم مُقرِّين في هذه الآية جاحدين في قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٦/٢٣]؟

قلتُ: تتفاوتُ الأحوال والمَواطن في ذلك اليوم المتطاوِل، فيُقِرُّون في بعضها ويجحدون في البعض، أو أريد شهادةُ أيديهم وأرجلِهم وجلودهم حين يُختم على أفواههم.

فإن قلتَ: لمَ كرّر ذكرُ شهادتهم على أنفسهم.

قلتُ: الأُولى حكايةٌ لقولهم كيف يقولون ويعترفون، والثانيةُ ذمٌّ لهم وتخطئةٌ لرأيهم ووصفٌ لقلّة نظرهم لأنفسهم، وأنهم قومٌ غرَّتْهم الحياةُ الدنيا

قوله: (**وأجابهم**)[١] وهو[٢] مِن قولهم: "نعم" و"بلى" الإيجاب،[٣] فكأنّهم[٤] لمّا أجابوا عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ﴾ بقولهم:[٥] ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ جعلوه موجَبًا مثبتًا محقَّقًا واقعًا، كما تقول: "بلى"[٦] بعد قوله: "ألم يأتِك زيد"؟.

قوله: (**فكان تقريرًا**) أي: كان قوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾، أو كان الهمزة الداخلة تقريرًا، أي: حاملًا لهم على الإقرار.

قوله: (**محجوجون بها**) أي: مغلوبون.

قوله: (**كيف يقولون**) متعلّق بمحذوف، فكأنّه قيل: "ليُعلم كيف يقولون"،

---

١ د ن + من. | في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله: وإيجابهم.
٢ ن: هو.
٣ ن + جعلوه.
٤ ر: فإنهم.
٥ ن: بقوله.
٦ د: بل.

واللَّذاتُ الحاضرةُ، وكان عاقِبةُ أمرهم أن اضطرُّوا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربِّهم واستيجابِ عذابه، وإنما قال ذلك تحذيرًا للسامعين من مثلِ حالهم.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما تقدَّم من بعْثةِ الرسل إليهم وإنذارِهم سُوءَ العاقبة، وهو خبرُ مبتدأ محذوفٍ:؛ أي: الأمرُ ذلك، و﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ تعليلٌ؛ أي: الأمرُ ما قصَصْنا عليك لانتفاءِ كونِ ربِّك مهلكَ القرى بظلمٍ، على أنَّ ﴿أَن﴾ هي التي تنصبُ الأفعال، ويجوز أن تكون مخفَّفةً من الثقيلة على معنى: لأن الشأن والحديث لم يكن ربُّك مُهلكَ القرى بظلمٍ.

ولك أن تجعله بدلًا من ﴿ذَٰلِكَ﴾ كقوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ [الحجر ١٥/٦٦].

﴿بِظُلْمٍ﴾: بسببِ ظلمٍ أَقْدَموا عليه، أو: ظالمًا، على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبَّهوا برسولٍ وكتاب لكان ظلمًا، وهو متعالٍ عن الظلم وعن كلِّ قبيح.

فالفعل المعلَّق[1] عن العمل محذوف، وهو قريب مِن قوله تعالى:[2] / ﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران ٣/٤٤]، أي: ليعلموا أيُّهم يكفل. [٣٦١و]

قوله: (والاستسلام) الوجه فيه النصب عطفًا على (أن اضطرُّوا) أي: كان عاقبة أمرهم الاضطرار والاستسلام والاستيجاب. ولا يحسن الجرّ عطفًا على (بالكفر)؛ إذ لا يستقيم أن يقال: اضطرُّوا إلى الشهادة على أنفسهم بالاستسلام، ولا على (الشهادة)؛ إذ لا يحسن أن يقال: اضطرُّوا إلى استيجاب عذابه.

قوله: (بسبب ظلم) أي: يكون الباء متعلِّقًا بـ﴿مُهْلِكَ﴾.

قوله: (أو: ظالمًا) على هذا الوجه الباء باء الملابسة وهو حال عن ﴿رَبُّكَ﴾،

---

[1] د + المعلق.

[2] اللوح ٣٦٠ظ بياض، والظاهر أنّه بياض صحيح، فالكلام بعده متّصل بما قبله.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١٣٢﴾

﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المكلَّفين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: منازلُ ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾: من جزاءِ أعمالهم.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾: بِساهٍ عنه يَخْفَى عليه مقاديرُه وأحواله وما يُستحَق عليه من الأجر.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده وعن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ يَترحَّم عليهم بالتكليف ليُعَرِّضَهم للمنافع الدائمة.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها العُصاةُ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق المطيع ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾: من أولاد قومٍ آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم، وهم أهلُ سفينةِ نوحٍ عليه السلام.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾

المكانةُ تكون مصدرًا؛ يقال: مَكُنَ مكانةً، إذا تَمكَّنَ أبلغَ التمكُّنِ، وبمعنى المكان؛ يقال: مكانٌ ومكانةٌ، ومُقامٌ ومُقامةٌ.

تقديره: ذلك أن لم يكن ربّك مُهلك القرى حالَ كونه ظالمًا حالَ غفلتهم، أو حالٌ عن الضمير في ﴿مُهْلِكَ﴾، وهو أولى.

قوله: (﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِن المكلَّفين) قال رحمه الله:[١] ولكلّ مِن المكلفين درجات ودركات فغُلِّب، وهو قول أبي مسلم.

قوله: (يخفى عليه) بيان "ساهٍ".

قوله: (ليعرِّضهم) التعريض للأمر[٢] النصب له.[٣]

---

[١] ن ر: رضي الله عنه.

[٢] ن: الأمر.

[٣] ن - له.

وقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ يَحتمِلُ: اعمَلوا على تمكُّنِكم من أمركم وأقصَى استطاعتِكم وإمكانكم، أو: اعملوا على جهتِكم وحالكم التي أنتم عليها، يقال للرجل إذا أُمر أن يَثبُتَ على حاله: على مكانتك يا فلان؛ أي: اُثبُتْ على ما أنت عليه لا تَتحرَّفْ عنه.

﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾؛ أي: عاملٌ على مكانتي التي أنا عليها، والمعنى: اُثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابتٌ على الإسلام وعلى مُصابَرَتِكم.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أيُّنا تكونُ له العاقبةُ المحمودة، وطريقةُ هذا الأمر طريقةُ قوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت ٤١/٤٠]، وهي التخليَةُ والتسجيلُ على المأمور بأنه لا يأتي منه إلَّا الشرُّ، فكأنه مأمور به وهو واجبٌ عليه حتمٌ ليس له أن يَتَفَصَّى عنه ويعملَ بخلافه.

فإن قلتَ: ما موضعُ ﴿مَن﴾؟

قلتُ: الرفعُ إذا كان بمعنى "أَيّ" وعُلِّقَ عنه فِعلُ العلم، أو النصبُ إذا كان بمعنى الذي.

و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: العاقبةُ الحسنى التي خلَق الله تعالى هذه الدارَ لها، وهذا طريقٌ مِن الإنذار لطيفُ المسلَك فيه إنصافٌ للمقال وأدبٌ حَسَنٌ مع تضمُّن شدةِ الوعيدِ والوثوق بأن المنذِر محقٌّ وأن المنذَر مُبْطِل.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝﴾

كانوا يعيِّنون أشياءَ من حَرْثٍ ونِتاجٍ لله وأشياءَ منها لآلِهَتِهم، فإذا رأوا ما جعلوه لله زاكيًا ناميًا يزيدُ في نفسه خيرًا رَجعوا فجعلوه للآلهة، وإذا زكَا ما جَعلوه للأصنام ترَكُوهُ لها واعتلُّوا بأن الله غنيٌّ، وإنما ذاك لحبِّهم آلهتَهم وإيثارِهم لها.

قوله: **(على تمكُّنكم)** هذا على أن يكون مصدرًا. وقوله: **(على جهتكم)** على أنّها بمعنى "مكان".

وقوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ فيه: أن الله كان أوْلى بأن يُجعل له الزَّاكي؛ لأنه هو الذي ذرأه وزكَّاه، ولا يُردَّ إلى ما لا يقدر على ذَرْءٍ ولا تزكيةٍ.

﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ وقرئ: بالضمّ.

أي: قد زعموا أنّه لله، والله لم يأمرهم بذلك، ولا شَرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك؛ لأنهم أشركوا بين الله وبين أصنامهم في القُربة.

﴿فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: لا يصلُ إلى الوجوه التي كانوا يَصْرِفونه إليها من قِرَى الضِّيفان والتصدُّقِ على المساكين.

﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ من إنفاقٍ عليها بذبحِ نَسائكَ عندها، والإِجْراءِ على سَدَنتها، ونحوِ ذلك.

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ في إيثار آلهتهم على الله وعملِهم على ما لم يُشْرَع لهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلك التزيين وهو تزيينُ الشرك في قسمة القُرُبات بين الله والآلهة، أو: ومثلَ ذلك التزيين البليغِ الذي عُلم من الشياطين.

قوله: (ولا يُردُّ) أي: الزاكي.

قوله: (على ما لم يُشرَع) في بعض النُّسخ: "على ما يُشرع لهم"، فيكون قوله: (وعملِهم) عطفًا على (آلهتهم) أي: في إيثار عملهم[١] على ما يُشرع لهم، وإذا قُرئ بزيادة "لم" يكون "على" أوّلًا متعلِّقًا بالإيثار و"على" ثانيًا متعلِّقًا بالعمل، وإذا قُرئ بغير لم يكون على في الموضعين متعلِّقًا بالإيثار.

قوله: (أو: ومثلَ ذلك التزيين)،[٢] المعنى في الوجه الأوّل التزيين[٣] المذكور في الآية المتقدِّمة، وفي الوجه الثاني مطلق التزيين[٤] المعلوم مِن الشيطان.

---

[١] ن ر: علمهم.
[٢] ر: التنوين.
[٣] ر: التنوين.
[٤] ن: التنوين.

والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين أو من سَدَنة الأصنام زيَّنوا لهم قتلَ أولادهم بالوَأْدِ أو بنحرهم للآلهة، وكان الرجل يحْلفُ في الجاهلية: لئن وُلد له كذا غلامًا لينْحِرَن أحدهم كما حَلف عبد المطلب.

وقرئ: ﴿زَيَّنَ﴾ على البناء للفاعل الذي هو ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ ونُصِبَ ﴿قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾.

و: "زُيِّن" على البناء للمفعول الذي هو القتلُ، ورُفِعَ ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ بإضمار فعلٍ دلَّ عليه "زُيِّن"؛ كأنه قيل لمَّا قيل: "زُيِّن لهم قتلُ أولادهم": مَن زَيَّنه لهم؟ فقيل: زيَّنه لهم شركاؤهم.

وأمَّا قراءةُ ابنِ عامر: ﴿قتلُ أولادَهم شركائِهم﴾ برَفْع القتل ونصب الأولاد وجرِّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفَصْلِ بينهما بغير الظرف، فشيءٌ لو كان في مكان الضرورات -وهو الشعر- لكان سَمِجًا مَرْدودًا؛ كما سَمُجَ ورُدَّ:

قوله: (ليَنحرَنَّ)[١] قال عليه[٢] السلام: «أنا ابن الذبيحين».[٣]

قوله: (ونُصِب) عطف على قوله: (قرئ).

قوله: (وأمّا قراءة ابن عامر)... إلخ، قرأ ابن عامر: ﴿زُيِّنَ﴾ مجهولًا ﴿قَتْلُ﴾ مرفوعًا ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ منصوبًا ﴿شُرَكَآئِهِمْ﴾ مجرورًا.[٤]

واعلم أنّ قول المصنِّف في حقِّ قراءة ابن عامر: (فشيء لو كان) إلى قوله: (عن هذا الارتكاب) قولٌ[٥] صدر عن جرأة لا عن تأمُّل وفطانة، فإنّ قراءته ثابتة مقبولة عند علماء الدِّين منقولةٌ عن النبيّ عليه السلام[٦] نقلًا متواترًا، وليس[٧] كما توهَّم المصنّف أنّها مأخوذة عن المصحف فقط، ولو كان ابن عامر قد أخذها عن المصحف فقط كيف[٨] يُسنِدها إلى النبي عليه السلام،[٩] ولكن إسناد[١٠] قراءته

---

١ ن: لينحرون؛ ر: ليحزن.

٢ ن + الصلاة و.

٣ **المستدرك** للحاكم، ٢/٦٠٩ (٤٠٤٨).

٤ قرأ بها ابن عامر. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٦٣.

٥ ر: قوله.

٦ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

٧ ن ر: فليس.

٨ ن: فكيف.

٩ ن ر: صلّى الله عليه وسلّم.

١٠ ن: إسناده.

....

للنبيّ عليه السلام[١] مذكورة[٢] في الكتب الكثيرة في القراءة،[٣] وطعنُ المصنِّف فيه[٤] ليس طعنًا فيه فقط؛ بل هو طعن في علماء الأمصار الذين جعلوه أحد القرّاء السبعة المرضيّة قراءتهم المعدودة في جملة ما ثبت نقلًا متواترًا باقيًا غيرَ منسوخ القراءة، وطعنٌ في الفقهاء الذين يعاصرونهم، حيث لم ينكروا عليهم.

وناهيك ردعًا لهذا الزاعم ولمَن انتظم في سلكه إجماعُ العلماء في عصره وبعد ذلك على صحّة قراءته، وأنّهم يقرءونها في محاريبهم وعلى رءوس الأشهاد، ومَن تأمّل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر ٩/١٥] كان بعيدًا عن هذا الطعن وعن أمثاله.

[٣٦١ظ] وإنّما وقع / المصنِّف ومَن جرى مجراه في[٥] مثل ذلك لأنّهم أرادوا إثبات المتواتر بما لم يتواتر؛ بل بما لم[٦] يصحّ نقله؛ بل بمجهول القائل والناقل، وما مثل هذا إلّا مثل مَن يروم إثبات[٧] الثابت بما هو غير ثابت، أو تزكيةَ العدل بشهادة غير العدل، هذا هو الداء العُضال، وكيف اطّلع هذا ومَن جرى مجراه على جميع كلام العرب حتّى استدلّ بانتفاء مثل ذلك في كلامهم، وكيف يستدلّ بعدم الوجدان على عدم الوجود، فكلُّ ما ثبت أنّه مِن القراءات السبع فهو باتّفاق جميع النحاة عربيّ مُبين غير ذي عِوَج، وهو أصل يستدلّ به لا له، فإذا وجدوا في القراءات السبع شيئًا لم يجدوه في كلام العرب وجب عليهم أن يجعلوه لغةً للعرب،[٨] أي: يحكموا عليه بأنّه عربيّ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [طه ١١٣/٢٠].

وظنّ الظانّ بأنه لم يثبت مثله في كلام العرب، وما يقوله بناءً على ظنّه يكون طعنًا في نفسه، وغايةُ ما يُمكن للنحاة أنّهم يوجِّهون الواقع، وربّما يضطّربون

---

١ ن – للنبي عليه السلام؛ ر: صلّى الله عليه وسلّم.
٢ في هامش د: مذكور. خ [اختصارًا من "نسخة"].
٣ ن: القراءات.
٤ ن – فيه.
٥ ر + كل.
٦ ن ر – يتواتر بل بما لم.
٧ ن ر – مَن يروم إثبات.
٨ ر: العرب.

زجَّ القلــــــوصَ أبـــــي مَـــــزادَهْ

فكيف به في الكلام المنثور؟! فكيف به في القرآن المعجز بحُسن نظمه وجزالته؟! والذي حَمَله على ذلك أنْ رَأى في بعض المصاحف ﴿شركائهم﴾ مكتوبًا بالياء، ولو قرأ بجرِّ الأولاد والشركاءِ -لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم- لوَجَد في ذلك مَندوحةً عن هذا الارتكاب.

﴿لِيُرۡدُوهُمۡ﴾: ليُهلِكوهم بالإغواء.

﴿وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡ﴾: وليَخْلِطوه عليهم ويُشبِّهُوه، ودينُهم: ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زَلُّوا عنه إلى الشرك.

في تعليله، فمَن عجز أو[1] اضطرب في توجيه الواقع أنّه كيف وقع أو لِمَ وَقَع[2] لا يجوز له أن يعتقد أنّه غير واقع، هذا مع أنّه قد وجد مثل ما ورد في هذه القراءة في كثير مِن كلام[3] العرب. أورد أبو عليّ الفارسي بيتين في **الحجّة**: أحدُهما ما ذكره المصنِّف ههنا، والثاني بيت آخر، وإنّما تركتُ[4] ذِكره ليُعلم أنّا لا نحتاج في إثبات أمثاله بأمثالهما.

قوله:

(زجَّ القلــــــوصَ أبـــــي مَـــــزادَهْ)[5]

أوّله:

فــزجــجــتُــهــا بــمَــزَجَّــة "زجَّ القلوصَ"

قوله: (وجزالته) اللفظ الجزل: خلاف الركيك.

---

[1] ر: و.

[2] ر - أو لم وقع.

[3] ر: الكلام.

[4] ن: ترك.

[5] ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في **الخصائص** لابن جني، ٤٠٨/٢؛ **والمفصّل** للزمخشري، ص ١٣٣. وانظر تفصيل الكلام عليه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤١٥/٤-٤٢٥. وفيه: يقال: زججته زجًّا إذا طعنته الزُّجّ، وهي الحديدة في أسفل الرُّمح. وأبو مزاده: كنية رجل. قلتُ: ما عرفت مَن يريد به، ولا وقفت على مَن سمّاه.

وقيل: دينُهم الذي وجب أن يكونوا عليه.

وقيل: معناه: وليُوقِعوهم في دِينٍ مُلْتبِسٍ.

فإن قلتَ: ما معنى اللام؟

قلتُ: إن كان التزيينُ من الشياطين فهي على حقيقةِ التعليل، وإن كان من السَّدَنة فعلى معنَى الصيرورةِ.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مَشِيَّة قسْرٍ ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾: ما فَعَل المشركون ما زُيِّن لهم من القتل، أو: ما فعَل الشياطين أو السَّدَنةُ التَّزيينَ أو الإرْداءَ أو اللَّبْسَ، أو جميعَ ذلك إن جعلتَ الضميرَ جاريًا مجرى اسمِ الإشارة.

﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾: وما يفترونه من الإفك، أو: وافتراءَهم.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ١٣٨﴾

﴿حِجْرٌ﴾: فِعْلٌ بمعنى مفعولٍ؛ كالذِّبْح والطِّحْن، ويَستوي في الوصف به المذكَّر والمؤنَّث والواحد والجمع؛ لأن حكمه حكمُ الأسماء غيرِ الصفات.

وقرأ الحسن وقتادة: "حُجر" بضم الحاء.

وقرأ ابن عباس: "حِرْجٌ" وهو من التَّضْييق.

وكانوا إذا عَيَّنوا أشياءَ من حَرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا: ﴿حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يَعنُون: خدَم الأوثان، والرجالَ دون النساء.

﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ هي البحائر والسَّوائب والحَوَامي.

﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في الذَّبح، وإنما يَذكرون عليها أسماءَ الأصنام.

قوله: (**دينُهم الذي وجب**) أي: مِن حيث العقل.

قوله: (**وما يفترونه**)، يعني أنّ "ما" مصدريّة أو موصولة.

وقيل: لا يحجُّونَ عليها ولا يُلَبُّون على ظهورها.

والمعنى: أنهم قَسَمُوا أنعامَهم فقالوا: هذه أنعامٌ حِجْرٌ، وهذه أنعام محرَّمة الظهور، وهذه أنعام لا يُذكَر عليها اسم الله، فجعلوها أجناسًا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيسَ إلى الله.

﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾؛ أي: فعلوا ذلك كلَّه على جهةِ الافتراء، وانتصابُه على أنه مفعولٌ له أو حالٌ أو مصدرٌ مؤكِّد؛ لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء.

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ١٣٩﴾

كانوا يقولون في أَجِنَّة البَحائر والسَّوائب والحَوَامي: ما وُلد منها حيًّا فهو خالِصٌ للذُّكور لا تأكل منه الإناثُ، وما وُلِد مَيْتًا اشترك فيه الذكورُ والإناثُ.

وأُنِّث ﴿خَالِصَةٞ﴾ للحمل على المعنى؛ لأن ﴿مَا﴾ في معنى الأَجِنَّةِ، وذُكِّر ﴿مُحَرَّمٌ﴾ للحمل على اللَّفظ، ونظيرُه: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾ [محمد ٤٧/١٦].

ويجوز أن تكون التاءُ للمبالغة مثلَها في: "رَاوِيَةِ الشعر"، وأن تكون مصدرًا وقع موقعَ الخالص كالعاقبة؛ أي: ذو خالصةٍ، ويدلُّ عليه قراءةُ مَن قرأ: "خالصةً" بالنصب على أن قوله: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾ هو الخبرُ و"خالصةً" مصدرٌ مؤكِّد، ولا يجوز أن يكون حالًا متقدِّمة؛ لأنَّ المجرور لا يتقدَّم عليه حالُه.

وقرأ ابن عباس: "خالصُه" على الإضافة.

قوله: **(ولا يلبُّون)** مِن قولهم: لبَّى يلبِّي.

قوله: **(ذلك التجنيس)** التجنيس: جعلُ الأشياء جنسًا جنسًا بأن يُفصَّل ويميَّز جنس مِن جنس، كما يقال: جنَّس الكتب.

قوله: **(ويدلُّ عليه)** أي: على أنَّه مصدر.

قوله: **(لأنَّ المجرور لا يتقدَّم عليه)** فيه بحث؛ لأنه لو جُعل حالًا متقدِّمة

وفي مصحفِ عبد الله: "خالصٌ".

﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾: وإنْ يكنْ ما في بطونها ميتةً.

وقرئ: ﴿وإنْ تكُنْ مَيْتةً﴾ بالتأنيث على: وإن تكن الأجِنَّةُ ميتة.

وقرأ أهل مكة: ﴿وإن تكن ميتةٌ﴾ بالتأنيث والرفع على "كان" التامَّةِ وتذكيرِ الضمير في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾؛ لأن الميتة لكلِّ مَيْت ذكرٍ أو أنثى، فكأنَّه قيل: وإن يكن مَيْتٌ فهم فيه شركاء.

﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾؛ أي: جزاءَ وَصْفِهم الكذبَ على الله في التحليل والتحريم، من قوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النحل ٦٢/١٦] ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل ١١٦/١٦].

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ١٤٠﴾

نزلت في رَبيعةَ ومُضَر والعربِ الذين كانوا يَئِدُون بناتِهم مخافةَ السَّبي والفقر.

﴿سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لخفَّة أحلامهم، وجهلهم بأن الله هو رازقُ أولادِهم لا هم.

لا يلزم منه تقديم الحال على[١] ذي الحال المجرور، لأنّه يكون حالًا مِن الضمير المستتر في الجارّ والمجرور العائد إلى "ما". ويمكن أن يجاب عنه بأنّ مراد المصنِّف أن يذكر أنّه لا يجوز أن يكون حالًا عن المجرور، وأمّا أنّه يجوز أن يكون حالًا[٢] عن الضمير المستتر أو لا فلم يتعرَّض له. والتحقيقُ أنّه لو كان حالًا لكان حالًا عن الضمير المستتر،[٣] لأنّ القراءة بالرفع دلّت على أنّ الخالصة هي ما في البطون لا الذكور، فإذا كان حالًا يجب أن يكون حالًا عن الضمير العائد إليه ليتوافق المعنى، ولكن هنا مانع آخرُ يمنع كونه حالًا عنه، وهو أنه يلزم تقديم الحال على العامل المعنويّ.

---

١ ر - على.
٢ ن ر + لكان حالًا.
٣ ن ر - أو لا فلم يتعرض له والتحقيق أنّه لو كان حالًا لكان حالًا عن الضمير المستتر.

وقرئ: ﴿قَتَّلُوا﴾ بالتَّشديد.

﴿مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ من البحائر والسَّوائب وغيرها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ مَّعْرُوشَـٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾

﴿أَنشَأَ جَنَّـٰتٍ﴾ من الكروم ﴿مَّعْرُوشَـٰتٍ﴾: مَسْمُوكاتٍ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾: متروكاتٍ على وجه الأرض لم تُعرَشْ.

وقيل: المعروشات: ما في الأَرْياف والعُمران مما غَرسَه الناس واهْتمُّوا به فعَرشوه، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ﴾ مما أنبته الله وَحْشِيًّا في البَرَارِيّ والجبال فهو غيرُ معروش، يقال: عَرَشْتُ الكَرْمَ: إذا جعلتَ له دعائِمَ وسَمْكًا تَعْطِفُ عليه القُضْبان، وسقفُ البيت: عرشُه.

﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ في اللون والطعم والحجم والرائحة، وقرئ: ﴿أُكْلُه﴾ بالضم والسكون، وهو ثَمرُهُ الذي يؤكل، والضميرُ للنخل، والزرعُ داخلٌ في حُكمه لكونه معطوفًا عليه، و﴿مُخْتَلِفًا﴾ حال مقدَّرةٌ؛ لأنه لم يكن وَقْتَ الإنشاء كذلك؛ كقوله: ....

قوله: **(مسموكاتٍ)** يقال: سَمَكه، أي: رفعه، ويعني بالمسموكات المرفوعات على الأخشاب.

قوله: **(ما[1] في[2] الأرياف)** الريف أرض فيها زرع وخِصب، والجمع أرياف، يريد البلدان / والقرى. [٣٦٢و]

قوله: **(وسَمْكًا)** أي: سقفًا.

قوله: **(مقدَّرة)**،[3] أي: مقدَّرًا اختلاف أُكلِه.

---

[1] ن ر: مدة.

[2] ن ر - في.

[3] ن ر - (مقدرة).

﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر ٣٩/٧٣].

وقرئ: ﴿ثُمُرِهِۦ﴾ بضمتين.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ وقد عُلم أنه إذا لم يُثمِرْ لم يُؤكَلْ منه؟

قلتُ: لمّا أُبيحَ لهم الأكلُ من ثمرهِ قيل: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ ليُعلَم أن أوَّلَ وقتِ الإباحة وقتُ إطلاع الشَّجر الثَّمرَ؛ لئلا يُتَوَهَّمَ أنه لا يُباح إلّا إذا أَدْركَ وأَيْنَع.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ الآيةُ مكيَّةٌ والزكاةُ إنما فُرضتْ بالمدينة، وأُريد بالحقِّ ما كان يُتصدَّق به على المساكين يومَ الحصاد، وكان ذلك واجبًا حتى نسخه افتراضُ العُشر ونصفِ العُشر.

وقيل: مَدَنِيَّة، والحقُّ هو الزكاةُ المفروضة، ومعناه: واعْزِموا على إيتاء الحقِّ واقصِدوه واهتمُّوا به يومَ الحصاد حتى لا تؤخِّروه عن أوَّلِ وقتٍ يمكنُ فيه الإيتاءُ.

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ في الصَّدَقة كما رُوي عن ثابت بن قيس: أنه صرَم خمسَ مئةِ نَخْلةٍ ففرَّق ثمرَها كلَّه ولم يُدخل منه شيئًا إلى منزله، فنزل: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

قوله: (﴿**فَٱدْخُلُوهَا**﴾ [الزمر ٣٩/٧٣]) أي: مقدِّرين الخلود.

قوله: (**وحشيًّا**) حال[١] مِن الضمير في (**أنبتَه**). والوحش:[٢] المكان الخالي[٣] مِن العمارات، يقال: بلد وَحْش بالتسكين، أي: قَفْر. و"الدِّعامة": **عماد البيت**. والدِّعامتان: خشبتا البكرة.[٤] وعطفتُ العواديَ: أمَلتُها. والقضبان: **الأغصان**، والواحد قضيب.[٥]

قوله: (﴿**وَلَا تَبْسُطْهَا**﴾ [الإسراء ١٧/٢٩]) استشهاد.

قوله: (﴿**مَّحْسُورًا**﴾ [الإسراء ١٧/٢٩]) أي: عريانًا.

---

١ ن ر - قوله وحشيًا حال.
٢ ر: الرجش.
٣ ن ر: الخلا.
٤ **الصحاح** للجوهري، «دعم».
٥ **الصحاح** للجوهري، «قضب».

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ عطفٌ على ﴿جَنَّٰتٍ﴾؛ أي: وأنشأ من الأنعام ما يَحمل الأثقالَ وما يُفرش للذَّبح، أو يُنسَجُ من وبره وصوفه وشعره الفَرْشُ.

وقيل: الحمولة: الكبارُ التي تَصْلُح للحمل، والفَرْشُ: الصغارُ كالفُصلان والعَجَاجيل والغنم؛ لأنها دانيةٌ من الأرض للَطافةِ أجرامها مثلَ الفَرْش المفروش عليها.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ بَدَلٌ من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾.

﴿ٱثْنَيْنِ﴾: زوجين اثنين، يريد: الذَّكَر والأنثى؛ كالجمل والناقة، والثور والبقرة، والكَبْش والنعجة، والتيس والعَنْز، والواحدُ إذا كان وحده فهو فَرْدٌ، فإذا كان معه غيرُه من جنسه سُمِّي كلُّ واحد منهما زوجًا، وهما زوجان؛ بدليل قوله: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم ٥٣/٤٥] والدليلُ عليه قوله:

قوله: (العجاجيل) «العِجل: ولد البقرة، والعِجَّول مثله، والجمع العجاجيل،[1] والأنثى عجلة، عن أبي الجرّاح. وبقرة مُعجِل: ذات عجل».[2]

قوله: (والدليل عليه) أي: على أنّه يريد الذكر والأنثى... إلخ.

---

[1] ن ر – العجل ولد البقرة والعُجّول مثله والجمع العجاجيل.

[2] الصحاح للجوهري، «عجل».

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍ﴾ ثـم فَسَّـرها بقولـه: ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾.

ونحوُ تسميتِهم الفردَ بالزوج بشرطِ أن يكون معه آخَرُ من جنسه: تسميتُهم الزجاجةَ كأسًا بشرط أن يكون فيها خمرٌ.

والضأن والمعز: جمعُ ضائنٍ وماعزٍ؛ كتاجرٍ وتَجْرٍ، وقُرئا بفتح العين.

وقرأ أبيٌّ: "ومن المِعْزَى"، وقرئ: "اثنان" على الابتداء.

الهمزةُ في ﴿ءَآلذَّكَرَيۡنِ﴾ للإنكار، والمراد بالذَّكَرين: الذَّكَرُ من الضأن والذَّكَرُ من المعز، وبالأُنْثيين: الأنثى من الضأن والأنثى من المعز، على طريقِ الجنسيَّة.

والمعنى: إنْكارُ أن يحرِّمَ الله من جنسَي الغنم ضأنِها ومَعْزِها شيئًا من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تَحْمِلُ إناثُ الجنسين، وكذلك الذَّكَران من جنسي الإبل والبقر والأُنْثَيان منهما وما تَحْمِلُ إناثُهما، وذلك أنهم كانوا يُحرِّمون ذكورةَ الأنعام تارةً وإناثَها تارةً، وأولادَها كيفما كانت ذكورًا أو إناثًا أو مختلِطةً تارةً، وكانوا يقولون: "قد حرَّمها الله"، فأُنكر ذلك عليهم.

﴿نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ﴾: أخبِروني بأمرٍ معلومٍ من جهةِ الله يدلُّ على تحريم ما حرَّمتم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الله حرَّمه.

قوله: (بفتح العين) "ضَأَن"[١] و"مَعَز".[٢]

قوله: (ذكورة الأنعام) التاء لتأكيد معنى الجمع كالسهولة والحزونة.

قوله: (أخبروني بأمر معلوم) إشارة إلى[٣] أنّ ﴿بِعِلۡمٍ﴾ في محلّ المفعولين لـ"نبّأ"، فكأنّه قيل: نبّئوني آلله حرَّم هذا أو ذاك؟ وأمّا أنّهما مفعول بهما أو مفعول مطلق فكلام آخر تقرَّر[٤] في موضعه. وهنا وجه آخر لم يذكره المصنِّف،

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مِقسَم وطلحة، وأبي طلحة عن أبي عمرو، والحسن وعيسى بن عمر. **المغني في القراءات** للنُّوْزاوازي، ص ٨٠٤.

[٢] قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب. **النشر** لابن الجزري، ٢٦١/٢.

[٣] ن - إلى.

[٤] ر: تقريري.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: بل أكُنتُم شهداءَ، ومعنى الهمزة الإنكارُ، يعني: أم شاهدتُم ربَّكم حين أمرَكم بهذا التحريم؟ وذكَر المشاهدةَ على مذهبهم؛ لأنّهم كانوا لا يؤمنون برسولٍ وهم يقولون: إنَّ الله حرَّم هذا الذي نحرِّمه، فتُهكِّم بهم في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ على معنى: أعرفتُم التوصِيَةَ به مشاهِدِينَ؛ لأنكم لا تؤمنون بالرسل.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ فنَسَب إليه تحريمَ ما لم يُحرِّم ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ﴾ وهو عمرو بنُ لُحَيّ بنِ قَمْعةَ، الذي بَحَرَ البحائر وسَيَّبَ السَّوائبَ.

فإن قلتَ: كيف فُصِل بين بعضِ المعدود وبعضِه ولم يُوالَ بينه؟

قلتُ: قد وقع الفاصلُ بينهما اعتراضًا غيرَ أجنبيّ من المعدود، وذلك أن الله عزَّ وجل مَنَّ على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم، فاعترَض بالاحتجاج على مَن حرَّمها، والاحتجاجُ على مَن حرَّمها تأكيدٌ وتسديدٌ للتحليل، والاعتراضاتُ في الكلام لا تُساق إلّا للتوكيد.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

وهو أن يكون ﴿بِعِلْمٍ﴾ في محلّ الحال، أي: ملتبسين بعلم ليكون إشارة إلى أنّهم إنّما يقولون ما يقولون[1] عن ظنّ باطل أو اعتقاد جهل.

قوله: **(لأنّهم كانوا لا يؤمنون برسول)**، يعني أنكم لا تؤمنون بالرسل فكيف عرفتُم ذلك، أعرفتموه بطريق المشاهدة بأن تكونوا شهداء.

قوله: **(ولم يُوالَ[2] بينه)** أي: بين بعض المعدود وبعضه، فكان حقُّه أن يقول: "بينهما"، لكن أجرى الضمير مُجرى اسم الإشارة، فكأنّه قال: "بين[3] ذلك" كما قال: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة ٢/٦٨]، وأمّا قوله: **(فقد[4] وقع الفاصل)** بينهما فهو على الأصل.

---

١ ن ر – ما يقولون.
٢ ن: يول.
٣ ن – بين.
٤ في مطبوع **الكشّاف** وما راجعته من أصوله: قد.

﴿فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ تنبيهٌ على أن التحريم إنما يَثبتُ بوحيِ الله تعالى وشرعِه لا بهوى الأنفُس.

﴿مُحَرَّمًا﴾: طعامًا محرَّمًا من المطاعم التي حرَّمْتُموها.

﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾: إلَّا أن يكون الشيءُ المحرَّم ميتةً ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾؛ أي: مصبوبًا سائلًا كالدم في العروق، لا كالكبد والطحال، وقد رُخِّص في دم العروق بعد الذبح.

قوله: (وقد[١] رُخِّص في دمّ العروق بعد الذبح) وهو مذهب أبي حنيفة[٢] خلافًا للشافعي[٣] فالشافعي حرَّم جميع الدماء سواء كان مسفوحًا أو غيرَ مسفوح، وقال أبو حنيفة: دم السمك ليس بمحرَّم.[٤] أمّا الشافعي فتمسَّك بظاهر قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة ٣/٥]، وأبو حنيفة[٥] بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾، فصرَّح أنّه[٦] لم يجد مِن المحرَّمات إلّا هذه الأمور، فالدمَ الذي لا يكون مسفوحًا لا يكون محرَّمًا فهذه الآية خاصة وقوله تعالى: ﴿وَٱلدَّمُ﴾ عامّ، والخاصّ مقدَّم على العامّ. أجاب الشافعي بأنّه ليس في ﴿لَّآ أَجِدُ﴾ دلالة على تحليل غير هذه الأشياء؛ بل على أنّه ما بيَّن إلّا تحريم هذه الأشياء، وهذا لا ينافي أن يُبيِّن له بعد ذلك تحريم ما عداها، ولعلّ قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ [البقرة ١٧٣/٢] نزلت بعد ذلك، وكان ذلك[٧] بيانًا لتحريم الدمّ مطلقًا، فوجب الحكم بحرمة جميع الدماء ونجاستها، فيجب إزالتها عن اللحم ما أمكن، وكذا السمك.[٨]

واعلم أنّ ما ذُكر في **الحاشية** مِن أنّ الشافعي[٩] حرَّم جميع الدماء مسفوحًا أو غيرَ مسفوح لا يلائم / تفسير المصنِّف؛ لأنّه فسَّر المسفوح بالمصبوب[١٠] السائل [٣٦٢ظ]

---

١ ن - وقد.

٢ ر + رحمه الله.

٣ ر + رضي الله عنه.

٤ انظر: **المبسوط** للسرخسي، ٨٧/١؛ وبدائع **الصنائع** للكاساني، ٦١/١.

٥ ر + رحمه الله.

٦ ر: بأنه.

٧ ن ر - وكان ذلك.

٨ انظر: **الأم** للشافعي، ٦٢٨/٣-٦٢٩.

٩ ر + رضي الله عنه.

١٠ ن - أو غير مسفوح لا يلائم تفسير المصنِّف لأنّه فسَّر المسفوح بالمصبوب.

﴿أَوْ فِسْقًا﴾ عطفٌ على المنصوب قبله، سمَّى ما أُهلَّ به لغير الله فسقًا لتوغُّله في باب الفسق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام ١٢١/٦] و﴿أُهِلَّ﴾: صفةٌ له منصوبةُ المحلّ.

ويجوز أن يكون مفعولًا له من ﴿أُهِلَّ﴾؛ أي: أُهِلَّ لغير الله به فسقًا.

فإن قلتَ: فعلامَ يُعطف ﴿أُهِلَّ﴾ وإلامَ يرجعُ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ على هذا القول؟

قلت: يُعْطف على ﴿يَكُونَ﴾ ويَرجعُ الضميرُ إلى ما يَرجعُ إليه المستكنُّ في ﴿يَكُونَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: فمَن دعَتْه الضرورةُ إلى أكلِ شيءٍ من هذه المحرَّمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطرٍّ مثلِه تاركٍ لمواساته ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مُتجاوِزٍ قَدْرَ حاجته من تناوله ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لا يؤاخذُه.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

كالدم في العروق لا كالكبد والطحال، فعلى هذا يكون المسفوح احترازًا عن الجامد كالكبد والطحال، فجميع الدماء غيرهما يكون مسفوحًا وهو محرَّمٌ عنده، وأمّا غير المسفوح[١] كالكبد والطحال فحلال عندهما.

قوله: (و﴿أُهِلَّ﴾ صفة) أي: مُهَلًّا به. وقوله: (له) أي: لـ﴿فِسْقًا﴾.[٢]

قوله: (ويجوز أن يكون مفعولًا له)،[٣] أي: قوله: ﴿فِسْقًا﴾ يكون مفعولًا له قُدِّم على عامله.

قوله: (تاركٍ) أي: غير تارك، أي: مواسيًا[٤] لمضطرٍّ مثله.

قوله: (﴿وَلَا عَادٍ﴾) وعن الحسن "عاد" بمعنى "عائد"، على القلب، أي: لا يعود إليه بعد ما أُكل منه ليستوفيَ.

---

[١] ن ر - احترازًا عن الجامد كالكبد والطحال فجميع الدماء غيرهما يكون مسفوحًا وهو محرم عنده وأمّا غير المسفوح.

[٢] ن ر: فسقًا.

[٣] ر - له.

[٤] د: موسيًا؛ ن: مواشيًا.

"ذو الظُّفُر": ما له أصبعٌ من دابةٍ أو طائرٍ، وكان بعضُ ذواتِ الظُّفُر حلالًا لهم، فلمَّا ظلموا حُرِّم ذلك عليهم فعَمَّ التحريمُ كلَّ ذي ظُفُرٍ بدليلِ قوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء ٤/١٦٠].

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ كقولك: "مِن زيدٍ أخذتُ مالَه" تريدُ بالإضافة زيادةَ الربط، والمعنى: أنه حَرَّم عليهم لحم كلِّ ذي ظفر وشحمَه وكلَّ شيء منه، وتَرَكَ البقرَ والغنم على التحليل لم يحرِّم منهما إلَّا الشحومَ خاصةً، وهي الثُّروب وشحومُ الكُلَى.

وقولهُ: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ يعني: إلَّا ما اشتمل على الظُّهور والجُنُوب من السَّحفَةِ.

﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾: أو ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ وهو شحمُ الإلية. وقيل: ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ عطفٌ على ﴿شُحُومَهُمَآ﴾، و﴿أَوْ﴾ بمنزلتِها في قولهم:

قوله: (**بالإضافة**) أي: الإضافة بـ﴿مِنَ﴾، والأصل "أخذتُ مالَ زيد". اعلم أنّ الإضافة لفظ مشترك بين نسبة لفظ إلى اسم بواسطة حرف جرّ ملفوظٍ ومقدَّر، والقسم **الأوّل** في اصطلاح النحو يسمّى جارًّا ومجرورًا، و**الثاني** مضافًا ومضافًا إليه.

قوله: (**الثُّروب**) «الثَّرب: شحم[1] قد غشيَ الكَرِش والأمعاء».[2]

قوله: (**مِن السَّحْفة**) «السَّحْفة: الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين إلى الوركين».[3]

قوله: (﴿**أَوِ ٱلْحَوَايَآ**﴾) الحوايا جمع الحاوية، وهي: الأمعاء. وقوله: (**أو ما اشتمل**) هذا تفسير ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾، فيكون ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ عطفًا على ﴿ظُهُورُهُمَآ﴾.

قوله: (**وقيل**: ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾) عطف[4] هذه الجملة على جملة قوله: (**يعني**: **إلّا ما اشتمل**)... إلخ.

---

١ ن: سم.
٢ **الصحاح** للجوهري، «ثرب».
٣ **الصحاح** للجوهري، «سحف».
٤ ن + على.

"جالسِ الحسنَ أو ابنَ سيرينَ".

﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاءَ ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ وهو تحريم الطيّبات ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾: بسبب ظلمهم.

﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ فيما أَوْعَدْنا به العُصاة لا نُخْلِفه كما لا نُخْلِفُ ما وعَدْناه أهل الطاعة، فلمَّا عصَوْا وبغَوْا ألحَقْنا بهم الوعيدَ وأحلَلْنا بهم العقابَ.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ١٤٧﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ في ذلك وزعموا أن الله واسع الرحمة، وأنه لا يؤاخِذ بالبغي ويُخلِفُ الوعيدَ جُودًا وكرمًا ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ لأهل طاعته

قوله: **(أو ابن سيرين)**، وكقوله:[١] ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان ٧٦/٢٤]، والمعنى على هذا القول: حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم إلّا ما حملت ظهورهما فإنّه غير محرَّم.

فإن قيل: لمّا دخلت الجملة في حكم التحريم إلّا ما حملت الظهور، فلِمَ عُطف بحرف التخيير دون الجمع.

قلنا: كلمة ﴿أَوْ﴾ بليغة في هذا المعنى، لأنّك إذا قلتَ: "لا تُطع زيدًا وعمرًا" فجائز أنّك نهيت عن طاعتهما معًا في حال، فإن أطاع[٢] زيدًا على حِدَته لم يكن مرتكبًا للنهي، وإذا قلت: "لا تُطع زيدًا أو عمرًا أو خالدًا" فالمعنى أنّ هؤلاء كلّهم أهلٌ ألّا يطاع فلا تُطع واحدًا منهم والجماعةَ.

اعلم أنّ هذه **الحاشية** غير واضحة، والتحقيق أن يقال:

أمّا على الوجه **الأوّل** وهو أن يكون ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ عطفًا على ﴿ظُهُورُهُمَآ﴾ فـ﴿أَوْ﴾[٣] يفيد نفي حرمة كلّ واحد ممّا حَمَلته الظهور والحوايا وما اختلط بعظم، وذلك لأنّ "أو" موضوع لأحد الأمرين ففي الإثبات تفيد ثبوتَ أحد المذكورين وفي النفي نفيَ كلّ واحد منهما؛ لأنّ نقيض الإيجاب الجزئيِّ النفيُ الكلي.

---

١ ن ر: وقوله.

٢ ر: اطلع.

٣ ن: فلا؛ ر: فاء.

....

وبيان هذا أنّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ﴾... إلخ، في معنى النفي، لأنّه مستثنى عن الإثبات، فكأنّه قال: "حرَّمنا مِن البقر والغنم الشحومَ المخصوصة ولم نحرِّم ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم"، فيفيد "أو" عدم تحريم الجميع، أي: عدم تحريم كلّ واحد مِن المذكورات. قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**:

> ﴿أَوْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان ٢٤/٧٦] بمعناها، وهو أحد الأمرين، وإنّما جاء التعميم مِن[١] أمر وراء ذلك، وهو النهي الذي فيه معنى / النفي، لأنّ المعنى قبل وجود النهي "تُطيعُ[٢] آثمًا أو كفورًا"، أي: واحدًا منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتًا،[٣] فيصير المعنى "ولا تُطع واحدًا منهما".[٤] [٣٦٣و]

وأمّا على الوجه **الثاني** وهو أن يكون ﴿ٱلْحَوَايَا﴾ عطفًا على شحومهما فـ"أو" في هذا الكلام بمنزلة "أو" في قولهم: "جالس الحسن أو ابن سيرين"، أي: للإباحة،[٥] فكما أنّ[٦] "أو"[٧] تُفيد في تلك الصورة إباحة المجالسة مع كلّ واحد مِن الحسن أو ابن سيرين فكذا تفيد جواز استناد[٨] الحرمة إلى كلّ واحد مِن الشحوم والحوايا وما اختلط بعظم. أو نقول: شبّهه[٩] بقوله: "جالس الحسن أو ابن سيرين" في أنّ أحد الأمرين غير حاجز عن الآخر.[١٠]

واعلم أنّ "أو" في هذا الوجه أيضًا تكون على بابها، لأنّ معنى "أو" هو أحد الأمرين، وهو حاصل. قال ابن الحاجب في **شرح المفصّل**: و"أو" و"إمّا" و"أم" الثلاثة لإثبات الحكم لأحد المذكورين مِن غير تعيين، لأنّك إذا قلتَ:

---

١ ن ر – من.
٢ ن ر: تطع.
٣ ن ر: ثانيًا.
٤ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٢٠٢/٢-٢٠٣.
٥ ن: الإباحة.
٦ ن: أنه.
٧ ن ر – أو.
٨ ن ر: إسناد.
٩ ن ر: مشبهة.
١٠ ر: الأخير.

....

"جاء زيد أو عمرو" فأنت[١] تُثبت[٢] المجيء لواحد منهما لا بعينه، ولا يلزم أن يكون المتكلِّم شاكًّا؛ بل قد يُبهَم ذلك على السامع.[٣]

ثمّ بعد ذلك عند[٤] قول الزمخشري: «ويقال في "أو" و"إمّا": إنّهما للشكّ»،[٥] قال ابن الحاجب: «وإنّما قال: "ويقال" تنبيهًا على أنّ ذلك ليس بلازم، إذ قد يكون المتكلِّم غيرَ شاكٍّ؛ بل يكون مُبهِمًا، وأمّا في الأمر فيقال: للتخيير والإباحة، على أنّ وضعها ما تقدّم مِن إثبات الحكم لأحد الأمرين، إلّا أنّه حصلت قرينة يُفهَم معها أنّ أحد الأمرين غير حاجز عن الآخر».[٦] هذا كلام ابن الحاجب، وهو يؤيِّد ما ذكرنا مِن المشابهة بين لفظتَي "أو" في الموضعين. قال الواحديّ في **الوسيط** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ﴾:

> هو البعير والنعامة.[٧] ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ﴾، يعني شحومَ الجوف، وهي[٨] الثروب وشحم الكُليتين. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ﴾ قال قتادة: ما عُلِّق بالظهر والجَنْب مِن داخل بطونهما.[٩] ﴿أَوِ ٱلۡحَوَايَآ﴾ وهي المباعِر، واحدتها حاوِية[١٠] وحَوِيّة[١١] وحاوياء، يعني: ما[١٢] حملت الحوايا مِن الشحم. ﴿أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖ﴾، يعني لحوم الألْيَة في قول جميعهم. وقال ابن جُريج: كلّ شحم في القوائم والجَنْب والرأس والأذنين والعينين فهو ممّا اختلط بعظم، وهو حلال لهم، إنّما حُرِّم عليهم الثَّرْب وشَحْم الكُلية.[١٣]

---

١ ن: فأثبتت.

٢ ن – تثبت.

٣ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ١٩٨/٢.

٤ ن ر: على.

٥ **المفصّل** للزمخشري، ص ٤٠٥.

٦ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٢٠١/٢.

٧ مرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة والسدّي في **جامع البيان** للطبري، ٦٣٨/٩ (الأنعام، ١٤٦/٦).

٨ ر: ومن.

٩ **جامع البيان** للطبري، ٦٤٣/٩ (الأنعام، ١٤٦/٦).

١٠ ر: حوية.

١١ ر: وحاوية.

١٢ ر: وما.

١٣ انظر: **الوسيط** للواحدي، ٣٣٢/٢-٣٣٣ (الأنعام، ١٤٦/٦). وقول ابن جريج بلفظ قريب في **جامع البيان** للطبري، ٦٤٦/٩ (الأنعام، ١٤٦/٦).

﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ مع سَعَةِ رحمته ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فلا يُغترُّ برجاء رحمته عن خوف نِقمَتِهِ.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ إخبارٌ بما سوف يقولونه، ولمَّا قالوه قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل ١٦/٣٥] يعنُون بكفرهم وتمرُّدهم أن شركَهم وشركَ آبائهم وتحريمَهم ما أَحلَّ اللهُ بمشيئةِ الله وإرادته، ولولا مشيئتُه لم يكن شيءٌ من ذلك؛ كمذهب المجْبِرة بعينه.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: جاؤوا بالتكذيب المطلَق؛ لأن الله عزَّ وعلا رَكَّب في العقول وأنزل في الكتب ما دلَّ على غناهُ وبراءتهِ من مشيئة القبائح وإرادتها، والرُّسُل أخبروا بذلك، فمَن عَلَّق وجودَ القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذَّبَ التكذيبَ كلَّه، وهو تكذيبُ الله وكتبه ورسله، ونَبَذَ أدلةَ العقل والسمع وراء ظهره.

﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾: حتى أنزلنا عليهم العذابَ بتكذيبهم.

وقوله[1] تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ قال في **الوسيط**: «﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾، أي: في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم».[2]

قوله: (**فلا[3] يُغترّ**) اغترَّ[4] بالشيء: خُدع به.

قوله: (**﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ﴾ [النحل ١٦/٣٥]**) في سورة النحل.

قوله: (**كمذهب المُجبِرة بعينه**) وليس هذا كمذهب المُجبِرة[5] لأنّ الكفّار كانوا يقولون ذلك استهزاء، ولذلك[6] قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

---

[1] ر: قوله.
[2] **الوسيط** للواحدي، ٢/٣٣٣ (الأنعام، ٦/١٤٦).
[3] ر: ولا.
[4] ر: اغبرّ.
[5] ر - بعينه) وليس هذا كمذهب المجبرة.
[6] ر: كذلك.

﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾: من أمرٍ معلومٍ يصحُّ الاحتجاجُ به فيما قُلتُم ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ وهذا من التهكُّم والشهادةِ بأنّ مثلَ قولهم محالٌ أن يكون له حجةٌ.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في قولكم هذا ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾: تقدِّرون أن الأمر كما تزعمون، أو تَكْذِبون.

وقرئ: "كذلك كَذَب الذين مِن قبلهم" بالتخفيف.

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ يعني: فإن كان الأمرُ كما زعمتُم أنَّ ما أنتم عليه

قوله: **(بأنّ مثل)** الباء متعلّق بـ**(الشهادة)**. وقوله: **(محالٌ)** يجوز أن يقال:[١] "محال"[٢] خبر "أنّ"، وأن يكون فاعله، وأن يقال: **(أن يكون)** مبتدأ "محال" خبره،[٣] والجملة خبر "أنّ".

[٣٦٣ظ] قوله: / (﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ﴾) «قال الزجّاج: 'حجّته البالغة: تبيينه أنّه الواحد وإرساله الأنبياءَ بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون'.[٤] وهذا معنى قول المفسّرين: لله الحجة البالغة بالكتاب والرسول والبيان».[٥] جعلوا قولهم: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ حجّة على إقامتهم على الشرك والتحريم. قال الحسن: قالوا: إنّ الله رضي منّا ما نحن عليه وأراده منّا، ولو لم يرضَ منّا لحال بيننا وبين ما نحن عليه ولعاجلنا بالعقوبة، ولا يكون هذا حجّة لهم على أنّ ما هم عليه مِن الشِّرك حقّ، لأنّ الأشياء كلّها تجري بمشيئة الله تعالى،[٦] فلو كانوا على صواب لأنّ ذلك بمشيئته لكان كلّ مَن خالفهم وجب أن يكون عندهم أيضًا على صواب لأنّهم أيضًا على ما شاء الله،[٧] فيؤدّي إلى تصحيح الأديان المتناقضة،

---

[١] ر: يقول.

[٢] ن: مخبر.

[٣] ر: جبيرة.

[٤] **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/٣٠٣.

[٥] **البسيط** للواحدي، ٨/٥١٦ (الأنعام، ٦/١٤٩).

[٦] ن ر - تعالى.

[٧] من قوله: "قالوا: إنّ الله رضي منّا" إلى هنا بلفظ قريب في **الوسيط** للواحدي، ٢/٣٣٤ (الأنعام، ٦/١٤٩).

بمشيئةِ الله فللّٰهِ الحجةُ البالغةُ عليكم على قَوْد مذهبكم.

﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ منكم ومن مخالفيكم في الدِّين، فإنَّ تعليقكم دينَكم بمشيَّة الله يقتضي أن تُعلِّقوا دينَ مَن يُخالفكم أيضًا بمشيَّتِهِ، فتُوالُوهم ولا تعادُوهم وتوافِقُوهم ولا تخالِفوهم؛ لأن المشيَّة تجمعُ بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

﴿هَلُمَّ﴾ يَسْتوي فيه الواحد والجمع والمذكَّر والمؤنَّث عند الحجازيين، وبنو تميم تُؤنِّثُ وتجمع، والمعنى: هاتوا شهداءكم وقرِّبُوهم.

فإن قلتَ: كيف أَمَرَه باستحضارِ شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرَّم ما زعموه محرَّمًا ثم أَمَرَه بأنْ لا يَشهدَ معهم؟

قلتُ: أمره باستحضارهم وهم شهداءُ بالباطل ليُلزِمهم الحجةَ ويُلقِمَهم الحجرَ، ويُظهرَ للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيءٍ؛ لتَساوي

وهذا ظاهر البطلان، فثبت أنّه يجب النظر إلى الأمر ومتابعته دون المشيئة. وقوله: (**على قَوْد مذهبكم**) بدل مِن قوله: (**عليكم**) والقَوْد فعل بمعنى[١] مفعول،[٢] أي: فللّٰه الحجّة على ما يقوده مذهبكم، فإنّه يلزم مِن مذهبهم مساواة جميع المِلَل المتخالفة واللازم[٣] ظاهر البطلان فيلزم بطلان مذهبهم، والقَوْد مصدر قاده. وقوله: (**منكم**) بيان "كم" في ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾. وقوله: (**فإنّ تعليقكم**) كالبيان لقوله: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾.

قوله: (**بانقطاع**) أي: بسبب.

قوله: (**لتساوي**) اللام في "لتساوي" متعلِّق بـ"انقطاع"، فيه نظر؛ لأنّه لو كان متعلِّقًا به يلزم الفصل بين المصدر وهو "الانقطاع" وبين معموله وهو "أنّهم" لأنّه معمول (**يُظهر**)؛ بل اللام متعلِّق بقوله: (**ليسوا**).

---

١ ن: بمفعول.
٢ ن – مفعول.
٣ ن: واللام.

أقدام الشاهدين والمشهودِ لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصحُّ التمسُّكُ به.

وقوله: ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾ يعني: فلا تُسَلِّمْ لهم ما شهِدوا به ولا تُصدِّقهم؛ لأنه إذا سَلَّم لهم فكأنَّه شهِدَ معهم مثلَ شهادتهم وكان واحدًا منهم.

﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ مِن وضعِ الظاهر موضعَ المضمَر للدَّلالة على أنّ مَن كذَّب بآيات الله وعَدَل به غيرَه فهو متَّبِعٌ للهوى لا غير؛ لأنه لو تبعَ الدليل لم يكن إلّا مصدِّقًا بالآيات موحِّدًا لله تعالى.

فإن قلتَ: هلّا قيل: قُلْ هلمَّ شهداءَ يشهدون أن الله حرَّم هذا، وأيُّ فرقٍ بينه وبين المنزَّل؟

قلتُ: المراد أن يُحضِرُوا شهداءَهم الذين عُلم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم، وكان المشهودُ لهم يقلِّدونهم ويثِقون بهم ويَعتضِدون بشهادتهم؛ ليُهدَم ما يقومون به فيَحِقَّ الحقُّ ويَبطُلَ الباطلُ، فأُضيف الشهداء لذلك وجيء بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ للدلالة على أنهم شهداءُ معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم، والدليلُ عليه قولُه تعالى: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾.

ولو قيل: "هلمَّ شهداءَ يشهدون" لكان معناه: هاتوا أُناسًا يشهدون بتحريم ذلك، فكان الظاهرُ طلبَ شهداءَ بالحق، وذلك ليس بالغرض، ويُناقضُه قولُه: ﴿فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ﴾.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

"تعالَ" من الخاصِّ الذي صار عامًّا، وأصله: أن يقولَه مَن كان في مكانٍ عالٍ

قوله: (ليُهدَم) متعلِّق بقوله: (يُحضَروا)[1] والباء في (به) للتعدية، كما يقال: قام بالشهادة وأقامها.

---

[1] ن - يحضروا.

لمن هو أسفلَ منه، ثم كثُر واتُّسِعَ فيه حتى عمَّ.

و﴿مَا حَرَّمَ﴾ منصوبٌ بفعل التلاوة، بمعنى: أتْلُ الذي حرَّمه ربُّكم، أو بـ﴿حَرَّمَ﴾ بمعنى: أقُلْ أيَّ شيء حرَّم ربكم؛ لأن التلاوة من القول.

و﴿أَن﴾ في ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ﴾ مفسِّرةٌ، و﴿لَا﴾ للنهي.

فإن قلتَ: هلَّا قلتَ: "هي التي تنصِبُ الفعل" وجعلتَ ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ﴾ بدلًا من ﴿مَا حَرَّمَ﴾.

قلتُ: وجَب أن يكون ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ﴾ و﴿لا تَقْربوا﴾ و﴿لا تَقْتُلوا﴾ و﴿لا تتَّبِعوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام ١٥٣/٦] نواهيَ؛ لانعطافِ الأوامر عليها، وهي قولُه: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾؛ لأن التقدير: وأَحْسِنوا بالوالدين إحسانًا، و﴿أَوْفُواْ﴾ ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾ ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾.

قوله: **(أسفل منه)** أي: لمَن هو في مكان أسفل مِن مكان عالٍ.

قوله:[١] **(أو بـ﴿حَرَّمَ﴾)** "ما" على **الأوّل** موصولة، وعلى **الثاني** بمعنى: أيّ شيء.

قوله: **(مفسِّرة)** لأنّ في التلاوة معنى القول، فكأنّه قيل: أَقُل ألّا تُشركوا.

قوله: **(وجعلتَ ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ﴾ بدلًا مِن ﴿مَا حَرَّمَ﴾)** فتكون "لا" للنفي، وإنّما تعيَّن أن يكون حينئذٍ للنفي لأنّ "أن" الناصبة لا تدخل على النهي، ويلزم عطف الطلبيّ على غيره، فلذلك ردّه المصنِّف في الجواب.

قوله: **(قلتُ: وجب)** حاصل الجواب أنّه إذا جعل "أن" هي التي تنصب الفعل[٢] فلا بدّ[٣] أن يكون "لا" للنفي، إذ لا يجوز أن يكون للنهي، لأنّ الناصب والجازم لا يجوز اجتماعهما في فعل واحد، وإذا كان للنفي[٤] وبعده أمر[٥] يلزم عطف الطلبيّ على غيره، وإنّه غير مستحسن.

---

[١] ر + قوله.
[٢] ر: للفعل.
[٣] ن - بد.
[٤] ن ر - إذ لا يجوز أن يكون للنهي لأنّ الناصب والجازم لا يجوز اجتماعهما في فعل واحد وإذا كان للنفي.
[٥] ر: عطف.

فإن قلتَ: فما تَصنعُ بقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ فيمَن قرأ بالفتح، وإنما يستقيمُ عطفُه على ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟﴾ إذا جعلتَ "أنْ" هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى: أتلُ عليكم نفيَ الإشراك والتوحيدَ، وأتلُ عليكم أن هذا صراطي مستقيمًا.

قلتُ: أَجعلُ قوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا﴾ علّةً للاتِّباع بتقدير اللام؛ كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن ١٨/٧٢] بمعنى: ولأن هذا صراطي مستقيمًا فاتَّبِعوه، والدليلُ عليه القراءة بالكسر، كأنّه قيل: واتَّبِعوا صراطي؛ لأنّه مستقيمٌ، أو: اتَّبِعوا صراطي إنّه مستقيم.

فإن قلتَ: إذا جعلتَ ﴿أَن﴾ مفسِّرةً لفعلِ التلاوة وهو مُتعلِّق بـ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ وجب أن يكون ما بعده منهيًّا عنه محرَّمًا كلُّه كالشرك وما بعده ممّا دخل عليه حرفُ النهي، فما تصنعُ بالأوامر؟

قلتُ: لمَّا وردت هذه الأوامرُ مع النواهي، وتقدَّمهنَّ جميعًا فعلُ التَّحْريم، واشتركْنَ في الدخول تحت حُكمه، عُلم أن التحريم راجعٌ إلى أضدادها،

قوله: (**﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾**) هذا إشارة إلى ما ذُكر في السورة، فإنّها بأسرها في إثبات النبوّة والتوحيد.

قوله: (**لأنّه مستقيم**) هذا على تقدير فتح "أنّ". وقوله: (**إنّه مستقيم**) على تقدير كَسْر "إنّ". وحاصل المعنى أنّه لمّا ذكر الواجبات والمنهيّات قال بعدها: اتّبعوا ما ذُكر لأنّه صراط مستقيم.

قوله: (**وهو معلَّق**) أي: متعلِّق به عامل فيه، تقول: عُلِّقته به فتعلَّق / به. [٣٦٤و]

قوله: (**ممّا دخل**) "مِن" في "ممّا دخل" بيان لِـ"ما" في قوله: (**وما بعده**).

قوله: (**وتقدَّمهنَّ**) أي: الأوامر والنواهي. وقوله:[١] (**واشتركْنَ**) أي: الأوامر والنواهي.

قوله: (**أضدادها**) أي: أضداد الأوامر.

---

[١] ن: وقوله.

وهي الإساءةُ إلى الوالدين وبَخْسُ الكيل والميزان، وتركُ العدل في القول ونكثِ عهد الله.

﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: من أجلِ فقرٍ ومن خشيته؛ كقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء ١٧/٣١].

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ مثلَ قوله: ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام ٦/١٢٠].

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ كالقصاصِ والقتلِ على الرِّدَّة والرَّجْم.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: إلا بالخصلة التي هي أحسنُ ما يُفْعل بمالِ اليتيم، وهي حفظُه وتثميرُه. والمعنى: احْفظُوه عليه حتى يبلغ أشدَّه فادفعُوه إليه.

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالسَّويَّة والعدل.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: إلا ما يَسَعُها ولا تعجزُ عنه.

وإنما أَتْبعَ الأمرَ بإيفاء الكيل والميزان ذلك؛ لأن مراعاةَ الحدِّ من القسط الذي لا زيادةَ فيه ولا نقصان مما يجْري فيه الحَرَجُ، فأمَر ببلوغ الوُسع وأنَّ ما وراءه مَعْفوٌّ عنه.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المقولُ له أو عليه في شهادةٍ أو غيرها من أهل قرابةِ القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص؛ كقوله: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء ٤/١٣٥].

قوله: (**أحسنُ ما**) "أحسن" مضاف إلى "ما".

قوله: (**ذلك**) إشارة إلى ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾. وقوله:[١] (**مِن القِسط**) بيان (**الحدّ**).

قوله: (**وأنّ ما وراءه**) عطف على (**بلوغ**) مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: فأُمر ببلوغ الوسع وبيّن أنّ ما وراءه معفوٌّ عنه.

---

[١] ن: فقوله.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾

وقرئ: ﴿وَأَنْ هَٰذَا صِرَٰطِي﴾ بتخفيف ﴿أنْ﴾، وأصله: وأنه هذا صراطي، على أن الهاء ضميرُ الشأن والحديثِ.

وقرأ الأعمش: "وهذا صراطي"، وفي مصحف عبد الله: "وهذا صراطُ ربِّكم"، وفي مصحف أبيّ: "وهذا صراطُ ربِّك".

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾: الطرقَ المختلفةَ في الدِّين من اليهوديَّةِ والنصرانيَّة والمجوسيَّة وسائرِ البِدَع والضلالات.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾: فتُفرِّقَكم أَيادِي سَبَا.

﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام.

وقرئ: ﴿فَتَّفرقَ بكم﴾ بإدغام التاء.

ورَوَى أبو وائلٍ عن ابن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه خطَّ خطًّا ثم قال: «هذه سبيلُ الرشد» ثم خطَّ عن يمينه وعن شماله خطوطًا ثم قال: «هذه سُبُلٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هذه الآياتُ محكَماتٌ لم يَنْسَخْهنَّ شيءٌ من جميع الكتب.

وقيل: إنهنَّ أُمُّ الكتاب، مَن عَمِلَ بهنَّ دخل الجنَّة ومَن تركهنَّ دخل النار.

قوله: (﴿فَتَفَرَّقَ﴾) أي: فـ"أن تتفرَّق" فحذف التاء.

قوله: (أيادي سبا)،[1] أي:[2] تفرُّقًا[3] لا[4] اجتماعَ[5] بعده، والتقدير تفرُّقًا مثل تفرُّق أيدي سبا.

---

[1] ن: سنا. | وهو من أمثال العرب. انظر: **مجمع الأمثال** للميداني، ١/٢٧٥.

[2] ن: أن.

[3] ن ر: يفرق.

[4] ن ر - لا.

[5] ن ر: الاجتماع.

وعن كعبِ الأَحْبار: والذي نفسُ كعبٍ بيده إن هذه الآيات لَأوَّلُ شيءٍ في التوراة.

فإن قلتَ: علامَ عُطف قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾؟

قلتُ: على ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾.

فإن قلتَ: كيف صحَّ عطفُه عليه بـ﴿ثُمَّ﴾ والإيتاءُ قبلَ التوصيةِ بدهرٍ طويلٍ؟

قلتُ: هذه التوصيةُ قديمة لم تَزَلْ تُوَصَّاها كلُّ أمةٍ على لسان نبيِّها؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: محكَمات لم يَنسخْهنَّ شيءٌ من جميع الكتب، فكأنه قيل: ذلكم وصَّاكم به يا بني آدم قديمًا وحديثًا.

﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ١٥٤ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾

قوله: **(وعن كعب الأحبار)** أراد "كعب الكتب" بالإضافة، والدليل عليه قولهم: "كعب الحِبر الكتب". «والحَبر والحِبر:[1] واحد أحبار اليهود، وبالكسر أفصح، لأنّه يجمع على "أحبار"، قال الفرّاء: هو حِبر بالكسر، يقال ذلك للعالم، وإنّما قيل: "كعب الحِبر" لمكان هذا الحِبر الذي يُكتَب به، وذلك أنّه كان صاحب كُتب، قال الأصمعي: لا أدري هو الحِبر أو الحَبْر للرجل العالم، وقال أبو عبيدة:[2] والذي عندي أنّه الحَبر بالفتح، ومعناه العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه. قال: وهكذا[3] يرويه المحدِّثون كلُّهم بالفتح»،[4] يقال: حَبَرتُه حَبْرًا، أي:[5] حسَّنتُه.

قوله: **(الإيتاء[6] قبل التوصية)** لأنّ التوصية في **القرآن** وإيتاء **التوراة** قبل نزول **القرآن**.

---

[1] ن - والحبر.
[2] **الصحاح** للجوهري، «حبر».
[3] ر: وهذا.
[4] **الصحاح** للجوهري، «حبر».
[5] ر: التي.
[6] ر: والإيتاء.

﴿ثُمَّ﴾ أعظمُ من ذلك أنَّا ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾ وأنزلنا هذا الكتابَ المبارك.

وقيل: هو معطوف على ما تقدَّم قبلَ شَطْرِ السورة من قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام ٦/٨٤].

﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: تمامًا للكرامة والنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾: على مَن كان محسِنًا صالحًا، يريد جنسَ المحسنِين، وتدلُّ عليه قراءة عبد الله: "على الذين أحسنوا".

أو أراد به موسى عليه السلام؛ أي: تتمةً للكرامة على العبدِ الذي أحسنَ الطاعةَ في التبليغ وفي كلِّ ما أُمر به، أو: تمامًا على الذي أحسنَ موسى

قوله: (﴿ثُمَّ﴾ **أعظم مِن ذلك**) وإذا كان شاملًا للماضي والحال لا يكون "ثمّ" لتراخي[1] الزمان؛ بل لتراخي الرُّتبة.

قوله: (**تمامًا للكرامة والنعمة**) اعلم أنّ قوله: ﴿تَمَامًا﴾ يجوز أن يكون منصوبًا على المصدر مِن قوله تعالى: ﴿آءَاتَيْنَا﴾، لأنّ إيتاء الكتاب إتمام للنعمة، فكأنّه قيل: أتممنا النعمة عليه تمامًا، أو على أنّه مفعول له كما هو المنقول مِن **بعض التفاسير**،[2] ووجهُه أن نقول: التقدير "آتينا موسى الكتاب لنُتمّ النعمة عليه تمامًا"، ولمّا كان هذا منصوبًا بما هو مفعول له وقائمًا مقامَه قيل: إنّه مفعول له، لا أنّه بالحقيقة مفعول له، وإلّا لم يُحذَف منه اللام لأنّه ليس فعلًا لفاعل الفعل المعلَّل. وبهذا التقدير يتبيّن لك صحة ما نُقل عن الزجّاج[3] أنّه مفعول له.[4] فتأمّل. وقوله: "للكرامة والنعمة" هما مفعول به، وهو محذوف في **القرآن** كما ترى، كما تقول: "أتممتُ على فلان" ولم تذكر النعمة. وقوله: (**تتمّةً**) مفعول له أيضًا. وقوله: (**أو: تمامًا**) مفعول له.

---

[1] ر: للتراخي.

[2] نقله الواحدي عن الزجاج كما سيأتي، وأورده غير. انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٣٠٦/٢؛ و**البسيط** للواحدي، ٥٤٠/٨ (الأنعام، ١٥٤/٦)؛ و**التبيان** للعكبري، ٥٥٠/١؛ و**تفسير الكواشي**، ١٨٤و.

[3] انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٣٠٦/٢.

[4] نقله عن الزجّاج الواحدي. **البسيط** للواحدي، ٥٤٠/٨ (الأنعام، ١٥٤/٦).

من العلم والشرائع، مِن أَحْسَنَ الشيءَ: إذا أجادَ معرفتَه؛ أي: زيادةً **على علمه على وجه التتميم.**

وقرأ يحيى بنُ يَعْمَرَ: "على الذي أحسنُ"؛ أي: "على الذي هو أحسنُ" بحذف المبتدأ؛ كقراءةِ مَن قرأ: "مثلًا مَا بعوضةٌ" بالرفع؛ أي: على الدِّين الذي هو أحسنُ دينٍ وأرضاه.

أو: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ تَمَامًا﴾؛ أي: تامًّا كاملًا على أحسنِ ما تكونُ عليه الكُتُب؛ أي: على الوجه والطريق الذي هو أحسنُ، وهو معنى قول الكلبي: أَتَمَّ له الكتابَ على أَحْسنِه.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَـٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

قوله: (مِن "أحسن") أي: يكون أحسن على هذا مِن قولهم: أحسن الشيءَ إذا أحسنَ بمعنى عَلِم حقيقته أحسنَ معرفةٍ له، أي: يعرِفه معرفةً حسنةً.

قوله: (أي: زيادة)... إلخ، إشارة إلى أنّه ضمَّن تمامًا معنى الزيادة على هذا التفسير.

قوله: (وقرأ يحيى)[١] هذه القراءة تحتمل معنيين: على **الأوّل** يكون ﴿تَمَامًا﴾ مفعول له، وعلى **الثاني** يكون حالًا، والمعنى الثاني / (**هو معنى قول الكلبي**). [٣٦٤ظ]

وقوله: (ابن يعمر) قال[٢] في **الصحاح**: «يحيى بن يَعمَر العدوانيّ، لا ينصرف "يعمر" لأنّه مثل "يذهب"».[٣]

قوله:[٤] (أحسنِه) أي: على أحسن وجهه.

---

[١] قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وأحمد بن حنبل وشبل. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٨٠٩.

[٢] ر: وقال.

[٣] **الصحاح** للجوهري، «عمر».

[٤] ن + على.

﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾: كراهةَ أن تقولوا.

﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ﴾ يريدون: أهل التوراة وأهل الإنجيل.

﴿وَإِن كُنَّا﴾ هي "إنْ" المخفَّفة من الثقيلة، واللام هي الفارقةُ بينها وبين النافية، والأصل: وإنه كنَّا عن دراستهم لغافلين، على أن الهاء ضميرُ الشأن.

﴿عَن دِرَاسَتِهِمۡ﴾: عن قراءتهم؛ أي: لم نَعرِفْ مثلَ دراستهم.

﴿لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ﴾ لحدَّة أذهاننا وثَقَابةِ أفهامنا وغزارَة حِفْظِنا لِأيَّام العرب ووقائعِها وخُطبِها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنَّا أُمِّيُّون.

وقرئ: "أَنْ يقولوا" "أو يقولوا" بالياء.

﴿فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ تبكيتٌ لهم، وهو على قراءةِ مَن قرأ: "يقولوا" على لفظ الغيبة أحسنُ؛ لِمَا فيه من الالتفات، والمعنى: إنْ صدَقْتم فيما كنتُم تَعِدُون من أنفسكم فقد جاءكم بَيِّنةٌ من ربكم، فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بعد ما عَرَف صحتَها وصِدْقَها، أو تمكَّنَ من معرفة ذلك ﴿وَصَدَفَ عَنۡهَا﴾ الناسَ فَضَلَّ وأضلَّ.

﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النحل ١٦/٨٨].

قوله: (﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾) مفعول له لقوله: ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ﴾، أي: هذا كتاب أنزلناه مبارك كراهةَ أن تقولوا.

قوله: (وثقافة[1] أفهامنا)[2] يقال: «ثقُفَ[3] ثقافةً، أي: صار حاذقًا فطِنًا».[4] فقوله: "ثقافة أفهامنا" مجاز.

قوله: (على أنّا أميُّون) متعلِّق بقوله: (غَزارة)... إلخ، يعني أنّا مع كوننا أمِّيين بهذه المثابة، فكيف لو كنّا صاحب كتاب.

---

[1] في مطبوع الكشّاف: وثقابة. | وأثبتُّ ما في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

[2] ن ر: أفهامًا.

[3] ر: ثقفه.

[4] الصحاح للجوهري، «ثقف».

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: ملائكةُ الموت أو العذاب.

﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾: أو يأتيَ كلُّ آيات ربّك، بدليل قوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ يُريد آياتِ القيامة والهلاكَ الكليَّ، وبعضُ الآيات أَشْراطُ الساعةِ كطلوع الشمس من مغربها وغيرِ ذلك.

وعن البَراءِ بْن عازب: كنا نتذاكر الساعةَ إذْ أشرفَ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما تتذاكَرُون؟» فقلنا: نتذاكَرُ الساعةَ، قال: «إنها لا تقومُ حتى تروا قبلها عشرَ آيات: الدُّخانَ، ودابةَ الأرض، وخَسْفًا بالمشرق، وخسفًا بالمغرب، وخسفًا بجزيرة العرب، والدجالَ، وطُلوعَ الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، ونزولَ عيسى، ونارًا تخرج من عَدَنَ».

﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ صفةٌ لقوله: ﴿نَفْسًا﴾، وقولُه: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ عطفٌ على ﴿ءَامَنَتْ﴾، والمعنى: أن أشراط الساعة إذا جاءت -وهي آياتٌ مُلجِئةٌ مضطرَّة- ذهب أوانُ التكليف عندها، فلم ينفعِ الإيمانُ حينئذ نفسًا غيرَ مقدِّمَةٍ إيمانها من قَبْلِ ظهور الآيات، أو مقدِّمةً إيمانَها غيرَ كاسبةٍ خيرًا في إيمانها، فلم يَفرُق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنتْ في غير وقت الإيمان، وبين النفس التي آمنتْ في وقته ولم تكسب خيرًا؛ لتَعلم أن قوله:

قوله: **(يريد آياتِ القيامة)**، يعني بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾. وقوله: **(وبعضُ الآيات)**، يعني قوله: ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾.

قوله: **(فلم يفرُق)** فيه بحث، لأنّه يريد أنّ هذا إشارة إلى نفسين: **إحداهما** نفس لم تكن آمنت مِن قبل، **والثانية** نفس آمنت مِن قبل[١] لكن لم تكن كسبت في إيمانها خيرًا، أو إشارة إلى نفس متّصفة بأحد الأمرين: **الأوّل** أنّها ما آمنت،

---

١ ن - والثانية نفس آمنت مِن قبل.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة ٢٥/٢] جمعٌ بين قَرِينتَين لا ينبغي أن تنفكَّ إحداهما عن الأخرى حتى يفوزَ صاحبُهما ويَسعد، وإلّا فالشِّقْوةُ والهلاكُ.

﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ وعيدٌ.

وقرئ: ﴿أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالياء والتاء.

وقرأ ابن سيرين: "لا تنفع" بالتاء؛ لكون الإيمان مضافًا إلى ضمير المؤنّث الذي هو بعضُه، كقولك: "ذهبَتْ بعضُ أصابعه".

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ١٥٩﴾

الثاني آمنت لكن ما كسبت في إيمانها خيرًا، وليس كذلك؛ بل هو إشارة إلى نفس انتفى عنها هذا الوصفان، أي: لم يكن له[1] قبل ذلك لا الإيمان ولا كسب[2] الخير في الإيمان، فكأنّه قيل: "ما آمنت ولا كسبت في إيمانها خيرًا" لِما عرفتَ أنّ "أو" تفيد انتفاء الأمرين في النفي، ولا يكون ذلك مخالفًا لوضعها،[3] لأنّ ذلك شيء عَرَض له[4] مِن وقوعه في سياق النفي، لأنّ نقيض[5] الإيجاب الجزئيّ السلبُ الكليّ كما مرّ،[6] فيكون معنى الآية أنّه لا ينفع الإيمان في ذلك الأوان نفسًا لم يكن لها الإيمان قبل ذلك ولا كَسْب الخير في الإيمان، فيكون إشارة إلى أنّه لو كان الإيمان قبل ذلك نفعه ذلك الإيمان وإن لم يكن كَسَب خيرًا في ذلك الإيمان، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة ١٤٣/٢]. ويحقّق ما ذكرنا التأمُّل في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان ٢٤/٧٦] حيث أفاد نفي الأمرين جميعًا، وقد حقّق هذا المعنى ابنُ الحاجب[7] في **شرح المفصّل**.[8]

---

١ ن – له.
٢ ر: كسبت.
٣ ر: لوصفها.
٤ ر: لها.
٥ ن: يقتضي؛ ر: مقتضى.
٦ في تفسير الأنعام، ١٤٦/٦.
٧ ر + رحمه الله.
٨ انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ٢٠٢/٢-٢٠٣؛ وانظر ما مضى في تفسير الأنعام، ١٤٦/٦.

﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾: اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى، وفي الحديث: «افترقتِ اليهود على إحدى وسبعين فرقةً كلُّها في الهاوية إلَّا واحدةً وهي الناجية، وافترقت النَّصارى على ثنْتَيْن وسبعينَ فرقةً كلها في الهاوية إلَّا واحدةً، وتفترِقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين كلُّها في الهاوية إلّا واحدةً».

وقيل: فرَّقوا دينهم فآمَنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقرئ: ﴿فارقوا دينهم﴾؛ أي: تركوه.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾: فِرَقًا، كلُّ فرقة تُشَيّعُ إمَامًا لها.

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾؛ أي: من السؤال عنهم وعن تفرُّقهم.

وقيل: من عقابهم.

وقيل: هي منسوخةٌ بآية السيف.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ على إقامةِ صفةِ الجنس المميِّز مُقام الموصوف، تقديره: عشرُ حسناتٍ أمثالِها.

وقرئ: ﴿عشرٌ أمثالُها﴾ برفعهما جميعًا على الوصف.

وهذا أقلُّ ما وَعَد من الإضعاف، وقد وعَد بواحدٍ سبعَ مئة، ووعد ثوابًا بغير حساب، ومضاعفةُ الحسنات فضلٌ ومكافأةُ السيِّئات عدلٌ.

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: لا يُنقَص من ثوابهم ولا يُزاد على عقابهم.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

قوله: (فآمنوا ببعض وكفروا ببعض) أي: آمنوا ببعض ما في أيديهم وكفروا ببعضه.

﴿دِينًا﴾ نصبٌ على البدل من محلِّ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾؛ لأنَّ معناه: هداني صراطًا، بدليل قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح ٢٠/٤٨].

و"القَيِّمُ": فَيْعِلٌ مِن قام، كسيِّدٍ مِن سادَ، وهو أبلغ من القائم.

وقرئ: ﴿قِيَمًا﴾، والقِيَم: مصدرٌ بمعنى القِيام وُصف به.

و﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عطفُ بيان، و﴿حَنِيفًا﴾ حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ وعبادتي وتقرُّبي كلُّه ﴿لِلَّهِ﴾.

وقيل: وذبحي، وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾.

وقيل: صلاتي وحجِّي، من مناسك الحج.

﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾: وما آتيهِ في حياتي وأموتُ عليه من الإيمان والعمل الصالح.

قوله: (و"القِيَم" مصدر) وإذا كان مصدرًا يكون للمبالغة، أي: به صلاح أمركم وقيام أمركم في الدنيا والآخرة، فكأنّه قيامكم وانتعاشكم في الدارين، أي: تقومون به وتنتعشون، ولو ضيعتموه[1] لضِعتُم، فكأنّه في نفسه قيامكم وانتعاشكم. و"القِيَم" مصدر بمعنى "القِيام"، كـ"العِوَذ" بمعنى "العِياذ".

قوله: (وعبادتي) فسّر (﴿نُسُكِى﴾) بقوله: (وعبادتي وتقرّبي كلّه)، ثمّ في الوجه الآخر فسّره بقوله: (ذبحي).

قوله:[2] (مِن مناسك الحجّ)، يعني يكون حينئذٍ ﴿وَنُسُكِى﴾ مأخوذ مِن قولهم: مناسك الحجّ.

قوله: (وما آتيه) فالتقدير ذا محياي وذا مماتي فجعل ما يأتي به في حياته وعند موته ذا حياتِه وذا موتِه، كقوله: ذا إنائِك،[3] يريد به الطعام، فأضافه بأدنى ملابسة.

---

[1] ن ر: صنعتموه.

[2] ن ر - قوله: (وعبادي) فسّر ﴿نُسُكِى﴾ بقوله: (وعبادي وتقرّبي كلّه)، ثمّ في الوجه الآخر فسّره بقوله: (ذبحي). قوله.

[3] من البيت لحُريث بن عَنّاب الطائيّ، مضى بتمامه وتخريجه في تفسير البقرة، ١٩/٢.

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: خالصةٌ لوجهه.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ من الإخلاص ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾؛ لأن إسلام كلِّ نبيٍّ متقدِّم لإسلام أمته.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ جوابٌ عن دُعائهم له إلى عبادةِ آلهتهم، والهمزةُ للإنكار؛ أي: مُنْكَرٌ أن أبغي ربًّا غيرَه.

﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ فكلُّ مَن دونَه مربوبٌ ليس في الوجود مَن له الربوبيَّة غيرُه؛ كما قال: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر ٦٤/٣٩].

﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ جوابٌ عن قولهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت ١٢/٢٩].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

جعلهم ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم خاتمُ النبيِّين فخلفَتْ أمَّتُه سائر الأمم، أو: جَعلهم يَخلُف بعضُهم بعضًا، أو: هم خلفاءُ الله في أرضه يملكونها ويتصرَّفون فيها.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ﴾ في الشرف والرزق.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من نعمةِ الجاه والمال، كيف تشكرون تلك النعمة؟ وكيف يَصنعُ الشريفُ بالوضيع والحرُّ بالعبدِ والغنيُّ بالفقير؟

﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن كفر نعمتَه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن قام بشكرها، ووصَفَ العقابَ بالسُّرعة؛ لأن كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُنزلت عليَّ سورةُ الأنعام جملةً واحِدةً يُشيِّعها سبعون ألف ملك، لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتحميد، فمَن قرأ سورةَ الأنعام صَلَّى عليه واستغفَرَ له أولئك السبعون ألفَ ملكٍ بعددِ كلِّ آيةٍ من سورةِ الأنعام يومًا وليلةً».

سورة الأعراف

مكيَّةٌ غيرَ ثمانِ آياتٍ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف ٧/١٦٣]
إلى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ [الأعراف ٧/١٧١]. وهي مئتان وخمسُ آياتٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾

﴿كِتَٰبٌ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو كتابٌ، و﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ صفةٌ له، والمراد بالكتاب: السورة.

﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾؛ أي: شكٌّ منه؛ كقوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [يونس ١٠/٩٤]، وسُمِّي الشكُّ حرَجًا؛ لأنّ الشاكَّ ضيِّقُ الصدر حَرِجُه؛ كما أن المتيقِّنَ مُنشَرِحُ الصدر مُنفَسِحُهُ؛ أي: لا تشكَّ في أنه مُنَزَّلٌ من الله.

/ سورة الأعراف [٣٦٥و]

بسم الله الرحمن الرحيم[١]

قوله: (حرَجًا) «مكان حَرَج وحَرِج، أي: ضيِّق كثير الشجر، لا يصل[٢] إليه الراعية».[٣]

قوله: (لأنّ الشاكَّ ضيِّق الصدر) والشكّ مستلزم لضيق الصدر،[٤] فيكون

---

١ ر - بسم الله الرحمن الرحيم؛ د - بسم الله الرحمن الرحيم... فإنّ حقيقة المضمر هو عود. | سقط منها قرابة لوحين، واستدركا مِن ن ر.

٢ ر: تصل.

٣ ر: الداعية. | **الصحاح** للجوهري، «حرج».

٤ ر - والشك مستلزم لضيق الصدر.

أو: حرجٌ من تبليغه؛ لأنه كان يَخاف قومَه وتكذيبَهم له وإعراضَهم عنه وأَذَاهم، فكان يضيق صدرُه من الأداء ولا ينبَسِط له، فآمَنَه الله ونَهَاه عن المبالاة بهم.

فإن قلتَ: بِمَ تَعلَّقَ قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾؟

قلتُ: بـ﴿أُنزِلَ﴾؛ أي: أُنزِل إليك لإنذارك به، أو بالنهي؛ لأنّه إذا لم يَخَفْهم أَنْذرَهم، وكذلك إذا أَيقَنَ أنّه من عند الله شجَّعَه اليقينُ على الإنذار؛ لأن صاحب اليقين جَسُورٌ متوكِّلٌ على ربِّه مُتَّكِلٌ على عصمته.

فإن قلتَ: فما محلُّ "ذكرى"؟

قلت: يحتمِلُ الحركاتِ الثلاثَ:

النصبَ بإضمار فعلها، كأنه قيل: لتُنذر به وتُذكِّرَ تذكيرًا؛ لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير.

كناية لإطلاق اللازم وإرادة الملزوم. وقوله:[١] **(أو: حرجٌ مِن تبليغه)** وعلى هذا الوجه لا يكون كناية؛ لأنّ المراد بالحَرَج هو معناه الحقيقيّ العاري عن الكناية، لكن يكون المضاف محذوفًا، أو نقول هذا أيضًا كناية، إذ الحَرَج لازم الخوف، والمراد النهي عن الخوف لقوله: **(فآمنه)** و**(نهاه)**، ويؤيِّد هذا قوله: **(لأنّه إذا لم يَخَفْهم)**.

قوله: **(لأنّه)** متعلّق بمحذوف، أي: قال ذلك لأنّه.

قوله: **(وأذاهم)** الأذى: ما يؤذي الشخص،[٢] وأصله المصدر.

قوله: **(متوكِّل)** على التفعيل، والتوكُّل: إظهار العجز والاعتماد على غيرك.

قوله: **(متّكل)** مِن الافتعال، أي: معتمد.

قوله: **(النصبَ بإضمار فعلِها)** قال رضي الله عنه:[٣] لم أزعمه معطوفًا على محلّ ﴿لِتُنذِرَ﴾؛ لأنّ المفعول له يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل المعلَّل واحدًا

---

١ ن: قوله.

٢ ر + والاعتماد على غيرك قوله: مشكل مِن الافتعال.

٣ ن - رضي الله عنه.

والرَّفْعَ عطفًا على ﴿كِتَٰبٌ﴾، أو بأنّه خبر مبتدأ محذوفٍ.

والجرَّ للعطف على محل "تُنذِرَ"؛ أي: للإنذار وللذكرى.

فإن قلتَ: النهيُ في قوله: ﴿فَلَا يَكُن﴾ متوجّهٌ إلى الحَرج فما وجهُه؟

قلتُ: هو من قَولهم: "لا أَرَيَنَّكَ هاهنا".

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم﴾ من القرآن والسنّة ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾: من دون الله ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾؛ أي: ولا تتولَّوا مَنْ دونَه مِن شياطين الجنّ والإنس فيَحملوكم على عبادةِ الأَوْثان والأَهْواءِ والبِدَع، ويُضلّوكم عن دِين الله وما أَنْزَل إليكم وأَمَرَكم باتّباعه.

حتّى يجوز حذف اللام منه، وهنا ليس كذلك؛ لأنّ الإنزال فعل الله تعالى والتذكير فعل النبي صلّى الله تعالى[1] عليه وسلم.

قوله: (**قلتُ: هو مِن قولهم: لا[2] أَرَيَنَّك[3] ههنا**) لا[4] أرينك[5] في ظاهره يقتضي أن المتكلِّم قد جعل ينهى نفسه عن أن يرى المخاطب، والمعنى على أنّه يقول له: "لا تكوننّ ههنا وبحيث أراك"، ومثله مِن طريق العكس قوله تعالى: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ [التوبة ١٢٣/٩] وذلك أنّ ظاهره أمرٌ للمشركين، والمعنى أمر للمؤمنين بأن يغلظوا للمشركين، ذكره[6] عبد القاهر.[7] ووجهه ههنا أنّ المراد على **الأوّل** "**لا تشُكّ**"، وعلى **الثاني** "لا تخف منهم ولا تبالِ بهم"، المراد مِن "لا أُرَيَنَّك" **نهيُه عن مشاهدته والكونِ بحضرته، وذلك سبب روايته[8] إيّاه، فكان ذِكر المسبَّب دليلًا على[9] السبب.**

قوله: (**وأمركم بإتّباعه**) معطوف على (**أنزل إليكم**) **أي: ويضلُّوكم عمّا** أمركم الله باتّباعه.

---

[1] ر – تعالى.
[2] ن ر – لا.
[3] ن ر: لأرينك.
[4] ن ر – لا.
[5] ن ر: لأرينك.
[6] ر: بذكره.
[7] ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من كتبه.
[8] ر: دويته.
[9] ر – المسبب دليلًا على.

وعن الحسن: يا ابن آدمَ، أُمِرْتَ باتّباع كتاب الله وسنَّةِ محمد صلى الله عليه وسلم، واللهِ ما نزَلتْ آيةٌ إلّا وهو يُحبُّ أن تعلم فيمَ أُنزلتْ وما معناها.

وقرأ مالك بن دينار: "ولا تبتغوا" من الابتغاء: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ [آل عمران ٣/٨٥].

ويجوز أن يكون الضميرُ في ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ لـ﴿مَآ أُنزِلَ﴾، على: ولا تتَّبعوا من دون دِينِ الله دينَ أوْلياءَ.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ حيث تتركون دينَ الله وتتَّبعون غيرَه.

وقرئ: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف التاء، و: ﴿يتذكَّرون﴾ بالياء.

و﴿قَلِيلًا﴾ نصبٌ بـ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؛ أي: تذكَّرون تذكُّرًا قليلًا، و﴿مَا﴾ مزيدة لتوكيد القلَّةِ.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤﴾

﴿فَجَآءَهَا﴾: فجاء أهْلَها.

﴿بَيَٰتًا﴾ مصدرٌ واقع موقع الحال بمعنى: بائتين، يقال: بَات بَيَاتًا حسنًا وبَيْتةً حسنةً.

وقوله: ﴿هُمْ قَآئِلُونَ﴾ حالٌ معطوفةٌ على ﴿بَيَٰتًا﴾ كأنَّه قيل: فجاءهم بأسُنا بائتين أو قائلين.

فإن قلتَ: هل يُقدَّر حذفُ المضاف الذي هو الأهلُ قبلَ ﴿قَرْيَةٍ﴾ أو قبلَ الضمير في ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾؟

قوله: (وهو يُحبّ)[١] نقل الواحدي في **الوسيط**: «وهو أمر»[٢] مقام «يحب»،[٣] وهو موافق لأهل السنّة، وهذا لمذهب المعتزلة.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمير) وعلى الأوّل كان عائدًا إلى ﴿رَبِّكُمْ﴾.

---

[١] ر: يجب. وفي مطبوعه «ويجب».

[٢] انظر: **الوسيط** للواحدي، ٢/٣٤٨ (الأعراف، ٧/٣)، [٣] ر: يجب.

قلتُ: إنما يقدَّر المضافُ للحاجة ولا حاجةَ، فإنّ القريةَ تَهلِك كما يَهلِك أهلُها، وإنما قدَّرناه قبل الضمير في ﴿فَجَآءَهَا﴾ لقوله: ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾.

فإن قلتَ: لا يقال: "جاءني زيدٌ هو فارسٌ" بغيرِ واوٍ، فما بالُ قوله: ﴿هُمۡ قَآئِلُونَ﴾؟

قلتُ: قدَّرَ بعضُ النحويين الواوَ محذوفةً، ورَدَّه الزجَّاجُ وقال: لو قلتَ: "جاءني زيدٌ راجلًا أو هو فارسٌ"، أو: "جاءني زيدٌ هو فارسٌ" لم يُحتجْ فيه إلى واوٍ؛ لأن الذكر قد عادَ إلى الأول.

والصحيحُ: أنها إذا عُطفت على حالٍ قبلها حُذفت الواو استثقالًا؛ لاجتماع حرفي عطفٍ؛ لأن واو الحال هي واوُ العطف استُعيرت للوصل، فقولك: "جاءني زيد راجلًا أو هو فارس" كلامٌ فصيحٌ واردٌ على حدِّه، وأما "جاءني زيد هو فارسٌ" فخَبِيثٌ.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا﴾ والإهلاك إنَّما هو بعد مجيء البأس؟

قلتُ: معناهُ: أرَدْنا إهلاكها؛ كقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة ٥/٦] وإنما خُصَّ هذان الوقتان -وقتُ البيات ووقتُ القيلولة- ....

قوله: **(ولا حاجةَ، فإنّ القرية)** أي: لا حاجةَ إلى تقديره قبل ﴿قَرۡيَةٍ﴾ ولا قبل ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾.

قوله: **(والصحيح)** هذا ردّ مِن المصنّف لكلام الزجّاج.[1]

قوله: **(استعيرت للوصل)** وأيضًا تقدُّم الحال يدلّ على أنّ الذي عُطف عليه حالٌ أيضًا، فلم يُحتجَ إلى الإتيان بالواو؛ لأنّ الغرض مِن الإتيان بالواو[2] الدلالةُ على أنّ المذكور بعدها حال، والمصنّف أشار / بقوله: **(عُطفت على حال قبلها)** إلى هذا المعنى. [٣٩٣ظ]

---

[1] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢/٣١٧.
[2] ر - لأنّ الغرض مِن الإتيان بالواو.

لأنهما وقتُ الغفلة والدَّعَة، فيكون نزولُ العذاب فيهما أشَدَّ وأفْظعَ، وقومُ لوط أُهْلِكوا بالليل وقتَ السحر، وقومُ شعيب وقتَ القيلولة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝﴾

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: ما كانوا يَدَّعونه من دينهم ويَنتَحِلونه من مذهبهم إلّا اعترافُهم ببطلانِه وفساده، وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في ما كنّا عليه.

ويجوز: فما كان استغاثَتهم إلّا قولُهم هذا؛ لأنّه لا يُستغاثُ من الله بغيره، من قولهم: "دعواهم: يا لكَعْبٍ".

قوله: (والدَّعَة) «الدَّعَة: الخفض، والهاء عوض عن[1] الواو، تقول منه: "ودُع الرجل" بالضمّ فهو وديع، أي: ساكن، و"وادِع" أيضًا مثله في مثل "حمُض فهو حامض"».[2]

قوله: (ما كانوا يدّعونه) يجوز أن يكون مفعول ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾. والأصوب أن يقال: قوله: "ما كانوا يدّعونه" بيان ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ وتفسيره، فكأنّه قال: "دعواهم بمعنى ما يدّعونه"، ثمّ بيّن ما يدّعونه بقوله: (مِن دينهم)، ثمّ عطف على "يدّعونه" بـ(ينتحلونه) وبيّنه بقوله: (مِن مذهبهم) فيئول المعنى إلى قولنا: ما كان دينهم ومذهبهم إلّا أن قالوا:[3] إنّا كنّا ظالمين، يعني ما كان عاقبة كفرهم إلّا اعترافهم ببطلانه. وهو قريب مِن معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٦/٢٣].

قوله: (لأنّه لا مستغاثَ)[4] أي: إنّما استغاثوا بهذا القول (لأنّه لا مستغاثَ مِن الله بغيره).

قوله: (مِن قولهم: "دعواهم يا لَكعب")[5] يعني هذا التفسير مأخوذ مِن قول العرب: "دعواهم يا لكعب"،[6] أي: كان استغاثتهم بقولهم: "يا لَكعب".[7]

---

١ ن: من.
٢ **الصحاح** للجوهري، «ودع».
٣ ر: كانوا.
٤ في مطبوع **الكشّاف**: يستغاث. | وأثبتُ ما في **حاشية الجاربردي** وما راجعته من أصول **الكشّاف**.
٥ ن ر: بالكعب.
٦ ن ر: بالكعب.
٧ ن ر: بالكعب.

ويجوز: فما كان دعاءَهم ربَّهم إلَّا اعترافُهم لِعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأَنْ لاتَ حين دعَاء فلا يزيدون على ذمّ أنفسهم وتحسُّرهم على ما كان منهم.

و﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ نصبٌ خبرٌ لـ﴿كَانَ﴾، و﴿أَن قَالُوٓاْ﴾ رفعٌ اسمٌ له، ويجوز العكس.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ ﴿أُرْسِلَ﴾ مسندٌ إلى الجارِّ والمجرور وهو ﴿إِلَيْهِمْ﴾، ومعناه: فلنسألنَّ المرسَلَ إليهم وهم الأممُ يَسْألهم عمَّا أجابوا به رُسلَهم؛ كما قال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص ٦٥/٢٨]، ويَسألُ المرسَلين عمَّا أُجيبوا به؛ كما قال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة ١٠٩/٥].

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: على الرسل والمُرسَلِ إليهم ما كان منهم ﴿بِعِلْمٍ﴾: عالِمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالِهم وأفعالهم.

﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عنهم وعمَّا وُجد منهم.

فإن قلتَ: فإذا كان عالمًا بذلك وكان يقصُّه عليهم، فما معنى سؤالِهم؟

قلتُ: معناه التوبيخُ والتقريعُ والتقرير إذا فاهُوا به بألسنتهم وشهدَ عليهم أنبياؤهم.

قوله: **(ويجوز العكس)** فيه نظر؛ لأنّه لا يجوز العكس؛ لأنّه إذا انتفى الإعراب فيهما والقرينة وجب تقديم الفاعل.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ قال بعض العلماء في كتابه في النحو المسمى[1] **باللبّ**: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بدل مِن الضمير في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾. وضَعُفَ جَعْل ﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفة لـ﴿ٱلْوَزْنُ﴾ للفصل، وخبرًا لتعلُّق الظرف حينئذٍ بالمصدر المحلى باللام، وخبرًا بعد خبر لتأخُّر الأعرَف.[2]

---

[1] ر + في.

[2] الكلام بلفظ قريب في لبّ الألباب في علم الإعراب للإسفراييني، ١٣ظ (آيا صوفيا ٤٥٧٦).

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ يَعني: وزنَ الأعمال والتمييزَ بينَ راجحِها وخفيفها، ورفعُه على الابتداء، وخبرُه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفتُه؛ أي: والوزنُ يومَ يَسأل اللهُ الأمم ورُسلَهم الوزنُ الحق؛ أي: العدل.

وقرئ: "القِسطُ".

واختُلف في كيفيَّة الوزن:

فقيل: تُوزَن صُحُف الأعمال بميزانٍ له لِسَانٌ وكِفَّتان تنظر إليه الخلائقُ تأكيدًا للحجَّة وإظهارًا للنَّصَفَة وقطعًا للمعذرة؛ كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهدُ بها عليهم أيديهم وأرجلُهم وجلودُهم، وتشهدُ عليهم الأنبياءُ والملائكة والأَشْهادُ وكما تُثبَتُ في صحائفهم فيُقرؤونَها في موقف الحساب.

وقيل: هي عبارة عن القضاء السَّوِيّ والحكم العادِل.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمعُ ميزانٍ أو موزون؛ أي: فمَن رَجَحَتْ أعمالُه الموزونةُ التي لها وزنٌ وقَدْرٌ وهي الحسنات، أو ما تُوزَن به حسناتُهم.

وعن الحسن: وحُقَّ لِميزانٍ تُوضَع فيه الحسناتُ أن يثقُل، وحُقَّ لميزانٍ تُوضع فيه السيِّئاتُ أن يخفَّ.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝١٠﴾

﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يكذِّبون بها ظُلمًا، ....

قوله: **(وعن الحسن)** وما نُقل عن الحسن[١] يؤيِّد أنّ المراد بالموازين هنا جمع "ميزان"، وهو: ما يُوزَن به.

قوله: **(يكذبون بها ظلمًا)** فيكون الظلم مضمَّنًا معنى التكذيب.

[١] مرويّ عن أبي بكر رضي الله عنه في **جامع البيان** للطبري، ١٤٢/٢١ (الأحقاف ١٦/٤٦).

كقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الأعراف ١٠٣/٧].

﴿مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: جعلنا لكم فيها مكانًا وقرارًا، أو: ملَّكْناكم فيها وأقدَرْناكم على التصرُّف فيها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾: جمعُ معيشةٍ، وهي ما يُعاشُ به من المطاعم والمشارب وغيرها، أو ما يُتوصَّل به إلى ذلك، والوَجْهُ تصريحُ الياء، وعن ابن عامر: أنه هَمَزَ على التشبيه بصحائف.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعني: خلَقْنا أباكم آدمَ طِينًا غيرَ مُصَوَّرٍ ثم صوَّرناه بعد ذلك، ألا ترى إلى قوله: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾.

﴿مِنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: مِمَّنْ سجَدَ لآدم.

﴿لَا﴾ في ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ صلةٌ، بدليلِ قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص ٧٥/٣٨]، ومثلها: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد ٢٩/٥٧] بمعنى: ليعلمَ.

فإن قلتَ: ما فائدةُ زيادتها؟

قلتُ: توكيدُ معنى الفعلِ الذي تدخلُ عليه وتحقيقُه؛ كأنَّه قيل: ليتحقَّقَ علمُ أهلِ الكتاب، و: ما منعَكَ أن تحقِّقَ السجودَ وتُلزِمَه نفسَك.

﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؛ لأن أمرِي لك بالسجود أَوْجَبَه عليك إيجابًا وحتَمه حتمًا لا بُدَّ لك منه.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾** [الأعراف ١٠٣/٧]) أي: فكذَّبوا، يعني: ضُمِّن الظلم معنى التكذيب فعُدِّيَ تعديته.

قوله: (**ألا ترى**) إلى آخره، فإنَّ هذا يدل على أنَّ المراد آدم لا بنو آدم.[1]

[1] ن ر + قوله: يدقنها.

فإن قلتَ: لمَ سألَه عن المانع من السجود وقد عَلِم ما مَنَعه؟

قلت: للتوبيخ، ولإظهار معاندته وكفرِهِ وكِبْره وافتخاره بأصله وازْدِرائه أصلَ آدم، وأنه خَالفَ أمرَ ربه معتقدًا أنه غيرُ واجبٍ عليه؛ لِمَا رَأى أن سجودَ الفاضل للمفضول خارجٌ من الصَّواب.

فإن قلتَ: كيف يكون قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ جوابًا لـ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ وإنما الجواب أن يقول: مَنَعني كذا؟

قلتُ: قد استأنَفَ قصَّةً أخبرَ فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلَّةِ فضله عليه، وهو أن أصله من نار وأصلَ آدم من طين، فعُلم منها الجوابُ وزيادةٌ عليه، وهي إنكارُ الأمر واستبعادُ أن يكون مثلُه مأمورًا بالسجود لمثله؛ كأنه يقول: مَن كان على هذه الصفة كان مستبعَدًا أن يكون مأمورًا بما أُمر به.

﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ١٥﴾

﴿فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا﴾: من السماء التي هي مكانُ المطيعينَ المتواضِعِين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقرُّ العاصين المتكبِّرين من الثَّقلين.

﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾: فما يصحُّ لك ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ وتعصِيَ.

﴿فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: من أهل الصَّغَارِ والهوان على الله وعلى أَوْلياؤه لتكبُّرك؛ كما تقول للرجل: "قم صاغرًا" إذا أَهَنْتَه، وفي ضدِّه: "قم راشِدًا"، وذلك أنه لمَّا أظهرَ الاستكبارَ أُلبِسَ الصغارَ.

وعن عمر رضي الله عنه: مَن تواضَع لله رفع اللهُ حَكَمَتَهُ وقال: انتَعِشْ نَعَشَك اللهُ، ومن تكبَّرَ وعَدَا طَوْره وهَصَهُ الله إلى الأرض.

فإن قلتَ: لمَ أُجيب إلى استنظاره وإنما استَنْظَرَ ليُفسد عبادَه ويُغْويَهم؟

قوله: **(وَهَصه الله)** أي: كسره وأماله.

قلتُ: لِمَا في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب، وحكمُه حكمُ ما خَلَق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواعِ الملاذِّ والمَلاهي، وما رَكَّبَ في الأنفس من الشهوات ليمتحِنَ بها عبادَه.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: فبسببِ إغوائك إيَّاي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وهو تكليفُه إيَّاه ما وقع به في الغيِّ، ولم يَثْبُت كما ثبتَتِ الملائكةُ مع كونهم أفضلَ منه ومن آدم أنفُسًا ومناصبَ.

وعن الأصمِّ: أمَرْتَني بالسجود فحملني الأَنَفُ على معصيتك.

والمعنى: فبسببِ وقوعي في الغيِّ لأَجْتهِدنَّ في إغوائهم حتى يَفسُدوا بسببي كما فسَدْتُ بسببهم.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّقتِ الباءُ، فإنَّ تعلُّقها بـ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ يَصُدُّ عنه لامُ القسم، لا تقول: واللهِ بزيدٍ لَأَمُرَّنَّ؟

قلتُ: تعلَّقت بفعلِ القسَم المحذوف، تقديره: فبما أغويتَني أُقْسِمُ بالله لَأَقْعدن؛ أي: فبسبب إغوائك أُقْسِمُ.

قوله: **(وفي مخالفته)** أي: في مخالفة إبليس، فهو مضاف إلى المفعول، أي: مخالفة العباد إبليس.

قوله: **(وهو)** أي: إغوائك وتكليفه، أي: تكليف الله.[1] وقوله: **(إيّاه)** أي: إبليس. وقوله: **(ما وقع)** مفعول ثانٍ لـ"للتكليف".[2]

قوله: **(وعن الأصمّ)** ما رُوي عن الأصمّ يؤيِّد أن المراد بالإغواء التكليف.

قوله: **(يصدّ عنه لامُ القسم)**؛ لأنّ معمول القسم عليه لا يتقدّم،[3] المعنى: لأنّ لام جواب القسم له صدر الكلام، لا يتقدّم[4] معموله عليه.

---

[1] ن + تعالى.
[2] ر: التكليف.
[3] ر: يتقدّمه.
[4] ر: يتقدّمه.

ويجوز أن تكون الباء للقسم؛ أي: "فأُقْسِمُ بإغوائك لأقعدنَّ"، وإنما أَقْسَمَ بالإغواء؛ لأنّه كان تكليفًا، والتكليفُ من أحسنِ أفعالِ الله لكونه تعريضًا لسعادة الأبد فكان جديرًا بأن يُقسَمَ به.

ومن تكاذيب المُجْبِرةِ ما حكَوه عن طاوس: أنه كان في المسجد الحرام، فجاء رجل من كبار الفقهاء يُرْمَى بالقَدَرِ فجلس إليه، فقال له طاوس: تقوم أو تُقام؟ فقام الرجل، فقيل له: أتقول هذا لرجلٍ فقيهٍ؟ فقال: إبليسُ أفقهُ منه قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر ٣٩/١٥] وهذا يقول: أنا أُغوي نفسي.

وما ظنُّك بقومٍ بَلغَ من تهالُكهم على إضافةِ القبائح إلى الله سبحانه أنْ لفَّقُوا ....

[٣٩٤و] قوله: (**لأنّه كان تكليفًا**) وإنّما فسّره / المصنّف بذلك، أي: بالتكليف؛ لأنّ الإغواء[١] فعل قبيح عنده، لا يجوز صدوره مِن الله تعالى ولا الإقسام به على مذهبه، وأمّا عند أهل السنّة فهو مُجرًى على ظاهره، فعل مِن أفعال الله تعالى يضلّ مَن يشاء ويهدي مَن يشاء.[٢]

قوله: (**تعريضًا**) التعريض للشيء: النصَب له.

قوله: (**فجاء رجل**) أي: جاء رجل يُرمى بأنه قدَري أو معتزلي. وإنّما قال المصنّف هذه[٣] العبارة حكايةً لِما في[٤] كتب أهل السنّة، وإلّا فهو لا يقول للمعتزلي: قدَري. وقوله:[٥] (**يُرمى بالقدَر**)،[٦] أي: بالاعتزال، وعلى هذا حكاية مَرويّهم.

قوله: (**أفقهُ**) أي: إبليس أفقه منه؛ لأنّه أسند الفعل إلى الله وهو أسنده إلى نفسه.

قوله: (**أن لفَّقوا**) ما ليس بتلفيق، وهو مثل قوله عليه السلام: «القَدَريّة مجوس هذه الأمّة».[٧]

---

١ ر - لأنّ الإغواء.
٢ انظر تفصيله في **الإرشاد** للجويني، ص ١٨٧-١٨٨.
٣ ن: بهذه.
٤ ر - في.
٥ ر - وقوله.
٦ ر: بالقدر.
٧ **سنن أبي داود**، ٧٧/٧ (٤٦٩١).

الأكاذيبَ على الرسول والصحابة والتابعين؟!

وقيل: ﴿مَا﴾ للاستفهام؛ كأنّه قيل: بأيّ شيءٍ أغويْتَني؟ ثم ابتدأ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾، وإثباتُ الألف إذا أُدخل حرف الجرّ على ﴿مَا﴾ الاستفهاميةِ قليلٌ شاذٌّ.

وأصلُ الغيّ: الفسادُ، ومنه: غَوِيَ الفَصِيل: إذا بَشِمَ، والبَشَمُ: فسادٌ في المعدة.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: لأعْتَرِضنَّ لهم على طريق الإسلام كما يَعترِض العدوُّ على الطريق ليقطعَه على السَّابلةِ، وانتصابُه على الظرف كقوله:

كما عَسَلَ الطريقَ الثَّعلَبُ

وشبَّهه الزجَّاجُ بقولهم: "ضُرب زيدٌ الظَّهرَ والبطنَ"؛ أي: على الظهرِ والبطن، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الشيطان قَعَد لابن آدم

قوله:[1] (الأكاذيب)[2] الأكذوبة: الكذب.

قوله: (وإثباتُ الألف) هذا ردّ لكون "ما" للاستفهام.

قوله: (إذا بَشِم) مِن كثرة الوضع.[3]

قوله: (على السابلة) السابلة: أبناء السبل المختلفة في الطريق.[4]

قوله:

(كما عَسَلَ الطريقَ الثعلبُ)[5]

أوله:

لَدْنٌ بهزِّ الكف يعسِل متنهُ فيه

لدن، أي: ليّن،[6] يصف الرمح باللين. ويقال هززتُ الشيء هزًّا فاهتزّ، أي: حرّكته فتحرّك. ويعسل، أي: يعدو وعسل الذيب يعسّل عسولًا[7] وعسلانًا أسرع

---

[1] ن: وقوله.

[2] ن: أكاذيب.

[3] ر: الرضع.

[4] انظر: **الصحاح** للجوهري، «سبل».

[5] البيت لساعدة بن جُؤيّة في **شرح أشعار الهذليين** للسكري، ٣/١١٢٠؛ وهو له في **كتاب سيبويه**، ١/٣٦، ٢١٤؛ وبلا عزو في **الإيضاح العضدي** للفارسي، ص ١٨٢؛ و**الخصائص** لابن جني، ٣/٣٢٢.

[6] ن: ليس.

[7] ن: عسلًا.

بأَطْرِقةٍ: قَعَد له بطريق الإسلام فقال له: تَدَعُ دينَ آبائك؟ فعَصاه فأسلم، ثم قَعَد له بطريق الهجرة فقال له: تَدَعُ دِيارَك وتتغرَّبُ؟ فعَصاه فهاجر، ثم قعَد له بطريق الجهاد فقال له: تُقاتِلُ فتُقتَلَ، فيُقسَمُ مالُك وتُنْكَحُ امرأتُك؟ فعَصاه فقاتل».

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم﴾ من الجهات الأربعِ التي يأتي منها العدوُّ في الغالب، وهذا مَثَلٌ لوسوسته إليهم وتَسْويلِهِ ما أَمْكَنه وقَدِر عليه؛ كقوله: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء ٦٤/١٧].

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ بحرف الابتداء ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ بحرف المجاوَزة؟

قلتُ: المفعول فيه عُدِّي إليه الفعلُ نحوَ تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروفُ التعدية في ذاك اختلفت في هذا، وكانت لغةً تؤخذُ ولا تُقاس،

وعسَل الرمح عسلانًا اهتزَّ واضطرب. وقوله: (**فيه**) الضمير لـ"الهزّ" أو لـ"الكف" يريد أنّه لا كزازة[1] فيه. و"الطريق" منصوب على الظرف. وذكر المتن والمراد جملته.

قوله: (**بأَطْرِقةٍ**) الطريق: السبيل، والجمع أطرِقة[2] وطرُق.[3]

قوله: (**تَدَع**) أصله "أتدع" حُذف منه حرف الاستفهام، والاستفهام للإنكار،[4] أي: لا تدع، وكذلك قال صلّى الله عليه وسلّم: (**فعصاه**)، وكذا قوله: (**تتغرَّب**)، و(**تقاتل**).[5]

قوله تعالى: (﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ﴾ [الإسراء ٦٤/١٧]) مفعول (﴿ٱسۡتَفۡزِزۡ﴾).

قوله: (**وكانت لغةً تُؤخَذ**) أي: حرف التعدية سماعيّ لا قياسيّ، و"لغةً" خبر "كان" و"تؤخذ" صفته.

---

[1] ن ر: لزازة.
[2] ن ر: الطرقيه.
[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «طرق».
[4] ر: الإنكار.
[5] مسند أحمد، ٣١٥/٢٥؛ سنن النسائي، ٢١/٦ (٣١٣٤).

وإنما يُفتَّش عن صحَّة موقعها فقط، فلمَّا سمعناهم يقولون: "جَلَس عن يمينه" و"على يمينه"، و: "عن شماله" و"على شماله"، قلنا: مَعْنى "على يمينه": أنه تمكَّن من جهة اليمين تمكُّنَ المُستعْلِي من المستعْلَى عليه، ومعنى "عن يمينه": أنه جَلَسَ متجافِيًا عن صاحب اليمين مُنحرفًا عنه غيرَ مُلاصقٍ له، ثم كثُر حتى استُعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في "تعالَ"، ونحوُه من المفعول به قولُهم: "رمَيْتُ عن القوس" و"على القوس" و"من القوس"؛ لأن السهم يَبْعُد عنها، ويَستعليها إذا وُضِع على كَبِدِها للرَّمي، ويَبتدئُ الرميُ منها، وكذلك قالوا: "جَلَسَ بين يدَيه" و"خلفَه" بمعنى: في؛ لأنهما ظرفان للفعل، و: "من بين يديه" و"من خلفه"؛ لأن الفعل يقع في بعض الجهتَيْن؛ كما تقول: "جئتُه من الليل" تُريد: بعضَ الليل.

وعن شَقيقٍ: ما من صَباحٍ إلا قَعَدَ ليَ الشيطانُ على أربعةِ مراصِدَ: من بين يديَّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي: أمَّا من بين يديَّ فيقول: لا تَخَفْ فإن الله غفور رحيم، فأقرأُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه ٨٢/٢٠]. وأمَّا من خَلْفِي فيُخوِّفني الضَّيْعةَ على مُخَلَّفِيَّ، فأقرأ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود ٦/١١]. وأمَّا من قِبَل يميني فيأتيني من قِبل الثناء فأقرأ: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف ١٢٨/٧]. وأما من قِبَل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات، فأقرأ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ ٥٤/٣٤].

قوله: (مِن بين يديَّ) بدل مِن (أربعة مراصدَ) بدلَ البعض مِن الكل.

قوله:[١] (أمّا[٢] بين يدي) تقديره: أمّا إذا جلس بين يدي فيقول.

قوله: (فأقرأ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه ٨٢/٢٠])، يعني: فأدفع هذه الوسوسة بهذه الآية؛ لأنها تدلّ على أنّ الغفران منوط بالتوبة والإيمانِ والعملِ الصالح، فمَن ليس له هذا المجموع كيف يأمن.

قوله: (على مُخَلَّفيَّ) مخلَّف الرجل مَن يخلف بعده كالأولاد. وقوله: "مُخلَّفيَّ" جمعٌ مضافٌ إلى ياء المتكلّم حُذف نونه بالإضافة.

---

[١] ن – قوله.

[٢] في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله + مِن.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ قاله تَظنِّيًا بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ ٢٠/٣٤].

وقيل: سمِعَه من الملائكة بإخبار الله لهم.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٨ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩﴾

﴿مَذْءُومًا﴾ من ذَأَمَهُ: إذا ذَمَّه، وقرأ الزُّهريُّ: "مَذُومًا" بالتخفيف مثل: "مَسُولٍ" في "مَسْؤُول".

واللام في ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ مُوَطِّئَةٌ للقَسَم، و﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جوابُه، وهو سادٌّ مَسَدَّ جوابِ الشرط.

﴿مِنكُمْ﴾: منك ومنهم فغُلِّب ضميرُ المخاطب؛ كما في قوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف ١٣٨/٧].

ورَوى عصمةُ عن عاصمٍ: "لِمَن تَبِعَك" بكسر اللام، بمعنى: لِمَن تَبِعك منهم هذا الوعيدُ، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ على أن ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ في محلِّ الابتداء و"لِمَن تَبِعكَ" خبرُه.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾: وقلنا: يا آدم.

قوله: (قاله[1] تظنِّيًا) أصله تظنُّنًا على وزن التفعيل مِن الظن، أبدل الياء مِن إحدى حرفي التضعيف كما في "تظنَّنت"، أي: "تظنَّيت"، وكما في "أمليتُ"، أي: أمللتُ.[2]

قوله (على أنّ ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ في محلّ الابتداء) إلى آخره، أي: قولي هذا [٣٩٤ظ] / لمَن تبعك.

---

[1] ن ر: فاقرأ. | وأثبتُّ ما في مطبوع الكشّاف وما راجعته من أصوله.

[2] ن: أملت.

وقرئ: "هذي الشجرةَ" والأصلُ الياءُ، والهاءُ بدلٌ منها.

ويقال: "وسوسَ" إذا تكلم كلامًا خفيًّا يُكرِّره، ومنه: وسوسَ الحُلِيِّ، وهو فعلٌ غيرُ مُتعدٍّ كـ"وَلوَلت المرأةُ" و"وَعوَعَ الذِّئبُ".

و"رجلٌ موَسْوِس" بكسر الواو، ولا يقال: "موسوَسٌ" بالفتح، ولكن: "مُوَسْوَس له" و"موسوَس إليه"، وهو الذي تُلقَى إليه الوسوسةُ، ومعنى وسوسَ له: فَعَلَ الوسوسةَ لأَجْله، ووسوس إليه: أَلقَاها إليه.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿لِيُبْدِيَ﴾ جعَل ذلك غرَضًا له؛ ليَسُوءَهما إذا رَأيَا ما يُؤثِرانِ سَترَه وأنْ لا يُطَّلَعَ عليه مكشوفًا، وفيه دليلٌ على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يَزل مُسْتَهْجَنًا في الطباع مستقبَحًا في العقول.

فإن قلتَ: ما لِلواو المضمومةِ في ﴿وُۥرِيَ﴾ لم تُقلب همزةً كما في أُوَيصِل؟

قلتُ: لأن الثانيةَ مدَّةٌ كألِفِ "وَارَى"، وقد جاء في قراءة عبد الله: "أُوري" بالقلب.

قوله: (**ولولت**[١] **المرأة**) أي: قالت: "واويلاه". والوعوعة: صوت الذئب.

قوله: (**غرضًا له**) أي: لإبليس.

قوله: (**وألّا يُطّلع**) أي: يُؤثران[٢] ألّا يُطّلَع.

قوله: (**مكشوفًا**) حال مِن (**ما**).

قوله: (**قلتُ: لأن الثانية مدّة**) شبّه الواو الثانية بالألف لسكونها، فهي في حكم الألف في ألّا أثر لها، وأمّا في (**أُوَيْصِل**) فالحركة أخرجتها مِن ذلك الحكم.

---

[١] ن: أولوت؛ ر: لولوت.
[٢] ن: يوتران.

﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾: إلّا كراهةَ أن تكونا ملكين، وفيه دليلٌ على أن الملَكيّةَ بالمنظر الأعْلى، وأن البَشريَّة تَلمَحُ مرتبتَهَا كـ"لا ولا".

وقرئ: "مَلِكين" بكسر اللام؛ كقوله: ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه ١٢٠/٢٠].

﴿مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: من الذين لا يموتون ويبقَون في الجنَّة ساكنين.

وقرئ: "من سَوْءتهما" بالتوحيد، و: "سوَّاتهما" بالواو المشدّدة.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾: وأقسَم لهما ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

فإن قلتَ: المقاسَمةُ أن تُقسِمَ لصاحبك ويُقسِمَ لك؛ تقول: "قاسمتُ فلانًا": حالفتُهُ، و"تقاسَما": تحالَفَا، ومنه قولُه تعالى: ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ [النمل ٤٩/٢٧]؟

قلتُ: كأنه قال لهما: أُقسمُ لكما إنِّي لمن الناصحين، وقالا له: أَتُقسِمُ بالله إنك لمن الناصحين، فجُعل ذلك مقاسَمةً بينهم، أو أقسَمَ لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها، أو أُخرجَ قسَمُ إبليسَ على زِنَةِ المفاعَلة؛ لأنه اجتَهد فيه اجتهادَ المُقاسِم.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٢٢﴾

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: فنزَّلهما إلى الأكل من الشجرة ﴿بِغُرُورٍ﴾: بما غَرَّهما به من القسَم بالله.

قوله: (**تلمح مرتبتَها كـ"لا"**)؛ ولأنه يلمح مرتبتهما، أي: ينظر إلى مرتبتهما الأعلى، وهو / يلمح[١] كلا لَمْح. و(**لا**) الثانية تأكيد له. ويجوز أن يكون المعنى "كلا لَمْح ولا لَمْح"، فيكون قوله: (**ولا**) بمثابة الجملة المعترضة. [٣٤٥و]

قوله: (﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾) لنُهلكنّه، والضمير لصالح النبيّ عليه السلام.

---

١ ن: كلمح.

وعن قتادةَ: وإنما يُخْدَعُ المؤمن بالله.

وعن ابن عمر: أنه كان إذا رأى من عبده طاعةً وحُسْنَ صلاةٍ أعتقَه، فكان عبيدُه يفعلون ذلك طلبًا للعتق، فقيل له: إنهم يخدعونك! فقال: مَن خَدَعَنَا بالله انخدَعْنا له.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ وجَدَا طَعْمَها آخذَيْنِ في الأكل منها.

وقيل: الشجرةُ هي السنبلةُ.

وقيل: شجرةُ الكَرْم.

﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾؛ أي: تَهافَتَ عنهما اللباسُ وظهرَتْ لهما عوراتُهما، وكانا لا يَريانها من أَنفسِهما ولا أحدُهما من الآخر؛ وعن عائشةَ رضي الله عنها: ما رأيتُ منه ولا رأى مني.

وعن سعيد بن جبيرٍ: كان لباسُهما من جنس الأظفار.

وعن وَهْبٍ: كان لباسُهما نورًا يَحُولُ بينهما وبين النظر.

ويقال: "طَفِقَ يفعلُ كذا" بمعنى: جَعَل يَفعل كذا.

وقرأ أبو السَّمَّال: "وطَفَقَا" بالفتح.

﴿يَخْصِفَانِ﴾ ورقةً فوقَ ورقةٍ على عَوَراتهما ليستَتِرا بها كما يُخصَفُ النعلُ بأن تُجعَل طَرَقَةٌ على طَرَقَةٍ وتُوَثَّق بالسُّيُور.

وقرأ الحسنُ: "يَخِصِّفان" بكسر الخاءِ وتشديد الصاد، وأصله: يختَصِفان.

قوله: (وجدا طعمَها) تفسير ﴿ذَاقَا﴾.

قوله: (أي: تهافَت) تهافَت[1] الفراش في النهار، أي: تساقط.

قوله: (طَرَقةٌ)، أي" طاقة، تقول العرب: فلان أفضل مِن فلان بألف[2] طَرَقة.[3]

[1] ر: لها.

[2] ن – بألف.

[3] ن: بالطرقة.

وقرأ الزهريُّ: "يُخْصِفانِ" من أَخْصَفَ، وهو مَنْقولٌ من: خَصَفَ؛ أي: يُخْصِفان أنفُسَهما.

وقرئ: "يُخَصِّفان" من خَصَّفَ بالتشديد.

﴿مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ قيل: كان ورقَ التينِ.

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾ عتابٌ من الله تعالى، وتوبيخٌ وتنبيهٌ على الخطأ حيث لم يَحذَرا ما حَذَّرَهما الله من عداوة إبليسَ.

وروي: أنه قال لآدم: ألم يكنْ لك فيما منحتُك من شجر الجنَّة مندوحةٌ عن هذه الشجرة، فقال: بلَى وعزَّتِك، ولكنْ ما ظننتُ أن أحدًا من خَلْقِك يَحلِف بك كاذبًا، قال: فبعزَّتي لأُهبطنَّك إلى الأرض، ثم لا تَنالُ العيشَ إلَّا كدًّا، فأُهبط وعُلِّم صنعةَ الحديد، وأُمر بالحرث فحرَثَ وسَقَى وحصَدَ ودَاسَ وذرَّى وطَحَن وعَجَنَ وخَبَزَ.

قوله: (**أي: يُخصِفان أنفسَهما**) فإنّه لمّا نُقل "خصف" إلى "أخصف" للتعدية ضُمِّن الفعل معنى التصيير، فصار الفاعل في المعنى مفعولًا للتصيير فاعلًا لأصل الفعل في المعنى لا محالةَ، كما في "خرج وأخرجتُه"، فيكون التقدير "يُخصِفان أنفسَهما عليهما مِن وَرَق الجنّة"، فحُذف مفعول التصيير. و﴿مِن﴾ للتبعيض.

قوله: (**مندوحة**) «النَّدْح بالضمّ: الأرض الواسعة، والجمع أنداح. والمنادح: المفاوز. والمَنْدَح المكان الواسع. يقال: لي عن هذا الأمر مَندوحة ومُنتدح، أي: سَعة. ويقال: 'إنّ في المعاريض لَمندوحة عن الكذب'».[١]

قوله: (**لأهبطنك**)[٢] «هبط هبوطًا: نزل، وهَبَطه هَبْطًا: أنزله».[٣]

قوله: (**وذرّى وعجَن**)[٤] اختصر هنا الكلام؛ لأنّ بين التذرية والعجن أمورًا كثيرة كالطحن وغيره. و"ذرَّى" مِن قولهم: ذرى الناس الحِنطة. والمِذرى:

---

١ **الصحاح** للجوهري، «ندح». والحديث في **شعب الإيمان** للبيهقي، ٤٤٦/٦ (٤٤٥٨).

٢ ر: أهبطنّك.

٣ **الصحاح** للجوهري، «هبط».

٤ ر: وعجز.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

وسمَّيا ذنبَهما -وإنْ كان صغيرًا مغفورًا- ظُلمًا لأنفسِهما وقالا: ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ على عادة الأولياء والصالحين في استعظامِهم الصغيرَ من السيئات واستصغارِهم العظيمَ من الحسنات.

﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ الخطابُ لآدم وحوَّاءَ وإبليسَ.

و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال؛ أي: مُتَعادِين يُعاديهما إبليسُ ويُعادِيانه.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: استقرارٌ، أو: موضعُ استقرارٍ.

﴿وَمَتَٰعٌ﴾: وانتفاعٌ بعيشٍ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى انقضاء آجالكم.

وعن ثابتٍ البُنَانيِّ: لمَّا أُهبط آدمُ وحضرته الوفاةُ أحاطت به الملائكةُ،

خشبة ذات أطراف يُذرّى بها وينقّى بها.[1] ذرت الريح التراب وغيره تَذروه وتَذريه ذَرْوًا: سفته. ومنه قولهم: ذرّى الناس الحِنطة. والمِذرى: خشبة ذات أطراف يذرّى بها وتنقّى بها الأكداس.[2]

قوله: (و﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾) في موضع الحال الواو في ﴿بَعْضُكُمْ﴾ واو **الكشّاف**، وفي قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ في موضع الحال بحث؛ لأنّ المصنّف مَنَع حُسن مثل هذه الحال عن قريب، حيث قال: "وأمّا جاءني زيد هو فارس" فخبيث، فكيف سوّغ له أن يجعل هذه الجملة حالًا وهي اسميّة بلا واو؟ فالوجه أن يقال: هي جملة معترضة جيء بها بعد الأمر بالهبوط، أو هو جواب سؤال، كأنّهم لمّا أمِروا بالهبوط سأل آدم وقال: كيف نصنع نحن وإبليس إذا هبطنا يا ربّ، وكيف يكون حالنا؟ فقيل: بعضكم لبعض عدو. وقوله: **(أحاطت به الملائكة)** مَلَك الموت وأعوانه.

---

[1] ن - ذرّى الناس الحنطة والمزرى خشبة ذات أطراف يذرى بها وينقى بها.

[2] ن: الأكراس. | من قوله: "ذرّى الناس" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «ذرا».

فجعلَتْ حوَّاءُ تَدورُ حولَهم، فقالَ لها: خلِّي ملائكةَ ربِّي فإنَّما أَصابني الذي أصابني فيكِ، فلمَّا تُوفِّيَ غسَّلته الملائكةُ بماءٍ وسِدْرٍ وِتْرًا وحَنَّطَتْه وكفَّنتْه في وِتْرٍ من الثياب، وحَفَروا له ولَحَدوا ودفنوه بسَرَنْدِيبَ بأرض الهند، وقالوا لبنيه: هذه سُنَّتكم بعدَه.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾

جُعل ما في الأرض مُنزَلًا من السماء؛ لأنه قُضِي ثَمَّ وَكُتِبَ، ومنه: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر ٦/٣٩]، والرِّيشُ: لباسُ الزينة، استُعير من ريش الطير؛ لأنه لباسُه وزينتُه؛ أي: أنزلنا إليكم لباسَين: لباسًا يواري سوآتكم ولباسًا يزيِّنكم؛ لأن الزينة غرضٌ صحيح كما قال: ﴿لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ [النحل ٨/١٦]، ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾ [النحل ٦/١٦].

وقرأ عثمانُ رضي الله عنه: "ورياشًا" جمعُ ريش؛ كشِعْبٍ وشِعابٍ.

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: ولباسُ الوَرَع والخشيةِ من الله تعالى، وارتفاعُه على الابتداء، وخبره:

إما الجملةُ التي هي ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ كأنَّه قيل: ولباسُ التقوى هو خيرٌ؛ لأن أسماء الإشارة ....

قولـه: (فيك) أي: لأجلك وسببك، يقال: أصابني فيك، أي: لأجلك، ومنه قوله عليه[1] السلام: «في عشرين مثقالًا نصف مثقال».[2]

قولـه: (وحنّطته) «الحَنوط: ذريرة، يقال: تحنّط به الرجل، وحنّط الميّت تحنيطًا».[3]

قوله: (بأرض الهند) يجوز أن يكون بدل اشتمال مِن قوله: (بسرنديبَ)، ويجوز أن تكون الباء بمعنى "في" فيكون حالًا مِن سرنديب.

---

[1] ن + الصلاة و.

[2] المصنَّف لابن أبي شيبة، ٣٥٧/٢ (٩٨٧٤).

[3] الصحاح للجوهري، «حنط».

تقرُبُ من الضمائر فيما يرجع إلى عَوْدِ الذِّكْر.

وإما المفردُ الذي هو ﴿خَيْرٌ﴾، و﴿ذَٰلِكَ﴾ صفة للمبتدأ؛ كأنه قيل: ولباسُ التقوى المشارُ إليه خير، ولا تخلو الإشارةُ من أن يراد بها تعظيمُ لباس التقوى، أو أن تكون إشارةً إلى اللباس المُواري للسوأة؛ لأن مُواراةَ السوأة من التقوى تفضيلًا له على لباس الزينة.

وقيل: "لباسُ التقوى" خبرُ مبتدأ محذوفٍ؛ أي: وهو لباسُ التقوى، ثم قيل: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

قوله: (فيما يرجع إلى عَود الذِّكر) فإنّ حقيقة المضمر هو عَود[1] / ذِكر الشيء؛ لأنّك إذا أضمرتَ فكأنّك أعدتَ ذِكر ما ذُكر مرّة، وكذلك الإشارة إلى الشيء،[2] يرجع عند التحقيق إلى عَود الذِّكر. [٣٦٥و]

قوله: (و﴿ذلك﴾ صفة للمبتدأ) فيه نظر؛ لأنّ اسم الإشارة أخصّ مِن المضاف إلى المعرَّف باللام، فلا يجوز وصفه[3] به، وقد صرَّح المصنف في **المفصّل** بأنّه لا يجوز وصف المعرَّف باللام بالمبهم؛ لكون المبهم أخصّ مِن المعرَّف باللام،[4] وإذا لم يجز[5] وصف المعرَّف باللام بالمبهم لِما مرّ فلأن لا يجوز وصف المعرّف باللام به كان أولى. ثمّ في قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ المشار إليه أيضًا نظرٌ؛ لأنّه لا يجوز وصف المضاف إلى المعرّف باللام بالمعرَّف باللام، وقد وصفه به في تركيبه، اللّٰهمّ إلّا أن يقال: لم يُرد وصفه في هذا التركيب؛ بل أراد إبداله منه، لكنّه في تقرير كون الثاني صفة للأوّل.[6]

قوله: (مِن أن يُراد تعظيم) فيكون ذلك إشارة إلى ﴿لِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قوله: (تفضيلًا له) فِعله المعلَّل في قوله: (أو[7] أن تكون إشارةً إلى اللباس المواري)، كأنّه قيل: أشيرَ إلى اللباس المواري تفضيلًا له.

---

[1] هنا ينتهي السقط في د.
[2] ن: شيء.
[3] ر: صفة.
[4] انظر: **المفصّل** للزمخشري، ص ١٥١.
[5] ن - يجز.
[6] ن ر: الأول.
[7] ن ر: و.

وفي قراءة عبد الله وأبيّ: "ولباسُ التقوى خيرٌ".

وقيل: المرادُ بلباسِ التَّقوى: ما يُلبَس من الدُّروع والجَوَاشِنِ والمغافِرِ وغيرِها ممَّا يُتَّقى به في الحروب.

وقرئ: ﴿ولباسَ التقوى﴾ بالنصب عطفًا على ﴿لِبَاسًا... وَرِيشًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدَّالةِ على فضله ورحمته على عباده، يعني: إنزالَ اللباس.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيعرِفوا عظيمَ النعمة فيه.

وهذه الآيةُ واردةٌ على سبيلِ الاستطراد عقيبَ ذكر بُدُوِّ السَّوْآت وخصفِ الورَق عليها؛ إظهارًا للمنَّة فيما خَلَقَ من اللباس، ولِمَا في العُرْيِ وكشفِ العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأن التستُّرَ بابٌ عظيم من أبواب التقوى.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: لا يَمْتحنَنَّكم بأنْ لا تَدخلوا الجنَّة كما مَحَنَ أبوَيكم بأنْ أخرجَهما منها.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حالٌ؛ أي: أخرجهما نازعًا لباسَهما بأنْ كان سببًا في أن نُزِع عنهما.

قوله: (وهذه الآية)، يعني: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾... إلخ.

قوله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ حكاية حال ماضية كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة ٢/١٢٧].

قوله: (المُداجي) «المُداجاة: المُداراة، يقال: داجيتُه إذا داريتَه، كأنك ساترتَه العداوة».[1]

---

[1] الصحاح للجوهري، «دجا».

﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ﴾ تعليلٌ للنهي، وتحذيرٌ من فتنته بأنه بمنزلةِ العدوِّ المُداجِي يَكِيدُكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون.

وعن مالك بن دينار: إنَّ عدوًّا يَراك ولا تَراه لشديدُ المَؤُونَةِ إلّا مَن عَصَمَ اللهُ.

﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: وجُنودُه من الشياطين، وفيه دليلٌ بيّنٌ أن الجنَّ لا يُرَوْن ولا يظهَرون للإنس، وأن إظهارهم أنفسَهم ليس في استطاعتهم، وأن زَعْمَ مَن يَدَّعي رؤيتَهم زُورٌ ومَخْرقَةٌ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: خلَّيْنا بينهم وبينهم لم نكُفَّهم عنهم حتى تولَّوْهم وأطاعوهم فيما سَوَّلُوا لهم من الكفر والمعاصي، وهذا تحذيرٌ آخرُ أبلغُ من الأول.

فإن قلتَ: عَلَامَ عُطف ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾؟

قلتُ: على الضمير في ﴿يَرَىٰكُمْ﴾ المؤكَّد بـ﴿هُوَ﴾، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ ضمير الشأن والحديثِ.

وقرأ اليزيديُّ: "وقَبِيلَه" بالنصب، وفيه وجهان: أن تَعطِفَه على اسم "إنَّ"، وأن تكون الواو بمعنى "مع".

وإذا عُطف على اسم "إنَّ" -وهو الضميرُ في ﴿إِنَّهُۥ﴾- كان راجعًا إلى إبليسَ.

قوله: (ومَخْرَقةٌ) أي: افتراء. «التخرُّق: لغةٌ في التخلُّق مِن الكذب».[١]

قوله: (**قلتُ: على الضمير في ﴿يَرَىٰكُم﴾**) قال رحمه الله: فإن قيل: لِمَ امتنع عطفه على الضمير المنفصل؟ قلنا: لأنّ العاطف يجعل ما بعده شريكًا لِما قبله مِن معمول الفعل في معناه، والذي هو معمول الفعل هو المستكنّ دون البارز، فوَجَب أن يكون العطف عليه. هكذا في **الحواشي**. والصواب أن يقال: المنفصل تأكيد للمستتر، فلو جُعل هذا عطفًا على المنفصل لكان هذا أيضا تأكيدًا، والمعنى لا يُساعد على ذلك.[٢]

---

[١] **الصحاح** للجوهري، «خرق».

[٢] ر + على ذلك.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٨﴾

"الفاحشةُ": ما تَبالَغَ في قُبحه من الذنوب؛ أي: إذا فعلوها اعتذروا بأنَّ آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدَوا بهم، وبأن الله أمرَهم بأنْ يفعلوها، وكلاهما باطلٌ من العذر؛ لأن أحدهما تقليدٌ والتقليد ليس بطريقٍ للعلم، والثانيَ افتراءٌ على الله وإلحادٌ في صفاته، كانوا يقولون: لو كرِهَ الله منَّا ما نفعلُه لنَقَلَنا عنه.

وعن الحسن: إن الله بَعث محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدريَّةٌ مُجْبِرةٌ يحملون ذنوبهم على الله.

قوله: **(كانوا يقولون)** إشارة إلى أنّ الأمر هنا بمعنى الإرادة، وأهل السنّة يمنعون ذلك.[١]

قوله: **(وهم قَدَريّة)** قال رحمه الله: القَدَر اسم لأفعال الله تعالى خاصّة، لا تفهم العرب مِن القَدَر إلّا هذا، فمَن أدخل في القَدَر ما ليس منه وهو فعل العبد فقد أغرب، فوجب أن يُلقَّب به كما يلقَّب بالأشياء الخارجة عن العادات، فأمّا مَن لا يُسمّي بالقَدَر إلّا أفعال الله تعالى خاصّة فلم يأتِ بشيء غريب حتّى يستحقّ النبز[٢] به.[٣] هذا هو المنقول عن المصنِّف. والحقّ أنّ المعتزلة هم المسمَّون بالقَدَريّة، لأنّهم يُثبتون القدرة[٤] للعباد، ويقولون: "أفعال العباد مخلوقة لهم مقدورة"،[٥] ولهذا قال صلّى الله عليه وسلّم:[٦] «القَدَريّة مجوس هذه الأمّة»،[٧] وإنّما قال صلّى الله عليه وسلّم[٨] كذلك[٩] لأنّ المجوس يُثبتون صانعين يسمُّونهما "يَزدَان وأَهْرَمَنْ"،[١٠] ويقولون: الأوّل فاعل الخير، والثاني فاعل الشرّ. واعلم أنّ هذا الحديث أثبته بعضهم في الأحاديث الموضوعة.

---

١ انظر تفصيله في **الإرشاد** للجويني، ص ٩٤-٩٦.

٢ ن ر: التنزيه.

٣ ن ر - به.

٤ ر: القدرية.

٥ ر + لهم.

٦ د: عليه السلام.

٧ **سنن أبي داود**، ٧/٧٧ (٤٦٩١).

٨ د: عليه السلام.

٩ ن ر - كذلك.

١٠ ن: هرمز.

وتصديقُه قولُ الله عزّ وجل: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾؛ لأن فِعْل القبيح مستحيلٌ عليه؛ لعدم الداعي ووجودِ الصارف، فكيف يأمرُ بفعله.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنكارٌ لإضافتهم القبيحَ إليه، وشهادةٌ على أن مَبْنَى قولهم على الجهل المُفرِط.

وقيل: المراد بالفاحشة: طوافُهم بالبيت عُراةً.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل، وبما قام في النفوس أنّه مستقيمٌ حسَنٌ عند كلِّ مُمَيّزٍ.

وقيل: بالتوحيد.

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ وقل: أقيموا وجوهكم؛ أي: اقصدوا عبادتَه مستقيمين إليها غيرَ عادِلِين إلى غيرها.

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: في كلِّ وقتِ سجودٍ، أو: في كلِّ مكانِ سجودٍ وهو الصلاة.

﴿وَٱدْعُوهُ﴾: واعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾؛ أي: الطَّاعةَ مُبتَغِين بها وجهَه خالصًا.

﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾: كما أنشأكم ابتداءً يُعيدُكم، احتجَّ عليهم في إنكارهم الإعادةَ بابتداء الخلق، والمعنى: أنه يعيدُكم فيُجازيكم على أعمالكم فأخلِصُوا له العبادةَ.

/ قوله: (**أنّه مستقيم**) "أنّه"...[١] إلخ، فاعل (**قام**)، والضمير مِن "أنّه" عائد إلى "ما"، أي: بما قام استقامته[٢] وحسنه. [٣٦٥ظ]

قوله: (**أو في كلّ مكان سجود**) وهو الصلاة، فكأنّه قال: وأقيموا وجوهكم عند[٣] كلّ صلاة.

---

١ ن - أنه.

٢ ر: استقامة.

٣ ن ر - عند.

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٠﴾

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ وهم الذين أسلموا؛ أي: وفَّقهم للإيمان.

﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾؛ أي: كلمةُ الضَّلالة، وعَلِمَ الله أنهم يَضلُّون ولا يَهتدُون، وانتصابُ قوله: ﴿وَفَرِيقًا﴾ بفعلٍ يفسِّره ما بعده، كأنه قيل: وخذَل فريقًا حقَّ عليهم الضَّلالة.

﴿إِنَّهُمُ﴾: إن الفريقَ الذين حقَّ عليهم الضلالةُ ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾؛ أي: تولَّوهم بالطاعة فيما أَمرُوهم به، وهذا دليلٌ على أنَّ عِلْمَ الله لا أثر له في ضلالهم، وأنهم هم الضالُّون باختيارهم وتوَلِّيهم الشياطينَ دون الله.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ٣١﴾

﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾؛ أي: ريشَكم ولباسَ زينتِكم.

﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ كلَّما صلَّيتُم أو طُفْتُم، وكانوا يطوفون عُراةً، وعن طاوسٍ: لم يأمرْهم بالحرير والديباج، وإنما كان أحدُهم يطوف عُريانًا ويَدَعُ ثيابَه وراء المسجد، وإن طاف وهي عليه ضُرب وانتُزِعَتْ منه؛ لأنهم قالوا: لا نعبدُ الله في ثيابٍ أَذْنَبْنَا فيها.

وقيل: تفاؤُلًا ليتعرَّوْا من الذنوب كما تعرَّوْا من الثياب.

قوله: **(أي: كلمة الضلالة)** وهي قولنا: ضلُّوا.

قوله:[1] **(وانتصابُ قوله:[2] ﴿وَفَرِيقًا﴾)** هذا مِن باب الإضمار على شريطة التفسير، أي: أضلَّ فريقًا حقَّ عليهم الضلالة، أي: خذل فريقًا على مذهبه، لأنَّ الذي حقَّ عليه الضلالة فقد أضلَّه الله تعالى.[3]

---

[1] ن ر - قوله: (أي: كلمة الضلالة) وهي قولنا: ضلُّوا. قوله.

[2] ن ر + تعالى.

[3] ر - تعالى.

وقيل: الزينةُ: المُشْطُ. وقيل: الطِّيب. والسنَّةُ أن يأخذ الرجل أحسنَ هيئتهِ للصلاة.

وكان بنو عامر في أيَّام حَجِّهم لا يأكلون الطعام إلا قوتًا، ولا يأكلون دَسمًا؛ يُعظِّمون بذلك حجَّهم، فقال المسلمون: فإنَّا أحقُّ أن نفعلَ، فقيل لهم: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كُلْ ما شئتَ والبَسْ ما شئتَ ما أَخْطأتْك خصلتان: سَرَفٌ ومَخِيلةٌ.

ويُحكَى: أن الرشيدَ كان له طبيبٌ نصرانيٌّ حاذِقٌ، فقال لعليِّ بن الحسين بن واقِدٍ: ليس في كتابكم من علم الطب شيءٌ، والعلمُ علمان: علم الأبدان وعلم الأديان، فقال له: قد جَمع الله الطبَّ كلَّه في نصف آيةٍ من كتابه، قال: وما هي؟ قال: قولُه تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾، فقال النصراني: ولا يُؤثَرُ من رسولكم شيءٌ في الطبِّ؟ فقال: قد جَمع رسولُنا صلى الله عليه وسلم الطبَّ في ألفاظٍ يسيرةٍ، قال: وما هي؟ قال قوله: «المَعدةُ بيتُ الداء والحِمْيَةُ رأسُ كلِّ دَوَاءٍ، وأعْطِ كلَّ بدنٍ ما عوَّدْتَه» فقال النصرانيُّ: ما ترك كتابُكم ولا نبيُّكم لِجَالينوسَ طبًّا.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ من الثيابِ وكلِّ ما يُتجمَّل به.

﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: والمستلَذَّاتِ من المآكلِ والمشارب.

قوله: (**ما أخطأتْك**)،[1] أي: جاوزتك، و"ما" مصدريّة والزمان مقدَّر معه.

قوله: (**نصرانيّ**) اسمه بَخْتَيْشوع.[2]

قوله: (**واقدٌ**) هو الواقدي صاحب **المغازي**.

---

[1] المصنَّف لابن أبي شيبة، ١٧١/٥ (٢٤٨٧٨).

[2] د: بختيشوع.

ومعنى الاستفهام في ﴿مَنْ﴾: إنكارُ تحريم هذه الأشياء، قيل: كانوا إذا أَحْرَمُوا حرَّموا الشاةَ وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها.

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ غيرُ خالصةٍ لهم؛ لأن المشركين شركاؤُهم فيها.

﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ لا يَشْرَكُهم فيها أحدٌ.

فإن قلتَ: هلا قيل: هي للَّذين آمنوا ولغيرهم؟

قلتُ: ليُنَبِّهَ على أنها خُلقت للَّذين آمنوا على طريق الأصالة، وأن الكفَرة تَبَعٌ لهم؛ كقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة ٢/١٢٦].

وقرئ ﴿خَالِصَةً﴾ بالنصب على الحال، وبالرفعِ على أنها خبرٌ بعد خبر.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

"الفواحِشُ": ما تَفاحَش قُبحُه؛ أي: تزايَد. وقيل: هي ما يتعلَّق بالفروج.

و"الإثمُ" عامٌّ لكلِّ ذنبٍ، وقيل: شربُ الخمر.

و"البغيُ": الظلمُ والكِبْر، أفرده بالذكر كما قال: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ﴾ [النحل ١٦/٩٠].

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا﴾ فيه تهكُّمٌ؛ لأنه لا يجوز أن يُنزِل بُرهانًا بأن يُشرَك به غيرُه.

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: وأن تتقوَّلوا عليه وتَفْترُوا الكذبَ من التحريمِ وغيره.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ وعيدٌ لأهل مكَّة بالعذاب النازل في أجَلٍ معلوم عند الله كما نزل بالأمم.

وقرئ: "فإذا جاء آجالهم".

وقال: ﴿سَاعَةً﴾؛ لأنها أقلُّ الأوقات في استعمال الناس، يقول المستعجِلُ لصاحبه: في ساعةٍ، يريدُ أقصرَ وقتٍ وأقربَه.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾

﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ هي "إنْ" الشرطيةُ ضُمَّت إليها "ما" مؤكِّدةً لمعنى الشرط؛ ولذلك لزمَتْ فعلَها النونُ الثقيلةُ أو الخفيفةُ.

فإن قلتَ: فما جزاءُ هذا الشرط؟

قلتُ: الفاءُ وما بعده من الشرط والجزاء، والمعنى: ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ﴾ منكم ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ منكم.

وقرئ: "تأتينَّكم" بالتاء.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾: فمَن أشنعُ ظلمًا ممن تقوَّل على الله ما لم يَقُله أو كذَّب ما قاله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ أي: مما كُتب لهم من الأرزاق والأعمار.

قوله: (ضُمَّت إليها "ما" مؤكِّدةً) ما[1] يؤكِّد معنى المجازاة كأنَّه يفيد زيادة عموم، فقولك: "إمّا تفعلنّ" معناه: إن اتّفق منك وجود الفعل بوجه مِن الوجوه، فلذلك شبَّه "ما" بلام[2] القسم في كونها مؤكِّدة، فلزمَتْ فعلَها النون المؤكّدة.

---

[1] ن ر: وما.

[2] ن ر: يلائم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾، ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غايةٌ لنيلهم نصيبَهم واستيفائهم له؛ أي: إلى وقتِ وفاتهم، وهي التي يُبتدأ بعدها الكلام، والكلامُ هاهنا الجملةُ الشرطية، وهي: ﴿إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا... قَالُوٓاْ﴾.

و﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ حالٌ من الرسل؛ أي: متوفِّيهم، والرسلُ: ملَكُ الموت وأعوانُه.

و"ما" وقعَتْ موصولةً بـ"أين" في خطِّ المصحف، وكان حقُّها أن تُفصَل؛ لأنها موصولةٌ بمعنى: أين الآلهةُ الذين تدعون؟

﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: غابُوا عنا فلا نَراهم ولا نَنْتفِعُ بهم، اعترافًا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه، وأنهم لم يَحْمدُوه في العاقبة.

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ﴾؛ أي: يقول الله تعالى يومَ القيامة لأولئك الذين قال فيهم: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ وهم كفارُ العرب.

﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾ في موضع الحال؛ أي: كائنينَ في جملة الأمم وفي غمارهم مصاحِبينَ لهم؛ أي: ادخلوا في النار مع أمم ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم﴾ وتَقَدَّم زمانُهم زمانكم.

﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا﴾ التي ضلَّت بالاقتداء بها.

قوله: **(متوفِّيهم)** صحَّ بإسكان الياء؛ لأنّه جمع مقصور.

قوله: **(في غمارهم)** «والغَمْر: الزحمة مِن الناس والماء، والجمع غمار، ودخلتُ في غمار الناس وغمار الناس، يضمُّ ويفتح، أي: في زحمتهم وكثرتهم».[١]

[١] الصحاح للجوهري، «غمر».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾؛ أي: تَداركوا، بمعنى: تلاحَقُوا واجتمعوا في النار.

﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ مَنزِلةً وهي الأتباعُ والسَّفِلةُ ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ مَنزلةً وهي القادةُ والرؤوس، ومعنى ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: لأَجْلِ أُولاهم؛ لأن خطابهم مع الله لا معهم.

﴿عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مُضاعفًا.

﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾؛ لأن كلًّا من القادة والأَتباعِ كانوا ضالِّين مضلِّين.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ قرئ بالياء والتاء.

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ عطفوا هذا الكلامَ على قولِ الله تعالى للسَّفِلةِ: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾؛ أي: فقد ثَبتَ أَنْ لا فضلَ لكم علينا وأنَّا متساوون في استحقاق الضِّعْف.

﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ من قولِ القادة، أو من قول الله لهم جميعًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿لا تُفْتَحُ لهم أبوابُ السماء﴾: لا يَصعَد لهم عملٌ صالح ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر ٣٥/١٠] ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين ٨٣/١٨].

وقيل: إن الجنة في السماء، فالمعنى: لا يُؤذَن لهم في صعود السماء ولا يُطرَّق لهم إليها ليدخلوا الجنةَ.

وقيل: لا تَصعَد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعدُ أرواح المؤمنين.

وقيل: لا تنزل عليهم البركةُ ولا يُغاثون: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [القمر ٥٤/١١].

وقرئ: ﴿لَا تُفَتَّحُ﴾ بالتشديد، و: ﴿لا يُفْتَحُ﴾ بالياء.

قوله: (**ولا يُغاثون**) مِن الغيث، أي: لا ينزل عليهم المطر.

قوله: (﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾) بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ [القمر ٥٤/١١].

و: "لا تَفْتَحُ" بالتاء والبناء للفاعل ونصبِ الأبواب على أن الفعل للآيات، وبالياء على أن الفعل لله عزّ وجلّ.

وقرأ ابن عباس: "الجُمَّلُ" بوزن القُمَّلِ، وسعيد بن جبير: "الجُمَلُ" بوزن النُّغَرِ.

وقرئ: "الجُمْل" بوزن القفْلِ، و: "الجُمُل" بوزن النُّصُبِ، و: "الجَمْلُ" بوزن الحَبْلِ، ومعناها: القَلْسُ الغليظ؛ لأنه حِبالٌ جُمعت وجُعلت جملةً واحدةً.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن الله أحسنُ تشبيهًا من أن يشبِّهَ بالجَمَل.

يعني: أن الحَبْل مناسبٌ للخيط الذي يُسْلَك في سَمِّ الإبرةِ، والبعيرُ لا يناسبُه، إلَّا أن قراءة العامَّة أوقعُ؛ لأن سَمَّ الإبرة مَثَلٌ في ضِيق المَسلَك، يقال: أضيَقُ من خُرتِ الإبرة، وقالوا للدليل الماهر: خِرِّيتٌ؛ لاهتدائه في المضايق المشبَّهة بأَخْراتِ الإبرِ، والجَمَل مَثَلٌ في عِظم الجِرْم؛ قال:

جسمُ الجِمال وأحلامُ العصافير

"إنَّ الرجال ليسوا بجُزرٍ ترادُ منهم الأجسامُ".

فقيل: لا يدخلون الجنَّة حتى يكون ما لا يكون أبدًا من ولُوج هذا الحيوان -الذي لا يَلجُ إلَّا في بابٍ واسع- في ثَقْبِ الإبرة.

وعن ابن مسعود: أَنه سُئل عن الجمَل فقال: زوجُ الناقة. استجهالًا للسائل، وإشارةً إلى أن طلبَ معنًى آخَرَ تكلُّفٌ.

وقرئ ﴿فِى سَمِّ﴾ بالحركات الثلاث.

قوله: (**النُّغَر**) طير كالعصافير حُمر المناقير.

قوله: (**ومعناها**) أي: الجميع.[1]

قوله: (**القَلْس**) أي: الحبل.[2]

قوله: (**بجُزُر**) الجُزُر جمع الجَزُور، وهو: الإبل. وقوله: (**تُراد**) أصله "لأن تُراد"، ثمّ حُذف الجارّ بقي "أن تُراد" ثمّ حُذف "أن" وأبقى الفعل على الرفع.

---

[1] ر: الجمع.

[2] ن: الحل.

وقرأ عبد الله: "في سمِّ المَخْيَط". و"الخِياط والمِخْيَط" كـ"الحِزام والمِحْزم": ما يُخاط به، وهو الإبرة.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلك الجزاء الفظيع ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ليُؤْذِنَ أن الإجْرام هو السببُ الموصِلُ إلى العقاب، وأن كلَّ مَن أَجْرمَ عُوقبَ، وقد كرَّره فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأن كلَّ مجرمٍ ظَالمٌ لنفسه.

﴿مِهَادٌ﴾: فِراشٌ ﴿غَوَاشٍ﴾: أَغْطيةٌ، وقرئ: "غواشٌ"؛ بالرفع كقوله: ﴿وله الجوارُ المنشآت﴾ [الرحمن ٢٤/٥٥] في قراءة عبد الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملةٌ معترِضةٌ بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتسابِ ما لا يَكتنِهُه وصفُ الواصف من النعيم الخالد، مع التعظيم بما هو في الوسع، **وهو الإمكانُ الواسعُ غيرُ الضيّق من الإيمان والعمل والصالح**، وقرأ الأعمش: "لا تكلَّف نفسٌ".

مَن كان في قلبه غِلٌّ على أخيه في الدنيا نُزع منه فسلمَتْ قلوبُهم وطَهُرَت ولم يكن بينهم إلَّا التَّوادُ والتعاطفُ، وعن عليٍّ رضي الله عنه: إني لأرْجو أن أكون أنا ....

قوله: **(وهو الإمكان الواسع)** أي: الإمكان القريب. وقوله: **(غيرُ الضيق)** أي: البعيد.

قوله: **(مِن الإيمان والعملِ الصالح)** بيان ما هو في الوسع، أي: للترغيب في الاكتساب بالإيمان والعمل الصالح.

وعثمان وطلحةُ والزُّبير منهم.

﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾؛ أي: وَفَّقَنا لموجِبِ هذا الفوز العظيم وهو الإيمانُ والعملُ الصالح.

﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ﴾ اللامُ لتوكيد النفي، يعنون: وما كان يستقيمُ أن نكون مهتدين لولا هدايةُ الله وتوفيقُه، وفي مصاحف أهل الشام: ﴿ما كنا لنَهْتَدىَ﴾ بغير واوٍ على أنها جملةٌ موضحة للأولى.

﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فكان لنا لطفًا وتنبيهًا على الاهتداء فاهتدينا، يقولون ذلك سرورًا واغتباطًا بما نالوا، وتلذُّذًا بالتكلُّم به، لا تقرُّبًا وتعبُّدًا؛ كما تَرى مَن رُزق خيرًا في الدنيا يتكلَّم بنحو ذلك، ولا يتمالك ألَّا يقولَه للفرح لا للقُربة.

﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ ﴿أَن﴾ مخففةٌ من الثقيلة، تقديره: ونُودُوا بأنه تلكمُ الجنَّةُ ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ والضميرُ ضمير الشأن والحديث، أو تكون بمعنى "أي"؛ لأن المناداةَ من القول؛ كأنه قيل: وقيل لهم: تلكم الجنَّةُ أورثتُموها.

﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بسبب أعمالكم، لا بالتفضُّل كما تقول المُبطِلةُ.

قوله: **(وعثمان وطلحة)**[١] إلى آخره، قاتل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم[٢] بعد قتل[٣] عثمان رضي الله عنهم مع عليّ رضي الله عنه.[٤]

قوله: **(كما تقول المُبطِلة)** واعلم أنّ المصنِّف مُبطِل في نسبته[٥] الإبطال إلى أهل التحقيق، وقد غبيَ[٦] عليه تحقيق هذه الآية ومعناها، وذلك أنّ أهل الجنَّة لمّا قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ كان ذلك اعترافًا منهم بأنّ ذلك مِن فضل الله تعالى[٧] وهضمًا لأنفسهم، فلمّا اعترفوا وهضموا أنفسهم لطُف الله تعالى[٨] بهم زيادة لُطف، وعظَّمهم وخاطبهم

---

١ جامع البيان للطبري، ١٠/١٩٩ (الأعراف، ٧/٤٣).
٢ د ر - رضي الله عنهم.
٣ ن: فضل.
٤ د ر - رضي الله عنه.
٥ ر: نسبة.
٦ ر: عنى.
٧ ن ر - تعالى.
٨ ن ر - تعالى.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾

﴿أَن﴾ في ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾ تحتمِلُ أن تكون مخفَّفةً من الثقيلة، وأن تكون مفسِّرة كالتي سبقت آنفًا، وكذلك: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطًا بحالهم وشماتةً بأصحاب النار وزيادةً في غمِّهم، ولتكون حكايتُه لُطفًا لمن سمعها، وكذلك قول المؤذِّنِ بينهم: ﴿لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وهو ملَكٌ يأمره اللهُ فينادِي بينهم نِداءً يُسمِع أهلَ الجنَّة وأهلَ النار.

وقرئ: ﴿أَنَّ لعنةَ ٱللَّه﴾ بالتشديد والنصب.

وقرأ الأعمش: "إنَّ لعنة الله" بكسر "إنَّ" على إرادة القول، أو على إجراء "أَذَّن" مُجرى "قال".

بما يُريد به إكرامهم بها،[1] بمعنى أنّهم استحقُّوا هذه الأشياء بأعمالهم، فإنّ جميع طاعات العبد لا توازي أقلَّ نعمة مِن جملة النِّعم التي أنعم الله تعالى بها على العبد في الدنيا، فكيف يستحق بطاعته التي لا تُقابل أقلَّ نِعَم الله تعالى[2] شيئًا آخر على الله تعالى،[3] وكيف[4] يجب على الله تعالى شيء. ثمّ إنّ المصنِّف ههنا خالف الحديث الصحيح، وهو ما روي أنّ النبيّ عليه السلام[5] قال: «لا يُدخل منكم أحدًا عملُه الجنة ولا يُجيره مِن النار، ولا[6] أنا إلّا برحمة الله»،[7] وفي رواية أخرى صحيحة أيضًا أنه صلّى الله عليه وسلّم قال: «لن ينجّي أحدًا منكم عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: «ولا أنا إلّا أن يتغمّدني الله برحمته».[8]

---

١ ن ر: لا.
٢ ر – تعالى.
٣ د ر – تعالى.
٤ ر: فكيف.
٥ ن ر: صلّى الله تعالى عليه وسلّم.
٦ سقط من د من هنا إلى قوله: "قوله: و﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكِّد" في يونس، ٤/١١.
٧ صحيح مسلم، ٢١٧١/٤ (٢٨١٧).
٨ مسند أحمد، ٥١٦/١٥ (٩٨٣١)؛ صحيح ابن حبّان، ٦٠/٢ (٣٤٨).

فإن قلتَ: هلَّا قيل: ما وعدَكم ربُكم؛ كما قيل: ﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾؟

قلتُ: حُذف ذلك تخفيفًا لدلالة ﴿ما وعَدَنا عليه﴾.

ولقائلٍ أن يقول: أُطلق ليتناولَ كلَّ ما وعد اللهُ من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائرِ أحوال القيامة؛ لأنهم كانوا مكذِّبين بذلك أجمَعَ؛ ولأن الموعود كلَّه مما ساءهم، وما نعيمُ أهلِ الجنَّة إلَّا عذابٌ لهم فأُطلق لذلك.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ يعني: بين الجنَّة والنار، أو: بين الفريقين، وهو السُّور المذكور في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد ١٣/٥٧].

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾: وعلى أعراف الحجاب، وهو السورُ المضروب بين الجنَّة والنار، وهي أعاليه، جمعُ عُرْفٍ، استُعير من عُرْف الفرس وعُرْف الدِّيك.

﴿رِجَالٌ﴾ من المسلمين من آخرِهم دخولًا في الجنة لقصور أعمالهم؛ كأنَّهم المَرْجُوُّون لأمر الله يُحبَسون بين الجنَّة والنار إلى أن يأذَنَ الله لهم في دخول الجنَّة.

﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من زُمَر السعداء والأشقياء ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾: بعلَامتهم التي **أَعْلَمهم** اللهُ تعالى بها، يُلْهِمُهم الله ذلك أو تعرِّفُهم الملائكة.

إذا نظروا إلى أصحاب الجنَّة نادَوْهم بالتسليم عليهم ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ورَأَوْا ما هم فيه من العذاب استعاذُوا بالله وفزِعوا إلى رحمته أن لا يَجعَلهم معهم.

قوله: **(التي أعلَمَهم الله)** مِن «أعلَم القصّار الثوبَ، فهو مُعلِم».[١]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «علم»، وتمام الكلام فيه: «والثوب مُعلَم».

ونادَوْا رجالًا من رؤوس الكفرة يقولون لهم: ﴿ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾ إشارةً لهم إلى أهلِ الجنة الذين كان الرؤساء يَستَهِينُون بهم ويحتقرونهم لِفقرهم وقلَّة حظوظهم من الدنيا، وكانوا يُقسِمون أن الله لا يُدخلهم الجنَّة.

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ يقال لأصحاب الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾، وذلك بعدَ أن يُحبَسوا على الأعراف، وينظروا إلى الفريقين، ويعرفوهم بسيماهم، ويقولوا ما يقولون.

وفائدةُ ذلك: بيانُ أن الجزاء على قَدْر الأعمال، وأن التقدُّم والتأخُّر على حَسَبها، وأنَّ أحدًا لا يَسبق عند الله إلَّا بسَبْقه في العمل، ولا يتخلَّف عنده إلَّا بتخلُّفه فيه، وليَرغبَ السامعونَ في حال السابقين ويَحْرصوا على إحرازِ قَصَبتهم، وليَتصوَّروا أنَّ كلَّ أحدٍ يعرفُ ذلك اليومَ بسِيماهُ التي استوجَبَ أن يُوسَمَ بها من أهل الخير والشرِّ، فيَرْتدِعَ المُسِيءُ عن إساءته، ويزيدَ المُحسِنُ في إحسانه، وليُعلمَ أن العُصاة يُوبِّخهم كلُّ أحدٍ حتى أقصرُ الناس عملًا.

وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ فيه: أن صارفًا يَصرِف أبصارَهم لينظروا فيستَعِيذوا ويُوبِّخوا.

وقرأ الأعمش: "وإذا قُلِبَت أبصارُهم".

وقرئ: "أُدْخِلوا الجنة" على البناء للمفعول.

وقرأ عكرمةُ: "دخلوا الجنة".

قوله: **(ونادوا)** أي: أصحاب الأعراف.

قوله: **(فائدة[1] ذلك)** ليبيِّن.

قوله: **(ذلك[2] اليومَ)** أي: في ذلك اليوم.

قوله: **(مِن أهل)** بيان **(كلَّ واحد)**.

---

[1] ن ر: فعل.

[2] ن ر: وذلك.

فإن قلتَ: كيف لاءَمَ هاتين القراءتين قولُه: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾؟

قلتُ: تأويلُهُ: "أُدخِلوا الجنةَ" أو "دخَلوا الجنَّة" مقولًا لهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

فإن قلتَ: ما محلُّ قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾؟

قلتُ: لا محلَّ له؛ لأنه استئناف؛ كأنَّ سائلًا سأل عن حالِ أصحاب الأعراف، فقيل: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ يعني: حالُهم أنَّ دخُولَهم الجنَّةَ استأخر عن دخولِ أهلِ الجنَّة الجنَّة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييْأسوا.

ويجوز أن يكون له محلٌّ بأنْ يقعَ صفةً لـ﴿رِجَالٌ﴾.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ المالَ، أو: كَثْرتُكم واجتماعُكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: واستكبارُكم عن الحقِّ وعلى الناس.

وقرئ: "تَستكثِرون" من الكثرة.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا﴾ فيه دليلٌ أن الجنَّة فوق النار.

﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من غيرِه من الأشربة؛ لدخوله في حُكم الإفاضة.

قوله: **(هاتين القراءتين)** فإنّ مقتضاهما: "لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون"، والمراد بالقراءتين: "**أُدْخِلُوا**"[1] و"**دَخَلُوا**"،[2] فإنّهما للغائبين.

قوله: **(مِن غيره)** بيان "ما رزقكم الله". وقوله: **(مِن[3] الأشربة)**[4] بيان "غيرِه". وقوله: **(لدخوله)** تعليل مِن حيث المعنى لقوله: "مِن الأشربة"، فكأنّه قال: إنّما فسّر ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بالأشربة لدخوله في حكم الإفاضة.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة بن مصرِّف. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٨٣٠.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن عكرمة. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٨٢٩.
٣ ر - مِن.
٤ ن: والأشربة.

ويجوز أن يراد: أو ألقُوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة، كقوله:

عَلَفْتُها تِبنًا وماءً باردًا

وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حَيْرةً في أمرهم كما يفعل المُضطرُّ المُمتَحَنُ.

﴿حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ منَعهم شرابَ الجنَّة وطعامَها كما يُمنَع المكلَّف ما يُحرَّم عليه ويُحظَر؛ كقوله:

حرامٌ على عَيْنيَّ أنْ تَطعَمَا الكَرَى

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾: نفعلُ بهم فعلَ الناسِين الذين ينسَونَ عبيدَهم من الخير لا يذكرونَهم به ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾: كما فعلوا بلقائه فعلَ الناسين فلم يُخطِروه ببالهم ولم يَهتمُّوا به.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: عالِمين كيف نُفصِّل أحكامَه ومواعظَه وقصصَه وسائرَ معانيه حتى جاء حكيمًا قيِّمًا غيرَ ذي عوجٍ.

قوله: (ويجوز) عطف مِن حيث المعنى على قوله: "لدخوله"، والأَولى أن يكون عطفًا على "الأشربة"، فكأنّه قال الغير هو الأشربة أو الطعام والفاكهة.

قوله:

(علفتُها تبنًا وماءً باردًا)

تمامه:

حتّى شتَتْ همّالةً عيناها[1]

[1] لا يعلم قائله. ومضى تخريجه في سورة البقرة، ٢/٧.

وقرأ ابن مُحَيْصِن: "فضَّلناه" بالضاد المعجمة، بمعنى: فضلناه على جميع الكُتب عالِمينَ أنه أهلٌ للتفضيل عليها.

و﴿هُدَى وَرَحْمَةً﴾ حالٌ من منصوبِ ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ كما أن ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حالٌ من مرفوعه.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾: إلا عاقبةَ أمره وما يَؤُول إليه مِن تبيُّنِ صِدْقه وظهورِ صحَّةِ ما نطقَ به من الوعدِ والوعيد.

﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: تبيَّنَ وصحَّ أنهم جاؤوا بالحق.

﴿نُرَدُّ﴾ جملةٌ معطوفة على الجملة التي قبلها داخلةٌ معها في حكم الاستفهام؛ كأنه قيل: هل لنا من شفعاءَ أو هل نردُّ؟ ورافعُه وقوعُه موقعًا يَصلُح للاسم؛ كما تقول ابتداءً: "هل يَضرِبُ زيدٌ؟"، ولا يُطلب له فعلٌ آخر يُعطف عليه، فلا يُقدَّر: هل يَشفع لنا شافعٌ أو نردُّ؟

وقرأ ابن أبي إسحاق: "أو نُرَدَّ" بالنصب عطفًا على ﴿فَيَشْفَعُوا۟﴾، أو تكونُ ﴿أَوْ﴾ بمعنى "حتى أَنْ"؛ أي: يشفعون لنا حتى نردَّ فنعملَ.

وقرأ الحسن بنصبِ "نُردَّ" ورفعِ "فنعملُ" بمعنى: فنحن نعملُ.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله: (و﴿هُدَى وَرَحْمَةً﴾) قال: الواو في "و﴿هُدَى﴾" واو **الكشّاف**.

قوله: (ورافعه) أي: رافع ﴿نُرَدُّ﴾، أي: هو مرفوع بعامل معنويّ، كأنّه يعتذر بهذا القول عن[1] عطف الجملة الفعليّة على الاسميّة.

---

[1] ن ر – عن.

﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ وقرئ: ﴿يغشّي﴾ بالتشديد؛ أي: يُلحِقُ الليلَ بالنهار، أو النهارَ بالليل، يحتمِلُهما جميعًا، والدليلُ على الثاني قراءةُ حُمَيْد بن قيس: "يَغشَى الليلَ النهارُ" بفتح الياء ونصب "الليلَ" ورفع "النهارُ"؛ أي: يُدرك النهارُ الليلَ، و﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ حَسَنُ المُلاءمَةِ لقراءة حُميد.

﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾: بمشيئته وتصريفه، وهو متعلِّقٌ بـ﴿مُسَخَّرَٰتِۭ﴾؛ أي: خَلَقهنَّ جارياتٍ بمقتضَى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يُصرِّفها، سمِّي ذلك أمرًا على التشبيه كأنهنَّ مأموراتٌ بذلك.

وقرئ: ﴿والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخراتٌ﴾ بالرفع.

ولمَّا ذَكر أنه خلقهنَّ مسخَّراتٍ بأمره قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾؛ أي: هو الذي خلق الأشياء كلَّها وهو الذي صرَّفها على حسب إرادته.

﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾

﴿تضرعًا وخفية﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: ذوي تضرُّعٍ وخُفيَةٍ، وكذلك ﴿خوفًا وطمعًا﴾، والتضرُّعُ تفعُّلٌ من الضَّراعة وهي الذُّلُّ؛ أي: تذلُّلًا وتملُّقًا.

قوله: (والدليل على الثاني قراءة حُميد بن قيس: "يَغْشَى")؛[1] لأنّه دلّ على أنّ اللاحق هو النهار.

قوله: (و﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾) يقال: «ولّى حثيثًا، أي: مُسرِعًا».[2]

قوله: (حسن الملاءمة) لاتّحاد الإسناد وترتيب الضميرين، إن قلنا: اللاحق هو الليل فالطالب أيضًا هو الليل، فيرجع المستتر مِن ﴿يَطۡلُبُهُۥ﴾ إلى أبعد المذكورين، وإن قلنا: اللاحق هو النهار كما تدلّ عليه قراءة حُميد بن قيس فيرجع الضمير إلى الأقرب، فيكون ﴿يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾ / حَسَن الملاءمة لقراءة حُميد. والظاهر أن المراد بالملاءمة هو كونهما مبنيّين للفاعل على طريقة واحدة. [٣٤٦ظ]

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن حميد بن قيس. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ٨٣٢.

[2] الصحاح للجوهري، «حثث».

وقرئ: ﴿وخِفْيَةً﴾.

وعن الحسن رضي الله عنه: إن الله يَعلم القلبَ التقيَّ والدعاءَ الخفيَّ، إنْ كان الرجل لقد جمع القرآنَ وما يَشعرُ به جارُه، وإنْ كان الرجلُ لقد فَقِهَ الفقهَ الكثيرَ ولا يَشعرُ الناسُ به، وإن كان الرجل ليُصلِّي الصَّلاةَ الطَّويلةَ وعنده الزَّوْرُ وما يشعرُ به، ولقد أدرَكْنا أقوامًا ما كان على الأرض مِن عملٍ يقدرون على أن يعملوه في السرِّ فيكونُ علانيَةً أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسْمَع لهم صوتٌ، إن كان إلَّا هَمْسًا بينهم وبين ربِّهم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ وقد أَثنى على زكريا فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم ١٩/٣].

وبين دعوة السِّرِّ ودعوة العلانيَّة سبعون ضِعْفًا.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾؛ أي: المجاوِزين ما أُمروا به في كلِّ شيء من الدعاء وغيره.

وعن ابن جُرَيْجٍ: هو رفع الصوت بالدعاء.

وعنه: الصِّياح في الدعاء مكروهٌ وبدعةٌ.

قوله: (**إن كان الرجل**)... إلخ، هي مخفَّفة مِن الثقيلة وفيه لا يقدَّر ضمير الشأن، يعني أنّ الرجل كان يحفظ القرآن ويتعلَّم الفقه ويصلِّي الصلاة الطويلة ويلزم الضيف لوجه الله تعالى من غير أن يشعر به أحد.

قوله: (**ما كان على الأرض مِن عمل**)... إلخ، "ما" في "ما كان" نافية، ومِن عمل مرفوع المحلّ على أنّه اسم "كان"، و(**يقدِرون**) صفة "العمل"،[1] والمعنى: لا يوجد على وجه الأرض عمل يقرِّرون على أن يعملوه في السرّ فهو يكون علانية أبدًا، يعني: ما أمكنهم أن يعملوه سرًّا لا يعملونه[2] علانية؛ لأنّهم أرادوا إخفاء عمل الخير ليكون بعيدًا عن الرياء.

---

[1] **الكشف والبيان** للثعلبي، ٣٧٧/١٢ (الأعراف، ٥٥/٧).

[2] ن ر: ولا يعملوه.

وقيل: هو الإسْهابُ في الدعاء، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «سيكون قومٌ يعتدون في الدعاء، وحسبُ المرء أن يقول: اللّهمّ إني أسألك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعمل»، ثم قرأ قولَه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ كقوله: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [طه ٨٢/٢٠]، وإنما ذكّر ﴿قريبٌ﴾ على تأويلِ الرحمة بالرُّحْم أو الترحُّم، أو لأنه صفةُ موصوف محذوفٍ؛ أي: شيءٌ قريب، أو على تشبيهه بفَعيلِ الذي هو بمعنى مفعولٍ؛ كما شُبّه ذاك به فقيل: "قُتَلاء" و"أُسَراء"، أو على أنه بزِنَة المصدرِ الذي هو النَّقيضُ والضَّغِيب، أو لأن تأنيث الرحمة غيرُ حقيقي.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله: (**بالرُّحم**) «الرُّحم بالضمّ: الرحمة. قال الله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾».[1]

قوله: (**كما شُبِّه ذاك به**) فإنّ فعيلًا بمعنى فاعل يُجمَع على فُعلاء، نحو "كريم وكرماء"، و"رحيم ورحماء"، وفعيل بمعنى مفعول على فَعْلى كـ"جَرْحى" و"أسرى" و"قتلى"، فـ"أُسراء" و"قُتلاء" للتنبيه، كما ذُكر.

قوله: (**النقيض**) «النقيض: صوت المحامل والرجال».[2] «(**والضَّغيب**): صوت الأرنب».[3]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «رحم».

٢ **الصحاح** للجوهري، «نقض».

٣ **الصحاح** للجوهري، «ضغب».

قرئ: ﴿نَشْرًا﴾ وهو مصدرُ نَشَرَ، وانتصابُه: إمَّا لأن ﴿أرسل﴾ و"نَشَرَ" متقاربان؛ فكأنه قيل: نَشَرَها نَشْرًا، وإما على الحال بمعنى: منتشِراتٍ.

و﴿نُشُرًا﴾ جمع نَشُورٍ، و: ﴿نُشْرًا﴾ تخفيف نُشُرٍ؛ كرُسُلٍ ورُسْلٍ.

وقرأ مسروق: "نَشَرًا" بمعنى: منشوراتٍ، فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ؛ كنَفَضٍ وحسَبٍ، ومنه قولُهم: "ضَمَّ نشَرَه".

و: "بُشُرًا" جمع بشيرٍ، و: ﴿بُشْرًا﴾ بتخفيفه، و: "بَشْرًا" بفتح الباء مصدرٌ من "بَشَرَه" بمعنى: بَشَّره؛ أي: باشراتٍ وبُشْرَى.

﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: أَمَامَ نعمتِه، وهي الغيثُ الذي هو من أجلِّ النِّعَم وأحسنِها أَثَرًا.

﴿أَقَلَّتْ﴾: حملتْ ورفعَتْ، واشتقاق الإقلال من القِلَّة؛ لأن الرافعَ المُطيقَ يرى ما يَرفَعُهُ قليلًا.

﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾: سحائب ثقالًا بالماءِ: جمعُ سحابةٍ.

﴿سُقْنَٰهُ﴾ الضميرُ للسحاب على اللفظ، ولو حُمل على المعنى كالثقال لأُنِّث؛ كما لو حُمل الوصفُ على اللفظ لَقيل: ثقِيلًا.

﴿لبلد مَيْت﴾: لأَجْلِ بلدٍ ليس فيه حَيًّا ولسَقيهِ، وقرئ: ﴿مَيِّتٍ﴾.

﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾: بالبلد، أو بالسحاب، أو بالسَّوق، وكذلك ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلكَ الإخراجِ وهو إخراجُ الثمرات ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فيؤدِّيَكم التذكُّرُ إلى أنه لا فرقَ بين الإخراجين، إذ كلُّ واحدٍ منهما إعادةٌ للشيء بعد إنشائه.

قوله: (﴿أَقَلَّتْ﴾) قال رحمه الله: أقَلّ: جعله قليلًا في زعمه، كقولك: أكذَبه، أي: جعَله كاذبًا.

قوله: (﴿سُقْنَٰهُ﴾) أي: طردنا، مِن السَّوق.

قوله: (حَيًا) الحيا مقصورًا هو الخِصب.

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾: الأرضُ العذاة الكريمةُ التُّربة.

﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾: الأرضُ السَّبِخَة التي لا تُنبِتُ ما يُنتفَعُ به.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: بتيسيره، وهو في موضع الحال؛ كأنه قيل: يخرج نباتُه حسنًا وافيًا؛ لأنّه واقعٌ في مقابَلةِ ﴿نَكِدًا﴾ والنَّكِدُ: الذي لا خيرَ فيه.

وقرئ: "يخرِجُ نباتَه"؛ أي: يُخرجُه البلدُ ويُنبتُه.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ صفةٌ للبلد، ومعناه: والبلدُ الخبيثُ لا يخرجُ نباتهُ إلا نَكِدًا، فحُذف المضافُ الذي هو النباتُ وأُقيم المضافُ إليه الذي هو الراجعُ إلى البلد مُقامَه، إلّا أنه كان مَجرورًا بارزًا فانقلَبَ مَرْفوعًا مستكِنًّا لوقوعه موقعَ الفاعل، أو يُقدَّر: ونباتُ الذي خَبُثَ.

وقرئ: ﴿نَكَدًا﴾ بفتح الكاف على المصدر؛ أي: ذا نَكَدٍ.

و: "نَكْدًا" بإسكانها للتخفيف؛ كقوله:

نَـــــــــزْهٍ عـــــن الــــرّيَـــــب

بمعنى: نَزِهٍ.

وهذا مَثَلٌ لمَن يَنْجَعُ فيه الوعظُ والتنبيهُ من المكلَّفين ولمَن لا يُؤثِّر فيه شيءٌ من ذلك.

وعن مجاهدٍ: آدمُ وذريَّتهُ منهم خبيثٌ وطيِّبٌ.

قوله: (العَذاة): «الأرض الطيبة».[1] وقوله: (الكريمة التربة) تفسير "العذاة".

قوله: (لأنّه واقع) أي:[2] لأنّ قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ واقع في مقابلة قوله: ﴿نَكِدًا﴾.

قوله: (مِن المكلَّفين) بيان (مَن يَنجَع). والأَولى أن يقول: "مِن" للتبعيض.

---

[1] الصحاح للجوهري، «عذا».

[2] ن + لأي.

وعن قتادة: المؤمن سمع كتاب الله بعقله فَوَعَاهُ وانتفع به؛ كالأرض الطيّبة أصابها الغيث فأنبتَتْ، والكافرُ بخلاف ذلك.

وهذا التمثيلُ واقعٌ على أثر ذكرِ المطر وإنزاله بالبلد الميّت وإخراجِ الثمرات به على طريق الاستطراد.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مِثْلَ ذلك التصريفِ ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُردِّدها ونُكرِّرها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ نعمةَ الله وهم المؤمنون ليُفكِّروا فيها ويعتبِروا بها.

وقرئ: "يُصرِّف" بالياء؛ أي: يُصرِّفُها الله.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ جوابُ قَسَمٍ محذوف.

فإن قلتَ: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلّا مع "قد"، وقلَّ عنهم نحوُ قوله:

حَلفْتُ لها باللهِ حلفةَ فاجرٍ   لناموا...

قوله:

(حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجرٍ   لَناموا)

تمامه:

فما[1] إن[2] مِن حديثٍ ولا صالِ[3]

أي: فما إن مِن ذي حديث. ويجوز أن يكون "الحديث" يعني "الحادث"، كـ"الحليل والقشير والنزيل الشريك"، يقول: إنّ المرأة التي طرقتُ عليها كانت ستشعر الخوف مِن الرقباء الذين يحدِّثون ويبيتون في السَّمَر مُصطلين،

١ ن - فما.
٢ ن: فإن.
٣ البيت لامرئ القيس في **ديوانه**، ص ٣٢؛ وهو له في **سرّ صناعة الإعراب** لابن جنّي، ١/٣٧٤؛ و**المفصّل** للزمخشري، ص ٤٥٠؛ و**أمالي ابن الشجري**، ٣/١٤٨.

قلتُ: إنَّما كان ذلك لأن الجملةَ القسميَّةَ لا تُساق إلا تأكيدًا للجملة المقسَمِ عليها التي هي جوابُها، فكانت مظنَّةً لمعنى التوقُّع الذي هو معنى "قد" عند استماع المخاطَب كلمةَ القسم.

قيل: أُرسل نُوحٌ عليه السلام وهو ابنُ خمسين سنةً وكان نجَّارًا، وهو نوحُ بنُ لَمَكَ بنِ مَتُوشَلَخ بن أَخْنُوخَ، وأخنوخُ اسمُ إدريس عليه السلام.

وقرئ ﴿غَيْرُهُۥ﴾ بالحركات الثلاث، فالرفعُ على المحلِّ؛ كأنه قيل: ما لكم إلهٌ غيرُه، والجرُّ على اللفظ، والنصبُ على الاستثناء، بمعنى: ما لكم من إلهٍ إلَّا إيَّاه؛ كقولك: ما في الدار من أحدٍ إلَّا زيدًا، أو: غيرَ زيد.

فإن قلتَ: ما موقعُ الجملتين بعد قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾؟

قلتُ: الأولى بيانٌ لوجهِ اختصاصه بالعبادة، والثانيةُ: بيانٌ للداعي إلى عبادته؛ لأنه هو المحذورُ عقابُه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله.

فكنتُ أؤنسها وأومنها مِن مراقبتهم. ويريد بـ"حلفة فاجر" حلفة كاذب أو حلفة عاهر. واللام في "لناموا" جواب القسم، ومعناها تأكيد معنى الخبر في المقسَم عليه، مع ربطه بحرف القسم، نحو: والله لأفعلن.

قوله: **(فكانت مَظِنّة)**،[١] أي: فكانت الجملة التي هي المُقسَم عليها؛ بل الجملة القسميّة، فتأمّل. اعلم أنّ الأوّل أولى. وقوله: **(لمعنى التوقُّع)**، **يعني**: أنّ الجملة إذا أكِّدت بالقسم فالمخاطب لا بدّ أن يتوقَّع حصول المُقسَم عليه وينتظر وقوعه، فناسب إدخال "قد".

قوله: **(متوشلخ)** معناه في تلك اللغة: الفرّاء، كما أنّ المسيح هو: المبارك في تلك اللغة، ومتوسلخ أقرب للعجمة مِن متوشلخ.

قوله: **(ما موقع الجملتين؟)** الجملتان ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ و﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

---

[١] ن ر: خطته.

واليومُ العظيم: يومُ القيامة، أو يومُ نزولِ العذاب عليهم وهو الطُّوفانُ.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٦٠ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦١﴾

﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف والسَّادةُ، وقيل: الرِّجالُ ليس معهم نساءٌ.

﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: في ذهاب عن طريقِ الصواب والحقِّ، ومعنى الرؤية: رؤيةُ القلب.

فإن قلتَ: لم قال: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ ولم يقل: ضلال، كما قالوا؟

قلتُ: الضلالةُ أخصُّ من الضلال فكانت أبلغَ في نفي الضلال عن نفسه؛ كأنه قال: "ليس بي شيء من الضلال" كما لو قيل لك: "أَلَكَ تمر؟" فقلتَ: "ما لي تمرةٌ".

فإن قلتَ: كيف وقَع قوله: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ﴾ استدراكًا للانتفاء عن الضلالة؟

قوله: **(ليس بي شيء مِن الضلال)** رُوي عن المصنف أنّه قال: نفى أن يكون معه طَرَف مِن الضلال، وأثبت أنّه في الغاية القصوى مِن الهدى حيث كان رسولًا مِن ربّ العالمين، وفيه إظهار لمكابرتهم وفَرْط عِنادهم، حيث وَصَفوا مَن هو بهذه المنزلة مِن الهدى بالضلال المبين الظاهر الذي لا ضلالَ بعده. قال صاحب **الفرائد**:[١] جَعَل التاء في الضلالة بمنزلة التاء في "التمرة" والفِعلة في أنّها للوحدة، وقد قال صاحب **المجمل**: الضلال والضلالة[٢] بمعنًى واحد.

قوله:[٣] **(فإن قلتَ: كيف وقع قوله: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ﴾ استدراكًا)**... إلخ، معنى الاستدراك أنّ الجملة التي يسوقها / المتكلِّم أو لا يقع فيها وهم للمخاطب، [٣٤٧و]
فيتدارك ذلك الوهم بإزالته، كقولك: "زيد ليس بفقيه ولكنّه طبيب"، وتقريره

---

[١] الظاهر أنّه يقصد كتاب **فرائد التفسير** لمحمّد بن عمر المابرنابازي، فصيح الدين، أبي المحامد (ت. ٦٧٥هـ/١٢٧٦م)، وهو مختصر للكشّاف مع زيادات بحثيّة نحويّة وكلاميّة وأدبيّة. وما وقفتُ عليه. انظر: **كشف الظنون** لحاجي خليفة، ١٢٤٢/٢. ورأيت الطِّيبيّ في **فتوح الغيب** يكثر النقل عنه، انظر على سبيل المثال: ٧١٤/١، ٧٢٤، ٧٣٢، ٧٣٣، ١٥١/٢، ١٨٩.

[٢] ر - بمنزلة التاء في "التمرة" والفعلة في أنّها للوحدة وقد قال صاحب **المجمل**: الضلال والضلالة.

[٣] ن ر - قوله.

قلتُ: كونُه رسولًا من الله مبلِّغًا رسالاته ناصحًا في معنى كونه على الصراط المستقيم، فصحَّ لذلك أن يكونِ استدراكًا للانتفاء عن الضلالة.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

وقرئ: ﴿أُبْلِغُكم﴾ بالتخفيف.

فإن قلتَ: كيف موقعُ قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكونَ كلامًا مستأنَفًا بيانًا لكونه رسولُ ربِّ العالمين.

والثاني: أن يكون صفةً لـ﴿رَسُولٌ﴾.

فإن قلتَ: كيف جاز أن يكون صفةً والرسولُ لفظُه لفظُ الغائب؟

قلتُ: جاز ذلك؛ لأنّ الرسول وقع خبرًا عن ضمير المخاطِب فكان في معناه؛ كما قال:

في هذا الموضع أنّه لمّا نفى الضلال عن نفسه أوهَم أنّ[١] فضيلته مقصورة على نفي الضلال عنه، فاستدلّ ذلك بأنّه مع نفي الضلالة عنه في هذه المرتبة الجليلة وهو أنّه رسول مِن ربّ العالمين. تلخيص السؤال هو أنّ "لكنّ" حقها أن تتوسّط بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فأين هذا المعنى في الآية؟ وأجاب أنّ التغاير حاصل مِن حيث المعنى؛ لأنّ معنى قوله: ﴿رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ أنّي على صراط مستقيم، كأنّه قال: ليس بي ضلالة قطّ لكنّي على الهداية البتّة، كقولك: جاءني زيد لكنّ عمرًا غائب.

قوله: (**قلتُ: كونُه**) مبتدأ (**في معنى**) خبره.

قوله: (**لأنّ الرسول وقع خبرًا عن ضمير المخاطِب**) بكسر الطاء، أي: المتكلِّم في قوله: ﴿وَلَـٰكِنِّى﴾. وقوله: (**في معناه**) أي: في معنى ضمير المخاطب.

---

١ ن ر: عن.

أنـا الـذي سَمَّتْني أُمِّي حَيدَرَه

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾: ما أُوحيَ إليَّ في الأوقات المتطاولة، أو في المعاني المختلفة، من الأوامر والنَّوَاهي، والمواعظ والزواجر، والبَشائر والنذائر.

ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبلَه؛ من صُحفِ جَدِّهِ إدريسَ وهي ثلاثون صحيفةً، ومن صحف شيثٍ وهي خمسون صحيفةً.

قوله:

(أنـا الـذي سمّتني أمّي حَيدَرَه)[1]

بعده:

كـلَيثِ غـابـاتٍ كـريـه الـمنظَرَه
أوفيهم[2] بالصاع كَيل السَّندرَه[3]

قاله[4] عليّ رضي الله عنه: يوم خيبر.[5] قيل: سمّته أمه فاطمة بنت أسد باسم أبيها، وكان أبو طالب غائبًا، فلمّا قدم كرهه وسماه عليًّا. ولم يقل: "سمّتني أسد" ذهابًا إلى المعنى. والحيدرة: الأسد. و«السَّندرة: مِكيال كبير كالقنقل».[6] والمعنى: أقتلهم قتلًا واسعًا. وكان وجه الكلام أن يقول: "أنا الذي سمّته" ليرجع الضمير إلى الموصول، لكنّه ذهب إلى المعنى؛ لأنّ "الذي" عبارة عن المتكلِّم، فكأنّه قال: "أنا سمّتني".

قوله: (﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ ما أوحيَ إليّ)، يعني: إنّما جمع ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾ لاختلاف أوقاتها، أو لتنوع[7] معانيها، أو لكثرة المنزَل عليهم مِن الرسل.

---

[1] الرجز لعليّ بن أبي طالب رضيَ الله عنه في **العين** للفراهيدي، ١٧٩/٣، «حدر»؛ و**مسند أحمد** ٦٧/٢٧ (١٦٥٣٨)؛ و**صحيح مسلم** ١٤٣٣/٣ (١٨٠٧)؛ و**الصحاح** للجوهري، «حدر»، و**كتاب الغريبين** للهروي، ٤١٥/٢، و**معالم التنزيل** للبغوي ٣٠٨/٧ (الفتح، ٢٠/٤٨)؛ و**شرح الرضيّ على الكافية** ٢٧/٣، ٣٩؛ و**نهاية الأرب** للنويري، ٢٥٤/١٧.

[2] ن: أوفيم.

[3] الرجز بهذه الرِّواية في **الفائق** للزمخشري، ٢٦٦/١.

[4] ن: قال.

[5] ن: الخيبر.

[6] **الصحاح** للجوهري، «سدر»، والقنقل: المكيال الضخم. **الصحاح** للجوهري، «قنقل».

[7] ن: التنوع.

﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: "نصحتهُ" و"نصحتُ له"، وفي زيادة اللام مبالغةٌ ودلالةٌ على إمحاضِ النصيحة، وأنها وقعَتْ خالصةً للمنصوح له مقصودًا بها جانِبُه لا غير، فرُبَّ نصيحةٍ يَنتفِع بها الناصحُ فيَقصدُ النفعين جميعًا، ولا نصيحةَ أمحضُ من نصيحةِ الله تعالى ورسُله.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: من صفات الله وأحواله، يعني: قُدرتَه الباهرةَ وشدَّةَ بَطشهِ على أعدائه، وأن بأسَه لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين.

وقيل: لم يَسمعوا بقومٍ يحلُّ بهم العذابُ قبلهم، فكانوا آمنين لا يعلمون ما عَلِمه نوحٌ بوحي الله إليه.

أوْ أرادَ: وأَعْلمُ من جهةِ الله أشياءَ لا عِلْمَ لكم بها قد أُوحيَ إليَّ بها.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله: **(أي: مِن صفات الله وأحواله)**[1] قيل: فيه نظر؛ لأنّ الحال صفة سريعة الزوال وشيكة الانتقال يدل على التغيُّر والانتقال،[2] تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا. والجواب أنّ المراد بالأحوال الشئون التي يبديها،[3] لقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن ٥٥/٢٩]. وإليه الإشارة بقوله: **(وشدّة بطشه على أعدائه)**.

قوله:[4] **(أو أراد: وأعلم مِن جهة الله)** يريد أنّ ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ إمّا بيان ﴿مَا﴾ حال منه، أو مِن العائد المحذوف في الصلة، فالمعنى: وأعلم ما لا تعلمون مِن صفات الله تعالى، وهي[5] شدّة بطشه على أعدائه، وإنّما لم يعلموا لأنّهم أوّل الأمم الهالكة، لم يسمعوا بقوم حلّ بهم العذاب قبلهم. أو هو متعلِّق بقوله: ﴿أَعْلَمُ﴾ ابتدائيّة، فالمعنى ما قال: **(وأعلم مِن جهة الله أشياء لا عِلَم لكم بها)**؛ لأنّ الوحي إنّما يختصّ بالأنبياء.

---

[1] ن: وأحوال.
[2] ر: الانفعال.
[3] ر: يندبها.
[4] ن - قوله.
[5] ر: وهو.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾ الهمزةُ للإنكار، والواوُ للعطف، والمعطوفُ عليه محذوفٌ؛ كأنه قيل: أكذَّبْتُم وعَجِبْتُم ﴿أَن جَآءَكُمْ﴾: من أَنْ جاءكم ﴿ذِكْرٌ﴾: موعِظَةٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسان رجل منكم؛ كقوله: ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران ١٩٤/٣]، وذلك أنهم كانوا يتعَجَّبُون من نبوَّة نوحٍ عليه السلام، ويقولون: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون ٢٤/٢٣]، يعنون: إرسالَ البَشر، و: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون ٢٤/٢٣].

﴿لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ﴾: ليُحذِّرَكم عاقبةَ الكفر، وليُوجَد منكم التقوى -وهي الخشيةُ- بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: ولتُرحَموا بالتقوى إنْ وُجدَت منكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ قيل: كانوا أربعين رجلًا وأربعين امرأةً.

وقيل: تسعةً: بَنُوه سامٌ وحامٌ ويَافِثُ، وستَّة ممَّن آمَنَ به.

فإن قلتَ: ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ بِمَ يتعلَّق؟

قلتُ: هو متعلِّق بـ﴿مَعَهُۥ﴾؛ كأنه قيل: والذين استقرُّوا معه في الفُلك، أو: صَحِبوه في الفلك، ويجوز أن يتعلَّق بفعلِ الإنجاء؛ أي: أنجيناهم في السفينة من الطوفان.

﴿عَمِينَ﴾ عَمَى القلب غيرَ مستبصِرين، وقرئ: "عامِين"، والفَرقُ بين العَمِي والعَامِي: **أنّ العَمِيَ يدلُّ على عَمًى ثابتٍ، والعاميَ على عمًى حادثٍ**، ونحوُه قوله: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود ١٢/١١].

قوله: (**وقيل: تسعة**) "وقيل: عشرة" في **نسخة**، فيدخل نوح معهم في العدد، إلّا أنَّ تسعة هو الموافق للعدد المذكور في المتن.

قوله: (**أنّ العميَ يدلّ[١] على[٢] عمًى ثابت**) لدلالة الصفة المشبهة على الثبوت.
(**والعامي على عمًى حادث**)؛ لأنَّ اسم الفاعل دونها في الدلالة على الثبوت.

---

[١] ر: يدعى.
[٢] ر - على.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

﴿أَخَاهُمْ﴾: واحدًا منهم؛ من قولك: "يا أخا العرب" للواحد منهم، وإنما جُعل واحدًا منهم؛ لأنّهم أفهَمُ عن رجلٍ منهم وأعرفُ بحاله في صدقه وأمانته.

وهو هود بنُ شالَخ بنِ أرْفَخْشَذَ بن سامِ بن نوح.

و﴿أَخَاهُمْ﴾: عطفٌ على ﴿نُوحًا﴾، و﴿هُودًا﴾ عطفُ بيانٍ له.

فإن قلتَ: لمَ حُذف العاطف من قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ﴾ ولم يُقَلْ: "فقال" كما في قصَّة نوح؟

قلتُ: هو على تقدير سؤالٍ سائلٍ قال: فما قال لهم هود؟ فقيل: قال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وكذلك ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾.

فإن قلتَ: لمَ وُصف الملأ بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ دون الملأ من قوم نوح؟

قلتُ: كان في أشراف قوم هود مَن آمَن به، منهم مَرْثدُ بنُ سَعْدٍ الذي أسلم وكان يَكتمُ إسلامَه، فأُريدت التفرقةُ بالوصف ولم يكن في أشرافِ قومِ نوحٍ مؤمنٌ، ونحوُه قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [المؤمنون ٣٣/٢٣]، ويجوز أن يكون وصفًا واردًا للذمِّ لا غيرُ.

﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾ في خفَّةِ حِلْمٍ وسخافةِ عقلٍ حيث تَهْجُرُ دينَ قومك إلى دينٍ آخر،

قوله: (**لأنّهم أفهَمُ[1] عن رجل منهم**) حُذف ما يُستعمَل معه "أنّهم"، وهو مِن تقديره: لأنّهم أفهم عن رجل منهم منهم[2] عن رجل مِن غيرهم وأعرف بحاله منهم بحال غيره، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم ٤/١٤]، وقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة ١٢٨/٩].

---

[1] ر – أفهم.

[2] ر – منهم.

وجُعلت السفاهةُ ظرفًا على طريق المجاز، أرادوا أنه متمكِّن فيها غيرُ مُنفكٍّ عنها.

وفي إجابةِ الأنبياء عليهم السلامُ مَن نَسَبهم إلى الضَّلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحِلْم والإغْضاء وتركِ المقابَلة بما قالوا لهم -مع علمهم بأن خُصومَهم أضلُّ الناس وأسْفهُهُم- أدَبٌ حَسَنٌ وخُلُقٌ عظيم، وحكايَةُ الله عزَّ وجلَّ ذلك تعليمٌ لعباده كيف يخاطِبُون السفهاءَ وكيف يَغُضُّون عنهم ويُسْبِلون أذيالَهم على ما يكون منهم.

﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾؛ أي: عُرِفْتُ فيما بينكم بالنُّصح والأمانة فما حَقِّي أن أُتَّهم. أو: أنا لكم ناصحٌ فيما أدعوكم إليه أمينٌ على ما أقول لكم لا أكذبُ فيه.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾؛ أي: خَلَفْتُموهم في الأرض، أو: جَعَلكم ملوكًا في الأرض قد استَخْلَفكم فيها بعدهم.

﴿فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾: فيما خَلَق من أَجرامكم ....

قوله: (**وفي إجابة[1] الأنبياء**) خبر،[2] وقوله: (**أدبٌ حَسَن**) مبتدأ. و(**تركِ المقابلة**) عطف على "إجابة". و(**بما أجابوهم[3] به**) متعلق بـ"إجابة".

قوله: (﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾) أي: عُرفت فيما بينكم، يشير بهذا إلى أنّ قوله: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ جملة مستأنفة وقعَت معترِضة. ثمّ قوله: (**أو: أنا لكم ناصح بما أدعوكم إليه أمين**)[4] أنّ الواو للحال، ونحوه صرّح به في البقرة في قوله: ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [البقرة ٥١/٢] اعتراضًا أو حالًا.[5]

[٣٤٧ظ] قوله: / (**فيما خلق مِن أجرامكم**) جعل قوله: ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ ظرفًا لقوله:

---

[1] ن ر: الإجابة.

[2] ر: وخبر.

[3] ن ر: أجابوه.

[4] ن ر: بدون.

[5] ر + فيه فيها.

ذهابًا في الطول والبدانة، قيل: كان أَقْصرُهم ستين ذراعًا وأطولُهم مئة ذراع.

﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ في استخلافكم وبسطةِ أجرامكم وما سواهما من عطاياه، وواحدُ الآلاءِ: إلًى، نحو: إنًى وآناء، وضِلعٍ وأَضلاع، وعنبٍ وأعناب.

فإن قلتَ: ﴿إِذۡ﴾ في قوله: ﴿إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ ما وجهُ انتصابه؟

قلتُ: هو مفعولٌ به وليس بظرفٍ؛ أي: اذكروا وقتَ استخلافكم.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾

﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ أنكَروا واستبعَدوا اختصاصَ الله وحده بالعبادة وتَرْكَ دينِ الآباء في اتخاذ الأصنامِ شركاءَ معه؛ حُبًّا لِمَا نشؤوا عليه وإِلْفًا لِمَا صادفوا آباءهم يتديَّنُون به.

فإن قلتَ: ما معنى المجيء في قوله: ﴿أَجِئۡتَنَا﴾؟

قلتُ: فيه أوجهٌ:

أن يكون لهود عليه السلام مكانٌ معتزِلٌ عن قومه يتحنَّثُ فيه كما كان يَفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحِرَاء قبل المَبعث، فلمَّا أُوحي إليه جاءَ قومَه يدعوهم.

وأن يريدوا به الاستهزاء؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يُرسلُ إلَّا الملائكةَ؛ ....

﴿زَادَكُمۡ﴾ و﴿بَصۜۡطَةٗ﴾ مفعولًا به. وقوله: "فيما خلق مِن أجرامكم" تفسير لقوله: ﴿فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾. وقوله: **(ذهابًا في الطول والبدانة)** تفسير لقوله: ﴿بَصۜۡطَةٗ﴾.

قوله: **(في اتخاذ الأصنام)** ظرف مِن حيث المعنى لقوله: **(دينِ الآباء)**.

قوله: **(يتحنَّث)** أي: يفعل فعلًا يخرج به مِن الإثم، كما يقال: "يتأثَّم ويتحرَّج" إذا فعل ما يخرُج به مِن الإثم والحَرَج.

فكأنّهم قالوا: أجئتَنا من السماء كما يجيء الملَك؟

وأن لا يريدوا حقيقةَ المجيءِ، ولكنْ التعرُّضَ بذلك والقصدَ؛ كما يقال: "ذهَبَ يَشتِمُني" ولا يُراد حقيقةُ الذهاب؛ كأنهم قالوا: أقصَدْتَنا لنعبدَ الله وحده وتعرَّضْتَ لنا بتكليف ذلك.

﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ استعجالٌ منهم للعذاب.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾؛ أي: حقَّ عليكم ووجَبَ، أو: **قد نزل عليكم**، جُعل المتوقَّع الذي لا بدَّ من نزوله بمنزلةِ الواقع، ونحوُه قولك لمن طلبَ إليك بعضَ المطالب: قد كان ذلك، وعن حسَّانَ أن ابنَه عبدَ الرحمن لسَعَه زُنبورٌ وهو طفلٌ فجاء يبكي، فقال له: يا بنيَّ! ما لك؟ قال: لسَعَني طُوَيِّرٌ كأنه مُلتَفٌّ في بُردَيْ حِبَرَةٍ، فضمَّه إلى صدره وقال له: ....

قوله: (**فكأنّهم قالوا: أجئتنا مِن السماء**) فإثبات المجيء حينئذٍ حقيقة استهزاء وعلى **الأوّل** حقيقة أيضًا، وعلى **الثالث** مجاز مِن قبيل إطلاق المسبَّب وإرادةِ السبب؛ لأنّ القصد سبب للمجيء.

قوله: (﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾) أي: حقّ عليكم ووجب، يعني: استعمال "وقع" في الرجس والغضب مجاز مِن الوجوب الذي هو اللزوم مِن إطلاق السبب على المسبَّب، كاستعمال الوجوب الشرعي؛ لأنّه في الأصل الوقوع، قال تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج ٣٦/٢٢]. قال المصنّف: «وُجوب الجُنوب: وقوعها على الأرض».[١] ويجوز أن يكون استعارة تبعيّة: شبّه تعلُّق الغضب والرجس بهم بنزول جسم مِن عُلوّ، وهو المراد مِن قوله: (**أو: قد نزل عليكم**).

---

[١] **الكشّاف** للزمخشري، (الحج، ٣٦/٢٢).

يا بنيَّ! قد قلتَ الشِّعرَ.

والرِّجسُ: العذابُ، من الارتجاس وهو الاضطرابُ.

﴿فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَا﴾: في أشياء ما هي إلَّا أسماءٌ ليس تحتها مسمَّياتٌ؛ لأنكم تسمُّونها آلهةً، ومعنى الإلهيَّة فيها معدومٌ محالٌ وجودُه، وهذا كقوله: ﴿ما تَدۡعُونَ من دونِهِ من شيءٍ﴾ [العنكبوت ٤٢/٢٩] ومعنى ﴿سَمَّيۡتُمُوهَا﴾: سمَّيتم بها، من قولك: سمَّيتُه زيدًا.

﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾

و"قَطْعُ دابرِهم": استئصالُهم وتدميرُهم عن آخرِهم.

وقصَّتُهم: أنَّ عادًا قد تبسَّطوا في البلاد ما بين عُمانَ وحضرَموتَ، وكانت لهم أصنام يَعبُدونها: صُدَاء وصَمُودُ والهَباء، فبَعثَ اللهُ إليهم هودًا نبيًّا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسَبًا، فكذَّبوه وازْدادوا عتوًّا وتجبُّرًا، فأمسك اللهُ عنهم القَطْرَ ثلاثَ سنين حتى جُهِدُوا، وكان الناسُ إذا نزل بهم بلاءٌ طلبوا إلى الله الفرجَ منه عند بيته المحرَّم مُسْلِمُهم ومُشْرِكُهم، وأهلُ مكةَ إذ ذاك العماليقُ أولادُ عِمْليق بنِ لاوذَ بن سام بن نوح، وسيِّدُهم معاويةُ بن بكر، فجهَّزَتْ عَادٌ إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلًا، منهم: قيلُ بن عنز، ومَرْثد بنُ سَعْدٍ الذي كان يكتُم إسلامَه، فلما قَدِموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكَّة خارجًا من الحرم، فأنزلهم وأكرمَهم وكانوا أَخْوالَه وأَصْهارَه، فأقاموا عنده شهرًا يشربون الخمرَ ....

قوله: (يا بُنيَ! قد قلتَ الشعر)[1] لمّا لفق ابن حسّان هذه الألفاظ، ولم يقل: "لسعني الزُّنبور" توقَّع منه أنّه سيقول الشعر، فجعل المتوقَّع كالواقع.[2] فقال: "قلتَ" على الماضي. قال الفرّاء:[3] «يا بُنيَّ ويا بنيَ لغتان، مثل يا أبتَ ويا أبتِ».[4]

[1] القصة في الكامل للمبرِّد، ٣٤٢/١؛ والحيوان للجاحظ، ٦٥/٣؛ وأسرار البلاغة للجرجاني، ص ١٩١.

[2] ن ر + قال الفرّاء.

[3] ن ر - قال الفرّاء.

[4] معاني القرآن للفرّاء، ٣٥/٢.

وتُغَنِّيهم الجرادتان -قينَتَانِ كانتا لمعاوية-، فلما رأى طول مُقامِهم وذُهُولَهم باللهو عما قدِمُوا له أهمَّه ذلك، وقال: قد هلَك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه، وكان يستحي أن يكلِّمهم خِيفةَ أن يَظنُّوا به ثقَلَ مُقامهم عليه، فذكر ذلك للقَيْنَتَيْن، فقالتا: قل شِعرًا نُغنِّيهم به لا يَدرون مَن قاله، فقال معاويةُ:

أَلَا يا قَيْلُ وَيحك قُمْ فهَينِم لعلَّ الله يَسقينا غماما
فيَسقيَ أرضَ عادٍ إنَّ عادًا قدَ امْسَوْا ما يُبِينون الكلاما

فلمَّا غَنَّتَا به قالوا: إنّ قومكم يتغوَّثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أَبْطأتُم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم، فقال لهم مرثَدُ بنُ سعد: واللهِ لا تُسقَوْن بدعائكم، ولكن إن أطعتُم نبيَّكم وتُبْتُم إلى الله سُقِيتم، وأظهر إسلامَه، فقالوا لمعاوية: اِحْبَسْ عنَّا مرثدًا لا يَقدمَنَّ معنا مكةَ، فإنَّه قد اتَّبعَ دينَ هودٍ وترك ديننا، ثم دخلوا مكة فقال قَيلٌ: اللَّهمَّ اسقِ عادًا ما كنتَ تسقيهم، فأنشأ الله سحاباتٍ ثلاثًا بيضاءَ وحمراءَ وسوداءَ، ثم ناداه منادٍ من السماء: يا قَيْلُ اختَرْ لنفسك ولِقومك، فقال: اخترتُ السوداء فإنَّها أكثرُهنَّ ماءً، فخرجَتْ على عادٍ من وادٍ لهم يقال له: "المغِيثُ"، فاستبْشروا بها وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف ٢٤/٤٦] فجاءتْهم منها ريحٌ عقيمٌ فأهلكتْهم.

قوله: **(الجرادتان)** اسم جاريتين:[١] اسم إحداهما[٢] وردة، والأخرى جرادة. فهذا مِن التغليب.

قوله: **(فهَينِمْ)** الهينمة: إخفاء الكلام، وهي عبارة عن الدعاء، أي: ادعُ وأخفِ الدعاء. وقوله: **(ما يُبِينون الكلاما)**،[٣] أي: لا يكادون يفقهون قولًا مِن ضعفهم[٤] وقحطهم.[٥] وقوله: **(فيسقي)** سقاه الله الغيث وأسقاه. وقوله: **(قالوا: إنّ قومكم)** أي: قال الجلساء.

---

[١] ن ر: جبارتين.
[٢] ر: أحدهما.
[٣] الشعر لمعاوية بن بكر في **جامع البيان** للطبري، ٢٦٩/١٠ (الأعراف، ٧٢/٧)؛ و**معالم التنزيل** للبغوي، ٢٤٤/٣ (الأعراف، ٧٢/٧).
[٤] ر - ضعفهم.
[٥] ر: قحطهم.

ونجَا هودٌ والمؤمنون معه، فأتَوْا مكّةَ فعبَدوا الله فيها حتى ماتوا.

فإن قلتَ: ما فائدةُ نفي الإيمان عنهم في قوله: ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ مع إثبات التكذيب بآيات الله؟

قلتُ: هو تعريضٌ بمن آمَن منهم كمَرْثدِ بن سعد ومَن نجَا مع هود عليه السلام؛ كأنَّه قال: وقطَعْنا دابرَ الذين كذَّبوا بآياتنا منهم ولم يكونوا مثلَ مَن آمن منهم؛ ليُؤذِن أن الهلاك خصَّ المكذِّبين ونَجَّى اللهُ المؤمنين.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

قرئ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بمنعِ الصرف بتأويل القبيلة، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودٍ﴾ بالصرف بتأويل الحي، أو باعتبار الأصل؛ لأنه اسمُ أبيهم الأكبرِ وهو ثمودُ بنُ عابَرَ بنِ إرَمَ بنِ سام بن نوح [أخو إدريس].

قوله: (**قلتُ: هو تعريض بمَن آمَن منهم**)، يعني: إذا سمع المؤمِن[1] أنَّ الهلاك اختصّ بالمكذِّبين وعلم أنّ سبب النجاة هو الإيمان تزيد رغبته فيه ويعظُم قدره[2] عنده.[3] ونظيرُه باعتبار شرف الإيمان قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ إلى قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر ٤٠/٧]، وحَمَلة العرش ليسوا ممَّن لا يؤمِن، لكن ذُكر الإيمان لشرفه والترغيب فيه.

قوله: (**قرئ: ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بمنع الصرف**) مَن منعه الصرف يقول: "فيه تأنيث وعلَميّة فقط" بتأويل الحيّ، أو لأنّه اسم أبيهم الأكبر فلا يكون فيه إلّا علَميّة.

قوله: (**أخو إدريس**)[4] بعد ذِكر نسب ثمود، وهو خطأ يُعلَم مِن انتسابه نوحًا قُبيل هذا.

---

[1] ر + من.

[2] ن: قدر.

[3] ن ر: عنه.

[4] سقط قوله: "أخو إدريس" من مطبوع الكشّاف. وهو مثبت في حاشية الجاربردي وفيما راجعت من أصول الكشّاف.

وقيل: سُمِّيَت ثمودَ لقلَّة مائها، من الثَّمدِ وهو الماء القليل، وكانت مساكنُهم الحِجْرَ بَين الحجاز والشام إلى وادِي القُرَى.

﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: آيةٌ ظاهرةٌ وشاهدٌ على صحَّة نبوَّتي.

وكأنه قيل: ما هذه البَيِّنةُ؟ فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ و﴿ءَايَةً﴾ نصبٌ على الحال، والعامل فيها ما دلَّ عليه اسم الإشارة من معنى الفعل؛ كأنه قيل: أُشيرُ إليها آيةً، و﴿لَكُم﴾: بيانٌ لمن هي له آيةٌ موجبةٌ عليه الإيمانَ خاصَّةً، وهم ثمود؛ لأنهم عاينوها، وسائرُ الناس أُخبروا عنها وليس الخبرُ كالمعاينة؛ كأنه قال: لكم خصوصًا، وإنما أُضِيفَتْ إلى اسم الله تعظيمًا لها وتفخيمًا لشأنها، وأنها جاءت من عنده مُكوَّنةً من غيرِ فحَلٍ وطَروقةٍ آيةً من آياتِه؛ كما تقول: آيةُ الله.

وروي: أن عادًا لمّا أُهلكَتْ عَمَرتْ ثمود بلادَها وخَلَفُوهم في الأرض وكَثُرُوا وعُمِّروا أعمارًا طِوالًا، حتى إنَّ الرجل منهم كان يَبْني المسْكنَ المُحْكَمَ فينهَدِمُ في حياته، فنَحتوا البيوتَ من الجبال وكانوا في سَعَةٍ ورَخاءٍ من العيش،

قوله: (**وقيل: سمِّيت**) أي: تلك القبيلة.

قوله: (**وشاهدٌ على صحّة**) أي: دليل. ولا يقال: "شاهده" كما لا يقال: "دليله".

قوله: (**لمَن هي له آيةٌ موجبة**) اللام في "لمَن" صلة بيان و"مَن" موصول. وقوله: "هي" مبتدأ، و"آية موجبة" خبره، و"له" حال مِن "آية". والجملةُ صلة الموصول.

قوله: (**مكوَّنةً**) أي: موجودة تكن مِن غير واسطة، كما قيل لعيسى: "كلمة". وقوله: (**آيةً مِن آياته**) حال مِن ضمير (**جاءت**)، وكذا "مكوّنة". والظاهر أنّها حال مِن ضمير "مكوّنة" متداخلة. وذكر المصنّف في سورة هود أنّ ﴿لَكُمْ﴾ حال مِن ﴿ءَايَةً﴾ [هود ١١/٦٤]، وكانت صفة فقُدِّمت وصارت حالًا.[١] وقريبٌ منه معنًى ما قال هنا: (**و﴿لَكُمْ﴾ بيان لمَن هي له آية**). و"الطروقة": الناقة.

---

١ انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (هود، ١١/٦٤).

فعتَوا على الله وأفسدوا في الأرض وعَبدوا الأوثان، فبَعث الله تعالى إليهم صالحًا عليه السلام وكانوا قومًا عُربًا وصالحٌ من أوسَطِهم نَسَبًا، فدَعاهم إلى الله عزّ وجلّ فلم يَتَّبِعْه إلَّا قليلٌ منهم مستضعفون، فحَذَّرهم وأنذرهم فسألوه آيةً، فقال: أيَّةَ آيةٍ تُريدون؟ قالوا: تَخرُجُ مَعَنا إلى عيدنا -في يوم معلوم لهم من السَّنَة- فتدعو إلهَك وندعو آلهتنا، فإن استُجيبَ لك اتَّبعناك وإن استجيبَ لنا اتَّبعتَنا، فقال صالح: نعم، فخرجَ معهم ودعَوْا أوثانهم وسألوها الاستجابةَ فلم تُجبْهم، ثم قال سيّدهم جُنْدُعُ بن عمرو وأشار إلى صَخْرةٍ منفردةٍ في ناحيةِ الجبل يقال لها «الكاثِبَةُ»: أخرِجْ لنا من هذه الصخرة ناقةً مخترِجةً جَوْفاءَ وَبْراءَ -والمخترَجَةُ: التي شاكلَت البُختَ- فإنْ فعلتَ صدَّقناك وأجَبْناك، فأخذ صالحٌ عليه السلام عليهم المواثيقَ: لئن فعلتُ ذلك لتؤمنُنَّ ولتُصدِّقُنَّ، قالوا: نعم، فصلَّى ودعا ربَّه، فتمخَّضَت الصخرةُ تَمخُّضَ النَّتُوج بولدها، فانصدعَتْ عن ناقةٍ عُشَرَاءَ جَوْفاءَ وَبْراءَ كما وَصَفوا لا يَعلم ما بين جَنبيها إلا اللهُ عزَّ وجل، وعُظَماؤُهم ينظرون، ثم نُتِجَتْ ولدًا مثلَها في العِظَم، فآمَنَ به جُندعٌ ورهطٌ من قومه ومنَع أعقابَهم ناسٌ من رؤوسهم أن يؤمنوا، فمَكُثت الناقةُ مع ولدها تَرعَى الشجرَ وتشربُ الماء، وكانت تردُ غِبًّا فإذا كان يومُها وضعت رأسَها في البئر فما تَرفعُه حتى تشرَبَ كلَّ ماء فيها، ....

قوله: **(ناقة مخترِجة)** «ناقة مخترجة[1] إذا خرجت[2] على هيئة الجمل».[3]

قوله: **(فتمخَّضت)** أي: تحرَّكت.

قوله: **(تمخُّض النتوج[4] بولدها)** الباء في "بولدها"[5] يجوز أن تكون للتعدية، أي: كما تحرِّك ولدها، ويجوز / أن يكون للسببيّة، أي: بسبب ولادة ولدها. [٣٤٨و]

قوله: **(لا يَعلم ما بين جنبيها)** أي: لا يعلم بُعد ما بين جنبيها[6] إلّا الله.

قوله: **(أعقابَهم)** أي: بقاياهم.

---

[1] ر – ناقة محترجة.

[2] ن: أخرجت.

[3] الصحاح للجوهري، «خرج».

[4] ن: التنوح.

[5] ر: ولدها.

[6] ر – أي: لا يعلم بعد ما بين جنبيها.

ثمّ تتفَحَّجُ فيحتلِبون ما شاؤوا حتى تَمتلئَ أوانِيَهم فيشربون ويدَّخرون.

قال أبو موسى الأشعريُّ: أتَيْتُ أرضَ ثمودَ فذرَعْتُ مصدرَ الناقةِ فوجدتُه ستّين ذراعًا.

وكانت الناقةُ إذا وقع الحرُّ تَصيَّفَتْ بظهر الوادي فتهربُ منها أَنعامُهم فتَهبِطُ إلى بطنه، وإذا وقع البرد تَشَتَّتْ بطنَ الوادي فتهربُ مواشيهم إلى ظهره، فشَقَّ ذلك عليهم وزيَّنَتْ عقرَها لهم امرأتان: عُنيزَةُ أمُّ غَنْمٍ وصدقةُ بنتُ المختار؛ لِمَا أَضرَّتْ به من مواشيهما، وكانتا كثيرتَي المواشي، فعقروها واقتسموا لحمَها وطَبَخُوه، فانْطلقَ سَقْبُها حتى رَقِيَ جبلًا اسمُه: «قارةُ» فَرغَى ثلاثًا، وكان صالحٌ قال لهم: أدْرِكوا الفَصِيلَ عسى أن يُرْفَعُ عنكم العذابُ، فلم يَقدروا عليه وانفجَّتِ الصخرةُ بَعد رُغائه فدخلها، فقال لهم صالحٌ: تُصبحون غدًا وجوهُكم مُصفرَّةٌ، وبعد غدٍ وجوهُكم مُحْمرَّةٌ، واليومَ الثالثَ وجوهُكم مسودَّةٌ، ثم يُصبِّحكم العذابُ، فلما رأوا العلاماتِ طلبوا أن يقتلوه، فَأنجاه الله إلى أرضِ فلَسْطِينَ، ولمَّا كان اليومُ الرابعُ وارتفع الضُّحى تَحنَّطوا بالصَّبرِ وتكفَّنُوا بالأَنْطاع، فأَتتْهم صيحةٌ من السماء فتقطعَتْ قلوبُهم فهلكوا.

﴿تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الأرضُ أرضُ الله والناقةُ ناقةُ الله فذَرُوها تأكلْ في أرض ربِّها، فليست الأرضُ لكم، ولا ما فيها من النَّبات من إنباتكم.

قوله:[1] (ثمّ تتفحّج) بالفاء والحاء المهملة والجيم بعدها، نقل الجوهري عن أبي عمرو: «التفحُّج مثل التفشُّج، وهو أن يفرِّج بين رجليه إذا جلس».[2]

قوله: (لِما أضرّت به مِن مواشيهما) اللام متعلق بقوله: (زيَّنت)، يعني: زيَّنت عقرها لأجل مواشيهما.

قوله: (سَقْبها) السَّقْب: الذَّكَر مِن أولاد الإبل.[3] وقوله: (تحنَّطوا) أي: اتَّخذوها حَنوطًا. والحَنوط: الذريرة. وقوله: (بالأنطاع) جمع نطع.

---

١ ن + أخي.

٢ **الصحاح** للجوهري، «فحج».

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «سقب».

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: ولا تضْربوها ولا تطرُدوها ولا تَرِيبوها بشيءٍ من الأذى إكرامًا لآية الله.

ويُروى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينَ مرَّ بالحِجر في غَزْوة تبوك قال لأصحابه: «لا يدخلنَّ مِنْكم أحَدٌ القريةَ، ولا تشربوا من مائها، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذَّبين إلَّا أن تكونوا باكِين أن يُصيبكم مثلُ الذي أصابَهم».

وقال صلى الله عليه وسلم: «يا عليُّ، أتدْري مَن أشقَى الأوَّلينَ؟» قال: اللهُ ورسوله أعلم، قال: «عاقرُ ناقةِ صالح، أتدْري مَن أشقَى الآخِرينَ» قال: الله ورسولُه أعلم، قال: «قاتلُك».

وقرأ أبو جعفر في روايةٍ: "تأكلُ في أرض الله" وهو في موضع الحال بمعنى: آكِلةً.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَبَوَّأَكُمْ﴾: ونزَّلكم، والمَبَاءةُ: المنزِل.

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: في أرض الحِجْر بين الحجاز والشام.

﴿مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾؛ أي: تَبْنُونَها من سهولةِ الأرض بما تعملون منها من الرَّهْصِ واللَّبِن والآجُرِّ.

قوله: **(ولا تَريبوها)** مِن قولهم: رابني فلان إذا رأيتَ منه ما يَسؤك وتكرهه.

قوله: **(باكين[1] أن يصيبكم)** أي: خائفين أن يصيبكم.[2]

قوله: **(مِن الرِّهص)**[3] الرِّهص[4] بكسر الراء: الطين والجِصّ، وبفتحها: العمل. و"مِن" في **(سهولة الأرض)** في الكتاب بيان "ما" في **(بما تعملون منها)** والباء في "بما تعملون" متعلِّقة بـ**(تبنونها)**، كما تقول: بنيت الدار بالجصّ والآجر والطين.

---

[1] ن ر: باللين.
[2] ن + أي: خائفين أن يصيبكم.
[3] ن: الرهض.
[4] ن: الرهض.

وقرأ الحسن: "وتَنحَتون" بفتح الحاء، و: "تَنْحاتون" بإشباع الفتحة؛ كقوله:

يَـنـبَـاعُ مِـن ذِفْـرَى أَسِـيـلٍ حُـرَّةٍ

فإن قلتَ: علامَ انتصبَ ﴿بُيُوتًا﴾.

قلتُ: على الحال؛ كما تقول: "خِطْ هذا الثوبَ قميصًا"، و: "اِبْرِ هذه القصبَةَ قلمًا"، وهي من الحال المقدَّرة؛ لأن الجَبَل لا يكون بيتًا في حال النَّحت، ولا الثوبُ والقصَبَةُ قميصًا وقلمًا في حال الخياطةِ والبَرْي.

وقيل: كانوا يسكنون السهولَ في الصَّيف والجبالَ في الشتاء.

قوله:

(يـنـبـاع مِـن ذِفـرى أسِـيـل حُـرّةٍ)

تمامه:

زيّـافـة مـثـلَ الـفَـنـيـقِ الـمُـكـدَمِ[1]

البيت لعنترة.[2] "ينباع أصله "ينبع" فأشبع الفتحة لإقامة الوزن فتولَّدت ألف، أي: يسيل. والذِفرى مِن القفا: هو[3] الموضع الذي يعرق[4] مِن[5] البعير خلفَ الأذن، ولا ينوّن؛ لأنّ ألفها للتأنيث.[6] «ورجل أسيل الخدّ إذا كان ليّن الخدّ طويلَه. وكلّ مسترسل أسيلٌ».[7] "المكرم" الكَدْم:[8] العضّ بأدنى الفم.

قوله: (**قلتُ: على الحال**) ويحتمل أنّ يضمّن[9] ﴿تَنْحِتُونَ﴾ معنى تصنعون، فعُدّي تعديته.[10] قاله[11] بعض النحويين.[12]

---

[1] البيت لعنترة في ديوانه، ص ٢٠٤، وفيه «غضوب» مكان «أسيل»، و«المُقرَم» مكان «المكدَم».
[2] ن: لعشر.
[3] ر: وهو.
[4] ن ر: يعرف.
[5] ن ر – من.
[6] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ذفر».
[7] ن ر – مسترسل أسيل. | **الصحاح** للجوهري، «أسيل».
[8] ن: للكدم.
[9] ن: تضمين.
[10] ن: يتعديته.
[11] ر: قال.
[12] انظر: **التبيان** للعكبري، ٥٨٠/١.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۝٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٧٦﴾

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾: للّذين استضعفَهم رؤساءُ الكفّار واستَذَلُّوهم، و﴿لمن آمن منهم﴾ بدلٌ من "الذين استُضعفوا".

فإن قلتَ: الضميرُ في ﴿مِنْهُمْ﴾ راجعٌ إلى ماذا؟

قلتُ: إلى ﴿قَوْمِهِۦ﴾ أو إلى "الذين استضعفوا".

فإن قلتَ: هل لاختلاف المرجعَين أثرٌ في اختلاف المعنى؟

قلتُ: نعم، وذلك أن الراجع إذا رجع إلى ﴿قَوْمِهِۦ﴾ فقد جُعل "مَن آمن" مفسِّرًا لمن استُضْعِف منهم، فدلَّ أن استضعافَهم كان مقصورًا على المؤمنين، وإذا رجع إلى الذين استُضعفوا لم يكن الاستضعافُ مقصورًا عليهم ودلَّ أن المستضعَفينَ كانوا مؤمنين وكافرين.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ شيءٌ قالوه على سبيل الطَّنْزِ والسُّخْرِيَّة؛ كما تقول للمجَسِّمَةِ: أتعلمون أن الله فوقَ العرش؟

فإن قلتَ: كيف صحَّ قولُهم: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ جوابًا عنه؟

قلتُ: سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرسالَه أَمْرًا معلومًا مكشوفًا

قوله: (**قلتُ: نعم، وذلك**)... إلخ، جوابُه يدلّ على أنّ الضمير إذا كان للقوم يكون لمَن[١] آمِن بدل[٢] الكلّ، وإذا كان الضمير للذين استُضعفوا يكون بدل البعض.

قوله: (**قلتُ:[٣] سألوهم عن العلم**)... إلخ، حاصل الجواب أنّه مِن باب الأسلوب الحكيم، وهو: تلقّي المخاطب بغير ما يترقّب.[٤]

---

١ ن: المن.

٢ ن ر: بل.

٣ ن - قلت.

٤ انظر: **مفتاح العلوم** للسكاكي، ص ٤٣٥.

مُسلَّمًا لا يدخله رَيْبٌ؛ كأنهم قالوا: العلمُ بإرساله وبما أُرسل به ما لا كلامَ فيه ولا شُبهَةَ تدخله؛ لوضوحه وإنَارتِهِ، وإنَّما الكلام في وجوب الإيمان به، فنُخبركم أنَّا به مؤمنون، ولذلك كان جوابُ الكفرة: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ فوَضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضعَ ﴿أُرۡسِلَ بِهِۦ﴾ ردًّا لِمَا جَعَله المؤمنون معلومًا وأَخَذُوه مُسَلَّمًا.

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ أُسند العقر إلى جميعهم؛ لأنه كان برِضاهم وإن لم يباشِرْهُ إلّا بَعضُهم، وقد يقال للقبيلة الضَّخْمةِ: أنتم فعلتُم كذا، وما فَعَلَه إلّا واحدٌ منهم.

قوله: (**وإنّما الكلام في وجوب الإيمان به**) الوجوب هنا بمعنى الثبوت والتحقُّق لا بمعنى الوجوب الشرعي؛ لأنّه يلزم مِن العلم بإرساله لزوم الإيمان به، ولو كان الوجوب بالمعنى المتعارَف[1] في الشرع لَما صحّ.

قوله: (**فنُخبركم أنّا به مؤمنون**) إذ لا يظهر مِن الأخبار الوجوبُ الشرعي.

قوله:[2] (**ولذلك كان جواب الكَفَرة**) أي: ولأجل أنّ معنى قول المؤمنين: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ أنّ إرساله مبيّن[3] معلوم[4] مسلّم، وإنّما الكلام في تحقُّق الإيمان به، عدل الكفرة[5] عن الجواب المطابق لكلام المؤمنين، وهو أن يقولوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ إلى قوله:[6] ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾؛ لأنّهم لو قالوا: "إنّا بما أرسل به كافرون" لأوهم أنّ إرساله مبيّن معلوم مسلّم عندهم، كما أنّه مسلّم عند المؤمنين، فعدلوا عنه وقالوا: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾، فكأنّهم قالوا: ليس إرساله معلومًا مسلّمًا؛ بل ليس هنا إلّا[7] دعواه وإلّا أنكم آمنتم به وإنّا بما آمنتم به كافرون.

---

[1] ر: المعترف.
[2] ر - (فنخبركم أنا به مؤمنون) إذ لا يظهر مِن الأخبار الوجوب الشرعي. قوله.
[3] ر: معلوم.
[4] ر: مبيّن.
[5] ن: الكفر.
[6] ر: قولهم.
[7] ر: لا.

﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: وتولَّوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتِين، وأمرُ ربِّهم: ما أمَرَ به على لسان صالح عليه السلام من قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ أو شأنُ ربِّهم وهو دِينُه.

ويجوز أن يكون المعنى: وصدَرَ عتوُّهم عن أمر ربِّهم؛ كأنَّ أَمرَ رَبِّهم بتركها كان هو السببَ في عتوِّهم، ونحوُ ﴿عَنْ﴾ هذه "ما" في قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف ٨٢/١٨].

قوله: (**أو شأن**[١] **ربهم**) على **الأوّل** يكون الأمر واحد الأوامر، ويكون المراد المأمور،[٢] وعلى **الثاني** يكون الأمر واحد الأمور وهو الشأن.

قوله: (**ويجوز أن يكون المعنى: وصَدَر عُتوّهم**) **عطف على قوله**: (**وتولَّوا**) **فالأوّل** إشارة إلى أنّ تعديته لتضمين معنى "تولَّوا"، **والثاني** إلى أنّ "عن" فيه[٣] كما في قول الشاعر:

يَـنـهَـون عـن أكـل وعـن شـربٍ[٤]

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ [البقرة ٣٦/٢].

قوله: "ويجوز أن يكون المعنى: وصدر عتوّهم" **عطف على قوله**:[٥] "وتولَّوا / عنه"، يريد أنّ الأمر في قوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ إمّا بمعنى واحد الأوامر أو واحد [٣٤٨ظ]
الأمور، فإن كان **الأوّل** فعتوا مضمَّن لمعنى التولي، فالمعنى: "تولَّوا واستكبروا عن امتثال أمره عاتين"، أو مضمَّن لمعنى الإصدار، فالمعنى: "صدر عتوّهم عن أمر ربهم وبسببه"؛ لأنّه تعالى لمّا أمرهم بقوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ ابتلاء لهم[٦] ما امتثلوا الأمر فصاروا عاتين لذلك، ولولا ذلك الأمر ما ترتّب العتوّ، وإن كان **الثاني** فالمعنى: تولَّوا واستكبروا عن بيان، أي: دينه.

قوله: (﴿مَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف ٨٢/١٨]) أي: ما صَدَر فعله عن أمري.

---

١ ن ر: بيان.
٢ ن: بالمأمور.
٣ ن: عرفته.
٤ عجز بيت مضى بتمامه وتخريجه في تفسير البقرة، ٣٦/٢.
٥ ر: قولهم.
٦ ن ر: وهم.

﴿ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أرادوا: من العذاب، وإنما جاز الإطلاق؛ لأنه كان معلومًا، واستعجالُهم له لتكذيبهم به؛ ولذلك علّقوه بما هم به كافرون، وهو كونُه من المرسَلين.

﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨﴾

﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الصَّيْحةُ التي زُلْزِلَتْ لها الأرضُ واضطرَبوا لها.

﴿فِي دَارِهِمۡ﴾: في بلادهم، أو: في مساكنهم.

﴿جَٰثِمِينَ﴾: هامِدين لا يتحرّكون مَوْتَى، يقال: "الناسُ جُثَّمٌ"؛ أي: قعودٌ لا حَراك بهم ولا يَنْبِسُون نَبْسةً، ومنه: المُجَثَّمةُ التي جاء النهي عنها، وهي البهيمةُ تُربَط وتُجمَع قوائمُها لتُرمَى.

وعن جابرٍ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا مرَّ بالحجْرِ قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألها قومُ صالح فأخذَتْهم الصيحةُ فلم يبقَ منهم إلّا رجلٌ واحدٌ كان في حرم الله»، قالوا: مَن هو؟ قال: «ذاك أبو رِغالٍ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومَه».

قوله: (**واستعجالهم له**) أي: للعذاب؛ لأنّ مِن حقّ مَن خاف النازلة حذر واحترز فضلًا عن أن يستعجل نزولها، والدليل على[1] أنّ[2] استعجالهم كان للتكذيب تعليقهم استعجال العذاب بقوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، وقد أنكروا أنّه[3] مِن المرسلين في قولهم: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

قوله: (**لا ينبِسُون**) الجوهري: «ما نبس بكلمة، أي: ما تكلّم».[4]

قوله: (**المُجَثَّمة**) بفتح الثاء المثلّثة: «المصبورة، إلّا أنّها في الطير خاصّة والأرانب وأشباه ذلك يجثّم ثمّ يرمى حتّى تُقتل»،[5] ذلك بأن يُجعَل كالهدف.

---

[1] ن ر: عن.

[2] ن ر - أنّ.

[3] ن ر: لأنّه.

[4] **الصحاح** للجوهري، «نبس».

[5] **الصحاح** للجوهري، «جثم».

وروي: أنَّ صالحًا كان بعثه إلى قوم فخالف أمرَه.

وروي: أنه مرَّ بقبر أبي رغال فقال: «أتدرون مَن هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلمُ، فذكر قصَّة أبي رِغال، وأنه دُفن هاهنا ودُفن معه غُصنٌ من ذَهَب، فابتدروه وبَحَثُوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغُصنَ.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٧٩﴾

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ الظاهرُ أنه كان مُشاهِدًا لِمَا جَرَى عليهم، وأنه تولَّى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تَوَلِّيَ مُغْتَمٍّ متحسِّرٍ على ما فاتَه من إيمانهم، يتحزَّنُ لهم ويقول: يا قوم! لقد بذَلتُ فيكم وُسْعي ولم آلُ جهدًا في إبلاغِكم والنصيحةِ لكم، ولكنكم ﴿لَا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

ويجوز أن يتولَّى عنهم تَوَلِّيَ ذاهبٍ عنهم مُنكرٍ لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب.

وروي: أن عَقْرَهم الناقةَ كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذابُ يوم السبت.

وروي: أنه خرج في مئة وعشرةٍ من المسلمين وهو يبكي، فالتفتَ فرأى الدخان ساطعًا فعلم أنهم قد هلكوا، وكانوا ألفًا وخمسَ مئةِ دارٍ.

وروي: أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم.

فإن قلتَ: كيف صحَّ خطابُ المَوتى وقولُه: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾؟

قلتُ: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميِّت وكان قد نَصَحه فلم يسمَعْ منه حتى ألقى بنفسه في التهلُكة: يا أخي، كم نصحتُك وكم قلتُ لك فلم تَقبل منِّي! وقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ حكايةُ حالٍ ماضيةٍ.

قوله: **(وكانوا ألفًا وخمس مئة دار)** أي: كانت دورهم ألفًا وخمس مئة، فحذف المضاف فانقلب الضمير المجرور مرفوعًا، كما مرَّ في قوله: ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف ٧/٥٨]، أي: لا يخرج نباته.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَلُوطًا﴾: وأرسلنا لوطًا، و﴿إِذْ﴾ ظرفٌ لـ"أرسلنا"، أو: واذكُرْ لوطًا و﴿إِذْ﴾ بدلٌ منه بمعنى: واذكر وقتَ: ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: أتفعلون السيّئةَ المتماديَةَ في القبح.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾: ما عَمِلَها قبلَكم، والباءُ للتعدية من قولك: "سبقْتُه بالكُرةِ" إذا ضربتَها قبله، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «سَبَقَك بها عُكاشَةُ».

قوله: **(أو: واذكر لوطًا)** على هذا عطف جملة القصة على مثلها، وعلى الأوّل هو مِن عطف بعض مفردات الجملة على مثلها، أي: لقد أرسلنا نوحًا[١] ولوطًا.[٢] وقوله: **(﴿إِذْ﴾ ظرف لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾)** لا شكّ أنّ الوقت الحقيقيّ لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ هو الجزء المعيّن مِن الزمان الذي وقع فيه هذا الكلام، وذلك الجزء لا يصحّ أن يكون ظرفًا للإرسال، لكن كما أنّ ذلك الجزء زمان هذا القول فكذلك ذلك اليوم الذي هذا الجزء مِن الزمان واقع فيه وذلك الشهر وتلك السنة والقرن،[٣] فهذا يصحّ كونه ظرفًا لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾. فتأمّل فإنّه لطيف يتحقّق بتحقيق معنى الزمن[٤] الحقيقيّ. وعلى عطف القصّة على القصّة ﴿إِذْ﴾ بدل مِن لوط بدل الاشتمال. وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يقال: أتى، أي: فعل، قال تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم ٦١/١٩]، أي: مفعولًا.

قوله: **(سبقتُه بالكُرة)** أي: بضرب الكُرة، والأصل: سبقت ضربه الكُرة بضربي الكُرة، أي: صيَّرت ضربي الكُرة سابقًا على ضربه الكرة، وهذا معنى قوله: **(إذا ضربتَها قبله)** وكذا «سبقك»، أي: سبق طَلِبَتك بالطَّلِبة، أي: بطَلِبَته عكاشة، أي: صيّر طَلِبَته سابقًا على طَلِبَتك، وذلك أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يذكر بعض أحوال أهل الجنّة فقام عكاشة قال: «يا رسول الله ادعُ الله لي أن أكون منهم»، فدعا له النبي صلّى الله عليه وسلّم. ثم قال آخر

---

[١] ر: لوطًا.
[٢] ر: ونوحًا.
[٣] ن ر: القران.
[٤] ن ر: الابن.

﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿مِنْ﴾ الأولى زائدةٌ لتوكيد النفي وإفادةِ معنى الاستغراق، والثانيةُ للتبعيض.

فإن قلتَ: ما موقعُ هذه الجملة؟

قلتُ: هي جملةٌ مستأنفةٌ، أنكرَ عليهم أوّلًا بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ ثم وبَّخهم عليها فقال: أنتم أوَّلُ مَن عَمِلها، أو على أنّه جوابٌ لسؤال مقدَّرٍ؛ كأنّهم قالوا: لِمَ لا نأتِيها؟ فقال: ما سبَقَكم بها أحدٌ فلا تفعلوا ما لم تُسْبَقوا به.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿أَئِنَّكم لتأتونَ الرِّجالَ﴾ بيانٌ لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾، والهمزةُ مثلُها في ﴿أَتَأْتُونَ﴾ للإنكار والتعظيم، وقرئ: ﴿إِنَّكُمْ﴾ على الإخبار المستأنَف.

وطلب مِن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الدعاء فقال صلّى الله عليه وسلّم: «سبقك بها عُكاشة».[١] قال صاحب **الجامع**: «عُكاشة بضم العين وتشديد الكاف وتخفيفها، والتشديد أكثر».[٢]

قوله: (**والثانية للتبعيض**) فيكون بدلًا مِن محلّ ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾، أي: ما سبقكم بها بعض العالمين.

قوله: (**فإن قلتَ: ما موقع هذه الجملة؟**) أي: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله: (**جملة مستأنفة**) أي: مبتدأة مؤكِّدة لمعنى الإنكار. وإنّما قلنا:[٣] "مبتدأة" ليُعلم أنّ معنى قوله: "مستأنَفة" وارد على اللغة لا على الاصطلاح، لقوله بعد ذلك: (**أو على أنّه / جواب لسؤال مقدَّر**) وذلك هو المستأنَفة المصطلحة. [٣٤٩و]

قوله: (**وقرئ: ﴿إِنَّكُمْ﴾**) على الإخبار نافع وحفص.[٤]

---

[١] بلفظ قريب في صحيح البخاري، ١٢٦/٧ (٥٧٠٥)؛ وصحيح مسلم، ١٩٧/١ (٢١٦).

[٢] جامع الأصول لابن الأثير، ٦٠٥/١٢.

[٣] ر + وإنما قلنا.

[٤] قرأ بها نافع وحفص وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٧١/١.

﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ من أتى المرأةَ: إذا غشيَها.

﴿شَهْوَةً﴾ مفعولٌ له؛ أي: للاشتهاء لا حامِلَ لكم عليه إلّا مجرَّدُ الشهوة من غيرِ داعٍ آخرَ، ولا ذمَّ أعظمُ منه؛ لأنه وصفٌ لهم بالبهيميَّة، وأنه لا داعِيَ لهم من جهة العقل ألبتَّة كطلب النَّسْل ونحوِهِ.

أو حالٌ بمعنى: مشتهِين تابعين للشهوة غيرَ مُلتفِتِينَ إلى السّماجَةِ.

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أضرَبَ عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكابَ القبائح وتدعو إلى اتِّباع الشهواتِ، وهو أنَّهم قومٌ عادتُهم الإسرافُ وتجاوُزُ الحدود في كلِّ شيء، فمِن ثَمَّ أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المُعتادَ إلى غير المعتادِ، ونحوُه: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٦٦].

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ يعني: ما أجابوه بما يكون جوابًا عمَّا كلَّمهم به لوطٌ عليه السلام: من إنكارِ الفاحشة، وتعظيم أمرها، ووَسْمِهم بسِمَةِ الإسراف الذي هو أصل الشرِّ كلِّه، ولكنَّهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلَّق بكلامه ونصيحته؛ من الأمر بإخراجه ومَن معه من المؤمنين من قريتهم ضَجَرًا بهم وبما يُسمعونهم من وعظِهم ونُصْحهم.

قوله: (ونحوِه) كالإحصان[١] والتعفُّف.

قوله: (ومَن معه مِن المؤمنين)[٢] عطف على الضمير المجرور مِن غير إعادة الجارّ، أو الواو بمعنى "مع" و"مَن" منصوب؛ لأنّه مفعول معه، وهذا هو الوجه.

قوله: "مِن المؤمنين" بيان "مَن". وقوله: (ضجرًا[٣] بهم)،[٤] أي: بلوط وبمَن معه مِن المؤمنين. وقوله: (بما يسمعونهم) أي: يسمع لوط ومَن معه مِن المؤمنين[٥] إيّاهم.

---

١ ر: بالإحصان.
٢ ر + بيان من. وقوله.
٣ ر: هجرانهم.
٤ ر - بهم.
٥ ر - من المؤمنين.

وقولُهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ سُخريةٌ بهم وبتطهُّرهم من الفواحش، وافتخارٌ بما كانوا فيه من القَذَارَةِ؛ كما يقول الشُّطَّارُ من الفَسَقَةِ لبعض الصُّلحاء إذا وعَظَهم: أَبْعِدُوا عنَّا هذا المتقشِّفَ وأريحُونا من هذا المتزهِّد.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿وَأَهْلَهُۥ﴾: ومَن يختصُّ به مِن ذَوِيه أو من المؤمنين.

﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: مِن الذين غبَروا في ديارهم؛ أي: بقُوا فهلكوا، والتذكيرُ لتغليب الذكور على الإناث، وكانت كافرةً مواليةً لأهل سدُومَ، وروي: أنها التفَتتْ فأصابَها حَجَرٌ فماتَتْ.

وقيل: كانت المؤتَفِكَةُ خمسَ مدائنَ.

وقيل: كانوا أربعةَ آلافٍ بين الشام والمدينة، فأَمطر الله عليهم الكِبْريتَ والنارَ.

وقيل: خُسِف بالمقيمين منهم وأُمطرت الحجارةُ على مُسافرِيهم وشُذَّاذِهم.

قولـه: (**الشُّطّار**) «الشاطر: الذي أعيا أهله خبثًا. وقد شَطَر وشَطُر،[١] شطارةً فيهما».[٢]

قوله: (**المتقشِّف**) «الذي لا يتعاهد النظافة، ثمّ قيل للمتزهِّد الذي يقنع بالمرقَّع مِن الثياب والوسِخ: متقشِّف، من القَشَف،[٣] وهو: شدّة العيش وخشونته».[٤]

قوله: (**وكانت كافرة مُوالِيةً**) والواو للحال، و"قد" مقدَّرة، والعامل تغليب الذكور.

قوله: (**ورُوي أنّها التفتَت**) عطف على قوله: (**مِن الذين غبروا**[٥] **في ديارهم**).

قوله: (**وشذّاذهم**) الجوهري: «شذّاذ الناس: الذين يكونون في القوم وليسوا مِن قبائلهم».[٦]

---

١ ن ر: شطره.
٢ **الصحاح** للجوهري، «شطر».
٣ ن – من القشف.
٤ **المُغرب** للمُطرِّزي، «قشف».
٥ ن ر: غيروا.
٦ **الصحاح** للجوهري، «شذذ».

وقيل: أُمطر عليهم ثم خُسف بهم.

ورُوي: أن تاجِرًا منهم كان في الحرم، فوقف له الحجرُ أربعين يومًا حتى قضَى تجارتَه وخَرجَ من الحرم فوقع عليه.

فإن قلتَ: أيُّ فرق بين «مَطَرَ» و«أَمْطَرَ»؟

قلتُ: يقال: مطرَتْهم السماءُ، ووادٍ ممطورٌ، وفي نوابغِ الكَلِم: «حَرًى غيرُ مَطُورٍ حَرًى أن يكون غيرَ ممطور».

ومعنى مطرَتْهم: أصابتْهم بالمطر؛ كقولهم: غاثَتْهم ووبَلَتْهم وجادَتْهم ورَهَمَتْهم، ويقال: أمطرَتْ عليهم كذا، ....

قوله: **(حَرًى)**[١] الجوهري: الحَرى بفتح الحاء مقصورًا: الساحة. يقال: حَرًى[٢] أن يفعل ذلك بالفتح، أي: خليق جدير. لا يثنّى ولا يجمع.[٣]

قوله: **(غيرُ مَطُور)** هو مِن قولهم: هو لا يَطور حوله. يقال: «مَطَر الرجل في الأرض مُطُورًا:[٤] ذهب».[٥]

قوله: **(ورَهَمَتْهم)**[٦] «الرِّهْمَة بالكسر: المَطْرة الضعيفة الدائمة، والجمع رِهَم ورِهَام. وروضة مَرهومة».[٧]

قوله: **(ويقال: أمطَرَت[٨] عليهم كذا)** عطف على **(يقال: مَطَرتْهم السماء)** **الانتصاف**: قصدُه الردّ على مَن قال: "مَطَر" في الخير و"أمطَر" في الشر، وبيّن أن "أمطَر" بمعنى أرسل إرسال المطر خيرًا كان أو شرًّا، لكن اتّفق أنّ[٩] السماء لم تُرسل شيئًا يُشبه[١٠] المطر إلّا كان عذابًا، فمِن هنا[١١] أوهم الوهم لذلك القائل.[١٢]

---

١ ن: الحرى؛ ر: جرى.

٢ ر: جرى.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حرا»، وفيه: «هو حرًى أن يفعل».

٤ ر: مطرًا.

٥ **الصحاح** للجوهري، «مطر».

٦ ن: ورهمته.

٧ **الصحاح** للجوهري، «رهم».

٨ ن ر: أمطر.

٩ ن ر – أنّ.

١٠ ر: شبه.

١١ ر: ههنا.

١٢ انظر: **الانتصاف** لابن المنيّر، ٩٢/٢.

بمعنى: أرسلَتْه عليهم إرسالَ المطر ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال ٨/٣٢] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

ومعنى ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: وأرسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيبًا، يعني: الحجارةَ، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

كان يقال لشعيب عليه السلام: خطيبُ الأنبياء؛ لحُسن مراجعته قومَه، وكانوا أهلَ بخسٍ للمكاييل والموازين.

﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: معجزةٌ شاهدةٌ بصحَّة نبوَّتي أَوْجَبَتْ عليكم الإيمانَ بي والأخذَ بما آمُرُكم به والانتهاءَ عمَّا أَنْهاكم عنه فأَوْفوا ولا تَبْخَسوا.

فإن قلتَ: ما كانت معجزتُه؟

قلتُ: قد وقع العلمُ بأنه كانت له معجزةٌ؛ لقوله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ ولأنه لا بُدَّ لمدَّعي النبوة من معجزةٍ تشهدُ له وتُصدِّقه وإلَّا لم تصحَّ دعواه

قلتُ: يعني قوله: "أمطرت عليهم كذا" مُطلَق يحتمل الخير والشرّ. وليس كذلك؛ لأنّ المصنّف جعل هذا المثال مقدِّمة للأمثلة بعده وهي في الشرّ.

قوله: (ومعنى ﴿أَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾) شبّه الحَجَر بالمطر، ثمّ ذُكر المطر وأريدَ الحَجَر، فهو استعارة وقرينتُه قوله: ﴿أَمْطَرْنَا﴾، إذ معناه "جعل الشيء مطرًا". وكذا قوله: ﴿فَسَآءَ﴾ [الشعراء ٢٦/١٧٣]... إلخ، قرينة أيضًا.

قوله: (فإن قلتَ: ما كانت معجزتُه؟) أي: آيتُه[١] التي[٢] كانت معجزته، نحو "ما كانت حاجته".

---

[١] ر: آية.

[٢] ر: النبي.

وكان مُتنبِّئًا لا نبيًّا، غيرَ أن معجزتَه لم تُذكر في القرآن كما لم تُذْكر أكثرُ معجزات نبيّنا صلى الله عليه وسلم فيه.

ومِن معجزات شعيب عليه السلام: ما رُوي من محاربَة عصَى موسَى عليه السلامُ التِّنِّينَ حين دفع إليه غنَمَه، وولادةِ الغنم الدُّرْعَ خاصَّةً حين وعده أن تكون له الدُّرْعُ من أولادها، ووقوعُ عصا آدم عليه السلام على يده في المرَّات السبع، وغيرُ ذلك من الآيات؛ لأن هذه كلَّها كانت قبل أن يُسْتَنْبأ موسى عليه السلام فكانت معجزاتٍ لشعيب.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ وهلَّا قيل: ﴿ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود ٨٤/١١، ٨٥]؛ كما في سورة هود عليه السلام؟

قوله: **(ومِن معجزات شُعيب عليه السلام)**... إلخ، قال القاضي: ما ذكره يحتمل أن يكون كرامة لموسى أو إرهاصًا لنبوّته.[١] قال الإمام: كلام صاحب **الكشّاف** مبنيٌّ على أصل مختلف فيه؛ لأنّ عندنا أن ذلك إرهاص، وهو أن يُظهِر الله تعالى على يد مَن سيصير نبيًّا خوارق العادات، وعند المعتزلة غير جائز.[٢] وفيه نظر؛ لأنّه قال في سورة آل عمران في قوله تعالى:[٣] ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ [آل عمران ٤٢/٣]: «إنّهم كلّموها شفاهًا معجزةً لزكريا أو إرهاصًا لنبوّة عيسى عليه السلام».[٤]

قوله: **(أن تكون له الدُّرَع)** الجوهري:[٥] الأدرع[٦] مِن الخيل والشاة: ما اسودّ رأسه وابيضّ سائره، والأنثى دَرْعاء. الدُّرَع: جمع أدرَع، وهو: الشاة التي فيها سواد وبياض.[٧]

قوله: **(وغيرُ ذلك مِن الآيات)** كلّ هذا ليس بقطعيّ؛ لأنّه يحتمل أن يكون إرهاصًا لنبوّة عيسى عليه السلام.

قوله:[٨] **(فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿ٱلْكَيْلَ﴾؟)**... إلخ، وجهُ السؤال أنّ المناسِب للكيل الوزن لا المِيزان وللميزان المِكيال لا الكيل.[٩]

---

١ انظر: **تفسير البيضاوي**، ٥٥٧/١ (الأعراف، ٨٥/٧).
٢ انظر: **تفسير الرازي**، ١٨٠/١٤-١٨١ (الأعراف، ٨٥/٧).
٣ ر - تعالى.
٤ **الكشّاف** للزمخشري، (الأعراف، ٨٥/٧).
٥ ر: الجوهر.
٦ ن ر - الأدرع.
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «درع».
٨ ن ر - قوله.
٩ ر - الوزن لا الميزان وللميزان المكيال **لا الكيل**.

قلتُ: أريدَ بالكيل: آلةُ الكيل وهو المِكيال، أو سُمِّي ما يُكال به بالكيل؛ كما قيل: "العيش" لِمَا يُعاش به، أو أريد: فأوفوا الكيل ووزنَ الميزان.

ويجوز أن يكون "الميزان" كالميعاد والميلادِ بمعنى المصدر.

ويقال: بخَسْتُه حقَّه: إذا نقَصْتَه إيَّاه، ومنه قيل للمَكْس: البَخْسُ، وفي أمثالهم: "تحسِبُها حَمْقاءَ وهي باخسٌ".

وقيل: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾؛ لأنهم كانوا يَبخَسون الناسَ كلَّ شيء في مبايعاتهم، أو كانوا مكَّاسين لا يَدَعُون شيئًا إلَّا مَكَسُوه كما يَفعل أُمراءُ الحرمين.

وروي: أنهم كانوا إذا دخل الغريبُ بَلَدَهم أخَذَوا دراهِمَه الجيادَ وقالوا: هي زُيوفٌ، فقطَّعوها قُطاعًا ثم أخذوها بنقصانٍ ظاهرٍ، أو أعطَوْه بدَلَها زُيوفًا.

قوله: (**قلتُ: أريدَ**[1] **بالكيل آلةُ الكيل**) كأنَّه قيل: فأوفوا آلةَ الكيل.

قوله: (**ووَزنَ المِيزان**)، يعني: على حذف المضاف.

قوله: (**ومنه قيل للمَكْس: البَخْس**) **المُغرِب**: المَكْس في البيع: استنقاص الثمنِ. والمَكْس أيضًا: الجباية.[2] / ومنه المكّاس: العشّار. ومنه لا يدخل صاحب المَكْس الجنة.[3] فقوله: (**أو كانوا مكّاسين**) مبنيّ على الوجه الثاني. [٣٤٩ظ]

قوله: («**وهي**[4] **باخس**»)[5] وتأويله[6] "إنسان باخس" أو "هي ذات بَخْس"، كـ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة ٢١/٦٩] على طريق النسب،[7] كـ"لابن" و"تامر"، قال ثعلب: يضرب هذا المثل لمِن يتباله وفيه دَهْي.[8]

قوله:[9] (**فقطَّعوها قُطاعًا**) إذ مِن عادة الصيرفيّ قطعُ الدراهم المغشوشة، وهم يفعلونه[10] بهذه[11] العلّة مع أنّها لم تكن كذلك.

---

[1] ر: لزيد.
[2] ن ر: الجناية.
[3] انظر: المغرب للمطرّزي، «مكس».
[4] ر: وهو.
[5] **مجمع الأمثال** للميداني، ١٢٣/١.
[6] ن: أو تأويل.
[7] ر: التسبب.
[8] ن ر + وجريره.
[9] ن - قوله.
[10] ر: يفعلون.
[11] ر: هذه.

﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾: بعد الإصلاح فيها؛ أي: لا تُفسدوا فيها بعدما أصلحَ فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملِين بشرائعهم، وإضافتُه كإضافة قوله: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ ٣٣/٣٤] بمعنى: بل مَكْرُكم في الليل والنهار.

أو: بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى ما ذُكر من الوفاء بالكيل والميزان وتركِ البخس والإفساد في الأرض، أو إلى العمل بما أمَرَهم به ونهاهم عنه.

ومعنى: ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ يعني: في الإنسانية وحُسْنِ الأُحْدُوثة، وما تطلبونَه من التكسُّب والتربُّحِ؛ لأن الناس أرغبُ في مُتاجَرَتِكم إذا عَرفوا منكم الأمانةَ والسويَّةَ.

﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن كنتم مصدِّقين لي في قولي: ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٨٦﴾

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: ....

قوله: (**وإضافتُه**) أي: إضافة الإصلاح إلى الأرض.

قوله: (**الأُحدُوثة**) الأحدوثة: ما يُتحدّث به.

قوله: (**يعني: في الإنسانية وحُسنِ الأُحدُوثة**) أي: ما يتحدّث به الناس، وهو مِن باب الاستدراج وإرخاء العِنان؛ لأنّ الكلام مع الكفّار، ولو كان مع المؤمنين لقيل: "لَكان خيرًا لكم عند الله مِن الثواب والدرجات"، ولذلك فسّر قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بقوله: (**إن كنتم مصدِّقين**)، فعُلم منه أنّ شعيبًا عليه السلام كان مشهورًا عندهم[١] بالصدق والأمانة كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مشهورًا عند قومه بالأمين.

---

[١] ر - كان مشهورًا عندهم.

ولا تقتدوا بالشيطان في قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف ١٦/٧] فتقعدوا بكلِّ صراط؛ أي: بكلِّ منهاجٍ من مناهج الدِّين، والدليلُ على أن المراد بالصراط سبيلُ الحقِّ قولُه: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

ومحلُّ ﴿تُوعِدُونَ﴾ وما عُطف عليه: النصبُ على الحال؛ أي: ولا تقعدوا مُوعِدِين وصادِّين عن سبيل الله وباغيها عوجًا.

فإن قلتَ: صراطُ الحق واحدٌ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام ١٥٣/٦] فكيف قيل: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾؟

قلتُ: صراطُ الحق واحد ولكنَّه يتشَعَّبُ إلى معارفَ وحُدودٍ وأحكامٍ كثيرةٍ مختلفةٍ، فكانوا إذا رأوا أحدًا يَشرَع في شيء منها أوعَدُوه وصَدُّوه.

فإن قلتَ: إلامَ يرجع الضمير في ﴿ءَامَنَ بِهِۦ﴾؟

قلتُ: إلى "كلِّ صراط"، تقديرُه: تُوعِدون من آمن به وتصدُّون عنه، فوُضع الظاهرُ الذي هو ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ موضعَ الضمير زيادةً في تقبيح أمرهم ودِلالةً على عِظَمِ ما يصدُّون عنه.

وقيل: كانوا يجلسون على الطرُق والمراصدِ فيقولون لمن مرَّ بهم: إنَّ شُعيبًا كذَّاب فلا يفتنَّنكم عن دينكم، كما كان يفعلُ قُريش بمكةَ.

وقيل: كانوا يَقطعون الطرُقَ.

وقيل: كانوا عَشَّارين.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: وتطلبون لسبيلِ الله عِوجًا؛ أي: تصفونها للناس بأنها سبيلٌ معوجَّةٌ غيرُ مستقيمة لتَصدُّوهم عن سلوكها والدخول فيها.

قوله:[١] **(ولا تقتدوا[٢] بالشيطان) في قوله**: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ [الأعراف ١٦/٧]، **يعني** القعود على الصراط، تمثيل.

قوله: **(وباغيها) هي جمع حُذفت النون بالإضافة، فهو بإسكان الياء.**

---

١ ن ر - قوله.

٢ ر: تعقدوا.

أو يكون تهكُّمًا بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محالٌ؛ لأن طريق الحقِّ لا يَعوَجُّ.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ ﴿إِذْ﴾ مفعولٌ به غيرُ ظرفٍ؛ أي: واذكروا على جهة الشُّكر وقتَ كونكم قليلًا عددُكم ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ الله ووفَّر عددكم.

قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوَّج بنتَ لوطٍ فولدَت، فرَمَى اللهُ في نسلهما بالبركة والنَّماء فكثروا وفشَوْا.

ويجوز: إذْ كنتم مُقلِّين فقراء فجعلكم مُكْثِرين موسِرين، أو: كنتُم أقلَّةً أذلَّةً فأعزَّكم بكثرة العَدد والعُدد.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: آخِرُ أمرِ مَن أَفْسدَ قبلكم من الأمم كقومِ نوحٍ وهودٍ وصالح ولوط، وكانوا قريبي العهدِ مما أصَاب المؤتفكةَ.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾: فتربَّصوا وانتظِروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾؛ أي: بين الفريقين، بأن ينصر المحقِّين على المبطِلين ويُظهرَهم عليهم، وهذا وعيدٌ للكافرين بانتقامِ الله منهم؛ كقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة ٩/٥٢].

أو هو موعظةٌ للمؤمنين وحثٌّ على الصبر واحتمالِ ما كان يلحقُهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقِمَ لهم منهم.

ويجوز أن يكون خطابًا للفريقين؛ أي: ليصبرِ المؤمنون على أذى الكفَّار ولْيَصْبرِ الكفَّارُ على ما يَسُوؤهم من إيمانِ مَن آمَن منهم حتى يحكُمَ الله فيميّزَ الخبيثَ من الطيِّبْ.

قوله: **(المؤتفكة)** المؤتفكات: قريات قوم لوط. ائتفكت، أي: انقلبت.

قوله: **(أو هو عِظَة)** عطف على قوله: (**﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ فتربصوا**)،[1] يعني: إن كان الخطاب للكافرين فمعنى ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾: فتربصوا،[2] إذ ليس المراد أمرهم بالصبر، والمعنى على ما ذكر.

---

[1] ن ر: وتربصوا.

[2] ر: وتربصوا.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأنَّ حكمَه حقٌّ وعدلٌ لا يُخَاف فيه الحَيْفُ.

أي: ليكونن أحدُ الأمرين: إمَّا إخراجُكم وإما عودُكم إلى الكفر.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

فإنْ قلتَ: كيف خاطبوا شعيبًا عليه السلام بالعَود في الكفر في قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ وكيف أجابهم بقوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَا﴾ والأنبياءُ عليهم السلام لا يجوزُ عليهم من الصَّغائر إلا ما ليس فيه تنفيرٌ، فَضْلًا عن الكبائر، فضلًا عن الكفر؟

قلتُ: لمَّا قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ﴾ فعطَفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ فغلَّبوا الجماعةَ على الواحد فجعلوهم عائدِين جميعًا إجراءً للكلام على حُكم التغليبِ، وعلى ذلك أَجْرَى شعيبٌ عليه السلام جوابَهُ ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ وهو يريد عودَ قومه، إلا أنه نَظَم نفسَه في جُملتهم وإن كان بريئًا من ذلك إجراءً لِكلامهِ على حُكم التغليب.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ والله تعالى متعالٍ أن يشاء رِدَّةَ المؤمنين وعودَهم في الكفر؟

قلتُ: معناه: إلّا أن يشاء الله خِذلانَنا ومَنْعَنا الألطافَ لعِلْمِه أنها لا تَنفعُ فينا وتكون عبَثًا، والعبَثُ قبيحٌ لا يفعلُه الحكيم، والدليل عليه قولُه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: هو عالمٌ بكلِّ شيءٍ مما كان وما يكون، فهو يعلمُ

قوله: (**والدليل عليه قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ﴾**) أي: والدليل على أنَّ المراد بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الخذلانُ ومنعُ الألطاف لا الردَّة.

أو يكون تهكُّمًا بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محالٌ؛ لأن طريق الحقّ لا يَعوَجُّ.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ ﴿إِذۡ﴾ مفعولٌ به غيرُ ظرفٍ؛ أي: واذكروا على جهة الشُّكر وقتَ كونكم قليلًا عددُكم ﴿فَكَثَّرَكُمۡ﴾ الله ووفَّر عددكم.

قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوَّج بنتَ لوطٍ فولدَت، فرَمَى اللهُ في نسلهما بالبركة والنَّماء فكثروا وفشَوْا.

ويجوز: إذْ كنتم مُقلِّين فقراء فجعلكم مُكثِرين موسِرين، أو: كنتُم أقلَّةً أذلَّةً فأعزَّكم بكثرة العَدد والعُدد.

﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: آخِرُ أمرِ مَن أفسدَ قبلكم من الأمم كقومِ نوحٍ وهودٍ وصالح ولوط، وكانوا قريبي العهدِ مما أصَاب المؤتفكةَ.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧﴾

﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾: فتربَّصوا وانتظِروا ﴿حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَا﴾؛ أي: بين الفريقين، بأن ينصر المحِقِّين على المبطِلين ويُظهرَهم عليهم، وهذا وعيدٌ للكافرين بانتقامِ الله منهم؛ كقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة ٩/٥٢].

أو هو موعظةٌ للمؤمنين وحثٌّ على الصبر واحتمالِ ما كان يلحقُهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقِمَ لهم منهم.

ويجوز أن يكون خطابًا للفريقين؛ أي: ليصبرِ المؤمنون على أذى الكفَّار ولْيَصْبرِ الكفَّارُ على ما يَسُوؤهم من إيمانِ مَن آمَن منهم حتى يحكُمَ الله فيميِّزَ الخبيثَ من الطيِّبْ.

قوله: **(المؤتفكة)** المؤتفكات: قريات قوم لوط. ائتفكت، أي: انقلبت.

قوله: **(أو هو عِظَة)** عطف على قوله: **(﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾ فتربصوا)**،[1] يعني: إن كان الخطاب للكافرين فمعنى ﴿فَٱصۡبِرُواْ﴾: فتربصوا،[2] إذ ليس المراد أمرهم بالصبر، والمعنى على ما ذكر.

---

[1] ن ر: وتربصوا.

[2] ر: وتربصوا.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾؛ لأنَّ حكمَه حقٌّ وعدلٌ لا يُخَاف فيه الحَيْف.

أي: ليكونن أحدُ الأمرين: إمَّا إخراجُكم وإما عودُكم إلى الكفر.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

فإنْ قلتَ: كيف خاطبوا شعيبًا عليه السلام بالعَود في الكفر في قولهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ وكيف أجابهم بقوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ والأنبياءُ عليهم السلام لا يجوزُ عليهم من الصَّغائر إلا ما ليس فيه تنفيرٌ، فَضْلًا عن الكبائر، فضلًا عن الكفر؟

قلتُ: لمَّا قالوا: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ﴾ فعطَفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ فغلَّبوا الجماعةَ على الواحد فجعلوهم عائدِين جميعًا إجراءً للكلام على حُكم التغليبِ، وعلى ذلك أَجْرَى شعيبٌ عليه السلام جوابَهُ ﴿إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ وهو يريد عودَ قومه، إلا أنه نَظَم نفسَه في جُملتهم وإن كان بريئًا من ذلك إجراءً لِكلامِهِ على حُكم التغليب.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ والله تعالى متعالٍ أن يشاء رِدَّةَ المؤمنين وعودَهم في الكفر؟

قلتُ: معناه: إلَّا أن يشاء الله خِذلانَنَا ومَنْعَنا الألطافَ لعِلْمِه أنها لا تَنفعُ فينا وتكون عبَثًا، والعبَثُ قبيحٌ لا يفعلُه الحكيم، والدليل عليه قولُه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾؛ أي: هو عالمٌ بكلِّ شيءٍ مما كان وما يكون، فهو يعلمُ

قوله: **(والدليل عليه قوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ﴾)** أي: والدليل على أنَّ المراد بقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الخذلانُ ومنعُ الألطاف لا الردّة.

أحوالَ عبادهِ كيف تتحوَّل، وقلوبَهم كيف تتقلَّب وكيف تقْسُو بعد الرقَّة وتمرضُ بعد الصحَّة وترجِعُ إلى الكفر بعد الإيمان.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أن يثبّتنا على الإيمان ويوفِّقنا لازدياد الإيقان، ويجوز أن يكون قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ حَسْمًا لطمعهم في العودِ؛ لأن مشيئة الله لعَودهم في الكفر مُحالٌ خارجٌ عن الحكمة.

﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزةُ للاستفهام، والواو واوُ الحال، تقديره: أتعيدوننا في ملَّتكم في حال كراهتِنا ومع كوننا كارهين.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ﴾: وما ينبغي لنا، وما يصحُّ.

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾: احْكُم بيننا، والفُتاحَةُ: الحكومةُ.

أو: أَظْهِرْ أمرَنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشفَ بأن تُنزِلَ عليهم عذابًا يتبيَّنُ معه أنهم على الباطل.

﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ كقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف ٨٧/٧].

فإن قلتَ: كيف أُسلوبُ قوله: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾؟

قلت: هو إخبارٌ مقيَّدٌ بالشرط، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون كلامًا مستأنَفًا فيه معنى التعجُّبِ؛ كأنَّهم قالوا: ما أكذَبَنا على الله إن عُدْنا في الكفر بعد الإسلام؛ لأن المرتدَّ أبلغُ في الافتراء من الكافر؛ لأن الكافر مفترٍ على الله الكذبَ حيث يزعُمُ أن لله ندًّا، ولا ندَّ له، والمرتدُّ مثلُه في ذلك وزائدٌ عليه حيث يزعُم أنه قد تبيَّن له ما خفيَ عليه من التمييز بين الحق والباطل.

والثاني: أن يكون قسَمًا على تقدير حذف اللام، بمعنى: والله لقد افترينا على الله كذبًا.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾؛ أي: أشرافُهم للذين دونهم يثبّطونهم عن الإيمان:

﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ لاستبدالكم الضلالةَ بالهدى؛ كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة ١٦/٢].

وقيل: تخسرون باتّباعه فوائدَ البَخْس والتطفيف؛ لأنّه ينهاكم عنها ويَحْمِلكم على الإيفاء والتسوية.

فإن قلتَ: ما جوابُ القسَم الذي وطَّأته اللام في ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ﴾ وجوابُ الشرط؟

قلتُ: قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ سادٌّ مسدَّ الجوابين.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ مبتدأٌ خبرُه ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ وكذلك ﴿كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وفي هذا الابتداءِ معنى الاختصاص؛ كأنّه قيل: الذين كذَّبوا شعيبًا هم المخصوصون بأنْ أُهلِكوا واستُؤصلوا كأنْ لم يقيموا في دارهم؛ لأن الذين اتَّبعوا شعيبًا قد أنجاهم الله، الذين كذَّبوا شعيبًا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتْباعه فإنَّهم الرَّابحون.

وفي هذا الاستئنافِ والابتداءِ وهذا التكرير مبالغةٌ في ردِّ مقالةِ الملأ لأشياعهم، وتَسْفِيهٌ لرأيهم، واستهزاءٌ بنُصْحهم لقومهم، واستعظامٌ لِمَا جرَى عليهم.

"الأَسَى": شدَّةُ الحزن، قال العجاجُ:

وانحلَبَتْ عيناه من فَرْطِ الأَسَى

قوله:

(وانحلبتْ[١] عيناه مِن فرط الأسى)

---

[١] ر: انجلبت.

اشتدَّ حزنُه على قومه، ثم أنكر على نفسِه فقال: فكيف يَشتدُّ حُزْني على قوم ليسوا بأهلٍ للحُزن عليهم لكُفرهم واستحقاقهم لِمَا نزل بهم؟

ويجوز أن يريدَ: لقد أَعْذَرْتُ إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير ممَّا حلَّ بكم فلم تسمعوا قولي ولم تُصدِّقوني ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ عليكم، يعني: أنَّه لا يَأسَى عليهم؛ لأنهم ليسوا أحقَّاءَ بالأَسَى.

وقرأ يحيى بنُ وثَّابٍ: "فكيفَ إِيسَى" بكسر الهمزة.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: بالبُؤس والفقر.

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: بالضُّرِّ والمرَض؛ لاستكبارهم عن اتِّباع نبيِّهم وتعزُّزهم عليه.

﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: ليتضرَّعوا ويتذلَّلوا ويَحُطُّوا أرديةَ الكِبر والعزَّة.

تمامه:

وَكِـيـفَ غَـرْبَـي دالـجٍ تَـبَـجَّـسا[١]

"انحلبت[٢] عيناه"، أي: سال دمع عينيه. و"الأسى": شدة الحزن. والوَكْف: القطر. وغربَي: تثنية الغرب، وهو: الدلو العظيم. والدالج بالجيم: الذي يأخذ الدلو مِن البئر فيُفرغها في الحوض. وتبجَّسا، أي: انفجر بسَعة وكثرة. يقول: سال دمع عينيه مِن شدّة الحزن وَكيفًا مثل وَكِيف دلوَي دالج تفجّر.[٣]

قوله: (**لقد أعذرتُ إليكم في الإبلاغ**) أي: أنهيت المعذور[٤] إليكم وما قصَّرت فيه.

---

١ الرجز للعجّاج في **ديوانه**، ١/١٨٥؛ وهو له في **كتاب الألفاظ** لابن السِّكِّيت، ص ٤٦٥؛ و**المقصور والممدود** للقالي، ص ٣١.

٢ ر: انجلبت.

٣ ر: تفجرا.

٤ ر: العذر.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾؛ أي: أعطيناهم بدلَ ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرَّخاءَ والسعةَ والصحةَ؛ كقوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف ١٦٨/٧].

﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ كثُرُوا ونموْا في أنفسهم وأموالهم، من قولهم: "عفا النباتُ" و"عفا الشحمُ والوَبر": إذا كثرَتْ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «وأعفوا اللِّحَى»، وقال الحُطيئة:

بِمُستأسِدِ القُرْيَان عافٍ نباتهُ

قوله:

(بمستأسِـــدِ القُريـــان عـــافٍ نباتُـــه)[1]

أوله:

فإن نظرتْ يومًا بمُؤخَر عينها ... إلى علم في الغور قالت له ابعَدِ
بأرضٍ ترى فرخَ الحُبارى كأنّه ... بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قُرددِ
بمستأسدِ القريان عافٍ نباته[2] ... تُساقطني والرَّحلَ مِن صوت هدهدِ[3]

نظرت، أي: الناقة. قوله: "في الغور" صفة "علم"، أو حال مِن الضمير. و"قالت" جزاء الشرط، أو صفة "علم"، أو حال مِن الضمير في "فنظرت" فجواب الشرط "تساقطني". "بأرض"... إلخ، صفة أو حال، وكذا "المستأسد". ومعنى "بأرض" البيت: أنّه ليس فيه راكب، وإنّما[4] بدله فيه أفراخ الحبارى. واستأسد[5] النبت: قويَ والتفّ. والقُريان: جمع القَريّ على فعيل، وهو مجرى الماء في الروض.[6] ومُوفٍ: مِن أوفى الشيء، أي: أشرف. «والقَرْدَد: المكان الغليظ المرتفع».[7] قوله: بمستأسد، أي: بموضع قويَ قُريانه، أي: نبات[8] قُريانه. قوله: تُساقطني الناقة لنفوره مِن صوت الهدهد، يعني: إن نظرت الناقة بطرف عينها

---

[1] ر: بيانه.
[2] ر: بنانه.
[3] الأبيات للحطيئة، وبعضها في **ديوانه**، ص ١٤٨.
[4] ن: وإنها.
[5] ن ر: استأنس.
[6] انظر: **الصحاح** للجوهري، «قرا».
[7] **الصحاح** للجوهري، «قرد».
[8] ر: نباته.

قال:

ولكنَّا نُعِضُّ السيفَ منها بأَسْوُقِ عافياتِ الشَّحمِ كُومِ

﴿وَقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ يعني: وأَبْطَرتْهم النعمةُ وأَشِرُوا فقالوا: هذه عادةُ الدهر يُعاقب في الناس بين الضرَّاء والسرَّاء، وقد مسَّ آباءنا نحوُ ذلك وما هو بابتلاءٍ من الله لعباده، فلم يبقَ بعد ابتلائهم بالسيِّئات والحسنات إلَّا أن نأخذَهم بالعذاب.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ أشدَّ الأخذ وأفظعَه، وهو أخذُهم فُجاءَةً من غيرِ شعورٍ منهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

اللام في ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: إشارةٌ إلى القُرى التي دلَّ عليها قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ كأنَّه قال: ولو أنَّ أهلَ تلك القرى الذين كذبوا وأُهلِكوا ﴿ءَامَنُواْ﴾ بَدلَ كُفرهم ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ المعاصيَ مكانَ ارتكابها ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لأتيناهم بالخير من كلِّ وجه.

وقيل: أراد المطرَ والنباتَ.

﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بسوءِ كسْبهم.

إلى هضبة ولم تلتفت إلى تلك الهضبة مِن شدّة سيرها في الغَور، حال مِن ضمير "نظرت"، و"بأرض" بدل مِن[1] "الغور". ثمّ وصف الأرض / بأنّ[2] فراخ الحبارى [٣٥٠و]
فيها كثيرة عالية على ظهر القَرْدَد، وكذا "بمستأسد" بدل مِن "في الغور".

قوله:

(ولكنّا[3] نُعِضّ)[4] البيت[5]

---

[1] ر + في.

[2] ر + من.

[3] ن: ولكنّها.

[4] ر: نقص.

[5] البيت للبيد في **ديوانه**، ص ١٠٤؛ وهو له في **أساس البلاغة** للزمخشري، «عضض»؛ وبلا عزو في **الأضداد** لابن الأنباري، ص ٨٧؛ و**أمالي المرتضى**، ١٩٥/٢.

ويجوز أن تكون اللام في ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾ للجنس.

فإن قلتَ: ما معنى فتحِ البركات عليهم؟

قلتُ: تيسيرُها عليهم كما يُيَسَّرُ أمرُ الأبواب المستغلِقة بفتحها، ومنه قولهم: "فتحتُ على القارئ" إذا تعذَّرَتْ عليه القراءةُ فيَسَّرتَها عليه بالتَّلقين.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾

"البيات" يكون بمعنى البيتوتة، يقال: باتَ بياتًا، ومنه قولُه: ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف ٤/٧] ويكون بمعنى: التبييت؛ كالسلام بمعنى التسليم، يقال: بيَّتَه العدوُّ بياتًا.

فيجوز أن يراد: أن يأتيهم بأسُنا بائتين، أو: وقتَ بياتٍ، أو: مبيَّتًا، أو: مُبَيَّتين،

نُعِضّ: نجعله عاضًا. والباء في "بأسوق"[1] زائدة؛ لأنَّ "نُعِضّ" يتعدّى إلى مفعولين. والأسوق جمع ساق. عافيات اللحم، أي: كثيراته. وكُوم جمع كوماء، وهي: العظيمة السَّنام. تقول: ينحر الأضياف ويعقِر لهم النُّوق السِّمان.

قوله: (**قلتُ: تيسيرُها**)، يعني شبَّه تيسير البركات بفتح الباب، ثمّ قيل: فتحنا، أي: يسَّرنا. فهو استعارة تبعيّة.

قوله: (**المستغلِقة**) بكسر اللام. يقال: استغلق الباب واستصعب الأمر. هذا هو الفصيح[2] المشهور.

قوله: (**فيجوز أن يراد**)... إلخ، يعني: يجوز أن يكون ﴿بَيَٰتًا﴾ مِن الثلاثي ومِن المزيد، فعلى **الأوّل** إمّا حال مِن المفعول أو ظرف أو الوقت مقدر معه، وعلى **الثاني** إمّا[3] مِن الفاعل أو المفعول أو مصدر. والأوجَه أن يكون ظرفًا ليُناسب قوله: ﴿بَأْسُنَا ضُحًى﴾.

---

١ ن: باسق.

٢ ر: الصحيح.

٣ ر + حال.

أو يكون بمعنى تبييتًا؛ كأنه قيل: أن يُبيِّتهم بأسُنا بياتًا.

و﴿ضُحَىٰ﴾ نصبٌ على الظرف، يقال: أتانا ضُحًى وضُحِيًّا وضَحاءً، والضُّحى في الأصل اسم لضَوْء الشمس إذا أشرقَتْ وارتفعَتْ.

والفاءُ والواو في ﴿أَفَأَمِنَ﴾ و﴿أَوَأَمِنَ﴾ حرفا عطفٍ دخلت عليهما همزةُ الإنكار.

فإن قلتَ: ما المعطوفُ عليه؟ ولم عُطفت الأولى بالفاء والثانيةُ بالواو؟

قلتُ: المعطوف عليه قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾، وقولُه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ إلى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ وقع اعتراضًا بين المعطوف والمعطوف عليه، وإنما عُطِف بالفاء؛ لأن المعنى: فعلوا وصنَعوا فأخذناهم بغتةً أَبَعْدَ ذلك أَمِنَ أهل القرى أن يأتيَهم بأسنا بياتًا وأَمِنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى.

وقرئ: "أَوْ أمن" على العطف بـ"أو".

﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يشتغلون بما لا يُجدِي عليهم كأنّهم يلعبون.

فإن قلتَ: فلمَ رَجَعَ فعَطف بالفاء قولَه: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: هو تكريرٌ لقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾.

ومكرُ الله: استعارةٌ لأَخْذه العَبْدَ من حيث لا يشعُر ولاستدراجه، فعَلَى العاقل أن يكون في خوفٍ من مكرِ الله كالمحارب الذي يخاف مِن عدوِّه

قوله:[1] **(فإن قلتَ)** لفساد المعنى، إذ لا يجوز أن يكون البأس[2] بائتًا؛[3] لأنّ القوم هم البائتون،[4] ويتحقّق هذا بالتأمّل في معنى البيات في اللغة كما أشار، يقال: بات يبيت بيتوتةً. وأباتك الله بخير، وبات يفعل ذلك، إذا فعله ليلًا. وبيَّت العدوّ، أي: أوقع بهم ليلًا. ويجيء البيات بمعنيين.[5]

قوله: **(فإن قلتَ: فلِمَ رجع)** أي: فلِمَ رجع عن العطف بالواو فعطف بالفاء.

---

[1] ن - قوله.
[2] ن ر: الناس.
[3] ر: ثابتًا.
[4] ر: الثابتون.
[5] من قوله: "يقال" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «بيت».

الكمينَ والبياتَ والغِيلَةَ.

وعن الرَّبيع بن خُثَيْمٍ: أَن ابنتَه قالت له: ما لي أرَى الناسَ ينامون ولا أراك تنامُ؟ فقال: يا بنتاه، إن أباك يَخاف البياتَ. أراد قوله: ﴿أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾

إذا قرئ: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾ بالياء كان ﴿أَن لَّوۡ نَشَآءُ﴾ مرفوعًا بأنّه فاعلُه بمعنى: أو لم يَهدِ للَّذين يَخلفُون مَن خلا قبلَهم في ديارهم ويَرثونَهم أرضَهم هذا الشأنُ، وهو أنَّا لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم كما أَصَبْنا مَن قبلَهم، وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المُورِّثينَ.

وإذا قرئ بالنون ....

قوله: (**الكمينَ**) «كَمَن كمونًا: توارى واستخفى. ومنه الكمين مِن حِيَل[1] الحرب،[2] وهو أن يستخفوا في مَكمَن لا يُفطَن لهم».[3] وقوله: (**البياتَ**) بمعنى التبييت.

قوله: (**والغِيلةَ**) «بالكسر: الاغتيال. يقال: قتله غِيلةً، وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع، فإذا صار إليه قتله».[4]

قوله: (**إذا[5] قرئ**) ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾ بالياء التحتانيّة[6] المشهورة،[7] وبالنون[8] شاذّة.[9] قال أبو البقاء: «﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ﴾ فاعله أن لو نشاء، وأن مخفّفة مِن الثقيلة، أي: أوَلَم يُبيّن لهم».[10]

١ ر: جيل.

٢ ن ر: العرب.

٣ **المُغرب** للمُطرّزي، «كمن».

٤ **الصحاح** للجوهري، «غيل».

٥ ر: إذ.

٦ ن: التحتاني.

٧ قرأ بها الجمهور.

٨ ر + في.

٩ قراءة شاذّة، مرويّة عن مجاهد وقتادة وأبان والزعفراني وحُميد. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٨٤٠.

١٠ **التبيان** للعكبري، ٥٨٤/١.

فهو منصوبٌ؛ كأنه قيل: أو لم يهدِ اللهُ تعالى للوارثين هذا الشأنَ، بمعنى: أو لم نُبيِّن لهم أنّا لو نشاء ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصَبْنا مَن قبلهم، وإنّما عدّي فعلُ الهداية باللام؛ لأنّه بمعنى التبيين.

فإن قلتَ: بمَ تَعلَّق قوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؟

قلتُ: فيه أوجهٌ: أن يكون معطوفًا على ما دل عليه معنى ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ كأنه قيل: يَغْفُلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم. أو على ﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾. أو يكون منقطعًا بمعنى: ونحن نطبعُ على قلوبهم.

فإن قلتَ: هل يجوز أن يكون ﴿وَنَطْبَعُ﴾ بمعنى: وطبَعْنا، كما كان ﴿لَّوْ نَشَآءُ﴾ بمعنى: لو شئنا، ويُعطفُ على ﴿أَصَبْنَٰهُم﴾؟

قلتُ: لا يساعدُ عليه المعنى؛ لأن القوم كانوا مطبوعًا على قلوبهم موصوفين بصفةِ مَن قبلَهم من اقترافِ الذنوب والإصابة بها، ....

قوله: **(فهو منصوب)** أي: أن لو نشاء. وقوله: **(إنّما عُدّي فعل[1] الهداية باللام؛ لأنّه)** ضمّن[2] أنّه يتعدّى إلى المفعول الثاني باللام أو بـ"إلى" كما سبق، وهنا تعدّى إلى الأوّل باللام.

قوله: "وإنّما عدّي فعل الهداية" على الوجهين، لكن على الوجه الأوّل مفعوله الثاني محذوف، أي: وإن[3] يبيّن هذا الشأن للذين يخلفون مَن خلا قبلهم الطريق المستقيم. وقوله: **(لأنّه بمعنى التبيين)** أي: ضمّن معنى التبيين.

قوله: **(قلتُ: لا يُساعد عليه المعنى)**؛ لأنّه لو عُطف على ما في "لو" لدخل[4] في حكمه وهي لامتناع الشيء لامتناع[5] غيره، فلزم أنّ القوم لم يكونوا مطبوعًا على قلوبهم، والحال أنّهم مطبوعون.

قوله: **(والإصابة بها)** المراد بهذه الإصابة هو أنّهم أذنبوا، وليس بمعنى

---

[1] ر: فعلى.
[2] ر: ضمير.
[3] ر: ولم.
[4] ر: الداخل.
[5] ر - الشيء لامتناع.

وهذا التفسيرُ يؤدِّي إلى خلوِّهم عن هذه الصِّفة، وأنَّ الله لو شاء لاتَّصفوا بها.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ كقوله: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود ١١/٧٢] في أنه مبتدأ وخبرٌ وحالٌ، ويجوز أن يكون ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ صفةً لـ﴿تِلْكَ﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ خبرًا، وأن يكون ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ و﴿نَقُصُّ﴾ خبرًا بعدَ خبر.

فإن قلتَ: ما معنى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ حتى يكون كلامًا مفيدًا؟

قلتُ: هو مفيدٌ، ولكنْ بشرطِ التقييد بالحال؛ كما يُفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك: "هو الرجل الكريم".

فإن قلتَ: ما معنى الإخبارِ عن القرى بـ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾؟

قلتُ: معناه: أن تلك القرى المذكورةَ نقصُّ عليك بعضَ أنبائها ولها أنباءٌ غيرُها لم نقصُصْها عليك.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيء الرُّسل بالبيِّنات بما كذبوه من آيات الله مِن قَبْلِ مجيء الرسل، أو: فما كانوا ليؤمنوا إلى آخرِ أعمارهم بما كذَّبوا به أوَّلًا حين جاءتهم الرُّسُل؛ أي: استَمَرُّوا على التكذيب من لدُنْ مجيء الرسل إليهم

الإصابة في قوله تعالى: ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾، **فالحاشية** المكتوبة بعد هذه ليس بطائل بطولها.

قوله: "والإصابة بها" ذكر ذلك؛ لأنَّها مِن صفة **(مَن قبلهم)، لا لأنَّ القوم** كانوا موصوفين بها؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ يأبى ذلك، ولو اكتفى المصنِّف بقوله: **(لأنَّ القوم كانوا مطبوعًا على قلوبهم)** و**(هذا التفسير يؤدي إلى خلوِّهم)**... إلخ، وتَرَك ما بينهما لكان أحسن؛ لأنَّ قوله: "والإصابة بها" مخلٌّ في غرضه، إلَّا أن يئوَّل بما ذكرناه. أو يقال: "الإصابة هنا" ليست بمعنى الإصابة في قوله تعالى: ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾، وهذا هو الصواب.

إلى أن ماتوا مُصرّين لا يَرْعَوُون ولا تلينُ شكيمتُهم في كفرهم وعِنادهم مع تكرُّر المواعظِ عليهم وتتابُع الآيات.

ومعنى اللام: تأكيدُ النفي، وأنّ الإيمانَ كان مُنافيًا لحالهم في التَّصْميم على الكفر، وعن مجاهد: هو كقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام ٦/٢٨].

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الطبعِ الشديد ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضميرُ للناس على الإطلاق؛ أي: ما وجدنا لأكثر الناس من عهدٍ، يعني: أن أكثرهم نقَضَ عَهدَ الله وميثاقَه في الإيمان والتقوى.

﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾: وإنَّ الشأن والحديثَ وجدنا أكثرهم فاسقين: خارجين عن الطاعة مارِقين.

قوله: (لا يرعوون) أي: لا يمتنعون ولا ينزجرون.

قوله: (شكيمتهم)[١] الشكيمة في اللجام: الحديدة[٢] المعترِضة في فم الفرس، التي فيها الفأس. وفلان / ذو شكيمة[٣] إذا كان شديد النفس أنِفًا أبيًّا. وفلان ذو شكيمة إذا كان[٤] لا ينقاد.[٥] [٣٥٠ظ]

قوله: (ومعنى اللام[٦] تأكيد النفي، وأنّ الإيمان كان منافيًا لحالهم) وأنّ الإيمان تفسير لقوله: تأكيد للنفي.[٧]

قوله: (وعن مجاهد) هذا المرويّ عن مجاهد إشارة إلى تفسير آخرَ لقوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾... إلخ، أي: لو مات هؤلاء[٨] ثمّ أُحيوا وردّوا إلى الدنيا لَما آمنوا.

---

[١] ر - لأنه.

[٢] ن: الجديد.

[٣] ر: الشكيمة.

[٤] ن - شديد النفس أنفًا أبيًا وفلان ذو شكيمة إذا كان.

[٥] من قوله: "الشكيمة" بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «شكم».

[٦] ر: الكلام.

[٧] ر: النفي.

[٨] ر + الأمم.

والآيةُ اعتراضٌ.

ويجوز أن يرجع الضميرُ إلى الأمم المذكورين، وأنّهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضُرٍّ ومخافةٍ: "لئن أنجيتنا لنؤمننّ" ثمّ نجّاهم نكثوا؛ كما قال قومُ فرعون لموسى عليه السلام: ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف ٧/١٣٤] إلى قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٣٥].

والوجود بمعنى العلم، من قولك: "وجدتُ زيدًا ذا الحِفاظ" بدليلِ دخول "إنْ" المخففة واللامِ الفارقة، ولا يَسُوغُ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعالِ الداخلةِ عليهما.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾ الضميرُ للرسل في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾، أو للأمم.

قوله: **(اعتراض)** أي: الآية، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ اعتراض، إن كان الضمير مِن قوله: ﴿لِأَكْثَرِهِم﴾ للناس، وأمّا إن كان الضمير للأمم المذكورين فلا تكون الآية اعتراضًا؛ لأنّها تكون مِن تتمّة الكلام المتقدّم،[1] وأنّهم كانوا إذا عاهدوا نكثوا.

قوله: **(في ضرّ ومخافة: لئن أنجيتنا)**، والتقدير: إذا عاهدوا قائلين:[2] لئن أنجيتنا. والمصنّف: إنّها[3] إلى معنى ما قالوه[4] عند العهد، **لا على إيراد لفظ القرآن** في آية أو آيتين. وقوله: **(ثمّ نجاهم)** معطوف على قوله:[5] **(عاهدوا الله)**. وقوله: **(نكثوا)** جواب **(إذا)**. وقوله: **(لئن أنجيتنا لنؤمننّ)** الجملة اعتراض للبيان.

قوله: **(ذلك)** "أن" المخفّفة واللام الفارقة.

---

[1] ر + قوله.
[2] ر: قلين.
[3] ر: إننا.
[4] ر: قالوا.
[5] ن – قوله.

﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾: فكفروا بآياتنا، أَجرى الظُّلم مجرى الكفر؛ لأنهما من وادٍ واحدٍ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ﴾ [لقمان ٣١/١٣].

أو: فظلموا الناسَ بسببها حين أَوعدُوهم وصدُّوهم عنها وآذَوْا مَن آمَن بها؛ ولأنَّه إذا وجب الإيمانُ بها فكفروا بدَلَ الإيمان كان كفرُهم بها ظُلمًا، فلذلك قيل: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾؛ أي: كفروا بها واضعينَ الكفرَ غيرَ موضعه، وهو موضعُ الإيمان.

يقال لملوك مِصرَ: الفراعِنَةُ؛ كما يقال لملوك فارسَ: الأكاسرةُ، فكأنه قال: يا ملك مصرَ، وكان اسمُه قابوسَ، وقيل: الوَليد بن مُصعَب بن الرَّيَّان.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ فيه أربعُ قراءات: المشهورةُ، و:

وقوله: (﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾) أي: فرعون وملؤه.

قوله: (وآذَوا مَن آمِن بها) هذا على تقدير رجوع الضمير إلى الرسل أن يقال: كفروا بالآيات لِما بين الرسل والآيات مِن الملابسة. والمناسب على تقدير عود الضمير إلى الأمم أن[1] يقال:[2] ظلموا الناس لِما بين الناس والأمم مِن المناسبة، فيه نظر.

قوله: (ولأنّه إذا وجب[3] الإيمان بها) قيل: هو وجه ثانٍ لإطلاق الظلم على الكفر. وقلتُ: بل وجه ثالث. وتقريره أنّ الظلم لا يُعدّى بالباء فتعديته به: إمّا لكونه عبارة عن الكفر بقرينة الباء، وإليه الإشارة بقوله: (أجرى الظلم مجرى الكفر؛ لأنّهما مِن وادٍ واحد)؛ وإمّا لأنّ الباء للسببيّة ومفعول "ظلموا" محذوف، وهو المراد مِن قوله:[4] (فظلموا النّاسَ بسببها)؛ وإمّا أنّ الباء فيه دلالةٌ على تضمين الظلم معنى الكفر، وإليه أشار بقوله: (كفروا بها واضعين[5] للكفر غيرَ موضعه).[6]

---

١ ر – أن.
٢ ر: فقال.
٣ ن: أوجب.
٤ ر + ظلموا.
٥ ر: واصفين.
٦ ن ر: موضوعه.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ وهي قراءةُ نافع، و: "حقيقٌ أنْ لا أقول" وهي قراءة عبد الله، و: "حقيق بأنْ لا أقولَ" وهي قراءة أبيّ.

وفي المشهورة إشكالٌ، ولا تخلو من وجوه:

أحدها: أن تكون مما يُقلبُ من الكلام لِأَمْنِ الإِلْباس؛ كقوله:

وتشقَى الرِّماحُ بالضَّياطِرَةِ الحُمْرِ

ومعناه: وتشقَى الضَّياطرةُ بالرِّماح، و: حقيقٌ عليَّ أنْ لا أقولَ، ....

قوله: **(ولا تخلو)** أي: ولا تخلو صحّة القراءة المشهورة مِن وجوه: أحدها أن يكون مِن باب القلب، كقولهم: "عرضتُ الناقة على الحوض"، فحقُّها "حقيقٌ على ألّا أقول"، كما عليه قراءة نافع،[1] فقلب كما قلب في "آل عمران".

وتلحق خيلٌ[2] لا هوادةَ بينها[3]

البيت لخِداش بن زهير. والضياطرة: جمع ضَيْطَار وضَيْطَر.[4] وهو اسم للخدم. وقيل: «الضيطر: الرجل الضخم الذي لا غَناء عنده. وكذلك الضَّوْطر والضَّوْطرى».[5] والحُمر:[6] العجم؛ لأنّ الشقرة غلبت عليهم، وهم الذين يستخدمون ولا يخدمون. وهو مِن قلب الضرط، وهو الذي يضرط[7] به، أي: يستخفّ. ومنه قول الأشعث بن قيس لعليّ رضي الله عنه: لقد غلبتنا هؤلاء الضياطرة.[8]

قوله: **(ومعناه)** أي: معنى كلّ واحد مِن البيت والآية. ثمّ أشار إلى معنى البيت بقوله: **(وتشقى الضياطرة)**، وإلى معنى الآية بقوله: **(حقيقٌ عليّ)** ففيه لفٌّ ونشر. وقوله: **(وحقيق)** أي: ومعنى الآية.

---

[1] انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٢٨٧؛ والنشر لابن الجزري، ٢٧٠/١.

[2] ن: حبل.

[3] صدر بيت من مجمهرة خداش بن زهير، عجزه:
ونعصي الرِّماح بالضياطرة الحُمرِ
والبيت في ديوانه، ص ٧٩، وتخريجه ثمّة في عمل محقّقه.

[4] ن: ضيطرة.

[5] الصحاح للجوهري، «ضطر».

[6] ن: الحمر.

[7] ر: يضرطه.

[8] بلفظ قريب في مسند أبي يعلى، ٣٢٢/١ (٣٩٩).

وهي قراءةُ نافع.

والثاني: أنَّ ما لزِمَكَ فقد لزِمْتَه، فلمَّا كان قولُ الحقِّ حقيقًا عليه كان هو حقيقًا على قول الحقِّ؛ أي: لازمًا له.

والثالث: أن يُضَمَّنَ ﴿حَقِيقٌ﴾ معنَى: "حريصٌ" كما ضُمِّنَ "هيَّجني" معنى "ذكَّرني" في بيت الكتاب:

إذا تَغَنَّى الحمامُ الوُرْقُ هيَّجني ... ولو تعزَّيتُ عنها أُمَّ عَمَّارِ

والرابعُ -وهو الأوجهُ والأدخل في نُكت القرآن-: أن يُغْرِقَ موسى في وَصْفِ نفسهِ بالصِّدق في ذلك المقام، لا سيَّما وقد رُوي أنَّ عدوَّ الله فرعونَ قال له لمّا قال: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: كذبتَ، فيقول: أنا حقيقٌ على قول الحق؛ أي: واجبٌ على قول الحق أن أكون أنا قائلَه والقائمَ به ولا يَرضَى إلَّا بمثلي ناطقًا به.

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فخلِّهم حتى يذهبوا معي راجِعين إلى الأرض المقدَّسة التي هي وطنُهم ومولدُ آبائهم.

قوله: **(وهي قراءة نافع)** أي: معنى القراءة المشهورة يعود إلى قراءة نافع، وهي "حَقِيقٌ عَلَى أَلَّا أَقُولَ".[١]

قوله: **(أنّ ما لزمك فقد لزِمتَه)** قال صاحب **التقريب**: "حقيق" في هذا الوجه بمعنى اللازم.[٢]

قوله: **(في بيت الكتاب:**

إذا تغنّى الحَمام الوُرق هيّجني ... ولو تعزَّيتُ عنها أمَّ عمّارِ)[٣]

قوله: **(﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾)** لمّا صار يوسف عليه السلام مَلِكًا في مصر مشى إليه أقاربه مِن الأرض[٤] المقدَّسة، فلمّا توفي / وانقرضت الأسباط [٣٥١و]

---

١ مضى تخريجها آنفًا.

٢ انظر: **التقريب** للقطب الفالي، ٥٨ظ.

٣ البيت للنابغة الذبياني في **ديوانه**، ص ٢٠٣؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ١/٢٨٦؛ **والأضداد** لابن الأنباري، ص ٤٢١؛ **والخصائص** لابن جنّي، ٢/٤٢٥.

٤ ر: أرض.

وذلك أن يوسف عليه السلام لمّا تُوفِّي وانقرضتِ الأَسْباطُ غَلَبَ فرعونُ نسلَهم واستعبدَهم، فأنقذهم الله بموسى عليه السلام، وكان بين اليومِ الذي دخل يوسفُ مصرَ واليوم الذي دخله موسى أربعُ مئة عام.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

فإنْ قلتَ: كيف قال له: ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ بعد قوله: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾؟

قلتُ: معناه: إن كنتَ جئتَ مِن عند مَن أرسلك بآيةٍ فائتني بها وأحضِرْها عندي لتَصحَّ دَعْواك ويَثْبُتَ صدقُك.

﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ أمرُه لا يُشكُّ في أنّه ثعبانٌ، وروي أنّه كان ثُعبانًا ذكرًا أشعَرَ فَاغِرًا فاه بين لحيَيْه ثمانُون ذِراعًا وضَعَ لَحْيَه الأسفلَ في الأرض ولَحْيَه الأَعْلى على سُورِ القَصْرِ ثم توجَّه نحو فرعونَ ليأخذَه، فوثَبَ فرعونُ من سريره وهرَب وأحدثَ ولم يكن أحدثَ قبل ذلك، وهَرَب الناسُ وصاحوا وحَمَل على الناس فانهزموا، فماتَ منهم خمسةٌ وعشرون ألفًا قتلَ بَعْضُهم بعضًا، ودَخل فرعون البيتَ وصاحَ: يا موسى خُذه وأنا أُؤمِنُ بك وأُرسل معك بني إسرائيل، فأخذه موسى فعاد عصًى.

غلبهم[١] فرعون، فلمّا جاء موسى أراد أن يرجع بهم إلى مقامهم الأصليّ وهو الأرض المقدَّسة. والأسباط مِن بني إسرائيل كالقبائل مِن العرب وهم اثنا عشرَ سِبطًا.

قوله: **(فاغرًا فاه)** فَغَر فاه، أي: فتحه، فَغَر فوه: انفتح، يتعدّى ولا يتعدّى. وقوله: **(أحدث)** أي: استطلق.

[١] ر: عليهم.

فإن قلتَ: بم يتعلّق ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾؟

قلتُ: يتعلّق بـ﴿بَيْضَآءُ﴾، والمعنى: فإذا هي بيضاءُ للنَّظّارةِ، ولا تكون بيضاءَ للنَّظّارة إلّا إذا كان بياضُها بياضًا عجيبًا خارجًا عن العادة يجتمعُ الناس للنظر إليه كما تجتمعُ النَّظارةُ للعجائب، وذلك ما يُروى: أنه أَرَى فرعون يدَه وقال: ما هذه؟ فقال: يدك! ثم أدخلها جَيْبَه وعليه مدْرعَةُ صُوفٍ ونَزَعها فإذا هي بيضاء بياضًا نُورانيًا غلَبَ شُعاعها شعاعَ الشمس، وكان موسى عليه السلام آدَمَ شديدَ الأُدْمةِ.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: عالمٌ بالسحر ماهرٌ فيه، قد أخذَ عيونَ الناس بخُدعةٍ من خُدَعهِ حتى خَيَّل إليهم العصا حيَّةً والآدمَ أبيضَ.

فإنْ قلتَ: قد عُزِيَ هذا الكلامُ إلى فرعون في سورة الشعراء وأنَّه قاله للملأ، وعُزِيَ هاهنا إليهم؟

قوله: (**فإذا هي بيضاء للنظّارة**)،[1] أي: للذين ينظرون إلى الشيء. وقوله: (**ولا تكون بيضاءَ**) وجهُ النصب في "بيضاء" ظاهرٌ، لكن في **نسخة** مقيَّد بالرفع، فوجهه أن يكون حكايةً لِما تقدّم، واسم "كان" ضمير إلى اليد. وقوله: (**إلّا إذا كان**) استثناء مفرّغ منصوب المحلّ على الحال.

قوله: (**فإن قلتَ: قد عُزِي هذا الكلام**) اعلم أنّ الجواب انتهى بقوله: ﴿سَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، ثمّ ذكر القراءة الأخرى والتفسير المستشهد في قوله: (**وكانت هذه**[2] **مؤامرة**) أي: مشاورة، يعني أنّ قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ إلى ﴿تَأْمُرُونَ﴾ مِن كلام الملأ مع القبط. وقوله: ﴿أَرْجِهْ﴾... إلخ، كلام الملأ أو القبط مع فرعون.

قوله: (**وقيل**)، يعني أنّ قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝١٠٩ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ كلام الملأ مع القبط أيضًا كما مرّ، لكن ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ قولُ[3] فرعون، والقول مقدَّر كما ذكر، وهذا القدر مِن الكلام هو بيان كلام المصنّف، ولا حاجةَ إلى **الحاشية** المكتوبة في الجانب الآخر وإلى تقييداته و**الحاشية** الأخرى هذه.

---

[1] ر: للناظرين.
[2] ن ر: مدّة.
[3] ر: قوله.

قلتُ: قد قاله هو وقالوه هم، فحُكي قولُه ثَمَّ وقولُهم هاهنا.

أو قاله ابتداءً فتلقَّنَه منه الملأ فقالوه لأعقابهم، أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يَفعَل الملوكُ، يَرى الواحدُ منهم الرَّأيَ فيُكلِّم به مَن يليه مِن الخاصَّة ثم تبلِّغه الخاصةُ العامَّةَ، والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ۝ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ وقرئ: ﴿سَحَّارٍ﴾، أي: يأتوك بكلِّ ساحر مثلِه في العلم والمهارة أو بخيرٍ منه.

وكانت هذه مُؤَامَرةً مع القبط، وقولُهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ مِن آمَرْتهُ ....

قال الأستاذ العلّامة:[١] المناسب على هذا الوجه أن يقال: إنّ الملأ قال هذا الكلام مع الناس بطريق التبليغ، فيكون قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ مِن تتمّته، ثم لمّا سمع الناسُ هذا الكلام مِن الملأ أقبلوا على فرعون وقالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾.

وأنا أقول: يمكن أن يقال: لمّا ذكر الملأ هذا الكلام بطريق التبليغ مع الناس التفتوا، أي: الملأ، إلى فرعون فقالوا[٢] له: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾. واعلم أنّ الضمير مِن قول المصنّف: **(أنّهم)** ومِن قوله: **(أجابوا)** يعود إلى الناس، وهو عبارة عن الضمير في قوله: ﴿قَالُوا﴾، وإشارة إلى أنّه عائد إلى قوم فرعون لا إلى الملأ، وهذا يؤيد الوجه الأوّل مِن الوجهين المذكورين في **الحاشية**. ويجوز أن يكون الضمير مِن قوله: **(أنّهم أجابوا)** عائد إلى ما عاد إليه الضمير في قول المصنّف، وهو الملأ، وعلى هذا فالمعنى على قوله: "عُزِي هذا الكلام"، أي: وذكر أنّه وهذا الضمير يجوز أن يعود إلى هذا الكلام، ويجوز أن يعود إلى فرعون. وقوله: ولمّا[٣] كانت هذه المؤامرة،[٤] يعني قولَ[٥] الملأ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾... إلخ. وقوله: **(وقولهم)** عطف على قوله: "وكانت"... إلخ. وقوله: **(وقولهم: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾)**... إلخ، إشارةٌ إلى أنّ ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ مِن قول الملأ إمّا بالتلقّن أو بالقول عنه، وعلى هذا الوجه الذي أشار إليه بقوله: **(أو قاله ابتداءً)**... إلخ.

---

[١] الظاهر أنّ المراد به الجاربردي نفسه، وذلك ممّا كتبه تلامذته، ومرّت لذلك نظائر فيما سلف.

[٢] ر: وقالوا.

[٣] ر - لما.

[٤] ر: مؤامرة.

[٥] ر: قوله.

فأمَرني بكذا: إذا شاورتَه فأشار عليك برأي.

وقيل: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من كلام فرعون، قاله للملأ لمَّا قالوا له: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾؛ كأنه قيل: قال: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؟ ﴿قالوا أرجِئْه وأخاه﴾.

ومعنى ﴿أرجئه وأخاه﴾: أخِرهما وأصدِرْهما عنك حتى تَرى رأيك فيهما وتُدبرَ أمرَهما، وقيل: احبِسْهما.

وقرئ: ﴿أرجِئْهُ﴾ بالهمزة، و: ﴿أَرْجِهِ﴾ من أرْجَأه وأَرْجَاه.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۝١١٣ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝١١٤﴾

فإن قلتَ: هلا قيل: وجاء السحرة فرعونَ فقالوا؟

قلتُ: هو على تقدير سائلٍ سأل: ما قالوا إذ جاؤوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قالوا أئن لنا لأجرًا﴾؛ أي: جَعْلًا على الغلبة.

وقرئ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الإخبار وإثباتِ الأجر العظيم وإيجابه؛ كأنَّهم قالوا: لا بدَّ لنا من أجرٍ، والتنكيرُ للتعظيم كقول العرب: "إنَّ له لإبلًا" و: "إنَّ له لغنمًا" يَقصِدون الكثرة.

فإن قلتَ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ما الذي عُطف عليه؟

وقوله: "وقيل" إشارة إلى أنّه مِن قول فرعون. فقوله: "قيل" عطف على قوله:[١] "قولهم". وهذا على الوجه الأوّل فقط، وهو أنّه قاله هو وقالوا هم.

واعلم أنّه يحتمل أيضًا على الوجه الأوّل أن يكون ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ مِن قولهم، فتأمّل فإنَّ كلام المصنّف وما ذكرناه في **الحاشية** لا ينافي ذلك. والحاصل أنّه يجوز على الوجه الأوّل أن يكون ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ و﴿إِنَّ﴾ مِن قول الملأ، وأمّا على الوجهين[٢] الأخيرين[٣] فمِن قول الملأ لا غير. وقوله: **(في[٤] سورة الشعراء)**

---

[١] ر: قولهم.
[٢] ر: الوجه.
[٣] ر: الآخر.
[٤] ن ر: فمن.

قلت: هو معطوفٌ على محذوفٍ سَدَّ مسدَّه حرفُ الإيجاب؛ كأنه قال إيجابًا لقولهم: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾: ﴿نعم﴾ إنَّ لكم لأجرًا ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أراد: إني لا أقتصرُ بكم على الثواب وحده وإن لكم مع الثواب ما يقلُّ معه الثواب وهو التقريبُ والتعظيم؛ لأن المثاب إنما يَتَهنَّأُ بما يصل إليه ويَغتبِط به إذا نال معه الكرامةَ والرفعةَ.

ورويِ أنه قال لهم: تكونون أوَّلَ مَن يدخل وآخرَ مَن يخرج.

وروي: أنه دَعا برؤساء السحرة ومُعلِّميهم فقال لهم: ما صنعتُم؟ قالوا: قد عملنا سحرًا لا تُطيقهُ سَحَرةُ أهل الأرض، إلَّا أن يكون أمرًا من السماء فإنه لا طاقةَ لنا به.

وروي: أنَّهم كانوا ثمانين ألفًا، وقيل: سبعين ألفًا، وقيل: بِضْعةً وثلاثين ألفًا، واختلفت الرواياتُ فمِن مُقِلٍّ ومن مُكثِرٍ.

وقيل: كان يُعلِّمُهم مجوسيَّان من أهل نَيْنَوى.

وقيل: قال فرعونُ: لا نُغالِبُ موسى إلَّا بما هو منه. يعني: السحر.

في سورة الشعراء هذا ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۝ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ/ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء ٢٦/٣٤-٣٥]. وقوله: **(وإذا نال)** إذا ظرف **(يتهنأ)**. [٣٥١ظ]

قوله: **(إلَّا أن يكون أمرًا من السماء)** أي: إلَّا أن يكون أمر موسى أمرًا من السماء فوجب. **(فمِن مُقِلّ)** خبر مبتدأ محذوف، أي: بعض هذه الروايات من المقلِّين وبعضُها من المكثرين، ويريد بمُقِلّ ومُكثِر في هذا الموضع جنس المُقِلّ والمُكثِر، ولا شبهةَ[1] أنَّ المُقِلّ في هذا الموضع بعض[2] جنس[3] المقلِّين، وكذا المُكثِر، فتأمَّل.

قوله: **(إلَّا بما هو منه)** بالشيء الذي صدر منه، يعني السحر.

---

[1] ر: شبه.
[2] ن ر: وبعض.
[3] ن ر: الجنس.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

تخييرُهم إيَّاه أدبٌ حسنٌ راعَوه معه كما يَفعل أهل الصناعات إذا التَقوا؛ كالمتناظِرين قبل أن يتخاوَضوا في الجدال، والمتصارِعين قبل أن يتآخَذوا للصِّراع.

وقولُهم: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ فيه ما يدلُّ على رغبتهم في أن يُلْقوا قبلَه؛ من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريفِ الخبر وإقحام الفصل.

وقد سوَّغ لهم موسى ما تَراغَبوا فيه؛ ازْدراءً لشأنهم، وقلَّةَ مبالاةٍ بهم، وثقةً بما كان بصدده من التأييد السماويِّ، وأن المعجزةَ لن يَغْلِبها سحرٌ أبدًا.

﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: أَرَوْها بالحِيل والشعوذة وخَيَّلوا إليها ما الحقيقةُ بخلافه؛ كقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه ٦٦/٢٠].

روي: أنهم ألقَوْا حِبالًا غلاظًا وخشبًا طِوالًا فإذا هي أمثالُ الحيَّات قد ملأتِ الأرض ورَكِبَ بعضُها بعضًا.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: وأرهبوهم إرْهابًا شديدًا كأنَّهم استدعَوْا رَهْبَتَهم.

قوله: (نينوى) رُوي عن فخر المشايخ[١] أنَّها قرية[٢] بالموصل[٣] بُعث فيها يونس عليه السلام.[٤]

قوله: (أو[٥] تعريف الخبر وإقحام الفصل) فإن قلتَ: ما الفرق بين أن يكون الضمير[٦] مؤكِّدًا وبين أن يكون[٧] فصلًا. قلتُ: التوكيد يرفع التجوُّز عن المسند إليه فيلزم التخصيص مِن تعريف الخبر، أي: نحن نفعل الإلقاء البتّة لا غيرنا،[٨] والفصلُ يخصِّص الإلقاء بهم؛ لأنَّه لتخصيص المسند بالمسند إليه، فيعرى عن التوكيد.

---

١ هو عليّ بن محمّد العمراني (ت ٥٦٠هـ)، من تلامذة الزمخشري. معجم الأدباء للحمويّ، ١٩٦١/٥.

٢ ر + بقرب.

٣ ر: الموصل.

٤ ر - عليه السلام.

٥ ر: أي.

٦ ر + في.

٧ ن - الضمير مؤكدًا وبين أن يكون.

٨ ن: غير.

﴿بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ في باب السحر.

روي: أنهم لوَّنوا حِبالَهم وخُشُبَهم وجعلوا فيها ما يُوهم الحركةَ، قيل: جعلوا فيها الزئبقَ.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ
ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ
إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣ لَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٢٤ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ١٢٥
وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦﴾

﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾ ﴿مَا﴾ موصولةٌ أو مصدريةٌ، بمعنى: ما يأفكونه؛ أي: يَقْلبونه عن الحق إلى الباطل ويُزَوِّرونَه، أو: إفْكَهم؛ تسميةً للمأفوك بالإفك.

رُوي: أنها لمَّا تلقَّفَتْ مِلءَ الوادي من الخُشُبِ والحبال، ورفعَها موسى فرجعَتْ عصًى كما كانت، وأَعْدمَ اللهُ بقُدرته تلك الأجرامَ العظيمة أو فرَّقها أَجزاءً لطيفةً= قالت السحرةُ: لو كان هذا سحرًا لَبقيَتْ حبالُنا وعصيُّنا.

﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾: فحصل وثبتَ.

ومِن بدَع التفاسير: فوقع قلوبَهم؛ أي: فأثَّر فيها، من قولهم: فأسٌ وقيع.

﴿وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾: وصاروا أذلَّاء مبهوتين.

﴿وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ﴾: وخرُّوا سجَّدًا كأنما ألقاهم مُلقٍ لشدَّة خرُورهم.

قوله: (أو: إفكَهم) هذا على أنَّ ﴿مَا﴾ مصدريَّة، والمصدر باسم المفعول. و"المأفوك" ما جعلوا فيه الزئبق. قال أبو عبيدة: «﴿تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾، أي: تلقم ما يسحَرون ويكذبون».[1]

---

[1] مجاز القرآن لأبي عبيدة، ١/٢٢٥.

وقيل: لم يتمالكوا مما رأوْا فكأنَّهم أُلقوا.

وعن قتادة: كانوا أَوَّلَ النهار كفارًا سحرةً وفي آخره شهداءَ بَرَرَةً.

وعن الحسن: تراه وُلد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دِينَه بكذا وكذا، وهؤلاء كفَّارٌ نَشؤوا في الكفر بَذَلوا أنفسهم لله.

﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الإخبار؛ أي: فعَلْتُم هذا الفعلَ الشنيع؛ توبيخًا لهم وتقريعًا.

وقرئ: ﴿ءآمنتم﴾ بحرف الاستفهام، ومعناه: الإنكارُ والاستبعاد.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾: إنَّ صُنعَكم هذا لحيلةٌ احتَلْتُموها أنتم وموسى في مصرَ قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد تواطَأْتُم على ذلك لغرضٍ لكم وهو أن تُخرجوا منها القِبْطَ وتُسكنوا بني إسرائيل، وكان هذا الكلامُ من فرعون تَمْويهًا على الناس لئلا يتَّبعوا السحرةَ في الإيمان.

وروي: أن موسى عليه السلام قال للساحر الأكبر: أتُؤمن بي إنْ غلبتُك قال: لآتينَّ بسحْرٍ لا يغلبُه سحرٌ، وإن غلبتني لأؤمننَّ بك، وفرعونُ يَسمع فلذلك قال ما قال.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وعيدٌ أَجمَلَه ثم فَصَّله بقوله:

﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ وقرئ: "لأَقْطَعنَّ" بالتخفيف، وكذلك: "ثم لَأَصْلبنَّكم".

﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: من كلِّ شقٍّ طرَفًا، وقيل: إن أوَّل مَن قطعَ من خلافٍ وصلَّبَ فرعونُ.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ فيه أوجهٌ؛ أنْ يريدوا:

إنَّا لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربِّنا ورحمته وخلاصِنا منك ومن لقائك.

قوله: (**وقيل: لم يتمالكوا ممّا[1] رأوا**)[2] يقال: فلان ما تمالك أن قال ذلك وما تماسك، أي: لم[3] يستطع أن يحبس نفسه. ومنه هذا الحائط لا يتمالك ولا يتماسك.

قوله: (**مِن كلِّ شقّ طرَفًا**) وهو معنى قوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾.

---

[1] ن ر: ما.

[2] ن ر: وراء.

[3] ر: لا.

أو: ننقلبُ إلى الله يوم الجزاء فيُثيبُنا على شدائد القطع والصلب.

أو: إنَّا جميعًا -يَعْنون أنفسَهم وفرعون- ننقلبُ إلى الله فيَحكم بيننا.

أو: إنَّا لا محالةَ ميّتون منقلِبون إلى الله فما تقدرُ أن تفعل بنا إلَّا ما لا بدَّ لنا منه.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾: وما تَعِيبُ منَّا إلَّا الإيمان بآياتِ الله، أرادوا: وما تَعِيبُ منَّا إلَّا ما هو أصلُ المناقب والمفاخر كلِّها وهو الإيمان، ومنه قوله:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سُيُوفَهم

﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ هَبْ لنا صبرًا واسعًا وأكثِرْهُ علينا حتى يفيضَ علينا ويغمُرَنا كما يُفرَغُ الماء إفراغًا، وعن بعض السلف: إن أحدكم ليُفرِغُ على أخيه ذَنوبًا ثم يقول: قد مازَحْتُك؛ أي: يَغْمُره بالحياء والخجل.

أو: صَبَّ علينا ما يُطهِّرنا من أَوْضارِ الآثام، وهو الصبرُ على ما توعَّدَنا به فرعونُ؛ لأنهم عَلِموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مَطْهرَةً لهم.

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ثابتين على الإسلام.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾

﴿وَيَذَرَكَ﴾ عطفٌ على "يفسدوا"؛ لأنَّه إذا تركهم ولم يمنَعْهم وكان ذلك مؤدِّيًا إلى ما دعَوْه فسادًا وإلى تركه وترك آلهتِه، فكأنَّه تَرَكهم ولم يمنَعْهم لذلك.

أو هو جوابٌ للاستفهام بالواو كما يُجاب بالفاء، نحوُ قول الحُطَيْئة:

قوله: **(وإنَّا جميعًا)**، يعني: وأمّا على الوجهين الأوّلين فالمراد أنفسهم لا غير.

قوله: **(فكأنَّه)** أي: فكأنَّ فرعون يذرهم ليتركوا آلهته، يريد أنَّ اللام مثلها في: ﴿ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص ٢٨/٨].

قوله: **(نحو قول الحطيئة)** قيل: هو حال مِن قوله: **(جوابٌ)**.

أَلَــم أكُ جــارَكُـمْ ويـكـونَ بيني   وبـيـنـكـم الــمــودَّةُ والإخـــاءُ

والنصبُ بإضمار "أنْ" تقديره: أيكون منك تركُ موسى ويكونَ تركُه إيّاك وآلهتك.

وقرئ: "ويذَرُك وآلهتَكَ" بالرفع عطفًا على ﴿أَتَذَرُ﴾، بمعنى: أتذَرُه وأيذَرُك؛ أي: أتُطْلِقُ له ذلك، أو يكون مستأنفًا، أو حالًا على معنى: أتذَرُه وهو يَذَرُك وآلهتك.

وقرأ الحسن: "ويذَرْك" بالجزم؛ كأنّه قيل: "يفسدوا" كما قرئ: ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون ٦٣/١٠] كأنّه قيل: أصَّدَّقْ.

قوله:[١]

(ألــم أكُ جــارَكــم ويــكــونَ) البيت[٢]

يجوز في قوله: "ويكون" النصب وهو ظاهر، والرفعُ على الابتداء، كقوله:

ألـم تـسأل الـربعَ الـقَـواء فينطقُ   وهـل تُخبرَنْك اليوم بيداءُ سَمْلَقُ[٣]

قوله: (والنصب) عطف على قوله: (هو جوابٌ) أي: هو جواب الاستفهام ونصبه بتقدير "أن".

قوله: (وهو أن يذرَك وآلهتك) وإنّما قدّر "هو" ليكون جملة اسميّة، فيصحّ دخول الواو.

قوله: (كأنّه قيل: يفسدوا)،[٤] أي: لم يكن في "يفسدوا" اللام[٥] لكان فيه الجزم[٦] على أنّه جواب الاستفهام بإضمار "إن" الشرطيّة، كقولك: "ألا تأتيني أحدِّثك"، فكأنّه ليس فيه اللام كما في ﴿وَأَكُن﴾ [المنافقون ٦٣/١٠].

---

[١] ر – قوله.

[٢] البيت للحطيئة في ديوانه، ص ٩٨، والرِّواية فيه «مسلمًا» مكان «جاركم»؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٣/٤٣.

[٣] البيت لجميل بثينة في ديوانه، ص ١٤٥؛ وهو بلا عزو في كتاب سيبويه، ٣/٣٧؛ وجامع البيان للطبري، ١٦/٦٢٣ (الحج، ٢٢/٦٣)؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٣٢٩.

[٤] ن: يفسد.

[٥] ن ر: واللام.

[٦] ر – الجزم.

وقرأ أنس رضي الله عنه: "ونذَرَكَ" بالنون والنصب؛ أي: يَصرفُنا عن عبادتك فنذرها.

وقرئ: "ويَذَرَك وإلاهَتَك"؛ أي: عبادتَك.

وروي: أنهم قالوا له ذلك؛ لأنه وافقَ السحرةَ على الإيمان ستُّ مئةِ ألفِ نفسٍ، فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك، وخافوا أن يُغلَبُوا على المُلك.

وقيل: صَنع فرعون لقومه أصنامًا وأمرَهم أن يَعبُدوها تَقرُّبًا إليه كما يَعبد عبدةُ الأصنام الأصنامَ ويقولون: ﴿لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر ٣٩/٣]؛ ولذلك قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات ٧٩/٢٤].

﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعني: سنُعيد عليهم ما كنَّا محَنَّاهم به من قتل الأبناء؛ ليَعلموا أَنَّا على ما كنَّا عليه من الغلَبة والقَهْر، وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا، وأن غلبةَ موسى لا أثر لها في مُلكنا واستيلائنا، ولئلا يَتوهَّم العامَّةُ أنّه هو المولود الذي تحدَّثَ المنجِّمون والكهنَةُ بذهاب ملكنا على يده فيثبّطَهم ذلك عن طاعتنا ويَدْعوَهم إلى اتِّباعه وأنّه منتَظَرٌ بعدُ.

قوله: (**قوله: "وَإِلَاهَتَكَ"**)[١] مصدر مضاف إلى المفعول.

قوله: (**أن يُغلَبوا**) أي: لا يُؤخَذ الملك منهم، فهو مِن قولك: لا تذهب به تُغلَب عليه.

قوله: (**محنّاهم**)[٢] مِن المِحنة التي هي واحدة المِحن التي يمتحن به الإنسان مِن بلية، يقال: مَحَنتُه وامتحنته، أي: اختبرته.[٣]

قوله: (**وأنّه مُنتظَر**) عطف على قوله: (**أنّه هو**[٤] **المولود**) أي: ليعلم[٥] العامة أنّه منتظَر، وذلك لأنّ معنى عدم التوهُّم قريب مِن معنى العلم، فيدل قوله: (**لئلا يتوهَّم**) على قوله: (**ليعلموا**)، فكأنّه قيل: لئلا يتوهَّم ذلك وليعلم العامّة،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٨٤٦.

٢ ر: فحناهم.

٣ ر: أخبرته. ومن قوله: "المحنة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «محن».

٤ ن ر: من.

٥ ر: يعلم.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ١٢٨﴾

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ﴾ قال لهم ذلك حين قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ فجَزعوا منه وتضجَّروا، يُسكِّنُهم ويُسلِّيهم ويَعِدُهم النصرةَ عليهم، ويَذكرُ لهم ما وعد اللهُ بني إسرائيل من إهلاك القِبْط وتوريثِهم أرضَهم وديارَهم.

فإن قلتَ: لم أُخليَتْ هذه الجملة عن الواو وأُدخلت على التي قبلها؟

قلتُ: هي جملةٌ مبتدأة مستأنفةٌ، وأما ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ فمعطوفةٌ على ما سبقها من قوله: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾.

وقولُه: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ يجوزُ أن تكون اللام للعهد وترادَ أرضُ مصرَ خاصةً؛ كقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر ٧٤/٣٩]، وأن تكون للجنس فتتناولَ أرضَ مصرَ؛

فيكون مِن قبيل قوله:[١]

علفتُها[٢] تبنًا وماءً باردا[٣]

قوله: (**يسكنهم**)[٤] حال مِن المستتر في (**قال**)، فترك الواو ظاهر، وفي بعض **النُّسخ**[٥] بالواو إمّا على تأويل الجملة الاسميّة، أي: وهو يسكنهم، أو على العطف.

قوله: (**فإن قلتَ: لِمَ**[٦] **أخليتَ هذه الجملة**) أراد قوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ﴾، وقوله: (**وأُدخِلت على الذي قبلها**)،[٧] وقوله:[٨] ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾.

قوله: (**كقوله تعالى**: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر ٧٤/٣٩]) فاللام في ﴿أَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾[٩] للعهد، والمراد أرض الجنة.

---

١ ر – قوله.
٢ ن: علفته.
٣ لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في تفسير البقرة، ٧/٢.
٤ ن: مسكنهم.
٥ ن + وفي بعض النسخ.
٦ ن ر: لو.
٧ ر + هي.
٨ ر: قوله.
٩ ر – فاللام في ﴿أَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾.

لأنها من جنس الأرض كما قال ضَمْرَة: "إنما المرء بأصْغريه"، فأرادَ بالمرء الجنسَ وغَرضُه أن يتناولَه تناولًا أوَّليًا.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بشارةٌ بأن الخاتمةَ المحمودة للمتقين منهم ومن القِبْط، وأنّ المشيئةَ متناوِلةٌ لهم، وقرأ: "والعاقبةَ للمتقين" بالنّصب: أُبيٌّ وابن مسعود عطفًا على ﴿ٱلْأَرْضَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يَعنُون قتلَ أبنائهم قبل مولدِ موسى عليه السلام إلى أن استُنْبِئَ، وإعادتَه عليهم بعد ذلك، وما كانوا يُستَعْبدون به ويُمتهَنُون فيه من أنواع الخِدَم والمِهَن ويُمَسُّونَ به من العذاب.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ تصريحٌ بما رمَزَ إليه من البشارة قبلُ، وكشفٌ عنه، وهو إهلاكُ فرعون واستخلافُهم بعده في أرض مصرَ.

﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: فيَرى الكائنَ منكم من العمل حَسَنِه وقبيحِهِ، وشكرِ النعمة وكفرانها؛ ليُجازيكم على حسَب ما يُوجَد منكم، وعن عمرو بن عُبيدٍ رحمه الله: أنه دَخَل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدَته رغيفٌ أو رغيفان، فطلب زيادةً لعمرو فلم تُوجدْ، فقرأ عمرٌو هذه الآيةَ، ثم دخل عليه

قوله: (**بأصغريه**) اللسان والفؤاد.

قوله: (**وأنّ المشيئة متناولةٌ لهم**) أي: المراد / بـ﴿مَن يَشَآءُ﴾: هم المتّقون. [٣٥٢و]

قوله: (**ويُمتهَنون**) المَهنة بالفتح: الخِدمة. وحكى أبو زيد والكسائي بالكسرة، وأنكره الأصمعي. والماهِن: الخادم. وقد مَهَن القومَ يَمهَنهم مُهنة، أي: خدمهم. وامتهن الشيءَ: ابتذله. وامتهنه: أضعفه. ورجل مَهين، أي: حقير.[١]

[١] من قوله: "المهنة" إلى هنا بلفظ قريب في **الصحاح** للجوهري، «مهن».

بعد ما استُخلف فذَكَر له ذلك وقال: قد بقي ﴿فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: بسِنِي القَحْطِ، والسَّنةُ من الأسماء الغالبة كالدَّابة والنجم ونحوِ ذلك، وقد اشتقُّوا منها فقالوا: "أَسْنَتَ القوم" بمعنى: أَقْحطوا.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنه: أما السِّنونَ فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم، وأما نقصُ الثمرات فكان في أمصارهم.

وعن كعْبٍ: يأتي على الناس زمانٌ لا تَحْمِلُ النخلةُ إلا تمرةً.

﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيتنبَّهوا على أنَّ ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله؛ ولأَنَّ الناس في حال الشدَّة أضرعُ خُدودًا وأَلْينُ أعطافًا وأَرَقُّ أفئدةً.

وقيل: عاشَ فرعونُ أربعَ مئة سنةٍ ولم يرَ مكروهًا في ثلاث مئة وعشرين سنةً، ولو أصابه في تلك المدَّة وَجَعٌ أو جوع أو حُمَى لَمَا ادَّعَى الربوبيَّة.

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ من الخِصْب والرَّخاء ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: هذه مختصَّةٌ بنا ونحن مستحِقُّوها ولم نَزَلْ في النِّعمة والرَّفاهيةِ، واللامُ مثلُها في قولك: الجُلُّ للفرس.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ من ضَيْقةٍ وجَدْبٍ ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾: يتطيَّروا بهم

قوله: (**فذَكَر له ذلك**) أي: قال عمرو بن عبيد للمنصور: قد ثبت الاستخلاف وبقي أن يعمل صالحًا. وفاعل (**بقي**): ﴿فَيَنظُرَ﴾.

قوله: (**بمعنى[١] أقحطوا**) أي: وقعوا في القحط.

قوله: (**ولأنّ الناس**) عطف مِن حيث المعنى على (**فيتنبَّهوا**).

---

[١] ن: ومعنى.

ويتشاءموا ويقولوا: هذه بشُؤمهم، ولولا مكانُهم لَمَا أصابَتْنا؛ كما قالت الكفرةُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء ٧٨/٤].

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ بـ"إذا" وتعريفِ الحسنة، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بـ"إن" وتنكير السَّيئة؟

قلتُ: لأن جنس الحسنةِ وقوعُه كالواجب لكثرته واتِّساعه، وأما السَّيئةُ فلا تقع إلّا في النَّدرة، ولا يقع إلّا شيءٌ منها، ومنه قولُ بعضِهم: قد عدَدْتَ أيّامَ البلاء فهل عدَدْتَ أيّام الرَّخاء؟

﴿طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: سببُ خيرهم وشرِّهم عند الله وهو حكمُه ومشيئتُه، والله هو الذي يَشاءُ ما يُصِيبُهم من الحسنة والسيِّئة، وليس شُؤمُ أحد ولا يُمنُه بسببٍ فيه؛ كقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء ٧٨/٤].

ويجوز أن يكون معناه: أَلَا إنما سببُ شؤمِهم عند الله، وهو عملُهم المكتوبُ عنده الذي يجري عليهم ما يَسُوءهم لأجله، ويُعاقَبون له بعد موتهم بما وعدهم اللهُ في قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ الآية [غافر ٤٦/٤٠]، ولا طائرَ أشأمُ من هذا.

قوله: **(ولولا مكانهم)** لفظ "مكان" زائد، أي: لولاهم، كقوله: نفيتُ عنه[1] مقام الذنب.

قوله: **(فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ﴾؟)** أي: كيف أدخل على الجملة **الأولى** "إذا" وهي لا تدخل إلّا فيما هو متيقَّن الوجود، وعلى الجملة **الثانية** "إن" وهي لا تدخل إلّا فيما هو جائز الوجود.[2]

قوله: **(بسبب فيه)** الضمير المجرور عائد إلى **(ما يصيبهم)**.

قوله: **(سبب شُؤمِهم)** الشؤم: نقيض اليُمن. يقال: «ما أشأم فلانًا. والعامّة تقول: ما أيشمه. وقد شَأم فلان على قومه يَشأمهم فهو شائم إذا جرّ عليهم الشُّؤم. وقد شَئم عليهم فهو مشئوم إذا صار شُؤمًا عليهم. وقوم مشائم[3] قال:

---

١ ن: عنهم.

٢ ر - وعلى الجملة الثانية "إن" وهي لا تدخل إلّا فيما هو جائز الوجود.

٣ ن: مشائم.

وقرأ الحسن: "إنما طَيْرُهم عند الله"، وهو اسمٌ لجمع طائرٍ غيرُ تكسير، ونظيرُه: التَّجْرُ والرَّكبُ، وعند أبي الحسن: هو تكسيرٌ.

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢﴾

﴿مَهْمَا﴾ هي "ما" المضمَّنةُ معنى الجزاء ضُمَّتْ إليها "ما" المزيدة المؤكِّدةُ للجزاء في قولك: "متى ما تخرُجْ أخرجْ" ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء ٤/٧٨] ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الزخرف ٤٣/٤١] إلَّا أن الألف قُلبت هاءً استثقالًا لتكرير المتجانِسَين، وهو المذهبُ السديدُ البصريُّ.

ومِن الناس مَن زعَم أن "مَه" هي الصوتُ الذي يُصوِّتُ به الكافُّ و"ما" للجزاء؛ كأنه قيل: كُفَّ ما ﴿تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿مَهْمَا﴾؟

قلتُ: الرفعُ بمعنى: أيُّما شيءٍ تأتنا به، أو النصبُ بمعنى: أيَّما شيءٍ تُحْضِرْنا تأتِنَا به.

و﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ تَبْيينٌ لـ﴿مَهْمَا﴾، والضميران في ﴿بِهِۦ﴾ و﴿بِهَا﴾ راجعان إلى ﴿مَهْمَا﴾، إلَّا أنَّ أحدهما ذكِّر على اللفظ والثاني أُنِّث على المعنى؛ لأنه في معنى الآية، ونحوُه قولُ زهير:

ومهما تكُنْ عند امرئٍ من خَليقةٍ   وإنْ خَالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

مشائيمُ[1] ليسوا مصلحين عشيرةً»[2]

قوله: (أيَّما شيء تُحضرنا) ﴿أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ﴾ [فصلت ٤١/١٧].

قوله:

(ومهما تكن)[3] البيت

---

[1] ن: مشائم.

[2] **الصحاح** للجوهري، «شأم». والشعر صدر بيت للأخوص اليربوعي، وعجزه:
ولا ناعبٍ إلا بشؤم غرابُها
وهو له في **كتاب سيبويه**، ١/١٦٥؛ و**البيان والتبيين** للجاحظ، ٢/٢٦١؛ وهو بلا عزو في **إصلاح المنطق** لابن السِّكِّيت، ص ١٥١؛ و**الصحاح** للجوهري، «شأم». وانظر تفصيل الكلام عليه في **خزانة الأدب** للبغدادي، ٤/١٥٨.

[3] البيت من معلَّقة زهير في **ديوانه**، ص ٣٧؛ و**شرح القصائد السبع** لابن الأنباري، ص ٢٨٩.

وهذه الكلمةُ في عداد الكلمات التي يُحرِّفُها مَن لا يَدَ له في علم العربيَّة فيَضعُها غيرَ موضعها، ويَحسبُ "مهما" بمعنى "متى ما" ويقول: مهما جئتني أعطيتُك، وهذا مِن وضعِه وليس من كلام واضع العربية في شيء، ثم يَذهبُ فيفسِّر ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٍ﴾ بمعنى الوقت، فيُلحدُ في آيات الله وهو لا يَشعُر، وهذا وأمثالُه مما يُوجب الجُثُوَّ بين يدي الناظر في كتاب سيبويه.

فإن قلتَ: كيف سمَّوها آيةً ثم قالوا: ﴿لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا﴾؟

قلتُ: ما سمَّوها آيةً لاعتقادهم أنها آيةٌ، وإنما سمَّوها اعتبارًا لتسمية موسى، وقَصدوا بذلك الاستهزاء والتلهِّيَ.

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣﴾

﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم وغَلَبَهم من مطرٍ أو سَيلٍ.

والخُلق والخليقة واحد. والشاعر ذكّر الضمير في "يكن" حملًا على لفظ "مهما"، وأنّث في الباقي حملًا على المعنى؛ لأنّه في معنى الخليقة. ومعنى البيت ظاهر.

قوله: (**ويحسب "مهما" بمعنى "متى ما"**) وتقول: مهما جئتني أعطيتُك،[1] وليس مِن[2] وضع العربيّة في شيء، ألا ترى إلى قوله:[3] ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ﴾، فإنّه يتأدّى بأنّ المراد "ما تأتِنا به" لا "متى تأتِنا"،[4] والهاء في ﴿بِهِۦ﴾ مفعول به لا مفعول فيه، ولو كان مفعولًا فيه لذُكر "في"، كما يقال: "اليوم خرجتُ فيه"؛[5] لأنّ الهاء في "فيه" عبارة عن اليوم، وأمّا المفعول به فضميره تارة يجيء مع الباء وأخرى بغيرها، نحو "ذهب به وأذهبه"، و"مهما" لو كان بمنزلة "متى"، والضمير معبّر عن المفعول فيه وهو "متى" لقال: "تأتنا[6] فيه"، فعُلم أنّه ليس بمعنى "متى".

---

[1] ر: أعطيك.
[2] ر: مع.
[3] ن ر + يقال.
[4] ر: تأتينا.
[5] ر - فيه.
[6] ر: يأتينا.

قيل: طَغَى الماءُ فوق حُرُوثِهم، وذلك أنهم مُطِرُوا ثمانية أيَّام في ظلمةٍ شديدةٍ لا يرون شمسًا ولا قمرًا، ولا يقدرُ أحدٌ أن يخرج من داره.

وقيل: أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يَهلكون، وبيوتُ بني إسرائيل وبيوتُ القِبْط مُشتَبِكةٌ فامتلأَتْ بيوتُ القِبْط ماءً حتى قاموا في الماء إلى تراقيهِم، فمَن جلس غَرِقَ ولم تدخل بيوتَ بني إسرائيل قطرةٌ، وفاضَ الماء على وجه أرضِهم وركَدَ فمَنَعهم من الحرث والبناء والتَّصرُّف ودامَ عليهم سبعةَ أيامٍ.

وعن أبي قِلابةَ: ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: الجُدَرِيُّ، وهو أوَّلُ عذابٍ وقع فيهم فبَقِيَ في الأَرض.

وقيل: هو المُوتانُ.

وقيل: الطاعونُ.

فقالوا لموسى: أُدعُ لنا ربَّك يكشف عنَّا ونحن نؤمنُ بك، فدعا فرُفِعَ عنهم فما آمنوا، فنبتَ لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يُعهَدْ بمثله.

فأقاموا شهرًا فبعث الله عليهم الجَرادَ فأكلتْ عامَّةَ زروعهم وثمارهم، ثم أكلَتْ كلَّ شيء حتى الأبوابَ وسقوفَ البيوت والثيابَ، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيءٌ، ففَزِعوا إلى موسى ووعَدوه التوبةَ، فكُشف عنهم بعد سبعة أيام:

ووجهُ آخر وهو أنّ ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ بيان ﴿مَهْمَا﴾ فيكون عبارة عن الآية، والآية ليست بزمان.

قوله: (**وقيل: أرسل الله عليهم السماء**) أي: المطر قال:

إذا سقط السماء بأرض قومٍ رعيناه وإن كانوا غِضابا[1]

قوله: (**الجُدَرِيّ**) «شاة جَدْراء إذا تَقوَّب جلدها مِن داء يصيبها».[2] و«تقوَّب الشيء إذا انقلع مِن أصله».[3]

---

[1] البيت لمعاوية بن مالك المُلقَّب بمُعوِّد الحُكماء. وسبق تخريجه في تفسير البقرة، ١٩/٢.

[2] **الصحاح** للجوهري، «جدر».

[3] **الصحاح** للجوهري، «قوب».

خرج موسى إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها، فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا.

فأقاموا شهرًا فسلَّط الله عليهم القُمَّلَ وهو الحَمْنانُ في قول أبي عُبيدة كِبار القِرْدان.

وقيل: الدَّبَا، وهو أولاد الجراد قبلَ نباتِ أجنحتها.

وقيل: البراغيثُ.

وعن سعيد بن جُبير: السُّوسُ.

فأكل ما أبقاه الجرادُ ولَحِسَ الأرضَ، وكان يدخل بين ثوبِ أحدهم وبين جلده فيَمَصُّه، وكان يأكل أحدهم طعامًا فيُمتلئ قُمَّلًا، وكان يُخرِجُ أحدُهم عشرة أجربةٍ إلى الرَّحى فلا يَردُّ منها إلا يسِيرًا.

وعن سعيد بن جبير: كان إلى جنبهم كثيبٌ أعْفَرُ، فضربه موسى بعصاه فصار قُمَّلًا، فأخذَ في أَبْشارهم وأشعارهم وأشفارِ عيونهم وحواجبهم، ولزم جلودَهم كأنَّه الجُدَريُّ، فصاحوا وصرَخوا وفزعوا إلى موسى فرُفع عنهم، فقالوا: قد تحقَّقْنا الآن أنك ساحر، وعِزَّة فرعونَ لا نُصَدِّقك أبدًا، فأرسل الله عليهم بعد شهر الضفادِعَ، فدخلتْ بيوتَهم وامتلأتْ منها آنِيَتُهم وأَطْعمتُهم، فلا يكشفُ أحدٌ شيئًا من ثوبٍ ولا طعامٍ ولا شرابٍ إلَّا وجَد فيه الضفادعَ، وكان الرجل إذا أراد أن يتكلَّم وثَبَ الضِّفدعُ إلى فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعُهم فلا يقدرون على الرُّقاد، وكانت تَقذف بأنفُسها في القدور وهي تغلي، وفي التنانير وهي تفور،

قوله: **(الدَّبا)** «الدَّبا مقصورًا: الجراد قبل أن يطير. وقيل: نوع يشبه الجراد، واحدته دباءة».[1] **في النهاية**.

قوله: **(كثيب[2] أعفر)** الجوهري: الأعفر: الرمل الأحمر.[3]

قوله: **(في أبشارهم)** جمع بَشَرة.

---

[1] النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ٢/١٠٠.

[2] ر: كتبت.

[3] ما وقفت على هذا المعنى في مطبوع الصحاح.

فشكَوا إلى موسى وقالوا: ارحمنا هذه المرَّة فما بقي إلَّا أن نتوبَ التوبةَ النَّصوحَ ولا نَعود، فأَخذ عليهم العهودَ ودعا فكشف الله عنهم، ثم نَقَضوا العهدَ فأرسل الله عليهم الدَّم فصارت مياههم دمًا.

فشكوا إلى فرعون فقال: إنه سَحَركم، فكان يجمع بين القبطيِّ والإسرائيليِّ على إناءٍ واحدٍ، فيكون ما يلي الإسرائيليَّ ماءً وما يلي القبطيَّ دمًا، ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطيِّ الدمُ وللإسرائيليِّ الماءُ، حتى إن المرأةَ القبطيَّة تقول لجارتها الإسرائيليةِ: اجْعلِي الماءَ في فيكِ ثم مُجِّيهِ في فيَّ، فيصير الماء في فيها دمًا. وعطشَ فرعونُ حتى أشفَى على الهلاك، وكان يمَصُّ الأشجارَ الرطبةَ فإذا مَضَغَها صار ماؤُها الطيِّبُ ملحًا أُجَاجًا.

وعن سعيد بن المسيِّب: سال عليهم النِّيل دمًا.

وقيل: سلَّط الله عليهم الرُّعاف.

وروي: أن موسى عليه السلام مكَث فيهم بعدما غلَبَ السحرةَ عشرين سنةً يُريهم هذه الآيات.

وروي: أنَّه لمَّا أراهم اليدَ والعصا ونقْصَ النفوس والثمرات قال: يا ربِّ، إن عبْدَك هذا قد عَلَا في الأرض فخُذه بعُقوبةٍ تجعلُها له ولقومهِ نَقْمَةً ولقومي عِظَةً ولمن بعدي آيةً، فحينئذ بعَثَ الله عليهم الطوفان ثم الجرادَ ثمَّ ما بعده من النِّقَمِ.

وقرأ الحسن: "والقَمْلَ" بفتح القاف وسكون الميم، يُريد القملَ المعروفَ.

﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ نصبٌ على الحال.

ومعنى ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مبيَّناتٍ ظاهراتٍ لا يُشكِلُ على عاقلٍ أنها من آيات الله التي لا يقدرُ عليها غيرُه، وأنها عِبْرةٌ لهم ونَقِمَة على كفرهم.

قوله: (نقمة) «انتقم الله تعالى،[1] أي: عاقبه، والاسم منه النَّقِمة، والجمع نَقِمات ونَقِم مثل كَلِمة وكَلِمات وكَلِم، وإن شئت سكَّنت القاف ونقلت حركتها إلى النون فقلت: نِقْمة والجمع نِقَم، مثل نِعْمة ونِعَم».[2]

---

[1] ر - تعالى.

[2] الصحاح للجوهري، «نقم».

أو فُصِل بين بعضها وبعضٍ بزمان تُمتحَن فيه أحوالُهم ويُنظر أيَسْتقيمون على ما وعَدوا من أنفسهم أم ينكثون؛ إلزامًا للحجَّة عليهم.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾

﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ "ما" مصدريةٌ، والمعنى: بعهدِه عندك وهو النبوةُ.

والباء إما أن تتعلَّق بقوله: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ على وجهين:

أحدهما: أَسْعِفْنَا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحقِّ ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة.

أو: ادع اللهَ لنا متوسِّلًا إليه بعهده عندك.

وإما أن تكون قسمًا مجابًا بـ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾؛ أي: أقسَمْنا بعَهْد الله عندك لئن كشفتَ عنَّا الرِّجز لنؤمننَّ لك.

قوله: (**أسعِفْنا إلى ما نطلب[1] إليك**) أسعفت[2] الرجل بحاجته:[3] قضيتها[4] له. وأسعفتُه: أعنته على أمره.[5]

قوله: (**بحقّ[6] ما عندك**) الباء في "بحقّ" باء الاستعطاف، وهو باء القَسم، وهو كما يقال بطريق الشفاعة: "عليك بالله" و"لتفعلَنّ[7] بالله"، وقد ذُكر في الكتب الفقهيّة أنّه إذا قال: "بالله عليك لَتفعلنّ" فإن أراد الشفاعة أو عقدَ اليمين على المخاطب أن يعقد[8] يمين واحد منهما، ولو أراد يمين نفسه انعقدت يمينه، ويستحب[9] للمقسَم[10] عليه إبرار[11] يمينه.

---

[1] ن ر: نطلبك.

[2] ر: أسعف.

[3] ن: بحاجته.

[4] ر: فقضيتها.

[5] انظر: **الصحاح** للجوهري، «سعف».

[6] ن: نحو.

[7] ن: لتفعلن.

[8] ر: يعتقد.

[9] ر: ونسخت.

[10] ر: القسم.

[11] ر: إبراز.

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: إلى حدٍّ من الزمان هم بالغوه لا محالةَ فمُعَذَّبُون فيه لا ينفعهم ما تقدَّم لهم من الإمْهال وكشفِ العذاب إلى حلوله.

﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ جوابُ "لمّا"، يعني: فلمَّا كشفناه عنهم فَاجَؤُوا النكثَ وبادَروه لم يؤخِّروه، ولكنْ كما كُشف عنهم نكَثوا.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾: فأرَدْنا الانتقامَ منهم ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ﴾ واليَمُّ: البحرُ الذي لا يُدرَك قعرُه.

وقيل: هو لُجَّةُ البحر ومُعْظم مائه، واشتقاقه من التيمُّم؛ لأن المستنفِعين به يقصدونه.

[٣٥٢ظ] / قوله: **(إلى حلوله)** أي: حلول ذلك الأجل فهو متعلِّق بـ**(الإمهال وكشف)**.

وقوله: **(جواب[١] "لمّا")** فيكون في الحقيقة جواب "لمّا" ذلك الفعل المقدَّر،[٢] وهو "فاجئوا"، ويكون كلا الاسمين، أعني: "لمّا" و"إذا" معمولًا له، فيكون **الأوّل** ظرفيّة **والثاني** مفعولًا به.

قوله: **(ولكن كما كُشف عنهم نكثوا)** قال:[٣] شبّه وجود هذا بوجود[٤] ذاك، كأنّهما وُجدا في جزء واحد مِن الزمان. وقوله: "ولكن كما كُشف" كما هذا بمعنى "إذا" المفاجأة.

قوله: **(فأرَدْنا الانتقام منهم)** إنّما قدّر "أردنا"؛ لأنّ الإغراق عين[٥] الانتقام، ويجوز أن يكون مِن باب قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ﴾ [البقرة ٢/٥٤].

قوله: **(اشتقاقه[٦] مِن التيمُّم؛ لأنّ المستنفعين[٧] به يقصدونه)**، يعني: مَن[٨] يبتغي النفع[٩] التامّ مِن البحر يتجاوز عن الساحل إلى اللجّة؛ لأنّ الغواصين إنّما يغوصون

---

[١] ن ر: واجب.
[٢] ر: المقدور.
[٣] ر + رحمه الله.
[٤] ر: الوجود.
[٥] ر: عن.
[٦] ر: استقامة.
[٧] ن: المستضعفين.
[٨] ن ر – مَن.
[٩] ر: النفي.

﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾؛ أي: كان إغراقُهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتِهم عنها وقلَّةِ فكرهم فيها.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾: هم بنو إسرائيل، كان يستضعفُهم فرعونُ وقومُه، والأرض: أرضُ مصرَ والشامِ مَلَكها بنو إسرائيل بعد الفراعِنة والعمالِقَةِ وتصرَّفوا كيف شاؤوا في أطرافها ونواحيها الشرقيَّة والغربيَّة.

﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخِصب وسعة الأرزاق.

﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قولُه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ إلى قوله: ﴿مَا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص ٢٨/٥-٦].

والحُسنى: تأنيثُ الأحسن صفةٌ للكلمة، ومعنى «تمَّتْ على بني إسرائيل»: مضَتْ عليهم واستمرَّت، من قولك: «تمَّ على الأمر»: إذا مَضَى عليه.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بسببِ صبرهم، وحَسْبُك به حاثًّا على الصبر ودالًّا على أن مَن قَابَلَ البلاءَ بالجزع وكَلَه اللهُ إليه، ومَن قابَله بالصبر وانتظارِ النصر ضَمِنَ اللهُ له الفرجَ.

وعن الحسن: عَجِبْتُ ممَّن خفَّ كيف خفَّ وقد سمِعَ قولَه -وتلا الآيَةَ-.

ومعنى خفَّ: طاشَ جَزَعًا وقلَّةَ صَبْرٍ ولم يَرْزُنْ رَزانةَ أولي الصبر.

على الدُّرَر واللآلئ في اللجّة، وما[1] يؤمّ القاصدون[2] لابتغاء فضل الله إلّا فيها، ليحصلوا منها إلى البلاد الشاسعة.

قوله: (**طاش جزعًا**) الطيش: النزق والخِفّة. و«الرزانة: الوقار، وقد رزُن الرجل

---

[1] ن ر + بقي.

[2] ر: القاصدين.

وقرأ عاصمٌ في روايةٍ: "وتمَّت كلماتُ ربِّك الحسنى" ونظيره: ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم ١٨/٥٣].

﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ ما كانوا يعملون ويُسَوُّون من العِمارات وبناء القصور.

﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ من الجنَّات ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام ١٤١/٦]، أو: وما كانوا يرفَعون من الأبنية المُشيَّدة في السَّماء، كصَرْحِ هامان وغيره. وقرئ: ﴿يَعْرشون﴾ بالكسر والضمّ، وذكر اليَزيديُّ أن الكسر أفصحُ.

بالضمّ فهو رزين، أي: وقور. وامرأة رزان إذا كانت رزينة في مجلسها».[١]

قوله: (ونظيره[٢] ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم ١٨/٥٣]) أي: في وصف الجمع بالمفرد.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ [الأنعام ١٤١/٦]) استشهاد.

قوله: (وقرئ: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بالضمّ والكسر) بالضمّ ابن عامر وأبو بكر والباقون بالكسر.[٣]

قوله: (اليزيدي) اليزيدي: هو أبو محمد بن المبارك العدوي، بصري سكن بغداد، وعُرف باليزيدي[٤] لصحبته يزيد بن المنصور خال المهدي، وقرأ على أبي عمرو البصري واشتهر بقراءته وتقدّم على أصحابه، ولمّا قام اليزيدي بقراءة أبي عمرو بعده أخذها عنه جماعة كثيرة[٥] منهم أبو عمرو الدوري وأبو شعيب السوسي. والدُّور: موضع ببغداد. والسُّوس:[٦] موضع بالأهواز. وهما المشهوران بالرواية عن أبي عمرو رحمة[٧] الله عليهم أجمعين.[٨]

---

١ الصحاح للجوهري، «رزن».
٢ ن ر: ونظير.
٣ انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٢٩٢.
٤ ر - هو أبو محمد بن المبارك العدوي بصري، سكن بغداد، وعُرف باليزيدي.
٥ ر - كثيرة.
٦ ر: والسوسي.
٧ ن: رحمه.
٨ ن - عليهم أجمعين. | سبق للمصنِّف سوق هذا الكلام على اليزيدي والسوسي والدوري والسوس والدور بلفظ قريب في تفسير آل عمران، ٤٩/٣.

وبلغني أنه قرأ بعض الناس: "يَغْرِسُون" من غرسِ الأشجار، وما أحسبُه إلَّا تصحيفًا منه.

وهذا آخِرُ ما اقتصَّ اللهُ من نبأ فرعونَ والقِبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم، ثم أَتبعه اقتصاصَ نبأ بني إسرائيل وما أحدَثوه بعد إنقاذهم من مَلَكةِ فرعون واستعبادِه، ومعايَنتهم الآياتِ العظامَ، ومجاوزتهم البحرَ؛ من عبادة البقر، وطلب رؤية الله جهرةً، وغيرِ ذلك من أنواع الكفر والمعاصي؛ ليُعلَمَ حالُ الإنسان، وأنه كما وصفَه ظلومٌ كفَّارٌ جهولٌ كنودٌ إلَّا مَن عصَمَه الله ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ ١٣/٣٤]، وليُسَلِّيَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة.

وروي: أنه عبَر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك اللهُ فرعونَ وقومَه فصَامُوه شكرًا لله.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨﴾

﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: فمرُّوا عليهم ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يُواظِبون على عبادتها ويلازمونها، قال ابن جُرَيْجٍ: كانت تماثيلَ بقرٍ، وذلك أوَّلُ شأنِ العِجْلِ.

قوله: (وبلغني) المصنِّف الذي هو مفعول[1] "بلغني".

قوله: (مِن مَلَكة فرعون) «قولهم: ما في مِلْكه شيء ومَلْكه شيء،[2] أي: لا يملك شيئًا. وفيه لغة ثالثة ما في مَلَكته شيء بالتحريك».[3]

قوله: (مِن[4] عبادة البقر) بيان (ما أحدثوا).

قوله: (كَنودٌ) «كَنَد كُنودًا: كفر النعمة، فهو كَنود. وامرأة كَنود أيضًا».[5]

---

١ ن ر: مفعولين.
٢ ر - وملكه شيء.
٣ الصحاح للجوهري، «ملك».
٤ ن ر: في.
٥ ر - أيضًا. | الصحاح للجوهري، «كند».

وقيل: كانوا قومًا من لَخْمٍ.

وقيل: كانوا من الكنعانيِّين الذين أُمِرَ موسى عليه السلام بقتالهم.

وقرئ: "وجوَّزنا" بمعنى: أجَزْنا، يقال: "أجاز المكانَ وجوَّزه وجاوَزه" بمعنى: جازه؛ كقولك: "أعلاه وعلَّاه وعالاه".

وقرئ: ﴿يَعْكفون﴾ بضمِّ الكاف وكسرها.

﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾: صنمًا نَعكُفُ عليه ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: أصنامٌ يعكفون عليها، و"ما" كافةٌ للكافِ، ولذلك وقعت الجملةُ بعدها.

وعن عليٍّ رضي الله عنه: أن يهوديًّا قال له: اختلفْتُم بعد نبيِّكم قبل أن يَجِفَّ ماؤُه، فقال: قلتُم اجْعَلْ لنا إلهًا ولمَّا تجِفَّ أقدامُكم.

﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تعجُّب من قولهم على إِثْرِ ما رأوْا من الآيات العُظْمَى والمعجزةِ الكُبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكَّده؛ لأنه لا جهل أعظمُ مما رأَى منهم ولا أشنَعُ.

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾

﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: عبَدةَ تلك التماثيل.

قوله: (مِن لَخْم) لَخْم: حيّ مِن اليمن، ومنهم كانت ملوك العرب في الجاهليّة. وقيل: لَخْم قوم مِن مُضر.

قوله: (فقال: قلتُم) قال رحمه الله:[1] قال عليّ رضي الله تعالى[2] عنه: أوّلًا في جواب اليهودي[3] اختلفنا[4] عنه لا فيه، ثمّ ثنى بما ذَكَر في المتن.

قوله: (وقرئ: ﴿يَعْكفُونَ﴾) بالضمّ والكسر، بالكسر حمزة والكسائي والباقون[5] بالضمّ.[6]

---

[1] ر: رضي الله عنه.

[2] ر – تعالى.

[3] ن: اليهود.

[4] ن ر: أخلفنا.

[5] ر: والباقين.

[6] انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٢٩٢.

﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾: مُدمَّرٌ مُكسَّرٌ ما هم فيه، من قولهم: "إناءٌ متبَّرٌ": إذا كان فُضاضًا، ويقال لكُسار الذَّهَبِ: التِّبْرُ.

أي: يتبِّرُ اللهُ ويَهدِمُ دينَهم الذي هم عليه على يدي، ويَحْطِمُ أصنامَهم هذه ويتركُها رُضاضًا.

﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: ما عملوا شيئًا من عبادتها فيما سَلَفَ إلَّا وهو باطلٌ مُضْمَحِلٌّ لا ينتفعون به وإن كان في زَعمهم تقرُّبًا إلى الله؛ كما قال: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان ٢٣/٢٥].

وفي إيقاع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسمًا لـ﴿إِنَّ﴾ وتقديمِ خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرًا لها وَسْمٌ لعبَدةِ الأصنام بأنهم هم المعرَّضون للتَّبار، وأنه لا يَعْدُوهم البتة، وأنه لهم ضرْبةُ لازبٍ؛ ليُحذِّرَهم عاقبةَ ما طلَبوا ويُبغِّضَ إليهم ما أحبُّوا.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: أغيرَ المستحِقِّ للعبادة أطلبُ لكم معبودًا، وهو فَعَل بكم ما فَعَل -دون غيره- ....

قوله: (فُضاضًا)[1] «فُضاض[2] الشيء: ما تفرَّق منه عند كسرك إيّاه».[3]

قوله: (وفي إيقاع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسمًا لـ﴿إِنَّ﴾)... إلخ، اعلم أنَّ في تخصيص اسم الإشارة بالذِّكر الدلالة على أنَّ أولئك القوم مستحقُّون للتبار لأجل اتِّصافهم بالعُكوف على عبادة الأصنام، ثمّ[4] في توكيد مضمون الجملة بـ"إنَّ" مزيدًا لدلالة على ذلك، وإليه أشار بقوله: (وسمٌ لعَبَدة الأصنام)،[5] أي: علامة شنيعة لا صفة كالكيِّ على الدابّة.

[1] ر: قصاصًا.
[2] ر: قصاص.
[3] **الصحاح** للجوهري، «كند».
[4] ر – ثم.
[5] ر: الأوثان.

من الاختصاصِ بالنِّعمة التي لم يُعطِها أحدًا غيرَكم؛ لتختصُّوه بالعبادة ولا تُشركوا به غيرَه؟!

ومعنى الهمزةِ: الإنكارُ والتَّعجُّبُ من طَلِبَتِهم -مع كونهم مَغْمورين في نعمة الله- عبادةَ غيرِ الله.

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: يبغونكم شدَّةَ العذاب، من سامَ السلعةَ: إذا طلَبها.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾؟

قلتُ: هو استئنافٌ لا محلَّ له، ويجوز أن يكون حالًا من المخاطَبين أو من آل فرعونَ.

و﴿ذَٰلِكُم﴾ إشارةٌ إلى الإنجاء أو إلى العذاب، والبلاءُ: النعمةُ أو المحنَةُ.

وقرئ: ﴿يقتُلون﴾ بالتخفيف.

قوله: (مِن الاختصاص بالنعمة)... إلخ، فيه نوعان مِن الاختصاص: أحدهما[1] وهو فعل بكم ما فعل دون غيره، وهو مستفاد مِن تقديم الفاعل المعنوي على الفعل، وهو قوله: ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ﴾؛ وثانيهما لتخصُّوه بالعباد،[2] فالاختصاص مِن تقديم المفعول في ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ وإنكاره بالثمرة.

قوله: (مِن[3] طَلِبَتهم) الجوهري: «الطَّلِبَة بكسر اللام: ما طلبته مِن شيء».[4] وهو هنا بمعنى المصدر.

قوله: (﴿يَسُومُونَكُمْ﴾) سمته خسفًا،[5] أي: أوليتُه إيّاه.[6]

[٣٥٣و] قوله: (والبلاء: النعمة أو المحنة) فيه لفّ، أي: البلاء: النعمة، / التنويع على التفسيرين لقوله: ﴿ذَٰلِكُم﴾.

قوله: (﴿يَقْتُلُونَ﴾ بالتخفيف) نافع.[7]

---

[1] ر: أحدها.
[2] ر: بالعبادة.
[3] ن ر: في.
[4] **الصحاح** للجوهري، «طلب».
[5] ر: حشفًا.
[6] ر - إياه. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «خسف».
[7] انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٢٩٢.

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾

روي: أن موسى عليه السلام وعَد بني إسرائيل وهو بمصرَ إنْ أهلك الله عدوَّهم أتاهم بكتابٍ من عند الله فيه بيانُ ما يأتون وما يَذَرُون، فلمَّا هلك فرعونُ سأل موسى ربَّه الكتابَ، فأمَرَه بصوم ثلاثين يومًا وهو شهر ذي القَعْدة، فلمَّا أتم الثلاثين أنكرَ خُلوفَ فيه فتسوَّك، فقالت الملائكة: كنَّا نَشُمُّ من فيكَ رائحةَ المِسْكِ فأفْسَدْتَه بالسواك.

وقيل: أَوْحَى الله إليه: أما علمتَ أن خُلوفَ فم الصائم أطيبُ عندي من ريح المِسْك، فأمرَه الله تعالى بأن يزيدَ عليها عشرةَ أيام من ذي الحجة لذلك.

وقيل: أمرَهُ اللهُ بأن يصوم ثلاثين يومًا وأن يَعمل فيها بما يُقرِّبه من الله، ثم أُنزلت عليه التوراةُ في العشر فكُلِّم فيها، ولقد أَجْمل ذكرَ الأربعين في سورة البقرة وفَصَّلها هاهنا.

و﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: ما وقَّته له من الوقت وضربَه له.

و﴿أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾ نصبٌ على الحال؛ أي: تَمَّ بالغًا هذا العددَ.

و﴿هَٰرُونَ﴾ عطفُ بيان لـ﴿لِأَخِيهِ﴾، وقرئ بالضمِّ على النداء.

﴿اخلفني في قومي﴾: كُن خليفتي فيهم ﴿وَأَصۡلِحۡ﴾: ....

قوله: (﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ ما وقَّت له) أظن أنَّ الصواب أن يقال والله أعلم: الميقات: ما يُعرَف به الوقت، أي: وقت تكليم الله تعالى موسى، وذلك الوقت[1] إنَّما يعرف بأربعين ليلة، فإنَه[2] إذا[3] يمضي أربعون[4] ليلة يكون وقت كلامه، فيكون معنى ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ لانقضاء مِيقاتنا أو إتمام مِيقاتنا.

---

[1] ر - أي: وقت تكليم الله تعالى موسى وذلك الوقت.
[2] ر - فإنه.
[3] ر: فإذا.
[4] ر: أربعين.

كُنْ مصلحًا، أو: وأصلحْ ما يجب أن يُصلَح من أمور بني إسرائيل، ومَن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتَّبِعْه ولا تُطِعْه.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾: لوَقْتِنا الذي وقَّتْنا له وحَدَّدْنا، ومعنى اللام الاختصاصُ؛ فكأنه قيل: واختصَّ مجيئُه بميقاتنا؛ كما تقول: أتيتُه لعَشْرٍ خَلوْن من الشهر.

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ من غير واسطةٍ كما يُكَلِّم المَلَكَ، وتكليمه: أنْ يخلقَ الكلامَ منطوقًا به في بعض الأجرام كما خَلقَه مخطوطًا في اللوح.

وروي: أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلامَ من كلِّ جهةٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كلَّمه أربعين يومًا وأربعين ليلةً وكتب له الألواحَ.

وقيل: إنما كلَّمه في أوَّل الأربعين.

﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ثاني مفعولَي ﴿أَرِنِى﴾ محذوفٌ؛ أي: أرني نفسَك أَنْظرْ إليك.

فإن قلتَ: الرؤيةُ عينُ النظر فكيف قيل: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؟

قوله: (**﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ لوقتنا**) قيل: لا بدّ ههنا مِن تقدير مضاف، أي: لآخر مِيقاتنا أو لانقضاء مِيقاتنا.

قوله: (**وكن مصلِحًا**) أي: كن ذا صلاح، فالهمزة للصيرورة، وعلى الثاني للتعدية.

قوله: (**الرؤية عن النظر**) أي: النظر مقدَّم على الرؤية، فإنّه عبارة عن تقليب الحَدَقة نحو المرئيّ التماسًا لرؤيته. وقد يتخلَّف عنه في بعض الصور، فكيف جعله مؤخَّرًا عنه. ويروى "الرؤية عين النظر"، ويؤيد الأوّل قوله[1] في "الشعراء":

[1] ر + قوله.

قلتُ: معنى "أرني نفسك": اجعلني متمكِّنًا من رؤيتك بأن تتجلَّى لي فأنظرَ إليك وأراك.

فإن قلتَ: فكيف قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولم يقل: "لن تنظر إليَّ" لقوله: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؟

قلتُ: لمَّا قال: ﴿أَرِنِى﴾ بمعنى: اجعلني متمكِّنًا من الرؤية التي هي الإدراكُ، عُلِم أن الطلبةَ هي الرؤيةُ لا النظرُ الذي لا إدراك معه، فقيل: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ولم يُقَلْ: لن تنظرَ إليَّ.

فإن قلتَ: كيف طلبَ موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، وبتعاليهِ عن الرؤية التي هي إدراكٌ ببعض الحواسِّ، وذلك إنما يصحُّ فيما كان في جهةٍ، وما ليس بجسمٍ ولا عَرَضٍ فمحالٌ أن يكون في جهةٍ، ومَنْعُ المجبِرة إحالَتَه في العقول غيرُ لازم؛ لأنَّه ليس بأوَّل مكابَرتهم وارتكابهم، وكيف يكون طالبَه وقد قال حين أَخذتِ الرَّجفَةُ الذين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء ١٥٣/٤]: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ إلى قوله: ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف ١٥٥/٧] ....

الاستماع مِن السمع[1] بمنزلة الرؤية مِن النظر؛ لأنَّ الاستماع جارٍ[2] مجرى الإصغاء.[3] وتقرير هذا السؤال أنَّ ﴿أَرِنِى﴾ يكفي في الطلب؛ لأنه تعالى إذا أراه نفسه لا بدّ له أن ينظر إليه، فما فائدة إردافه؟[4] فأجاب[5] بأنَّ فائدته التأكيد والكشف، فإنّه لمّا أردفه به أفاد طلب رفع المانع وكشف الحجاب والتمكين مِن الرؤية، بحيث لا تتخلّف عنه الرؤية البتّة، نحو قولك: نظرتُ بعيني وقبضتُ بيدي.

قوله: (عُلِم **أنّ الطَّلِبة هي الرؤية لا النظر**)؛ لأنَّ النظر:[6] عبارة عن تقليب الحَدَقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته فقد تتخلّف عنه[7] الرؤية في بعض الصور.

---

[1] ر: السميع.
[2] ن: مجاز؛ ر: مجازي.
[3] ن ر: الأعضاء. | انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (الشعراء، ١٥/٢٦).
[4] ن: إرادته.
[5] ر: وأجاب.
[6] ن - لأنَّ النظر.
[7] ن: عند.

فتبرَّأ من فعلهم ودَعاهُم سُفهاءَ وضُلَّالًا؟

قلتُ: ما كان طلبه الرؤيةَ إلَّا ليُبكِّتَ هؤلاء الذين دعاهم سُفهاءَ وضُلَّالًا وتبرَّأ من فعلهم، وليُلْقِمَهم الحجرَ، وذلك أنهم حين طلبوا الرؤيةَ أنكرَ عليهم وأَعْلَمَهم الخطأ ونَبَّهَهُم على الحقِّ، فلجُّوا وتمادَوْا في لجاجهم وقالوا: لا بدَّ، ولن نؤمنَ لك حتى نراه، فأراد أن يسمعوا النصَّ من عند الله باستحالةِ ذلك، وهو قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ليتيقَّنوا ويَنزاحَ عنهم ما دخلهم من الشُّبهة، فلذلك قال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

فإن قلتَ: فهلَّا قال: أَرِهم ينظروا إليك؟

قلتُ: لأن الله سبحانه إنما كلَّم موسى عليه السلام وهم يسمعون، فلمَّا سمعوا كلامَ ربِّ العزَّة أرادوا أن يُرِيَ موسى ذاتَه فيُبْصِروه معه -كما أَسْمعه

قوله: **(ودعاهم سفهاءَ)** أي: سمّاهم سفهاء.

قوله: **(قلتُ: ما كان طلبه الرؤيةَ)**... إلخ، واعلم أنّ القصّة كانت في المرّة الأولى حين ذهب إلى الطُّور فأعطاه الله تعالى[1] **التوراة**، وسؤاله الرؤية كانت في هذه الكرة، وأمّا سؤال قومه فقد كان في المرّة الثانية حين ذهب موسى بسبعين مِن نقباء قومه للاعتذار مِن عبادة قومه العجل. وقد خبط المصنّف وجار[2] ما عدل، وحرّف القصّة وخلط بعض القصّة الأولى بالثانية وبعض القصّة[3] الثانية بالأولى، إمّا سهوًا[4] عفا الله تعالى[5] عنه[6] ذلك، وإمّا تعصّبًا لمذهبه وترويجًا لباطله، ونعوذ بالله تعالى[7] مِن ذلك، وكيف ما كان نسأل الله تعالى العفو عنه والتجاوز والغفران، يا ربّ فاغفر خبطه، والويل إن لم تغفر. اللّٰهمّ ارزقنا العفو والعافية في الدنيا والآخرة وتقدّم[8] له مثله في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة ٢/٥٥]، وأشرنا هناك إلى مثل ذلك.

---

[1] ر - تعالى.
[2] ر: وجاز.
[3] ر: قصة.
[4] ر + منه.
[5] ر - تعالى.
[6] ر: عن.
[7] ر - تعالى.
[8] ن ر: قدّم.

كلامَهُ فسمعوه مَعَهُ- إرادةً مَبْنِيَّةً على قياسٍ فاسدٍ، فلذلك قال موسى: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾؛ ولأنه إذا زُجِرَ عمَّا طلبَ وأُنكرَ عليه في نبوَّته واختصاصه وزُلفتِهِ عند الله عز وجل، وقيل له: "لن يكون ذلك" كان غيرُه أولى بالإنكار؛ ولأن الرسول إمامُ أُمَّته فكان ما يُخاطِب به أو يخاطَب راجعًا إليهم، وقوله: ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ وما فيه من معنى المقابلةِ التي هي محضُ التشبيه والتجسيم دليلُ أنه تَرْجَمَةٌ عن مُقْترحِهم وحكايةٌ لقولهم، وجَلَّ صاحبُ الجُمَلِ أن يَجْعل الله منظورًا إليه مقابَلًا بحاسَّةِ النظر، فكيف بمن هو أَعْرقُ في معرفةِ الله من واصلِ بن عطاء، وعمرو بن عبيد، والنَّظَّامِ، وأبي الهذيل، والشيخَيْن، ....

قوله: (**وأُنكِر عليه في نبوّته**)، "في نبوّته" حال مِن الضمير في "عليه"،[1] أي: مستقرًّا في نبوّته.

قوله: (**مقابَلًا بحاسة النظر**) هذا زيادة خبط ومبالغة مِن المصنّف في إرادة ترويج الباطل، وكأنّه عميَ عن النظر في هذه الآية وعن النظر في سوابقها ولواحقها؛ وأمّا إيماؤه إلى أن الرؤية تحتاج إلى المقابلة فشيء لا يُلتفت إليه ههنا، فإنّه ممنوع ومنقوض برؤية الله تعالى إيّانا، وإنّما بحثنا ههنا في هذه الآيات وكيفيّة دلالتها على ما ذهب إليه وعلى ما ذهبنا إليه أهلَ السنّة والجماعة، وأمّا إذا الأمر إلى علم الكلام فلا يُمكنه مقاومة فحولهم ولا الدنوّ مِن أشبال أسودهم؛ بل يفرّ منهم إلى الأبد فرارَ النَّقَد[2] مِن الأسد.

قوله: (**وجلّ صاحب الجُمل**) "الجُمل" في الأصل المُملى[3] منه بضمّ الجيم، لكنّ / الميم مهملة لا ضبطَ عليها. ويمكن أن يوجه بأنّه أراد الجمّالين [٣٥٣ظ] والملّاحين، لأنّ "الجُمّل" حبال السُّفن، والواحد منها "جُملة" لكونها جملة الطاقات والقوى. وفيه نظر؛ لأنّ الجُمّل الذي بمعنى الحبل هو مشدَّد الميم وليس جمعًا[4] واحده جُملة. وليس بمستبعد أن يُزعَم أنّ جملًا كتاب صنّفه بعض المعتزلة

---

[1] ر: غلبه.
[2] النقَد: جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه. **الصحاح** للجوهري، «نقد».
[3] ن: الممتلئ؛ ر: الممكن.
[4] ن ر + لا.

وجميع المتكلِّمين؟

فإن قلتَ: ما معنى ﴿لَن﴾؟

قلت: تأكيدُ النفي الذي تُعطِيه ﴿لَآ﴾، وذلك أنَّ ﴿لَآ﴾ تنفي المستقبلَ، تقول: "لا أفعل غدًا" فإذا أكّدتَ نفيَها قلتَ: "لن أفعلَ غدًا"، والمعنى: أنَّ فِعْلَه ينافي حالي؛ كقوله: ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج ٢٢/٧٣] فقولُه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام ٦/١٠٣] نفيٌ للرؤية في ما يُستَقْبل، و﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تأكيدٌ وبيانٌ؛ لأنّ المنفيَّ منافٍ لصفاتهِ.

فإن قلتَ: كيف اتَّصل الاستدراك في قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ بما قبله؟

قلتُ: اتَّصل به على معنى: أنَّ النظَرَ إليَّ محالٌ فلا تَطلُبْه، ولكن عليك بنظرٍ

مِن تلامذة هؤلاء المعدودين واشتمل مضمونه على أصولهم وفيه دليل لهم على نفي الرؤية، يعني عظيم قدر صاحب هذا الكتاب أن يجعل الله منظورًا إليه بنَصب الأدلة وإقامة البراهين، فكيف بمَن هو أعرق[١] منه في معرفة الله تعالى. وأراد بالشيخين أبا عليّ الجبائي وابنه هاشم. وقوله: **(وجميع المتكلِّمين)**، يعني جميع المعتزلة. وحاصل كلامه أنّ موسى عليه السلام كان أعلم مِن هؤلاء المعتزلة. انظر إلى هذا التعصب البارد الذي يتعصّبه، وكأنّه لا يدري ما يقول امتعاطًا لظهور بطلان مذهبه وتشوُّفًا إلى تزيينه[٢] وترويجه، ويستر قبحه تارة بالجلال وتارة بالسِّباب[٣] وتارة بالإلحاد في آيات الله تعالى.

قوله: **(لأنّ المنفيَّ مُنافٍ)** اللام متعلِّق بقوله: **(بيان)** اعلم أنّ قوله: **(معنى "لن" تأكيد[٤] النفي)**[٥] صحيح. وأمّا قوله: **(أنّ فعله ينافي حالي)**[٦] فشيء لم يذكره غيرُه، وإنّما هو شيء ذَكَره المصنّف لإثبات مذهبه. فقوله: **(﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تأكيد وبيان؛ لأنّ النفي منافٍ لصفاته)** ممنوع؛ بل الحقّ أن يقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تأكيد لنفي الرؤية، ومِن أين تلزم المنافاة بين الرؤية وبين صفاته تعالى.

---

١ ن: أعرف.
٢ ر: ترتيبه.
٣ ر: بالسيات.
٤ ر: تأكيدًا.
٥ ر: لنفي.
٦ ن ر: حاله.

آخر: وهو أن تنظرَ إلى الجبل الذي يَرْجُفُ بك وبمن طلبتَ الرؤيةَ لأجلهم كيف أفعلُ به، وكيف أَجْعَله دَكًّا بسبب طلبك الرؤيةَ؛ لتَسْتعْظِمَ ما أقدمتَ عليه بما أُريك من عِظَمِ أثره؟ كأنّه عزَّ وعلا حقَّق عند طلب الرُّؤية ما مثَّله عند نسبة الولد إليه في قوله: ﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم ١٩/٩٠-٩١].

﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ كما كان مستقرًّا ثابتًا في جهاته ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ تعليقٌ لوجود الرؤية بوجودِ ما لا يكون من استقرار الجبل مكانَه حين يَدُكُّه دكًّا ويُسوِّيه بالأرض.

وهذا كلامٌ مُدْمَجٌ بعضُه في بعضٍ، واردٌ على أسلوبٍ عجيبٍ ونمطٍ بديعٍ، ألا ترى كيف تخلَّصَ من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك، ثم كيف بَنَى الوعيدَ بالرجفة الكائنة بسبب طلبِ النظر على الشريطة في وجود الرؤية؟ أعني قوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ فلمَّا ظهر له اقتدارُه وتصدَّى له أمرُه وإرادتُه

قوله: (مِن استقرار الجبل مكانه حين يدكُّه) علّق تعالى الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن، فوجب أن تكون الرؤية ممكنة،[1] وأمّا جَعْل المصنف قوله: "حين يدكُّه" ظرفًا لـ"استقرار" ليجعله مِن قبيل المحال فشيء لا اعتدادَ به؛ لأنّ هذا[2] التقييد والاشتراط لم يُذكَر في القرآن صريحًا ولا ضمنًا.

قوله: (مُدمَج) أي: ملفَّف مُحكَم، مِن أدمجتُ الشيء إذا لففتَه في ثوب. والإدماج في الاصطلاح: هو أن يُضمَّن كلام سِيق لوصف وصفًا آخر.[3]

قوله: (ألا ترى كيف تخلَّص مِن النظر إلى النظر) التخلُّص اصطلاحًا:[4] هو الخروج في الكلام مِن معنى إلى آخرَ لا يناسبه برابطة مناسبة لها.[5]

قوله: (على الشريطة) قال في الصحاح: «الشرط معروف وكذلك[6] الشريطة».[7]

---

١ ن - فوجب أن تكون الرؤية ممكنة.
٢ ر - هذا.
٣ انظر: الإيضاح للقزويني، ص ٥٢٦.
٤ ر: اصطلاحها.
٥ انظر: الإيضاح للقزويني، ص ٥٩٦.
٦ ر: وكذا.
٧ الصحاح للجوهري، «شرط».

﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾؛ أي: مَدْكوكًا، مصدرٌ بمعنى مفعول كـ: ضَرْب الأمير، والدَّكُّ والدَّقُّ أخوان كالشكِّ والشَّقِ.

وقرئ: ﴿دكَّاءَ﴾ والدكَّاءُ: اسمٌ للرَّابيةِ الناشزة من الأرض كالدَّكَّة، أو: أرضًا دكاء؛ أي: مستويةً، ومنه قولُهم: ناقةٌ دكَّاءُ متواضعةُ السَّنام.

وعن الشعبيِّ: قال لي الربيعُ بنُ خُثَيمٍ: اُبْسُطْ يدَك دكَّاء؛ أي: مُدَّها مستويةً.

وقرأ يحيى بنُ وثَّابٍ: "دُكًّا"؛ أي: قَطعًا دُكًّا، جمعُ دَكَّاءَ.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ من هَوْلِ ما رأى، و«صَعِقَ» من باب: فعَلتُه ففَعِلَ، يقال: صعَقْتُه فصعِقَ، وأصلُه من الصَّاعقة، ويقال لها: الصَّاقِعَةُ، من صَقَعَه: إذا ضرَبَه على رأسه، ومعناه: خرَّ مَغْشِيًّا عليه غَشْيةً كالموت.

وروي: أن الملائكة مرَّتْ عليه وهو مَغْشيٌّ عليه فجعلوا يَلْكُزُونَه بأرجلهم يقولون: يا ابنَ النساء الحُيَّضِ أطَمِعْتَ في رؤية ربِّ العزَّة؟!

﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ من صَعْقتِه ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: أُنَزِّهُك مما لا يجوزُ عليك من الرؤية وغيرها.

قوله: (**وقرئ: ﴿دَكَّآءَ﴾**) حمزة والكسائي بالمدّ والهمز مِن غير تنوين، والباقون بالتنوين مِن غير همز.[1]

قوله: (**فجعلوا يلكزونه**)[2] فيه نظر؛ لأنّ موسى عليه السلام على زعم المصنّف ما طلب الرؤية لنفسه، وهذا النظر وارد على تفسيره وخلطِه إحدى القصّتين بالأخرى على ما سيتحقق، وأمّا على ما هو تفسير الآية فلا يرد[3] النظر؛ لأنّه طلب الرؤية لنفسه وهي لم تصحّ في الدنيا ولا غَروَ أن يكون موسى عليه السلام عالمًا بأنّ الرؤية جائزة على الله تعالى، ولم يكن عالمًا بأنّه لا يكون في الدنيا وإنّما يكون في الآخرة. و"اللكز": الضرب على الصدر.

قوله: (**﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ أنزهك**) إلى قوله: (**ولا مُدرَكٍ[4] بشيء مِن الحواسّ**)

---

[1] انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٢٩٣.
[2] ن: ينكرونه.
[3] ر: يُراد.
[4] ن: يدرك.

﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ من طلب الرؤية ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بأنك لستَ بمَرْئيٍّ ولا مُدْرَكٍ بشيء من الحواسِّ.

فإن قلتَ: فإن كان طلبُ الرؤية للغرض الذي ذكرْتَه فمِمَّ تاب؟

قلتُ: من إجرائه تلك المقالةَ العظيمةَ وإن كان لغرضٍ صحيحٍ على لسانه من غيرِ إذْنٍ فيه من الله تعالى.

فانظر إلى إعظام الله أمرَ الرُّؤية في هذه الآية، وكيف أرجَفَ الجبَلَ بطالبيها وجعله دكًّا، وكيف أصعَقَهم ولم يُخْلِ كليمَه من نَفَيان ذلك مبالغةً في إعْظام الأمر، وكيف سَبَّح ربَّه مُلتجئًا إليه وتابَ من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال: "أنا أوَّل المؤمنين"؟

ثم تعجَّبْ من المتَّسِمِين بالإسلام المتسمِّين بأهل السُّنَّة والجماعةِ كيف اتَّخذوا هذه العظيمةَ مذهبًا، ولا يغرنَّك تَستُّرُهم بالبَلْكَفة، فإنه من منصوبات أشياخِهم! والقولُ ما قال بَعْضُ العدليَّة فيهم:

الزيادات التي ذَكَرها تقييد مِن غير دليل. قال الإمام: «الرؤية كانت جائزة إلَّا أنَّ موسى عليه السلام سألها بغير إذن، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، فكانت التوبة بهذا المعنى».[1]

قوله: **(مِن نَفَيان)** ذلك النفيان رَشاش المطر.

قوله: **(مِن المتَّسمين بالإسلام)** بتشديد التاء مِن الاتّسام والمتسمّين بتشديد الميم مِن التسمّي مُطاوع "التسمية".

[٣٥٤و] قوله: **(بالبلكفة)**[2] / نحو "البسملة" و"الحيعلة"، أي: القائلين: بأنَّ الرؤية تحصل بلا كيف. في بعض **الحواشي**: "البلكفة": قول القائل: بل كفى في إمكان الرؤية تعليقها بشرط ممكن وهو استقرار الجبل مِن حيث هو هو. و"الموكفة" مِن الإكاف، وهو: البردعة. أجاب بعض أهل السنّة والجماعة:

---

[1] تفسير الرازي، ١٤/٢٤٣ (الأعراف، ٧/١٤٣). [2] ر: التلكفة.

لَجماعةٌ سمَّوْا هواهُم سُنَّةً وجَماعَةُ حُمْرٌ لعمْري مُوكفَهْ
قد شَبَّهوه بخَلْقه وتخوَّفُوا شُنَعَ الوَرى فتَستَّرُوا بالبَلْكَفه

وتفسيرٌ آخَر: وهو أنْ يريد بقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾: عرِّفني نَفسَك تعريفًا واضِحًا جَليًّا كأنها إراءةٌ في جلائها بآيةٍ مثلِ آيات القيامة التي تَضطرُ الخلقَ إلى معرفتك، ﴿أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾: أعْرِفْك معرفةَ اضْطرارٍ كأنِّي أنظرُ إليك كما جاء في الحديث: «سترَوْنَ ربَّكم كما تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البدر» بمعنى: ستعرفونَه معرفةً جليَّةً هي في الجلاءِ كإبْصاركم القمرَ إذا امتلأ واستوى، ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾؛ أي: لن تُطِيقَ معرفتي على هذه الطريقة، ولن تحتمِلَ قوتُكَ تلك الآيةَ المضطرَّةَ ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ فإني أوردُ عليه وأُظهر له آيةً من تلك الآيات، ﴿فَإِنِ﴾ ثَبَتَ لتجلِّيها و﴿ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ ولم يتضعْضَعْ ﴿فَسَوۡفَ﴾ تثبتُ لها وتُطيقها ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾: فلمَّا ظهرَتْ له آيةٌ من آيات قُدرته وعظمته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ﴾ لعُظْم ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ مما اقترَحْتُ وتجاسَرْتُ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بعظمتك وجلالك وأنَّ شيئًا لا يقوم لبطْشِك وبأسك.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾

﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: اختَرْتُك على أهل زمانك وآثرتُك عليهم ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ وهي أسفارُ التوراة ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾: وبتكليمي إيَّاك.

عجبًا لقوم ظالمين تلقَّبوا بالعدل ما فيهم لعمري معرفه
قد جاءهم مِن حيث لا يدرونه تعطيلُ ذات الله مع نفي الصفه[١]

قوله: (**المضطرَّة**)[٢]

قوله:[٣] (**أسفار التوراة**) السِّفر بالكسر: الكتاب، والجمع أسفار.

---

١ البيتان للشيخ تاج الدِّين السبكي في **حاشية الشهاب على البيضاوي**، ٢١٥/٤.

٢ ر: المصطرة. | يظهر أنّه سقط من هنا التعليق على هذه اللفظة من النسختين. وعلّق عليها الطِّيبي بقوله في **فتوح الغيب**، ٥٦٨/٦: «قوله: (المضطرَّة) هي اسم فاعل، كقولهم: المغتاب -فضّ الله فمه- يأكل لحم المغتاب ويشرب دمه».

٣ ن ر – قوله.

﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: ما أعطيتُك من شَرَف النبوَّة والحكمة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ على النعمة في ذلك فهي من أجَلِّ النِّعَم.

وقيل: خرَّ موسى صَعِقًا يومَ عرفةَ، وأُعطيَ التوراةَ يومَ النَّحْر.

فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ وكان هارونُ مصطفًى مثلَه ونبيًّا.

قلتُ: أجَلْ؛ ولكنَّه كان تابعًا له وَرِدْءًا ووزيرًا، والكليمُ هو موسى عليه السلام، والأصيلُ في حَمْلِ الرسالة.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

ذَكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنَّها كانت عشرةَ ألواحٍ، وقيل: سبعةً، وقيل: لَوْحَيْنِ، وأنها كانت من زُمُرُّدٍ جاء بها جبريلُ عليه السلام.

وقيل: من زَبَرْجَدةٍ خَضْراءَ وياقوتةٍ حَمْراء.

وقيل: أمَرَ اللهُ موسى بقطعها من صخرةٍ صَمَّاءَ ليَّنَها له، فقَطَعها بيده وشقَّقَها بأصابعه.

وعن الحسن: كانت من خشبٍ نزلَتْ من السماء فيها التوراةُ، وأنَّ طولها كان عشرةَ أذرُعٍ.

وقوله: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ في محلِّ النصبِ مفعول "كَتَبْنا"، و﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ بدلٌ منه، والمعنى: كتبنا له كلَّ شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام.

وقيل: أُنزلت التوراةُ وهي سبعون وِقْرَ بعيرٍ يُقْرأُ الجزءُ منه في سنةٍ، لم يقرأها إلَّا أربعةُ نفرٍ: موسى ويُوشع وعُزيرٌ وعيسى عليه السلام.

قوله: (**كان عشرةَ[١] أذرع**) الذراع يُذكَر ويؤنَث، الأذرع جمع الذراع إذا كان مؤنَّثًا كـ"الألسن" فيمن أنَّث اللسان ومَن ذكَّر قال: "ألسِنة".

---

١ ن: عشر.

وعن مقاتل: كُتب في الألواح: إني أنا الله الرحمن الرحيم، لا تُشركوا بي شيئًا ولا تقطعوا السبيلَ ولا تحلفوا باسمِي كاذبًا، فإنَّ مَن حَلفَ باسمي كاذبًا فلا أُزكِّيهِ، ولا تقتلوا ولا تَزْنوا ولا تعقُّوا الوالدَيْنِ.

﴿فَخُذْهَا﴾ فقلنا له: خُذْها، عطفًا على "كتبنا"، ويجوز أن يكون بدلًا من قوله: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ والضميرُ في "خذها" للألواح، أو لـ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لأنه في معنى الأشياء أو الرسالات، أو للتوراةِ.

ومعنى ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجِدٍّ وعزيمةٍ فِعْلَ أولي العَزْم من الرسل.

﴿يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾؛ أي: فيها ما هو حَسَنٌ وأحسنُ كالاقتصاص والعفو والانتصار والصَّبْر، فمُرْهم أَنْ يَحملُوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخلُ في الحُسْنِ وأكثرُ للثواب؛ كقوله: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم﴾ [الزمر ٣٩/٥٥].

وقيل: يأخذوا بما هو واجبٌ أو ندبٌ؛ لأنه أحسنُ من المباح.

قوله: **(فلا أزكِّيه)** أي: فأنا لا أزكيه، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن ٧٢/١٣]، أي: فهو لا يخاف.

قوله: **(فِعلَ أُولي العزم)** نصب مفعولٌ مطلق، أي: خُذها أخذًا، أي: أخذًا[١] مثل أُولي العزم مِن الرسل مجدين صابرين ثابتين.[٢]

قوله: **(كالاقتصاص والعفو)** فيه نظر؛ لأنّه[٣] ذكَر أنّه لم يجُز لهم العفو، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِم﴾ [الأعراف ٧/١٥٧]: «"الأغلال" مَثَل لِما كان في شرائعهم مِن الأشياء الشاقّة، نحو بتّ القضاء بالقصاص عمدًا كان أو خطأ مِن غير شرع الدية».[٤] إلّا أن يكون مراد المصنّف أن يذكر ذلك بطريق التمثيل.

---

١ ن ر: أخذ.

٢ ر: ثائبين.

٣ ن + إذا.

٤ **الكشّاف** للزمخشري، (الأعراف، ٧/١٥٧).

ويجوز أن يراد: يأخذوا بما أُمروا به دون ما نُهوا عنه، على قولك: الصَّيْفُ أحرُّ من الشتاء.

﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يريد: دارَ فرعونَ وقومِه -وهي مصرُ- كيف أقفرَتْ منهم ودُمِّروا لِفِسْقهم؛ لتَعْتبروا فلا تفسقوا مثلَ فسقهم فيُنَكِّلَ بكم مثلَ نكالهم؟

وقيل: منازلَ عادٍ وثمودَ والقرونِ الذين أَهْلكهم الله لفسقِهم في ممرِّكم عليها في أسفاركم.

وقيل: ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: نارَ جهنّم.

وقرأ الحسن: "سأُوريكم" وهي لغةٌ فاشِيةٌ بالحجاز، يقال: "أَوْرِني كذا"

قوله: (**على قولك: الصيفُ أحرّ مِن الشتاء**) مع أنّ الحرّ ليس مشتركًا، كذلك قال: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ مع أنّ الحُسن ليس مشتركًا،[1] وهذا هو المعنى لا ما ذَكَر بعضهم مِن أنّ المعنى "الصيف في الحرارة أقوى مِن الشتاء في البرودة"، وإلّا لصار المعنى فيما نحن فيه "الواجب في حسنه أقوى مِن المنهيّ في قبحه"، وفساده لا يخفى.

قوله: (**ويجوز أن يراد: أن يأخذوا بما أمروا**)... إلخ، يعني أنّ التوراة مشتملة على الأمر والنهي، فقال: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾،[2] أي: بأحسن[3] ما فيها مِن الأمرين مِن الفعل والترك، والمتروك لا يكون حَسَنًا، وإنّما هو على باب قولك: الصيف أحرّ مِن الشتاء، أي: الصيف أبلغ في[4] بابه مِن الحرارة مِن الشتاء في بابه مِن البرودة، والمعنى ما أُمروا به أبلغ في[5] بابه مِن الحسن ممّا نهوا عنه في بابه مِن القبح. قال الزجّاج: إنّهم أُمروا بالخير ونُهوا عن الشرّ وعرفوا ما لهم وعليهم، فقيل: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾.[6]

---

[1] ر - كذلك قال: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ مع أنّ الحسن ليس مشتركًا.
[2] ر: يا حُسْنها.
[3] ر: يا حُسْن.
[4] ر: مِن.
[5] ن ر: مِن.
[6] انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/٣٧٥.

و"أَوْرَيْتُه"، ووجهُه: أن تكون مِن "أَوْرَيْتُ الزَّنْدَ" كأنَّ المعنى: بَيِّنْه لي وأَنِرْه لِأَسْتَبِينَهُ.

وقرئ: "سأُورِثُكم" وهي قراءةٌ حسنةٌ يُصحِّحها قولُه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٣٧].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾ بالطبعِ على قلوب المتكبِّرين وخِذْلانهم فلا يُفكِّرون فيها ولا يَعتبرون بها؛ غفلةً وانْهِمَاكًا فيما يَشْغلُهم عنها من شهواتهم.

وعن الفُضَيْل بن عِيَاضٍ: ذُكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا عَظَّمَتْ أمَّتي الدنيا نُزع عنها هَيْبةُ الإسلام، وإذا تركوا الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر حُرِمَتْ بركةَ الوحي».

وقيل: سأصرفُهم عن إبطالها وإنِ اجتهدوا كما اجتهدَ فرعونُ أن يُبْطِل آيةَ موسى بأن جَمَع لها السحرةَ فأَبَى اللهُ إلا عُلوَّ الحق وانتكاسَ الباطل.

ويجوز: سأصرفُهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتِها سحرًا بإهْلاكهم.

وفيه إنذارٌ للمخاطَبين من عاقبةِ الذين يُصْرَفون عن الآيات لتكبُّرهم وكُفرهم بها لئلا يكونوا مثلَهم فيُسْلَكَ بهم سبيلُهُم.

﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ فيه وجهان:

أن يكون حالًا بمعنى: يتكبَّرون غيرَ مُحِقِّين؛ لأن التكبُّر بالحقِّ لله وحده.

قوله: (كأنّ المعنى) أي: معنى قولهم: أَوْرِني.[١]

قوله: (وانهماكًا) انهمك في الشرّ، أي: لجّ فيه.

قوله: (أن يُبطِل آية) أي: في أن يُبطِل، وهو متعلِّق بـ(اجتهد).

---

[١] ن: أوزني.

وأن يكون صلةً لفعلِ التكبُّر؛ أي: يتكبَّرون بما ليس بحقٍّ، وما هم عليه من دينهم.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ﴾ من الآيات المنزَلة عليهم ﴿لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا﴾.

وقرأ مالكُ بن دينار: "وإن يُرَوْا" بضم الياء.

وقرئ: ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ و: ﴿الرَّشَد﴾ و: "الرَّشاد"؛ كقولهم: السُّقْمُ والسَّقَمُ والسَّقامُ.

وما أَسْفَهَ مَن رَكِبَ المَفازةَ فإنْ رأى طريقًا مستقيمًا أعرضَ عنه وتَرَكَه، وإن رأى مُعتَسَفًا مُرْدِيًا أخذ فيه وسَلكَه، ففاعلُ نحو ذلك في دينه أَسْفَهُ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ في محلِّ الرفع أو النصب، على معنى: ذلك الصرفُ بسبب تكذيبهم، أو: صرَفَهم الله ذلك الصرفَ بسببه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾

﴿وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به؛ أي: ولِقائهم الآخرةَ ومشاهدتِهم أحوالَها ومن إضافةِ المصدر إلى الظرف بمعنى: ولقاءِ ما وعَدَ الله في الآخرة.

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: من بعد فراقِهِ إيَّاهم إلى الطور.

قوله: (وما هم عليه مِن دينهم) كأن هذا العطف مِن العطف الذي يكون للبيان؛ لأنَّ المراد بما ليس بحقٍّ هو ما هم عليه، وفي كلام ابن الحاجب ما يدلّ على أنّ مثل ذلك يكون خبرَ مبتدأ محذوف، أي: وهو ما هم عليه.

قوله: (وقرئ: ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾) حمزة والكسائي بفتحتين، والباقون بضمّ الراء وإسكان الشين.[1] و"الرَّشَادِ"[2] شاذٌّ.

---

[1] انظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٢٩٣؛ والنشر لابن الجزري، ٢/٢٧٢.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب والسُّلمي. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٨٥٢.

فإن قلتَ: لم قيل: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ... عِجْلًا﴾، والمتَّخِذُ هو السامريُّ؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يُنسب الفعلُ إليهم؛ لأن رَجُلًا منهم باشرَهُ ووُجِدَ فيما بين ظهرانَيْهم؛ كما يقال: بنو تميم قالوا كذا، وفعلوا كذا، والقائلُ والفاعلُ واحدٌ؛ ولأنَّهم كانوا مريدينَ لاتِّخاذه راضينَ به فكأنَّهم اجتمعوا عليه.

والثاني: أن يراد: واتخذوه إلهًا وعَبدوه.

وقرئ: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضمِّ الحاء والتشديد جمع حَلْيٍ؛ كثَدْيٍ وثُديٍّ، و: ﴿من حِلِيِّهم﴾ بالكسر للإتْباع كدِليٍّ، و: ﴿من حَلْيِهم﴾ على التَّوحيد.

والحَلْيُ: اسمُ ما يُتحسَّنُ به من الذهب والفضَّة.

فإن قلتَ: لمَ قال: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ ولم تكن الحليُّ لهم إنما كانت عواريَّ في أيديهم؟

قلتُ: الإضافةُ تكون بأدنى ملابَسةٍ، وكونُها عواريَّ في أيديهم كَفَى به ملابسةً، على أنَّهم قد ملَكوها بعد المُهلَكِين كما ملَكوا غيرَها من أملاكِهم، ألا ترى إلى قوله عزَّ وعلا: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء ٢٦/٥٧-٥٩].

قوله: **(فيما بين ظهرانَيهم)** قال في **الصحاح**: «يقال: هو نازل بين ظهورهم وظَهرانَيهم بفتح النون، ولا تقل: ظَهرانِيهم».[١] وقال في **المُغرِب**: «'لا صدقةَ إلّا عن ظهر غنى'،[٢] أي: صادرة عن غنى، والظهر فيه مُقحَم، كما في ظهر القلب وظهر الغيب».[٣] وأنا أقول: لا يبعد أن يكون "الظهر" هنا مقحمَة.

واعلم أنّ التحقيق في زيادة الظهر في مثل هذا الموضع أنّهم كانوا إذا منعوا[٤] شخصًا مِن عدوّه اختلفوا به، فجعل كلّ واحد منهم ظهرَه إليه ووجهَه إلى العدوّ،

---

[١] **الصحاح** للجوهري، «ظهر»، وفي مطبوعه «بين ظهرَيهم» مكان «بين ظهورهم».

[٢] **مسند أحمد**، ٦٩/١٢ (٧١٥٥)؛ **صحيح البخاري**، ١١٢/٢ (١٤٢٦)؛ **صحيح مسلم**، ٧١٧/٢ (١٠٣٤).

[٣] **المغرب** للمُطرّزي، «ظهر».

[٤] ر: أمنعوا.

﴿جَسَدًا﴾: بدَنًا ذا لَحْمٍ ودمٍ كسائر الأجساد، والخُوارُ: صوتُ البقر.

قال الحسن: إن السامريَّ قبَضَ قُبْضةً من ترابٍ من أثر فرسِ جبريل عليه السلام يوم قَطْعِ البَحْرِ فقذَفَه في فيْ العجلِ فكان عجلًا له خوارٌ.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "جُؤارٌ" بالجيم والهمزة، من جأَرَ: إذا صاحَ.

وانتصابُ ﴿جَسَدًا﴾ على البدل من ﴿عِجْلًا﴾.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ حين اتَّخذوه إلهًا ﴿أَنَّهُۥ﴾ لا يَقْدر على كلامٍ ولا على هدايةِ سبيلٍ، حتى لا يختاروه على مَن لو كان البحرُ مدادًا لكلماته لنَفِدَ البَحْرُ قبل أن تَنْفَدَ كلماتُه، وهو الذي هَدَى الخلقَ إلى سُبُل الحقِّ ومناهجِهِ بما رَكَزَ في العقول من الأدلَّة، وبما أنْزَلَ في كُتبه.

ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾؛ أي: أقدَموا على ما أقدَموا عليه من الأمر المنكر.

﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: واضعينَ كلَّ شيءٍ في غير موضعه، فلم يكن اتخاذُ العِجْل بِدْعًا منهم ولا أوَّلَ مناكيرهم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝١٤٩﴾

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾: ولمَّا اشتدَّ نَدَمُهم وحسرتُهم على عبادة العِجْل؛

ويذبُّون العدوّ عنه، فيكون هو بين ظهرانَيهم، ثمّ استعمل هكذا في حقّ كلّ مَن كان بين القوم، فقيل: / هو بين أظهرهم وإن كان وجوههم إليه. وأمّا قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الصدقة ما كان عن ظهر غنًى» ففي هذا الحديث ظهر الغنى عبارة عن تمكين[1] المتصدّق عن غنًى ما، وذلك مثل قولهم: "هو على ظهر سير" و"راكب متن السلامة" و"مُمتطٍ[2] غارب الحرب"،[3] ونحو ذلك مِن الألفاظ التي يُعبَر بها عن التمكُّن مِن الشيء والاستواء عليه. وإنّما قلنا: "عن غنًى ما"[4] [٣٥٤ظ]

---

[1] ر: تمكن.

[2] ن ر: ممتطي.

[3] ن: الغرب؛ ر: العرب.

[4] ر: فا.

لأنّ مِن شأنِ مَن اشتدَّ نَدمُه وحسرتُه أن يَعضَّ يدَه غمًّا فتصيرَ يدُه مسقوطًا فيها؛ لأن فاه قد وقع فيها.

و﴿سُقِطَ﴾ مُسندٌ إلى ﴿فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ وهو من باب الكناية.

وقرأ ابن السَّمَيْفَع: "سَقط في أيديهم" على تسمية الفاعل؛ أي: "وقَع العضُّ فيها".

وقال الزجّاجُ: معناه: سَقط النَّدمُ في أيديهم؛ أي: في قلوبهم وأنفسهم؛ كما يقال: "حصل في يده مَكْروهٌ" وإن كان محالًا أن يكون في اليد؛ تشبيهًا لِمَا يَحصُل في القلب وفي النفس بما يَحصُل في اليد ويُرى بالعين.

﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾: وتبيَّنوا ضلالَهم تبيُّنًا كأنهم أبصروه بعيونهم.

وقرئ: ﴿لئِنْ لمْ تَرْحَمْنا ربَّنا وتَغْفِرْ لنا﴾ بالتاء، و﴿ربَّنا﴾ بالنصب على النِّداء، وهذا كلام التائبين؛ كما قال آدمُ وحوَّاءُ عليهما السلام: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف ٧/٢٣].

لمجيئه في الحديث منكَّرًا، وإنّما لم يأتِ به معرفًا ليفيد أحد المعنيين في أحد الصورتين، وأمّا استغناؤه عمّا بذل[١] لسخاوة[٢] النفس وقوّة العزيمة ثقة بالله كما كان مِن أبي بكر رضي الله تعالى[٣] عنه، وأمّا استغناؤه بالغرض الحاصل في يده فبيّن صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه لا بدّ للمتصدّق مِن أحد الأمرين، إمّا أن يستغني عنه بماله أو يستغني عنه[٤] بحاله.

قوله: **(لأنّ مِن شأن)**[٥] متعلّق بمحذوف، أي: فسر ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ بـ**(اشتدّ ندمهم)**، لأنّ مِن شأن. وقوله: **(مِن باب الكناية)** أي: ﴿سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ كناية عن "نَدِموا"، والكناية أبلغ، والأصل سقط فوه في يده؛ لأنّ النادم يعضّ أنامله ويقرع أسنانه عليها، ثمّ بُني للمفعول.

---

[١] ر: يدل.

[٢] ر: بسخاوة.

[٣] ر - تعالى.

[٤] ر - بماله أو يستغني عنه.

[٥] ن ر: بيان.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

"الأَسِفُ": الشديدُ الغضب ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف ٥٥/٤٣].

وقيل: هو الحزينُ.

﴿خَلَفْتُمُونِى﴾: قمتُم مَقامي وكنتُم خُلَفائي ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾، وهذا الخطابُ إمَّا أن يكون لعَبَدةِ العِجْل من السامريِّ وأشياعِهِ، أو لِوجُوه بني إسرائيل وهم هارونُ عليه السلام والمؤمنون معه، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف ١٤٢/٧] والمعنى: بئس ما خَلَفْتُموني حيث عبدتُم العِجْلَ مكانَ عبادة الله، أو: حيث لم تكفُّوا مَن عبَدَ غيرَ الله.

فإن قلتَ: أين ما يقتضيه ﴿بِئْسَ﴾ من الفاعل والمخصوصِ بالذمِّ.

قلتُ: الفاعل مضمَرٌ يفسِّره ﴿ما خَلَفْتُمُونِى﴾، والمخصوصُ بالذمِّ محذوف، تقديره: بئس خلافةً خلَفْتُمونيها من بعدي خلافتُكم.

فإن قلتَ: أيُّ معنًى لقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ بعد قوله: ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾.

قلتُ: معناه: مِن بعدِ ما رأيتُم منِّي من توحيدِ الله ونَفْيِ الشركاء عنه وإخلاصِ العبادة له، أو: من بعد ما كُنتُ أَحْمِلُ بني إسرائيل على التوحيد وأكُفُّهم عما طمحَتْ نحوَه أبصارُهم من عبادة البقر حين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف ١٣٨/٧]، ومن حق الخُلفاء أنْ يسيروا بسيرةِ المستَخلِف من بعده

قوله: (**قلتُ: الفاعل مضمر تفسيره ﴿مَا خَلَفْتُمُونِى﴾**) ﴿مَا﴾ تمييز للضمير، و﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ صفة ﴿مَا﴾، والعائد محذوف.

قوله: (**مِن بعد[1] ما رأيتُم مني مِن توحيد الله**) هذا على تقدير أنَّ الخطاب لعبَدَة العجل. وقوله: (**مِن بعد ما كنت**) هذا على تقدير أن الخطاب لوجوه بني إسرائيل.

---

[1] ر: بعض.

ولا يخالفوه، ونحوه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الأعراف ١٦٩/٧]؛ **أي: من** بعد أولئك الموصوفين بالصِّفَات الحميدة، يقال: **"عَجِلَ عن الأمرِ": إذا تَرَكه** غيرَ تامٍّ، ونقِيضُه: "تمَّ عليه"، وأَعْجلَه عنه غيرُه، **ويُضمَّن معنى "سَبَق" فيُعدَّى** تَعْدِيَتَه؛ فيقال: عجِلْتُ الأمرَ، والمعنى: أَعَجِلْتم عن أمر ربِّكم **وهو انتظارُ** موسى حافظين لعهده وما وصَّاكم به، فبَنَيْتُم الأمرَ على أن الميعاد قد بلغَ آخرَه ولـم أرْجِعْ إليكم، فحدَّثتم أنفسكم بموتي فغيَّرتم كما غيَّرتِ الأممُ بعد أنبيائهم.

وروي: أن السامريَّ قال لهم حين أخرج لهم العِجْلَ -وقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه ٨٨/٢٠]-: إنَّ موسى لَن يرجعَ وإنَّه قد مات.

قوله: **(وأعجلَه عنه غيره)** عطف على قوله: **(عَجِل عن الأمر إذا تركه غيرَ تامّ)**.

قوله: **(تمَّ عليه) الأساس**: «تمّ على أمر مضى عليه»،[١] ونحوه "عجل عنه" في معنى شرع ولم يتمّ.

قوله: **(وما وصّاكم به)** عطف على سبيل البيان على **(عهده)**.

قوله: "عَجِل عن[٢] الأمر" فيه معنى المجاوزة.

قوله: **(تمّ عليه)** عدّاه بـ"على" مع رعاية معنى الاستعلاء.

قوله:[٣] **(حافظين)** قيل: هو حال عن الفاعل في **(أَعَجِلتُم)**. ولي فيه نظر، وأظنّ أنّ الأَولى أن يقال: هو حال عن الفاعل[٤] المحذوف لقوله: **(انتظار)**، أو عن **(موسى)**، فإذا جعلتَه حالًا عن موسى[٥] فالعائد هو الضمير في **(لعهده)**، و"الأمر" في قوله: **(عن أمر ربّكم)** واحد الأوامر، لكنّه بمعنى المأمور به، وفي قوله: **(فبنيتُم[٦] الأمر)** واحد الأمور.

---

[١] **أساس البلاغة** للزمخشري، «تمم».
[٢] ن ر: مِن.
[٣] ر: وقوله.
[٤] ر - في (أعجلتم). ولي فيه نظر، وأظنّ أنّ الأولى أن يقال: هو حال عن الفاعل.
[٥] ر - فإذا جعلته حالًا عن موسى.
[٦] ن: فتنتم.

وروي: أنهم عَدُّوا عشرين يومًا بلياليها فجعلوها أربعينَ ثم أحدثوا ما أحدثوا.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾: وطرَحَها لِمَا لحقه من فَرْط الدَّهَشِ وشدَّةِ الضَّجَرِ عند استماعهِ حديثَ العِجْل غَضَبًا لله وحميَّةً لدينه، وكان في نفسه حديدًا شديدَ الغضب، وكان هارون أَلْينَ منه جانبًا؛ ولذلك كان أحبَّ إلى بني إسرائيل من موسى.

وروي: أن التوراة كانت سَبْعةَ أسباعٍ، فلمَّا أَلْقَى الألواحَ تكسَّرتْ فرُفع منها ستَّةُ أسباعها وبَقِيَ سُبعٌ واحدٌ، وكان فيما رُفع تفصيلُ كلِّ شيء وفيما بَقِي الهُدى والرحمةُ.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾؛ أي: بشعرِ رأسه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ بذُؤَابتهِ، وذلك لشدَّةِ ما وَرد عليه من الأمر الذي استفزَّه وذهبَ بفِطْنته، وظنًّا بأخيه أنَّه فرَّط في الكفِّ.

﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ قُرئ بالفتح تشبيهًا بـ«خمسةَ عَشَر»، وبالكسر على طرحِ ياء الإضافة.

و: "ابنَ أمِّي" بالياء، و: "ابن إِمِّ" بكسر الهمزة والميم.

وقيل: كان أخاه لأبيه وأمِّه، فإن صحَّ فإنَّما أضافَه إلى الأمِّ إشارةً إلى أنَّهما من بطنٍ واحدٍ، وذلك أَدْعَى إلى العَطف والرِّقَّة وأعظمَ للحقِّ الواجب؛ ولأنها كانت مؤمنةً فاعتدَّ بنسَبها؛ ولأنها هي التي قاسَتْ فيه المخاوِفَ والشدائدَ فذكَّره بحقِّها.

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى﴾ يعني: أنَّه لم يَألُ جُهْدًا في كفِّهم بالوعظ والإنذار، وبما بلَغَتْه طاقتُه من بذل القوَّة في مضادَّتهم، حتى قَهَرُوه واستَضْعفوه ولم يبقَ إلا أن يقتلوه.

قوله: (﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾) أي: وضعها بسرعة لينتظم معنى قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾[1] [الأعراف ٧/١٥٤]، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف ٧/١٢٠].

قوله: (قاسَتْ) أي: كابدت مِن المقاساة، وهي: المكابدة.

---

١ ر – أي: وضعها بسرعة لينتظم معنى قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾.

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: فلا تفعلْ بي ما هو أُمنِيَّتُهم من الاستهانة بي والإسَاءةِ إليَّ.

وقرئ: "فلا يَشْمَتْ بي الأعداءُ" على نهي الأعداء عن الشماتةِ، والمراد: ألَّا يُحلَّ به ما يَشمتون به لأجله.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: ولا تجعلني في مَوْجِدَتك عليَّ وعقوبَتِك لي قَرينًا لهم وصاحبًا، أو: ولا تعتقِدْ أني واحدٌ من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظُلمهم.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

لمَّا اعتذر إليه أخوه وذكرَ له شماتةَ الأعداء ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي﴾ ليُرضيَ أخاه ويُظهِرَ لأهل الشَّماتةِ رضاه عنه فلا تتمَّ لهم شماتَتُهم، واستغفَرَ لنفسه مما فرَطَ منه إلى أخيه، ولأخيه إنْ عسى فَرَّط في حُسن الخلافة، وطلبَ ألَّا يتفرَّقا عن رحمته ولا تزالَ مُنتظِمةً لهما في الدنيا والآخِرة.

قوله: (**في مَوْجِدَتك**)[١] **الأساس**: «وَجَد عليه مَوْجِدة: غضب عليه».[٢]

قوله: (**أو: ولا تعتقد**[٣] **أنّي واحد مِن الظالمين**) مِن باب الكناية. والفرق بين الوجهين هو أنّ في الوجه الأوّل قد تطلق على[٤] قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف ١٩/٤٣].

قوله: (**إن عسى فرَّط**)، تقديره: إن فرّط هارون. وقوله: "عسى" جملة معترضة بين "إن" والفعل، واسم "عسى"[٥] ضمير عائد إلى التفريط، وخبره محذوف تقديره: عسى التفريط أن يكون حاصلًا، وقد ذَكَر ابن الحاجب في باب التنازع مِن **شرح المفصل** أن خبر "عسى"[٦] قد يحذف.[٧]

قوله: (**ولا تزالَ**) أي: الرحمة.

---

[١] ر: موجوتك.

[٢] **أساس البلاغة** للزمخشري، «وجد».

[٣] ر: تعتقدوا.

[٤] ر - على.

[٥] ر: عيسى.

[٦] ر: عيسى.

[٧] انظر: **الإيضاح في شرح المفصّل** لابن الحاجب، ١٣٧/١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾

﴿غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ﴾ الغضبُ: ما أُمروا به من قتل أنفسهم، والذِّلةُ: خروجُهم من ديارهم؛ لأنَّ ذُلَّ الغُربةِ مثَلٌ مضروبٌ.

وقيل: هو ما نال أبناءَهم -وهم بنو قريظَةَ والنضيرِ- من غضبِ الله بالقتل والجَلاء، ومن الذلةِ بضَرْبِ الجِزْية.

﴿ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾: المتكذِّبين على الله، ولا فِرْيَةَ أعْظمُ من قول السامريِّ: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه ٢٠/٨٨].

ويجوز أن يتعلّق ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالذِّلَّة وحدها، ويراد: سينالُهم غضبٌ في الآخرة وذلَّةٌ في الحياة الدنيا؛ كقوله: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران ٣/١١٢].

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ من الكفر والمعاصي كلِّها ﴿ثُمَّ تَابُواْ﴾: ثم رجعوا

قوله: **(الغضب ما أمروا به)** ليس الغضب عن ما أمروا به، فالتقدير: أثر الغضب ما أمروا[1] به، والتقدير: نيلُ أثر الغضب قتلُ أنفسهم، فإنّ معنى قوله تعالى: ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ﴾، أي: سينالهم[2] أثر غضب مِن ربّهم، أو المراد بنيل الغضب تعلُّق الغضب بهم.

قوله: **(وقيل: هو ما نال)** "هو" يعود إلى "الغضب والذلّة" باعتبار المذكور.

/ قوله: **(والجلاء)** في زمن النبي صلّى الله عليه وسلّم. [٣٥٥و]

قوله: **(ويجوز أن يتعلّق)** وعلى الوجهين الأوّلَين كان متعلِّقًا[3] بالذلّة والغضب.

---

١ ن ر: أروا.

٢ ر: سببًا لهم.

٣ ر: متعلق.

﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ إلى الله واعتذروا إليه ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾: وأخلَصُوا الإيمانَ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: من بعد تلك العظائم ﴿لَغَفُورٞ﴾: لستورٌ عليهم مَحَّاءٌ لِمَا كان منهم ﴿رَّحِيمٞ﴾: مُنْعِمٌ عليهم بالجنَّة.

وهذا حكمٌ عامٌّ يدخل تحته متَّخِذو العِجْل ومَن عداهم، عَظَّمَ جنايتَهم أوَّلًا ثم أَرْدفَها تَعْظِيمَ رحمته؛ ليُعلِم أن الذنوب وإن جَلَّتْ وعظُمَتْ فإن عَفْوه وكرمَه أعظمُ وأجلُّ، ولكنْ لا بدَّ من حفظ الشريطة: وهو وجوبُ التوبةِ والإنابةِ، وما وراءه طَمَعٌ فارغٌ وأَشْعَبِيَّةٌ باردةٌ لا يَلْتفِتُ إليها حَازِمٌ.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ هذا مَثَلٌ؛ كأنَّ الغضبَ كان يُغْرِيه على ما فعلِ ويقول له: قل لقومك كذا، وأَلْقِ الألواحَ، وجُرَّ برأسِ أخيك إليك، فتَرك النُّطق بذلك وقَطع الإغْراءَ، ولم يَسْتحسِنْ هذه الكلمةَ ولم يَستَفصِحْها كلُّ ذي طبعٍ سليمٍ وذوقٍ صحيحٍ إلَّا لذلك؛ ولأنَّه من قَبيلِ شُعَب البلاغةِ، وإلَّا فما لقراءةِ معاويةَ بن قُرَّةَ: "ولمّا سكنَ عن موسى الغضبُ" ....

قوله: (وأشعبيّة)[1] أشعب: اسم رجل كان طمّاعًا، وفي المثل: «أطمع مِن أشعب».[2]

قوله: (هذا مَثَل) أي: ليس بحقيقة، وهو استعارة مكنيّة مقارنة بالتخييليّة، شبّه الغضب بإنسان يُغري موسى عليه السلام ويقول له: "افعل كذا وكذا"، ثمّ يترك كلامه ويقطع الإغراء. وجعلها صاحب المفتاح استعارة تبعيّة؛ لأنّه استعار لتفاوت الغضب عن اشتداده إلى[3] السكون إمساك اللسان عن الكلام.[4] والظاهر الأوّل.

---

[1] ر: وأشعبته.
[2] مجمع الأمثال للميداني، ١/٤٢٩.
[3] ر: في.
[4] انظر: مفتاح العلوم للسكّاكي، ص ٤٩٩-٥٠٠.

لا تجدُ النفسُ عندها شيئًا من تلك الهزَّة وطرَفًا من تلك الروعَةِ.

وقرئ: "ولمّا سُكِّتَ" و: "أَسكتَ"؛ أي: أسكتَه اللهُ، أو أخوه باعتذاره إليه وتَنَصُّلهِ، والمعنى: ولمّا طَفِئَ غضبُه.

﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾: وفيما نُسخ منها؛ أي: كُتب، والنُّسخةُ فُعْلَةٌ بمعنى مفعولٍ كالخُطبة.

﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ دخلت اللامُ لتقدُّم المفعول؛ لأن تأخُّر الفعل عن مفعوله يَكْسِبه ضَعْفًا، ونحوُه: ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف ٤٣/١٢]، وتقول: "لك ضربتُ".

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾؛ أي: من قومه، فحُذف الجارُّ وأُوصل الفعلُ كقوله:

قوله: **(لا تجد النفس)** حال مِن المجرور في **(ما لقراءة معاوية)** كقولك: ما لك لا تضرب؟

قوله: **(الرَّوعة)** راعني الشيء، أي: أعجبني.

قوله: **(وتنصُّله)** التنصل مِن الذنب: التبرؤ منه.

قوله: **(وفيما نُسخ منها)** أي: فيما نُسخ منها ألواح بعد أن كُسرت.

قوله: **(والنُّسخة فُعْلة)** نوِّن؛ لأنّه في معنى التنكير؛ لأنّك[1] تريد فُعلة خاصّة دون سائر الفعلات، وهي التي بمعنى المفعول. وهذه **الحاشية لا تحقيقَ فيها**، والصواب أن يقال:[2] إنّما صرفه؛ لأنّ[3] الوزن إذا كان موزونه معه كان حكمه حكمَه في الصرف وعدمه.

قوله: **(وأُوصل الفعل)** إيصال الفعل إعماله.

---

[1] ن - لأنك.

[2] ن - وهي التي بمعنى المفعول. وهذه الحاشية لا تحقيق فيها، والصواب أن يقال.

[3] ن - لأن.

مـنّـا الـذي اخْـتِـيـر الـرجـالَ سـمـاحَـةً

قيل: اختار من اثني عشر سِبْطًا من كلِّ سبطٍ ستَّةٌ حتَّى تتامُّوا اثنين وسبعين، فقال: ليتخلَّفْ منكم رجلان، فتشاحُّوا، فقال: إنَّ لمن قعَدَ منكم مثلَ أجرِ مَن خرج، فقعد كالِبُ ويُوشَع.

وروي: أنه لم يُصِبْ إلّا ستين شيخًا فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشُّبَّان عشرةً فاختارهم فأصبحوا شيوخًا.

قوله:

(منّـا الـذي اختيـرَ الرجـالَ سـماحةً)

وأنشد الزجّاج تمامه:

وَجُـــودًا[١] إذا هـبّ الـريـاح الـزعـازع[٢]

والبيت للفرزدق. الزعازع: الرياح الشديدة. والأصل "اختير مِن الرجال"، يصف قومه بالسماحة والجودِ في فصل الشتاء الذي تنقطع المِيرة عنهم فيه، وتعرى الأقوات ويعدم المرعى، فمَن كان جوادًا في ذلك الوقت فما ظنّك بجوده في غيره. والزعازع بالزاي المعجمة والعين المهملة فيهما. وهو مِن أبيات **الكتاب**.[٣] وهذا البيت مِن الطويل، فإذا رُوي[٤] بالواو في "ومنّا" يكون ظاهر التقطيع، وإن رُوي بغير الواو يكون أخرمَ، فتقول: "ومِنْ نَلْ"[٥] فعولن، "لَذِ خْتيرَ رْ" مفاعيلن، وكذا تقول: "مِنْ نَلْ" فعلن،[٦] "لَذِ خْتيرَ رْ" مفاعيلن، والباقي ظاهر.

قوله: (حتّى تتامُّوا)[٧] **النهاية**: وفي الحديث تتامَّت[٨] إليه قريش، أي: جاءته[٩] متوافرة متتابعة.[١٠] **الأساس**: «اجتمعوا فتتامُّوا[١١] عشرة».[١٢]

---

١ ر: وجواد.

٢ البيت للفرزدق في **ديوانه**، ٢/٥١٦؛ وهو له في **كتاب سيبويه**، ١/٣٩؛ و**أمالي ابن الشجري**، ١/٢٨٦.

٣ **كتاب سيبويه**، ١/٣٩.

٤ ر: أروي.

٥ ر: مزيده.

٦ ن: فعولن.

٧ ر: تناموا.

٨ ر: تنامت.

٩ ر: حاجته.

١٠ انظر: **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ١/١٩٧.

١١ ر: فتناموا.

١٢ **أساس البلاغة** للزمخشري، «تمم».

وقيل: كانوا أبناءَ ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين، قد ذهبَ عنهم الجهلُ والصِبا، فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهَّروا ويُطهِّروا ثيابهم، ثم خرَجَ بهم إلى طور سيناء لميقات ربِّه، وكان أمَرَهُ ربُّه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل، فلمَّا دنا موسى من الجبل وقع عليه عمودُ الغمام حتى تَغَشَّى الجبَلَ كلَّه، ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم: اُدنوا، فدنَوْا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدًا، فسمعوه وهو يُكلِّم موسى يأمُره ويَنْهاه: "اِفعَلْ" و"لا تفعَلْ"، ثم انكشف الغمامُ فأقبلوا إليه فطلبوا الرُّؤيةَ، فوَعَظهم وزَجَرهم وأنكرَ عليهم، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾ [البقرة ٥٥/٢]، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف ١٤٣/٧] يريد: أن يسمعوا الرَّدَّ والإنكار من جهته،

قوله: **(إلى طور سيناء)** طور سيناء: جبل بالشام، وهو "طور" أضيف إلى "سيناء"، وهو شجر، وكذلك[١] ﴿طُورِ سِينِينَ﴾ [التين ٢/٩٥]. قال الأخفش: السينين: شجر، واحدتها سينينة.[٢] وقرئ: ﴿طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ [المؤمنون ٢٠/٢٣] بالفتح والكسر،[٣] والفتح أجود في النحو؛ لأنّه بناء على "فعلاء". قال: الكسر[٤] رديء في النحو؛ لأنّه ليس في أبنية العرب "فِعلاء" ممدود مكسور الأوّل غير مصروف، إلّا أن يجعل[٥] أعجميًّا. وقال أبو عليّ: إنّما لم يُصرَف؛ لأنّه جُعل اسمًا للبقعة.[٦] وكان أبو عمرو بن العلاء يختار الكسر ويفسِّره[٧] بطور سينين، وهو أكثر[٨] في القراءة. واختار الكسائي الفتح، وهو أفصح في اللغة.

قوله: **(عمود الغمام)** ما تطاول مِن الغمام، وهو: أصله.

قوله: **(﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف ١٤٣/٧])** فيه نظر؛ لأنّ هذه الآية كانت الكرّة الأولى حين كلّمه الله تعالى وأعطى الألواح وأمَرَه[٩] ونهاه، وفيها بيانُ

---

١ ر: وكذا.

٢ ر: سينية. | انظر: **معاني القرآن للأخفش**، ٥٨١/٢.

٣ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بكسر السين، وقرأ باقي العشرة بفتحها. **النشر لابن الجزري**، ٣٢٨/٢.

٤ ر: والكسر.

٥ ن ر: يجمل.

٦ من قوله: "جبل بالشام" إلى هنا في **الصحاح للجوهري**، «سين».

٧ ر: ويعتبره.

٨ ر: أكبر.

٩ ر: ويأمره.

فأُجيب بـ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ورجَفَ بهم الجبل فصعقوا، ولمّا كانت الرجفة.

ما يأتون وما[1] يذَرون، وقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ﴾ [النساء ١٥٣/٤] كان بعد أَخْذ الألواح واتّخاذهم العجل إلهًا،[2] فكيف يصحّ هذا الكلام؟ ولمّا بلغ إلى موسى عليه السلام مِن قومه أنّهم اتخذوا العجل إلهًا ومعبودًا واشتغلوا بعبادته ألقى الألواح، أي: وضعها بسرعة وخاصَم هارون، فاتّضح أنّ موسى وهؤلاء الذين جاءوا معه جاءوا معتذرين إلى الله تعالى[3] / مِن اتخاذ القوم العجل بالإلهيّة [٣٥٥ظ] والاستغفار عمّا ارتكبوا، غيرَ أنّ صاحب الكتاب بالغ في إظهار التعصّب وترويج قواعدهم. والحاصل أنّه لم يكن في هذه الكرّة تلك القضيّة، وهو أن قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾ ولا الجواب بـ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾؛ بل لم يكن في هذه الكرّة سوى أن قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فزجرهم موسى فلم[4] ينزجروا فأخذتهم الرجفة.

ثمّ إذا تأمّلت فيما ذكرنا ظهر لك أنّ المصنّف عفا الله عنه نقل بعض القصّة[5] المتعلّقة بالمرّة الأولى إلى هنا وبعض المتعلّقة بهذا الموضع إلى الأوّل، حيث ذَكَر[6] أن[7] طلب موسى الرؤية في المرّة الأولى كان بطلب قومه. انظر إلى هذا الرجل الفاضل كيف استهواه ترويج مذهبه الباطل إلى أن بالغ في تصحيح الباطل وإبطال الحقّ ويُلحِد[8] لذلك في آيات الله، نعوذ بالله تعالى[9] مِن كيد الشيطان، وندعوه تعالى للمصنّف بالعفو والغفران، فإنّه نفعنا فيما أصاب وسعى ولم يضرنا فيما غلط وسها، وأيّ[10] رجال لا يقال لهم[11] هذا.

قوله: **(ولمّا كانت الرجفة)** "كانت"[12] تامّة، أي: حصلت الرجفة ووقعت.

---

[1] ن – ما.
[2] ر: إليها.
[3] ر – تعالى.
[4] ر – فلم.
[5] ن: القضية.
[6] ن – ذكر.
[7] ن ر – أن.
[8] ر: ويتخذ.
[9] ر – تعالى.
[10] ر: وإنّ.
[11] ن ر: له.
[12] ن – كانت.

﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ وهذا تمنٍّ منه للإهلاك قبل أن يَرى ما رأى من تَبِعةِ طلب الرُّؤية؛ كما يقول النادمُ على الأمر إذا رأى سوءَ المَغبَّةِ: لو شاء الله لأهلكني قبلَ هذا.

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ يعني: أتُهلكنا جميعًا، يعني: نفسَه وإيَّاهم؛ لأنَّه إنما طلب الرؤيةَ زَجْرًا للسفهاء وهم طلبوها سَفَهًا وجَهْلًا.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾؛ أي: محْنتُك وابتلاؤك حين كلَّمْتَني وسمعوا كلامَك فاستدلوا بالكلام على الرُّؤيةِ استدلالًا فاسدًا حتى افتُتِنوا وضلُّوا.

﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ تُضلُّ بالمحْنة الجاهلين غيرَ الثابتين في معرفتك، وتهدي العالِمين بك الثابتينَ بالقول الثابت، وجَعل ذلك إضلالًا من الله وهدًى منه؛ لأن محنته لمّا كانت سببًا لأنْ ضلُّوا واهتدَوْا فكأنَّه أضلَّهم بها وهداهم على الاتِّساع في الكلام.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: مولانا القائمُ بأمورنا.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾: وأثبتْ لنا واقسِمْ ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: عافيةً وحياةً طيِّبةً، أو توفيقًا في الطاعة ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾: الجنّةَ.

﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾: تُبنا إليك، وهادَ إليه يَهود: إذا رجع وتاب، والهُود: جمع هائدٍ، وهو التائب، ولبعضهم:

يا راكبَ الذنبِ هُدْ هُدْ واسجدْ كأنك هُدْهُدْ

وقرأ أبو وَجْزَةَ السَّعْديُّ: ﴿هِدْنَآ إِلَيْكَ﴾ بكسر الهاء من هادَه يَهِيدُه: إذا حرَّكه

قوله: (**هُدْ هُدْ**) هذا أمر مِن "هاد يَهُود"، كرّره للتأكيد. و(**هُدْهُد**)[1] الثاني طائر

---

[1] البيت للزمخشري، وهو يكنّي عن نفسه بلفظ "لبعضهم"، كما نبّه عليه الجاربردي في تفسير البقرة، ١٧/٢.

وأَمَالَه، ويحتمل أمرين: أن يكون مبنيًا للفاعل والمفعول، بمعنى: حرَّكْنا إليك أنفُسَنا وأمَلْناها، أو حُرِّكنا إليك أو أُمِلْنا، على تقدير: فُعِلنا؛ كقولك: "عِدْتَ يا مريضُ" بكسر العين: فُعِلْتَ، من العيادة، ويجوز: "عُدْتَ" بالإشمام، و: "عُدْتَ" بإخلاص الضمَّةِ فيمَن قال: عوُدَ المريضُ، وقُولَ القول، ويجوز على هذه اللغة أن يكون ﴿هُدْنَا﴾ بالضمِّ فُعِلنا من هاده يَهِيدُه.

﴿عَذَابِى﴾ من حاله وصفتهِ أنِّي ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾؛ أي: مَن وجَبَ عليَّ في الحكمة تعذيبُه، ولم يكن في العفو عنه مساغٌ لكونه مفسدةً.

وأما ﴿وَرَحْمَتِى﴾ فمِن حالها وصِفَتِها أنها واسعةٌ تبلغُ كلَّ شيءٍ، ما من مسلمٍ ولا كافرٍ ولا مطيعٍ ولا عاصٍ إلَّا وهو متقلِّبٌ في نعمتي.

وقرأ الحسن: "مَن أَسَاءَ" من الإساءة.

فسأكْتُبُ هذه الرحمةَ كِتْبةً خاصةً منكم يا بني إسرائيل للَّذين يكونون في آخر الزمان من أمَّة محمد الذين هم بجميعِ آياتنا وكُتبنا يؤمنون ....

لسليمان عليه السلام،[١] وفي المثل «أسجَدُ مِن هُدهُد».[٢]

قوله: **(يحتمل أمرين)** أي: القراءة بالكسر.

قوله: **(مَن وَجَب عليَّ)** وقوله: **(ولم يكن)**[٣] بناء على مذهبه، وأمّا عند أهل السنّة والجماعة[٤] فلا يجب على الله تعالى شيء البتّة.[٥]

قوله: **(خاصّة منكم يا بني إسرائيل)** قيل: "منكم" بيان **(للذين يكونون)** أي: كِتْبة تختصّ المؤمنين منكم. وفيه نظر، بل الصواب أن يقال: **(مِن أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم)** خبر "يكونون". و"مِن" في "منكم" للابتداء،[٦] وهو متعلّق بـ"خاصة" أو بـ"أكتب"، ولا يجوز أن يتعلّق بما بعد "الذين" بوجه؛ **لأنّ الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول.** ثمّ أشار المصنّف بعد ذلك إلى أنّ المراد بالرسول

---

١ ر – عليه السلام.
٢ **مجمع الأمثال** للميداني، ٣٥٦/١.
٣ ن ر: يسع.
٤ ر – والجماعة.
٥ انظر تفصيل ذلك في **الإرشاد** للجويني، ص ١٨٣.
٦ ر: لابتداء.

لا يكفرون بشيء منها.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿الذين يتبعون الرسول﴾ الذي نُوحِي إليه كتابًا مختصًا به وهو القرآن.

﴿ٱلنَّبِيَّ﴾ صاحبَ المعجزات.

﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ﴾: يجدون نعتَه، أولئك الذين يتّبعونه من بني إسرائيل.

﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: ما حُرِّم عليهم

مَن كان له يختصّ[1] به، وبالنبيّ مَن كان صاحبَ المعجزات. والمعنى أنّ الله تعالى ذكر نبيّنا[2] بهذين الوصفين.

قوله: **(لا يكفرون بشيء منها)** فائدة حصلت مِن تقديم الجارّ، أعني قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ على ﴿يُؤْمِنُونَ﴾، فكأنّه قيل: "بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض"، وهو مثل ما ذكر[3] في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء ٤/٧٩].

قوله: **(الذي نُوحي إليه)** تفسير لـ﴿ٱلرَّسُولَ﴾؛ لأنّ المراد بالرسول هو مَن يكون له كتاب مختصّ به، فقوله: **(صاحب المعجزات)** تفسير لـ﴿ٱلنَّبِيَّ﴾؛ لأنّ النبيّ مَن يكون له معجزة سواءً كان صاحب كتاب[4] يختصّ به أو لا. قال القاضي: إنّما سمّاه رسولًا بالإضافة إلى الله تعالى،[5] ونبيًا بالإضافة إلى العباد. واعلم أنّ جميع المذكور ههنا ما أجاب الله تعالى[6] بعد موسى مناجاته ودعائه وتنصله مِن ذنوب قومه.

---

١ ر: مختص.
٢ ن: نبيًا.
٣ ن: يذكر.
٤ ن: الكتاب.
٥ ر - تعالى.
٦ ر + تعالى.

من الأشياء الطيِّبة كالشحوم وغيرها، أو ما طابَ في الشريعة والحُكم ممَّا ذُكر اسمُ الله عليه من الذبائح، وما خلا كسبُه من السُّحت.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: ما يُستخبَثُ من نحو الدمِ والميتة ولحمِ الخنزير وما أهلَّ لغير الله به، أو ما خَبُثَ في الحكم كالربا والرِّشْوَة وغيرهما من المكاسب الخبيثة.

"الإصرُ": الثِّقْل الذي يأصِرُ صاحبَه؛ أي: يحبسه من الحَراك لِثِقَلهِ، وهو مَثَلٌ لِثقَلِ تكليفهم وصعوبتِه نحو اشتراطِ قتلِ الأنفُس في صحَّة توبتهم، وكذلك الأَغْلال مَثَلٌ لِمَا كان في شرائعهم من الأشياء الشَّاقَّة، نحو: بَتِّ القضاء بالقصاص عمدًا كان أو خطأً من غير شَرْعِ الدِّيَة، وقطعِ الأعضاء الخاطئة، وقَرْضِ موضع النجاسة من الجلد والثوبِ، وإِحْراقِ الغنائم، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم السَّبْتِ.

وعن عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تُصلِّي لُبِسوا المسُوحَ وغَلُّوا أيديَهم إلى أعناقهم، وربَّما ثَقَبَ الرجلُ تَرقوتَه وجَعل فيها طرفَ السلسلةِ وأوثقها إلى السارية يَحبِسُ نفسَه على العبادة.

وقرئ: ﴿آصارَهم﴾ على الجمع.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: ومَنَعوه حتى لا يَقوَى عليه عَدُوٌّ، وقُرِئَ بالتخفيف، وأصلُ العَزْر:

قوله: (**مِن الحَراك**) الجوهري: «ما به حَراك، أي: حركة».[1]

قوله: (**الأغلالُ**) مَثَل لِما كان في شرائعهم... إلخ، قال الزجّاج: «الأغلال تمثيل، ألا ترى أنّك تقول: "قد جعلتُ هذا طَوقًا في عنقك"، وليس هناك طَوق، وإنّما تأويله أنّي قد وَلَّيتك هذا وألزمتك القيام به فجعلتُ لزومه لك كالطَوق في عنقك».[2]

قوله: (**﴿آصارهم﴾**) على هذا قراءة ابن عامر.[3]

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «حرك».

[2] **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢/٣٨١.

[3] انظر: **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٧٢.

المَنْع، ومنه: التعزيرُ، للضربُ دون الحدِّ؛ لأنه منعٌ من معاودةِ القبيح، ألا ترى إلى تسمية الحدِّ، والحدُّ هو المنعُ.

و﴿ٱلنُّورَ﴾: القرآن.

فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿أُنزِلَ مَعَهُۥ﴾ وإنما أُنزل مع جبريل؟

قلتُ: معناه: أُنزل مع نبوَّته؛ لأن استَنْباءَه كان مصحوبًا بالقرآن مشفوعًا به.

ويجوز أن يتعلَّق بـ"اتَّبعوا"؛ أي: واتَّبعوا القرآن المنزلَ مع اتِّباع النبيّ والعملِ بسنَّته وبما أَمَر به ونَهَى عنه، أو: واتَّبعوا القرآن كما اتَّبعه مصاحِبينَ له في اتِّباعه.

قوله: **(للضرب دون الحدّ)** أي: الضرب الذي هو دون الحدّ سُمي تعزيرًا[١] لكونه مانعًا مِن المعاودة.

قوله: **(ألا ترى إلى تسمية[٢] الحدّ)** أي: إلى تسمية الحدّ الشرعيّ حدًّا، أو المعنى ألا ترى إلى تسمية الحدّ المعروف[٣] حدًّا؛ لأنّه يمنع مِن دخول غير المحدود / فيه وخروجِ بعض[٤] المحدود عنه، لكنّ المراد الحدّ الشرعي؛ لأنّه إنّما ذُكر لمناسبة التعزير. [٣٥٦و]

قوله: **(مع اتّباع النبيّ)**[٥] مصدر مضاف إلى المفعول، أي: مع اتّباعهم النبيّ فيكون قوله تعالى: ﴿مَعَهُۥ﴾ على هذا صفة مصدر محذوف، أي: اتّبعوا المُنزل اتّباعًا مقارِنًا لاتباعهم النبيّ صلّى الله تعالى[٦] عليه وسلّم، يعني كما اتّبعوا **القرآن** اتّبعوا النبيّ، والمراد باتّباع **القرآن** العملُ به، والمراد باتِّباع النبيّ العمل بسنته. فقوله: **(والعمل بسنّته)**[٧] قريب ممّا مرّ مرارًا أنّه مِن العطف الذي يكون للبيان.

قوله: **(أو واتّبعوا القرآن)** وعلى هذا الوجه يكون معه حالًا مِن واو ﴿ٱتَّبَعُوٓا۟﴾، أي: واتّبعوا **القرآن** مصاحبين للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم في متابعة **القرآن** المُنزَل،

---

١ ر: تعذيرًا.
٢ ن: اسمئة.
٣ ر: المُعرف.
٤ ن - بعض.
٥ ر: النهي.
٦ ر - تعالى.
٧ ن: بسنة.

فإن قلتَ: كيف انطبقَ هذا الجوابُ على قولِ موسى **عليه السلام ودُعائه؟**

قلتُ: لمَّا دعا لنفسه ولبني إسرائيل أُجيبَ بما هو مُنْطَوٍ على توبيخِ بني إسرائيل على استجازَتهم الرؤيةَ على الله، وعلى كفرهم **بآيات الله العظام**

فكما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يتّبع **القرآن** فهم يتّبعونه أيضًا، أي: يتّبعون **القرآن أيضًا**.

قوله: (**فإن قلتَ: كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى؟**)... إلخ، **قولُ** موسى عبارة عن قوله: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ﴾... إلخ، ودعاءُ موسى قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، وجواب الله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾... إلخ.

قوله: "فإن قلتَ: كيف انطبق هذا الجواب؟" يعني ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾... إلخ،[1] على قول موسى يريد ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، بدليل قوله في الجواب: (**لمّا دعا[2] لنفسه ولبني إسرائيل**)، يعني: بالخير، وأجيبَ بما فيه التهديد والتوبيخ، فما وجه المطابقة؟ وخلاصة الجواب أنّه مِن الأسلوب الحكيم، وأنّ التهديد والتوبيخ توطئة للجواب، والجواب قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ وهو كالقول بالموجَب كما سبق، وفائدةُ الجواب[3] بعد التوبيخ إرادةُ اللطف في حقّهم، والإيجاز[4] عن ارتكاب المعاصي، والترغيبُ في إخلاص الإيمان والعمل الصالح كأعقابهم الذين اتّبعوا النبيّ الأميّ، ليندرجوا في زُمرتهم حين لا يفرّق بينهم وبينهم عن رحمة الله، فالجواب منطوٍ على[5] الترهيب والترغيب فقوله: (**وأُريدَ أن يكون**) عطف[6] على قوله: (**أُجيبَ**)، وكلاهما جواب "لمّا". وقوله: (**وعُرِّض**) متعلّق بـ(**مُنطوٍ على توبيخ بني إسرائيل**)، يعني قوله: ﴿ٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ قرينة إرادة التوبيخ بقوله:

---

[1] ر – قوله: "فإن قلت: كيف انطبق هذا الجواب؟" يعني ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾... إلخ.
[2] ن ر: دعاه.
[3] ر – قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ وهو كالقول بالموجب كما سبق، وفائدة الجواب.
[4] ر: والإنجاز.
[5] ر: تحت.
[6] ن: عطفه.

التي أجراها على يد موسى، وعُرِّضَ بذلك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، وأريد أن يكون استماعُ أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابَيْن لُطفًا لهم وترغيبًا في إخلاصِ الإيمان والعمل الصالح، وفي أن يُحشروا معهم ولا يفرَّقَ بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعَتْ كلَّ شيء.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ قيل: بُعثَ كلُّ رسول إلى قومه خاصةً وبُعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافةِ الإنس وكافة الجنّ، و﴿جَمِيعًا﴾ نصبٌ على الحال من ﴿إِلَيْكُمْ﴾.

﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ للذين كفروا بآيات الله واستجازوا[1] الرؤية، على سبيل التعريض.

قوله: (وعُرِّض بذلك) أي: عرِّض بكفرهم بآيات الله واستجازتهم الرؤية في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فهو تعريض بأنّ[2] العذاب[3] لبني إسرائيل لاستجازتهم الرؤية على الله تعالى ولكفرهم بآيات الله العظام.

قوله: (وأريدَ) يعني بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ﴾... إلخ. وقوله: (استماعُ أوصاف) مصدر مضاف إلى المفعول، أي: استماعُ بني إسرائيل. وقوله: (أعقابِهم) أي: بني إسرائيل. وقوله: (لهم) أي: بني إسرائيل. وقوله: (الإيمان) أي: بموسى.

قوله: (يُحشروا) أي: بني إسرائيل. وقوله: (معهم) أي: مع أعقابهم. وقوله: (بينهم) أي: بين بني إسرائيل وبين أعقابهم.

---

[1] ر: واستخاروا.
[2] ر - بأن.
[3] ر: بالعذاب.

فإن قلتَ: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ **ما محلُّه؟**

قلتُ: الأحسنُ أن يكون منتصِبًا بإضمارِ "أعني" وهو الذي يسمَّى: النصبَ على المدح، ويجوز أن يكون جرًّا على الوصف وإن حيلَ بين الصفة والموصوف بقوله: ﴿إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدلٌ من الصِلة التي هي ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وكذلك ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، وفي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بيانٌ للجملة قبلَها؛ لأن مَن مَلَك العالَم كان هو الإلهَ على الحقيقة، وفي ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ بيانٌ لاختصاصه بالإلهيَّة؛ لأنه لا يَقدر على الإحياء والإماتة غيرُه.

﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: وما أُنزل عليه وعلى مَن تقدَّمه من الرسل من كُتبه ووَحْيه.

وقرئ: "وكلمته" على الإفراد وهي القرآن، أو أرادَ جنسَ ما كلَّم به.

وعن مجاهدٍ: أراد عيسَى ابن مريمَ.

وقيل: هي الكلمةُ التي تَكَوَّن عنها عيسى وجميعُ خَلْقه، وهي قوله: ﴿كُن﴾، وإنما قيل: إن عيسى كلمةُ الله، فخُصَّ بهذا الاسم؛ لأنه لم يكن لكونه سببٌ غيرُ الكلمة، ولم يكن من نُطفةٍ تُمنَى.

قوله: (**قلتُ: الأحسن**) إنّما كان أحسن؛[1] لأنّه يلزم في الوجه الثاني[2] الفصل بين الصفة والموصوف.

قوله: (﴿**وَكَلِمَٰتِهِۦ**﴾) أي: كلمات الله. وقوله: (**عليه**) أي: على النهي.

قوله: (**لكونه**) أي: لوجوده.

[٣٥٦ظ] قوله: (**مِن نطفة تُمنى**) مَنى الرجل وأمنى: خرج منه المنيّ.[3] / وقوله[4] تعالى: ﴿مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [القيامة ٣٧/٧٥]. قرئ بالتاء وبالياء،[5] على النطفة[6] والمنيّ.

---

١ ر: الأحسن.

٢ ر: الأول.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «منا».

٤ ر: قوله.

٥ قرأ بالياء حفص ويعقوب وهشام بخلاف عنه، والباقون بالتاء. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٦٦٢؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٩٤.

٦ ن: النقطة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إرادةَ أنْ تهتدوا.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: "فآمنوا بالله وبي" بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾؟

قلتُ: عُدِل عن المضمَر إلى الاسم الظاهر لتَجْريَ عليه الصفاتُ التي أُجْرِيَتْ عليه، ولِمَا في طريقةِ الالتفات من مزيَّةِ البلاغة، وليُعلَم أن الذي وجَبَ الإيمانُ به واتِّباعُه هو هذا الشخصُ المستقلُّ بأنَّه النبيُّ الأميُّ الذي يؤمن بالله وكلماته كائنًا مَن كان أنا أو غيري؛ إظهارًا للنَّصَفة وتفادِيًا من العصبية لنفسه.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ١٥٩﴾

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾: هم المؤمنون الثابتون من بني إسرائيل.

لمّا ذَكر الذين تزلزلوا منهم في الدِّين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتَين: عبادةِ العِجْل واستجازةِ رؤية الله تعالى، ذكر أنَّ منهم أمَّةً موقنين ثابتين يَهدون الناس بكلمة الحقّ ويَدُلُّونهم على الاستقامة ويُرشدونهم، وبالحقّ يَعْدلون بينهم في الحكم لا يجُورُونَ.

أو أراد الذين وصفهم ممَّن أدرك النبيَّ صلى الله عليه وسلم وآمَنَ به من أعقابهم.

وقيل: إن بني إسرائيل لمّا قتَلوا أنبياءهم وكفروا -وكانوا اثني عشر سِبطًا- تبرَّأ سِبْطٌ منهم مما صنَعوا واعتذروا، وسألوا الله أن يفرِّق بينهم وبين إخوانهم،

قوله: **(وليُعلم)** مِن الإعلام لا مِن العلم، ومفعوله الأوّل محذوف، و"أنّ" بما بعده قائم مقام المفعولين.

قوله: **(المستقلّ)** يقال: استقلّه، أي: حمله، والمراد المتصف بأنّه النبيّ الأميّ... إلخ، فإنّ مَن اتّصف بصفة فقد حمل تلك الصفة. و**(كائنًا)**[1] حال مِن الضمير في "المستقلّ". و**(مَن كان)** خبره، "كان" تامّة. وقوله: **(أنا أو غيري)** "أنا" خبرُ مبتدأ محذوف، أي: "هو أنا"، و"هو" عائد إلى الضمير في "كائنًا".[2]

قوله: **(سِبْط منهم)** "منهم" صفة "سبط".

---

[1] ر: وكانتا.

[2] ر: كائنا.

ففتح الله لهم نفَقًا في الأرض فساروا فيه سنةً ونصفًا حتى خرجوا من وراء الصين، وهم هنالك حُنفاءُ مسلمون يستقبلون قبلتَنا.

وذُكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن جبريل ذهب به ليلةَ الإسْراء نحوهم فكلَّمهم، فقال لهم جبريلُ: هل تعرفون مَن تكلِّمون؟ قالوا: لا، قال: هذا محمدٌ النبيُّ الأميُّ، فآمَنوا به وقالوا: يا رسول الله، إنّ موسى أَوْصانا مَنْ أدرك منكم أحمدَ فليقرأ عليه مني السلام، فرَدَّ محمدٌ على موسى -عليهما السلامُ- السلامَ، ثم أَقْرأهم عَشْرَ سُورٍ من القرآن نزلَتْ بمكَّة، ولم تكن نزلَتْ فريضةٌ غيرُ الصَّلاة والزكاة، وأمرَهم أن يقيموا مكانَهم، وكانوا يَسْبتون فأمرَهم أن يُجَمِّعُوا ويتركوا السبتَ».

وعن مسروق: قرئ بين يدي عبد الله، فقال رجل: إنّي منهم، فقال عبد الله يعني: لمن كان في مجلسه من المؤمنين: وهل يزيدُ صلحاؤُكم عليهم شيئًا؟ مَن يَهدي بالحق وبه يَعْدل؟

قوله: (وكانوا يَسْبتون) أي: يعظِّمون يومَ السبت. وقوله: (أن يجمِّعوا)،[1] أي: أن يصلُّوا الجمعة ويتركوا تعظيم السبت.

قوله: (فقال رجل: إنّي منهم) ممَّن عملتُ أو أعمل عملهم، لا أنا مِن نسلهم.

قوله: (مَن يهدي بالحقّ) معناه الاستفهام، بمعنى: "الذي على صفتهم منكم"، يريد أنّ أمثالهم قليل. وقوله: "مَن يهدي" إمّا بدل مِن الضمير في (عليهم) أو استئناف.

قوله: (مَن يهدي[2] بالحقّ وبه يعدل) الجملة استفهامية، قال أوّلًا: هل يقدر صلحاؤكم أن يزيدوا على عملهم شيئًا، ثمّ استأنف على الإنكار قائلًا: مَن الذي على صفتهم منكم مَن يهدي بالحقّ[3] كما هدوا ومَن يعدِل كما عدلوا؟

---

[1] الكشف والبيان للثعلبي، ١٢/٥٥٩ (الأعراف، ٧/١٥٩).

[2] ر - إمّا بدل مِن الضمير في (عليهم) أو استئناف قوله: (مَن يهدي.

[3] ر: إلى الحق.

وقيل: لو كانوا في طرفٍ من الدنيا متمسِّكين بشريعةٍ ولم يبلغْهم نسخُها كانوا معذورين، وهذا من باب الفرض والتقدير، وإلّا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كلِّ أفق، وتغَلْغلَ في كلِّ نَفَقٍ، ولم يُبْقِ اللهُ أهلَ مَدَرٍ ولا وبَرٍ ولا سهلٍ ولا جبلٍ ولا بَرٍّ ولا بحرٍ في مشارق الأرض ومغاربها إلّا وقد ألقاه إليهم ومَلأَ به مَسامِعَهم وألزمهم به الحجةَ، وهو سائلُهم عنه يوم القيامة.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًاۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ١٦٠﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: وصَيَّرناهم قطعًا؛ أي: فِرَقًا وميَّزنا بعضَهم من بعضٍ لقلَّةِ الألفةِ بينهم.

وقرئ: "وقَطَعْناهم" بالتخفيف.

﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ كقولك: اثنتي عشرة قبيلةً، والأسباطُ: أولادُ الولد جمعُ سِبْط، وكانوا اثنتي عشرة قبيلةً من اثني عشر ولدًا من ولد يعقوب عليه السلام.

فإن قلت: مُميِّزُ ما عدا العشرة مفردٌ، فما وجهُ مجيئه مجموعًا؟ وهلّا قيل: اثني عشر سِبْطًا؟

قوله: (وتغلغل) الجوهري: «تغلغل الماء في الشجر إذا تخلَّلها».[١]

قوله: (ولا برٍّ ولا بحرٍ)[٢] المراد بالبرّ البوادي وبالبحر القُرى والبلاد، وفي[٣] النهاية: «العرب تُسمّي المدن[٤] والقرى البحارَ».[٥]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «غلل».
٢ ن: يجر.
٣ ر – في.
٤ ن: البدن.
٥ **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ١/١٠٠.

قلتُ: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقًا؛ لأنّ المراد: وقطّعناهم اثنتي عشرة قبيلةً، وكلّ قبيلة أسباطٌ لا سبطٌ، فوُضع ﴿أَسْبَاطًا﴾ موضع "قبيلةً"، ونظيره:

بيـن رمـاحَـيْ مـالـك ونَـهـشـل

و﴿أُمَمًا﴾ بدلٌ من ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ بمعنى: وقطّعناهم أممًا؛ لأن كلَّ أسباطٍ كانت أمّةً عظيمةً وجماعةً كثيفةَ العدد، وكلُّ واحدة كانت تؤمُّ خلافَ ما تؤمُّه الأخرى لا تكاد تأتلِفُ.

وقرئ: ﴿اثنتي عَشِرةَ﴾ بكسر الشين.

قوله: (**لأنّ المراد: وقطّعناهم**) اللام في قوله: "لأنّ المراد" متعلِّق بقوله: (**تحقيقًا**)، والوجهُ فتح (**كلّ قبيلة**).

قوله: "لأنّ المراد" اللام في قوله: "لأنّ المراد" يجوز أن يكون صلة تحقيقًا وأن يكون تعليلًا لقوله: (**لو قيل ذلك لم يكن تحقيقًا**).[1]

قوله: (**وقطّعناهم اثنتي[2] عشرةَ[3] قبيلة**) ذهب الجوهري والزجاج وأبو البقاء إلى أن ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل مِن ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ لا تمييز. وقلتُ: نصّ المصنّف في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ [الكهف ٢٥/١٨] في قراءة حمزة والكسائي على الإضافة[4] أنّه[5] وَضَع الجمع موضعَ الواحد في المئين، كقوله تعالى: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف ١٠٣/١٨].

قوله:

(بيـن رمـاحَـي مـالـكٍ ونَـهْـشـلِ)

أوله:

تبقَّلـت فـي أوّل التبقُّـلِ

---

[1] ر – وأن يكون تعليلًا لقوله: (لو قيل: ذلك لم يكن تحقيقًا).

[2] ر: اثني.

[3] ر: عشر.

[4] انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٣٣٩؛ و**النشر** لابن الجزري، ٣١٠/٢.

[5] ر: وإنه.

﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ﴾: فانفجرت، والمعنى واحدٌ وهو الانفتاح بسعةٍ وكثرة. قال العجَّاج:

وكِيـفَ غَـرْبَـيْ دَالِــجٍ تَـبَـجَّـسَا

فإن قلتَ: هلا قيل: فضَرب فانبجست؟

قلتُ: لعدم الإلباس، وليُجعَلَ الانبجاسُ مسبَّبًا عن الإيحاء بضرب الحجر

تـحـت أهـاضيـبِ الـغُـيـوث الـهُـطَّـلِ

بـيـن رِمـاحَـي مـالِـكٍ ونَـهْـشَـلِ[١]

أي: أكلت الإبل البقل[٢] في مرعاها. تبقّلت الماشية إذا رعت النبات أوّل ما ينبت.[٣] إنّما ثنّى "الرماح" وهي جمع؛ لأنّ كلّ فرد مِن هذه التثنية يُراد به[٤] جماعة مِن الرماح، كما يراد بكلّ فرد مِن أفراد هذه الجمع وهو ﴿أَسۡبَاطًا﴾ قبيلة.

قوله:[٥]

(وَكِيـفَ[٦] غَرْبَـي دالـجٍ تبجَّسـا)[٧]

أوّله:

وانـحـلـبـتْ[٨] عـيـنـاه مِـن فـرط الأسـى

الوكيف: مصدر وَكَف البيت: قطر. والغَرْب: الدلو العظيم. وانحلبت، أي: سال دمع عينيه. يُشبه دمع عينيه بذلك، أي: سالت الدموع مِن العين كسيلان دلوَي دالج. والدالج: الذي يأخذ الدلوَ ويمضي بها مِن رأس البئر إلى الحوض حتّى يفرّغها فيه. وقوله: "وَكِيف" صفة مصدر محذوف، أي: انحلابًا مثل انحلابِ وَكيفَي دالج.

---

[١] الرجز لأبي النجم العِجلي في ديوانه، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ وبعضها له في **مجمع الأمثال** للميداني، ١٥٦/٢؛ **أساس البلاغة** للزمخشري، «بقل». وأراد بني مالك بن ضُبيعة بن قيس وبني نهشل.

[٢] ر: التقبل.

[٣] ر: نبت.

[٤] ن ر - به.

[٥] ر + بين رماحي مالك ونهشل. قوله.

[٦] ر - وكيف.

[٧] الرجز للعجّاج. ومضى بتخريجه وشرحه في تفسير سورة الأعراف، ٩٣/٧.

[٨] ر: وانجلبت.

للدَّلالة على أن المُوحَى إليه لم يتوقَّفْ عن اتِّباع الأمر، وأنَّه من انتفاء الشكِّ عنه بحيث لا حاجَةَ إلى الإفصاح به.

وقوله: ﴿كُلُّ أُنَاسٍ﴾ نظيرُ قوله: ﴿ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا﴾ يريد: **كلَّ أُمَّةٍ من تلك** الأمم الثِّنتي عشرةَ، والأناس اسمُ جمعٍ غيرُ تكسيرٍ نحو: "رُخالٍ وثُناءٍ **وتُؤامٍ**" وأخواتٍ لها.

ويجوز أن يقال: إنَّ الأصل الكسرُ والتكسير، **والضمَّةُ بدلٌ من الكسرة كما** بُدلت في نحو "سُكارى وغُيارَى" من الفتحة.

﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ﴾: وجعلناه ظليلًا عليهم في التِّيه، و﴿كُلُواْ﴾ على إرادة القول.

قوله: (**نحو "رُخال وثُناء"**)... إلخ، قال جار الله: ما سمعنا كلمًا غير "ثُمان"[١] هي جمع، وهي في الوزن "فُعال"،[٢] فـ"رُباب" و"فُراد"[٣] و"تُؤام" و"عُراق" و"عُرام" و"رُخال" و"ظُؤار"[٤] جمع ظِئر و"بُساط" جمع بسط هكذا، فيما يقال: "الرُّباب" جمع رُبّى على "فعلى"، وهي الشاة التي وضعت حديثًا،[٥] [٣٥٧و] و"الفُرار" جمع "فَرير"، وهو ولد البقرة الوحشية، وقيل: / "الفُرار" واحد مثل "طويل وطُوال"، والعُراق جمع عِرق، وهو العظم الذي أخذ عنه اللحم،[٦] والرُّخال جمع "رَخِل" وهو الأنثى مِن أولاد الضأن والذَّكَر الحَمَل، وقد يكسر في الجمع فيقال: "رِخال" مثل "رجال"،[٧] و"ثُناء" جمع "ثِني"، و"رُذال" جمع "رِذل" مسترذل،[٨] ونُذال جمع نَذْل، «و"البِسط" بالكسر هي الناقة تتخلّى مع ولدها لا يُمنع منها».[٩] وقوله: (**الكسر**) أي: كسر الهمزة. وقوله: (**التكسير**) أي: جمع التكسير.

---

١ ن + قوله.

٢ ر - "فعال".

٣ ن: فرار.

٤ ر: ظآر.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ربب».

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عرق».

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «رخل».

٨ ر: كسراد.

٩ **الصحاح** للجوهري، «بسط».

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾: وما رجع إلينا ضَررُ ظلمهم بكفرانهم النِّعَمَ، ولكن كانوا يَضرُّون أنفسَهم، ويرجع وبالُ ظلمهم عليهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾: واذكرْ إذْ قيل لهم، والقريةُ: بيتُ المقدس.

فإن قلتَ: كيف اختلفَتِ العبارةُ هاهنا وفي سورة البقرة؟

قلتُ: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقضٌ، ولا تناقُضَ بين قوله: ﴿اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا﴾ وبين قوله: ﴿فَكُلُوا﴾؛ لأنهم إذا سكنوا القريةَ فتسبَّب سُكناها للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكْلِ منها.

وسواءٌ قدَّموا الحِطَّةَ على دخول الباب أو أخَّروها فهم جامعون في الإيجاد بينهما.

وتركُ ذكر الرَّغَد لا يناقِضُ إثباتَه.

وقوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ موعِدٌ بالشيئين: بالغُفران وبالزيادة، وطرحُ الواو لا يُخِلُّ بذلك؛ لأنه استئناف مرتَّبٌ على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغُفران؟ فقيل له: ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وكذلك زيادةُ ﴿مِنْهُمْ﴾ زيادةُ بيان.

و"أرسلنا" و"أنزلنا" و﴿يَظْلِمُونَ﴾ و﴿يَفْسُقُونَ﴾ من وادٍ واحدٍ.

وقرئ: "يَغْفِرْ لكم خطيئاتِكم"، و: "تُغْفَرْ لكم خطاياكُم"، و: ﴿خطيئاتُكم﴾ و: ﴿خطيئتُكم﴾ على البناء للمفعول.

قوله: (فتسبَّب)[1] إشارة إلى وجه صحّة الفاء. وقوله: **(فقد جمعوا)** إشارة إلى وجه صحّة الواو.

---

[1] ن: فتسببت.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وسَلْهم﴾: وسَلِ اليهودَ، وقرئ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾.

وهذا السؤال معناه التقريرُ والتقريعُ بقديم كفرهم وتجاوُزهم حدودَ الله، والإعلامُ بأن هذا من علومهم التي لا تُعلم إلّا بكتابٍ أو وَحْيٍ، فإذا أعلَمَهم به مَن لم يقرأ كتابَهم عُلم أنه من جهة الوَحْي، ونظيرُه همزةُ الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك: "أعدَوْتُم في السبت".

والقريةُ: أيلَةُ، وقيل: مدينُ، وقيل: طَبريَّةُ، والعربُ تُسمي المدينةَ قريةً، وعن أبي عمرو بن العلاء: ما رأيتُ قرويَّين أفصحَ من الحسن والحَجَّاج، يعني: رجلين من أهل المُدْن.

﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: قريبةً منه راكبةً لشاطِئِه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾: إذ يتجاوزون حدَّ الله فيه، وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نُهُوا عنه.

وقرئ: "يَعَدُّون" بمعنى: يعتدون، أدغمت التاء في الدال ونُقلت حركتها إلى العين.

و: "يُعِدُّون" من الإعداد، وكانوا يُعِدُّون آلات الصيد يومَ السَّبت، وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة.

والسَّبتُ: مصدر سبتَتِ اليهود: إذا عظَّمتْ سَبْتَها بتركِ الصيد والاشتغالِ بالتعبُّد، فمعناه: يَعْدون في تعظيم هذا اليوم، وكذلك قوله: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ معناه: يوم تعظيمهم أمرَ السبت، ويدلُّ عليه قولُه: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾.

قوله:[١] (ويدلّ عليه قوله: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾) فعل مشتقّ مِن "السبت"، فعُلم أنّ السبت مصدر، وأيضًا لو لم يكن السبت مصدرًا لم يكن لقوله: ﴿يَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ في مقابلته معنى.

---

[١] ر: وقوله.

وقراءةُ عمر بن عبد العزيز: "يومَ إِسْباتهم".

وقرئ: "لا يَسبُتون" بضم الباء.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه: "لا يُسْبِتون" بضمّ الياء من أَسْبَتوا.

وعن الحسن: "لا يُسبَتُون" على البناء للمفعول؛ أي: لا يُدارُ عليهم السبتُ ولا يُؤمرون بأن يَسبتوا.

فإن قلتَ: ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ و﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ ما محلُّهما من الإعراب.

قلتُ: أمَّا الأوَّلُ فمجرورٌ بدلٌ من ﴿الْقَرْيَةِ﴾ والمرادُ بالقرية أهلُها، كأنَّه قيل: وسَلْهم عن أهل القرية وقتِ عُدوانهم في السَّبت، وهو من بدلِ الاشتمال، ويجوز أن يكون منصوبًا بـ﴿كَانَتْ﴾ أو بـ﴿حَاضِرَةَ﴾، وأما الثاني فمنصوبٌ بـ﴿يَعْدُونَ﴾، ويجوزُ أن يكون بدلًا بعدَ بدلٍ.

قوله: ("**يَوْمَ إِسْبَاتِهِمْ**")[1] بدل مِن ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾، فهذا أيضًا دلّ على أنّ "السبت" مصدر.

قوله: (**ولا يُؤمَرون بأن يَسبتوا**) عطف على سبيل البيان على[2] قوله: (**لا يُدار[3] عليهم السبت**). وقوله: (**فمعناه: يَعْدون**) إلى قوله: "**يوم إسباتهم**" غيرُ منقَّح؛ لأنّ قولك: تأتيهم حيتانهم يومَ يعظِّمون السبت ولا تأتيهم حيتانهم يوم لا يعظِّمون السبت ليس معناه ظاهرًا مستقيمًا، فالوجه أن نقول والله أعلم وهو الموفق للصواب: ﴿السَّبْتِ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ بمعنى اليوم المخصوص المعلوم لا بمعنى المصدر، أي: يظلمون ويتجاوزون الحدّ في ذلك اليوم بصيدهم الحيتان، وأمّا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾ فبمعنى المصدر، وهو تعظيم ذلك اليوم، فعلى هذا يكون معنى ﴿يَوْمَ﴾: تعظيمهم يومَ كانوا مأمورين فيه بتعظيم السبت، أي: بتعظيم ذلك اليوم، ولذلك أضيفَ السبت إليهم، فإنّ الإضافة تكون لأدنى ملابسة، فلمّا كانوا مأمورين بتعظيم ذلك اليوم

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن عمر بن عبد العزيز. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٨٦١.

[2] ر - على.

[3] ن ر: يدرا.

و"الحيتان": السمك، وأكثرُ ما تَستعمِلُ العربُ الحوتَ في معنى السمكة.

﴿شُرَّعًا﴾: ظاهرةً على وجه الماء، وعن الحسن: تَشرع على أبوابهم كأنّها الكِبَاشُ البيضُ.

يقال: "شَرَعَ علينا فلانٌ": إذا دنا منّا وأشرفَ علينا، و: "شرعتُ على فلانٍ في بيته فرأيتُه يفعل كذا".

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾: مثلَ ذلك البلاءِ الشديدِ نبلُوهم بسببِ فسقِهم.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ﴾ معطوفٌ على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ وحكمُه حكمُه في الإعراب.

أضيفَ ذلك التعظيم إليهم، وكذا أيضًا معنى ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظِّمون ذلك اليوم، والمراد لم يكونوا مأمورين بتعظيم ذلك اليوم، فإنّهم لمّا لم يكونوا مأمورين في غير ذلك اليوم بالتعظيم قيل: ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾، أي: لا يكونون مأمورين بتعظيمه. وحاصله قريب مِن معنى قراءة عليّ رضي الله تعالى[1] عنه بضمّ الياء،[2] وهو مِن قولك: "أسبَت"، أي: دخل في يوم السبت. قال في **الصحاح**: «أسبتت اليهود، أي: دخلت يوم السبت».[3] هذا هو الذي ظهر لنا بالتأمّل فيه[4] والحمد لله على التوفيق. ثمّ اعلم أنّ قراءة الحسن[5] على ما فسره المصنّف يبيّن ما ذكرنا بيانًا شافيًا.

قوله: (**في معنى السمكة**) أي: معنى السمكة الواحدة، لا بمعنى السمك الذي فيه دلالة على الكثرة، يعني لذلك قال: ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ جمعًا، فلا تقل: حوتهم.

قوله: (**معطوف على ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾**) ولا يجوز أن يكون معطوفًا على

---

١ ر - تعالى.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش والحسن والزعفراني والمفضّل عن عاصم. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٨٦١.

٣ **الصحاح** للجوهري، «سبت».

٤ ر - فيه.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. **المغني في القراءات** للنّوزاوازي، ص ٨٦١.

﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: جماعةٌ من أهل القرية من صُلحائهم الذين ركبوا الصَّعبَ والذَّلولَ في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخَرين كانوا لا يُقلِعون عن وَعْظهم.

﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ أي: مختَرِمُهم ومُطهِّرُ الأرض منهم.

﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لتمادِيهِم في الشرِّ، وإنما قالوا ذلك لعِلْمِهم أن الوعظَ لا ينفعُ فيهم.

﴿قالوا معذرةٌ إلى ربّكم﴾؛ أي: موعظتُنا إبلاغُ عُذرٍ إلى الله، ولئلا نُنسَبَ في النهي عن المنكَر إلى بعض التفريط.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: ولِطمعِنا في أن يتَّقوا بعضَ الاتِّقاء.

وقرئ: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب؛ أي: وعَظْناهم معذرةً إلى ربِّكم واعتذرنا معذرةً.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾؛ لأنَّه إمّا بدل أو ظرف، فيلزم أن يدخل هؤلاء في حُكم أهل العدوان وليس كذلك.

قوله: (إبلاغُ[1] عذر) أي: إظهاره. **الأساس**: «يقال: أبليته عذرًا إذا بيَّنته له بيانًا لا لومَ عليك بعده».[2]

قوله: (وأنّ النهي لا يؤثِّر فيه) عطف على (حالَ)، فيجوز أن يكون مِن العطف للبيان، ويجوز ألّا يكون منه؛ بل يكون المعنى: علِم حال المنهيِّ في فسقه وفجوره وعلِم مع ذلك أنّ النهي لا يؤثِّر.

قوله: (وقرئ: ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب) حفص والباقون بالرفع.[3]

---

[1] في مطبوع **الكشّاف**: إبلاغ. | وأثبتُّ ما في **حاشية الجاربردي** وما راجعته من أصول **الكشّاف**.

[2] **أساس البلاغة** للزمخشري، «بلو».

[3] انظر: **السبعة** لابن مجاهد، ص ٢٩٦؛ و**النشر** لابن الجزري، ٢/٢٧٢.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ يعني: أهلَ القرية، فلمَّا تركوا ما ذكَّرهم به الصالحون تركَ النَّاسي لِمَا ينساه.

﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا﴾ الظالمين الراكبين للمنكر.

فإن قلتَ: الأمَّةُ الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ من أيِّ الفريقين هم: أمِنْ فريقِ الناجين أم المعذَّبين؟

قلتُ: من فريق الناجين؛ لأنهم من فريق الناهين، وما قالوا ما قالوا إلَّا سائلين عن علَّةِ الوعظ والغرضِ فيه، حيث لم يروا فيه غرضًا صحيحًا لعلمهم بحالِ القوم، وإذا علِم الناهي حالَ المنهيِّ وأنّ النهي لا يؤثّر فيه سقط عنه النهيُ، وربَّما وجب التركُ لدخوله في بابِ العَبَث، ألا تَرى أنك لو ذهبتَ إلى المكَّاسين القاعدين على المآصر أو الجلَّادين المرتَّبين للتعذيب لتَعِظَهم وتكُفَّهم عمَّا هم فيه كان ذلك عبثًا منك ولم يكن إلَّا سببًا للتلهِّي بك.

[٣٥٧ظ] قوله: (**إلى المكّاسين**)[١] المكّاسون: هم الذين يلازمون / طرق التاجرين والمارّين بالطرق يأخذون مِن كلّ حمل[٢] درهمًا أو درهمين أو أكثر، مثلًا قال المُطرّزيّ في **المُغرِب**: «المَكْس في البيع: استنقاص الثمن.[٣] والمُماكسة[٤] والمِكاس في معناه».[٥] قال الجوهري في **الصحاح**: «مَكَس في البيع يمكِس بالكسر مَكْسًا، وماكَس مُماكسةً ومِكاسًا. والمَكْس أيضًا الجباية، أي: الخَراج. والماكِس: العشّار. قال الشاعر:

أفــي كــلّ أســـواقِ الــعــراق إتـــاوةٌ»[٦]

مأصَر ومأصِر مِن أصره يأصِره أصرًا حبسه.[٧]

---

١ ن: المكاسبين.

٢ ن: جمل.

٣ ن: التمر.

٤ ن: والماكسة.

٥ **المغرب** للمُطرّزي، «مكس».

٦ **الصحاح** للجوهري، «مكس». والشعر لجابر بن حُنَيّ التغلبيّ في **المفضّليّات** للضبّيّ، ص ٢١١؛ و**الحيوان** للجاحظ، ١٤٨/٦؛ و**أساس البلاغة** للزمخشريّ، «أتي»؛ وهو بلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «مكس». وتمامه:

وفي كلّ ما باع امرؤٌ مَكْس درهم

٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أصر».

وأما الآخرون فإنَّما لم يُعرِضوا عنهم إما لأن يأسَهم لم يستحكِمْ كما استحكَمَ يأسُ الأوَّلين ولم يَخْبُروهم كما خَبِرُوهم، أو لفَرْط حرصِهم وجِدِّهم في أمرهم كما وصفَ اللهُ رسولَه في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف ٦/١٨].

وقيل: الأمَّةُ هم الموعوظون، لمّا وُعظوا قالوا للواعظين: لمَ تَعظون منّا قومًا تزعمون أن الله مُهْلكهم أو معذِّبهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ليت شعري! ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾؟ قال عِكرمةُ: فقلتُ: جعلني اللهُ فداك! ....

قوله: (**وقيل: الأمّة هم الموعوظون**) اعلم أنّ الصواب أنّ هذا عطف على قوله: (﴿أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾: **جماعة مِن أهل القرية مِن صلحائهم**) ولا وجهَ لجعله عطفًا على قوله في الجواب: (**مِن فريق الناجين**). وقوله: (**منّا**) متعلِّق بقوله: (**تعظون**) أو حال مِن (**قومًا**) وهو للبيان، كما في قولك: رأيتُ منك أسدًا، أي: أنت أسد. قيل: لِمَ يعظوننا وقد زعمتم أنّ الله مهلكنا. وغرضُهم مِن هذا الكلام منعهم عن الموعظة، يعني: لِما زعمتم أنّ وعظكم لا ينفعنا فلِمَ تعظوننا؟

قوله: (**ما فُعل بهؤلاء الذين قالوا؟**)[١] قال محيي السنّة في **معالم التنزيل**:

قال ابن عبّاس: أسمع الله يقول: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة؟ قال عكرمة: جعلني الله فداك، ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وإن لم يقل الله: أنجيتُهم، لم يقل: "أهلكتهم"، فأعجبه[٢] قولي فرضي وأمر لي ببُردين فكسانيهما. وقال: نجَيت[٣] الساكنة. وقال يمان بن رباب: نجَت الطائفتان الذين قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ والذين قالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان. وهذا قول الحسن.[٤]

قوله: (**قال عكرمة**) كان عكرمة عبدًا لابن عبّاس.

---

[١] جامع البيان للطبري، ٥٢١/١٠ (الأعراف، ١٦٥/٧). [٣] ر: نجت.

[٢] ن: فأعجب. [٤] معالم التنزيل للبغوي، ٢٩٤/٣ (الأعراف، ١٦٥/٧).

ألا ترى أنهم كرِهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ فلم أزَلْ به حتى عرَّفتُه أنهم قد نجَوْا.

وعن الحسن: نَجَتْ فِرْقتانِ وهلكَتْ فِرقةٌ وهم الذين أخذوا الحيتانَ.

وروي: أن اليهود أُمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتَركوا واختاروا السبتَ، فابْتُلوا به وحُرِّم عليهم فيه الصيدُ، وأُمروا بتعظيمه، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شُرَّعًا بِيضًا سِمانًا كأنّها المخاضُ لا يُرى الماء من كثرتها، ويومَ لا يَسبِتون لا تأتيهم، فكانوا كذلك بُرْهةً من الدهر ثم جاءهم إبليسُ فقال لهم: إنَّما نُهيتُم عن أخذها يوم السبتِ فاتَّخِذوا حِياضًا تسوقون الحيتانَ إليها يوم السبتِ فلا تقدر على الخروج منها، وتأخذونها يوم الأحد، وأخذ رجل منهم حوتًا وربَط في ذنَبِهِ خَيْطًا إلى خشبةٍ في الساحل ثم شَواهُ يوم الأحد، فوجد جارُه ريحَ السمك فتطلَّع في تنُّوره فقال له: إني أرى الله سَيُعذِّبك، فلمَّا لم يَرَه عُذِّب أخذ في السبت القابل حُوتين، فلمَّا رأوا أن العذاب لا يعاجلُهم صادُوا وأكلوا وملَّحوا وباعوا، وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا، فصار أهلُ القرية أثلاثًا: ثلثٌ نَهوا وكانوا نحوًا من اثني عشر ألفًا، وثُلثٌ قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا﴾ وثُلثهم أصحاب الخطيئةِ، فلمَّا لم يَنتهُوا قال المسلمون: إنَّا لا نُساكنُكم، فقَسموا القرية بجدار: للمسلمين بابٌ وللمعتدين بابٌ، ولعَنَهم داود

قوله: (كأنّها المَخاض) الجوهري: هي بفتح الميم: النوق الحوامل، ولا واحد لها مِن لفظها.[1]

قوله: (بُرهة) البُرهة: المدّة الطويلة مِن الزمان.

قوله: (فلم يَرَه عُذِّب) أي: لم يرَ نفسه يعذِّبه الله، الرؤية بمعنى العلم نحو قوله: ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق ٩٦/٧].

قوله: (ولعنهم داود) هي أمة داود بعد موسى، كان في زمان[2] داود بقيّة منهم.

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «مخض»، وقال: واحدها خَلِفة.

[2] ر: زمن.

عليه السلام، فأصبحَ الناهون ذاتَ يوم في مجالسهم ولـم يخرج من المعتدِين أحدٌ، فقالوا: إن للناس شأنًا فعَلَوا الجدارَ فنَظروا فإذا هم قردةٌ، ففتحوا الباب ودخلوا عليهم، فعَرَفتِ القُرودُ أَنسِباءَها من الإنسِ، والإنسُ لا يعرفون أنسباءهم من القرود، فجَعل القِردُ يأتي نَسِيبَه فيشمُّ ثيابَه ويبكي فيقول: ألَم ننهَك؟! فيقول برأسه: بلى.

وقيل: صَار الشبابُ قردةً والشيوخُ خنازير.

وعن الحسن: أكلوا والله أوخَمَ أَكْلَةٍ أكلَها أهلُها، أثقلَها خِزيًا في الدنيا وأطولَها عذابًا في الآخرة، هَاهْ وايمُ الله ما حوتٌ أخَذَه قومٌ فأكلوه أعظمَ عند الله من قتل رجلٍ مسلمٍ، ولكنَّ الله جَعَل مَوْعدًا ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾.

﴿بَئِيسٍ﴾: شديدٍ، يقال: بَؤُس يَبْؤُس بأسًا: إذا اشتدَّ فهو بَئيسٌ.

وقرئ: "بَئِسٍ" بوزن حَذِرٍ، و: ﴿بِئْسٍ﴾ على تخفيف العين ونقلِ حركتها إلى الفاء، كما يقال: كِبْدٍ في كَبِد.

قوله: (أوخَمَ أكلةٍ) طعام وخيم: غير مريء. الرواية "أَكلة" بفتح الهمزة، ويجوز ضمُّها فالفتح المصدر والضمّ الاسم. والضمير في (أكلَها) يجوز أن يكون مفعولًا به وأن يكون مفعولًا مطلقًا للتأكيد.

قوله: (أكلَها أهلها) صفة "أكلة"، وفي الكلام معنى التعجُب، أي: أكلوا -والله- أكلةً[1] ما أو خمها مِن جهة الأكل، وما أثقلها مِن جهة الخزي، وما أطولها مِن جهة العذاب!.

قوله: (ولكنَّ الله جعل[2] موعدًا)،[3] أي: إن لـم يعذِّب قاتل النفس في الدنيا على أنّ قتل النفس أعظم مِن تلك الأكلة لكنّ الله يعذِّبه في الآخرة.

قوله: (﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر ٥٤/٤٦]) الداهية: الأمر المنكَر الذي لا يُهتدى لدوائه.

---

[1] ر - أكلة.

[2] ن ر - جعل.

[3] ر: موعد.

و: ﴿بِيسٍ﴾ على قلبِ الهمزة ياءً كذِيبٍ في ذئب.

و: ﴿بَيْئِسٍ﴾ على وزن فَيْعِلٍ بكسر الهمزة وفتحِها.

و: "بَيِّسٍ" بوزن رَيِّسٍ على قلب همزة "بيئس" ياءً وإدغام الياء فيها.

و: "بَيْس" على تخفيف "بيِّس" كهَيْنٍ في هيِّنٍ.

و: "بائس" على فاعلٍ.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ فلّما تكبّروا عن تركِ ما نُهوا عنه كقوله: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف ٧/٧٧] ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً﴾ عبارةً عن مسخهم قردةً كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ ٣٦/٨٢]، والمعنى: أن الله عذّبَهم أولًا بعذابٍ شديدٍ فعتوا بعد ذلك فمسَخهم.

وقيل: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ﴾ تكريرٌ لقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ والعذابُ البئيس: هو المسخُ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: ....

قوله: (**بوزن رَيِّس**) قال في **الصحاح**: «رَأَس فلان القوم يرأس رئاسة، وهو رئيسهم. وأيضًا يقال: ريِّس مثال قيِّم».[1]

قوله: (**فلمّا تكبروا عن ترك ما نُهوا**) أي: تكبّروا عن امتثال أمر ربّهم.

قوله: (﴿**وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ**﴾ [الأعراف ٧/٧٧])، يعني: لم ينتهوا عمّا نُهوا عنه، وذلك بأن أتوا بالفعل المنهي عنه تكبُّرًا وعدمَ مبالاة[2] به، كما أمروا بالإتيان

[٣٥٨و] بالفعل والمأمور به فتكبَّروا عنه وتركوه، / وفيه أنّ النهي عن الشيء أمرٌ بضده.

قوله: (﴿**كُونُواْ قِرَدَةً**﴾) عبارة عن مَسْخهم، أي: لم يكن ثمّة قول.

---

[1] **الصحاح** للجوهري، «رأس».

[2] ر: امتثالًا.

عزَم ربُّك، وهو تفعُّلٌ من الإيذان وهو الإعلامُ؛ لأنّ العازمَ على الأمر يحُدِّث به نفسَه ويُؤذنُها بفعله، وأُجريَ مُجرى فعل القسم كـ"عَلِمَ الله" و"شهد الله"؛ ولذلك أُجيب بما يُجابُ به القسم، وهو قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾.

والمعنى: وإذ حَتَم ربُّك وكتَب على نفسه ليبعثنَّ على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ فكانوا يُؤدُّون الجزيةَ إلى المجوس إلى أن بعثَ اللهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم، فلا تزالُ مضروبةً عليهم إلى آخر الدهر.

ومعنى ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾: ليُسلِّطنَّ عليهم؛ كقوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء ١٧/٥].

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: وفرَّقْناهم فيها فلا يكادُ يخلو بلدٌ من فرقةٍ منهم.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾ الذين آمنوا منهم بالمدينة، أو الذين وراء الصِّين.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾: ومنهم ناسٌ دون ذلك الوصف منحطُّون عنه وهم الكفرة والفسقةُ.

فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾؟

قوله: (**عزَم ربُّك**) أي: قضى وحَتَم وقَطَع، ومنه «لا صيامَ لمَن لم يعزم الصيام مِن الليل»،[1] أي: لم يقطعه بالنيّة، ألا ترى إلى قوله: «لمَن لم يبيِّت[2] الصيام»،[3] فيكون كناية لإطلاق اللازم وهو (**الإيذان**)[4] على الملزوم وهو "القصد".

قوله: (**وهو الإعلام**) فالتأذُّن مِن لوازم العزم، أطلقه وأراد العزم، فيكون كناية.

قوله: (**لأنّ العازم**)... إلخ، تعليل لقوله: (﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ **عزَم ربك**).

---

[1] المصنَّف لابن أبي شيبة، ٢/٢٩٢ (٩١١١).

[2] ر: يبت.

[3] سنن النسائي، ٤/١٩٦ (٢٣٣١).

[4] ر: لا بدّ أن.

قلتُ: الرفعُ، وهو صفةٌ لموصوفٍ محذوف معناه: "ومنهم ناسٌ مُنحطُّون عن الصَّلاح"، ونحوه: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات ١٦٤/٣٧] بمعنى: وما منَّا أحدٌ إلّا له مقامٌ.

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: بالنِّعَم والنِّقَم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يَنتبهون فيُنيبون.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿فَخَلَفَ﴾ من بعد المذكورين ﴿خَلْفٌ﴾ وهم الذين كانوا في زمن رسول الله.

﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراةَ بقيت في أيديهم بعد سلَفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم، ولا يعملون بها.

﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾؛ أي: حطام هذا الشيء الأدنى، يريد: الدنيا وما يُتمتَّعُ به منها، وفي قوله: ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ تخسيسٌ وتحقيرٌ، و﴿ٱلْأَدْنَىٰ﴾: إمَّا من الدُّنوِّ بمعنى القُرب؛ لأنه عاجلٌ قريبٌ، وإمَّا من دُنوِّ الحال وسقوطها وقلَّتها، والمرادُ: ما كانوا يأخذونه من الرُّشا في الأحكام وعلى تحريفِ الكَلِم للتسهيل على العامَّة.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾: لا يؤاخذُنا الله بما أخَذْنا، وفاعلُ ﴿سَيُغْفَرُ﴾ الجارُّ والمجرور وهو ﴿لَنَا﴾، ....

قوله: (**فيُنيبون**)[١] أناب إلى[٢] الله تعالى،[٣] أي: أقبل وتاب.

قوله: (**﴿خَلْفٌ﴾**) **النهاية**: «الخلف بالتحريك والسكون: مَن يجيء بعد مَن مضى،[٤] إلّا أنّه بالتحريك في الخير وبالتسكين[٥] في الشرّ. يقال: "خلَف صدق، وخلْف سوء"، ومعناهما جميعًا: القرن مِن الناس».[٦]

---

[١] ر: فينبئون.

[٢] ن - إلى.

[٣] ر - تعالى.

[٤] ن: يمضي.

[٥] ر: وفي التسكين.

[٦] **النهاية في غريب الحديث لابن الأثير**، ٦٦/٢.

ويجوز أن يكون الأخذَ الذي هو مصدرُ ﴿يَأْخُذُوهُ﴾.

﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال؛ أي: يرجُون المغفرةَ وهم مصرُّون عائدون إلى مثلِ فعلِهم غيرَ تائبين، وغُفرانُ الذنوب لا يصحُّ إلّا بالتوبة، والمُصِرُّ لا غفران له.

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني قولَه في التوراة: «مَن ارتكبَ ذنبًا عظيمًا فإنَّه لا يُغفَر له إلَّا بالتوبة».

﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾ في الكتاب من اشتراطِ التوبة في غفران الذنوب، والذي عليه المجبِرةُ هو مذهبُ اليهود بعينه كما ترى.

قوله: (ويجوز أن يكون الأخذ) أي: يجوز أن يكون الفاعل "الأخذ" الذي هو مصدر ﴿يَأْخُذُونَ﴾، أي: سيغفر لنا أخذُ الرشى.

قوله: (ذنبًا عظيمًا) أراد بالذنب العظيم الشركَ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان ١٣/٣١].

قوله: (والذي عليه المجبِرة) يريد المصنّف بهذا الكلام الردّ على أهل السنّة والجماعة، وهو غير سديد؛[1] لأنّه لا يرِد عليهم؛ لأنّ السين في قوله تعالى: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يدلّ على أنّه كائن لا محالةَ وإن تأخّر، كما قرر المصنّف هذا المعنى في كتابه، واليهود كانوا يقولون: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ بمعنى تحقيق الغفران وأنّه لا بدّ أن يغفر لهم وإن لم يتوبوا، وأمّا أهل السنّة والجماعة فبمعزل عن مثل هذا الكلام، فإنّهم يقولون: إن أراد الله أن يغفر مِن غير توبة يغفر، وإن لم يُرد لم يغفره، ولا يقولون بالبتّ والقطع؛ بل يقولون: يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد، ومذهب اليهود في هذا الموضع لمّا كان مؤدّيًا إلى وجوب الغفران ردّ الله تعالى[2] ذلك عليهم، وهو قريب مِن مذهب المعتزلة مِن حيث القول بالوجوب على الله تعالى.

---

[1] ر: شديد.
[2] ر - تعالى.

وعن مالك بن دينار رحمه الله: يأتي على الناس زمانٌ إنْ قَصَّروا عمَّا أُمروا به قالوا: سيُغفَر لنا لم نُشرك بالله شيئًا، كلُّ أمْرهم إلى الطمع، خيارُهم فيهم المداهنَةُ، فهؤلاء من هذه الأمَّة أشباهُ الذين ذكرهم الله، وتلا الآية.

﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من ذلك العَرَض الخسيس ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الرُّشا ومحارمَ الله.

وقرئ: "وُرِّثوا الكتاب"، و: "ألّا تقولوا" بالتاء، و: "ادَّارسوا" بمعنى: تَدَارَسوا. و: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء.

فإن قلتَ: ما موقعُ قوله: ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾؟

قلتُ: هو عطفُ بيانٍ لـ﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ومعنى ﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الميثاقُ المذكورُ في الكتاب، وفيه: أن إثبات المغفرة بغير توبةٍ خروجٌ عن ميثاقِ الكتاب،

قوله: **(فيهم المداهنة)** أي: في ذلك الزمان، أي: خيارهم في ذلك الزمان الطائفة المداهنة.

قوله: **(وفيه أنّ إثبات المغفرة)**،[١] أي: في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾... إلخ؛ لأنّ حاصل المعنى يعود إلى قولنا: ألم يُؤخَذ عليهم العهد، وذلك العهد هو ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، فكيف يقولون غيرَ الحقّ؟ وهو أنّه سيغفر بغير التوبة، فهم[٢] بهذا القول خرجوا عن العهد والميثاق. واعلم أنّ هذا الكلام غيرُ وارد على أهل السنّة؛ بل إنّما يرِد على مَن يقول بالواجب[٣] على الله تعالى، كما بيّنا عن قريب.

قوله: **(وإن فُسّر ﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بما تقدّم ذِكره)** وهو قوله: **(مَن ارتكب ذنبًا عظيمًا فإنّه لا يُغفَر إلّا بالتوبة)**. فقوله: **(وإن فُسّر)**... إلخ، عطفٌ على جملة قوله: **(هو عطف بيان)**... إلخ، وفيه إشارةٌ إلى أنّ الميثاق في الوجه الأوّل غير مفسَّر بما تقدَّم ذِكره. وقيل: "ما تقدّم ذكره" هو قوله: **(وفيه أنّ إثبات المغفرة بغير توبة خروجٌ)** هذه **الحاشية** فاسدة. وقوله: **(ويجوز)** يدلّ على "أن" في الوجهين الأوّلين كانت ناصبة للفعل المضارع و"لا" للنفي.

---

١ ر + إلى آخره.
٢ ن: فهو.
٣ ر: فالواجب.

وافتراءٌ على الله، وتقوُّلٌ عليه ما ليس بحقٍّ.

وإن فُسِّر ﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بما تقدَّم ذكرُه كان ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟﴾ مفعولًا له، ومعناه: لئلا يقولوا.

ويجوز أنْ تكون ﴿أَن﴾ مفسِّرةً و﴿لَا يَقُولُوا۟﴾ نهيًا؛ كأنه قيل: "ألمْ يَقُلْ لهم: لا تقولوا على الله إلّا الحقَّ".

فإن قلتَ: عَلَامَ عُطِف قوله: ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾؟

قلتُ: على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم﴾؛ لأنّه تقريرٌ؛ فكأنه قيل: أُخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾

﴿والذين يُمْسِكون بالكتاب﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مرفوعًا بالابتداء، وخبرُه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ والمعنى: إنَّا لا نضيع أجرَهم؛ لأن ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ في معنى ﴿الذين يمسّكونَ بالكتاب﴾ كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف ١٨/٣٠].

قوله: (**قلتُ: هو عطف بيان لـ﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾**) أجاب عن السؤال بوجهين: **أحدهما** أنّ "أن" في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟﴾ ناصبة للفعل، وهو إمّا تفسير لـ﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والإضافة بمعنى "في"، أي الميثاق المذكور في الكتاب وهو ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، وفي جملة ذلك ألّا يقولوا أنّ الله يغفر الذنوب العظام بغير توبة؛ وإمّا مفعول له و﴿مِيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ / مبهم[١] لا يُعلَم ما هو، فاخترع أنّ بيانه وتفسيره [٣٥٨ظ] مَن ارتكب ذنبًا عظيمًا فإنّه لا يُغفر إلّا بالتوبة. **وثانيهما** أنّ "أن" مفسّرة؛ لأنّ في قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ معنى القول، أي: ألم نقل لكم: لا تقولوا على الله إلّا الحقّ وهو ذلك القول بزعمه واختراعه.

قوله: (**لأنّه تقرير**)، **يعني**: ليس المراد الاستفهام[٢] الحقيقيّ؛ بل هو بمعنى الخبر.

---

[١] ر: منهم.

[٢] ر: للاستفهام.

والثاني: أن يكون مجرورًا عطفًا على "الذين يتّقون"، ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضًا.

وقرئ: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد، وتنصرُه قراءةُ أُبيّ: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾.

فإن قلتَ: التمسُّك بالكتاب يشتمِلُ على كلِّ عبادة ومنها إقامةُ الصلاة، فكيف أُفرِدَتْ؟

قلتُ: إظهارًا لمزيَّة الصلاة؛ لكونها عمادَ الدِّين، وفارقةً بين الكفر والإيمان.

وقرأ ابن مسعود: "والذين استَمْسَكوا بالكتاب".

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾: قلَعْناه ورفَعْناه؛ كقوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ [النساء ٤/١٥٤]، ومنه: نَتَقَ السِّقاء: إذا نَفَضَه ليقتلعَ الزُّبدَةَ منه.

والظُّلَّةُ: كلُّ ما أظلَّك من سقيفةٍ أو سحابٍ.

وقرئ بالطاء من أطلَّ عليه: إذا أشرفَ.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾: وعلموا أنَّه ساقطٌ عليهم، وذلك أنهم أبَوْا أن يَقبلوا أحكامَ التوراةِ لِغلَظِها وثِقلها، فرُفِع الطورُ على رؤوسهم مقدارَ عَسْكرهم

قوله: **(ومنه نَتَقَ[١] السِّقاء)** «ابن السكّيت: السِّقاء يكون للبن[٢] والماء، والوَطْب[٣] للبن خاصّة، والنِّحيُ للسمن، والقِربة للماء».[٤] ومعنى النتق القلع، والمراد هنا الرفع، فيكون كناية؛[٥] لأنّ الرفع مستلزم بالقلع،[٦] إذ لا يتحقّق الرفع بدونه، وإنّما حملتُه على الكناية؛ لأنّ الكناية لا تُنافي إرادةَ الحقيقة، ولذلك قال المصنّف: قلعناه ورفعناه.

---

١ ر: نيق.
٢ ر: للبين.
٣ ر: والوطب.
٤ الصحاح للجوهري، «سقى».
٥ ن – كناية.
٦ ن: بالرفع.

وكان فرسخًا في فرسخ، وقيل لهم: إنْ قبلتُموها بما فيها وإلَّا ليقعنَّ عليكم.

فلمَّا نظروا إلى الجبل خرَّ كلُّ رجلٍ منهم ساجدًا على حاجبهِ الأَيْسر وهو ينظر بعينه اليُمنى إلى الجبل فَرَقًا من سقوطه، فلذلك لا ترى يهوديًّا يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون: هي السجدة التي رُفعتْ عنَّا بها العقوبةُ.

ولما نَشَرَ موسى الألواح وفيها كتابُ الله لم يَبق جبلٌ ولا شجرٌ ولا حجرٌ إلَّا اهْتزَّ، فلذلك لا ترى يهوديًّا تُقرأ عليه التوراةُ إلَّا اهتزَّ وأنغضَ لها رأسَه.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ على إرادة القول؛ أي: وقلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ أو: قائلين: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ وعزمٍ على احتمالِ مشاقِّهِ وتكاليفه.

و﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الأوامر والنواهي ولا تَنْسوْه، أو: واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارْغبوا فيه.

ويجوز أن يراد: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ من الآية العظيمة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ إن كنتُم تُطِيقونه؛ كقوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ﴾ [الرحمن ٥٥/٣٣].

﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ما أنتم عليه.

وقرأ ابن مسعود: "وتَذَكَّروا"، وقرئ: "واذَّكِروا" بمعنى: وتَذَكَّروا.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

قوله: (أو: واذكر ما فيه مِن التعريض) التعريض للشيء: النصب له.

قوله: (ويجوز أن يراد: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ مِن الآية) والآية العظيمة

﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدلٌ من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ بدلَ البعض من الكلّ، ومعنى أخْذِ ذرّياتهم من ظهورهم: إخراجُهم من أصلابهم نَسْلًا بعد نَسْلٍ، وإشهادُهم على أنفسهم، وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ و﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ من باب التمثيل والتخييل، ومعنى ذلك: أنه نَصَب لهم الأدلةَ على ربوبيّته ووحدانيّته، وشهِدَتْ بها عُقولُهم وبصائرهم التي ركّبها فيهم وجعلَها مميّزة بين الضلالة والهدى، فكأنّه أَشْهَدَهم على أنفسهم وقرّرَهم وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وكأنّهم قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ أنت ربُّنا ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ وأقرَرْنا بوحدانيّتك، وبابُ التمثيل واسعٌ في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب، ونظيرُه قولُه عزَّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ١٦/٤٠] ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت ٤١/١١]، وقوله:

على هذا هي الجبل المنتوق، ويكون هذا لإظهار العجز، كما في الآية المستشهَد بها.

قوله: (**مِن باب التمثيل والتخييل**)[١] جَعَل هذا مِن الاستعارة؛ لأنَّ نَصْب الأدلّة وخُلوَّ المكلَّفين بحيث تمكّنوا مِن الاستدلال والإدراك شُبّه بالقول والقبول، إذ نَصْب الأدلّة كالقول، والتمكُّن مِن الفهم والاستدلال كالقَبول، فذُكر المشبَّه به وأريدَ المشبَّه فيكون استعارة.

قوله: (**وشهدَت بها عقولهم**) عطف على قوله: (**نَصَب لهم الأدلّة**) وكذا (**جَعَلها مميِّزة**) أي: جَمَع بين نَصْب الأدلّة وبين جَعْل العقول مميِّزة وبين شهادتها لكون الاستعارة تمثيليّة مركَّبة مِن عدّة أمور متوهَّمة. هذا هو المراد مِن قوله: "مِن باب التمثيل والتخييل"، وإلّا ما ظُنّ مِن الاستعارة التخييليّة؛[٢] لأنَّ المشبَّه به في التخييليّة أمر[٣] واحد محقَّق[٤] مطلق على المخترع المتوهَّم، كالأنياب في قولك: أنياب المنية نشبت بفلان.

---

[١] ن: والتمثيل.
[٢] ن - وإلا ما ظن من الاستعارة التخييلية.
[٣] ر - أمر.
[٤] ن ر: فحقَّق.

إذ قـالـتِ الأنـسَـاعُ لـلبطـنِ الْـحَـقِ
قـالـت لـه ريـحُ الـصَّـبـا قَـرقـارِ

ومعلومٌ أنه لا قولَ ثَمَّ وإنما هو تمثيلٌ وتصويرٌ للمعنى.

﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ مفعولٌ له؛ أي: فعَلْنا ذلك من نصْبِ الأدلة الشاهِدة على صحَّتها العقولُ كراهةَ ﴿أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم نُنبَّهْ عليه.

قوله:

(إذ قالتِ[1] الأنساع)[2]

«النِّسعة التي تُنسَج عريضًا للتصدير، والجمع نُسْع ونِسَع وأنساع».[3]

قوله:

(قـالـت[4] لـه ريـحُ الـصبـا قَـرقـارِ)

بعده:

فـاخـتـلـط الـمـعـروفُ بـالإنـكـارِ[5]

لمّا كانت الريح سببًا للسحاب؛ لأنّها تُنشئه،[6] وسببًا لاضطرابه وتصويته بتحريكه المعروفَ مِن صوت الرعد والمنكَر منه.[7] الضمير المجرور في "له" للسحاب، أي: قالت للسحاب الريح: قرقِر بالرعد، فهو أمر مِن القَرقرة، وهو في الرباعي كـ"نزالِ" في الثلاثي. "واختلط المعروف"، يعني: المطر بلغ كلَّ مكان ممّا يُعرَف ويُنكَر، أي: عمّ[8] الأراضيَ كلَّها. شبَّه الريح بالآمر والسحاب بالمأمور والقرقار بالمأمور به، وتخييل[9] الحالات على سبيل التمثيل.

---

١ ن: قال.
٢ الرجز لأبي النجم العِجلي، ومضى بتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/١١٧.
٣ **الصحاح** للجوهري، «نسع».
٤ ن: قال.
٥ الرجز لأبي النجم العجلي في **ديوانه**، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «قرر»؛ وبلا عزو في **كتاب سيبويه**، ٣/٢٧٦؛ **وأساس البلاغة** للزمخشري، «قرر».
٦ ر: تنشبه.
٧ ن ر + قوله: قالتله ريح الصبا قرقارِ. بعده: واختلط المعروف بالإنكار.
٨ ن ر: ضمّ.
٩ و: وتخيّل.

﴿أَوْ﴾ كَراهةَ ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدَيْنا بهم؛ لأنّ نصبَ الأدلّة على التوحيد وما نُبِّهوا عليه قائمٌ معهم، فلا عُذرَ لهم في الإعْراض عنه والإقْبالِ على التقليد والاقتداء بالآباء، كما لا عذرَ لآبائهم في الشرك وأدلةُ التوحيد منصوبةٌ لهم.

فإن قلتَ: بنو آدمَ وذرِّياتُهم مَن هم؟

قلتُ: عَنَى ببني آدم: أسلافُ اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٣٠/٩]، وبذرِّياتهم: الذين كانوا في عهد رسول الله من أخلافِهم المقتدِين بآبائهم، والدليلُ على أنها في المشركين وأولادِهم: قولهُ: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ والدليل على أنها في اليهود: ....

في **الانتصاف**: إطلاقُ لفظ التخييل على كلام الله مردود.[1] وقلتُ: إذا كان **القرآن** واردًا[2] على أساليب كلام العرب وافتنانهم[3] فلا بُعد في الذهاب[4] إليه.

قوله: **(لأنّ نصب الأدلّة)** متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: **(كراهةَ)**؛ لأنّ كراهة ذلك قريبٌ مِن حيث المعنى بقوله: "امتنع ذلك". والأصوب أنّ قوله: "كراهةَ" علّة لقوله: **(فعلنا)**. وهذا الفعل المعلَّل، أي: المجموع المقيَّد معلَّل بقوله: "لأنّ"... إلخ، فإنّ قيام الأدلّة ونصبَها علّة لعلّية الكراهة لفعل ذلك.

قوله: **(وهي على نمطها)** أي: الآية التي عُطفت على ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية، وهي ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ على نمط الآيات التي عطفت ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ عليها، وهي ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾[5] ﴿وَإِذْ قَالَ﴾[6] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾. هذه **الحاشية** فاسدة، والصحيح / أن يقال: المعنى: وهي، أي: ﴿واذ أخذ ربك﴾ الآية، على نمط الآيات الدالّة[7] [٣٥٩و]
التي عُطفت عليها[8] هي[9] وعلى نمط الآية التي عُطفت عليها. وقوله: **(وذلك)**

---

[1] انظر: **الانتصاف** لابن المنيّر، ١٣٢/٢.
[2] ر: وارد.
[3] ن: وامتنانهم.
[4] ر: الدهان.
[5] ن: وابتليتهم.
[6] ر - ﴿وَإِذْ قَالَ﴾.
[7] ن - الدالة.
[8] ن - عليها.
[9] ن: وهي.

الآياتُ التي عُطفت عليها هي والتي عُطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها، وذلك قوله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾، ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾، ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾.

﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: كانوا السببَ في شركنا لتأسيسهم الشركَ وتقدُّمهم فيه وتركه سنَّةً لنا.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلك التفصيلِ البليغ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ لهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: وإرادةَ أن يرجعوا عن شركهم نفصِّلها.

وقرئ: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد، و: ﴿أن يقولوا﴾ بالياء.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: على اليهود ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ هو عالمٌ من علماء بني إسرائيل -وقيل: من الكنعانيِّين- ....

إشارة إلى الآيات المعطوف عليها والآيات المعطوفة. ثمّ عدَّد تلك الآيات فقال: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾.

قوله: **(الآيات التي عُطفت عليها هي)** أي: عُطفت ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، وهي قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ[1] ٱسْكُنُوا۟﴾. وقوله: **(والتي عطفت عليها)** أي: على قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾ وهي قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ وسائر الآيات التي تتعلّق بقصّة بلعم.[2] وقوله: **(وهي على نظمها وأسلوبها)** أي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ على نمط الآيات المتقدِّمة والمتأخِّرة.

قوله: **(وتركِه سنّة)** عطف على قوله: **(لتأسيسهم)**،[3] أي: ولتركهم الشرك سنّةً. فقوله: "ترك" مصدر مضاف إلى المفعول.

---

[1] ن - عطفت ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ وهي قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾.

[2] بلعم بن باعوراء الآتي قصّته.

[3] ر - (لتأسيسهم).

اسمه بَلْعَم بن بَاعُورَاء أُوتي علمَ بعض كتب الله.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: من الآيات، بأنْ كفَر بها ونبَذَها وراء ظهره.

﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فلحقه الشيطانُ وأدركه وصار قرينًا له، أو: فأتبعه خطواتِه.

وقرئ: "فاتَّبعه" بمعنى: فتَبِعه.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: فصار من الضالّين الكافرين.

رُوي: أن قومه طلبوا إليه أن يدعوَ على موسى ومَن معه فأبى وقال: كيف أدْعو على مَن معه الملائكةُ، فألَحُّوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله: "وتركِه"، أي: وتصييره سنّةً، كقوله:

فتركته[1] جزر السباع ينشنه[2]

قوله: (**اسمه بلعم**) هو الذي كان يعرف بالاسم الأعظم.

قوله: (﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾)... إلخ، هذه مبالغة؛[3] لأنّ السلخ حقيقةً هو كشط الجلد عن المسلوخ وإزالته عنه بالكلّيّة. قال الإمام: «انسلخ، أي: خرج، يقال: لكلّ مِن فارق الشيء بالكلّيّة انسلخ منه».[4]

قوله: (**أو: فأتبعه خطواتِه**) عطف على قوله: (**فلحقه الشيطان**)، يعني: يجوز أن يكون المعنى فأتبعه الشيطان خطواتِه، أي: جعله الشيطان تابعًا خطواتِه، أي: خطوات الشيطان؛ لأنّ بلعم بن[5] باعوراء[6] صار تابعًا خطوات الشيطان. الجوهري: أَتْبعتُ القومَ إذا كانوا سبقوك فلحقتَهم. وأتبعتُ زيدًا غيري فتبِعَه أيضًا.[7]

---

[1] ن: فتركه.

[2] صدر بيت من معلّقة عنترة، وتقدَّم تخريجه في تفسير البقرة، ١٧/٢.

[3] ن: المبالغة.

[4] **تفسير الرازي**، ٥٦/١٥ (الأعراف، ١٧٥/٧).

[5] ن ر – بن.

[6] ر: باعوا؛ ن ر + الشيطان

[7] انظر: **الصحاح** للجوهري، «تبع».

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾: لعظَّمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: مال إلى الدنيا ورغِبَ فيها، وقيل: مال إلى السَّفالة.

فإن قلتَ: كيف عُلِّق رفعُه بمشيئة الله تعالى ولم يُعَلَّق بفعله الذي يستحقُّ به الرفعَ؟

قلتُ: المعنى: ولو لزم بالآيات ولم ينسَلخْ منها لرفعناه بها، وذلك أن مشيئةَ الله تعالى رفعَهُ تابعةٌ لِلُزومه الآياتِ، فذُكِرت المشيئةُ والمرادُ ما هي تابعةٌ له ومسبَّبَةٌ عنه؛ كأنه قيل: ولو لزِمَها لرَفَعْناه بها، ألَا ترى إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فاستدرَكَ المشيئةَ بإخلادِه الذي هو فعلُه، فوجب أن يكون ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ في معنى ما هو فعلُه، ولو كان الكلامُ على ظاهره لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه ولكنَّا لم نشأ.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: فصفتُه التي هي مَثَلٌ في الخسَّة والضَّعَةِ كصفةِ الكلب في أخسِّ أحواله وأذلِّها، وهي حال دوامِ اللَّهَثِ به واتِّصاله، سواءٌ حُمل عليه؛ أي: شُدَّ عليه وهُيِّجَ وطُرد، أو تُرك غيرَ متعرَّضٍ له بالحمْل عليه، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللَّهَثُ إلَّا إذا هُيِّجَ منه وحُرِّك وإلَّا لم يَلهث، والكلب يتَّصل لهثُه في الحالتين جميعًا، وكان حقَّ الكلام أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنَّه أخلد إلى الأرض ....

قوله: **(والمرادُ ما هي تابعة له)** فتكون كناية[1] على مذهبه، وأمّا على مذهب أهل السنّة فالوجه أن يقال: لزومه الآيات تابع لمشيئة الله تعالى، فذُكر الملزوم وأريدَ اللازم فيكون مجازًا. والأصوبُ أن يقول: لا كنايةَ ولا مجازَ في قوله:[2] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾. وأمّا قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ ففيه الكناية؛ لأنَّ إخلاده مِن لوازم عدم مشيئة رفعه.

[1] ر: كفاية.

[2] ن - في قوله.

فحطَطْناه ووضعنا منزلتَه، فوَضع قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ موضعَ: **فحطَطْناه** أبلغ حطٍّ؛ لأن تمثيله بالكلب في أخسِّ أحواله وأذَلِّها في معنى ذلك.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: الكلبُ مُنْقطِعُ الفؤاد يلهثُ إن حُمل عليه أو لم يُحمل عليه.

وقيل: معناه إنْ وعَظْتَه فهو ضالٌّ، وإن لم تَعِظْه فهو ضالٌّ؛ كالكلب إن طرَدْتَه فسَعى لهَثَ وإن تركتَه على حاله لهثَ.

فإن قلتَ: ما محلُّ الجملة الشرطية؟

قلتُ: النصبُ على الحال؛ كأنَّه قيل: كمَثَل الكلب ذليلًا دائمَ الذلَّة لاهثًا في الحالتين.

وقيل: لمَّا دعا بلعَمُ على موسى عليه السلام خرجَ لسانُه فوقع على صدره

قوله: (**فحططناه ووضعنا منزلتَه**) فحطّه ووضع منزلته،[١] ثمّ عُدل إلى الجملة الاسميّة ليدلّ على الاستمرار، فقيل: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾، وأمّا التشبيه الواقع في قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ فأمرٌ ظاهر ذُكر فيه المشبه والمشبه به وحرف التشبيه، فلم يتعرَّض له المصنّف، وأمّا الإشكال والبحث في وضع هذه الجملة موضعَ "حططناه" فأشار إليه المصنّف، وقد بيناه.

قوله: (**وعن ابن عبّاس**)[٢] كلام ابن عبّاس يدلّ أنّه شبّه بالكلب على الإطلاق؛ لأنّه يلهث على كلّ حال.

قوله: (**وقيل: معناه: إن وعظتَه**) على هذا[٣] الوجه ولو لزم الآيات لزدنا هدايته، ولكن أخلد إلى الأرض فصار[٤] ضالًّا لازمًا للضلالة.

قوله: (**وقيل: لمّا دعا**) إشارة إلى أنّه يجوز أن يكون المراد باللهث[٥] حقيقته، لا المعنيان المذكوران قبله.[٦]

---

١ ن – فحطه ووضع منزلته.
٢ انظر: **جامع البيان** للطبري، ٥٨٦/١٠ (الأعراف، ١٧٦/٧).
٣ ر – هذا.
٤ ر + فصار.
٥ ر: بألهث.
٦ ر: قبل.

وجعلَ يَلْهث كما يلهث الكلب.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ من اليهود بعد ما قرؤوا نعتَ رسول الله في التوراة وذِكْرَ القرآن المعجز وما فيه، وبَشَّروا الناسَ باقتراب مَبعثه وكانوا يستفتِحون به.

﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾: قَصَصَ بلعَم الذي هو نحوُ قَصَصِهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيَحذَرُون مثلَ عاقبته إذ ساروا نحوَ سِيرتِهِ وزاغوا شِبْهَ زَيْغه، ويعلمون أنك علِمْتَه من جهة الوحي فيزدادوا إيقانًا بك وتزدادُ الحجةُ لزومًا لهم.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ١٧٧ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِيۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾؛ أي: مَثَلُ القوم، أو: ساء أصحابَ مثلِ القومُ.

وقرأ الجَحْدَريُّ: "ساء مثلُ القوم".

﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ إما أن يكون معطوفًا على ﴿كَذَّبُواْ﴾ فيدخل في حيِّز الصلة بمعنى: الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلمِ أنفسِهم، وإمَّا أن يكون كلامًا منقطِعًا عن الصلة بمعنى: وما ظلموا إلَّا أنفسَهم بالتكذيب، وتقديمُ المفعول به للاختصاص؛ كأنَّه قيل: وخَصُّوا أنفسهم بالظلم لم يتعدَّها إلى غيرها.

قوله: (أي:[١] مثل القوم) يريد أنّه لا بدّ أن يكون المخصوص[٢] بالذمّ مطابقًا للفاعل، والفاعل هنا مضمر مميَّز فيكون "مثلًا"[٣] و"القوم" لا يطابقه فيقدّر مضاف، وأمّا "مثل[٤] القوم" فيكون التقدير "ساء مثلًا مثل القوم" وأمّا قبل مثلًا فيكون التقدير "ساء أصحابُ مثلِ القومُ".

قوله: (وإمّا أن يكون كلامًا منقطعًا عن الصلة) وعلى هذا الكلام تبديل وتأكيدٌ لمضمون الجملة.

---

[١] ن ر: أو.
[٢] ر: للمخصوص.
[٣] ن: ممثلا؛ ر: تمثيلًا.
[٤] ر: قيل.

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ حملٌ على اللفظ، و﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ حملٌ على المعنى.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ هم المطبوعُ على قلوبهم الذين عَلِمَ اللهُ أنه لا لُطفَ لهم.

وجعَلهم في أنهم لا يُلْقُون أذهانَهم إلى معرفة الحقِّ، ولا ينظرون بعيونهم إلى ما خلَق الله نظَرَ اعتبار، ولا يسمعون ما يُتلى عليهم من آيات الله سماعَ تدبُّرٍ= كأنَّهم عَدِموا فهْمَ القلوب وإبْصارَ العُيون واستماعَ الآذان.

وجعَلهم لإغراقهم في الكفر، وشدَّة شكائمهم فيه، وأنَّه لا يأتي منهم إلَّا أفعالُ أهل النَّار= مخلوقين للنار؛ دلالةً على توغُّلهم في الموجبات، وتمكُّنهم فيما يؤهِّلهم لدخول النار، ومنه كتابُ عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد: بلغني أن أهل الشام ....

قوله: (**﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾**) في **المصحف** كذا بغير الياء.

قوله: (**﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ حمل على اللفظ، و﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ حمل على المعنى**) قال القاضي: «وفي هذا تنبيهٌ على أنّ المهتدين كواحد لاتّحاد طريقهم / بخلاف الضالّين».[1] [٣٥٩ظ]

قوله: (**لا لطفَ لهم**) المراد بقوله: "لا لطفَ لهم" أنّ اللطف[2] لا ينفع فيهم. (**كأنّهم**) المفعول الثاني لـ"جعل".

قوله: (**لإغراقهم**) «أغرق النازع في القوس، أي: استوفى مدّها».[3] وقوله:

---

[1] تفسير البيضاوي، ٥٨٣/١ (الأعراف، ١٧٨/٧). [3] **الصحاح** للجوهري، «غرق».
[2] ر - لهم أن اللطف.

اتَّخذوا لك دَلُوكًا عُجِن بخَمْرٍ، وإنِّي لأظُنُّكم آلَ المغيرة ذَرْءَ النَّار.

ويقال لمن كان عرِيقًا في بعض الأمور: ما خُلق فلانٌ إلَّا لِكذا.

والمراد: وصفُ حال اليهود في عِظَم ما أقدموا عليه من تكذيبِ رسول الله مع عِلْمهم أنه النبيُّ الموعود، وأنَّهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمانُ يتأتَّى منهم كأنَّهم خُلقوا للنَّار.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَـٰمِ﴾ في عدمِ الفقه والنظرِ للاعتبار والاستماعِ للتدبُّر.

﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبُّر.

و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَـٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة.

(دَلُوكًا) الدَّلُوك: شيء يُدلَك به البدن مِن طيب وغيره في الحمّام ليُزيل الدَّرَن.[١]
وقوله: **(ذَرْءَ النار)** في الحديث: ذَرْءَ النار،[٢] أي: مخلوقين لها.[٣]

قوله: **(وأنّهم مِن جملة الكثير الذين)** عطف على قوله: **(وَصْفُ)**[٤] و**(عِظَم ما أقدموا عليه)** ومحلّ قوله: **(كأنّهم خُلقوا للنار)** إمّا نصبٌ حال مِن الضمير في خبر "أنّ"، يعني مشبهين، وإمّا رفع خبرٌ بعد خبر.

قوله: **(مِن[٥] تكذيب)** بيان "ما" وهو مصدر مضاف إلى المفعول، والفاعل محذوف، أي: مِن تكذيبهم رسول الله. وقوله: **(مع علمهم)** حال مِن الفاعل المحذوف، أي: عالمين. وقوله: **(وأنّهم)** عطف على "عِظَم". وقوله: "كأنّهم" متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: "وصفُ"، فكأنّه قال: المراد وصفُ حال اليهود بأنّهم مِن أهل النار، كأنّهم خُلقوا للنار. ويجوز ألّا يكون متعَلِّقًا به؛ بل يكون استئنافَ كلام، فإنّه لمّا قال: "المراد وصفهم فيما ذكر" استأنف فقال: "كأنّهم خُلقوا للنار". والأصوب أن يقال: هو متعلِّق بقوله: **(لا يكاد)**... إلخ، وهذا هو الصواب.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «دلك».
٢ **مسند الفاروق** لابن كثير، ٢٩١/١ (١٦٠).
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ذرأ».
٤ ر: وصفًا.
٥ ن ر: هو.

وقيل: الأنعامُ تُبصِرُ منافعَها ومضارَّها فتَلزمُ بعضَ ما تُبصِرُه، وهؤلاء أكثرُهم يَعلم أنّه معانِدٌ فيَقْدَم على النَّار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التي هي أحسنُ الأسماء؛ لأنها تدُلُّ على معانٍ حسنةٍ من تمجيدٍ وتقديسٍ وغير ذلك.

﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾: فسمُّوه بتلك الأسماء.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾: واتركوا تسميةَ الذين يميلون عن الحقّ والصواب فيها فيُسمُّونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسمُّوه بما لا يجوزُ عليه؛ كما سمعنا البَدْوَ يقولون بجهلهم: "يا أبا المكارم، يا أبيضَ الوجه، يا نَخِيُّ"، أو أن يأبَوْا تسميتَه ببعض أسمائه الحسنى، نحو أن يقولوا: "يا الله" ولا يقولوا: يا رحمنُ، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء ١٧/١١٠].

قوله: **(يا نخيُّ)** النخيّ: الذي ينتخي[١] عن القبيح، أي: يأنف ويستنكف عنه ولا يفعله، والعرب تتمدَّح بالنخوة، وهي التكبُّر والاستنكاف عمّا لا يليق بالأشراف.[٢]

قوله: **(﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ [الإسراء ١٧/١١٠]) أي: قل ادعوه الله** أو أدعوه الرحمن، أي:[٣] سمُّوه بأيّهما شئتم فكلاهما حَسَن.

قوله: **(ويجوز أن يراد: ولله الأوصاف الحسنى) عطف على قوله: (التي هي أحسن الأسماء؛ لأنّها تدلّ على معانٍ حسنةٍ)** وتتغيَّر بحسب التفسيرين معنى.

قوله: **(﴿يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾)** فعلى[٤] **الأوّل** الإلحاد في التسمية مثل أن يقال: أبو المكارم ونحوه وأن يخصّ الله[٥] دون الرحمن، وعلى **الثاني** الإلحاد

---

١ ن: ينجي.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «نخا».

٣ ر - قل ادعوه الله أو أدعوه الرحمن، أي.

٤ ر: فعل.

٥ ر: بالله.

ويجوز أن يراد: ولله الأوصافُ الحسنى، وهي الوصفُ بالعدل والخيرِ والإحسانِ، وانتفاءِ شَبَهِ الخلق، فصِفُوه بها ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ في أوصافه فيَصِفونه بمشيئةِ القبائح وخلقِ الفحشَاء والمنكر، وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوِها.

وقيل: إلحادُهم في أسمائه: تسميتُهم الأصنامَ آلهةً، واشتقاقُهم اللّات من الله والعُزَّى من العزيز.

﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾

لمَّا قال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا﴾ فأخبرَ أنَّ كثيرًا من الثَّقَلين عامِلون بأعمال أهل النار، أَتْبعه قولَه: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم، وقد أُعطي القومُ بين أيديكم مثلَها: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف ١٥٩/٧]».

في الوصف، وهو ما ذكره مِن المعاني التي[١] دلّت[٢] على مذهبه تحكُّمًا[٣] فَمِن بأن يلحق به،[٤] ويقال: إنّه لا يجوز، فإنّه تفسير يدعى إخراجه مِن كيسه، وهو زيفٌ[٥] حقّه أن يردّ، ولا يجوز أن يراد، فإنّه لم يرِد به النقل ولا يوافقه العقل.

قوله: (**هذه لكم، وقد أعطيَ القوم[٦] بين أيديكم مثلها**)،[٧] يعني قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ حاصل لكم ونازل في شأنكم، فهي مختصة بكم، وقد أعطي القوم الذين سبقكم، يعني بني إسرائيل مثل هذه الأمة، وهي قوله: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ الآية، يريد: لا تحملوا هذه الآية على بني إسرائيل، فإن لهم آية أخرى نازلة في شأنهم.

---

١ ن ر – التي.

٢ ر: ذلت.

٣ ن ر + قوله: ويجوز أن يراد: ولله الأوصاف الحسنى؛ ن + قوله.

٤ ن ر + لا.

٥ ر: رديف.

٦ ر: اليوم.

٧ **جامع البيان** للطبري، ٦٠٠/١٠ (الأعراف، ١٨١/٧).

وعنه صلى الله عليه وسلم: «إنَّ من أمَّتي قومًا على الحقِّ حتى ينزل عيسى عليه السلام».

وعن الكلبيِّ: هم الذين آمَنوا من أهل الكتاب.

وقيل: هم العلماءُ والدُّعاةُ إلى الدِّين.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٢﴾

"الاستدراجُ": استفعالٌ من الدَّرَجة بمعنى الاستِصْعادِ أو الاستنزالِ درجةً بعد درجةٍ، قال الأعشى:

فلو كنتَ في جُبٍّ ثمانين قامةً ورُقِّيتَ أسبابَ السَّماء بسُلَّمِ
ليَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتى تَهِرَّه وتَعلمَ أنِّي عَنكمُ غيرُ مُفْحَمِ

ومنه: درَجَ الصبيُّ: إذا قارَبَ بينَ خُطاه، وأدرجَ الكتابَ: إذا طواهُ شيئًا بعد شيءٍ، ودرجَ القوم: إذا مات بعضُهم في أثر بعض.

قوله:

(فلو كنتَ في جبٍّ)[1] البيتين

«الجبّ: البئر التي لم تُطوَ».[2] وأسباب السماء: أبوابها. والسُّلَّم: المِرقاة. قيل: يسمّى سلَّمًا؛ لأنّه يُسلمك إلى المرتقى إليه.[3] وتَهِرَّه، أي: تكرهه وتبغضه. وأفحمتُ[4] فلانًا إذا لم يُطِق جوابك.[5] يقول: لو كنتَ مثلًا[6] في جبّ أو صعدت إلى السماء ما تخلَّصت منّي، واستصعدك مِن الجبّ، أي: مِن البئر،[7] واستنزلك مِن السماء القولُ الذي تكرهه منّي، لتعلم أنّي غير مفحَم في[8] جوابك. والواو[9] في "ورُقِّيت" بمعنى "أو"؛ لأنّه في وزان قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام ٦/٣٥].

---

١ البيتان للأعشى في ديوانه، ص ١٢٣.
٢ الصحاح للجوهري، «شعب».
٣ انظر: المغرب للمطرّزي، «سلم».
٤ ن: وأفحمته.
٥ انظر: الصحاح للجوهري، «فحم».
٦ ن: مثل.
٧ ن - أي: من البئر.
٨ ر: من.
٩ ر - والواو.

ومعنى ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنَسْتَدْنيهم قليلًا قليلًا إلى ما يُهْلكُهم ويضاعفُ عقابَهم.

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يرادُ بهم، وذلك أن يُواتِرَ اللهُ نِعمَه عليهم مع انهماكهم في الغيّ، فكلَّما جَدَّدَ عليهم نعمةً ازدادوا بطرًا وجَدَّدوا معصيةً، فيتدرَّجون في المعاصي بسبب ترادُفِ النِّعَم ظانّين أنَّ مواتَرةَ النِّعَم أَثَرةٌ من الله وتقريبٌ، وإنما هي خذلانٌ منه وتبعيدٌ، فهو استدراجُ الله نعوذُ بالله منه.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝١٨٣﴾

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ عطفٌ على ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾، وهو داخلٌ في حُكْم السِّين.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمَّاه كيدًا؛ لأنه شبيهٌ بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسانٌ وفي الحقيقة خذلانٌ.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١٨٤﴾

﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾: بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم.

﴿مِن جِنَّةٍ﴾: من جنونٍ، وكانوا يقولون: ﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات ٣٧/٣٦].

وعن قتادةَ: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم عَلا الصَّفا فدعاهم فخِذًا فخِذًا يُحذِّرهم بأسَ الله، فقال قائلُهم: ....

قوله: (أن يُواتِرَ[١] الله) / المواترة: المتابعة، مِن الوتيرة وهي الطريقة الواضحة.[٢] [٣٦٠و]

قوله: (﴿وَأُمْلِي﴾) الإملاء: الإمهال وإطالة المدّة، وهو نقيض الإعجال، تقول: أمهلتُهم وأطيل لهم مدّة عمرهم ليتمادوا في المعاصي.

قوله: (فخِذًا فخِذًا) الفَخِذ في العشائر أقلّ مِن البطن، أوّلها الشَّعب، ثمّ[٣] القبيلة، ثمّ الفصيلة، ثمّ[٤] العمارة، ثمّ البطن، ثمّ الفخذ.[٥] وجاء في الحديث:

---

[١] ر: يواثر.
[٢] ن – الواضحة.
[٣] ن ر: في.
[٤] ن ر: في.
[٥] انظر: **الصحاح** للجوهري، «شعب».

إنَّ صاحبكم هذا لمجنونٌ باتَ يُهوِّتُ إلى الصباح.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ نظرَ استدلالٍ ﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: فيما تَدُلَّان عليه من عظَم المُلك، والملكوتُ: المُلْك العظيمُ.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾: وفيما خلَق الله مما يقعُ عليه اسمُ الشيء من أجناسٍ لا يَحْصُرُها العددُ ولا يُحيطُ بها الوصفُ.

﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ﴾ "أنْ" مخفَّفةٌ من الثقيلة، والأصلُ: أنَّه عسى، على أن الضمير ضميرُ الشأن، والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشأن والحديثَ عسى ﴿أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ ولعلَّهم يموتون عما قريبٍ فيسارِعوا إلى النظر وطلبِ الحقِّ وما يُنجِيهم قبل مُغافَصةِ الأجل وحلولِ العقاب.

ويجوز أن يراد باقتراب الأجل: اقترابُ الساعة، ....

«بات يُفخِّذ عشيرته»،[١] أي: يدعوهم فخذًا فخذًا.[٢]

قوله: (يُهوِّت) يُهوِّت ويهيت، أي: يُصوِّب.[٣] هوّت وهيّت نحو طيّحه[٤] وطوّحه.[٥]

قوله:[٦] (﴿فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) فملكوت السماوات والأرض المُلك العظيم الذي دلّ عليه السموات والأرض. عن عيسى عليه السلام: فمَن علم وعمل وعلّم عُدّ في الملكوت الأعظم عظيمًا.

قوله: (مُغافصة) المغافصة: الأخذ على غرّة. يقال: غافصتُه، أي: أخذته على غِرّة.[٧]

---

[١] ما وجدته في مظانّه، وهو في **الصحاح** للجوهري، «فخذ»؛ و**أساس البلاغة** للزمخشري، «فخذ»؛ و**الفائق** للزمخشري، ٦٣/٢؛ و**النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٢٨٠/٥.

[٢] انظر: **الصحاح** للجوهري، «فخذ».

[٣] ر: يصوت.

[٤] ر: طوحه.

[٥] ر: وطيحه.

[٦] ر - قوله.

[٧] انظر: **الصحاح** للجوهري، «غفص».

ويكون مِن "كان" التي فيها ضميرُ الشأن.

فإن قلتَ: بمَ يتعلَّقُ قولُه: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾؟

قلتُ: بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾، كأنَّه قيل: لعلَّ أجلَهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفَوت؟ وماذا ينتظِرون بعد وضوحِ الحق؟ وبأيِّ حديثٍ أحقَّ منه يريدون أن يؤمنوا؟

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

قرئ ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون والرفع على الاستئناف، و﴿يَذَرْهم﴾ بالياء والجزم عطفًا على محلِّ ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ كأنه قيل: مَن يُضلِلِ اللهُ لا يَهْدِه أحدٌ ويذَرْهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ قيل: إن قومًا من اليهود قالوا: يا محمد، أخبِرْنا متى السَّاعةُ إن كنتَ نبيًّا فإنَّا نعلمُ متى هي، وكان ذلك امتحانًا منهم مع عِلمهم أن الله تعالى قد استأثرَ بعلمها.

وقيل: السائلون قريشٌ.

و"الساعة" من الأسماء الغالبة كالنجم للثريَّا، وسُمِّيت القيامةُ بالساعة

قوله: (ويكون مِن "كان") هذا ابتداء الكلام، والنصب بطريق الحكاية.

قوله: (والجزم عطف على محلّ ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾) ويجوز أن يكون الرفع للعطف على محلّ "لا[1] هادي له"،[2] فإنّه بدون الفاء في محلّ الرفع ومعها في محلّ الجزم.

[1] ر: فلا.

[2] ر – له.

لوقوعها بغتةً، أو لسرعة حسابها، أو على العكس لطولها، أو لأنّها عند الله على طولها كساعةٍ من الساعات عند الخلق.

﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى: "متى"، وقيل: اشتقاقُه من "أيّ" فَعْلان منه؛ لأن معناه: أيّ وقت، و"أيٌّ" فَعْلٌ من أوَيْتُ إليه؛ لأن البعضَ آوٍ إلى الكلِّ متساندٌ إليه؛ قاله ابنُ جِنّي، وأبى أن يكون من "أين"؛ لأنه زمانٌ و"أين" مكانٌ.

وقرأ السُّلميُّ: "إيَّان" بكسر الهمزة.

﴿مُرْسَـٰهَا﴾: إرْساؤها، أو: وقتُ إرسائها؛ أي: إثباتِها وإقرارِها، وكلُّ شيءٍ ثقيلٍ رُسُوُّه: ثباتُه واستقرارُه، ومنه: رَسَا الجبل، وأَرْسَى السفينةَ، والمِرْسَى: الأَنْجَرُ الذي تُرسَى به، ....

قوله: **(على العكس لطولها)** كما يقال للحبشي[١] "أبو البيضاء". وكقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران ٣/٢١].

قوله: **(وقيل: اشتقاقه مِن أيّ)** أي: معناه: بعض[٢] مِن كلّ، وحقّه لذلك أن يكون مضافًا أبدًا، فإذا أضيفَ إلى المعرفة يجب أن تكون إضافته إلى اثنين فصاعدًا، نحو: أيّ الرجلين، أيّ الرجال؛ لأنّ أيًّا لطلب التمييز، فيجب إذا أضيفَ إلى المعرفة أن يكون المضاف إليه فوق الواحد؛ لأنّ المعرفة متميّزة مِن بين الأفراد فلا يجوز الإضافة إلى المفرد المعرفة، وإذا أضيف إلى ما فوق الواحد صحّ طلب التمييز مِن بين تلك الأفراد، وإذا[٣] أضيفَ إلى النكرة أضيفَ إلى الواحد[٤] وإلى الاثنين وإلى الجماعة؛ لأنّ النكرة غير متميّزة مِن بين أفراد الجنس؛ بل هو شائع فصحّ طلب التمييز.

قوله: **(والمِرْسى)** «المِرْساة: التي تُرسى بها السفينة، تُسمّيها الفرس "لَنْكَر"»،[٥] والأنجر تعريبه.

---

[١] ن: للجيش.
[٢] ن - بعض.
[٣] ن ر: إذا.
[٤] ن: الواحدة.
[٥] الصحاح للجوهري، «رسا».

ولا أثقلُ من السَّاعة بدليلِ قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: حتى يُرسيَها الله.

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾؛ أي: علمُ وقتِ إرْسائها عنده، قد استأثر به ولم يخبر به أحدًا من مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيّ مرسَلٍ، يكاد يُخفيها من نفسه ليكون ذلك أَدْعَى إلى الطاعة وأَزْجَرَ عن المعصية؛ كما أخفَى الأجلَ الخاصَّ -وهو وقتُ الموت- لذلك.

﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا تزال خفيَّةً لا يُظهِر أمرَها ولا يكشفُ خفاءَ علمها إلّا هو وحدَه إذا جاء بها في وقتها بغتةً، ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ بالخبر عنها قبلَ مجيئها أحدٌ من خلقه؛ لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها.

﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: كلٌّ من أهلها من الملائكة والثَّقَلين أهَمَّه شأنُ الساعة وبِوُدِّهِ أن يتجلَّى له علمُها، وشقَّ عليه خفاؤُها وثِقَل عليه.

أو: ثَقُلتْ فيها؛ لأن أهلها يتوقَّعونها ويخافون شدائدَها وأهوالَها، أو لأنَّ كلَّ شيء لا يُطيقها ولا يقومُ لها فهي ثقيلةٌ فيها.

﴿إِلَّا بَغْتَةً﴾: إلَّا فجْأةً على غفلةٍ منكم، وعن النبيّ عليه السلام: «إنَّ الساعةَ تُهِيجُ بالناس والرجلُ يُصْلِحُ حوضَه، والرجلُ يَسقي ماشِيتَه، والرجلُ يقوِّم سِلعتَه في سُوقه، والرجل يَخفِضُ ميزانَه ويَرفعُه».

قوله: **(ولا أثقل[1] مِن الساعة)** لقوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان ٧٦/٢٧].

قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ هذه اللام كما في قولهم: كتب[2] لثلاث مِن رجب مثلًا، أي: لا يتخصّص تجلّيها لوقتها.

قوله: **(وبِوُدِّه أن يتجلّى)** يقال: بوُدّي أن أفعل كذا، أي: هنا[3] الباء زائدة مثلها في "بحسبك أن[4] تفعل كذا"، وهو مركّب مِن مبتدأ وخبر، والجملة خبر بعد خبر لقوله: **(كلّ)**.

---

[1] ن ر: والأثقل.
[2] ر + إليك كتب.
[3] ر: أيمنا.
[4] ر: أني.

﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾: كأنك عالمٌ بها، وحقيقتُه: كأنك بليغٌ في السؤال عنها؛ لأن مَن بالغ في المسألة عن الشيء والتنقيرِ عنه استَحْكَم علمُه فيه ورَصُنَ.

وهذا التركيب معناه المبالغةُ، ومنه: إِحْفاء الشارب، واحتِفاءُ البَقْل: استئصالُه، وأَحْفى في المسألة: إذا أَلْحَف، وحَفِيَ بفلانٍ وتحفَّى به: بالَغَ في البرِّ به.

وعن مجاهد: استحفَيْتَ عنها السؤالَ حتى علمتَ.

وقرأ ابن مسعود: "كأنك حفيٌّ بها"؛ أي: عالمٌ بها بليغٌ في العلم بها.

وقيل: ﴿عَنْهَا﴾ متعلِّقٌ بـ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾؛ أي: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ؛ أي: عالمٌ بها.

وقيل: إن قريشًا قالوا له: إن بيننا وبينك قرابةً فقلْ لنا متى الساعةُ؟ فقيل: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ تتحفَّى بهم فتختصُّهم بتعليم وقتِها لأجل القرابةِ وتَزْوي علمَها عن غيرهم، ولو أُخبرتَ بوقتها لمصلحةٍ عرفَها اللهُ في إخبارك به لكنتَ مبلِّغَه القريبَ والبعيدَ من غير تخصيصٍ كسائر ما أُوحي إليك.

وقيل: كأنك حفيٌّ بالسؤال عنها تحِبُّه وتُؤْثِرُه، يعني: أنك تكرَهُ السؤالَ عنها؛ لأنه مِن عِلم الغيب الذي استأثَر اللهُ به ولم يؤتِه أحدًا مِن خلقه.

قوله: (﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾) الحفاوة بالفتح: المبالغة في السؤال عن الرجل والعناية في أمره، والحفيّ: المستقصي في السؤال. ولمّا كان ذلك مستلزمًا للعلم أطلقَ وأريدَ به العالم بالشيء بطريق المجاز.

قوله: **(وعن مجاهد)**، يعني أنّ مجاهدًا ذَكَر في تفسير الآية: **(استحفيتُ)**... إلخ،[1] فهذا متعلِّق بأوّل الكلام.

قوله:[2] **(وقيل: ﴿عَنْهَا﴾)** هذا عطف على قوله: "كأنّك عالم به"؛ **لأنّه** كان إشارة إلى أن ﴿عَنْهَا﴾ متعلِّق بـ﴿حَفِيٌّ﴾، وهذا إشارة إلى أنّه متعلِّق بـ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾، وأنّ معمول ﴿حَفِيٌّ﴾ محذوف، أي: حفيّ بها أو بهم كما بيّن.

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري، ٦١٣/١٠ (الأعراف، ١٨٧/٧).

[2] ن - قوله.

فإن قلتَ: لم كرّر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ وإنما علمُها عند الله؟

قلتُ: للتأكيد، ولِمَا جاء به من زيادةِ قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ وعلى هذا تكريرُ العلماء الحُذَّاق في كتبهم لا يُخْلُون المكرَّر من فائدةٍ زائدةٍ؛ منهم محمدُ بن الحسن صاحبُ أبي حنيفةَ رحمهما الله.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه العالمُ بها وأنَّه المختصُّ بالعلم بها.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١٨٨﴾

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ﴾ هو إظهارٌ للعبودية والانتفاءِ عمَّا يختصُّ بالربوبيَّة من علم الغيب؛ أي: أنا عبدٌ ضعيفٌ لا أملك لنفسي اجتلابَ نفعٍ ولا دفعَ ضررٍ كما المماليكُ والعبيدُ.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: إلا ما شاء ربِّي ومالكي من النفع لي والدَّفعِ عنِّي.

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ لكانت حالي على خلافِ ما هي عليه؛ من استكثارِ الخير واستغزار المنافع، واجتناب السُّوء والمضارِّ حتى لا يمسَّني شيءٌ منها، ولم أكن غالبًا مرَّةً ومغلوبًا أخرى في الحروب، ورابحًا وخاسرًا في التجارات، ومصيبًا ومخطئًا في التدابير.

﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا﴾ عبدٌ أُرسلتُ نذيرًا وبشيرًا، وما من شأني أنْ أعلم الغيبَ.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلَّق بالنذير والبشير جميعًا؛ لأن النِّذارةَ والبِشارةَ إنما تنفعان فيهم، أو يتعلَّق بالبشير وحده ويكون المتعلِّق بالنذير محذوفًا؛ أي: إلَّا نذيرٌ للكافرين وبشيرٌ لقوم يؤمنون.

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠﴾

﴿مِن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفسُ آدم عليه السلام.

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حوَّاءُ خلقَها من جسدِ آدم من ضِلَعٍ من أضلاعه، أو من جنسها كقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾.

﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليطمئنَّ إليها ويميلَ ولا يَنفرَ؛ لأن الجنسَ إلى الجنسِ أميلُ وبه آنَسُ، وإذا كانت بعضًا منه كان السكونُ والمحبَّةُ أبلغَ؛ كما يسكنُ الإنسان إلى ولده ويُحبُّه محبَّةَ نفسِه لكونه بَضْعَةً منه، وقال: ﴿لِيَسْكُنَ﴾ فذكَّر بعد ما أنَّثَ في قوله: ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ذهابًا إلى معنى النفس ليُبَيِّن أن المراد بها آدمُ؛ ولأن الذَّكر هو الذي يَسكن إلى الأنثى ويتغشَّاها فكان التذكيرُ أحسنَ طِباقًا للمعنى، والتغشِّي كنايةٌ عن الجِماع وكذلك الغِشيان والإتيان.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾: خفَّ عليها ولم تَلقَ منه ما يَلقى بعضُ الحَبالَى من حملهنَّ من الكَرْب والأذَى، ولم تستَثْقِلْه كما يستثْقِلْنه، وقد تَسْمع بعضَهنَّ تقول في ولدها: ما كان أخفَّه على كبدِي حين حَمَلْتُه!

﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: فمضَتْ به ....

قوله: (بَضْعَة) الجوهري: «البَضْعَة: القطعة مِن اللحم، هذه بالفتح، وأخواتُها بالكسر كالقِطعة والفِلذة وغيرهما».[١]

قوله: (فكان التذكير أحسنَ طباقًا) قيل: لو أنِّث الضمير في ﴿لِيَسْكُنَ﴾ لتُوهِّم أن فاعله ضمير الزوج،[٢] والضمير المجرور للنفس، وأدَّى إلى أنّ الأنثى / هي التي تسكن إلى الذَّكر، والشأن بخلافه. [٣٦٠ظ]

قوله: (مِن حملهنّ) متعلِّق بـ(يلقى). و(مِن الكَرْب) بيان (ما).

قوله: (ولم تستثقله) يقال: استثقلَه،[٣] أي: عدّه ثقيلًا.[٤] وقوله: (مِن غير إخداج) أي: مِن غير أن تلده ناقصًا.

---

[١] الصحاح للجوهري، «بضع».
[٢] ن: الروح.
[٣] ر - يقال: استثقله.
[٤] انظر: الصحاح للجوهري، «خفف».

إلى وقتِ ميلاده من غير إخْداجٍ ولا إزْلاقٍ.

وقيل: ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ يعني: النطفةَ ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾: فقامت به وقعدَتْ.

وقرأ ابن عباس رضي الله عنه: "فاستَمَرَّت به".

وقرأ يحيى بن يَعْمرَ: "فمَرَتْ به" بالتخفيف.

وقرأ غيره: "فمارَت به" من المِرْيَة؛ كقوله: ﴿أَفَتَمْرُونَه﴾ و﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ﴾، ومعناه: فوقع في نفسها ظنُّ الحمل وارتابَتْ به.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾: حان وقتُ ثِقَل حملها؛ كقولك: أقربَتْ، وقرئ: "أُثْقِلَتْ" على البناء للمفعول؛ أي: أَثْقَلها الحملُ.

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾: دعَا آدمُ وحوَّاءُ ربَّهما ومالكَ أمرِهما الذي هو الحقيقُ بأن يُدْعَى ويُلتجأَ إليه فقالا:

﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾: لئن وهَبْتَ لنا ﴿صَٰلِحًا﴾: ولدًا سويًّا قد صَلَحَ بدنُه وبَرِئَ.

قوله:[١] **(ولا إزلاق)** مِن غير أن تسقطه.

قوله: **(إلى وقت ميلاده)** هو مِن إضافة العامّ إلى الخاصّ، نحو "كلّ الدراهم"؛ لأنّ "الميلاد" هو اسم الوقت الذي[٢] وُلد فيه، والمَولِد الموضع الذي وُلد فيه.[٣] قاله[٤] الجوهري. وأمّا في **الأساس** فهما سيّان، قال: مولده وميلاده وقت كذا.[٥]

قوله: **(كقوله ﴿أَفَتَمْرُونَه﴾)**...[٦] إلخ، ﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ﴾ متعلّق بـ﴿فَمَرَّتْ﴾، و﴿أَفَتَمْرُونَه﴾ بـ"مارَتْ"،[٧] فيه لفّ ونشر.

قوله: **(كقولك: أقربَت)**[٨] دنا وقتُ ولادتها.

---

[١] ر: وقوله.

[٢] ن - الذي.

[٣] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ولد».

[٤] ن ر: قال.

[٥] انظر: **أساس البلاغة** للزمخشري، «ولد».

[٦] ر: فتمرُونه. | قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ويعقوب. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٦١٤؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٧٩.

[٧] ر: بمارّت. | قراءة شاذّة، مرويّة عن عبد الله بن عمر. **المغني في القراءات** للنّوْزاوازي، ص ٨٦٩.

[٨] ن: امتريت؛ ر: اقتربت.

وقيل: ولدًا ذكَرًا؛ لأن الذكورة من الصلاح والجَودة.

والضميرُ في ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾ و﴿لَنَكُونَنَّ﴾ لهما ولكلِّ مَن يتناسَلُ من ذريَّتهما.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ما طلباه من الولد الصالح السَّويِّ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾؛ أي: جعلَ أولادُهما له شركاءَ، على حذفِ المضاف وإقامةِ المضاف إليه مُقامَه، وكذلك ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾؛ أي: آتى أولادَهما، وقد دلَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ حيث جَمع الضميرَ، وآدمُ وحوَّاء بريئان من الشرك.

ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله: تسميتُهم أولادَهم بعَبْد العُزَّى وعبدِ منافٍ وعبدِ شمسٍ وما أشبَهَ ذلك، مكانَ عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم.

ووجهٌ آخر وهو أن يكون الخطابُ لقُريشٍ الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آلُ قُصَيٍّ، ألا ترى إلى قوله في قصَّةِ أمِّ مَعْبَدٍ:

فيا لَقُصَيٍّ ما زَوَى الله عنكمُ   به من فَخارٍ لا يُبارَى وسُؤْدَدِ

قوله: (**أي: جعل أولادهما له شركاءَ**) قال رحمه الله: هذا كما ترى العرب السحابة فتقول: جاء العسل والسمِن والحَبّ والخير كلّه.

قوله: (**وقد دلّ على ذلك**) أي: على حذف المضاف.

قوله: (**ومعنى شِركهم**) أي: معنى شِرك الأولاد.

قوله: (**وعبدِ مَناف**) صحّ بالفاء، وهو اسم صنم، وفي بعض **النُّسخ**: "عبدَ مَناة".

قوله: (**ووجهٌ آخر**) وهو أن يكون الخطاب في ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾.

قوله: (**وهم**) أي: قريش الذين هم[1] كانوا هم آل قصيّ، أي: أولاده.

قوله:

(**فيا لَقصيّ ما زوى الله عنكم   به مِن فَخار[2] لا يُبارى وسُودَدِ**)[3]

---

[1] ن - هم.

[2] ر: فجاد.

[3] حديث أمّ معبد مرويّ في المعجم الكبير للطبراني، ٤/٤٨ (٣٦٠٥)؛ والمستدرك للحاكم، ٣/١٠ (٤٢٧٤)؛ والشعر في بلاغات النساء لابن طيفور، ص ٥٠؛ ونهاية الأرب للنويري، ١٦/٣٣٧.

ويراد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ من نفسٍ قصيٍّ ﴿وَجَعَلَ﴾ من جنسها زوجَها عربيَّة قرشيَّةً ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ما طلبا من الولد الصالح السَّوِيِّ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ حيث سَمَّيا أولادهما الأربعةَ بـ: عبد منافٍ، وعبد العزَّى، وعبد قصيٍّ، وعبد الدار، وجَعل الضمير في ﴿يُشْرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الذين اقتَدَوا بهما في الشرك.

وهذا تفسيرٌ حسنٌ لا إشكال فيه.

وقرئ: ﴿شِركًا﴾؛ أي: ذَوِي شركٍ، وهم الشركاءُ، أو: أَحْدَثا لله إشراكًا في الولد.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ١٩١﴾

أُجريتِ الأصنامُ مُجرى أولي العلم في قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ بناءً على اعتقادهم فيها وتسمِيَتِهم إيَّاها آلهةً، والمعنى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا﴾ يقدر على خلقِ شيء كما يخلُقُ الله ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ لأن الله عز وجل خالقُهم.

أي: ما سلب الله عنكم بسبب النبيّ عليه السلام لا يقابل ولا[1] يعارض بشيء، يقال: «زوى فلان المال عن وارثه زيًّا».[2]

قوله: "فيا لَقصيّ" أصله "يا آل قصيّ"،[3] وهم قريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وخرج مِن بينهم وهاجر إلى المدينة. وقوله: "ما زوى الله"، أي: ما نحاه[4] وقبضه. و"لا يُباري" مِن باريتُ الرجل إذا فعلتَ مثل فعله، يخاطب قريشًا ويقول: يا آل قصيّ أتذرون ما قبضه الله عنكم. ويقال: «ساد قومه يسوده[5] سيادة وسؤددًا وسَيدودة».[6]

قوله: (عبد قصيٍّ) أضاف قصيّ ولديه إلى صنميه مناف وعزّى،[7] وواحد[8] إلى نفسه، وآخر إلى داره التي هي دار الندوة.

---

[1] ر: لا.
[2] **الصحاح** للجوهري، «زوا».
[3] ر - أصله "يا آل قصيّ".
[4] ر: أنجاه.
[5] ر: يسودهم.
[6] **الصحاح** للجوهري، «سود».
[7] ر: والعزى.
[8] ر: وواحدًا.

أو: لا يقدر على اختلاقِ شيء؛ لأنه جمادٌ ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾؛ **لأن عَبدَتَهم** يختلقونهم فهم أعجزُ من عبدتهم.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾: لعَبَدتهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث، بل عَبَدتُهم هم الذي يَدفَعون عنهم ويُحامون عليهم.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾: وإنْ تدعوا هذه الأصنامَ ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: إلى ما هو هدًى ورشادٌ، أو: إلى أن يهدوكم، والمعنى: وإنْ تطلبوا منهم كما تَطلبون من الله الخيرَ والهدى لا يتَّبعوكم إلى مرادكم وطَلِبَتِكم، ولا يُجيبوكم كما يُجيبكم الله، ويدلُّ عليه قوله: ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ أم صمتُّم عن دُعائهم في أنّه لا فلاحَ معهم.

فإن قلتَ: هلَّا قيل: أم صَمَتُّم، ولم وُضعت الجملةُ الاسميةُ موضع الفعليَّة؟

قوله: (**أو: لا يقدر على اختلاق شيء**) الجوهري: خَلَق الإفك واختلقه وتخلّقه إذا افتراه، يقال: هذه قصيدة مخلوقة، أي: منحولة إلى غير قائلها.[١]

قوله: (**وإلى أن يهدوكم**) عطف تفسيريّ على قوله: (**إلى ما هو هدًى**). وفي رواية: "أو إلى أن يهدوكم"، يعني يجوز أن يُحمَل الهدى على الرشاد، وهو الدلالة الموصلة إلى البغية، وأن يُحمَل على مجرّد الدلالة. والظاهر الأوّل، يدلّ عليه قوله: (**وإن تطلبوا منهم الهدى كما يطلبون مِن الله الخير والهدى لا يتّبعونكم إلى مرادكم**).

قوله: (**ويدلّ عليه قوله: ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾**) أي: على أنّ معنى ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾: لا يجيبوكم، أو أنّ المعنى: لا يُجيبوكم كما يُجيبكم الله.

---

١ انظر: **الصحاح** للجوهري، «خلق».

قلتُ: لأنهم كانوا إذا حَزَبَهم أمرٌ دعَوا الله دون أصنامهم؛ كقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الروم ٣٠/٣٣] فكانت حالُهم المستمرَّةُ أن يكونوا صامتين عن دعوتهم، فقيل: إن دعَوْتُموهم لم تفترِقِ الحالُ بين إحْداثكم دُعاءَهم وبين ما أنتم عليه من عادة صَمْتكم عن دعائهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: تعبدونهم وتسمُّونهم آلهةً من دون الله ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، وقوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ استهزاءٌ بهم؛ أي: قُصارى أمرهم أن يكونوا أحياءً عُقلاءَ، فإنْ ثبت ذلك فهم عبادٌ أمثالكم لا تفاضُل بينكم، ثم أبطلَ أن يكونوا عبادًا أمثالَهم فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾.

وقيل: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾: مَمْلُوكون أمثالُكم.

وقرأ سعيد بن جُبير: "إنِ الذينْ تَدْعون من دون الله عبادًا أمثالَكم" بتخفيف "إنْ" ونصبِ "عبادًا أمثالَكم"، والمعنى: ما الذين تَدْعون من دون الله عبادًا أمثالَكم، على إعمال "إنْ" النافية ....

قوله: (**لأنّهم كانوا إذا حَزَبهم أمر**) تلخيصه أنّ قوله: ﴿دَعَوْتُمُوهُمْ﴾ جملة فعليّة تدلّ على التجدُّد. وقوله: ﴿أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ اسميّة تدل على الثبوت والاستمرار، فعُطفت لإرادة التجدُّد في الأولى والثبات في الثانية؛ لأنّ كونهم صامتين عن دعوة الأصنام إذا نابهم بلاء ومحنة ثابت مستمرّ، ما شوهد منهم قطّ أنّهم إذا نابهم نازلة دعَوا الأصنام؛ بل دعَوا الله مخلصين له الدين.

قوله: (**كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الروم ٣٠/٣٣]**) قال تعالى في سورة: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم ٣٠/١-٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم / مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم ٣٠/٣٣]. [٣٦١و]

عَمَلَ "ما" الحجازية.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ واستعينوا بهم في عداوتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ جميعًا أنتم وشركاؤكم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ فإنّي لا أبالي بكم.

ولا يقول هذا إلّا واثقٌ بعصمةِ الله، وكانوا قد خوَّفوه آلهتَهم فأُمر أنْ يخاطِبَهم بذلك كما قال قومُ هودٍ له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود ١١/٥٤] فقال لهم: ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود ١١/٥٤-٥٥].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٩٦ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٧ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٩٨﴾

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: إنَّ ناصِري عليكم الله ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الذي أوْحَى إليَّ كتابَه وأعزَّني برسالَته ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ومن عادتهِ أن ينصُرَ الصَّالحين من عباده وأنبيائهِ ولا يَخذُلَهم.

﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: يُشْبِهون النَّاظرين؛ لأنهم صوَّروا أصنامهم بصورةِ مَن قلَبَ حدَقتَه إلى الشيء ينظرُ إليه.

﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾: وهم لا يُدْرِكون المَرئيَّ.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾

قوله: (**"ما" الحجازيّة**) نسبها إلى الحجاز؛ لأنّ أهلها يختصون بإعمالها، وقال في **المفصّل**: «أجاز المبرد إعمال "إن" عمل "ليس"».[1]

قوله: (**﴿وَهُم لَا يُبْصِرُونَ﴾**)[2] حاصل المعنى مِن قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ إلى ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ أنّه لا سمعَ لهم ولا بصرَ.

---

[1] انظر: **المفصّل** للزمخشري، ص ٤٠٧.

[2] ر: ينصرون.

﴿ٱلْعَفْوَ﴾: ضدُّ الجَهدِ؛ أي: خُذْ ما عَفَا لك من أفعال الناس وأَخْلاقهم، وما أتى منهم وتسهَّلَ من غيرِ كُلْفةٍ، ولا تُداقِّهم ولا تَطلُبْ منهم الجهدَ وما يَشُقُّ عليهم حتى لا يَنْفِروا؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «يَسِّرُوا ولا تُعسِّرُوا»، قال:

خُذي العفوَ مني تستديمي مودَّتي ولا تَنْطِقي في سَوْرتي حين أَغضَبُ

وقيل: خُذِ الفضلَ وما تَسهَّلَ من صَدَقاتهم، وذلك قبل نزول آية الزكاة، فلمَّا نزلت أُمر أن يأخذَهم بها طوعًا أو كرهًا.

و"العُرفُ": المعروفُ والجميلُ من الأفعال.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: ولا تُكافِئِ السفهاءَ بمثلِ سَفَههم ولا تُمارِهم واحْلُم عنهم وأغْضِ على ما يَسوؤك منهم.

وقيل: لمَّا نزلت الآيةُ سأَلَ جبريلَ فقال: لا أدْري حتى أسألَ، ثم رجَعَ فقال: يا محمَّد، إنَّ ربَّك أمرك أن تَصِلَ مَن قَطعَك، وتُعطيَ مَن حرَمَك، وتعفُوَ عمَّن ظلمك.

وعن جعفرٍ الصادقِ: أَمَر اللهُ نبيَّه بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آيةٌ أجمعُ لمكارم الأخلاق منها.

قوله: **(ما عفا لك)** أي: ما أتاك عفوًا سهلًا، أي: لا تستقصِ في أمر الحدّ[1] عليهم؛ بل سامحهم في الشرائع.

قوله: **(ولا تُداقِّهم)** أي: لا تناقشهم.

قوله: **(ولا تُمارِهم)** المماراة: المجادلة، ماريتُ الرجل أماريه مِراءً إذا جادلتَه.[2]

قوله: **(أن تصِل مَن قطعك)**...[3] إلخ، وهو المراد بقوله عليه السلام: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي»،[4] ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة.

قوله: **(وعن جعفر الصادق)** الأَولى في جعفر تركُ التنوين؛ بل هو متعيّن؛[5] لأنّ "الصادق" ليس صفة؛ بل هو مضاف إليه، فإنّه جعفر بن محمّد بن[6] الصادق.

---

١ ن: الجد.

٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مرا».

٣ **جامع البيان** للطبري، ٦٤٣/١٠ (الأعراف، ٢٠٠/٧).

٤ **المقاصد الحسنة** للسخاوي، ٧٣/١ (٤٥).

٥ ر: المتعين.

٦ ن - بن.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: وإما يَنْخَسَنَّك منه نَخْسٌ بأن يَحملك بوسوسته على خلافِ ما أُمرتَ به.

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ولا تُطعْه، والنَّزْغُ والنَّسْغُ: الغَرْزُ والنَّخْسُ، كأنه ينخَسُ الناسَ حين يُغرِيهم على المعاصي، وجُعل النزغُ نازِغًا كما قيل: جَدَّ جِدُّه.

وروي: أنها لمّا نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف يا ربِّ، والغضَبُ» فنَزل ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾.

ويجوز أن يراد بنزغِ الشيطان اعتراءُ الغضب؛ كقول أبي بكر رضي الله عنه: إنَّ لي شيطانًا يَعْترِيني.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ۝٢٠٢﴾

قوله: (**كيف[١] يا ربّ**) أي: كيف أنا والغضب مُغرٍ، أي: كيف أفعل بالغضب، كقولهم: كيف أنت وقصعة مِن[٢] ثريد.[٣]

قوله: (**لمّا نزلت**) أي: قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: كيف يا ربّ والغضب، أي: كيف أصنع يا ربّ مع الظالم والغضبُ حامل على الانتقام، فقيل: إن الغضب مِن نزغ الشيطان ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ﴾.

قوله: (**ويجوز أن يراد بنزغ[٤] الشيطان اعتراءُ[٥] الغضب**)، فالتقدير: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإن اعتراك غضبٌ فاستعذ بالله مِن الشيطان الرجيم.

---

١ ر - كيف.

٢ ن: بن.

٣ المثال في كتاب سيبويه، ٢٩٩/١؛ والمفصّل للزمخشري، ص ٨٥.

٤ ن ر: بغضب.

٥ ر: اغتراء.

﴿طَيْفٌ من الشيطان﴾: لَمَّةٌ منه، مصدرٌ من قولهم: طاف به الخَيالُ يَطيفُ طيفًا، قال:

أَنَّى أَلَمَّ بِكَ الخَيالُ يَطِيفُ

أو هو تخفيفُ "طيِّف" فَيْعلٌ من طاف يَطِيفُ كـ"ليِّن"، أو من طاف يطوف كـ"هَيْن".

وقرئ: ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ وهو يحتمِلُ الأمرين أيضًا، وهذا تأكيدٌ وتقريرٌ لِمَا تقدَّمَ من وجوب الاستعاذة بالله عند نَزْغ الشيطان، وأنّ المتَّقين هذه عادتُهم إذا أصابَهم أَدْنى نزغٍ من الشيطان وإِلْمامٍ بوسوسته.

﴿تَذَكَّرُواْ﴾ ما أَمَر اللهُ به ونهَى عنه فأَبصَروا السدادَ ودَفَعوا ما وُسوِسَ به إليهم ولم يُتبعوه أنفسَهم، وأَمَّا إخوانُ الشياطين الذين ليسوا بمتَّقين فإن الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾؛ أي: يكونون مَدَدًا لهم فيه ويعضدونَهم.

قوله:

(أنّى ألمّ بك الخيالُ يَطيفُ)[1]

تمامه:

ومطافُه لك ذكرةٌ وشُغوفُ[2]

البيت لكعب بن زهير. والذكرة هو ضدّ النسيان.

قوله: **(يحتمل الأمرين)** أي: الواوي واليائي.[3]

قوله: **(وأنّ المتّقين هذه عادتهم)** عطف تفسيريّ على قوله: **(تأكيد)**.

قوله: **(إذا أصابَهم أدنى نزع)** الجملة مِن الشرط والجزاء بيانُ الجملة قبلها وهي "أنّ المتقين هذه عادتهم".

---

[1] ر: بطيف.

[2] ر: وسعوف. | والبيت لكعب بن زهير في **ديوانه**، ص ١١٣؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «ذكر»؛ وهو بلا عزو في **إصلاح المنطق** لابن السكّيت، ص ٢٦١؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ٢٩٣/١.

[3] ر: والتائي.

وقرئ: ﴿يُمِدُّونهم﴾ من الإمداد، و: "يُمادُّونهم" بمعنى: يُعاونونَهم.

﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: ثم لا يُمسِكون عن إغوائهم حتى يُصِرُّوا ولا يرجعوا.

وقوله: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ كقوله:

قــومٌ إذا الـخَـيْـلُ جَـالُـوا فـي كـواثِـبِـهـا

في أن الخبرَ جارٍ على [غير] ما هو له.

ويجوز أن يراد بالإخوان: الشياطينُ، ويرجع الضميرُ المتعلِّق به إلى ﴿ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾،

قوله: (وقرئ: ﴿يُمِدُّونهم﴾)[1] الإمداد في الخير، والمدّ في الشر.

قوله:

(قــومٌ إذا الخيــلُ حالــوا فــي كواثبهــا)

تمامه:

فــوارسُ الخيــل لا مِيــلٌ ولا قَــزَمُ[2]

الخيل: الفرسان. حالوا بالحاء المهملة: وثبوا. يقال: حال مِن ظهر الفرس إذا وثب وركب.[3] والكاثبة مِن الفرس: ما تقدَّم مِن قَرَبوس السرج.[4] والمِيل: جمع أميَل وهو الذي لا يثبت على ظهر الدابّة. والقَزَم: اللئام.

قوله: (على غير[5] ما هو له) أي: أخبر بفعل غيره.

قوله: (ويرجع الضمير المتعلِّق[6] به) أي: بإخوانهم، أي: إخوان الجاهلين، وعلى الأول كان[7] الشيطان.

---

[1] قرأ بها نافع وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٥.

[2] ر: قرم. | والبيت لزياد بن منقذ الملقَّب بالمرّار العدوي. انظر: خزانة الأدب للبغدادي، ٥/٢٤٥-٢٥٠؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي، ٣/٢٧٧-٢٧٨.

[3] انظر: الصحاح للجوهري، «حول».

[4] انظر: الصحاح للجوهري، «كثب».

[5] سقطت لفظة "غير" من مطبوع الكشّاف، وهي مثبتة في حاشية الجاربردي وما راجعته من أصول الكشّاف.

[6] ن ر – المتعلِّق.

[7] ن: لأنّ.

فيكون الخبر جاريًا على ما هو له.

والأوّلُ أوجهُ؛ لأن ﴿إِخْوانُهم﴾ في مقابلةِ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾.

فإن قلتَ: لمَ جُمع الضمير في ﴿إخوانُهم﴾ والشيطانُ مفردٌ؟

قلتُ: المرادُ به الجنسُ كقوله: ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة ٢/٢٥٧].

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

"اجتَبى الشيءَ" بمعنى: جَبَاه لنفسه؛ أي: جَمَعه؛ كقولك: اجتَمَعه، أو جُبيَ إليه فاجتباه؛ أي: أخذه؛ كقولك: جُليتْ إليه العروسُ فاجتلاها، ومعنى: ﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: هلَّا اجتمعتَها افتعالًا من عند نفسك؛ ....

قوله: (فيكون الخبر جاريًا على ما هو له) فعلى الأوّل التقدير: وإخوانُ الشياطين الذين ليسوا بمتّقين الشياطينُ يمدونهم، الضمير المسند إليه الفعل ليس للمبتدأ؛ بل لتعلُّقه، كما أنّ الضمير في "حالوا" لصاحب الخيل، وعلى الثاني التقدير: وإخوان الجاهلين الذين هم الشياطين يمدُّونهم في الغيّ.

قوله: (والأوّل أوجَهُ)... إلخ، يعني: في الكلام مطابقة فتجب مراعاتها.

قوله: (فإن قلتَ: لِمَ جُمع[1] الضمير) هذا السؤال مختصّ بالوجه الأوّل.

قوله: (هلّا اجتمعتها افتعالًا) هذا على التفسير الأوّل وهو قوله: (اجتبى الشيء، بمعنى: جباه[2] لنفسه).

قوله: "افتعالًا"، أي: افتراء واختلاقًا، فهو مفعول له مِن قوله: "اجتمعتها"، أي: هذه[3] أجتبيتها مِن جهة الافتعال / والاختلاق. وقوله: (وهلّا[4] أخذتَها) مبنيّ على التفسير الثاني، وهو قوله: (أو[5] جُبيَ[6] إليه فاجتباه) أي: أخذه. وقوله: [٣٦١ظ]

---

[1] ر: يجمع.
[2] ر: حياة.
[3] ن - هذه.
[4] ن ر: وهذه.
[5] ر: أوحي.
[6] ر - جبي.

لأنهم كانوا يقولون: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ [سبأ ٤٣/٣٤]، أو: هلَّا أخَذْتها مُنزَلةً عليك مقترَحةً.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ ولستُ بمفتَعِلٍ للآيات، أو: لستُ بمقترِحٍ لها.

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾؛ أي: هذا القرآنُ بصائرُ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: حججٌ بيّنةٌ يعودُ المؤمنون بها بُصَراءَ بعد العمَى، أو هو بمنزلة بصائر القلوب.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ ظاهرُه وجوبُ الاستماع والإنصاتِ وقتَ قراءة القرآن في صلاةٍ وغيرِ صلاةٍ.

وقيل: كانوا يتكلَّمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنَّةً في غير الصلاة: أن يُنصِتَ القومُ إذا كانوا في مجلسٍ يُقرأ فيه القرآن.

وقيل: معناه: ﴿وَإِذَا﴾ تلا عليكم الرسولُ القرآنَ عند نزوله ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾.

وقيل: معنى ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾: فاعمَلوا بما فيه ولا تُجاوِزوه.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ هو عامٌّ في الأذكار: مِن قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك.

﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾: متضرِّعًا وخائفًا ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ﴾: ومتكلِّمًا كلامًا دون الجهر؛ لأنَّ الإخفاء أَدْخلُ في الإخلاص وأقربُ إلى حُسنِ التفكُّر.

(مُنزَلة) حال مِن المفعول. ومعنى قوله: **(هلّا أخذَتها منزلةً عليك[1] مقترحة)**:[2] هلّا طلبت مِن الله وأنت مقترح ليكون اقتراحك سببًا لأن تأخذها وهي مقترحة.

قوله: **(لأنّ الإخفاء)** هذا متعلّق مِن حيث المعنى بقوله: **(دون الجهر)**.[3]

---

[1] ن ر – عليك.

[2] ن ر: معترضة.

[3] ر: الجمة.

﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ لفضلِ هذين الوقتين، أو أرادَ الدوامَ، ومعنى ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: بأوقَات الغدوِّ وهي الغَدَوات.

وقرئ: "والإيصال" من آصَلَ: إذا دخَل في الأصيل؛ كأَقْصَرَ وأَعْتَمَ، وهو مطابقٌ للغدوِّ.

﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾: من الذين يَغْفُلون عن ذكر الله ويَلْهَون عنه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة، ومعنى ﴿عِندَ﴾: دنوُّ الزُّلفة والقُرْب مِن رَحْمةِ الله تعالى وفضله؛ لتوفُّرهم على طَاعته وابتغاءِ مرضاته.

﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾: ويَختصُّونه بالعبادة لا يُشركون به غيرَه، وهو تعريضٌ بمَن سواهم مِن المكلَّفين.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة الأعراف جعَل الله يومَ القيامة بينَهُ وبين إبليسَ سترًا، وكان آدمُ شفيعًا له يومَ القيامة».

قوله: (كأقصَرَ) الجوهري: أقصرنا، أي: دخلنا في قَصْر العشيّ، كما تقول: أمسينا مِن المساء. وقصر الظلام: اختلاطه. يقال: أتيته قصرًا، أي: عشيًّا.[١]

قوله: (وأعتَمَ)[٢] قال الخليل: العَتَم[٣] مِن الليل: بعد غيبوبة الشفق.[٤]

قوله: (مطابق للغدوِّ)؛ لأنّ الأصل أن يقال: بالغَدَوات جمع غدوة.

قوله: (وهو تعريض بمَن سواهم مِن المكلَّفين)، يعني: دلَّ تقديم متعلَّق ﴿يَسْجُدُونَ ۩﴾ على أنّ غيرهم لا يختصُّونه بالسجود؛ بل يشركون معه غيرَه. قلتُ: يمكن أن يقال: إنّ التقديم لمراعاة[٥] الفواصل، وإنّ الآية بتمامها تعريض.

---

[١] انظر: **الصحاح** للجوهري، «قصر».
[٢] ر: واعتنم.
[٣] ر: المعتم.
[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «عتم».
[٥] ر: مراعاة.

سورة الأنفال

مدنيَّةٌ، وهي ستٌّ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

النفَل: الغنيمةُ؛ لأنّها من فضل الله تعالى وعطائه، قال لبيدٌ:

إنَّ تَــقْــوى ربِّــنــا خــيــرُ نَــفَــلْ

والنَّفَلُ: ما يُنفَّلُه الغازي؛ أي: يُعطاه زائدًا على سَهْمِه من المَغْنَمِ، وهو

سورة الأنفال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: **(لأنّها مِن فضل الله تعالى)** هو علّة[1] التسمية. قال الإمام: سُمّيت الغنائم أنفالًا؛ لأنّ المسلمين فُضّلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحِلّ لهم الغنائم. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء ٢١/٧٢]، أي: زيادة على ما سأل.[2]

قوله:

(إنّ تقــوى ربّنــا خيــرُ نَفَــلْ)

تمامه:

وبــإذن الله ريثــي[3] وعَجَــلْ

أحمــد الله فــلا نِــدّ لــهُ بيديه الخيرُ ما شاء فَعَلْ[4]

---

١ ر: على.

٢ انظر: تفسير الرازي، ١٥/٤٤٧ (الأنفال ٨/١).

٣ ر: ربي.

٤ الشعر للبيد في ديوانه، ص ١٧٤؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «نفل»؛ وضرائر الشعر لابن عصفور، ص ١٢٨.

أنْ يقول الإمامُ تحريضًا على البلاء في الحرب: «مَن قَتَلَ قتيلًا فله سَلَبُه»، أو قال لسَرِيَّةٍ: «ما أصبتُم فهو لكم» أو: «فلكم نصفُه» أو: «رُبعه» أو: «خُمسه»، ولا يُخمَّسُ النفلُ، ويلزم الإمامَ الوفاءُ بما وَعَد منه، وعند الشافعي رحمه الله في أحد قوليْه: لا يلزم.

ولقد وقع الاختلافُ بين المسلمين في غنائم بدرٍ وفي قسمتها، فسألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: كيف تُقْسَم؟ ولمن الحُكمُ في قِسْمَتها أَللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعًا؟ فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الحاكمُ فيها خاصةً يَحكُم فيها ما يشاء ليس لأحدٍ غيرِه فيها حكمٌ.

وقيل: شَرَط لمن كان له بلاءٌ في ذلك اليوم أن يُنفِّله، فتسارَعَ شبَّانُهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين، فلمَّا يسَّر اللهُ الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازَعوا، فقال الشبَّانُ: نحن المقاتلون، وقال الشيوخُ والوجوهُ الذين كانوا عند الرايات:

قوله: (**على البلاء في الحرب**) البلاء: العناء.[١] يقال: أبلى الرجل في الحرب إذا أعنى وبذل وسعه.

قوله: (**مَن قتل قتيلًا**) هذا على مذهب أبي حنيفة، وأمّا على مذهب الشافعي فالسلَب للسالب سواء شرط الإمام أو لا.[٢]

قوله: (**ولقد وقع اختلاف بين المسلمين**) هذا متعلِّق بالتفسير الأوّل للأنفال،[٣] وهو أن يكون بمعنى الغنائم.

قوله: (**وقيل: شَرَط**) هذا متعلِّق بالتفسير الثاني للأنفال، وهو أن يكون[٤] النفل ما ينفل الغازي.

---

١ ن: الغنا.

٢ انظر تفصيله في **المبسوط** للسرخسي، ١٠/٤٧؛ و**بدائع الصنائع** للكاساني، ٦/١٩٥؛ و**المجموع** للنووي، ١٩/٣٢١.

٣ ر: الأنفال.

٤ ر - بمعنى الغنائم. قوله: (وقيل: شرط) هذا متعلق بالتفسير الثاني للأنفال وهو أن يكون.

كنا رِدْءًا لكم وفِئةً تَنْحازون إليها إنْ هُزِمْتُم، وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "المَغْنم قليلٌ والناسُ كثير، فإن تُعطِ هؤلاء ما شرَطْتَ لهم حرَمْتَ أصحابك"، فنزلت.

وعن سعد بن أبي وقَّاصٍ: قُتل أخي عُمَيْرٌ يومَ بدر، فقتلتُ به سعيد بن العاص وأخذتُ سيفَه فأعجبني، فجئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: إن الله قد شفى صدري من المشركين فهَبْ لي هذا السيفَ فقال: «ليس هذا لي ولا لك، اطْرَحْه في القَبَضِ» فطرحتُه وبي ما لا يعلمه إلَّا اللهُ من قتل أخي وأخذِ سَلَبي، فما جاوزتُ إلّا قليلًا حتى جاءني رسول الله وقد أُنزلت سورةُ الأنفال، فقال: «يا سعدُ، إنك سألتني السيفَ وليس لي، وإنه قد صار لي فاذهَبْ فخُذْه».

وعن عُبادةَ بن الصَّامت: نزلت فينا يا معشرَ أصحاب بدرٍ حين اختَلَفْنا في النفل وساءَتْ فيه أخلاقُنا، فنزعَه اللهُ من أيدينا فجعله لرسول الله، فقسَمه بين المسلمين على السَّواء، وكان في ذلك تقوى اللهِ وطاعةُ رسولهِ وإصلاحُ ذاتِ البين.

قوله: **(ردءًا لكم)** أي:معينًا.

قوله: **(تنحازون[1] إليها)** أي:تنضمون. والانحياز:[2] الانتقال مِن حيّز[3] إلى حيّز،[4] ومنه قوله تعالى: ﴿أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ﴾.

قوله: **(في القَبَض)**[5] القبض بالتحريك: ما قُبض مِن أموال الناس، والمراد هنا المقبوض مِن الغنائم.

قوله: **(يا معشرَ)** يقصد به الاختصاص لا النداء.

قوله:[6] **(وكان في ذلك تقوى الله تعالى)**...[7] إلخ، أي: في نَزْع النفل مِن أيدينا وجَعْلِه للرسول صلّى الله عليه وسلّم وقسمتِه على السواء.

---

[1] ر: يتجاوزون.
[2] ر: والأخياز.
[3] ر: خبر.
[4] ر: خبر.
[5] **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٤٧٨/٦ (٣٣٠٨٥)؛ **مسند أحمد**، ١٢٩/٣ (١٥٥٦).
[6] ر - (يا معشر) يقصد به الاختصاص لا النداء. قوله.
[7] ر - تعالى.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾

وقرأ ابن محيصن: "يسألونك عَلَّنفال" بحذف الهمزة وإلقاء حركتِها على اللام وإدغامِ نونِ ﴿عَنِ﴾ في اللام.

وقرأ ابن مسعود: "يسألونك الأنفالَ"؛ أي: يسألك الشبَّانُ ما شرَطْتَ لهم من الأنفال.

فإن قلتَ: ما معنى الجمعِ بين ذكر الله والرسول في قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؟

قلتُ: معناه: أنَّ حكمها مختصٌّ بالله ورسوله، يأمرُ الله بقسمَتِها على ما تقتضيهِ حكمتُه ويمتثِلُ الرسول أمرَ الله فيها، وليس الأمرُ في قسمتها مفوَّضًا إلى رأي أحدٍ، والمراد: أن الذي اقتضته حكمةُ الله وأَمَرَ به رسولَه أنْ يواسيَ المقاتِلةُ المشروطُ لهم التنفيلُ الشيوخَ الذين كانوا عند الرَّايات فيقاسِمُوهم على السَّوِيَّة ولا يَسْتأثروا بما شُرط لهم، فإنّهم إنْ فعلوا لم يُؤمَنْ أن يَقْدحَ ذلك فيما بين المسلمين من التحابِّ والتَّصافي.

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في الاختلافِ والتخاصُم وكونوا متَّحِدِين متآخينَ في الله.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ وتآسَوْا وتساعَدُوا فيما رزقَكم الله وتفضَّلَ به عليكم.

وعن عطاء: كان الإصلاحُ بينهم أنْ دَعاهم وقال: «اقسِموا غنائمكم بالعدل»، فقالوا: قَدْ أكلْنا وأنفقنا، قال: «ليَرُدَّ بعضُكم على بعض».

قوله: **(فإنّهم إن فعلوا)** أي:فعلوا الاستئثار. وقوله: **(ذاك)** فاعل **(يقدح)**. وقوله: **(مِن التحابّ)** بيان "ما"، و"التحابّ" تفاعل[١] مِن المحبة. وقوله: **(التصافي)** التخالص. وقوله: **(تآسوا)** أمر؛ لأنّه تفسير ﴿وَأَصْلِحُواْ﴾، يقال: تآسوا إذا أسى بعضهم بعضًا، أي: عزّى.

---

[١] ر + تفاعل.

فإن قلتَ: ما حقيقةُ قوله: ﴿ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾؟

قلت: أحوالَ بينِكم، يعني: ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوالَ أُلفةٍ ومحبَّةٍ واتِّفاقٍ؛ كقوله: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال ٨/٤٣] وهي مضمَراتها، لمَّا كانت الأحوالُ ملابِسةً للبَيْن قيل لها: "ذاتُ البين"؛ كقولهم: "اِسْقني ذا إنائك" يريدون: ما في الإناء من الشراب.

وقد جعَل التقوى، وإصلاحَ ذات البين، وطاعةَ الله ورسولِهِ، من لوازِمِ الإيمان وموجَباتهِ؛ ليُعلمَهم أنَّ كمالَ الإيمان موقوفٌ على التوفُّر عليها.

ومعنى قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: إن كنتم كاملي الإيمان.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾

واللام في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ إشارةٌ إليهم؛ أي: إنما الكامِلُو الإيمانِ الذين من صِفَتهم كيتَ وكيتَ، والدليلُ عليه قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾.

﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾: فزِعَتْ، وعن أمِّ الدَّرْداء: الوجَل في القلب كاحتراقِ السَّعَفَةِ، أمَا تجدُ له قُشعريرةً؟ قال: بلى، ....

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾) كاملي الإيمان، وإنّما دلّ على الكمال لكون الخطاب مع مَن آمِن إيمانًا[1] لا شكّ فيه، كما أومئ إليه بقوله: (ليُعلمهم) أنّ كمال الإيمان موقوف على التوفُّر.

قوله:[2] (السَّعَفة) «بالتحريك: غصن النخل، والجمع سَعَف».[3]

قوله: (قشعريرةً) القشعريرة: اسم مِن الاقشعرار، وهو: الارتعاش والارتعاد، كأنّها شكا بعضهم إليها فزعة يجدها[4] عند[5] استماع[6] الذِّكر، فقالت:

---

[1] ر – إيمانًا.
[2] ر – قوله.
[3] **الصحاح** للجوهري، «سعف».
[4] ر: يجد.
[5] ن ر: عن.
[6] ر: الاستماع.

قالت: فادعُ الله فإنّ الدُّعاء يُذهبه.

يعني: فزعَتْ لذكره استعظامًا له وتهيُّبًا من جلاله وعزَّةِ سلطانه وبطشِهِ بالعُصاة وعِقابه، وهذا الذكر خلافُ الذِّكر في قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر ٢٣/٣٩]؛ لأن ذلك ذكرُ رحمته ورأفته وثوابه.

وقيل: هو الرجلُ يريد أن يَظلم أو يَهُمَّ بمعصية فيقالُ له: "اتَّقِ الله"، فيَنزعُ.

وقرئ: "وَجَلَتْ" بالفتح، وهي لغةٌ نحو: وَبَقَ في وَبِقَ.

وفي قراءة عبد الله: "فَرِقَتْ".

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: ازدادوا بها يقينًا وطمأنينةَ نفسٍ؛ لأن تظاهُرَ الأدلَّةِ أَقْوى للمدلول عليه وأثبتُ لقَدَمه، وقد حُمل على زيادة العمل، وعن أبي هريرة:

[٣٦٢و] إنّ تلك الفزعة تشبه[١] احتراق الورقة اليابسة وعلامتها / إحساس الارتعاد في الجلد، ثمّ أرشدته بإزالتها بالدعاء. وقوله: **(قالت: فادعُ الله، فإنّ الدعاء يذهبه)**[٢] يُوهِم توخّي إزالة[٣] الخوف عن القلب بالكلّيّة، والركون إلى الرجاء، لكن المراد أنّ المبتدئ إذا سمع الآيات القوارع والزواجر لم يُطق فينزعج، فليس ذلك مِن صريح الإيمان؛[٤] بل صريح الإيمان أن يتدارك ذلك بآيات الرجاء ليحصل له الاطمئنان، كما أنّ الخوف يجذبه إلى القلق والاضطراب، فالرجاء يدعوه إلى السكون، فيطمئن السالك بين شدّ الجذبتين، وهو المراد مِن قولها: "فإنّ الدعاء يُذهبه". قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السُّهرَوردي قدّس الله سره: لمّا رأى أبو بكر الصدّيق رضي الله تعالى[٥] عنه الباكي يجد عند قراءة القرآن قال: «هكذا كنّا حتّى قسَت القلوب»،[٦] أي: أدمنَت لسماع **القرآن** وألفت أنواره فما استغربته حتّى تتغيّر.

قوله: **(فينزع)**[٧] يقال: نزع عن[٨] الأمر نزوعًا إذا انتهى[٩] عنه فينتهي عنه ويمتنع.

---

[١] ر: تشبيه.
[٢] انظر: **جامع البيان** للطبري، ١١٢٩ (الأنفال ٢/٨).
[٣] ر: آلة.
[٤] ن – الإيمان.
[٥] ر – تعالى.
[٦] ما وقفتُ عليه فيما بين يديَّ من المظانّ.
[٧] **جامع البيان** للطبري، ٢٩/١١ (الأنفال ٢/٨).
[٨] ن ر – عن.
[٩] ر + أي.

«الإيمان سبعٌ وسبعون شعبةً أعلاها: شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان».

وعن عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان سُنَنًا وفرائضَ وشرائعَ، فمَن استكمَلَها استكملَ الإيمان، ومَن لم يستكمِلْها لم يستكمل الإيمان.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ولا يفوّضون أمورَهم إلى غير ربّهم، لا يخشَوْن ولا يرجُون إلَّا إياه، جمَع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكُّل، وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾

﴿حَقًّا﴾ صفةٌ للمصدر المحذوف؛ أي: أولئك هم المؤمنون إيمانًا حقًّا، أو هو مصدرٌ مؤكِّدٌ للجملة التي هي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كقولك: "هو عبد الله حقًّا"؛ أي: حقَّ ذلك حقًّا.

وعن الحسن أن رجلًا سأله: أمؤمنٌ أنتَ؟ قال: الإيمان إيمانان، فإن كُنتَ تسألُني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنَّة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمنٌ، وإن كنتَ تسألُني عن قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فوالله لا أدْري أمنهم أنا أم لا؟

وعن الثوري: مَن زعم أنه مؤمن بالله حقًّا ثم لم يشهد أنَّه من أهل الجنَّة

قوله: **(وفرائضَ وشرائعَ)** الظاهر أنّ المراد بالفرائض الواجبات مِن الأحكام، وبالشرائع الأصول كاعتقاد الوحدانيّة والنبوّة.

قوله: **(إيمانًا حقًّا)** أي:إيمانًا ثابتًا معتبرًا عند الله تعالى.

قوله: **(أي: حقَّ ذلك حقًّا)** أي:حقَّ كمال إيمانهم[1] حقًّا.

قوله: **(وعن الثوري)**... إلخ، هذا يؤيِّد قولَ مَن يقول: أنا مؤمِن إن شاء الله.

[1] ر: إيمانكم.

فقد آمَن بنصفِ الآية، وهذا إلزامٌ منه، يعني: **كما لا يَقطعُ بأنَّه من أهل ثواب المؤمنين حقًّا فلا يَقطعُ بأنه مؤمنٌ حقًّا**، وبهذا تَعلَّق **مَن يستثني في الإيمان**، وكان أبو حنيفة رضي الله عنه ممن لا يستثني فيه، وحُكي عنه **قال لقتادة**: لِمَ تستثني في إيمانك؟ قال: اتِّباعًا لإبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى﴾ [الشعراء ٨٢/٢٦]، فقال له: هلا اقتديت به في قوله: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة ٢٦٠/٢]؟

قوله: (**بنصف الآية**)؛[١] لأنّ الآية تدلّ على أنّ مَن هو مؤمِن حقًّا فهو مِن أهل الجنة.

قوله: (**وبهذا تعلّق**) أي:بقول الثوري أو بإلزام الثوري.

قوله: (**لِمَ تستثني؟**)،[٢] أي: لِمَ تقول: أنا مؤمِن إن شاء الله، ولا تقول: أنا مؤمِن حقًّا؟

قوله: (**هلا اقتديتَ**)[٣] اعلم أنّ هذا[٤] الإلزام غيرُ وارد، مَن قال: "أنا مؤمِن إن شاء الله" لا يُوجب الاستثناء؛ بل يجوِّزه، بخلاف مَن قال: "أنا مؤمِن حقًّا"، فإنّه لا يجوِّز الاستثناء. قال الإمام محيي السنّة في **شرح السنّة** نقلًا عن السلف: إنّهم كرهوا أن يقول الرجل: "أنا مؤمِن حقًّا"؛ بل "أنا مؤمِن"، ويجوز أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.[٥] قال **الإمام** روَّح الله[٦] روحه في **التفسير الكبير**: اتّفقوا على أنّه يجوز للرجل المؤمِن أن يقول: "أنا مؤمِن"، واختلفوا في أنّه هل يجوز أن يقول: أنا مؤمِن إن شاء الله.[٧]

قوله: (**في قوله**: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾ [البقرة ٢٦٠/٢]) قال الإمام في **التفسير الكبير**: كان لقتادة أن يقول: إنّه بعد أن قال: ﴿بَلَىٰ﴾ قال: ﴿وَلَـٰكِن

---

١ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٢١/١٣ (الأنفال ٤/٨).

٢ ر: يسبتني.

٣ ر: اقتديت. | انظر: **تفسير الرازي**، ١٢٦/١٥ (الأنفال ٤/٨).

٤ ن - هذا.

٥ ن ر - أنا مؤمن إن شاء الله. | وانظر: **شرح السنّة** للبغوي، ٤١/١.

٦ ن ر - قال الإمام روَّح الله.

٧ انظر: **تفسير الرازي**، ١٢٥/١٥ (الأنفال ٤/٨).

﴿لَهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: شرفٌ وكرامةٌ وعلوُّ منزلةٍ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾: وتجاوزٌ لسيئاتهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: نعيمُ الجنّة، يعني: لهم منافعُ حسنةٌ دائمةٌ على سبيل التعظيم، وهذا معنى الثواب.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يرتفع محلُّ الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوفٍ تقديرُه، هذا الحالُ كحال إخراجك، يعني: أن حالَهم في كراهةِ ما رأيتَ من تنفيلِ الغُزاة مثلُ حالهم في كراهة خروجك للحرب.

والثاني: أن يَنتصِبَ على أنه صفةُ مصدرِ الفعل المقدَّر في قوله: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؛ أي: الأنفال استقرَّتْ لله والرسول، وثبَتَتْ مع كراهتهم ثباتًا مثلَ ثبات إخراج ربِّك إياك من بيتك وهم كارهون.

و﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يريد: بيتَه بالمدينة، أو المدينةَ نفسَها؛ لأنها مهاجَرُه ومسكنُه، فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: إخراجًا مُلْتبِسًا بالحكمة والصواب الذي لا مَحيدَ عنه.

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ في موضع الحال؛ أي: أخرجك في حال كراهتهم.

لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ وطلب[1] مزيد الطمأنينة، وهذا يدلّ على أنّه لا بدّ مِن قول: إن شاء الله.[2]

قوله: (**في كراهة ما رأيتَ**) مِن الرأي كما في قوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء ٤/١٠٥]، لا مِن رؤية البصر، ولا مِن رؤية القلب المتعدّي إلى مفعولين.

---

[1] ر: فطلب.

[2] انظر: **تفسير الرازي**، ١٥/١٢٦ (الأنفال ٨/٤).

وذلك: أنَّ عيرَ قريش أقبلَتْ من الشام فيها تجارةٌ عظيمةٌ معها أربعون راكبًا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام، فأخبرَ جبريلُ رسولَ الله، فأخبرَ المسلمين فأعجبَهم تلقِّي العِيرِ لكثرة الخير وقلَّة القوم، فلما خرجوا بلغ أهلَ مكة خبرُ خروجهم فنادى أبو جهلٍ فوق الكعبة: يا أهل مكة! النَّجاءَ النَّجاء على كلِّ صعبٍ وذَلُول، عيرُكم أموالُكم إن أصابها محمدٌ لن تُفلِحُوا بعدها أبدًا.

وقد رأَتْ أختُ العباس بن عبد المطلب رُؤيا فقالت لأخيها: إنِّي رأيتُ عجبًا! رأيتُ كأنَّ ملَكًا نزل من السماء فأخذ صخرةً من الجبل ثمَّ حلَّق بها فلم يَبْقَ بيتٌ من بيوت مكَّةَ إلا أصابَه حجرٌ من تلك الصخرة، فحدَّث بها العبَّاسُ، فقال أبو جهل: ما رضي رجالُهم أن يتَنَبَّئُوا حتى تتنبَّأ نساؤهم!

فخرج أبو جهل بجميع أهلِ مكة -وهم النفيرُ في المثَل السائر: «لا في العِير

قوله: (وذلك أنّ عِير[1] قريش) جملة كالمبيِّنة للأولى،[2] أي:[3] الإخراج في حال الكراهية؛ لأنّ عِير[4] قريش... إلخ.

قوله: (النَّجاءَ النَّجاءَ) النجاء: مصدر ممدود، أي: العدوّ العدوّ والسرعة السرعة. وقوله: (كلّ صعب وذلول) الذِّلّ بالكسر: اللين، وهو ضدّ الصعوبة. يقال:[5] دابّة ذلول بيِّنة الذِّل. والذلول:[6] ضدّ الصعب.[7] والصواب أنّ المراد بالصعب المركوب الصعب، وبالذلول أيضًا المركوب الذلول، أي: أسرعوا وبادروا مجتمعين ولا تقفوا ولا تختاروا للركوب ذلولًا دون صَعْب. وقوله: غيركم، أي: تداركوا. وقوله: (بعدها) أي:بعد تلك الإصابة.

قوله: (ثمّ حلّق) التحليق بالشيء: الرمي به إلى فوق.

قوله: («لا في العير ولا في النفير»)[8] «نفر القوم في الأمر[9] نفورًا. والنفير:

---

[1] ر: غير.
[2] ن ر: الأولى.
[3] ن ر: إلى.
[4] ر: غير.
[5] ر + له.
[6] ن - والذلول.
[7] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ذلل».
[8] **مجمع الأمثال** للميداني، ٢/٢٢١.
[9] ر - في الأمر.

ولا في النفير»- فقيل له: إن العِيرَ أخذَتْ طريق الساحل ونجَتْ فارْجِعْ بالناس إلى مكة، فقال: لا والله لا يكون ذلك أبدًا حتى نَنْحَرَ الجزُورَ ونشربَ الخمورَ ونقيمَ القَيناتِ والمعازفَ ببدْرٍ، فيتسامَعَ جميعُ العرب بمخرجنا، وأنَّ محمدًا لم يُصِبِ العِير، وأنَّا قد أعضَضْناه.

القوم الذين يتقدّمون / فيه. يقال: جاءت نَفْرة بني كلاب[١] ونفيرهم، أي: جماعتهم الذين ينفِرون».[٢] «لا نفر القوم في الأمر وإلى[٣] الثغر[٤] نفرًا[٥] نفيرًا. ومنه نفير[٦] العامّ. والنفير أيضًا: القوم النافرون لحرب أو غيرها. ومنه قولهم لمَن لا يصلح لمُهمّ:[٧] "لا في العير ولا في النفير". والأصل عير قريش التي أقبلت مع أبي سفيان مِن الشام، والنفير مَن خرج مع عتبة بن ربيعة لاستنقاذها مِن أيدي المسلمين. فكان ببدر ما كان، وهما الطائفتان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ [الأنفال ٧/٨]. وأوّل مَن قال ذلك أبو سفيان لبني زهرة حين صادفهم منصرفين إلى مكّة. قال الأصمعي: يُضرَب للرجل يُحط أمره ويصغُر قدره».[٨] [٣٦٢ظ]

قوله:[٩] **(والمعازف)** «المعازف: الملاهي. والعازف: اللاهي. وقد عزف عزفًا. وعَزْف الرياح: أصواتها».[١٠]

قوله: **(أعضضناه)** أي: جعلناه عاضّ أنامله، أو قلنا له: عضضتَ علينا أناملك مِن الغيظ، يعنون: أنّه ما حَصَل له مطلوبه، وما قدر إلّا على عضّ أنامله مِن الغيظ. وممّا يدل على أنّ "أعضّ" يُستعمل في هذا المعنى قول الشاعر:

فأعضضتُه الطُّولى سَنامًا وخيرَها   بلاءً وخيرُ الخيرِ ما يُتخيَّرُ[١١]

---

١ في مطبوع **الصحاح**: فلان.

٢ **الصحاح** للجوهري، «نفر».

٣ في مطبوع **المغرب**: لوالي.

٤ ن: النفر.

٥ ن: نفروا.

٦ في مطبوع **المغرب**: النفير.

٧ ن: لهم؛ ر: لمهمتهم.

٨ **المغرب** للمُطرّزي، «نفر».

٩ ر: قال.

١٠ **الصحاح** للجوهري، «عزف».

١١ ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في **غريب الحديث** للخطابي، ٢٢٥/٣؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٦٤٨/٤.

فمضَى بهم إلى بدْرٍ وبدرٌ ماءٌ كانت العربُ تجتمع فيه لسُوقهم يومًا في السنة، ونزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله وعدك إحدى الطائفتين: إما العِيرَ وإما قريشًا، فاستشارَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أصحابَه وقال: «ما تقولون؟ إن القوم قد خرجوا من مكّة على كلِّ صَعْبٍ وذلولٍ، فالعيرُ أحبُّ إليكم أم النفيرُ؟» قالوا: بل العيرُ أحبُّ إلينا من لقاء العدوِّ، فتغيَّر وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ردَّد عليهم فقال: «إن العيرَ قد مضت على ساحل البحر، وهذا أبو جهل قد أَقْبل» فقالوا: يا رسولَ الله، عليك بالعير ودَعِ العدوَّ، فقام عند غضبِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسَنَا، ثم قام سعد بن عُبادةَ فقال: اُنظرْ أمرَك فامضِ، فوالله لو سِرتَ إلى عَدنِ أبْيَنَ ما تخلَّفَ عنك رجلٌ من الأنصار.

ثم قال المقدادُ بن عمرٍو: يا رسول الله، امضِ لِمَا أمرَك الله فإنَّا معك حيثما أحببتَ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذْهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن: اذهب أنت وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون ما دامت عينٌ منَّا تَطرِفُ، فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال: «أشيروا عليَّ أيّها الناس» وهو يريد الأنصارَ؛ لأنَّهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: ....

وهذا البيت مِن أبيات **الحماسة**. والضمير مِن قوله: "أعضضته" عائد إلى السيف، أي: جعلتُ السيف عاضًا للناقة الطُّولى سَنامًا، يريد أنّه نحر الناقة الطُّولى السَّنام بذلك السيف للضيفان.[1]

قوله: (**فأحسَنا**) أي:أتيا[2] بجواب حسن، أي: أحسَنا الكلام في اتّباع مراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قوله: (**إلى عدنِ أبيَن**) أبيَن اسم رجل نُسب إليه عَدَن، أي: أضيفَ، يقال: عَدَن أبيَن. وعَدَن أبيَن مدينة معروفة باليمن.

---

[1] انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ١٦٤٩/٤.
[2] ن: اتيا.

إنَّا بُرآء من ذِمامك حتى تصلَ إلى ديارنا، فإذا وصلتَ إلينا فأنت في ذمامِنا نمنعُك ممّا نمنعُ منه آباءنا ونِساءنا، فكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يتخوَّفُ أنْ لا تكون الأنصارُ تَرى عليهم نُصرتَهُ إلّا على عدوٍّ دَهِمَه بالمدينة، فقام سعدُ بن مُعاذٍ فقال: لكأنَّك تُريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجَلْ» قال: قد آمنّا بك وصدَّقناك وشهِدْنا أن ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة، فامضِ يا رسول الله لِمَا أردتَ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضْتَ بنا هذا البحر فخُضتَه لخُضْناه معك ما تخلَّفَ منَّا رجلٌ واحدٌ، وما نَكْرَهُ أن تلقَى بنا عدوَّنا، إنَّا لصُبُرٌ عند الحرب صُدُقٌ عند اللِّقاء، ولعلَّ الله يُريك منَّا ما تَقَرُّ به عينُك، فَسِرْ بنا على بركة الله.

ففرِحَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبَسَطه قولُ سعدِ بن مُعاذٍ، ثم قال: «سيروا على بركة الله، وأبشِرُوا فإن الله وعدَني إحدى الطائفتين، واللهِ لكأنِّي الآن أنظر إلى مصارع القوم».

قوله: (مِن ذِمامك) الذِّمام: العهد، أي: ليس لنا معك عهدٌ حتّى تخرج مِن مكّة وتجيء المدينة.[1]

قوله: (يتخوَّف ألّا يكون الأنصار) صوابه "أن يكون" بدون "لا"، فالوجه أن[2] نقول: "لا" مزيدة.

قوله: (لو استعرضتَ) أي:لو عبرت بنا البحر عرضًا.

قوله: (لكأنّك تُريدنا) أي:مِن قوله: (أيّها الناس) أو أعم مِن الأوّل إلى هنا.

قوله: (فخُضتَه)[3] عطف على قوله: "استعرضتَ"، أي: لو طلبت منّا ثمّ فعلته لوافقناك وما تركنا مُتابعتَك.

قوله: (على[4] بركة الله)[5] إلى هنا مِن قول سعد بن معاذ.

---

[1] ن: بالمدينة.

[2] ر + يكون.

[3] ن ر: فحضضته.

[4] ر: هل.

[5] انظر: **جامع البيان للطبري**، ١١/٤١ (الأنفال ٨/٦)؛ و**تخريج أحاديث الكشّاف للزيلعي**، ٢/١٢.

وروي: أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرَغ من بدر: عليك بالعير ليس دونها شيءٌ، فناداه العباسُ وهو في وَثاقه: لا يَصْلُح، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لِمَ؟» قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين، وقد أعطاك ما وعدك.

وكانت الكراهة من بعضهم لقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾.

والحقُّ الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلقِّي النفيرِ لإيثارهم عليه تلقِّي العيرِ.

﴿يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦﴾

﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾: بعد إعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم يُنصَرُون، وجِدالُهم: قولُهم: "ما كان خروجُنا إلا للعير"، و"هلّا قلتَ لنا لنستعدَّ ونتأهَّبَ؟"، وذلك لكراهتهم القتالَ، ثم شبَّه حالَهم في فرط فزَعِهم ورُعْبهم وهم يُسارُ بهم إلى الظَّفَر والغنيمة بحالِ مَن يُعتَلُ إلى القتل ويُساقُ على الصَّغار إلى الموت المتيقَّنِ وهو مشاهِدٌ لأسبابه ناظرٌ إليها لا يَشك فيها.

وقيل: كان خوفُهم لقلَّة العدد، وأنهم كانوا رجَّالةً.

قوله: **(في وثاقه)** أوثقه: أحكمه. وشدّه بالوثاق: بالقيد.[١] وكسر الواو لغة. كان العبّاس رضي الله تعالى[٢] عنه حينئذٍ مأسورًا مقيَّدًا.

قوله: **(لا يصلح)**،[٣] أي: لا يصلح[٤] هذا الرأي،[٥] وهو قول القائل: عليك بالعير.

قوله: **(فكانت الكراهة مِن بعضهم)** قوله: "مِن بعضهم" حركات. وقوله: **(تلقّي العير)**[٦] كما مرّ ذِكره آنفًا في الصفحة المتقدِّمة.

قوله: **(مَن يُعتَل)** العَتْل: الجرّ بعنف.[٧]

---

١ ر: لقيد.
٢ ر - تعالى.
٣ **سنن الترمذي**، ١٢٠/٥ (٣٠٨٠).
٤ ن - أي: لا يصلح.
٥ ن: الولي.
٦ ر: العين.
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «عتل».

وروي: أنه ما كان فيهم إلّا فارسان.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾

﴿وَإِذْ﴾ منصوبٌ بإضمار: اذكر.

و﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدلٌ من ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾، والطائفتان: العيرُ والنفيرُ.

و﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ العيرُ؛ لأنه لم يكن فيها إلّا أربعون فارسًا، والشوكة كانت في النفير لعددهم وعُدَّتهم، والشوكةُ: الحِدَّةُ، مستعارٌ من واحدة الشوك، ويقال: "شوك القَنا" لشَبَاها، ومنها قولهم: "شائك السِّلاح".

أي: تتمنَّون أن تكون لكم العيرُ؛ لأنها الطائفةُ التي لا حِدَّة لها ولا شدَّةَ، ولا تُريدون الطائفةَ الأخرى.

﴿أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: أن يُثبِتَه ويُعليَه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: بآياته المنزَلةِ في مُحاربةِ ذاتِ الشوكة، وبما أَمَرَ الملائكةَ من نُزولهم للنُّصرة، وبما قضَى من أَسْرهم وقتلهم وطَرْحهم في قَليب بدر.

والدابرُ: الآخِرُ، فاعلٌ من دَبَر: إذا أدبر، ومنه: دابرةُ الطائر، وقطعُ الدابر عبارةٌ عن الاستئصال، يعني: أنكم تريدون الفائدةَ العاجلةَ وسَفْسافَ الأمور

قوله: (فارسان) هما المِقداد[1] بن الأسوَد والزُّبير بن العوّام.

قوله: (لشَباها) الجوهري: «شباةُ كلِّ شيء: حدّ[2] طرفه. والجمع الشبا والشبَوَات».[3]

قوله: (دابرة الطائر) دابرة الطائر: هي الظفر الثاني خلف المِخلب، وهو بمنزلة الإبهام للإنسان.[4]

قوله: (وسَفساف) «السفساف: الرديء مِن كلّ شيء، والأمر الحقير.

---

[1] ر: مقداد.
[2] ن: جدّ؛ ر - حدّ.
[3] ر: الشواب. | الصحاح للجوهري، «شبا».
[4] انظر: الصحاح للجوهري، «دبر».

وأنْ لا تلقَوْا ما يَرْزؤكُم في أبدانكم وأحوالكم، والله تعالى يريد معاليَ الأمور، وما يرجع إلى عِمارة الدِّين ونصرةِ الحق وعلوّ الكلمة والفوز في الدارين، فشتَّانَ ما بين المرادَيْن؛ ولذلك اختار لكم الطائفةَ ذاتَ الشوكة، وكَسَرَ قوَّتَهم بضَعْفكم، وغَلبَ كثرتَهم بقلَّتكم، وأعزَّكم وأذلَّهم، وحصَّل لكم ما لا يُعارِضُ أدناه العيرُ وما فيها.

وقرئ: "بكلمته" على التوحيد.

﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾

فإن قلتَ: بمَ تَعلَّق قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾؟

قلتُ: بمحذوفٍ تقديره: ليُحقَّ الحقَّ ويبطلَ الباطل فعَل ذلك ما فعَله إلّا لهما، وهو إثباتُ الإسلام وإظهارُه وإبطالُ الكفر ومَحْقُه.

فإن قلتَ: أليس هذا تكريرًا؟

قلتُ: لا؛ لأن المعنيَين متباينان، وذلك أن الأوّل تمييزٌ بين الإرادتين وهذا بيانٌ لغرضه فيما فعَل من اختيارِ ذاتِ الشوكة على غيرها لهم ونُصرتهم عليها، وأَنّه

وفي الحديث: 'إنّ الله تعالى يحبّ معاليَ الأمور وأشرافها ويكره سفسافها'.[١] ويُروى: 'ويبغض سفسافها'».[٢]

قوله: (**يَرْزؤكم**)، أي:[٣] ينقصكم.

قوله: (**فإن قلتَ: أليس هذا تكريرًا؟**)، يعني: أليس قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ بعد قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾.

[٣٦٣و] / قوله: (**الإرادتين**) أي:إرادة الله تعالى وإرادتهم. وقوله: (**مِن اختيار**) إلى قوله: (**عليها**) بيان ما فعل. وقوله: (**أنّه**) عطف على قوله: (**بيان لغرضه**).

---

[١] الحديث بلفظ قريب في **المصنَّف** لابن أبي شيبة، ٣٣٢/٥ (٢٦٦١٧)؛ و**المعجم الكبير** للطبراني، ١٨١/٦ (٥٩٢٨)؛ و**المستدرك** للحاكم، ١١١/١ (١٥١)؛

[٢] **الصحاح** للجوهري، «سفف». والرّاوية الأخرى للحديث مذكورة في **المستدرك** للحاكم، ١١٢/١ (١٥٢)؛ و**شعب الإيمان** للبيهقي، ٣٧٢/١٠ (٧٦٤٦).

[٣] ر - أي.

ما نَصرَهم ولا خذَلَ أولئك إلّا لهذا الغرض الذي هو سيّدُ الأغراض، ويجب أن يُقدَّر المحذوفُ متأخّرًا حتى يفيدَ معنى الاختصاص وينطبقَ عليه المعنى.

وقيل: قد تعلَّق بـ"يقطعَ".

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾

فإن قلتَ: بمَ يتعلَّق ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾؟

قلتُ: هو بدلٌ من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾، وقيل: بقوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾.

واستغاثتُهُم: أنهم لمَّا علموا أنَّه لا بدَّ من القتال طَفِقوا يَدعون اللهَ يقولون: "أي ربِّ انصُرنا على عدوِّك، يا غِيَاثَ المستغيثين أغِثْنا".

وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نَظَرَ إلى المشركين وهم ألفٌ وإلى أصحابه وهم ثلاثُ مئة، فاستقبل القبلة ومَدَّ يديه يدعو: «اللّهم أَنجِزْ لي ما وعَدْتَني، اللّهم إنْ تَهلِكْ هذه العِصَابةُ لا تُعْبَد في الأرض» فما زال كذلك حتى سقط رداؤُهُ، فأخَذه أبو بكرٍ رضي الله عنه فألقاه على منكبيه والتَزَمهُ من ورائهِ وقال: يا نبيَّ الله، كفَاكَ مُناشَدَتك ربَّك فإنه سيُنجز لك ما وعَدك.

﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ أصله: بأنِّي مُمدُّكم، فحُذف الجارُّ وسُلِّط عليه "استجابَ" فنُصب محلُّه، وعن أبي عمرٍو أنَّه قرأ: "إنِّي مُمِدُّكم" بالكسر على إرادة القول، أو على إجْراء "استجابَ" مُجرى: قال؛ لأن الاستجابةَ من القول.

فإن قلتَ: هل قاتلتِ الملائكةُ يومَ بدر؟

قلتُ: اختُلف فيه:

فقيل: نزَل جبريل عليه السلام في خمس مئةِ مَلَكٍ على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه، وميكائيل عليه السلام في خمس مئة ملك على الميسرة وفيها علي بن أبي طالب، في صُور الرجال عليهم ثيابٌ بيضٌ وعمائمُ بيضٌ وقد أَرْخَوْا أَذْنابها بين أكتافهم، فقاتلَتْ.

وقيل: قاتلتْ يوم بدرٍ ولم تُقاتل يوم الأحزاب ويوم حُنيْن.

وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوتُ الذي كنّا نسمع ولا نرى شخصًا؟ قال: من الملائكة، فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم.

وروي: أن رجلًا من المسلمين بينما هو يشتدُّ في أثر رجلٍ من المشركين: إذْ سمع صوتَ ضَرْبةٍ بالسوط فَوقه، فنظر إلى المشرك قد خرَّ مستلقيًا وشُقَّ وجهُه، فحدَّثَ الأنصاريُّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: «صدقتَ ذاك من مَدَد السَّماء».

وعن أبي داود المازنيِّ: تبِعتُ رجلًا من المشركين لأضربَه يوم بدر فوقع رأسُه بين يديَّ قبلَ أن يصل إليه سَيْفي.

وقيل: لم يقاتلوا، وإنما كانوا يُكثِّرون السواد ويثبِّتون المؤمنين وإلا فملَكٌ واحدٌ كافٍ في إهلاكِ أهلِ الدنيا كلِّهم، فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشةٍ من جناحه مدائنَ قوم لوطٍ، وأهلك بلاد ثمودَ وقوم صالحٍ بصيحةٍ واحدةٍ.

قوله: (**فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم**) كان يناسب أن يقال لأبي جهل حين قال:[1] "هم[2] غلبونا لا أنتم":

ولستُ أبالي بعد إدراكي العلا أكان ترابًا ما تناولتُ أم كَسْبا[3]

بل أن يقال: حصل المطلوب والزيادة وهو الشرف[4] بمعاونة الملائكة. ويحتمل أن يكون مراد أبي جهل بهذا الكلام إظهارَ التأسُّف، وأنّ الله تعالى[5] وملائكته[6] كانوا ناصريكم، وما كنّا علمنا ذلك، فندم حين لا ينفع[7] في الندم. واعلم أنّ هذا الاحتمال مدفوع لِما قال: إنه قال ابن مسعود رضي الله تعالى[8] عنه حين كان يقتله:[9] بلّغ محمّدًا أنّه ليس على وجه الأرض أبغضُ إليّ منه،

---

[1] ن - قال.
[2] ن ر - هم.
[3] البيت لأبي الطيّب في ديوانه، ص ٣١٩.
[4] ر - الشرف.
[5] ر - تعالى.
[6] ر: والملائكة.
[7] ن ر: نفع.
[8] ر - تعالى.
[9] ر: يعتلي.

وقرئ ﴿مُرْدِفِين﴾ بكسر الدال وفتحها، من قولك: رَدِفَه: إذا تَبِعَه، ومنه قوله تعالى: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل ٧٢/٢٧] بمعنى: رَدِفَكم، وأردَفْتُه إيَّاه: إذا أَتْبَعْتَه، ويقال: "أردفتُه" كقولك: "اتَّبعْتُه": إذا جئتَ بعده، فلا يخلو المكسورُ الدالِ من أن يكون بمعنى "مُتْبِعين" أو "متَّبعين"، فإن كان بمعنى "متْبعين" فلا يخلو من أن يكون بمعنى:

"مُتْبعين بعضَهم بعضًا" أو: "متَّبعين بعضُهم لبعضٍ".

أو بمعنى: "مُتْبعين إيَّاهم المؤمنين"؛ أي: يتقدَّمونهم فيُتْبِعونهم أنفسَهم،

فلمّا بلّغ ابن مسعود كلام أبي جهل إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «فرعوني كان أشدّ مِن فرعون موسى».[١]

قوله: (فلا يخلو المكسورَ[٢] الدال)... إلخ، اعلم أنّ في كلام المصنّف دقّة، فإنّه لمّا قسم المكسور[٣] الدال[٤] على قسمين أخذ في بيان أحد القسمين وخلط القسم الآخر، وكان الظاهر ألّا يأتي بالآخر إلّا بعد الفراغ مِن الأوّل، ومِن ثَمّ[٥] عمد إلى إبطال سطر مِن الكتاب فعاد الكلام هكذا، فلا يخلو المكسور[٦] الدال[٧] مِن أن يكون يعني:[٨] مُتبعين بعضَهم بعضًا أو متَّبعين بعضُهم لبعض... إلخ، وأمّا وجه استقامة ما في الكتاب كما جاء في النُّسخ كلّها، وهو أنّ للبلغاء في أسلوب اللفّ والنشر طُرقًا شتّى خلاف الظاهر سلكوا[٩] بها تارة تمامه بإعانة اللفّ على النشر وأخرى عكس ذلك.

قوله: (ليكونوا على أعينهم) يتعلّق[١٠] بالوجهين، أعني قوله: (مُتْبعين إيّاهم) وقوله: (متَّبعين لهم)، يشير إلى أنّه لا يختلف أصل المعنى سواء كان ﴿مُرْدِفِينَ﴾

---

[١] ما وقفتُ عليه في مظانّه. وهو في تفسير الرازي، ٢٤/٣٢ (العلق، ١٦/٩٦).

[٢] ن: المكسورة.

[٣] ر: المكسور.

[٤] ر – إلخ، اعلم أنّ في كلام المصنّف دقّة، فإنّه لمّا قسم المكسورة الدال.

[٥] ن: ثمة.

[٦] ر: المكسور.

[٧] ر + إلى آخره. اعلم أنّ في كلام المصنّف دقّة.

[٨] ر: بمعنى.

[٩] ر: يسلكوا.

[١٠] ر: متعلق.

أو: "متَّبعين لهم" يُشيِّعونَهم ويقدِّمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعيُنهم وحفظهم.

أو بمعنى: "متْبِعين أنفسَهم ملائكةً آخرين" أو: "متَّبعين غيرَهم من الملائكة"، ويعضد هذا الوجهَ قولُه تعالى في سورة آل عمران: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران ٣/١٢٤]، ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران ٣/١٢٥].

ومن قرأ: ﴿مُرْدَفِين﴾ بالفتح فهو بمعنى: "مُتْبَعين" أو "متَّبَعين".

وقرئ: "مُرِدِّفين" بكسر الراء وضمِّها وتشديدِ الدال، وأصله: "مُرتَدِفينَ"؛ أي: مترادِفِين، أو متَّبِعين، من "ارتدفَه"، فأُدْغمت تاءُ الافتعال في الدال فالتقى ساكنان، فحُرِّكت الراء بالكسر على الأصل أو على إتْباع الدال، وبالضمِّ على إتباع الميم.

وعن السُّدِّيّ: "بآلافٍ من الملائكة"، على الجمْع ليوافق ما في سورة آل عمران.

فإن قلتَ: فبِمَ تعتَذرُ لمن قرأ على التوحيد ولم يُفسِّر المردفين بإرْداف الملائكة ملائكةً آخرين، والمُرَدِّفين بارتدافهم غيرَهم.

مِن "أردفتُه إيّاه" إذا أتبعته، ومِن "أردفتُه" بمعنى اتّبعته، فإنّ أصل المعنى على الوجهين أنّ المؤمنين يتقدَّمون والملائكة يتأخَّرون ليكون المؤمنون على أعين الملائكة وحفظهم.

قوله: **(ويعضد هذا الوجه)**... إلخ؛ لأنّه يدلّ على أنّهم كانوا أكثر مِن الألف، فهذا الألف يُتبِعونهم أو يتَّبعونهم. والحاصل أنّه على هذا التقدير وهو أن يكون المعنى **(مُتبعين بعضهم بعضًا)** إلى قوله: **(حفظهم)** ألفًا فقط، وأمّا على قوله: **(أو بمعنى مُتبعين)** إلى قوله: **(مِن الملائكة)** يكونون أكثر مِن الألف.

قوله: **(على التوحيد)** أي:بألف. وقوله: **(بإرداف)** بمعنى الإتباع أو الاتّباع. وقوله: **(بارتدافهم)** هو الذي أشار إليه بقوله: **(مِن ارتدفَه)**.[١]

[١] ن: أردفه؛ ر: أردافه.

قلتُ: بأن المراد بالألْف: مَن قاتل منهم، أو الوجوهُ منهم الذين مَن سواهم أتباعٌ لهم.

فإن قلتَ: إلامَ يرجع الضميرُ في قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ﴾؟

قلتُ: إلى قوله: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾؛ لأن المعنى: فاستجابَ لكم بإمدادكم.

فإن قلتَ: ففيمَن قرأ بالكسر؟

قلتُ: إلى قوله: "إني ممدكم"؛ لأنه مفعول القول المضمَر، فهو في معنى القول، ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ﴿مُمِدُّكُم﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾؛ أي: إلَّا بشارةً لكم بالنَّصر كالسَّكِينة لبني إسرائيل، يعني: أنكم استغَثْتُم وتضرَّعْتُم لقلَّتكم وذلَّتكم، فكان الإمدادُ بالملائكة بشارةً لكم بالنَّصر وتسكينًا منكم وربطًا على قلوبكم.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يريد: ولا تحسَبوا النصرَ من الملائكة فإنَّ الناصر هو الله لكم وللملائكة، أو: وما النَّصرُ بالملائكة وغيرِهم من الأسباب إلّا من عند الله، والمنصورُ مَن نَصَرهُ الله.

قوله: (**فإن قلتَ: ففيمَن قرأ بالكسر؟**)،[1] أي: بكسر الهمزة في ﴿أَنِّي﴾، يعني: إذا قرئ ﴿أَنِّي﴾ بالفتح يكون وجهُ رجوع الضمير إليه ظاهرًا؛ لأنّه في معنى المفرد،[2] وهو الإمداد، وأمّا إذا قرئ بكسر الهمزة فرجوع الضمير إليه ممتنع؛ لأنّه في معنى الجملة. فأجاب بأنّه أيضًا في معنى المفرد مِن حيث إنّه مقول القول، ومقول القول[3] إن[4] كان جملة فهو معنى القول.

---

١ قراءة شاذة، مرويّة عن عيسى بن عمر، والقُورسي عن أبي جعفر، واللؤلؤي عن أبي عمرو. **المغني في القراءات** للنَّوزاوازي، ص ٨٧٨.

٢ ر: الفرد.

٣ ن - ومقول القول.

٤ ن ر: فإن.

﴿إذ يَغْشاكُم﴾ بدلٌ ثان من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾ أو منصوبٌ بـ﴿ٱلنَّصْرُ﴾ أو بما في ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ من معنى الفعل، أو بـ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أوْ بإضمار "اذكُر".

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

وقرئ ﴿يُغشيكم﴾ بالتخفيف والتشديد ونصب ﴿ٱلنُّعَاسَ﴾ والضميرُ لله تعالى. و﴿أَمَنَةً﴾ مفعول له.

فإن قلتَ: أمَا وَجَب أن يكون فاعلُ الفعل المعلَّل والعلَّةُ واحدًا؟

قلتُ: بلى، ولكنْ لمَّا كان معنى ﴿يغشاكم النُّعاسُ﴾: تنْعَسُون، انتصبَ ﴿أَمَنَةً﴾ على أنَّ النعاسَ والأَمَنةَ لهم، والمعنى: إذ تنعسون أمنَةً بمعنى: أمْنًا؛ أي: لأَمْنكم.

و﴿مِنْهُ﴾ صفةٌ لها؛ أي: أمنةً حاصلةً لكم من الله.

فإن قلتَ: فعلى غيرِ هذه القراءة؟

قوله: "ففيمَن قرأ بالكسر؟"، أي: فما تصنع فيمَن[١] قرأ بكسر الهمزة، فإنّها ليست في تأويل المفرد؟ فأجاب: أجعله مقولًا للقول؛ لأنّ التقدير: فاستجاب لكم وقال: إنّي ممدكم. كأنه قيل: ما جعل الله ذلك القول، أي: "إنّي ممدُّكم" إلّا بشرى.

قوله: (**فإن قلتَ: أما وَجَب**) هذا السؤال وارد على قراءة الفتح في الياء[٢] من ﴿يَغْشَاكُم﴾[٣] / وأمّا على القراءتين الأُخريين[٤] فسيجيء حكمُها. وفي هذا [٣٦٣ظ] السؤال حذف، أي: ليس فاعلهما واحدًا ههنا؛[٥] لأنّ فاعل الفعل المعلّل هو النعاس وفاعل العلّة، أي: الآمنة، هو القوم المخاطَبون.

قوله: (**بلى، ولكن**) استدراك عن محذوف، فكأنّه قال: بلى يجب، وههنا بحسب ظاهر اللفظ، لكن لمّا كان قوله: (**فإن قلتَ: فعلى غير هذه القراءة؟**)

---

١ ر: في قراءة مَن.

٢ ر: الباء.

٣ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو. النشر لابن الجزري، ٢/٢٧٦.

٤ ر: الأخيرتين.

٥ ن – ههنا.

قلتُ: يجوز أن تكون الأمَنَةُ بمعنى الإيمان؛ أي: يُنعِسكم إيمانًا منه، أو على: يُغشِّيكم النُّعاس فتنعسون أَمْنًا.

فإن قلتَ: هل يجوز أن ينتصِب على أن الأمَنَةَ للنُّعاس الذي هو فاعلُ ﴿يَغْشَاكم﴾؛ أي: يغشاكم النعاسُ لأمْنِهِ، على أن إسناد الأَمْنِ إلى النُّعاس إسنادٌ مجازيٌّ، وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنّه أنامَكم في وقتٍ كان من حقِّ النعاسِ في مثلِ ذلك الوقت المَخُوف أن لا يُقْدِم على

أي:فما تقول، أو[1] فما جوابك على غير هذه القراءة؟ وهو ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾،[2] و﴿يُغشِيكُم﴾.[3]

قوله: (**قلتُ: يجوز أن تكون الأمْنَة**) الإيمان: مصدر آمنه ضد خوّفه.[4] وقوله: (**أو على يُغشّيكم**) عطف على قوله: (**يُنعِسكم**)[5] والصواب أنّه عطف على "يجوز"... إلخ، يعني: تكون أمنة بمعناه، ويكون عامله محذوفًا. أجاب أنّ الفاعل على القراءتين هو الله تعالى، أي: **يُغشِّيكم الله إيمانًا منه، أو يُغشِّيكم الله النعاسَ فتنعسون أمنًا**، على أنّ عامله مضمر و﴿أَمَنَةً﴾ **بمعنى آمنًا**.

قوله: (**فإن قلتَ: هل يجوز؟**) هذا السؤال كالسؤال الأوّل مختصّ بما إذا كان الباء مفتوحًا.

قوله: (**على أنّه أنامَكم**) يريد أنّه[6] يكون استعارة بالكناية، وهي: أن يُذكَر المشبَّه ويُراد به المشبَّه به دالًا على ذلك بنصب القرينة، وهي أن يُنسَب إلى المشبَّه ما هو مِن اللوازم المساوية للمشبه به،[7] **فيكون قد شبّه النعاس بشخص يجيء إليهم ويبيّتهم**[8] **في وقت مخوف، ثمّ ذكر النعاس وأراد ذلك الشخص**،

---

[1] ر: أي.

[2] قرأ بها ابن عامر والكسائي وحمزة وعاصم ويعقوب وخلف. **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٧٦.

[3] قرأ بها نافع وأبو جعفر. **النشر** لابن الجزري، ٢٧٦/٢.

[4] انظر: **الصحاح** للجوهري، «أمن».

[5] ن: يغشيكم.

[6] ن: أن.

[7] الكلام بلفظ قريب في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٨٧.

[8] ن: قوله.

غِشْيَانكم، وإنما غَشِيَكم أمنَةً حاصلةً له من الله لولاها لم يَغْشَكم، على طريقة التمثيل والتَّخييل؟

قلتُ: لا تَبْعدُ فصاحةُ القرآن عن احتماله وله فيه نظائرُ، وقد أَلَمَّ به مَن قال:

يهابُ النومُ أن يغشَى عيونًا تهابُك فهو نفَّارٌ شَرُودُ

وقرئ: "أمْنة" بسكون الميم، ونظيرُ أَمِنَ أمَنَةً: حَيِيَ حياةً، ونحوُ أَمِنَ أَمْنَةً: رَحِمَ رَحْمةً، والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كان يَمنعُهم من النوم، فلمَّا طَمْأَنَ اللهُ قلوبَهم وآمَنَهم رَقدوا.

والقرينةُ ذِكر الأمَنة فإنّها مِن لوازم المشبَّه به المساوية له؛ لأنّ الأمَنة لا تكون للنعاس، فتبع هذه[1] الاستعارة بالكناية الاستعارة التخييليّة؛ لأنّ إضافة اللازم المساوي للمشبّه به إلى المشبه لا يكون إلّا على سبيل التخييل، فحاصل الكلام المذكور في السؤال أنّه: هل يجوز أن يكون مجازًا في الإسناد، أو يكون استعارة بالكناية قد تبعها استعارة تخييليّة؟

قوله: (**على طريقة التمثيل والتخييل**) وإلّا فكيف يكون النعاس خائفًا وآمنًا تحقيقًا.

قوله: (**وله فيه نظائرُ**) أي:ولهذا الوجه في **القرآن** نظائرُ.

قوله: (**مَن قال**) هو صاحب **الكشّاف**.[2] وقوله: (**يهاب**) البيت، أي: يخاف النوم أن يغشى عيون أعدائك ومخالفيك، ولا ينامون مِن خوفك. و(**تهابك**) صفة لـ(**عيونًا**). وقوله: (**فهو**) يعود إلى (**النوم**). يقال: نفرت الدابّة نفورًا، وفرس شرود يستعصي عليك.

قوله: (**حَيِيَ حياة**) أصله "حَيَية" قُلبت ألفًا لتحريك الياء وانفتاح ما قبلها، وكُتبت ألفه واوًا للتفخيم.[3]

---

[1] ر + هذه.
[2] ونسبه إليه أيضًا الطِّيبي في فتوح الغيب، ٧/٤٠.
[3] ن ر: لتفخيم.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: النعاسُ في القتال أمنَةٌ من الله، وفي الصلاة وَسْوسةٌ من الشيطان.

﴿وَيُنَزِّلُ﴾ قرئ بالتخفيف والتثقيل.

وقرأ الشَّعْبِيُّ: "ما لِيُطهِّرَكم به"، قال ابن جنِّي: "ما" موصولةٌ وصلتُها حرفُ الجرِّ بما جرَّه، فكأنَّه قال: ماءً للطُّهور.

و﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: وسوستَه إليهم، وتخويفَه إيَّاهم من العطش.

وقيل: الجنابةُ؛ لأنها من تخييله.

وقرئ: "رجسَ الشيطان"؛ وذلك أن إبليسَ تَمثَّلَ لهم وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء، ونزل المؤمنون في كثيبٍ أعفَرَ تَسُوخُ فيه الأقدامُ على غيرِ ماءٍ، وناموا فاحتَلَم أكثرُهم، فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحقِّ، وإنكم تُصلُّون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتُم، ولو كنتُم على حقٍّ ما غلبكم هؤلاء على الماء، وما ينتظرون بكم إلَّا أن يَجْهدَكم العطشُ، فإذا قطع العطشُ أعناقكم مشَوا إليكم فقتلوا مَن أحبُّوا وساقوا بقيَّتكم إلى مكة، فحزنوا حُزْنًا شديدًا وأشفقوا، فأنزل الله المطرَ فمُطِرُوا ليلًا حتى جَرى الوادي، واتخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابُه الحِياضَ على عُدْوة الوادي وسَقوا الرِّكابَ واغتسلوا وتوضؤوا، وتَلبَّدَ الرَّملُ الذي كان بينهم وبين العدُوِّ حتى ثبَتَتْ عليه الأقدام وزالتْ وسوسةُ الشيطان وطابت النفوسُ.

والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ للماء، ويجوز أن يكون للرَّبط؛ لأن القلب إذا تمكَّن فيه الصَّبرُ والجُرأةُ ثبتت القَدَمُ في مواطن القتال.

قوله: (أعفرَ) الأعفر: الرمل الأحمر. وقوله: (تسُوخ) يقال: «ساخَت[1] قوائمه في الأرض تسوخ وتسيخ إذا دخلت فيها وغابت»[2].

---

[1] ن: ساخته.

[2] الصحاح للجوهري، «سوخ».

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ يُوحِى﴾ يجوز أن يكون بدلًا ثالثًا من ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ﴾ وأن ينتصب بـ﴿يُثَبِّتَ﴾.

﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ مفعول ﴿يُوحِى﴾.

وقرئ: "إني" بالكسر على إرادة القول، أو على إجراءِ ﴿يُوحِى﴾ مُجْرى «يقول»؛ كقوله: "إني ممدُّكم".

والمعنى: أنّي مُعِينُكم على التثبيت فثبّتوهم.

وقوله: ﴿سَأُلْقِى... فَٱضْرِبُوا۟﴾ يجوز أن يكون تفسيرًا لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾

قوله: (و﴿إِذْ يُوحِى﴾ يجوز)... إلخ، الواو في "و﴿إِذْ يُوحِى﴾" واو **الكشّاف**، وفي بعض **النُّسخ** بغير الواو كما[١] هو لفظ **القرآن**.

قوله: (أنّي[٢] مُعينكم)[٣] أيّها الملائكة. وقوله: (**على التثبيت**) أي:[٤] على تثبيتكم المؤمنين.

قوله: (**ويجوز أن يكون تفسيرًا**) أي:يكون قوله: ﴿سَأُلْقِى﴾ تفسيرًا لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ وقوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ تفسيرًا[٥] لقوله: ﴿فَثَبِّتُوا۟﴾، والخطاب للملائكة، فعلى هذا الوجه يكون الملائكة قد قاتلوا يوم بدر، وكذا على الوجه الثاني لِما سيتحقق.

قوله: (**واجتماعهما**)، يعني أنّ المقصود مِن قوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟﴾ مع تفسيرهما وهو ﴿سَأُلْقِى﴾ ﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ أنّ الله تعالى ينصر المؤمنين. **فقال المصنّف**: باجتماع إلقاء الرعب والضربِ تحصل رعاية النصرة.

قوله: (﴿**سَأُلْقِى**﴾ ﴿**فَٱضْرِبُوا۟**﴾[٦] **يجوز أن يكون تفسيرًا**) اعلم أنّ قوله: ﴿فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ/ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ تفسير[٧] لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾، وقوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ [٣٦٤و]

---

١ ر: وكما.
٢ ن: أي.
٣ ن: يعينكم.
٤ ر: أو.
٥ ر – أي: يكون قوله: ﴿سَأُلْقِى﴾ تفسيرًا لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾، وقوله: ﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾ تفسيرًا.
٦ ر – إنّ الله تعالى ينصر المؤمنين، فقال المصنّف: باجتماع إلقاء الرعب والضرب تحصل رعاية النصرة. قوله: ﴿سَأُلْقِى﴾ ﴿فَٱضْرِبُوا۟﴾.
٧ ن ر: تفسيرًا.

ولا معونةَ أعظمُ من إلْقاء الرُّعْب في قلوب الكفرة، ولا تثبيتَ أبلغُ من ضَرْب أَعناقهم، واجتماعُهما غايةُ النصرة، ويجوز أن يكون غيرَ تفسير، وأن يراد بالتثبيت: أن يُخْطِروا ببالهم ما تَقْوَى به قلوبُهم وتصحُّ عزائمُهم ونيَّاتُهم في القتال، وأن يُظهروا ما يتيقَّنون به أَنهم مُمَدُّون بالملائكة.

﴿وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾ تفسير لقوله: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وثانيهما ألّا يكون تفسيرًا لذلك، وحينئذٍ يحتمل وجهين:

أحدهما أن يكون معنى قوله: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم، بنحو "إنّي سمعت مِن المشركين يقولون: والله لئن حملوا علينا لننكشفنّ" وبنحو "أبشروا فإنّ الله ناصركم"، ويكون قوله: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ استئنافًا؛ لأنّه لمّا قيل: فأوقعوا في قلوب المؤمنين ما تقوى به[١] قلوبهم بنحو "إنّي سمعت مِن المشركين يقولون: والله"، وأظهروا ما يتيقّنون به أنّهم قد أمدّوا بالملائكة فقالوا: "فماذا يكون إذن"، فأجيبوا بقوله: ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ وعند ذلك ف﴿ٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

وثانيهما أن يكون قوله: ﴿سَأُلۡقِي﴾... إلخ، بعينه ملقًى[٢] للملائكة، وهذا أيضًا يحتمل وجهين: **أحدهما** أن يكون مقولًا للقول على سبيل البيان، **وثانيهما** على الاستئناف على طريقة السؤال والجواب كما صرّح به.

قوله: **(وقيل: كان المَلَك)** هذا على الاستئناف على طريقة السؤال والجواب، كما صرّح به.

قوله: "وقيل: كان المَلَك" هذا[٣] إلى قوله: **(لننكشفنّ)** تبيين لقوله: **(أن يُخطِروا)** إلى قوله: **(في القتال)**. وقوله: **(يمشي بين الصفّين)**... إلخ، تبيين لقوله: **(أن يُظهروا)**... إلخ، والصواب أن يقول: المراد بالإخطار ببالهم الإلهام. وأمّا قوله: "كان" فهو معنى **(أن يُظهروا ما[٤] يتيقّنون به)**.

---

[١] ر - به.

[٢] ر: ملقيًا.

[٣] ر - على الاستئناف على طريقة السؤال والجواب كما صرّح به قوله: وقيل: كان الملك هذا.

[٤] ر: بنا.

وقيل: كان الملَكُ يتشبَّه بالرجل الذي يعرفون وجهَه، **فيأتي فيقول: إني سمعتُ المشركين يقولون:** والله لئن حملوا علينا لنَنْكشِفَنَّ، ويَمشي بين الصَّفَّيْن فيقول: أبشِروا فإن الله ناصرُكم؛ **لأنكم تعبدونه، وهؤلاء لا يعبدونه.**

وقرئ: ﴿الرُّعُب﴾ بالتثقيل.

﴿فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ أرادَ: أعاليَ الأعناق التي هي المذابحُ؛ **لأنها مفاصلُ فكان إيقاعُ الضرب فيها** حزًّا وتَطْبِيرًا للرؤوس.

وقيل: أراد الرؤوسَ؛ لأنها فوق الأعناق، يعني: ضرب الهام، قال:

وضـربـي هـامـةَ الـبـطـلِ الـمُـشِـيـحِ

وقال آخر:

غشَّيتُه وَهْـو فـي جَـأْوَاءَ باسلةٍ عَضْبًا أصابَ سوَاءَ الرأس فانْفَلَقا

قوله: "لننكشفن" كشفتُ الشيء فانكشف، فالمراد الهزيمة.

قوله: **(بالتثقيل)** يريد بالتثقيل ضمةَ العين.

قوله:

(وضربـي[1] هامـةَ البطـلِ المُشـيحِ)[2]

المُشيح: المسرع، أشاح في الأمر إذا جدّ فيه. شايَحَ وأشاح: **جدّ في الأمر لغة هُذيل، وفي لغة غيرهم شايَحَ وأشاح: حَذِر.[3]**

قوله: **(غشّيتُه)[4]** البيت. **(في جأواءَ)**،[5] أي: في كتيبة سوداء. والحوّة: سواد الحديد، الجأواء: العسكر الذي اسودّ مِن كثرة السلاح.[6] والبسالة: الشجاعة.

---

١ ن ر: واضرب.

٢ عجز بيت لعمرو بن الإطنابة، صدره:

وإقـدامـي عـلـى الـمـكـروه نفـسي

وله روايات أخرى. والبيت له في **الوحشيّات** لأبي تمّام، ص ٧٧؛ وكتاب **الألفاظ** لابن السكّيت، ص ٣٢٤؛ **والحيوان** للجاحظ، ٦/٤٢٥؛ **وحماسة البحتري**، ص ٣٩؛ **وأمالي القالي**، ١/٢٥٨؛ **وغريب الحديث** للخطابي، ١/٦٢٦.

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «شيح».

٤ ن: عشية؛ ر: عيشته.

٥ البيت لبلعاء بن قيس في **ديوان المعاني لأبي هلال**، ١/١١٤؛ **وشرح الحماسة** للمرزوقي، ١/٦٠.

٦ انظر: **الصحاح** للجوهري، «جأي».

والبنانُ: الأصابعُ، يريد: الأطرافَ، والمعنى: فاضربوا المَقَاتِلَ والشَّوى؛ لأن الضرب إما واقعٌ على مَقتلٍ أو على غيرِ مَقتل، فأمرهم بأن يَجمعوا عليهم النوعين معًا.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿سَأُلْقِي﴾ إلى قوله: ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ عَقيبَ قوله: ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تلقينًا للملائكة ما يثبّتونهم به، كأنّه قال: قولوا لهم قولي: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ أو كأنّهم قالوا: كيف نُثبّتُهم؟ فقال: قولوا لهم قولي: ﴿سَأُلْقِي﴾ فالضَّاربون على هذا هم المؤمنون.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل، ومحلُّه الرفعُ على الابتداء، و﴿بِأَنَّهُمْ﴾ خبرُه؛ أي: ذلك العقابُ وقع عليهم بسبب مُشاقَّتهم، والمشاقَّةُ: مشتقَّةٌ من الشَّق؛ لأن كِلَا المتعادِيَيْن في شِقٍّ خلافَ شِقِّ صاحبه.

والعَضْب:[١] السيف القاطع. والسواء: الوسط. يقول: رُبَّ فارس صفته كذا وكذا أنا ضربتُه وهو في جيش تامّ السلاح بسيف قاطع وسط رأسه فشقَّه.[٢]

قوله: (والشَّوى) «الشَّوى: اليدان والرجلان والرأس مِن الآدميين، وكلّ ما ليس مَقْتلًا،[٣] يقال: رماه فأشواه إذا لم يُصب المَقتَل، ويقال: إن مِن القول كلمة لا تُشوي ولكن تقتل».[٤]

قوله: (ويجوز أن يكون قوله: ﴿سَأُلْقِي﴾) ذكر المصنّف لقوله: ﴿فَثَبِّتُواْ﴾ ثلاثة أوجه.

قوله: (فالضاربون على هذا هم المؤمنون) وعلى الوجهين الأوّلين كان الضاربون هم الملائكة.

---

١ ر: والصعب.

٢ ما أورده في شرح هذا البيت أكثره بلفظ قريب في **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٦٠/١.

٣ ر: مقتل.

٤ **الصحاح** للجوهري، «شوى».

وسئلتُ في المنام عن اشتقاقِ المعاداة فقلتُ: لأن هذا في عُدْوةٍ وذاك في عُدوةٍ، كما قيل: المخاصمة والمشاقَّةُ؛ لأن هذا في خُصْم -أي: في جانبٍ- وذلك في خُصْم، وهذا في شِقٍّ وذاك في شِقٍّ.

والكافُ في ﴿ذَٰلِكَ﴾ لخطاب الرسول، أو لخطاب كلِّ واحد، وفي ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ للكفرة على طريقة الالتفات، ومحلُّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الرفعُ على: ذلكم العقابُ، أو: العقابُ ذلكم ﴿فَذُوقُوهُ﴾.

ويجوز أن يكون نصبًا على: عليكم ذلكم فذوقوه؛ كقولك: زيدًا فاضرِبْه.

﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ في وَجْهَيْه، أو نصبٌ على أن الواو بمعنى "مع"، والمعنى: ذوقوا هذا العذابَ العاجلَ مع الآجل الذي لكم في الآخرة، فوُضع الظاهرُ موضع الضمير.

قوله: (**سئلتُ في المنام**) اعلم أنّ هذه الرؤيا كان إشارة للمصنّف إلى أنّه يعادي مَن لا تجوز معاداتهم مِن الأئمّة العظام والعلماء الكرام هم أهل السنّة والجماعة، ليتنبّه بعد تنبُّه مِن النوم فتنبّه ولم ينتبه.[1] اللّٰهمّ اعفُ عنه واغفر له وارحمه.

قوله: (**في عُدوةٍ**) "العُدوة القصوى" [الأنفال ٨/٤٢]،[2] «والجمع عِداءٌ، مثل بُرمة[3] وبِرام ورِهمة ورِهام».[4] «الرِّهام: المطرة الضعيفة الدائمة».[5]

قوله: (**على طريقة الالتفات**) التفت مِن الغيبة في قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ﴾ إلى الخطاب في قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

قوله: (**في وَجْهَيه**)[6] الضمير عائد إلى ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، ويريد بالوجهين: أن يكون مرفوعًا على الابتداء، أو الخبر، والتقدير: أنّ للكافرين عذاب النار العقاب، / أو العقابُ أنّ للكافرين عذاب النار. وإنّما قيّد بقوله: "في وجهيه"؛ لأنّه إذا قيل: محلّ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ نصب لا يجوز عطف ﴿أَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ عليه، إذ لا يستقيم المعنى. [٣٦٤ظ]

---

[1] ن: يتنبه.

[2] والعدوة: المكان المرتفع. **الصحاح** للجوهري، «عدا».

[3] ر: بومة.

[4] **الصحاح** للجوهري، «عدا».

[5] **الصحاح** للجوهري، «رهم».

[6] ن: وجهه.

وقرأ الحسن: "وإنَّ للكافرين" بالكسر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾

﴿زَحۡفٗا﴾ حالٌ من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والزَّحفُ: الجيشُ الدَّهْم الذي يُرى لكثرته كأنّه يَزْحَفُ؛ أي: يَدِبُّ دبيبًا، من زَحَفَ الصبيُّ: إذا دَبَّ على اسْتِه قليلًا قليلًا، سمِّي بالمصدر، والجمعُ: زُحُوفٌ، والمعنى: إذا لقِيتُموهم للقتال وهم كثيرٌ جمٌّ وأنتم قليلٌ فلا تَفِرُّوا، فضلًا أن تُدانوهم في العدد أو تُساوُوهم.

أو حال من الفريقين؛ أي: إذا لقِيتُموهم متزاحِفِينِ هم وأنتم.

أو حالٌ من المؤمنين؛ ....

ثمّ اعلم أنّ هذا المعنى الذي ذكره المصنّف مُشكِل؛ إذ لا يستقيم أن يكون المعنى "العقابُ أنّ للكافرين عذاب النار"؛ لأنّ ثبوت العقاب لهم ليس هو العذاب، وكذا في وجه النصب؛ إذ لا يصحّ أن يقال: "ذُوقوا أنّ لكم عذاب النار"، أي: ذوقوا ثبوت العذاب. والوجه عندي أن يقال: ﴿أَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ مبتدأ محذوفُ الخبر، وهو "مستحَقّ" أو "حاصل"، أي: ثبوتُ العذاب للكافرين متحصّل أو حاصل. وهذه الجملة عطف على الجملة المتقدِّمة، وهي ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ مع مبتدأه أو خبره، لا على ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ المفرد. وكأنّه مراد المصنّف.

قوله: (الدَّهْم) «العدد الكثير».[1]

قوله: (أو حال مِن الفريقين) وإذا كان حالًا مِن الفريقين فليس[2] الزَّحْف بمعنى الجيش الدَّهْم؛ بل على معناه الأصليّ وهو المصدر، لكن تقدير المضاف، أي: ذوي زَحْف مِن الزحوف، أي: جمعٌ كثير مِن الجموع الكثيرة.

---

[1] الصحاح للجوهري، «دهم».

[2] ن ر - فليس.

كأنّهم أُشعِروا بما كان سيكون منهم يوم حُنينٍ حين تولّوا مُدْبِرين وهم زَحْفٌ من الزُّحوف اثنا عشَر ألفًا، وتقدَّمه نهْيٌ لهم عن الفِرار يومئذ، وفي قوله: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أَمارةٌ عليه.

﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ هو الكرُّ بعد الفرّ، يُخيِّلُ عدوَّه أنه منهزمٌ ثم يَعْطِف عليه، وهو بابٌ من خُدع الحرب ومكايدها.

﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: أو مُنحازًا ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: إلى جماعةٍ أخرى من المسلمين سوى الفئةِ التي هو فيها، وعن ابن عمر رضي الله عنه: خرجَتْ سَريةٌ وأنا فيهم، ففرُّوا، فلما رجعوا إلى المدينة استحيَوْا فدخلوا البيوتَ، فقلتُ: يا رسول الله نحن الفرَّارون! فقال: «بل أنتم العكَّارون وأنا فئتُكم».

وانهزم رجلٌ من القادسيَّة فأتى المدينةَ إلى عمرَ رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، هلكتُ، فررتُ من الزَّحف، فقال عمرُ: أنا فئتُك.

قوله: (**وتقدَّمه نهيٌ**) عطف مِن حيث المعنى على قوله: (**كأنّهم أُشعِروا**)، كأنّه قيل: هو إشعارٌ وتقدَّمه نهيٌ.[1]

قوله: (**أمارةٌ عليه**) أي:على أنّه تقدَّمه نهيٌ.

قوله: (**استحيَوا**) أي:استحيَوا مِن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فلم يأتوه في غاية الحياء.

قوله: (**«بل أنتم العكّارون»**) أي:الكرّارون، يقال: عَكَر على العدو إذا حمل عليه.

قوله: (**«وأنا فئتكم»**)،[2] يعني: فيكونون داخلين في قوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾.

قوله: (**فررتُ**)[3] بيان (**هلكتُ**).

---

[1] ر - عطف مِن حيث المعنى على قوله: (كأنّهم أشعروا)، كأنّه قيل: هو إشعار وتقدَّمه نهي.

[2] **مسند أحمد**، ٢٨١/٩ (٥٣٨٤)؛ **سنن أبي داود**، ٢٨٤/٤ (٢٦٤٧)؛ **سنن الترمذي**، ٢٦٧/٣ (١٧١٦).

[3] ر: ففرت.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: إنَّ الفرار من الزحف من أكبرِ الكبائر.

فإن قلتَ: بمَ انتصب ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾؟

قلتُ: على الحال و﴿إِلَّا﴾ لَغْوٌ، أو على الاستثناء من المولِّين؛ أي: ومَن يُولِّهم إلّا رجلًا منهم متحرِّفًا أو متحيِّزًا.

وقرأ الحسن: "دُبْرَه" بالسكون.

ووزن "متحيِّز": متفَيْعِلٌ لا متفعِّلٌ؛ لأنه مِن حاز يحوز، فبناءُ متفعِّلٍ منه: مُتحوِّزٌ.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

لمّا كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخُر، فكان القائل يقول: قتلتُ وأسرتُ، ولمَّا طلعَتْ قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه قريشٌ قد جاءت بخُيَلائها وفخرها يكذِّبون رسولك، اللّهمَّ إني أسأَلُكَ ما وعَدْتَني، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: خذ قبضةً من ترابٍ فارْمِهم بها، فقال لمَّا التقى الجمعان لعليٍّ: «أعطني قبضةً من حصباء الوادي» فرمى بها

قوله: (و﴿إِلَّا﴾ لغوٌ) أي:و﴿إِلَّا﴾[1] لغوٌ في اللفظ، مُعطية في المعنى فائدتَها، أي: إلى مَن يولهم في حال مِن الأحوال ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾. يريد سيبويهِ باللغو بقاء المستثنى على إعرابه قبل دخول "إلّا".[2]

قوله: (ولمّا طلعَت قريش) «ابن السكِّيت: طلعتُ على القوم: أتيتُهم».[3]

قوله: (قُبضةً)[4] «القُبضة بالضمّ: ما قبضت عليه مِن شيء، يقال: أعطاه قُبضة مِن زَبيب أو سَويق، أي: كفًّا منه، وربّما جاء بالفتح».[5]

---

[1] ر: إلا.

[2] ذكره سيبويه في غير موضع من كتابه. انظر مثلًا: **كتاب سيبويه**، ٧٦/٣.

[3] **الصحاح** للجوهري، «طلع».

[4] الحديث بمعناه في **مسند أحمد**، ٤٨٦/٤ (٢٧٦٢)؛ **وصحيح مسلم**، ١٤٠٢/٣ (١٧٧٧).

[5] **الصحاح** للجوهري، «قبض».

في وجوههم وقال: «شاهت الوجوه» فلم يبق مشركٌ إلا شُغِل بعينيه، فانهزموا وردِفَهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ والفاء جوابُ شرطٍ محذوف تقديرُه: إن افتخرتُم بقتلهم فأنتم لم تَقْتلوهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾؛ لأنّه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرُّعب في قلوبهم، وشاء النصرَ والظفرَ، وقوَّى قلوبكم، وأذهب عنها الفزعَ والجزعَ.

﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أنت يا محمَّد ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ يعني: أن الرَّمية التي رميتَها لم تَرْمها أنت على الحقيقة؛ لأنك لو رميتَها لَمَا بلغ أثرُها إلَّا ما يبلغُه أثرُ رمي البشر، ولكنَّها كانت رَمْيةَ الله حيث أثَّرتْ ذلك الأثرَ العظيمَ، فأثبتَ الرَّمْية لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ صورتَها وُجدَتْ منه ونفاها عنه؛ لأنَّ أثرها الذي لا يُطيقُه البشرُ فِعْلُ الله تعالى، فكأنَّ الله هو فاعل الرَّمْيةِ على الحقيقة، وكأنها لم تُوجَدْ من الرَّسول أصلًا.

وقرئ ﴿ولكنِ ٱللَّهُ قَتَلَهم﴾، ﴿ولكنِ ٱللَّهُ رَمَى﴾ بتخفيف "لكنْ" ورفعِ ما بعده.

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: وليُعطيَهم ﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾: عطاءً جميلًا، قال زُهيرٌ:

فأَبْلاهُما خيرَ البلاءِ الذي يَبْلو

والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فَعَل ما فَعَل وما فعله إلَّا لذلك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

قوله: (لأنّ أثرها الذي لا يُطيقها البشر فِعلُ الله)، فكأنّه نظر إلى لفظ الأثر فقال: "الذي"، وإلى اكتسابه التأنيث[1] بالإضافة فقال: "لا يُطيقها" فأنّث الضمير العائد على "الذي" بهذا[2] التأويل.

قوله:

(فأبلاهما خيرَ البلاء الذي يبلو)[3]

---

[1] ن ر: والتأنيث.

[2] ن ر: بها.

[3] البيت لزهير بن أبي سُلمى في ديوانه، ص ٩١؛ وهو له في الصحاح للجوهري، «بلا»؛ والمقصور والممدود للقالي، ٣٦٠/١؛ والزاهر لابن الأنباري، ٢٤٦/١.

﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٨﴾

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارةٌ إلى البلاء الحسن ومحلُّه الرفع؛ أي: الغرضُ ذلكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ﴾ معطوف على ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، يعني: أن الغرض إبلاءُ المؤمنين وتَوْهينُ كيد الكافرين.

وقرئ: ﴿مُوَهِّنُ﴾ بالتشديد، وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٩﴾

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ خطابٌ لأهل مكَّة على سبيل التهكُّم، وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلَّقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللّٰهمَّ انصُرْ أقرانا للضيف وأَوْصَلَنا للرَّحم وأفكَّنا للعاني، إن كان محمدٌ على حقٍّ فانْصُرْه، وإن كنَّا على حقٍّ فانصرنا.

وروي: أنهم قالوا: اللّٰهمَّ انصر أَعْلى الجُنْدَيْن، وأَهْدى الفئتين، وأكرم الحِزْبَين.

وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: ....

أوّله:

جــزى الله بـالإحســان مـا فـعـلا بكم

الإبلاء: الإعطاء، أي: جزى الله تعالى[1] الممدوحين[2] بالإحسان جزاء ما فعلا بكم، وأعطاهما الله خير العطاء الذي يُعطى لأحد. و"الذي يبلو" فاعل "أبلاهما"[3] وهو الله تعالى.

قوله: (أي: الغرض ذلكم) وعند أهل السنَّة: الحكمة ذلكم.

قوله: (أن ينفروا) أي:يخرجوا إلى الحرب.

---

[1] ر - تعالى.

[2] ر: المندرجين.

[3] ر: بلاهما.

اللَّهمّ أيُّنا كان أهجَرَ وأَقْطعَ للرَّحم فأحِنْهُ اليوم، أي: فأهْلِكْه.

وقيل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ خطابٌ للمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ خطابٌ للكافرين، يعني: وإن تنتهوا عن عداوةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وأسلمُ.

﴿وَإِن تَعُودُواْ﴾ لمحاربتِهِ ﴿نَعُدْ﴾ لنصرتهِ عليكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ قرئ بالفتح على: ولأن الله مُعينُ المؤمنين كان ذلك، وقرئ بالكسر، وهذه أَوْجَهُ، ويعضدُها قراءة ابن مسعود: "والله مع المؤمنين".

وقرئ: "ولن يغنيَ عنكم" بالياء؛ للفصل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَلَا تَوَلَّوْاْ﴾ قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامِها.

والضمير في ﴿عَنْهُ﴾ لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ المعنى:

قوله: **(فأحِنْه)** «الحين بالفتح: الهلاك. قيل:[1] حان الرجل، أي: هلك، وأحانه[2] الله».[3]

قوله: **(وهذه أوجَه)** أي: القراءة بكسر "إنّ" في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أوجَه مِن القراءة بالفتح.[4]

قوله: **(ويعضدها قراءة ابن مسعود)**؛[5] لأنّ الجملتين على هذا التقدير ابتدائيّتان.

قوله: **(للفصل)** أي: ذُكر للفصل بين الفعل، وهو ﴿تُغْنِيَ﴾ وفاعله وهو ﴿فِئَتُكُمْ﴾.

قوله: **(لأنّ المعنى)**، يعني أفرد الضمير على الوجهين. ثمّ شرع في تفسير الآية

---

[1] ر: نقل.

[2] ر: وأحاله.

[3] ن + تعالى. | **الصحاح** للجوهري، «حين».

[4] قرأ بالكسر ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف وعاصم في رواية أبي بكر، وقرأ بالفتح نافع وابن عامر وأبو جعفر وحفص عن عاصم. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٣٠٥؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٢٧٦.

[5] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٨٨٤.

وأطيعوا رسول الله؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة ٩/٦٢]؛ ولأن طاعةَ الرسول وطاعةَ الله شيءٌ واحدٌ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء ٤/٨٠]، فكأن رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما؛ كقولك: الإحسانُ والإجمال لا ينفعُ في فلان.

ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة؛ أي: ولا تولَّوْا عن هذا الأمر وامتثالِهِ وأنتم تسمعونه، أو: ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالِفوه.

﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾؛ أي: تُصدِّقون؛ لأنكم مؤمنون لَسْتُم كالصُّمِّ المكذِّبين من الكفَرة.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾؛ أي: ادَّعَوا السماع ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾؛ لأنهم ليسوا بمصدِّقين فكأنَّهم غيرُ سامعين.

والمعنى: أنكم تصدِّقون بالقرآن والنبوَّة، فإذا تولَّيتم عن طاعة رسول الله في بعض الأمور من قسمةِ الغنائم وغيرها كان تصديقُكم كلا تصديقٍ، وأشبهَ سماعُكم سماعَ مَن لا يؤمن.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣﴾

ثم قال: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾؛ أي: إن شرَّ مَن يَدِبُّ على وجه الأرض، أو: إن شرّ البهائم الذين هم صُمٌّ عن الحق لا يَعْقلونه، ....

على كلّ واحد مِن الوجهين[١] مِن مرجع الضمير، لكن قدّم الثاني على الأوّل، فهو قريب مِن اللفّ والنشر المشوَّش. ومعنى السماع في ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ على أن يعود الضمير / إلى الأمر بالطاعة على الحقيقة، وعلى العود إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مجاز[٢] عن التصديق. [٣٦٥و]

قوله: (أو إنّ شرّ البهائم) هذا محمول على العُرف العامّ، وعلى الأوّل على عُرف اللغة.

---

[١] ن + قوله؛ ر + خيرًا.

[٢] ر: فجاز.

جعَلهم من جنس البهائم ثمّ جعلهم شرَّها.

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ في هؤلاء الصُّمِّ البُكم ﴿خَيْرًا﴾؛ أي: انتفاعًا باللُّطف ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾: لَلَطف بهم حتى يسمعوا سماعَ المصدِّقين، ثم قال:

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟﴾ يعني: ولو لَطَف بهم لَمَا نفع فيهم اللطفُ فلذلك منعهم ألطافَه.

قوله: (جَعَلهم)... إلخ، وذلك أنّه لمّا قيل: "شرّ الدوابّ" حُكم عليهم بأنّهم مِن جنس البهائم؛ لأنّ مِن شرط "أفعل" التفضيل المضاف إذا قُصد التفضيل على المضاف إليه أن يكون من جنسه، فيلزم أن يكون[١] هؤلاء الأشرار مِن جنس البهائم، ولمّا جَعَلهم شرّها لزم أنّهم شرّ مِن جميع البهائم. وقوله: (ثمّ جَعَلهم) إشارة إلى أنّ الحكم عليهم بالشرارة أعظم وأطمّ مِن جَعْلهم مِن جنس البهائم،[٢] فـ"ثمّ" في لفظ[٣] المصنّف لتراخي الرتبة لا لتراخي الزمان.

قوله: (جَعَلهم مِن جنس البهائم، ثمّ جَعَلهم شرّها) إذن بهذا الجَعْل بأنه في باب التشبيه، وأنّ أصل التشبيه الصمّ[٤] البُكم كالبهائم، ثمّ الصمّ[٥] البُكم[٦] كشرّ[٧] البهائم، ثمّ شرّ البهائم كالصمّ[٨] البُكم،[٩] على التقديم والتأخير، نحو قول الشاعر:

وبدا الصباح كأنّ غُرّته وجهُ الخليفة حين يُمتدَحُ[١٠]

قوله: (ولو لَطَف) أي:لو لَطَف[١١] بهم حين عَلِم عدم انتفاعهم باللطف لَما نفع فيهم. وحاصل المعنى أنّ قوله: ﴿لَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾

---

[١] ر - في جنسه فيلزم أن يكون.

[٢] ر - ولمّا جعلهم شرها لزم أنّهم شر مِن جميع البهائم. وقوله: (ثمّ جعلهم) إشارة إلى أنّ الحكم عليهم بالشرارة أعظم وأطم مِن جعلهم مِن جنس البهائم.

[٣] ن: لفظة.

[٤] ر: الضم.

[٥] ر: الضم.

[٦] ر: إليكم.

[٧] ر: كثير.

[٨] ر: كالضم.

[٩] ر: إليكم.

[١٠] ر: يمدح. | البيت لمحمّد بن وُهَيب في **ديوانه** ٦٩/١ (ضمن **شعراء عبّاسيون** للسامرائي)، وهو له في **سرّ الفصاحة** لابن سِنان، ص ٤٠١، و**أسرار البلاغة** لعبد القاهر، ص ٢٢٣، ٢٢٧، و**الإيضاح** للقزويني، ص ٣٦١، وبلا عزو في **نهاية الإيجاز** للفخر الرازي، ص ١٢٦، و**مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٤٥١. وهو شاهد للبلاغيين على التشبيه المقلوب.

[١١] ن: لفظ.

أو: ولو لطف بهم فصدَّقوا لارْتدُّوا بعدَ ذلك وكذَّبوا ولم يستقيموا.

وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصيٍّ، لم يُسلمْ منهم إلَّا رجلان: مُصْعَبُ بن عُمَيْر وسُوَيْدُ بن حَرْمَلَة، كانوا يقولون: نحن صمٌّ بكمٌ عميٌ عما جاء به محمدٌ لا نسمعُه ولا نُجيبُه، فقُتلوا جميعًا بأُحدٍ وكانوا أصحابَ اللِّواء.

وعن ابن جُرَيجٍ: هم المنافقون.

وعن الحسن: أهل الكتاب.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤﴾

﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ وُحِّد الضميرُ أيضًا كما وَحَّده فيما قبله؛ لأن استجابةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته، وإنما يُذكر أحدُهما مع الآخر للتوكيد، والمرادُ بالاستجابة: الطاعةَ والامتثال، وبالدَّعوة: البعثُ والتحريضُ.

ورَوى أبو هريرةَ رضي الله عنه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مرَّ على باب أبيٍّ بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجَّل في صلاته ثمَّ جاء، فقال:

دلّ على عِلمه تعالى[١] ألّا خير فيهم، فقال: لو أسمعهم حين علِم ألّا خير فيهم لتولَّوا. وتحقيقُ هذا المعنى أنّ "لو" كما تدلّ على الربط بين الجملتين تدلّ على انتفاء الأولى، فيكون التقدير: لكن ما علم فيهم خيرًا، ثمّ قال: ﴿لَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أي: لو أسمعهم حين لم يعلم فيهم خيرًا، يعني: حين لا خيرَ فيهم لتولَّوا. أو نقول: كما يدلّ على الربط بينهما دلّ على انتفاء الثاني، ويلزم منه انتفاء الملزوم، فيلزم أنّه لو يعلم فيهم خيرًا، ثمّ قالوا: لو أسمعهم خيرًا لم يعلم فيهم خيرًا لتولَّوا.

قوله: **(وكانوا أصحاب اللواء)** أحد مكارم العرب اللواءُ الذي قسم قصيٌّ[٢] بن[٣] كلاب بين أبنائهم.

---

[١] ر - علمه تعالى.
[٢] ر: القضا.
[٣] ر: بين.

«ما منَعك عن إجابتي؟» قال: كنتُ أُصلِّي، قال: «أَلَمْ تُخْبَرْ فيما أُوحي إليَّ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾» قال: لا جرمَ لا تدعوني إلَّا أَجَبْتُك.

وفيه قولان:

أحدُهما: إنَّ هذا ممّا اختصَّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والثاني: أن دعاءه كان لأمرٍ لم يحتمِلِ التأخيرَ، وإذا وقع مثلُه للمصلِّي فله أن يقطع صلاتَه.

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من علوم الدِّيانات والشرائع؛ لأن العلم حياةٌ كما أن الجهل موتٌ، ولبعضهم:

لا تُعجِبنَّ الجهولَ حُلَّتُه فذاك مَيْتٌ وثَوْبُه كفَنُ

وقيل: لمجاهدة الكفار؛ لأنهم لو رفضوها لغلَبوهم وقتلوهم؛ كقوله: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة ١٧٩/٢].

وقيل: للشهادة؛ لقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران ١٦٩/٣].

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ يعني: أنَّه يُميتُه فتَفوتُه الفُرصَةُ التي هو واجدُها، وهي التمكُّنُ من إخلاص القلب ومعالجةِ أَدْوائهِ وعلَلِه ورَدِّه سليمًا كما يريده الله، فاغتنِموا هذه الفرصةَ وأخلِصوا قلوبَكم لطاعة الله ورسوله.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيُثيبُكم على حسَبِ سلامةِ القلوب وإخلاصِ الطاعة.

قوله: **(إنّ هذا ممّا اختصّ)** أي:الاستجابة في الصلاة ممّا اختصّ به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

قوله: **(وإذا وقع مثلُه للمصلّي)** كإبطال الصلاة لإنجاء الغريق.

قوله: **(مِن علوم الديانات)** دانَ له، أي: أطاعه. ومنه الدِّين والجمع الأديان. يقال: دان بكذا دِيانة. وتديَّن به فهو ديِّن ومتديِّن. وديَّنتُ الرجل تديينًا إذا وكلتَه إلى دينه.[١]

---

[١] انظر: **الصحاح** للجوهري، «دين».

وقيل: معناه: إن الله قد يملك على العَبْد قلبَه فيفسَخُ عزائمَه ويُغيِّر نيَّاتِه ومقاصدَه، ويُبدِّلُه بالخوف أمنًا وبالأمن خوفًا، وبالذِّكر نِسيانًا وبالنسيان ذِكرًا، وما أشبَهَ ذلك مما هو جائزٌ على الله تعالى، فأمَّا ما يُثابُ عليه العبدُ ويُعاقَبُ من أفعال القلوب فلا.

والمُجبرةُ على أنّه يحولُ بين المرء والإيمان إذا كفَر، وبينه وبين الكفرِ إذا آمَنَ تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وقيل: معناه: أنه يَطَّلع على كلِّ ما يُخطِره المرءُ بباله لا يخفَى عليه شيءٌ من ضمائره؛ فكأنَّه يحول بينه وبين قلبه.

قوله: **(وقيل: معناه: إنّ الله تعالى قد يملك على العبد قلبَه)**... إلخ، وعند أهل السنّة تحمل الحيلولة على الحقيقة؛ لأنّ الله تعالى يمنع البعض عن الاهتداء ويُضلّه، ويمنع البعض عن الكفر فيهديه الإيمان.

قوله: **(والمُجبرة على أنّه)**... إلخ، هذا الذي نقله المصنّف عن أهل السنّة والجماعة هو قول المفسِّرين، نُقل عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير وعطاء رضي الله تعالى[1] عنهم في تفسير هذه الآية: يحول بين المؤمِن والكفر وبين الكافر والإيمان.[2] وقال السدّي: يحول بين الإنسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمِن ولا يكفر إلّا بإذنه،[3] ويدلّ على صحّة هذا التفسير ما روى أنس رضيَ الله تعالى[4] عنه قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكثر أن يقول: «يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك»، فقلت: يا نبيّ الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا، قال: «نعم إنّ القلوب بين أصبعين مِن أصابع الله يقلّبها كيف يشاء».[5]

/ قوله: **(وقيل: معناه أنّه يطّلع)**... إلخ، قال القاضي: «هذا تمثيل لغاية قربه مِن العبد، كقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق ٥٠/١٦]».[6] [٣٦٥ظ]

---

١ ر – تعالى.
٢ انظر: جامع البيان للطبري، ١١/١٠٧-١٠٨ (الأنفال ٨/٢٤).
٣ انظر: جامع البيان للطبري، ١١/١١١ (الأنفال ٨/٢٤).
٤ ر – تعالى.
٥ مسند أحمد، ١٩/١٦٠ (١٢١٠٧)؛ سنن الترمذي، ٤/١٦ (٢١٤٠).
٦ تفسير البيضاوي، ٢/١٥ (الأنفال ٨/٢٤).

وقرئ: "بين المرّ" بتشديد الراء، ووجهُه: أنّه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخبِ، ثم نوى الوقف على لغةِ مَن يقول: مررتُ بعُمَرّ.

﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾

﴿فِتۡنَةٗ﴾: ذنبًا، قيل: هو إقرارُ المُنكَر بين أظهرهم. وقيل: افتراقُ الكلمة.

وقيل: ﴿فِتۡنَةٗ﴾: عذابًا.

وقوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ لا يخلو من أن يكون جوابًا للأمر، أو نهيًا بعد أمرٍ، أو صفةً لـ﴿فِتۡنَةٗ﴾:

فإذا كان جوابًا فالمعنى: إنْ أصابتكم لا تُصِبِ الظالمين منكم خاصةً؛

قوله: (هو[1] إقرار المنكَر) أي: تمكين الفعل المنكَر بين المسلمين، مِن "أقرّه في مكانه" فاستقرّ.

قوله: (وقيل: افتراق الكلمة) هي أمر الله بالاتّفاق وأن يكونوا يدًا واحدة على غيرهم، مِن قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران ١٠٣/٣] أي: تمسّكوا بعهده ولا تنكثوا.[2] وفي الحديث: «المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على مَن سواهم».[3]

قوله: (﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ لا يخلو)... إلخ، إذا كانت الفتنة مفسَّرة بالذنب كان التقدير: "لا يصيبنّ[4] أثر الذنب"، كما سيجيء الإشارة إليه.

قوله: (فإذا كانت جوابًا فالمعنى)... إلخ، هو قريب مِن طريقة قولهم: "لا تدنُ مِن الأسد يأكلك"، فالمعنى إن لم تتّقوا فتنة لا تصيب[5] الظالمين منكم خاصّة؛ بل تعمّكم، فـ"مِن" للتبعيض. وأمّا على تقدير النهي فـ"مِن" للبيان، أي:

---

[1] ر - هو.

[2] ر: تنكروا.

[3] بلفظ قريب في مسند أحمد، ٢٦٧/٢ (٩٥٩)؛ وسنن أبي داود، ٣٧٩/٤ (٢٧٥١)؛ وسنن النسائي، ١٩/٨ (٤٧٣٤).

[4] ر - لا تخلو... إلخ، إذا كانت الفتنة مفسّرة بالذنب كان التقدير: لا يصيبن.

[5] ن: تصب.

ولكنها تعمُّكم، وهذا كما يُحكَى أن علماء بني إسرائيل نَهوْا عن المنكر تعذيرًا فعمَّهم الله بالعذاب.

وإذا كان نهيًا بعد أمرٍ فكأنَّه قيل: واحذَروا ذنبًا أو عقابًا، ثمّ قيل: لا تتعرَّضوا للظُّلم فيُصيبَ العقابُ أو أثرُ الذنب ووبالُه مَن ظَلَم منكم خاصَّةً.

وكذلك إذا جعَلْتَه صفةً على إرادة القول كأنَّه قيل: واتَّقوا فتنةً مقولًا فيها:

لا تُصيبنّكم خاصّة مِن بين[١] الظلَمة، وكذا على تقدير الصفة، أي: فتنة يقال فيها: لا تصيبنّكم خاصّة مِن بين الظلَمة،[٢] وكذا على قراءة ابن مسعود: "لَتُصِيبَنَّ".[٣] وحاصل المعنى: يكونون أحقّ بها مِن بين سائر الظلَمة. وفي هذا البيان نظر؛ لأنّه يقتضي أن يكون للتبعيض، فإذا كان للبيان، فالمعنى: لا تُصيبنّ الظالمين الذين هم أنتم خاصّة لا غيرُكم. وهذا هو الوجه، فتأمّل.

قوله: **(تعذيرًا)** التعذير[٤] في الأمر:[٥] التقصير، أي: لم يبالغوا في ذلك كما يجب؛ بل قصروا تقصيرًا، والتعذير في الأمور: التقصير فيه.

قوله:[٦] **(ثمّ قيل: لا تتعرّضوا)**، يعني أنّ النهي في قوله: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ وإن كان متوجِّهًا في الظاهر إلى الفتنة، لكنّ المراد نهيهم عن التعرُّض لها، فيئول المعنى إلى قوله: "لا تتعرّضوا"... إلخ، وعلى هذا تنكير ﴿فِتْنَةً﴾ للتعظيم. وقوله: **(مَن ظلم منكم خاصّة)** أي:لا يصيبنّكم خاصّة مِن بين الظلَمة فـ"مِن" للبيان، فيه نظر؛ بل المعنى "هم أنتم"، فيستقيم معنى البيان فيه.

قوله: **(وكذلك[٧] إذا جعلتَه صفة)** أي:كذلك إذا جعلتَه صفة فهو نهيٌ مِن حيث المعنى عن إصابة الفتنةِ الظالمين خاصّة، وإنّما قلنا: "نهي" لدخول نون التوكيد.[٨]

---

١ ن ر: بني.
٢ ر: الظلة.
٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي العالية وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن الزبير وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم. **المغني في القراءات** للنَّوْزاوازي، ص ٨٨٤.
٤ ن ر: التقصير.
٥ ر: الدمع.
٦ ر - قوله.
٧ ر: وكذا.
٨ ن: التأكيد.

لا تُصيبنَّ، ونظيرُه قولُه:

حتى إذا جَنَّ الظلام واختلَطْ   جاءوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذئبَ قطّ

أي: بمذقٍ مقولٍ فيه هذا القولَ؛ لأنه سَمَارٌ فيه لونُ الوُرْقة التي هي لَوْن الذئب، ويعضد المعنى الأخيرَ قراءةُ ابن مسعود: "لَتُصِيبنَّ" على جواب القسم المحذوف.

وعن الحسن: نزلَتْ في عليّ وعمّار وطلحةَ والزُّبيرِ رضي الله عنهم.

وهو يومُ الجَمَل خاصّةً، قال الزبير: نزلتْ فينا وقرأناها زمانًا وما أُرانا من أهلها، فإذا نحن المَعْنِيُّون بها.

وعن السدِّي: نزلَتْ في أهل بدرٍ فاقتَتلوا يوم الجَمَل.

وروي: أن الزُّبير كان يُسايرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يومًا إذ أقبل عليٌّ رضي الله عنه، فضحك إليه الزُّبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف حُبُّك لعليّ؟» فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، إنّي أُحِبُّه كحبّي لولدي أو أشدَّ حُبًّا، قال: «فكيف أنت إذا سِرْتَ إليه تُقاتِله»؟

قوله: **(يعضد المعنى الأخير)**؛[١] لأنّه لمّا كانت صفة على هذه القراءة، فكذا على غيرها القراءتان.

قوله: **(وما أُرانا مِن أهلها)** "أرى" بضمّ الهمزة ومضارع مجهول مِن باب "أرى يُري" متعدٍ إلى ثلاث مفاعيل، ومجهوله يُستعمَل بمعنى "أظنّ". فقوله: "أُرانا" متعدٍ إلى ثلاثة مفاعيل:[٢] **الأوّل** ما[٣] أقمتم مقام الفاعل، **والثاني** هو الضمير المنصوب المتّصل، **والثالث** "مِن أهلها"، أي: مِن أهل هذه الآية، أي: ممّن يتعلّق به هذه الآية.

قوله: **(الزُّبير)** هو الزُّبير بن العوّام.

قوله: **(فكيف أنت؟)** أي:على أيّ حال يكون حينئذٍ مِن الحبّ أو البغض.

---

١ ن ر: الآخر.

٢ ر – ومجهوله يستعمل بمعنى أظن فقوله: أرانا متعد إلى ثلاثة مفاعيل.

٣ ن ر – ما.

فإن قلتَ: كيف جاز أن تَدخُل النونُ المؤكِّدةُ في جوابِ الأمر؟

قلتُ: لأنّ فيه معنى النهي إذا قلتَ: اِنْزِلْ عن الدّابّة لا تَطْرَحْك، فكذلك جاز: لا تطْرحنَّك، و: ﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ و: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ [النمل ١٨/٢٧].

فإن قلتَ: فما معنى "مِن" في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾؟

قلتُ: التبعيضُ على الوجه الأوّل والتبيينُ على الثاني؛ لأنّ المعنى: لا تُصيبنَّكم خاصَّةً على ظلمكم؛ لأنّ الظلم ....

قوله: (**فإن قلتَ: كيف جاز؟**) هذا السؤال مختصّ بالوجه الأوّل، ووجهُ هذا السؤال أنّ جواب الأمر ليس فيه طلب، وهذه النون مختصّة بالطلب.

قوله: (**قلتُ: لأنّ فيه معنى[1] النهي**) وفي النهي طلب.

قوله: (**و﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾**) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [النمل ١٨/٢٧].

قوله: (**قلتُ: التبعيض على الوجه الأوّل**)، الوجه الأوّل هو أن يكون جوابًا للأمر، ومعناه: واتّقوا فتنة لا تصيبنّ بعضكم وهم / الذين ظلموا، ومحلّه نصب [٣٦٦و] على أنّه بدل مِن الذين ظلموا أو حال، أي: كائنين بعضكم، وهذا أوجَه.

قوله: (**والتبيين على الثاني**) إذا جعلناه للنهي وكذا الصفة، إذ هي أيضًا بمعنى النهي، فلذلك قال: "على الثاني".

قوله: (**لأنّ المعنى: لا تُصيبنّكم خاصّة**) فسر قوله تعالى: ﴿لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ﴾ على تقدير التبيين أن يقال: لا تصيبنّ الظالمين الذين هم أنتم.

قوله: (**لأنّ الظلم**) علّة[2] تخصيص الظالمين الذين هم أنتم بهذه الإصابة. وقوله: "لا تُصيبنّكم خاصّة"، يعني أنّ تلك الفتنة لا تُصيب أحدًا مِن الظلَمة غيرَكم؛ بل تخصُّكم مِن بين جميع الظلَمة لشدّة قبح الظلم منكم. واعلم أنّ في تقديره[3] البيان على هذا الوجه نظر؛ بل الوجه المكتوب تحته وفوقه أيضًا،

---

[1] ن: يعني.
[2] ر: على.
[3] ن ر: تقرّبه.

أقبحُ منكم من سائر الناس.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿إِذْ أَنتُمْ﴾ نَصْبُه على أنه مفعولٌ به مذكورٌ لا ظرفٌ؛ أي: اذكُروا وقتَ كونكم أقلَّةً أذلَّةً مستضعفين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مكَّة قبل الهجرة تستَضْعفُكم قريشٌ.

﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾؛ لأن الناس كانوا جميعًا لهم أعداءً منافِينَ مضادِّين.

﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾: بمظَاهرةِ الأنصار وبإمدادِ الملائكة يومَ بدر.

فالنهيُ متوجِّه في الظاهر إلى الفتنة، والمراد بالحقيقة نهيهم عن أن يتعرّضوا لتلك الفتنة، وقوله: "لا تُصيبنّكم خاصّة"، يعني: لمّا قال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ بيّنه بقوله: ﴿مِنكُمْ﴾، فكأنّه قيل: لا تُصيبنّ الظالمين الذين هم أنتم، فهذا هو تقدير أنّ "مِن"[1] للبيان لا غيره مِن **الحواشي**، فتأمّل.

قوله: (**أقبحُ منكم**) اعلم أنّ "منكم" و(**مِن سائر الناس**) كلاهما في محلّ الحال مِن الضمير في "أقبح" و"مِن" الذي يُستعمل مع[2] "أفعل" محذوف، والتقدير: الظلم منكم أقبح مِن الظلم مِن سائر الناس، نحو زيد قائمًا أحسنُ منه قاعدًا؛ بل الأَولى أن نقول: تقديره "الظلم أقبحُ صادرًا منكم مِن ظلم سائر الناس"، فمِن الذي صلة "أفعل" هو "مِن" في "مِن سائر الناس" والمضاف محذوف.

قوله: (**على أنّه مفعول به مذكور**) فإنّه إذا جُعل مفعولًا به لقوله: ﴿ٱذْكُرُواْ﴾ يكون مذكورًا[3] لا محالةَ، كما إذا جعلتَ "شيئًا" مفعولًا به لقولك: "اضرب" يكون مضروبًا لا محالةَ.[4]

---

[1] ر – من.
[2] ن ر – مع.
[3] ر: مضروبًا.
[4] ر + كما في.

﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: من الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: إرادةَ أن تشكروا هذه النِّعَمَ.

وعن قتادة: كان هذا الحيُّ من العرب أذلَّ الناس، وأشقاهم عَيْشًا، وأعراهم جِلْدًا، وأبينَهم ضلالًا، يُؤكَلُون ولا يأكلون، فمكَّن الله لهم في البلاد، ووسَّع لهم في الرِّزق والغنائم وجعلهم ملوكًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾

معنى الخَون: النَّقص؛ كما أن معنى الوفاء: التمامُ، ومنه: تَخَوَّنَهُ: إذا تنقَّصه، ثم استُعمل في ضدِّ الأمانة والوفاء؛ لأنَّك إذا خُنْتَ الرجلَ في شيء فقد أدخلْتَ عليه النقصان فيه، وقد استُعير فقيل: «خان الدَّلْوَ الكَرَبُ ....

قوله: (إرادةَ أن تشكروا) في تفسير ﴿لَعَلَّ﴾ بـ"إرادة" إشارةٌ إلى أنَّه متعلِّق بـ"آواكم"... إلخ، وفيه رمز إلى مذهبه، وأمَّا صاحب **الوسيط** فجَعَله متعلِّقًا بـ﴿ٱذْكُرُوٓاْ﴾، حيث قال: «المعنى: قابِلوا[1] حالكم التي[2] أنتم عليها الآن بتلك الحالة المتقدِّمة ليتبيَّن لكم موضع النعمة وتشكروا عليه، وهو قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾».[3]

قوله: (يُؤكَلون ولا يأكلون) أي: يُساسون ولا يَسوسون، وهو مِن قولهم: «مأكول حِمْيَر خير مِن آكلها»،[4] أي: مَرعيُّها خير مِن راعيها.

قوله: (خان الدلوَ الكَرَبُ) الكَرَب: حبل قصير يُوصَل بالرشاء ويُلوى على العَرَاقي، سُمي كَرَبًا؛ لأنَّه يكرب، أي: يقرب مِن الدلو.[5] والعَراقي جمع عَرْقُوة: وهي خشبة طرف الدلو.[6]

---

[1] ر: قاتلوا.

[2] ن: أي.

[3] **الوسيط** للواحدي، ٤٥٣/٢ (الأنفال ٢٦/٨).

[4] القول لعمرو بن عنبسة. وقصد أنَّ المأكول الرعيّة والآكلون الملوك، جعلوا أموال الرعيّة لهم مأكَلَة، أراد أنَّ عوّام أهل اليمن خيرٌ مِن ملوكها. انظر: **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٥٩/١؛ **ولسان العرب** لابن منظور، «أكل».

[5] انظر: **الصحاح** للجوهري، «كرب»؛ **وأساس البلاغة** للزمخشري، «أكل».

[6] انظر: **الصحاح** للجوهري، «عرق».

وخانَ المُشْتارَ السببُ»؛ لأنه إذا انقطَع به فكأنَّه لم يفِ له، ومنه قوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾.

والمعنى: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ بأن تُعَطِّلوا فرائضَه ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ بأن لا تَسْتَنُّوا به، و﴿أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ فيما بينكم بأن لا تحفظوها.

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تَبِعَةَ ذلك ووَبالَه.

وقيل: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم تخونون، يعني: أن الخيانة تُوجد منكم عن تعمُّدٍ لا عن سهوٍ.

وقيل: وأنتم علماءُ تعلمون قبحَ القبيح وحُسنَ الحَسَن.

وروي: أن النبي صلى الله عليه وسلم حاصَرَ يهودَ بني قريظةَ إحدى وعشرين ليلةً، فسألوا الصلحَ كما صالح إخوانَهم بني النَّضير على أن يَسِيروا إلى أَذْرِعاتٍ وأَرِيحاءَ من أرض الشام، فَأَبَى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلَّا أن يَنزِلوا على حُكم سَعْد بن معاذٍ، فأَبَوْا وقالوا: أرسلْ إلينا أَبَا لُبابَةَ مروانَ بن عبد المنذر، وكان مُناصحًا لهم؛ لأنَّ عيالَه وماله في أيديهم، فبعثَه إليهم فقالوا له: ما ترى، هل نَنْزِلُ على حُكم سعد؟ فأشار إلى حَلْقه: أنه الذَّبحُ، قال أبو لُبابَة: فما زالت قدَمَاي ....

قوله: (وخان المُشتارَ السببُ) المشتار: الذي يجتني العسل مِن الكوارة، مِن اشتار العسل: اجتناه.[1] والسبب: ما يُتوصَّل به إلى[2] اجتناء العسل؛ لأنّ «السبب: كلّ شيء يُتوصّل به».[3]

قوله: (أذرِعات) وُضع هكذا علمًا لموضع مخصوص، وليس جمع أذرِعة، وهي[4] معرّفة مصروفة مثل[5] عرفات.

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «شور».

[2] ن - إلى.

[3] ر - اجتناء العسل؛ لأنّ السبب: كلّ شيء يُتوصّل به. | **الصحاح** للجوهري، «سبب»، وتمام الكلام فيه: «إلى غيره».

[4] ن ر: هي.

[5] ر: مثله.

حتّى علمتُ أنّي قد خُنتُ الله ورسولَه، فنزلت، فشدَّ نفسه على ساريةٍ من سَوَاري المَسْجد وقال: واللهِ لا أَذُوقُ طعامًا ولا شرابًا حتى أموتَ أو يتوبَ اللهُ عليَّ، فمكَث سبعةَ أيام حتى خَرَّ مَغْشيًّا عليه، ثم تاب الله عليه فقيل له: قد تيبَ عليك فحُلَّ نفسَك، فقال: لا والله لا أَحُلُّها حتى يكونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يَحُلُّنِي، فجاءه فحلَّه بيده فقال: إنَّ مِن تمام توبتي أَن أهجُرَ دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذَّنبَ وأَنْ أَنْخَلِعَ من مالي، فقال صلى الله عليه وسلم: «يجزيكَ الثلثُ أن تتصدَّق به».

وعن المغيرة: نزلَتْ في قتل عثمانَ رضي الله عنه.

وقيل: ﴿أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾: ما ائتَمَنكم اللهُ عليه من فرائضه وحدوده.

فإن قلتَ: ﴿تَخُونُوٓا۟﴾ أَجزمٌ هو أم نصبٌ؟

قلتُ: يحتمِل أن يكون جزمًا داخلًا في حكم النهي، وأن يكون نصبًا بإضمار "أنْ" كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [البقرة ٢/٤٢].

وقرأ مجاهد: "وتخونوا أمانتَكم" على التوحيد.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

جَعل الأموالَ والأولاد فتنةً ....

قوله: **(حتّى علمتُ أنّي قد خنتُ)** وكان حقّه "حتّى ندمتُ". فقوله: "حتّى علمتُ" يدلّ على أنّه صدر ذلك منه سهوًا، ولم يكن منتبهًا[1] لكون ذلك خيانة، لصدوره عنه مِن غير قصد ورويّة، ثمّ بيّنه لكونه خيانة.

قوله: **(أن تتصدّق به)**[2] بدل مِن قوله: **(الثلث)**،[3] ومعنى **(يجزئك)**:[4] يكفيك. يقال: «أجزأني[5] الشيء، أي: كفاني».[6]

---

١ ن: متنبهًا.

٢ **الكشف والبيان** للثعلبي، ٧٢/١٣-٧٣ (الأنفال ٢٧/٨).

٣ ر: الثلاث.

٤ ر: يحزنك.

٥ ر: أحسن بي.

٦ **الصحاح** للجوهري، «جزأ».

لأنهم سببُ الوقوع في الفتنة وهي الإثمُ أو العذابُ.

أو: مِحْنةٌ من الله ليَبْلوَكم كيف تُحافظون فيهم على حدوده.

و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ فعليكم أن تَنُوطُوا بطلبه وبما تؤدِّي إليه هِمَمُكم، وتَزهَدوا في الدنيا ولا تَحْرَصوا على جَمْعِ المال وحُبِّ الولد حتّى تُورِّطوا أنفسكم من أجلهما؛ كقوله: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ﴾ الآية، وقيل: هي من جملة ما نزَل في أبي لُبابَةَ وما فَرط منه لأجل مالِه وولدِه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

قوله: (**أو مِحنةٌ مِن الله تعالى**)[١] عطف على قوله: (**سببُ الوقوع**). فقوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ / وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾، أي: مِحنة مِن الله ليبلوكم. كقوله: [٣٦٦ظ] ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الكهف ١٨/٤٦]. وقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ كقوله: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ [الكهف ١٨/٤٦].

قوله: (**حتّى تُورّطوا**) أي:تُوقعوا أنفسَكم إلى الورطة. و«الوَرطة: الهلاك، قال رؤبة:

فأصبحـــوا فـــي ورطـــة الأوراطِ[٢]

قال أبو عبيد: أرض[٣] الورطة أرض مطمئنّ لا طريقَ فيها. وورّطه وأورطه توريطًا، أي: أوقعه في الورطة. وتورَّط هو فيها. قال: الوراطة:[٤] الخديعة والغش. وفي الحديث: 'لا خِلاطَ ولا وِراطَ'.»[٥] ويقال: هو كقوله عليه السلام: 'لا يُجمَع بين متفرِّق، ولا يُفرَّق بين مجتمع، خشية الصدقة'».[٦]

---

[١] ر - تعالى.

[٢] الرجز لرؤبة بن العجّاج في ديوانه، ص ٨٦؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «ورط»؛ و**الفائق** للزمخشري، ٣/٣١٦.

[٣] في مطبوع **الصحاح**: أصل.

[٤] في مطبوع الصحاح: الوِراط.

[٥] **المعجم الكبير** للطبراني، ٢٠/٣٣٥ (٧٩٥)؛ **شعب الإيمان** للبيهقي، ٣/٣٤ (١٣٦٤).

[٦] **الصحاح** للجوهري، «ورط». والحديث في **صحيح البخاري**، ٢/١١٧(١٤٥٠)؛ وسنن أبي داود، ٣/٣٠ (١٥٨٠).

﴿فُرْقَانًا﴾: نصرًا؛ **لأنه** يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطل، وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلامِ بإعزاز أهله، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال ٤١/٨].

أو: بيانًا وظهورًا يُشَهِّرُ أمرَكم ويَبُثُّ صِيتَكم وآثاركم في أقطار الأرض، من قولهم: "بتُّ أَفعلُ كذا حتى سَطعَ الفرقانُ"؛ أي: طلع الفجرُ.

أو: مَخْرجًا من الشُّبهات وتوفيقًا وشرحًا للصُّدور.

أو: تَفْرقةً بينكم وبين غيركم من أهل الأديان، وفضلًا ومزيَّةً في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

لمَّا فتح الله عليه ذكَّره مَكْرَ قُريشٍ به حين كان بمكَّة؛ ليشكرَ نِعمةَ الله في نجاته من مَكْرهم واستيلائه عليهم، وما أتاحَ اللهُ له من حُسْن العاقبة، والمعنى: واذكُرْ إذْ يَمْكرون بك.

وذلك أنَّ قريشًا لمَّا أسلمتِ الأنصارُ ....

قوله: (**﴿فُرْقَانًا﴾ نصرًا**) فإنّ الفرقان ما يُفرّق به، والله تعالى يفرّق بالنصر بين الحقّ والباطل. فذكر لقوله: ﴿فُرْقَانًا﴾ وجوهًا، وهي أن يكون نصرًا أو بيانًا أو مَخرجًا أو تفرقة، فأيّها أحسن. قلتُ: الجمع بينها؛ لأنّ هذه الآية كالخاتمة لجميع ما سبق، بدليل عَوده إلى بدء القصة، وهو قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ و"أو" في كلام المصنّف للتخيير، كما في قولك: جالسِ الحسنَ أو ابن سيرين.

قوله: (**لمّا فتح الله تعالى[1] عليه ذكّره**)، يعني: بعد أن فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مِن أمر قريش بتمامه ذكّره بدء حالهم معه ليعتبر فيشكر.

---

[1] ر - تعالى.

وبايَعوه فَرِقُوا أن يتفاقم أمرُه، فاجتمعوا في دار النَّدْوة متشاورين في أمره، فدخل عليهم إبليسُ في صورة شيخ وقال: أنا شيخٌ من نجدٍ ما أنا من تِهامةَ، دخلتُ مكَّةَ فسمعتُ باجتماعكم فأردتُ أن أحْضُركم، ولنْ تَعْدَمُوا منِّي رأيًا ونُصحًا، فقال أبو البَخْتَرِيِّ: رأيي أنْ تحبِسوه في بيت وتَشدُّوا وَثاقَهُ وتسدُّوا بابَه غيرَ كُوَّةٍ تُلقون إليه طعامَه وشرابَه منها، وتتربَّصوا به رَيْبَ المنون، فقال إبليس: بئس الرأي؛ يأتيكم مَن يقاتلكم من قومه ويُخلِّصه من أيديكم، فقال هشام بن عَمْرو: رأيي أن تحمِلوه على جَمَلٍ وتُخرجوه من بين أظهُركم فلا يضرُّكم ما صنَع واسترَحْتُم، فقال إبليس: بئس الرأيُ، يُفسد قومًا غيرَكم ويقاتلكم بهم، فقال أبو جهل: إني أرى أن تأخذوا من كلِّ بَطنٍ غلامًا وتُعطوه سيفًا صارمًا، فيَضربوه ضربَةَ رجلٍ واحدٍ فيتفرَّقَ دمُه في القبائل، فلا يقوَى بنو هاشم على حرب قريشٍ كلِّهم، فإذا طلبوا العَقْلَ عقَلْناه واسترحنا، فقال الشيخ: صدَق هذا الفتَى هو أجودُكم رأيًا، فتفرَّقوا على رأي أبي جهل مجمِعين على قتله، فأخبرَ جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأمَرَه أن لا يبيتَ في مضجَعِه، وأذنَ له الله في الهِجرة، فأمَر عليًّا رضي الله عنه فنام في مضجعه، وقال له: «اتَّشِح ببُردَتي، فإنَّه لن يَخْلُصَ إليك أمرٌ تكرَهُهُ»، وباتوا مترصِّدين،

قوله: **(في دار الندوة)** الندوة: مجلس[١] القوم ومتحدَّثهم،[٢] ومنه سُمّيت دار الندوة التي بمكّة، بناها قصيّ؛ لأنّهم كانوا يَنْدون[٣] فيها، أي: يجتمعون للمشاورة.[٤]

قوله: **(بايعوه)** أي:بيعة العقبة.

قوله: **(أبو البَختريّ)** هو مِن بني عبد الدار.

قوله: **(بئس الرأي، يأتيكم)** المخصوص بالذمّ محذوف. وقوله: "يأتيكم" ابتداء كلام لبيان كون ذلك الرأي مذمومًا.

قوله: **(اتّشح)**[٥] يقال: توشّح الرجل بثوبه وسيفه.

---

[١] ر: فجلس.

[٢] ر: ومتخذهم.

[٣] ر: ينذرون.

[٤] انظر: **الصحاح** للجوهري، «ندا».

[٥] ر: اتشح.

فلمَّا أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبْصروا عليًّا، فبُهتوا وخَيَّبَ اللهُ سَعْيَهم، واقتصُّوا أثرَه فأبطل الله مكرَهم.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: ليَسجنوك أو يُوثِقُوك أو يُثخِنُوك بالضرب والجَرْح، من قولهم: ضربوه حتى أَثْبَتوه لا حراكَ به ولا بَرَاح، وفلانٌ مُثبَتٌ وجَعًا.

وقرئ: "ليُثبِّتوك" بالتشديد، وقرأ النَّخَعِيُّ: "ليُبيِّتوك" من البيات.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: "ليُقيِّدوك"، وهو دليلٌ لمن فسَّره بالإيثاق.

﴿وَيَمْكُرُونَ﴾: ويُخْفون المكائدَ له ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: ويُخفِي اللهُ ما أعدَّ لهم حتّى يأتيَهم بغتةً.

﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾؛ أي: مَكْرُه أنفذُ مِن مكر غيره وأبلغُ تأثيرًا، أو لأنه لا يُنْزِلُ إلَّا ما هو حقٌّ وعدلٌ، ولا يصيبُ إلَّا بما هو مستوجَبٌ.

قوله: **(أو يثخنونك)** مِن أثخنته الجراحة، أي: أوهنته.

قوله: **(أو لأنّه لا ينزل إلّا ما هو حقّ)** عطف على قوله: **(مكرُه أنفذُ مِن مكر غيره)** فعلى **الأوّل** التركيب مِن باب قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم ١٩/٧٦]، وقولهم: "الصيف أحر مِن الشتاء"،[١] أي: أنّه فسّر مكرهم بقوله: **(ويُخفون المكائد له)**، ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بقوله: **(ويخفي الله ما أعدّ لهم حتّى يأتيهم بغتة)**، ثم جمعهما[٢] في قوله: ﴿خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾، وفسّره بقوله: إن مَكْره أبلغ تأثيرًا ولا شكّ ألّا خيرَ في مكرهم؛ بل هو شرّ بحت،[٣] لكن المراد بالخير أنّ مكر الله أبلغ تأثيرًا في بابه مِن الخير مِن مكرهم في بابه مِن الشرّ،[٤] فالخيرُ على هذا بمعنى التفضيل والتعريف في الماكر للعهد.

وأمّا الوجه **الثاني** فلا شرّ[٥] فيه؛ لأنّه مِن باب "أعدلا[٦] بني مروان"؛[٧] وذلك لأنّ ما يفعله الله لا يكون إلّا حقًّا وعدلًا، وتسميته بالمكر على سبيل الاستعارة

---

[١] ن ر + ذلك.
[٢] ر: جمعها.
[٣] ر: تحت.
[٤] ن – من الشر.
[٥] ن: تشريك.
[٦] ر: لأعدلا.
[٧] وقولهم بتمامه: الناقص والأشجّ أعدلا بني مروان. انظر: **شرح المفصّل** لابن يعيش، ٣/٥.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ نَفَاجَةٌ منهم وصَلَفٌ تحت الرَّاعِدة، فإنهم لم يَتَوانَوْا في مشيئتهم لو ساعدتْهم الاستطاعةُ، وإلّا فما منَعَهم ....

بجامع الإخفاء والأخذ بغتةً، فشبّه صورة صنعِ الله ذلك معهم بصورة صُنع المخادع المحتال، ثمّ سُمّي[1] مكرًا، فالتعريف للجنس، يؤيّده قوله في "الأعراف": ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف ٩٩/٧] استعارةٌ لأخذه العبد مِن حيث لا يشعر ولاستدراجه. وذهب القاضي إلى المشاكلة، وقال: في أمثال هذا لا يجوز الإطلاق ابتداء لِما فيه مِن إبهام الذمّ، وإنّما يحسن بالمزاوجة.[2] وهو وجه أيضًا.

قوله: (﴿هَٰذَآ﴾ نَفاجةٌ) رجل نفّاج: صاحب كبر وفخر.[3] و"الصلف":[4] قلّة الخير وقلّة المطر. و(الراعدة): سحابة ذات رعد ليس تحتها مطر. و«يقال: "صَلَف تحت الراعدة" لمَن يُكثر الكلام ولا خيرَ عنده».[5]

[٣٦٧و] قوله: / («صَلَفٌ تحت الراعدة»)[6] قولهم: "صَلَف تحت الراعدة" أصل معناه أنّه ينبغي أن يكون تحت السحابة الراعدة مطر،[7] وهذه السحابة ليس تحتها مطر وإنّما تحتها هو الصلف المجرّد.

قوله: (لو ساعدتْهم) جواب "لو" محذوف يدلّ عليه (لم يَتَوانوا)[8] والتواني في الحاجة: التقصير فيها.

قوله: (وإلّا فما مَنَعهم) أي:إن[9] لم يكن نفاجة وصَلَف.

قوله: "وإلّا" هي "إن" الشرطيّة أُدغِمت نونه في اللام وفعلُ الشرط محذوف،

---

[1] ر - سمّي.
[2] انظر: **تفسير البيضاوي**، ١٧/٢-١٨ (الأنفال، ٢٩/٨).
[3] انظر: **الصحاح** للجوهري، «نفج».
[4] ر: وانصلف.
[5] **الصحاح** للجوهري، «رعد».
[6] **مجمع الأمثال** للميداني، ٢٩٤/١.
[7] ر: المطر.
[8] ن: توانوا.
[9] ن ر: وإن.

إن كانوا مستطيعين أن يشاءوا غلبَةَ مَن تحدَّاهم وقرَّعَهم بالعجز حتّى يفوزوا بالقِدْح المُعَلَّى دونه، مع فَرْط أَنفَتِهم واستنكافهم أن يُغلَبوا في باب البيان خاصَّةً، وأَنْ يُماتِنَهم واحدٌ فيتعلَّلوا بامتناع المشيئة، ومع ما عُلم وظَهَر ظهورَ الشمس من حرصهم على أنْ يَقْهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتَهالُكِهم على أن يَغْمروه.

وقيل: قائله النَّضرُ بن الحارث المقتولُ صَبْرًا حين سَمِعَ اقتصاصَ الله أحاديثَ القرون: لو شئتُ لقلتُ مثلَ هذا، ....

أي: إن لم يكن قولهم: مجرّد نفاجة وصَلَفٍ فما منعهم أن يقولوا.[١] الشرط والجزاء محذوفان، أي: إن لم يكن مجرّد صَلَف عارضوه وقابلوه، ثمّ قرر ذلك بقوله: "فما منعهم؟".

قوله: **(بالقِدح المعلّى)** المراد بالقِدح قِدح المَيْسِر. وَصَفه بالمعلّى؛ لأنّ نصيبه أكثر مِن نصيب سائر القِداح، إذ له سبعة أنصباء.

قوله: **(مع فَرْط)** متعلِّق مِن حيث المعنى بقوله: **(حتّى يفوزوا)** فإنّهم كانوا يشاءون ذلك للفوز ولفرط أنفتهم المفرِطة، وهذا هو الوجه.

قوله: **(وأن يُماتِنَهم)** المماتنة أن يقول أحد الشاعرين لصاحبه: ماتنّي،[٢] أي: جئ بشعر كما جئت أنا بشعر لننظر أيّهما أمتن.[٣] فقوله: "ماتنّي" أمر مِن المماتنة،[٤] فيه نون الوقاية قبل ياء الضمير.

قوله: **(فيتعلّلوا)**،[٥] أي: ما منعهم أن يشاءوا فيتعلّلوا،[٦] فهو جواب الاستفهام.

قوله: **(المقتول صبرًا)** «يقال: قُتل فلان صبرًا وحَلَف صبرًا إذا حُبس حتّى يقتل أو على اليمين حتّى يحلف».[٧]

قوله: **(لو شئتُ)** بدل مِن الضمير في **(قائله)**، ويجوز أن يقال: القول مقدَّر، والتقدير: قال حين سمع: "لو شئت"، بل هذا متعيِّن، ولا يجوز جَعْله بدلًا

---

[١] ن ر: يقول.
[٢] ر: ماثين.
[٣] ر: أمثن.
[٤] ر: المماثنة.
[٥] ر: فتعللهم.
[٦] **الصحاح** للجوهري، «صبر»، وفيه: «إذا حُبس على القتل حتّى يُقتل».
[٧] ر: فيتعلوا.

وهو الذي جاءَ من بلاد فارسَ بنُسخةِ حديثِ رُسْتُم وأسفنديار، فزَعم أنَّ هذا مثلُ ذلك، وأنه من جملة تلك الأساطير.

وهو القائلُ: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾، وهذا أسلوبٌ من الجحود بليغٌ، يعني: إن كان القرآنُ هو الحقَّ فعاقِبْنا على إنكاره بالسجّيل -كما فعَلْتَ بأصحاب الفيل- أو بعذابٍ آخر، ومرادُه نفيُ كونه حقًّا، وإذا انتفى كونُه حقًّا لم يستوجِبْ مُنكِرُه عذابًا، فكان تعليق العذاب بكونه حقًّا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطلُ حقًّا فأمْطِرْ علينا حجارةً، وقوله: ﴿هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ تهكُّم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحقُّ.

وقرأ الأعمش "هو الحقُّ" بالرفع على أن "هو" مبتدأ غيرُ فصْلٍ، وهو في القراءة الأولى فَصْلٌ.

للزوم الفصل بين البدل والمبدَل منه بالظرف وهو أجنبيّ عنهما، ومثلُه غير جائز، وأشار المصنّف إلى هذا المعنى في أوّل سورة الفرقان.

قوله: "وإلّا فما منعهم" أي:وإن لم يكن نفاجة[١] فما منعهم أن يشاءوا غلبة مَن تحدّاهم حتّى يفوزوا بالقِدح المعلّى دون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. فقوله: **(إن كانوا مستطيعين)**[٢] شرط جزاؤه ما دلّ عليه "ما منعهم"، الجملة الشرطية معترضة. و**(أن يشاءوا)** مفعول "منعهم". و**(قرّعهم)**[٣] **عطف**[٤] على **(تحدّاهم)**. "حتّى يفوزوا" غاية "أن يشاءوا". **(مع فرط**[٥] **أنفتهم)** حال مِن مفعول "منعهم"، أي: فما منعهم مع أنفَتهم ونخوتهم المفرطة. و"أن يُماتِنَهم" عطف على **(أن يُغلبوا**[٦] **فيتعلّلوا)**، قيل: هو جواب الاستفهام، والظاهر أنّه عطف على "يُماتِنَهم"، أي: استنكفوا أن يطلبوا بالمماتنة فيتعلّلوا فيها بامتناع المشيئة؛ لأنّهم ما كانوا مستنكفين عن مجرَّد المماتنة، فكيف ودأبهم المفاخرة

---

[١] ن - نفاجة؛ ر: تفاجة.
[٢] ن ر: مستضعفين.
[٣] ن: وفزعهم.
[٤] ر - عطف.
[٥] ر: شرط.
[٦] ر: فغلبوا.

ويقال: "أمْطرت السماء"؛ كقولك: أنْجَمَتْ وأَسْبلَتْ، و: "مَطَرَتْ" كقولك: هَتَنَتْ وهَتَلَت، وقد كَثُرَ الإمْطارُ في معنى العذاب.

والمساجلة ورثوها كابرًا عن كابر،[١] كما قال المصنّف في خطبة **الكشّاف**: «إن أتاهم أحد[٢] بمفخرة[٣] أتوه بمفاخر، وإن رماهم بمأثرة رمَوه بمآثر»،[٤] حتّى نزل فيهم ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر ١٠٢/١-٢].

قوله: "المقتول صبرًا" قتل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم النضر بن الحارث صبرًا، وكان يتأذّى منه.[٥] قال المرزوقي: قُتيلة ابنته لمّا جاءت[٦] إلى حضرة[٧] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأنشدت[٨] أبياتًا منها:

ظلّتْ[٩] سيوف بني أبيه تَنوشه ... لله أرحامٌ هناك تَشقَّقُ
أمحمّد ولأنت نجل نجيبةٍ ... مِن قومها والفحل فحلٌ مُعرِقُ[١٠]
ما كان ضرّك لو مننتَ[١١] وربّما ... / مَنّ الفتى وهو المَغيظ المُحنَقُ [٣٦٧ظ]
فالنضرُ أقرب مَن أصبتَ[١٢] وسيلةً[١٣] ... وأحقُّهم إن كان عِتق يعتَقُ[١٤]

فرقّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقال: لو جئتِني مِن قبل لعفوتُ عنه، ثمّ قال: لا يُقتل قرشيٌّ بعد هذا صبرًا.[١٥]

قوله: **(على سبيل التخصيص والتعيين)** أمّا التخصيص فمِن تعريف الخبر وتوسُّط ضمير الفصل، وأمّا التعيين فمِن اسم الإشارة، كقوله:

---

١ ر: أكابر.
٢ ر: أخذ.
٣ ن ر: بمعجزة.
٤ **الكشّاف** للزمخشري، (خطبة الكتاب).
٥ انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٩٦٣/٢.
٦ ر: حاورت.
٧ ن ر: حضرت.
٨ ر: أنشد.
٩ ر: ظللت.
١٠ ر: مغرّق.
١١ ن: مينت.
١٢ ن: قتله.
١٣ ن: قرابة.
١٤ الأبيات لقُتيلة بن النضر بن الحارث في **البيان والتبيين** للجاحظ، ٤٤/٤؛ و**حماسة البحتري**، ص ٥٢٦؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ٩٦٦/٢. وانظر تفصيل الخبر في **البداية والنهاية** لابن كثير، ١٨٩/٥-١٩٠.
١٥ انظر: **شرح الحماسة** للمرزوقي، ٩٦٤/٢.

فإن قلتَ: ما فائدةُ قوله: ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ والإمْطارُ لا يكون إلَّا منها؟

قلتُ: كأنَّه أريد أن يقال: "فأمطِرْ علينا السِّجِّيلَ" وهي الحجارة المسوَّمَةُ للعذاب، فوضَعَ ﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ موضعَ "السجِّيل" كما تقول: "صَبَّ عليه مسرودةً من حديد" تريد: دِرعًا.

هـذا أبـو الـصـقـر فـردًا فـي مـحـاسـنـهِ[1]

قوله: (أثجمت)[2] «أثجم[3] المطر: كثُر ودام».[4] وهتن: قطر، وكذلك هتل. وأسبلت مِن السبل.

قوله: (**فأمطر علينا السجيل**) حجارة مِن طين طُبخت بنار جهنّم، مكتوب فيها[5] أسماء القوم، لقوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝ مُّسَوَّمَةً﴾ [الذاريات ٣٣/٥١-٣٤]. وقوله: (**المسوَّمة**) المُعلَمة. قال الله تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود ٨٢/١١] ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [هود ٨٣/١١]، أي: عليها أمثال الخواتيم.

قوله: (**مسرودة**) السرد: الخَرْز في الأديم. والمِسْرَد: ما يُخرَز به. والخَرْز مسرود.[6] «والخُرْزة الكُتْبة[7] الواحدة، والجمع خُرَز».[8]

قوله: (**كما تقول: صبّ عليه مسرودةً مِن حديد**) كلاهما مِن باب تجريد الاستعارة، كقوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر ١٣/٨٩]، شبّه السجّيل بالحجارة في شدّتها، وقوله: ﴿فَأَمْطِرْ﴾ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ مِن صفات المشبّه، ذكرهما للتجريد،[9] وكذلك "صبّ عليه مسرودة" شبّه الدرع بالماء لبصيصه وبريقه،[10] والسرد والحديد مِن صفات الدرع ذكرهما للتجريد، وليكون قرينة للاستعارة،

---

[1] صدر بيت لابن الرومي، وعجزه:
من نسل شيبان بين الضالِ والسلَمِ
وهو في **ديوانه**، ٢٣٩٩/٦؛ وبلا عزو في **مفتاح العلوم** للسكّاكي، ص ٢٧٦؛ **والإيضاح** للقزويني، ص ١١٨. وانظر تفصيل الكلام عليه في **معاهد التنصيص** للعباسي، ١٠٧/١.

[2] ن: أسجمت.

[3] ن: أسجم.

[4] **الصحاح** للجوهري، «ثجم».

[5] ر: منها.

[6] ن: مسرودة. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «سرد».

[7] ر: الكتبة.

[8] **الصحاح** للجوهري، «خرز».

[9] ن ر: للتحرم.

[10] ر + والبرد.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؛ أي: بنَوْعٍ آخر من جنسِ العذاب الأليم، يعني: أن إمطارَ السجّيل بعضُ العذاب الأليم فعذِّبْنا به أو بنَوْعٍ آخر من أنواعِه.

وعن معاويةَ أنه قال لرجل من سَبأ: ما أجهلَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأةً! قال: أجهلُ من قَوْمي قومُك حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً﴾ ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحقَّ فاهْدِنا له.

ولذلك ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ شبّه الحميم الذي يصبّ عليهم بالسوط، فذُكر السوط وأُريدَ الحميم، وقرينته قوله: ﴿صَبَّ﴾ والإضافة إلى العذاب.

قوله: (**فوضع ﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ موضع السجّيل**)، أي:[1] وُضع هذا اللفظ موضعَ ذلك اللفظ زيادةَ بيان وتصويرًا للمسمّى، كما يُعبّر عن الشيء بمعناه، فتقول[2] في الكناية عن الإنسان: "حيّ مستوي القامة عريض الأظفار"، وأصل الكلام: "فأمطر علينا[3] السجّيل"،[4] وهي الحجارة المسوّمة للعذاب المنزلَة مِن السماء، فوضع قوله: ﴿حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ موضعَه. قال في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر ١٣/٥٤]: «أراد السفينة، وهي مِن الصفات التي تقوم مقام الموصوفات، فتنوب منابَها فتؤدّي مؤدّاها، بحيث لا يفصل بينها وبينها»،[5] فلا يكون هذا استعارةً كما ظُنّ فضلًا عن أن يكون تجريدًا لها، ولكن لفظة ﴿فَأَمْطِرْ﴾ مستعارة للإنزال سواءٌ قلتَ: حجارة مِن السماء أو سجّيلًا؛ لأنّها لا تستعمل حقيقة إلّا في الغيث.

قوله: "صبّ عليه مسرودةً" «سرَد الدرع: نسجها، وهو أن يُداخِل الحلق بعضها في بعض. والمسرودة: الدرع المثقوبة»،[6] وكذا لا فرقَ بين قولك: "مسرودة مِن حديد" وبين قولك: "دِرعًا" إلّا ما سبق. قال صاحب **التخمير**:

اعلم أنّ الموصوف في مثل قوله:

---

[1] ر: أو.
[2] ر: فتكون.
[3] ر: عليه.
[4] ر + وفي.
[5] **الكشّاف** للزمخشري، (القمر، ١٣/٥٤).
[6] **الصحاح** للجوهري، «خرز».

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾

اللامُ لتأكيد النفي والدلالةِ على أنَّ تعذيبهم وأنت بين أظهُرهم غيرُ مستقيمٍ في الحكمة؛ لأن عادةَ الله وقضيَّةَ حكمته أنْ لا يُعذِّب قومًا عذابَ استئصالٍ ما دام نبيُّهم بين أظهُرهم، وفيه إشعارٌ بأنَّهم مُرْصَدون بالعذاب إذا هاجَرَ عنهم، والدليل على هذا الإشعارِ قولُه: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وإنما يصحُّ هذا بعد إثباتِ التعذيب؛ كأنه قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ وهو معذِّبُهم إذا فارَقْتَهم ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ﴾.

﴿وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ في موضع الحال، ومعناه: نفيُ الاستغفار عنهم؛ أي: ولو كانوا ممن يؤمنُ ويَستغفِر من الكفر لَمَا عَذَّبَهم؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود ١١/١١٧] ولكنَّهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يُتوقَّع ذلك منهم.

وقيل: معناه: وما كان الله معذِّبَهم وفيهم مَن يستغفرُ، وهم المسلمون بين أظهُرِهم ممَّن تخلَّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعَفين.

وعليهما[١] مسرودتان قضاهما داودُ[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ [الصافات ٣٧/٤٨] مطروحٌ، والجمع بينه وبين هذه الصفة قبيح، إذ لو قلتَ:[٣] "عليهما درعان مسرودتان" كان مستقبحًا؛ لأنّه مِن المعلوم أنّ مسرودتين قضاهما لا يكونان إلّا درعين، وأنّ ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ لم يكنّ إلّا حُورًا.[٤]

[٣٦٨و] قوله:[٥] (وقيل / معناه) هذا الوجه أبلغ مِن الأول لِما دلّ على أنّه[٦] لاستعارة[٧] الغير ممّا يدفع العذاب مِن أمثال أولئك[٨] الكفرة.

---

١ ن: وعليها.

٢ من بيت لأبي ذؤيب الهذلي، تمامه:

أو صَنَعُ السوابغ تُبَّعُ

وهو له في **شرح ديوان الهذليين** للسكّري، ١/٣٩؛ و**المفضّليّات** للضبّي، ص ٤٢٨؛ و**كتاب الألفاظ** لابن السكّيت، ص ٣٧١؛ و**غريب الحديث** للخطابي، ١/٢٩١؛ و**الصحاح** للجوهري، «صنع».

٣ ر – قلت.

٤ انظر: **التخمير** للخوارزمي، ٢/١٠٧.

٥ ن – قوله.

٦ ر – لأنه.

٧ ر: الاستعارة.

٨ ن: هذه.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾: وأيُّ شيء لهم في انتفاءِ العذاب عنهم؟ يعني: لا حظَّ لهم في ذلك، وهم معذَّبون لا محالةَ، وكيف لا يعذَّبون وحالُهم أنهم ﴿يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ كما صدُّوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحُدَيبية، وإخراجُهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصدِّ، وكانوا يقولون: نحنُ ولاةُ البيتِ والحرم فنصدُّ مَن نشاء ونُدخل مَن نشاء.

﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾: وما استحقُّوا مع إشراكهم وعداوتهم للدِّين أن يكونوا وُلاةَ أمره وأربابَه.

﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ من المسلمين، ليس كلُّ مسلم أيضًا ممن يَصْلُح لِأَنْ يلي أمرَه، إنما يَستأهِلُ ولايتَه مَن كان بَرًّا تقيًّا فكيف بالكفَرة عبدةِ الأصنام.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كأنَّه استثنى مَن كان يعلم وهو يُعاندُ ويطلب الرِّئاسة، أو أرادَ بالأكثر الجميعَ كما يراد بالقلَّة العَدَمُ.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

"المُكاءُ": فُعالٌ بوزن الثُّغاء والرُّغاء، من مَكَا يَمْكُو إذا صَفَرَ، ومنه: المُكَّاء؛ كأنَّه سُمِّي بذلك لكثرة مُكَائه، وأصله الصِّفةُ نحو الوُضَّاء والقُرَّاء.

وقرئ: "مُكًا" بالقصر، ونظيرُهما: البُكى والبُكاء.

قوله: (وإخراجُهم) مبتدأ. وقوله: (مِن الصدّ) خبره، والجملةُ عطف مِن حيث المعنى على جملة قوله: (كما صدّوا).

قوله: (الثُّغاء) «الثُّغاء: صوت الشاء والمعز وما شاكلها».[١] و«الرُّغاء: صوت ذوات الخفّ».[٢] والمُكّاء بالمدّ والتشديد: طائر مليح الصوت، والجمع المكاكيُّ.[٣]

---

١ **الصحاح** للجوهري، «ثغا».

٢ **الصحاح** للجوهري، «رغا».

٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «مكا».

و"التَّصْديةُ": التَّصفِيقُ، تَفْعِلةٌ من الصَّدَى، أو من صَدَّ يَصِدُّ ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف ٤٣/٥٧].

و«الوُضّاء بالضمّ والمدّ: الوضيء».[١] والقُرّاء: المتنسك، وقد تقرّى[٢] إذا تنسّك،[٣] والجمع القُرّاءون. والقُرّاء[٤] يكون جمعًا لقارئ قياسًا.[٥]

قوله: (**والتصدية: التصفيق**)... إلخ، ذَكَر المصنّف لبيان أنّه يجوز أن يكون التصدية مِن صدّ يصدّ بضمّ الصاد وكسرها في المضارع.

قوله: (﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف ٤٣/٥٧]) اعلم أنّه لمّا قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على قريش ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨] غضبوا، فقال عبد الله بن الزِّبعرى: يا محمّد أخاصّة لنا ولأهلنا[٦] أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله[٧] صلّى الله عليه وسلّم: بل لجميع الأمم، فقال: إنّ النصارى يعبدون عيسى بن[٨] مريم[٩] فإن كانا في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا[١٠] معهم، ففرحوا وضحكوا.[١١] ورويَ أنّه صلّى الله عليه وسلّم قال: ما أجهلك بلغة قومك يا غلام! أما تعلم أنّ "ما" لِما لا يعقل، فأنزل الله تعالى هذه الآية. والمعنى: لمّا ضرب ابنُ الزِّبعرى عيسى بن مريم مثلًا وجادل رسول الله صلّى الله عليه وسلم بعبادة النصارى إيّاه إذا قومك قريش مِن هذا المثل يصدّون.

ذكر في **الكشّاف** أنّه إذا قرئ بالكسر[١٢] فالمعنى: يرتفع لهم جَلَبة[١٣] وضجيج فرحًا وجذلًا وضحكًا، وإن قرئ بالضمّ[١٤] فمِن الصدود، أي: يصدّون عن الحقّ.

---

١ **الصحاح** للجوهري، «وضأ».
٢ ر: نقر.
٣ ر: تمسك.
٤ ر + والمتنسات والقراء.
٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قرأ».
٦ ن: ولأهلها.
٧ ن – رسول الله.
٨ ن – بن.
٩ ن: ومريم.
١٠ ر: وإلهنا.
١١ من قوله: "لمّا قرأ" إلى هنا بلفظ قريب في **الكشّاف** للزمخشري، (الزخرف، ٤٣/٥٧).
١٢ قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٥٨٧؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٦٩.
١٣ ر: جبلته.
١٤ قرأ بها نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف. **السبعة** لابن مجاهد، ص ٥٨٧؛ **النشر** لابن الجزري، ٢/٣٦٩.

وقرأ **الأعمش**: "وما كان صلاتَهم" بالنصب على تقديم خبرِ ﴿كَانَ﴾ على اسمه.

فإن قلتَ: ما وجهُ هذا الكلام؟

قلتُ: هو من قوله:

وما كنتُ أخشى أن يكون عطاؤه أداهِمَ سُودًا أو مُحَدْرَجَةً سُمْرًا

وقيل: مِن الصديد وهو الجلبة،[١] وإنّهما لغتان نحو "تعكِف وتعكُف".[٢] وقال في **الصحاح**: «صدّ يصِدّ ويصُدّ صديدًا: ضجّ».[٣] وقال[٤] الواحدي في **الوسيط**: «يصدّون بضم[٥] الصاد وكسرها،[٦] ثمّ قال الفرّاء والزجّاج والأخفش والكسائي: هما لغتان، معناهما يضجّون».[٧]

قوله: (**"وَمَا كَانَ صَلَاتَهُمْ" بالنصب**) قال الشيخ في **الكواشي**:

قرئ بنصب "صلاتَهم" ورفع "مُكَاءٌ". ابن جنّي: لأنّ نكرة الجنس تُفيد مفاد معرفته، تقول: خرجتُ فإذا أسدٌ بالباب، وخرجت فإذا الأسد بالباب، لا فرقَ بينهما؛ لأنّك في الموضعين لا تريد أسدًا واحدًا معينًا، إنّما تريد واحدًا مِن هذا الجنس، بخلاف "كان قائمٌ أباك"؛ لأنّه ليس في "قائم" معنى الجنسيّة التي نكرتها كمعرفتها[٨] في المعنى.[٩]

قوله:

(**وما كنت أخشى**) البيت[١٠]

"أخشى"، أي: أعلم. و"أداهِم" جمع أدهم: وهو القيد. "**المُحَدْرجة**":[١١] السياط التي أجيد[١٢] فتلها،[١٣] مِن حَدْرَج السوط أجاد فتله. والمَحْدَرج:[١٤] **الأملس**.

---

[١] ر: الجبلة.
[٢] انظر: **الكشّاف** للزمخشري، (الزخرف، ٥٧/٤٣).
[٣] **الصحاح** للجوهري، «صدد».
[٤] ن: قال.
[٥] ر: بكسر.
[٦] ر: وضمها.
[٧] **الوسيط** للواحدي، ٧٩/٤ (الزخرف، ٥٧/٤٣).
[٨] ر: لمعرفتها.
[٩] **تفسير الكواشي**، ٢١٢ظ.
[١٠] البيت للفرزدق في **ديوانه**، ٢٢٧/١؛ وهو له في **الشعر والشعراء** لابن قتيبة، ٤٦٨/١؛ **والصحاح** للجوهري، «حدرج».
[١١] ر: المحدوجة.
[١٢] ر: أحيد.
[١٣] ر: قبلها.
[١٤] ن: والمجدرجة؛ ر: المحدرجة.

والمعنى: أنه وضَع القُيودَ والسِّياطَ موضع العطاء، ووضعوا المكاء والتَّصدِيةَ موضع الصلاة، وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عُراةً: الرِّجالُ والنساء وهم مُشبِّكون بين أصابعهم يَصفِرون فيها ويُصَفِّقون، وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يُخلِّطون عليه.

﴿فَذُوقُواْ﴾ عذابَ القتل والأَسْرِ يوم بَدْرٍ بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يُقدِمُ عليها إلَّا الكفرةُ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قيل: نزلت في المُطْعمين يوم بَدرٍ، كان يُطْعِم كلُّ واحد منهم كلَّ يوم عشر جَزائرَ.

وقيل: قالوا لكلِّ مَن كانَتْ له تجارةٌ في العير: أعينُوا بهذا المال على حرب محمد لعلَّنا نُدْرِك منه ثأرَنا بما أُصيبَ مِنَّا ببدْرٍ.

وقيل: نزلت في أبي سُفيان وقد استأجر ليوم أُحُدٍ ألفَيْن من الأَحابِيش،

قالوا: حَدْرَجه، أي: فتله وأحكمه.[1]

قوله: **(والمعنى أنّه وضع القيود والسِّياط)**... إلخ، وهو مِن أسلوب قولهم في التهكُّم:[2]

تحيّةُ بينِهم[3] ضربٌ وجيعُ[4]

قوله: **(وكانوا يفعلون)**... إلخ، أيضًا.

قوله: **(عشرُ جزائر)** الجَزور مِن الإبل يقع على الذكَر والأنثى.

قوله: **(مِن الأحابيش)**[5] جمع أُحبوش، وهي الجماعة مِن الناس ليسوا[6] مِن قبيلة واحدة.

---

[1] انظر: **الصحاح** للجوهري، «حدرج».

[2] ر: آلهتكم.

[3] ر: بينكم.

[4] عجز بيت لعمرو بن مَعدي كَرِب الزُّبيدي، مضى بتمامه وتخريجه وشرحه في تفسير سورة البقرة، ٢/١٠.

[5] ر: الأجابيش. | انظر: **جامع البيان** للطبري، ١١/١٧٠-١٧١ (الأنفال، ٨/٣٦).

[6] ر: لبسوا.

سِوَى مَن استجاشَ من العرب وأنفَقَ عليهم أربعين أُوقيَّةً، والأوقيةُ اثنان وأربعون مثقالًا.

﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: كان غرضُهم في الإنفاق الصدَّ عن اتِّباع محمد، وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك.

﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾؛ أي: تكون عاقبةُ إنفاقها نَدَمًا وحسرةً؛ فكأنَّ ذاتَها تَصير ندمًا وتنقلب حسرةً.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ آخِرَ الأمر وإن كانت الحربُ بينهم وبين المؤمنينَ سجالًا

قوله: (سوى مَن استجاش) مِن الجيش، والجيش الجند يسيرون[1] لحرب، مِن جاشت القدر، يقال: جيَّش فلان، أي: جمع الجيوش. واستجاشه / أي: طلب منه جيشًا.[2] [٣٦٨و]

قوله: (وإن لم يكن عندهم كذلك)، يعني: قيل:[3] ليصدّوا عن سبيل الله وإن لم يكونوا يعتقدون أنّ الذي يحاولونه[4] صدّ[5] عن سبيل الله؛ بل اعتقدوا أنّه صدّ عن اتّباع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وفائدته التنبيه على غباوتهم وجهلهم، يعني صدّهم عن اتباع[6] النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هو صدّ عن سبيل الله وأنّهم غافلون عنه. واللام في ﴿لِيَصُدُّواْ﴾ لام الصيرورة.

قوله: (وكأنّ ذاتها)، يعني الظاهر أن يقال: عاقبة إنفاقها حسرة، فصيّر نفس الأموال حسرة[7] مبالغةً.

قوله: (وتنقلب حسرةً) أي:الأموال والنفقة في آخر الأمر.[8]

قوله: (سجالًا) النهاية: هو مِن قول أبي سفيان: الحرب[9] بيننا سِجال، أي: مرّة لنا ومرّة علينا. والمساجلة: المفاخرة، بأن يصنع مثل صنعه مِن جري أو سقي،

---

١ ن - يسيرون.
٢ ر: شيئًا. | انظر: الصحاح للجوهري، «جيش».
٣ ر: قتيل.
٤ ن: يجادلونه.
٥ ن: يصد.
٦ ن - اتباع.
٧ ن - فصير نفس الأموال حسرة.
٨ ر: الآخر.
٩ ر: الحرث.

قبل ذلك، فيرجعون طُلَقاءَ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة ٢١/٥٨].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: والكافرون منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾؛ لأنَّ منهم مَن أسلم وحَسُنَ إسلامه.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾

﴿لِيُمَيِّزَ ٱللَّهُ الخبيثَ﴾: الفريقَ الخبيثَ من الكفار ﴿مِنَ﴾ الفريق ﴿ٱلطَّيِّبِ﴾ من المؤمنين ﴿وَيَجۡعَلَ﴾ الفريقَ ﴿ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾ عبارةٌ عن الجمع والضمّ حتى يتراكبوا؛ كقوله: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن ١٩/٧٢] يعني: لفَرْط ازدحامهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الفريق الخبيث.

وأصله مِن الدلو.[١] قال الفضل بن عبّاس[٢] بن[٣] عتبة بن أبي لهب:

مَـن يساجلني يساجل ماجدًا يـمـلأ الـدلـو إلـى حـدّ الـكَـرَب[٤]

قوله: (**طلقاء**)[٥] الطليق: الأسير الذي[٦] أطلق عنه إساره[٧] وخُلّي سبيله.

قوله: (**﴿فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾ عبارة عن الضمّ والجمع**)... إلخ، الرَّكْم: جمعك شيئًا فوق شيء حتّى يكون مركومًا إركامًا[٨] كالرمل والسحاب. ثم شبّه المصنّف هذا بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾ [الجن ١٩/٧٢]، والمراد بـ"عبد الله" هنا الرسول عليه الصلاة والسلام في قول جميع المفسّرين، وذلك حين كان يصلّي ببطن نخلة ويقرأ القرآن يدعوه، أي: يعبد الله كاد الجن يكونون عليه لبدًا، أي: كادوا يركبونه حرصًا على القرآن وحبًّا لاستماعه. قال الزجّاج: ومعنى ﴿لِبَدٗا﴾: يركب بعضه بعضًا، ومِن هذا اشتقاق

---

[١] ر: الذكر.

[٢] ر: عياش.

[٣] ر: عن.

[٤] مضى البيت بتخريجه في تفسير سورة آل عمران، ١٤٠/٣. وروايته ثمّة «عقد الكرب» مكان «حدّ الكرب».

[٥] ن: الطلقاء.

[٦] ر: للذي.

[٧] ن ر: إشارة.

[٨] ن - إركامًا.

وقيل: ليَميزَ المالَ الخبيثَ الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيِّب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نُصرته ﴿فَيَرْكُمَهُۥ... فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَ﴾ في جملةِ ما يعذَّبون به؛ كقوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ﴾ الآية [التوبة ٣٥/٩]، واللام على هذا متعلِّقةٌ بقوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾، وعلى الأول بـ﴿يُحْشَرُونَ﴾، و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارةٌ إلى الذين كفروا.

وقرئ: ﴿لِيَمِيزَ﴾ على التخفيف.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ٣٨﴾

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ من أبي سفيان وأصحابِه؛ أي: قل لأَجْلهم هذا القولَ،

هذه اللبود التي تُفرَش. ومَن قرأ بضم اللام[١] فهو بمعنى الكسر، مِن قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ [البلد ٦/٩٠].[٢] وإنّما قيل للكثير: لبدًا، لركوب بعضه على بعض. واللبد واحد يدلّ على الكثرة، وغرضُ المصنّف مِن هذا التشبيه أنّ معنى الرَّكْم قد يستعمل في الأناسيّ.

قوله: (**واللام على هذا متعلِّقة**) أي:إذا كان الموصوف المقدَّر قبل[٣] ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ "المال" تكون اللام في ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾.

قوله: (**و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾**).

قوله تعالى: ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ قال في **شرح السنّة**: إنّ الكافرين إذا أسلموا حُسب لهم ما فعلوا مِن الخيرات في حال كفرهم ويُثابون عليها، وإن ماتوا على كفرهم تكون جميع أعمالهم محبَطة. وذَكَر في ذلك حديثًا عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٤]

---

١ قرأ بها هشام من طريق ابن عبدان عن الحلواني. **النشر** لابن الجزري، ٣٩٢/٢.

٢ انظر: **معاني القرآن وإعرابه** للزجّاج، ٢٣٧/٥.

٣ ن: مثل.

٤ انظر: **شرح السنّة** للبغوي، ١٤٣/١٥.

وهو: ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾، ولو كان بمعنى خاطِبْهم به لقيل: "إن تَنْتَهوا يغفر لكم" وهي قراءةُ ابن مسعود، ونحوُه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف ١١/٤٦] خاطَبوا به غيرهم لأَجْلهم ليَسمعوه.

أي: إن ينتهوا عمّا هم عليه من عداوة رسول الله وقتالِه بالدخول في الإسلام ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ لهم من العداوة ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ لقتالِه ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ منهم الذين حاق بهم مكرُهم يوم بَدْرٍ.

أو: فقَدْ مضَتْ سنّةُ الأولين الذين تَحزَّبُوا على أنبيائهم من الأمم فدُمِّروا، فلْيَتَوقَّعوا مثلَ ذلك إنْ لم ينتهوا.

وقيل: معناه: أن الكفّار إذا انتهَوا عن الكفر وأسلموا غُفر لهم ما قد سَلف لهم من الكفر والمعاصي، وخرجوا منها كما تَنْسَلُّ الشَّعْرةُ من العجين، ومنه قولُه عليه الصلاة والسلام: «الإسلامُ يَجبُّ ما قبله».

وقالوا: الحربيُّ إذا أسلم لم يبقَ عليه تَبِعَةٌ قط، وأما الذميُّ فلا يلزمُه قضاءُ حقوق الله وتبقى عليه حقوقُ الآدميين، وبه احتجَّ أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزَمْه قضاءُ العبادات المتروكة في حال الرِّدة وقبلَها. وفسّر ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ بالارتداد.

قوله:[١] (يجبّ ما قبله)[٢] الجوهري: المجبوب: المقطوع.[٣]

قوله: (وفسّر) أي:فسّر أبو حنيفة رضي الله تعالى[٤] عنه قوله تعالى: (﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ بالارتداد)،[٥] يعني: قال: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ وإن يعد هؤلاء إلى الارتداد، وإذا[٦] كان معنى ﴿يَعُودُواْ﴾: إن يعد هؤلاء إلى الارتداد،[٧] المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ المرتدّين، فيصحّ الحكم بالمرتدين بأنّهم ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾، والله أعلم. وإن لم يكن مراد أبي حنيفةَ هذا المعنى

---

[١] ن – قوله.
[٢] انظر: **تخريج أحاديث الكشّاف** للزيلعي، ٢٧/٢.
[٣] انظر: **الصحاح** للجوهري، «جبب».
[٤] ر – تعالى.
[٥] ر: بالأوتاد.
[٦] ر: إذا.
[٧] ر + وإذا كان معنى ﴿يَعُودُواْ﴾ إن يعد هؤلاء إلى الارتداد.

وقرئ: "يَغفِرْ لهم" على أن الضمير لله تعالى.

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩﴾

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾: إلى أن لا يُوجَدَ فيهم شِرْكٌ قط.

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾: ويَضمَحِلَّ عنهم كلُّ دينٍ باطلٍ، ويبقى فيهم دينُ الإسلام وحده.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ يثيبُهم على توبتهم وإسلامهم.

وقرئ: ﴿تعملون﴾ بالتاء، فيكون المعنى: ﴿فإن الله بما تعملون﴾ من الجهاد في سبيله والدعوةِ إلى دينه والإخراجِ من ظُلمة الكفر إلى نور الإسلام ﴿بَصِيرٞ﴾ يجازيكم عليه أحسن الجزاء.

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾

﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ ولم يَنتهوا فإن ﴿ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾؛ أي: ناصرُكم ومُعينُكم فثِقوا بِوَلايته ونُصرته.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١﴾

﴿أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ "ما" موصولةٌ، ....

فلا يلزم مِن تفسيره ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ بالمرتدّين حكمه الذي ذكره في المرتدّين، فتأمّل، والله أعلم بالحقيقة.

قوله: **(فيكون المعنى)** يشير إلى أنّه إذا قرئ بالتاء[1] يكون المعنى: إنّ الكفار

[1] قرأ بها رويس عن يعقوب. النشر لابن الجزري، ١٧٦/٢.

و﴿مِن شَيْءٍ﴾ بيانُه، قيل: من شيء حتّى الخَيْطِ والمِخْيَط.

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ﴾ مبتدأ خبرُه محذوفٌ تقديره: فحقٌّ أو فواجبٌ أن لله خُمُسَه.

ورَوى الجُعْفيُّ عن أبي عمرو: "فإنَّ لله" بالكسر، وتقوّيه قراءةُ النخعيّ: "فلِلَّهِ خُمسه"، والمشهورةُ آكَدُ وأثبتُ للإيجاب؛ كأنَّه قيل: فلا بدَّ من ثباتِ الخُمس فيه، ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريطِ فيه، من حيث إنه إذا حُذفَ الخبر واحتمَلَ غيرَ واحد من المقدَّرات -كقولك: "ثابت واجبٌ حقٌّ لازم" وما أشبهَ ذلك- كان أقوى لإيجابه من النصِّ على واحدٍ.

وقرئ: "خُمْسَه" بالسكون.

فإن قلتَ: كيف قِسمةُ الخُمس؟

قلتُ: عند أبي حنيفة رحمه الله: أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم:

سهمٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن انتهوا[١] فإنّ انتهاءهم عن الكفر بسبب جهادكم وإخراجكم إيّاهم مِن الكفر إلى الإسلام، فالله تعالى يثيبكم على ذلك.

[٣٦٩و] قوله: / (و﴿مِن شَيْءٍ﴾ بيانه) وإنّما[٢] بيّن "ما" الموصولة بـ﴿مِن شَيْءٍ﴾ ليتأكّد معنى العموم، فكأنّه قيل: الذي يطلق عليه اسم الشيء قليلًا كان أو كثيرًا خطيرًا كان أو حقيرًا، فلذلك قال المصنّف:[٣] "حتّى الخيط والمِخيَط".

قوله: (حتّى الخيط والمِخيَط)[٤] الخيط: السِّلك وجمعه خيوط وخُيوطة. والمِخيَط: الإبرة وكذلك الخِياط.[٥]

قوله: (وروى الجُعفي) صاحب الصحيح في[٦] الأحاديث.

قوله: (مِن حيث) بيان أنّه آكَدُ وأثبتُ.

---

[١] ر: ينتهوا.

[٢] ر: وآما.

[٣] ر - المصنف.

[٤] ر + قوله: حتّى الخيط والمخيط.

[٥] انظر: الصحاح للجوهري، «خيط».

[٦] ر: و.

وسهمٌ لذوي قُرْباه من بني هاشم وبني المطَّلب دون بني عبد شمس وبني نوفل، استَحَقُّوه حينئذ بالنُّصرة والمظاهرة؛ لِمَا روي عن عثمان وجُبير بن مُطْعِم رضي الله عنهما: أنَّهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هؤلاء إخوَتُك بنو هاشم لا نُنْكر فضلَهم لمكانك الذي جعلك الله منهم، أرأيتَ إخوانَنا بني المطَّلب أعطيْتَهم وحرَمْتَنا وإنّما نحن وهم بمنزلةٍ واحدةٍ! فقال صلى الله عليه وسلم: «إنهم لم يفارقونا في جاهليَّةٍ ولا إسلامٍ، إنما بنو هاشم وبنو المطَّلب شيءٌ واحد» وشبَّك بين أصابعه.

وثلاثةُ أسهم: لليتامى والمساكين وابن السبيل.

وأمَّا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمُه ساقطٌ بموته، وكذلك سهم ذوي القربى، ....

قوله: **(دون بني عبد شمس)** كان عثمان رضي الله عنه مِن بني عبد شمس.

قوله: **(استحقّوه حينئذٍ)** أي:في زمان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولذلك قال: "وسهم ذي[1] القربى ساقط بموته صلّى الله عليه وسلّم".

قوله: **(وإنّما نحن وهم بمنزلة واحدة)**[2] وذلك أنّ هاشمًا والمطّلب وعبد شمس ونوفلًا أولاد عبد مَناف، ونسبة[3] رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مع هؤلاء، وينتهي إلى عبد مَناف، هو محمّد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مَناف صلوات الله وسلامه عليه، وأمّا عثمان رضي الله تعالى[4] عنه فهو ابن عفّان ابن أبي العاص ابن أميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف، وأمّا جُبير فهو ابن مُطعِم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف.

قوله: **(وكذلك سهم ذوي[5] القربى)** أي:وكذلك سهم ذوي القربى ساقط بموت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّهم كانوا يستحقّونه[6] بنصرة النبي صلّى الله عليه وسلّم ومظاهرته.

---

[1] ر: ذوي.

[2] مسند أحمد، ٣٠٤/٢٧ (١٦٧٤١)؛ صحيح البخاري، ٩١/٤ (٣١٤٠).

[3] ر: ونسبته.

[4] ر - تعالى.

[5] ر: ذي.

[6] ر: استحقوه.

وإنما **يُعطَوْنَ لفقرهم فهم أسوَةُ سائر الفقراء، ولا يُعْطى أَغْنياؤهم، فيُقسَم على** اليتامى والمساكين وابن السبيل.

وأما عند الشافعي رحمه الله فيُقسم على خمسة أسهم: سهمٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يُصرفُ إلى ما كان يَصرفُه إليه من مصالح المؤمنين؛ كعُدَّة الغُزاة من الكُراع والسِّلاح ونحو ذلك، وسهمٌ لذوي القُربى من أغنيائهم وفقرائهم يُقْسَم بينهم للذَّكَر مثلُ حظ الأنثيين، والباقي للفِرَق الثلاث.

وعند مالك بن أنس رحمه الله: **الأمر فيه مفوَّضٌ إلى اجتهاد الإمام: إن** رأى قَسَمه بين هؤلاء، وإنْ رأى أعطاه بعضَهم دون بعضٍ، وإن رأى غيرَهم أَوْلى وأهمَّ فغيرُهم.

فإن قلتَ: ما معنى ذكر الله عز وجل وعطفِ الرسول وغيرِه عليه؟

قوله: **(فيُقسَم)** أي:إذا سقط سهم النبي صلّى الله عليه وسلّم وسهم ذوي القربي فيلزم أن يُقسَم الخُمس على ثلاثة أصناف[١] باقية.

قوله: **(فهم أسوة سائر الفقراء)** الأسوة: القدوة،[٢] يقال: لا تأنس بمَن ليس لك بأسوة، أي: ولا تقتدِ بمَن ليس لك بقدوة. وظاهر قوله: **(إنّما يُعطَون لفقرهم)** يقتضي أنّ سائر الفقراء لهم أسوة، لكن قلب[٣] فقال: "هم أسوة سائر الفقراء"[٤] رعايةً مِن كلامه لحُسن الأدب ومحافظةً على عزّة ذوي القربى.

قوله: **(مِن الكُراع)** الكُراع اسم لجميع الخيل.[٥] **الأساس:** «ومِن المجاز أحبس في سبيل الله الكراع، أي: الخيل».[٦]

قوله: **(وعند مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه)**...[٧] إلخ، وجهُ قولِ مالك بن أنس سيجيء عن قريب.

---

١ ر: الأصناف.

٢ ر: القدرة.

٣ ن: قلت.

٤ ر - قلت فقال: هم أسوة سائر الفقراء.

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «كرع».

٦ ر - **الأساس**: ومِن المجاز أحبس في سبيل الله الكراع، أي: الخيل. | **أساس البلاغة** للزمخشري، «كرع».

٧ ر - رضي الله تعالى عنه.

قلتُ: يحتمِل أن يكون معنى ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾: لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة ٦٢/٩]، وأن يراد بذكرِه إيجابُ سهمٍ سادس يُصرَفُ إلى وجهٍ من وجوه القُرَبِ، وأن يراد بقوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾: أن مِن حقِّ الخُمس أن يكون متقرَّبًا به إليه لا غيرُ، ثم خصَّ من وجوه القُرَبِ هذه الخمسةَ تفضيلًا لها على غيرها، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢].

فعلى الاحتمال الأول مذهبُ الإمامين، وعلى الثاني ما قال أبو العالية: أنه يقسم على ستةِ أسهمٍ: سهمٌ لله تعالى يُصرَفُ إلى رِتاج الكعبة.

وعنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قُبضةً فيجعلُها للكعبة وهو سهم الله تعالى، ثم يَقْسِم ما بقي على خمسة.

وقيل: إن سهمَ الله لبيت المال.

وعلى الثالث مذهبُ مالك بن أنسٍ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: أنه كان على ستةٍ: لله وللرسول سهمان، وسهمٌ لأقاربه، حتى قُبض فأجرى أبو بكر رضي الله عنه ....

قوله: (**أنّ مِن حقّ الخُمس أن يكون متقرَّبًا[1] به إليه لا غير**) الفرق بين هذا الوجه والثاني أنّ على الثاني الأصل إيجاب التسوية بين هؤلاء المذكورين وبين حقّ الله، وعلى هذا لا تجب المساواة؛ لأنّ الخُمس ثابت لله، وهؤلاء[2] اختصُّوا بالذِّكر لمزيد الشرف، فالمصالح هي أوجبت لهم ذلك، فيُقسَم[3] عليهم وعلى غيرهم بالاجتهاد.

قوله: (**إلى رِتاج الكعبة**) «الرِّتاج: الباب[4] المغلق.[5] ويقال للباب العظيم: رِتاج أيضًا. أنشد الليث:

---

[1] ر: متفرقًا.

[2] ن ر: هؤلاء.

[3] ر: فينقم.

[4] ن - الباب.

[5] ن: المغلقة.

الخُمسَ على ثلاثة، وكذلك رُوي عن عمر ومَن بعدَه من الخلفاء، وروي أن أبا بكر رضي الله عنه منَع بني هاشم الخُمس وقال: إنما لكم أن يُعطَى فقيركم وتُزَوَّج أَيِّمُكم ويُخَدَّمُ مَن لا خادم له منكم، فأمّا الغنيُّ منكم فهو بمنزلةِ ابن سبيل غنيٍّ لا يُعطَى من الصدقة شيئًا، ولا يتيمٌ موسرٌ.

ألـم تـرَني عـاهـدتُ ربّـي وإنّـني لَبـيـن رِتــاج مُـقـفَـل ومَـقــامِ[١]

يعني باب الكعبة ومقامَ إبراهيم. وفي الحديث: 'إنّ فلانًا جعل ماله في رِتاج الكعبة'.[٢] قالوا: لم يُرد الباب بعينه، وإنّما أراد أنّه جَعَله[٣] لها، يعني النذر».[٤] رِتاج الكعبة، أي: باب الكعبة ومصالحها في السدنة وغيرهم.

قوله: **(على ثلاثة)** أي:اليتامى والمساكين وابن السبيل.

قوله: **(أيِّمُكم)** الأيِّم مَن لا زوجَ له مِن الرجال والنساء. يقال: رجل أيِّم لا زوجَ له، وامرأة أيِّم لا زوجَ لها بِكرًا كانت أو ثيِّبًا، وقد آمَت أيمةً.[٥] قال الحماسي:

[٣٦٩ظ] كـلّ امـــرئ سـتـئـيـم[٦] مِـنْـ ـه الـعِـرس[٧] أو مـنـهـا / يـئـيـمُ[٨]

قوله: **(فأمّا الغنيّ منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنيّ)** قول أبي بكر رضي الله تعالى[٩] عنه إلى أنّ ذا القربى وإن كان مذكورًا في هذا الموضع مِن القرآن مطلقًا لكن المراد به الفقراء منهم كابن السبيل، ذُكر مطلقًا هنا في آية الزكاة، والمراد ابن السبيل الفقير، وكما ذكر اليتامى في هذه الآية التي نحن فيها مطلقًا والمراد الفقير منهم الكسّابة.[١٠] «الأنثى مِن (البراذين) برذونة».[١١] وهذا الكلام إشارة إلى أنه

---

١ البيت للفرزدق في ديوانه، ٧٦٩/٢؛ وهو له في كتاب سيبويه، ٣٤٦/١.

٢ بمعناه في سنن أبي داود، ١٧٠/٥ (٣٢٧٢)؛ وصحيح ابن حبّان، ١٩٧/١٠ (٤٣٥٥)؛ والمستدرك للحاكم، ٣٣٣/٤ (٧٨٢٣).

٣ ر: جعل.

٤ **المغرب** للمُطرِّزي، «رتج».

٥ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أيم»؛ و**المغرب** للمُطرِّزي، «أيم».

٦ ر: سيتهم.

٧ ر: العرش.

٨ البيت ليزيد بن الحكم الثقفي في **الصحاح** للجوهري، «أيم»؛ و**شرح الحماسة** للمرزوقي، ١١٩٦/٤؛ وهو للحماسي في **المغرب** للمُطرِّزي، «أيم».

٩ ر – تعالى.

١٠ ر: الكسل به.

١١ **الصحاح** للجوهري، «برذن».

وعن زيد بن عليّ رضي الله عنه كذلك، قال: ليس لنا أن نبْنيَ منه قصورًا، ولا أن نركب منه البراذين.

وقيل: الخُمس كلُّه للقرابة.

وعن عليّ رضي الله عنه أنه قيل له: إن الله تعالى قال: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ فقال: أيتامُنا ومساكينُنا.

وعن الحسن في سَهْم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه لِوَليّ الأمر مِن بعده.

وعن الكلبي رضي الله عنه: أنَّ الآية نزلت ببدر.

وقال الواقديُّ: كان الخمسُ في غزوة بني قَيْنُقاعَ بعد بدرٍ بشهرٍ وثلاثة أيّامٍ للنِّصف من شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة.

فإن قلتَ: بمَ تعلَّق قوله: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾؟

قلتُ: بمحذوفٍ يدلُّ عليه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾، والمعنى: إن كنتُم آمنتُم بالله فاعلموا أن الخمسَ من الغنيمة يجبُ التقرُّبُ به، فاقطعوا عنه أَطْماعَكم واقتنِعوا بالأخماس الأربعة، وليس المراد بالعلم العلمُ المجرَّد، ولكنَّه العلمُ المضمَّن بالعمل والطاعة لأمرِ الله؛ ....

لو لم يعتبر الفقر؛ بل يُعطى أغنياؤهم الخُمس لأدى إلى كثرة أموالهم بحيث يبنون القصور ويركبون البراذين، وذلك غير مستحسن.

قوله: (**فقال: أيتامُنا ومساكينُنا**) فعلى ما ذكر عليّ رضي الله تعالى[١] عنه[٢] قولُه تعالى: ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ مثل قوله:[٣] ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ [البقرة ٢/٩٨].

قوله: (**فإن قلتَ: بمَ تعلّق؟**)... إلخ، يعني: ما جزاءُ[٤] هذا الشرط.

---

[١] ر - تعالى.
[٢] انظر: جامع البيان للطبري، ١١/١٩٩ (الأنفال، ٨/٤١).
[٣] ر + تعالى.
[٤] ر: جزى.

لأن العلم المجرَّد يستوي فيه المؤمن والكافر.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ معطوفٌ على ﴿بِٱللَّهِ﴾؛ أي: إن كنتُم آمنتُم بالله وبالمنزَل ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ وقرئ: "عُبُدِنا"، كقوله: "وعُبُدَ الطاغوت" بضمتين.

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾: يومَ بدر، و﴿ٱلْجَمْعَانِ﴾: الفريقان من المسلمين والكافرين، والمرادُ ما أُنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقدر على أن ينصرَ القليلَ على الكثير والذليلَ على العزيز كما فَعَل بكم ذلك اليوم.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿إِذْ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾.

و"العُدْوة": شطُّ الوادي، بالكسر والضمِّ والفتح، وقرئ بهنَّ، و: "بالعِدْيَة" على قلبِ الواو ياءً؛ لأن بينها وبين الكسرة حاجزًا غيرَ حصينٍ كما في: الصِّبية.

و﴿ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾: تأنيثُ الأدنى والأقْصى.

قوله: (**يستوي فيه المؤمِن والكافر**) ليس كما ذكره؛ لأنّ المؤمِن إنّما يعلم أنّه كذلك لاستفادته[١] مِن **القرآن** واعتقادِ صدقه، وأمّا الكافر فإذا لم يؤمِن **بالقرآن** ولا يعتقد صحّتَه فكيف يعلم أنّه كذلك؟ فيه نظر، فإنّ الكافر الجاحد والمعاند يعلم ذلك وإن لم يصر[٢] منقادًا.

قوله: (و﴿ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿ٱلْقُصْوَىٰ﴾)[٣] تأنيث "الأدنى" مِن دنا يدنو. (**الرَّكْب**[٤] **الأربعين**) أي:أصحاب الإبل.

---

[١] ر: لاستفاد به.

[٢] ر: يصير.

[٣] ر + تأنيث الدنيا.

[٤] ن ر: القصوى.

فإن قلتَ: كلتاهما "فُعْلَى" من بناتِ الواو، فلمَ جاءت إحداهما بالياء والثانيةُ بالواو؟

قلتُ: القياس هو قلب الواو ياءً كالعُليا، وأما القُصوى فكالقَوَد في مجيئه على الأصل، وقد جاء: "القُصْيا" إلَّا أن استعمال "القُصوى" أكثر؛ كما كثُرَ استعمالُ استصوبَ مع مجيء استصابَ، وأَغْيَلَتْ مع أغالَتْ.

و"العُدوة الدنيا" مما يلي المدينة، و"القصوى" مما يلي مكَّة.

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني: الرّكبَ الأربعين الذين كانوا يقودون العِير ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ بالسَّاحل، و﴿أَسْفَلَ﴾: نصبٌ على الظرف، معناه: مكانًا أسفلَ من مكانكم، وهو مرفوع المحلِّ؛ لأنه خبرٌ للمبتدأ.

فإن قلتَ: ما فائدةُ هذا التوقيت، وذكرِ مراكز الفريقين، وأن العير كانت أسفل منهم؟

قلتُ: الفائدةُ فيه الإخبارُ عن الحال الدالَّة على قوَّة شأن العدوِّ وشوكته، وتكامُلِ عُدَّتِه، وتمهُّدِ أسباب الغلَبة له، وضعفِ شأن المسلمين والتيَاثِ أمرهم، وأن غلبَتَهم في مثلِ هذه الحال ليست إلَّا صُنْعًا من الله سبحانه ودليلًا على أنَّ ذلك أمرٌ لم يتيسَّرْ إلَّا بحَولِهِ وقوَّته وباهرِ قدرته.

وذلك أن العُدوةَ القُصوى التي أناخَ بها المشركون كان فيها الماءُ وكانت أرضًا لا بأس بها، ولا ماءَ بالعُدوة الدنيا، ....

قوله: (وهو مرفوع[١] المحلّ) التوقيت: تعيين الوقت، يريد قوله: ﴿إِذْ[٢] أَنتُم﴾.

قوله: (والتياث[٣] أمرهم) «الالتياث: الاختلاط[٤] والالتفاف.[٥] يقال: التاثت الخطوب. والتاث[٦] برأس القلم شعرةٌ»،[٧] افتعال مِن اللوثة وهي الضعف.

[١] ن ر: وقوع.
[٢] ر: إذا أنتم.
[٣] ر: والثباث.
[٤] ن ر: الإخلاط.
[٥] ن ر: الالتفات.
[٦] ر: والتابن.
[٧] **الصحاح** للجوهري، «لوث».

وهي خَبَارٌ تسوخُ فيها الأرجل ولا يُمشى فيها إلّا بِتَعبٍ ومشقَّةٍ، وكانت العيرُ وراءَ ظهُور العدوِّ مع كثرةِ عددهم، فكانت الحمايةُ دونها تُضاعِفُ حميَّتَهم وتَشحذُ في المقاتَلة عنها نيّاتِهم، ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظُعُنهم وأموالِهم ليبعثَهم الذبُّ عن الحريم والغَيرةُ على الحُرُم على بذل جُهَيْداهم في القتال، وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدِّثون أنفسَهم بالانحياز إليه، فيجمَعَ ذلك قلوبَهم ويَضْبطَ هِمَمَهم ويُوطِّن نفوسَهم على أن لا يَبرحوا مواطنَهم

قوله: (خَبار تسوخُ) «الخَبار: الأرض الرّخوة ذات الحِجَرة».[١] وقوله: "تسوخ"[٢] تفسير "خَبار".

قوله: (وكانت العِير) «العِير: الإبل التي تحمل المِيرة»،[٣] وهي في معنى الجمع، فلذلك[٤] أنّثها[٥] حيث قال: "كانت" بالتاء.[٦]

قوله: (دونها) ظرف (الحماية). و(تُضاعف) خبر[٧] "كانت".

قوله: (وتشحَذ) تجدِّد وتقوّي، ومنه المِشحَذ للبرد. وقوله: (بظعنهم) الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج، والظعينة: الهودج أيضًا[٨] فيه[٩] امرأة أو لم تكن، والجمع ظُعْن وظُعُن.[١٠]

قوله: (عن الحريم) حريم البيت والبئر وغيرهما ما[١١] حولها مِن مرافقها وحقوقها.[١٢]

قوله: (على الحُرُم) حُرمة الرجل: حرمه وأهله.

قوله: (وألّا يتركوا) عطف على قوله: (ليبعثهم).

قوله: (ما يحدِّثون) وهو "ظعنهم وأموالهم".

---

١ **الصحاح** للجوهري، «خبر».

٢ ر + الخَبار.

٣ **الصحاح** للجوهري، «عير».

٤ ن + فلذلك.

٥ ر: انتهى.

٦ ن ر: التاء.

٧ ر: خير.

٨ ر - الهودج أيضًا.

٩ ر: وفيه.

١٠ انظر: **الصحاح** للجوهري، «ظعن».

١١ ن: لسعهم.

١٢ انظر: **الصحاح** للجوهري، «حرم».

ولا يُخْلُوا مراكزَهم، ويبذلوا منتهَى نَجْدتِهم وقُصارى شدَّتِهم، وفيه تصويرُ ما دَبَّر تعالى من أَمْرِ وقعةِ بَدْرٍ.

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ من إعزاز دينه وإعلاءِ كلمته حين وَعَد المسلمين إحدى الطائفتين مُبهَمةً غيرَ مبيَّنةٍ حتى خرجوا ليأخذوا العيرَ راغبين في الخروج، وشَخَصَ بقُريشٍ مَرْعوبين مما بَلغَهم من تعرُّض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم حتى نَفَروا ليَمنَعوا عِيرَهم، وسبَّب الأسبابَ حتى أناخ هؤلاء بالعُدوة الدنيا وهؤلاء بالعُدوة القصوى ووراءهم العيرُ يُحامون عليها، حتى قامت الحربُ على ساقٍ وكان ما كان.

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم وأهلُ مكة وتواضَعْتُم بينكم على موعدٍ تلتقون فيه للقتال لخالَفَ بعضُكم بعضًا، فثبَّطكم قلَّتُكم وكثرتُهم عن الوفاء بالمَوْعد، وثَبَّطهم ما في قلوبهم من تهيُّب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فلمْ يتَّفِقْ لكم من التَّلاقي في ما وفَّقه اللهُ وسبَّبَ له.

﴿لِيَقْضِيَ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ أي: ليقضيَ أمرًا كان واجبًا أن يُفعلَ -وهو نصرُ أوليائه وقهرُ أعدائه- دبَّر ذلك، وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ﴾ بدلٌ منه، ....

قوله: (نجدتهم)،[1] أي: شجاعتهم.

قوله: (ما دبَّر) التدبير في الأمر أن ينظر ما تئول إليه عاقبته.

قوله: (وشخص بقريش)، أي:[2] ذهب بهم. «شخص مِن بلد إلى بلد شخوصًا، أي: ذهب. وهو أشخصه غيرَه».[3] والباء في "بقريش" للتعدية.

قوله: (مرعوبين) يقال: «رعَبتُه فهو مرعوب إذا أرهبتَه، ولا تقل: أرعبتُه».[4]

قوله: (مِن تعرُّض رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم) بيان "ما"، والتعرُّض[5] مصدر مضاف إلى الفاعل.

[1] ر: بحذقهم.
[2] ن ر: إلّا.
[3] ر: عين. | الصحاح للجوهري، «شخص».
[4] الصحاح للجوهري، «رعب».
[5] ن ر: والتعريض.

واستُعير الهلاك والحياةُ للكفر والإسلام؛ أي: ليَصْدُرَ كفرُ مَن كفَر عن وضُوحِ بيّنة لا عن مخالجةِ شبهةٍ حتى لا تبقى له على الله حجةٌ، ويَصْدُرَ إسلامُ مَن أسلم أيضًا عن يقينٍ وعلمٍ بأنَّه دينُ الحق الذي يجب الدخولُ فيه والتمسُّكُ به، وذلك أنَّ ما كان من وَقْعةِ بدر من الآيات الغرِّ المحجَّلة التي مَن كفر بعدها كان مكابرًا لنفسه مُغالطًا لها.

وقرئ: "ليَهْلَك" بفتح اللام.

و: ﴿حَيِيَ﴾ بإظهار التضعيف.

﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يعلمُ كيف يدبِّر أموركم ويُسوِّي مصالحَكم، أو: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بكفرِ مَن كفَر وعقابِه وبإيمانِ مَن آمَنَ وثوابِه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ نصبُه بإضمار: اذكر، أو هو بدلٌ ثانٍ من ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾، أو متعلقٌ بقوله: ﴿لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: يعلم المصالح إذ يُقلِّلُهم في عينك.

﴿فِى مَنَامِكَ﴾: في رُؤياك، وذلك أن الله عز وجل أراه إيَّاهم في رُؤياه ﴿قَلِيلًا﴾

قوله: (وقرئ: "ليَهلَكَ" بفتح اللام)[1] وهي لغة، نحو "أبى يأبى"،[2] كما مرّ في قوله: ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ [البقرة ٢٠٥/٢] في سورة البقرة، أو مِن التداخل،[3] كما سيجيء في سورة حم الأحقاف.[4]

قوله: (تعسُّف) وممّا يدل على أنّ المراد بقوله: (﴿فِى مَنَامِكَ﴾) هو الرؤيا في النوم، لا ما قال الحسن رحمه الله: إنّه تعالى[5] ذَكَر عقيبه تقليلهم في أعينهم، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ﴾... إلخ.

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن عِصمة عن أبي عمرو، والعمري عن يعقوب. المغني في القراءات للنَّوْزاوازي، ص ٨٨٩.

٢ ر: ما أبى.

٣ كذا في الأصول، وما اتّجه لي معناه.

٤ انظر تفسير الأحقاف، ٣٥/٤٦.

٥ ن ر + أنّه.

فأَخبر بذلك أصحابَه، فكان تثبيتًا لهم وتشجيعًا على عدوِّهم.

وعن الحسن: ﴿فِي مَنَامِكَ﴾: في عينك؛ لأنها مكان النوم؛ كما قيل للقَطِيفة: المنامَةُ؛ لأنها يُنامُ فيها.

وهذا تفسيرٌ فيه تعسُّفٌ، وما أحسبُ الرِّوايةَ صحيحةً فيه عن الحسن، وما يُلائم علمَه بكلام العرب وفصاحتَه.

﴿لَفَشِلْتُمْ﴾: لجَبُنْتُم وهِبتُم الإقدامَ.

﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ في الرَّأي، وتفرَّقَتْ فيما تصنعون كلمتُكم، وترجَّحتُم بين الثبات والفِرار.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ أي: عَصَم وأنعمَ بالسلامة من الفشل والتنازُع والاختلاف.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: يعلم ما سيكون فيها من الجُرْأة والجبنِ، والصَّبْر والجزع.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الضميران مفعولان، يعني: وإذ يُبصِرُكم إيَّاهم، و﴿قَلِيلًا﴾ نصبٌ على الحال.

وإنما قَلَّلَهم في أعينهم تصديقًا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليُعايِنوا ما أَخبرهم به فيزدادَ يقينُهم ويَجِدُّوا ويَثْبُتوا، قال ابن مسعود رضي الله عنه:

قوله: (وترجَّحتم) ههنا ما في الصدور / مِن الجرأة والجزع والصبر، وإنّما قال المصنّف: (ما سيكون) بالسين إشارة إلى أنّ المراد ما سيحصل بعد ذلك، أي: عند الملاقاة في صدورهم،[1] وذلك كان متأخِّرًا عن التقليل أو التكثير، فلذلك أتى بالسين، فإنّه مستقبل بالنظر إلى ما قبله. [٣٧٠و]

---

١ ر: صدرهم.

لقد قُلِّلوا في أعيننا حتى قلتُ لرجل إلى جَنْبي: أتُراهم سبعين؟ قال: أُراهم مئةً، فأسَرنا رجلًا منهم فقلنا: كم كنتُم؟ قال: ألفًا.

﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِيٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى قال قائل منهم: إنّما هم أَكَلَةُ جَزُورٍ.

فإن قلتَ: الغرضُ في تقليلِ الكفَّار في أعين المؤمنين ظاهرٌ، فما الغرضُ في تقليل المؤمنين في أعينهم؟

قلتُ: قد قلَّلهم في أعينهم قبل اللِّقاء ثم كثَّرهم فيها بعده، ليجترِئوا عليهم قلَّةَ مبالاةٍ بهم ثم تَفْجأهم الكثرةُ فيُبهَتُوا ويَهابوا وتُفَلَّ شوكتُهم حينَ يَرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم، وذلك قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل عمران ١٣/٣]، ولئلا يستَعِدُّوا لهم، وليَعظُمَ الاحتجاجُ عليهم في استيضاح الآية البيّنة من قلَّتهم أوَّلًا وكثرتهم آخِرًا.

فإن قلتَ: بأيِّ طريق يُبصِرون الكثيرَ قليلًا؟

قلتُ: بأن يَستُرَ اللهُ عنهم بعضَه بساترٍ، أو يُحْدِثَ في عيونهم ما يستقلُّون له الكثيرَ؛ كما أَحدث في أعيُن الحُول ما يَرَوْن له الواحدَ اثنَيْن، قيل لبعضهم:

قوله: (**إنّما هم[1] أَكَلَة جزور**) أي:قليل[2] بحيث يشبعهم جزور واحد،[3] فكأنّهم قالوا: "هم مئة"؛ لأنّهم يجعلون الجَزور طُعمة مئة. مثل يضرب في القلّة والأمر الذي لا يعبأ به، وهو مثل قولهم: «هم أَكَلَة رأس»،[4] أي: قليل يُشبِعهم رأس أو جزور[5] واحد.

قوله: (**ليجترئوا[6] عليهم قلّة مبالاة**)... إلخ، فيه لفّ، أي: قلّل[7] المؤمنين في أعين الكفّار ليفجأ الكفّار قدر المؤمنين فيبهت[8] الكفّار.

قوله: (**تَرَك أن يصفها**) أي:لم يقل: فئة[9] كافرة.

---

١ ر: إيماءهم.
٢ ن: قبلهم؛ ر: قتلهم.
٣ انظر: **الصحاح** للجوهري، «أكل».
٤ **مجمع الأمثال** للميداني، ٤٩/١.
٥ ر - أو جزور.
٦ ر: ليحترئوا.
٧ ن ر: قدر.
٨ ر: فتبهت.
٩ ر: فيه.

إن الأحول يَرى الواحد اثنين، وكان بين يديه دِيكٌ واحدٌ، فقال: ما لي لا أرى هذين الديكين أربعةً؟!

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾: إذا حاربتُم جماعةً من الكفَّار، تَرَكَ أن يَصِفَها؛ لأن المؤمنين ما كانوا يَلقَوْن إلّا الكفَّارَ، واللِّقاء: اسمٌ للقتال غالب.

﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ لقتالهم ولا تَفِرُّوا.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ في مواطنِ الحرب مستظهِرين بذكره مستنصِرين به داعِينَ له على عدوِّكم: اللّٰهمَّ اخْذُلْهم، اللّٰهم اقْطعْ دابرَهم.

﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: لعلَّكم تظفَرون بمرادكم من النُّصرة والمثُوبَة.

وفيه إشعارٌ بأنَّ على العبد أن لا يَفتُرَ عن ذكر ربِّه أشغَلَ ما يكون قلبًا وأكثرَ ما يكون همًّا، وأن تكون نفسُه مجتمِعةً لذلك ....

قوله: **(لبعضهم)** أي:لبعض الحول.

قوله: **(أشغل ما يكون قلبًا)** "أشغل" حال مِن الضمير في **(يفتر)**،[1] وفاعله ضمير يعود إلى ذلك الضمير. و"ما" بمعنى شيء ويكون صفته، وهي مِن "كان" التامّة قلبًا تمييز مِن الضمير في "أشغل". والمعنى: يجب على العبد ألّا يفتُر عن ذِكر ربّه في حال يكون أشغل قلبًا مِن جميع أفراد الناس، إذا فضِل الناس واحدًا واحدًا، وذلك أنّ اسم التفضيل إذا أضيف إلى النكرة فقيل: "زيد أفضل رجل"، فالمعنى: إثباتُ فَضْل زيد على الرجال إذا فضِلوا رجلًا رجلًا، وإذا قلتَ: "الزيدان أفضل رجلين" فالمعنى إثبات فَضْل الزيدين على الرجال، إذا فضِلوا رجلين رجلين، وإذا قلتَ: الزيدون أفضل رجال فالمعنى إثبات فضل الزيدين على الرجال إذا فضِل[2] الرجال جماعة جماعة، وهكذا تقرير قوله: **(أكثر ما يكون)**.[3]

---

[1] ر: تفسير.

[2] ر: فضلت.

[3] ر + هما.

وإن كانت متوزِّعةً عن غيره، وناهيكَ بما في خُطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيَّام صفّين وفي مَشاهده مع البُغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطيفات المعاني وبَلِيغاتِ المواعظ والنصائح دليلًا على أنهم كانوا لا يَشغَلُهم عن ذكر الله شاغلٌ وإنْ تَفَاقَمَ.

قوله: **(متوزِّعة)** توزُّعه: تقسُّمه يتعدّى ولا يتعدّى.

قوله: **(وناهيك بما في خُطَب)** "ما" مبتدأ والباء زائدة، و"ناهيك" خبر مقدَّم، أي: ما في خُطَب أمير المؤمنين عليّ رضي الله تعالى[1] عنه وكرَّم الله وجهه مِن البلاغة كافيك[2] في الدلالة على ما ذكرنا. وتأويله أنّه لقوّة دلالته ينهاك عن تطلُّب غيره. «ويقال: هذا رجل ناهيك مِن رجل، ونهيُك مِن رجل، ونهاك مِن رجل، وتأويله أنّه بجدّه وغَنائه[3] ينهاك عن تطلُّب غيره. قال:

هو الشيخ الذي حُدِّثتَ عنه   نهاكَ الشيخُ مكرُمةً وفخرا[4]

وهذه امرأة ناهيَتُك مِن[5] امرأة يذكَّر ويؤنَّث ويثنّى ويُجمع؛ لأنّه اسم فاعل، وإذا قلت: "نهيُك مِن رجل" كما تقول: "حسبك مِن رجل" لم تُثنَ ولم تجمع؛ لأنّه مصدر. وتقول في المعرفة: هذا عبد الله ناهيك مِن رجل، فتنصب ناهيك على الحال».[6]

قوله: **(في أيّام صِفِّين)** صِفِّين: موضع كان فيه محاربة بين أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه وبين معاوية. وعطف المصنّف على طريقة ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢] قولَه: **(في مَشاهِده مع البغاة)** على قوله: "أيّام صِفِّين"، فإنّ العلماء أطلقوا[7] الكلام في أنّ معاوية مِن أهل البغي، وقالوا: اتّفق العلماء على ذلك.

قوله: **(دليلًا)** حال مِن الضمير في "ناهيك" أو تمييز.

---

[1] ر - تعالى.

[2] ر: كما فيك.

[3] ن ر: وعنايته.

[4] ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في **الصحاح** للجوهري، «نهى»؛ و**الإبانة** للعوتبي الصحاري، ١/٣٣٨؛ وفتوح الغيب للطِّيبي، ٩٤/١٢ (القصص، ٦٣/٢٨).

[5] ن ر: عن.

[6] **الصحاح** للجوهري، «نهى».

[7] ن ر + على.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦﴾

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ قرئ بتشديد التاء.

﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ منصوبٌ بإضمارِ "أنْ"، أو مجزومٌ لدخوله في حُكم النهي، وتَدلُّ على التقديرين قراءةُ مَن قرأ: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ بالتاء والنصب، وقراءةُ مَن قرأ: "ويَذهَبْ ريحُكم" بالياء والجزم.

والريحُ: الدولةُ، شُبِّهت في نفوذ أمرِها وتمشِّيهِ بالريح وهبوبِها، فقيل: هَبتَ رياحُ فلان: إذا دَالتْ له الدولةُ ونفذَ أمرُه، ومنه قولُه:

أتنظُرَانِ قليلًا رَيثَ غفلتِهم أم تَعدُوانِ فإن الرِّيحَ للعادي

قوله: (والريح: الدولة)، يعني: استعار للدولة الريح بعد ما شبّهت الدولة في نفوذ أمرِها وتمشِّيه[1] بالريح، ثمّ أدخل المشبّه المتروك فقيل: هبّ رياح فلان إذا دالت له الدولة. قال:

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها فإنّ لكلّ خافقة سكونُ
فلا تغفل عن الإحسان فيها فما تدري السكون متى يكونُ[2]

/ قوله:[3] (أتنظران قليلًا) البيت قبله: [٣٧٠ظ]

يا صاحبيّ ألا لا حيَّ بالوادي إلّا عَبيد وآم بين أذوادِ[4]

الذَّود مِن الإبل: ما بين ثلاثة إلى عشرة. "أتنظران" مِن انتظرتُه. (ريثَ): قدر. (أم تَعدوان) تفتكان. (للعادي) للفاتك. هذا بيت خاربٍ[5] يخاطب صاحبيه،[6] وكان سارقًا للإبل.

قوله: (فإنّ الريح للعادي) أي: فإنّ الدولة للظالم. يقول للظالمين حين أطلا

---

[1] ر: وبمشيه.
[2] البيتان للإمام الشافعي في ديوانه، ص ١٠٢؛ وهما لابن هندو في غُرر الخصائص الواضحة للوطواط، ص ٣٠٣؛ وبلا عزو في التمثيل والمحاضرة للثعالبي، ص ٢٤١؛ والدرّ الفريد لابن أيدمر، ٢٦١/٣.
[3] ن – قوله.
[4] البيتان لسُليك بن السُّلَكة في ترجمته من الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٣٥٤/١؛ وينسبان إلى تأبّط شرًّا، وهما في ملحق شعره ممّا نُسب إليه وليس له، انظر: ديوانه، ص ٢٤١؛ وهما بلا عزو في الزاهر لابن الأنباري، ٢٧١/٢.
[5] الخارب: اللص. لسان العرب لابن منظور، «خرب».
[6] ر: صاحبته.

وقيل: لم يكن قطُّ نصرٌ إلّا بريحٍ يبعثها الله تعالى، وفي الحديث: «نُصرتُ بالصَّبا وأُهلِكتْ عادٌ بالدَّبور».

حذَّرهم بالنهي عن التنازع واختلافِ الرأي نحوَ ما وقع لهم بأحُدٍ لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشَلهم وذهابِ ريحهم.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ هم أهلُ مكّة حين نفَرُوا لحمايةِ العِير، فأتاهم رسولُ أبي سفيان وهم بالجُحْفة: أن ارجعوا فقد سَلِمَتْ عِيرُكم، فأبَى أبو جهل وقال: حتّى نَقْدَمَ بدرًا نشربُ بها الخمورَ وتعزِفُ علينا القِيَانُ، ونُطعِم بها مَن حضَرَنا من العرب، ....

على الحيّ: أتنظران[١] قليلًا حتّى يغفلوا[٢] فتسرقان وتعدوان، أم[٣] تظلمان وتسلبان مِن غير انتظار الغفلة.

قوله: **(وقيل: لم يكن قطّ نصر إلّا بريح)** فعلى هذا يكون ذهاب الريح حقيقة.

قوله: **(بالصَّبا)**[٤] الصَّبا: القَبول وهو مِن المشرق، والدَّبور مِن المغرب.

قوله: **(نحو ما وقع لهم بأحُد)** منصوب على أنّه مفعول به لقوله: **(حذَّرهم)**، والمعنى: لو تنازعوا للحقهم[٥] ما لحقهم بأحُد مِن الفشل وذهاب الدولة.

قوله: **(وقال: حتّى)** "حتّى" متعلِّق بمحذوف دلّ عليه **(ارجعوا)** أي: لا يرجع حتّى.

قوله: **(وتعزف)**[٦] «المعازف: الملاهي، والعازف: اللاعب بها، وقد عزف عزفًا. وعزفُ الرياح: أصواتها».[٧]

---

١ ر: أتنظران.
٢ ر: يفعلوا.
٣ ن ر: أي.
٤ **صحيح البخاري**، ١٠٩/٤ (٣٢٠٥)؛ **صحيح** مسلم، ٦١٧/٢ (٩٠٠).
٥ ن - للحقهم.
٦ ر: ويعرف.
٧ **الصحاح** للجوهري، «عزف».

فذلك بَطَرُهم ورِياؤهم الناسَ بإطعامهم، فوافَوْها فسُقوا كؤوسَ المنايا مكان الخمر، وناحَتْ عليهم النوائحُ مكان القِيَان، فنهاهم أن يكونوا مثلَهم بَطِرين طَرِبين مُرائينَ بأعمالهم، وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلِصين أعمالَهم لله.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿و﴾ اذكر ﴿إذ زَيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهم﴾ التي عَمِلوها في مُعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ....

قوله: **(فذلك)** الفاء جواب شرط محذوف، أي: إذا عرفتَ ما ذكرنا مِن معنى الآية فاعلم أنّ ذلك بطرُهم. وقوله: **(فوافَوها)** الفاء للسببية، فإنّ بطرهم ورياءَهم سبب أن بلغوا بدرًا فسُقوا.[1] وقوله: **(فنهاهم)** الفاء فيه أيضًا للسببيّة، يعني: لمّا[2] كان بطرهم ورياؤهم سببًا لِما عرفتَ نهى الله تعالى أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يكونوا مثلهم.

قوله: **(وأن يكونوا مِن أهل التقوى)** أي: وأمرهم أن يكونوا، فهو مِن باب:

علفتُها[3] تبنًا وماءً باردا[4]

قوله: **(وقيل: لمّا اجتمعت قريش)** قال في **الوسيط**: لمّا اجتمعوا للسير خافوا بني كنانة؛ لأنّهم كانوا يطلبونهم بدم، فأتاهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك الكناني وقال: أنا جار لكم، أي: مجيركم[5] على بني كنانة فلا يصل إليكم مِن جهتهم مكروه.[6] وقوله: "لمّا اجتمعت" في أصل المصنِّف: "وقيل:

---

[1] ن ر: فشقوا.

[2] ر: كلما.

[3] ر: علفته.

[4] لا يعلم قائله. ومضى تخريجه والكلام عليه في تفسير سورة البقرة، ٢/٧.

[5] ن: مجيزيكم.

[6] انظر: **الوسيط** للواحدي، ٢/٣٦٥ (الأنفال، ٨/٤٨).

ووسوسَ إليهم أنهم لا يُغلَبُون ولا يُطاقون، وأَوْهَمَهم أن اتّباع خُطواتِ الشيطان وطاعتَه مما يُجيرُهم، فلمّا تلاقَى الفريقان نكَصَ الشيطانُ وتَبرَّأ منهم؛ أي: بَطلَ كيدُه حين نزلَتْ جُنودُ الله.

وكذا عن الحسن: كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثَّلْ لهم.

وقيل: لمّا أجمعَتْ قريشٌ على المَسير ذكَرتْ الذي بينها وبين بني كِنانةَ من الحرب، فكاد ذلك يُثْنِيهم، فتمثَّل لهم إبليسُ في صورةِ سُراقةَ بن مالك بن جُعْشُمٍ الشاعرِ الكِنانيِّ، وكان من أشرافهم في جُند من الشيطان ومعه رايةٌ وقال: لا غالبَ لكم اليومَ وإني مُجيركم من بني كنانةَ، فلمّا رأى الملائكةَ تنزِلُ نكص.

وقيل: كانَتْ يده في يد الحارث بن هشام، فلمّا نكص قال له الحارث: إلى أينَ؟ أتَخذُلُنا في هذه الحال؟ فقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ ودفَعَ في صَدْرِ الحارث وانطلقَ، وانهزموا فلما بلغوا مكّة قالوا: هزَمَ الناسَ سُراقةُ، فبلغَ ذلك سُراقةَ فقال: والله ما شعرتُ بمسِيركم حتى بلغَتْني هزيمتُكم! فلما أسلموا علموا أنه الشيطانُ.

لمّا أجمعت[1] قريش على السير". وقوله: (جُعشُم)[2] هو في الأصل صفة. قال الجوهري: «هو الرجل القصير الغليظ مع شدّة. قال الفرّاء: فتح الشين فيه أفصح».[3] وقوله: (وكان مِن أشرافهم) أي:كان سُراقة مِن أشراف بني كنانة.

قوله: (نكص) أي:رجع.

قوله: "وقيل: لمّا اجتمعت قريش" عطف مِن حيث المعنى على قوله: (وسوس إليهم) فالقول في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ مجاز عن الوسوسة والنكوص استعارة تمثيليّة، كما تقول: أراك أيها الفتى تقدِّم رجلًا وتؤخِّر أخرى. ولذلك قال في تفسير ﴿نَكَصَ﴾: (بطل كيده). يدل عليه قول الحسن: (كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثّل لهم).[4] وعلى الثاني الكلّ مجرًى على الحقيقة.

---

[1] ر + في أصل المصنف. وقيل: لمّا اجتمعت.

[2] ر: جشعم.

[3] الصحاح للجوهري، «جعشم».

[4] ما وقفتُ عليه فيما بين يديّ من المظانّ.

وفي الحديث: «ما رُؤِيَ إبليسُ يومًا أصغرَ ولا أَدْحرَ ولا أغيظَ من يوم عرفةَ لِمَا يرى من نزول الرحمة، ....

قوله: (ما رُؤي إبليس يومًا أصغرَ) في يومين مِن إبليس في يوم عرفة. وقوله: (لِما يرى) مفعول له لفعل تضمّنه "ما رُؤي"، أي: انتفى رؤية إبليس نزولَ الرحمة في يوم عرفة. ولا يجوز أن يكون مفعولًا له لقوله: "رؤي"، وإلّا لتعلّق النفي بقوله: "لِما يرى"، ويفسد المعنى، وبيان ذلك أن نقول: قوله صلّى الله عليه وسلّم: ما رؤي...[١] إلخ، يحتمل أن يكون داخلًا على "رؤي[٢] إبليس" فقط فيكون هذا الفعل منفيًا.[٣] وقوله: "لِما يرى"[٤] علّة[٥] هذا المَنفيّ،[٦] وهو المقصود. ومنه قول المتنبي:

أبـدُو فيسجد مَن بالسوء يذكرني ولا أعـاتبـه صـفـحًا وإهـوانـا[٧]

/ فإنّ معنى البيت نفي المعاتبة، ثمّ علّل نفي المعاتبة بالصفح والإهوان. [٣٧١و]
وقد يشبَّه هذا بقولهم: "ليس زيد قائمًا بالضرورة"، فإنّه يحتمل أن يكون السلب داخلًا على الضرورة فتكون الضرورة منتفية، ويحتمل أن يكون السلب داخلًا على النسبة[٨] فتكون القضية منتفية و"بالضرورة" قيده. وعكس ما في الحديث قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَئْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة ٩/٤٤]، إذا جعلت قوله: ﴿أَن يُجَٰهِدُوا۟﴾ مفعولًا له بتقدير "كراهةَ أن يجاهدوا"، فإنّ الكراهة جُعلت علّة للاستئذان[٩] ثمّ دخل النفي عليه، بمعنى أنّهم لا يكرهون الجهاد حتّى يلزم منه أن يجعلوه علّة الاستئذان في تَرْك الجهاد. وقوله: (ولا أدحَر)[١٠] أدحَر:[١١] أطرَد، مِن دَحَره دحرًا ودحورًا إذا[١٢] طرده.[١٣]

[١] ن: رأى.
[٢] ن: رأى.
[٣] ر: منيفًا.
[٤] ر: يروى.
[٥] ر: على.
[٦] ر: النفي.
[٧] ديوان أبي الطيّب، ص ١٦٨.
[٨] ر: التشبيه.
[٩] ر: الاستئذان.
[١٠] ر: أدخر.
[١١] ر: أدخر.
[١٢] ن - إذا.
[١٣] ن: أطرده.

إلّا ما رُؤِيَ يومَ بدرٍ».

فإن قلتَ: هلَّا قيل: لا غالبًا لكم؛ كما يقال: لا ضاربًا زيدًا عندنا؟

قلتُ: لو كان ﴿لَكُمْ﴾ مفعولًا لـ﴿غَالِبَ﴾ بمعنى: لا غالبًا إيّاكم، لكان الأمرُ كما قلتَ، ولكنَّه خبرٌ تقديره: لا غالبَ كائنٌ لكم.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بالمدينة ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ يجوز أن يكون من صفةِ المنافقين، وأن يراد الذين هم على حرفٍ ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام.

وعن الحسن: هم المشركون.

﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ يَعْنُون: أن المسلمين اغترُّوا بدِينهم، وأنهم يَثِقون به ويُنصَرون من أجله، فخرجوا وهم ثلاثُ مئة وبضعةَ عَشَرَ إلى زُهاءِ أَلْفٍ، ثمَّ قال جوابًا لهم:

وقوله: (**إلّا ما رؤي**) استثناء مِن قوله: "يومًا". و"ما" مصدريّة، والوقت مقدّر، أي: ما رؤي أصغرَ في يوم إلّا في وقت رؤيته يوم بدر.

قوله: (**إلّا ما رؤي يومَ بدر**)[1] يجوز أن يكون بدلًا مِن قوله: "ما رؤي"[2] فيكون المراد بوقت رؤيته هو يوم بدر، ويجوز أن يكون حالًا مِن "ما رؤى"[3] فيكون المراد بـ"ما رؤي" بوقت رؤيته حال رؤيته وإنّ رؤيته، وبـ"يوم بدر" تمام يوم بدر، ويكون وقت رؤيته بعضًا مِن يوم بدر، يتوسَّط بين الصفة والموصوف لتأكيد لصوق الصفة.

قوله: (**وبضعةَ عشرَ إلى زُهاء ألف**) «البضع في العدد بكسر الباء، وبعضُ العرب يفتحها».[4] وزُهاء ألف: قدر ألف.

---

١ الحديث بلفظ قريب في **شعب الإيمان** للبيهقي، ٤٩٨/٥ (٣٧٧٥).

٢ ن: رأى.

٣ ن: رأى.

٤ **الصحاح** للجوهري، «بضع».

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ يُسلِّطُ القليلَ الضعيفَ على الكثيرِ القويِّ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾: ولو عايَنْتَ وشاهدتَ؛ لأن "لو" تردُّ المضارعَ إلى معنى الماضي كما تردُّ "إنْ" الماضيَ إلى معنى الاستقبال.

و﴿إِذْ﴾ نصبٌ على الظرف. وقرئ ﴿يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء.

و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ رفعُها بالفعل، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ حالٌ منهم.

ويجوز أن يكون في ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضميرُ الله تعالى، و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ مرفوعةٌ بالابتداء، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر.

وعن مجاهدٍ: أدْبارَهم: أسْتاهَهم، ولكنَّ الله كرِيمٌ يَكْنِي.

وإنما خصُّوهما بالضرب؛ لأن الخِزْيَ والنكال في ضربهما أشدُّ.

وبلغني عن أهل الصين أن عقوبةَ الزاني عندهم أن يُصْبَرَ ثمَّ يُعطَى الرجلُ القويُّ البطشِ شيئًا عُمل من حديدٍ كهيئةِ الطبق فيه رَزانةٌ وله مِقبضٌ،

قوله:[١] (﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾) فإنّ الله ينصره على أعدائه وإن كان قليلًا ضعيفًا والعدوّ كثيرًا قويًا.[٢]

قوله: (و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ مرفوعة بالابتداء و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر) واعلم أنّه لا يجوز أن يقال على هذا نحو: تكون الجملة في محلّ الحال؛ لأنّه جملة اسميّة بدون الواو، فيكون ضعيفًا. فهو جواب سؤال كأنّه قيل: كيف حالهم حينئذٍ؟ فأجيب بأنّ الملائكة يضربون.

قوله: (فيه رَزانة) الرزانة: الثقل. وشيء رزين، أي: ثقيل.[٣]

---

١ ن ر + يقال.

٢ ر: قليلًا.

٣ الصحاح للجوهري، «رزن».

فيَضرِبَه على دُبُره ضربةً واحد بقوَّته فيَجْمُدَ في مكانه.

وقيل: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر.

﴿وَذُوقُواْ﴾ معطوفٌ على ﴿يَضْرِبُونَ﴾ على إرادة القول؛ أي: ويقولون: ذوقوا ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾؛ أي: مقدِّمةَ عذاب النار.

أو: ذوقوا عذابَ الآخرة، بشارةً لهم به.

وقيل: كانت معهم مقامِعُ من حديد كلَّما ضربوا بها التَهَبتِ النارُ.

أو يقال لهم يوم القيامة: ذوقوا.

وجوابُ "لو" محذوفٌ؛ أي: لرأيتَ أمرًا فَظيعًا منكَرًا.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٥١﴾

قوله: (أي: ويقولون: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾) قال في المُغرِب: «الحريق: النار، وأمّا الحديث 'والحريق شهيد'[1] فالمراد المُحرَق، وإن لم أجده. ونظيره ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يونس ١/١٠] بمعنى المُحكَم على أحد القولين».[2] هذا كلامه في المغرب. وأنا أقول: يحتمل أن يكون هذا على حذف المضاف، تقديره: مُهلَك الحريق أو مُحرَق الحريق، فكأنّه قيل: المُهلَك بالنار أو المُحرَق بالنار شهيد.

قوله: (أي: مقدِّمةَ العذاب) وإنّما قدّر عند الموت لا يكون لهم عذاب، فيكون المعنى: مقدِّمة، أو يكون ذلك الكلام معهم على الموت بطريق الإخبار عمّا سيصيبهم في الآخرة.

قوله: (وقيل: كانت معهم) فعلى هذا يكون معنى ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ظاهرًا.[3]

قوله: (أو يقال لهم يوم القيامة) يشير به إلى أنّ هذا القول، أي: ﴿ذُوقُواْ﴾ على الوجه[4] الأوّل عند التوفّي، وعلى هذا الوجه يوم القيامة.

---

١ صحيح ابن حبّان، ٤٦١/٧؛ المعجم الكبير للطبراني، ٨٧/١٨ (١٦١).

٢ ن ر: القران. | الصحاح للجوهري، «حرق».

٣ ر: ظاهر.

٤ ن ر: الوجوه.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ يَحتمِلُ أن يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة.

و﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿بِمَا قَدَّمَتۡ﴾ خبرُه، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ عطفٌ عليه؛ أي: ذلك العذابُ بسببين: بسببِ كفركم ومعاصيكم وبأن الله ﴿لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾؛ لأنّ تعذيب الكفّار من العدل كإثابة المؤمنين.

وقيل: "ظلَّام" للتكثير لأجل العبيد؛ أو لأن العذاب من العِظَم بحيث لولا الاستحقاقُ لكان المعذِّبُ بمثله ظلَّامًا بليغَ الظلم مُتفاقِمَهُ.

﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٥٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝٥٣﴾

قوله: **(لأنّ تعذيب الكفّار مِن العدل)** بناء على مذهبه.[1]

قوله: **(وقيل)**... إلخ، أي: في مقابلة العبيد؛ لأنّه جمع تكثير.

قوله: **(وقيل "ظلّام" للتكثير لأجل العبيد)**،[2] يعني: إنّ ظلامًا بناء مبالغة يدلّ على أنّه تعالى ليس بظلام للعبيد، أي: بكثير الظلم، ويفهم مِن دليل الخطاب جواز إثبات الظلم القليل. أجاب عنه / بوجهين: **الأوّل** أن قوله: ﴿بِظَلَّٰمٖ﴾[3] مقترن بقوله: ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾، وهو جمع محلّى بلام الاستغراق، فإذا وُزع[4] نفي الظلم عن كلّ فرد فرد مِن أفراد هذا العامّ[5] صحّ أن يقال: ﴿لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ كما قال في سورة ق:[6] ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[7] [ق ٢٩/٥٠]، يعني: إنّ[8] المناسب أن يقال: ظالم لعبده وظلّام للعبيد، ولو قيل: ظلّام لعبده وظالم لعبيده لم يتطابق. [٣٧١ظ]

قوله: **(مُتفاقِمَه)** تفاقم الأمر، أي: عظُم.

---

[1] انظر تفصيله في **الإرشاد** للجويني، ص ٣٨١.
[2] ر - قوله: وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد.
[3] ن: ظلامًا؛ ر: ظلام.
[4] ر: أوزع.
[5] ر: العالم.
[6] ر + هو ظالم لعبده وظلام للعبيد.
[7] ر - ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾.
[8] ر - إن.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ الكافُ في محل الرفع؛ أي: دأبُ هؤلاء مثلُ دأب آل فرعون، ودأبهم: عادتُهم وعملُهم الذي دأبوا فيه؛ أي: داوَموا عليه وواظَبوا.

و﴿كَفَرُواْ﴾ تفسيرٌ لـ"دأب آل فرعون"، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما حلَّ بهم، يعني: ذلك العذابُ أو الانتقامُ بسبب أن الله لم ينبغِ له ولم يصحَّ في حكمته أن يغيِّر نِعمتَه عند قوم ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا﴾ بهم من الحال.

فإن قلتَ: فما كان مِن تغيير آل فرعون ومُشركي مكّة حتى غَيَّر اللهُ نِعمتَه عليهم ولم تكن لهم حالٌ مَرْضيَّةٌ فيُغيِّروها إلى حالٍ مسخوطةٍ؟

قلتُ: كما تُغَيَّر الحال المَرْضيّةُ إلى المسخوطة تُغيَّر الحالُ المسخوطةُ إلى أسخطَ منها، وأولئك كانوا قبلَ بعثةِ الرسول إليهم كفرةً عبَدةَ أصنامٍ، فلمّا بُعث إليهم بالآيات البيّنات فكذَّبوه وعادَوه وتحزَّبوا عليه ساعِينَ في إراقةِ دمهِ غَيَّروا حالَهم إلى أسْوأَ مما كانت، فغيَّر اللهُ ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجَلَهم بالعذاب.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَا يقول مكذِّبو الرسل ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعلون.

قوله: (**وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرةً عبدةَ أصنام**)... إلخ.[١]

(**فإن قلتَ: فما**[٢] **كان مِن تغيير؟**) "ما" في "فما" استفهاميّة، و"مِن" بيان.

قوله: (**فيُغيروها**) نصب؛ لأنّه في جواب النفي. قال الأستاذ العلّامة فخر الدين الجاربردي رحمه الله تعالى:[٣] يرِد في خاطري أنّه يصحّ أن يقال: إنّهم تمكنوا مِن الإيمان وأعرض الإيمان والهداية والصلاح لهم، ثمّ تركوا ذلك ولم يؤمنوا ولم يهتدوا؛ بل بقُوا على كفرهم، وكان ذلك حاصلًا فغيَّروه كما مرّ مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة ١٦/٢]، وفي أمثاله في مواضع كثيرة نحو ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة ٢٥٧/٢].

---

١ ر - (وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرةً عبدةَ أصنام)... إلخ.

٢ ن: ممّا.

٣ ر - تعالى.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ۝٥٤ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ تكريرٌ للتأكيد، وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادةُ دلالةٍ على كُفران النِّعَم وجحود الحقّ، وفي ذكر الإغراق بيانٌ للأخذ بالذنوب.

﴿وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ﴾: وكلُّهم من غَرْقَى القِبْطِ وقَتلى قريشٍ كانوا ظالمين أنفسَهم بالكفر والمعاصي.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أصرُّوا على الكفر ولجُّوا فيه فلا يُتوقَّعُ منهم إيمانٌ، وهم بنو قريظةَ عاهدَهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن لا يُمالِئُوا عليه، فنَكثوا بأنْ أعانوا مشركي مكةَ بالسلاح وقالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهَدَهم فنكثوا ومالوا معهم يومَ الخندق، وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالَفَهم.

قوله: (**وفي قوله: ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ زيادةُ دلالة**) وزيادة الدلالة لِذكر[1] الربّ.

قوله: (**وفي ذِكر الإغراق بيانٌ للأخذ[2] بالذنوب**) أي: الأخذ الذي ذَكَره في ﴿كَدَأْبِ﴾ الأوّل.

قوله: (**وكلّهم مِن غَرْقى القبط**)... إلخ، فإنّه لمّا قال: دأبهم كدأبهم، قال: كلّ مِن الغرقى والقتلى كانوا ظالمين.

قوله: (**ألّا يمالئوا عليه**) أي: لا يُعاونوا العدوّ عليه، والممالأة: المعاونة، ومنه قول عليّ رضي الله تعالى[3] عنه: «**والله ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ عليه**».[4] **النهاية**: الممالأة: المساعدة والمعاونة.[5]

---

[1] ر: الذكر.

[2] ن ر: الأخذ.

[3] ر - تعالى.

[4] **سنن سعيد بن منصور**، ٢/٣٣٥ (٢٩٤١)؛ **فضائل الصحابة** لابن حنبل، ١/٤٥٨ (٧٣٩)؛ **شرح السنّة** للبغوي، ١٠/١٨٤؛ **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٤/٣٥٣.

[5] انظر: **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٤/٣٥٣.

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦﴾

﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ﴾ بدلٌ من ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: الذين عاهَدْتَهم من الذين كفروا جعلَهم شرَّ الدَّواب؛ لأن شرَّ الناس الكفارُ، وشرُّ الكفار المُصرُّون منهم، وشرُّ المصرِّين الناكثون للعهود.

﴿وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ﴾: لا يخافون عاقبةَ الغَدْر، ولا يُبالون بما فيه من العار والنار.

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾: فإمّا تُصادِفَنَّهم وتَظفرنَّ بهم.

﴿فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ﴾: ففرِّقْ عن محارَبتك ومُناصَبَتك بقتلهم شرَّ قتلةٍ والنِّكايةِ فيهم مَن وراءهم من الكفرة حتى لا يَجسُرَ عليك بعدَهم أحدٌ اعتبارًا بهم واتِّعاظًا بحالهم.

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه: "فشرِّذْ" بالذال المعجمة، بمعنى: ففرِّقْ، وكأنه مقلوبُ "شَذِّرْ" ....

قوله: (أي: الذين عاهدتُم مِن الذين كفروا)، يعني: إنّ العائد مِن ﴿عَـٰهَدتَّ﴾ إلى الموصول محذوف، و"مِن" في ﴿مِنۡهُمۡ﴾ للبيان، والضمير عائد على ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قوله: (﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾: فإمّا تصادفنّهم) ثقِفتُه ثَقْفًا كـ"بلعتُه بلعًا": صادفته. وثقفتُ به: ظفرتُ به.[1]

قوله: (﴿فَشَرِّدۡ بِهِم﴾) شرّدهم: طردهم وفرّق جمعهم. والتشريد: الطرد.[2]

قوله: (اعتبارًا بهم) مفعول له لفعل تضمَّنه (لا يجسُر)[3] لا لـ"يجسر"،[4] كما مر عن قريب، أي: تنتفي خسارتهم للاعتبار.

---

[1] ر – به. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «ثقف».
[2] انظر: **الصحاح** للجوهري، «شرد».
[3] ن: يخسر.
[4] ن: يخسر.

من قولهم: "ذهبوا شَذَر بَذَر"، ومنه: الشَّذْرُ المُلتَقطُ من المَعدنِ لتفرُّقِه.

وقرأ أبو حيوةَ: "مِن خَلفِهم"، ومعناه: فافعَلِ التَّشْرِيدَ من ورائهم؛ لأنه إذا شرَّدَ الذين وراءَهُم فقد فعَل التشْريدَ في الوراء وأَوقَعَه فيه؛ لأن الوراء جهةُ المشرَّدين، فإذا جُعل الوراءُ ظرفًا للتشريد فقد دلَّ على تشريد مَن فيه، فلم يبقَ فَرْقٌ بين القراءتين.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعلَّ المشرَّدين من ورائهم يتَّعظون.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ مُعاهَدين ﴿خِيَانَةً﴾ ونكثًا بأماراتٍ تلوحُ لك ....

قوله: (مِن قولهم: شَذَر مَذَر) «الشَّذْر[1] مِن الذهب: ما يُلقَط مِن المعدن مِن غير إذابة الحجارة».[2]

قوله: (فافعل التشريد مِن ورائهم)، يعني: أجري المتعدّي[3] مُجرى اللازم ثمّ عُدي تعديتَه، كقوله:

يـجـرح[4] فـي عـراقـيـبـهـا[5] نَـصْـلـي[6]

وفي إيقاع التشريد في المكان وإرادةِ التشريد فيمَن يشغل المكان كناية، كقول الشنفرى:

يـبـيـت بـمـنـجـاة مِـن الـلـوم بـيـتُـهـا[7]

فإذن صحّ قوله: (فلم يبقَ فرق بين القراءتين) اللّٰهمّ إلّا في المبالغة.

قوله: (لعلّ المشرّدين مِن ورائهم يتّعظون) وإنّما قال: المشرَّدين بلفظ الجمع؛

---

[1] ر: الشدر.

[2] **الصحاح** للجوهري، «شذر».

[3] ر: للمتعدي.

[4] ر: يخرج.

[5] ن: عواقيبها.

[6] جزء من بيت لذي الرُّمّة، مضى بتمامه وشرحه وتخريجه في تفسير سورة البقرة، ٢/١٧.

[7] صدر بيت من مفضلية للشنفرى الأزدي، عجزه:
إذا ما بيوت بالمذمّة حُلّتِ
المفضّليّات للضبّي، ص ١٠٩، وفيها: «يحلّ» مكان «يبيت».

﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ﴾: فاطرَحْ إليهم العهدَ ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾: على طريق مستوٍ قصدٍ، وذلك أن تُظهِرَ لهم نبذَ العهد وتخبِرَهم إخبارًا مكشوفًا بيّنًا أنك قطعتَ ما بينك وبينهم، ولا تناجِزَهم الحربَ وهم على توهُّمِ بقاءِ العهد فيكونَ ذلك خيانةً منك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ فلا يكن منك إخفاءُ نكثِ العهد والخِدَاعُ.

وقيل: على استواءٍ في العلم بنقض العهد.

وقيل: على استواءٍ في العداوة.

والجارُّ والمجرور في موضع الحال؛ كأنَّه قيل: فانبِذْه إليهم ثابتًا على طريقٍ قصدٍ سَوِيّ، أو حاصلَينِ على استواءٍ في العلم أو العداوة على أنها حالٌ من النابذ والمنبوذ إليهم معًا.

لأنّ المراد الكفّار الذين هم خَلْف[١] المثقوفين[٢] في الحرب، فأمّا المثقوفون[٣] فهم المشرَّد مِن ورائهم، فتأمّل واستعِن بقولك: ممرور بهما، ممرور بهم، ممرور بها. اعلم أنّ قوله: "مِن ورائهم" ليس متعلِّقًا بـ"المشرَّدين"، فلذلك جمع المشرَّدين كما ذكرنا؛ بل هو متعلِّق بمحذوف صفة لـ"المشرَّدين"، أي: لعلّ المشرَّدين حالَ ثبوتهم واستقرارهم مِن خلف المشرَّدين[٤] وراءهم يتّعظون، فهذا ينبغي أن يُتأمّل فيه ليتّضح لك تمام المعنى.

[٣٧٢و] قوله: (ولا تُناجزهم)[٥] / ناجَزه[٦] الحرب، أي: عاجله.

قوله: (**وقيل: على استواء**) اعلم أنّ الاختلاف بين هذه الوجوه إنّما هو في تفسير لفظ ﴿سَوَآءٍ﴾، وأمّا حاصل المعنى فلا يختلف، فتأمّل.

قوله: (**ثابتًا على طريقٍ قصدٍ**) فالجارّ والمجرور حالٌ مِن فاعل ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾. وقوله: (**أو حاصلين**) على أن يكون[٧] حالًا مِن المجرور في[٨] ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾، والمرفوع في ﴿فَٱنۢبِذۡ﴾ كما في الوجهين، أي: على استواء في العلم أو على استواء في العداوة.

---

١ ر: خلاف.
٢ ر: المتفرقين.
٣ ر: المتفرقون.
٤ ر: المشرد من.
٥ ر: تباخرهم.
٦ ر: باخرة.
٧ ر: يكونوا.
٨ ر - في.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿سَبَقُوٓا۟﴾: فاتُوا وأفلَتُوا مِن أنْ يُظفَر بهم.

﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: إنهم لا يفوتون ولا يَجِدون طالبَهم عاجزًا عن إدراكهم.

وقرئ: "أنهم" بالفتح بمعنى: لأنهم، كلُّ واحدةٍ من المكسورة والمفتوحة تعليلٌ، إلَّا أن المكسورةَ على طريق الاستئناف والمفتوحةَ تعليلٌ صريحٌ.

وقرئ: "يُعجِّزون" بالتشديد، وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ: "يُعجِزونِ" بكسر النون.

وقرأ الأعمش: "ولا تَحسب الذين كفروا" بكسر الباء، وبفتحها على حذف النون الخفيفة.

وقرأ حمزةُ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء على أن الفعل لـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وقيل فيه: أصلُه: "أنْ سبَقوا"، فحذفت "أنْ" كقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ [الروم ٣٠/٢٤]، ....

قولـه: (﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾) «أعجزه الشيء: فاته، وأعجزتُ الرجل: وجدتُه عاجزًا».[١]

قوله: (وبفتحها) هو كقول الشاعر:

لا تهينَ الفقيرَ علَّكَ أن تركع يومًا والدهر قد رفعَهْ[٢]

قولـه: (وقيل[٣] فيه: أصله: "أن سبقوا") "فيه"، أي: فيما قرأ به[٤] حمزة.[٥] و"أن سبقوا": "أن"[٦] مخفَّفة مِن الثقيلة وفيه ضمير الشأن، أو مصدريّة وهي[٧] وما[٨] بعده سادّ مَسدّ[٩] المفعولين؛ لأنّ المقصود مسند ومسند إليه وهما حاصلان.

---

[١] الصحاح للجوهري، «عجز».

[٢] للأضبط بن قريع السعدي في البيان والتبيين للجاحظ، ٣٤١/٣؛ والشعر والشعراء لابن قتيبة، ٣٧١/١؛ والزاهر لابن الأنباري، ٢٩٣/٢؛ وأمالي القالي، ١٠٨/١؛ وهو بلا عزو في الصحاح للجوهري، «هون».

[٣] ن ر - قيل.

[٤] ر: قرأته.

[٥] ر: الحمرة.

[٦] ر: أي.

[٧] ر: مع.

[٨] ر: ما.

[٩] ر: مساد.

واستُدلّ عليه بقراءةِ ابن مسعود رضي الله عنه: "أَنَّهم سبَقوا".

وقيل: وقَعَ الفعلُ على ﴿أنهم لا يُعجِزون﴾ على أنَّ ﴿لَا﴾ صلة و﴿سَبَقُواْ﴾ في محلِّ الحال بمعنى: سابقين؛ أي: مُفْلِتين هارِبين.

وقيل: معناه: "ولا يَحسبَنَّهم الذين كفروا سبقوا" فحُذف الضميرُ لكونه مفهومًا.

وقيل: "ولا يحسبنَّ قَبيلُ المؤمنين الذين كفروا سبقوا".

وهذه الأقاويلُ كلُّها متَمحِّلةٌ، وليست هذه القراءةُ التي تفرَّد بها حَمْزةُ بِنَيِّرةٍ.

وعن الزُّهريِّ: أنها نزلت فيمَن أَفْلَتَ من فَلِّ المشركين.

قوله: (واستُدلّ عليه) أي:على أنّ أصل ﴿سَبَقُواْ﴾: "أن سبقوا، وكأنّه أشار[1] إلى ضعف هذا الوجه، إذ لا حاجةَ إلى[2] تقدير[3] "أن" المخفَّفة.

قوله: (قبيلُ المؤمنين) القبيل: الجماعة والجمع "قُبُل"، قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام ٦/١١١].[4]

قوله: (متمحِّلة) يقال: تمحَّل، أي: طلبه بحيلة وتكلُّف.

قوله: (وليست هذه القراءة) قراءة حمزة (نيِّرة)؛ لأنها منقولة عن ابن عامر يُسندها إلى حمزة، ولها هذه الوجوه في العربية مع تواترها، وما تواتر فهو نيِّر ولا وجه للطعن في المتواتر الثابت عن المعصوم عن الغلط، وكان اعتقاد المصنّف أن بعض القراءات[5] السبع غيرُ متواتر، وهذا اعتقاد فاسد مظلِم غير نيِّر.

قوله: (مِن فلّ المشركين) أي:الجماعة المنهزمة. والفلّ: اسم المنهزِم[6] واحدًا كان أو أكثر.[7] "مِن فلّ" بيان "مَن".

---

١ ر – أشار.
٢ ر: في.
٣ ر: تقرير.
٤ انظر: **الصحاح** للجوهري، «قبل».
٥ ر: القراءة.
٦ ر: المهزم.
٧ انظر: **الصحاح** للجوهري، «فلل».

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠﴾

﴿مِن قُوَّةٍ﴾: مِن كلِّ ما يُتَقوَّى به في الحرب من عُدَدها، وعن عُقبةَ بن عامرٍ: سمِعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول على المِنبَر: «أَلَا إنَّ القوَّةَ الرَّميُ» قالها ثلاثًا، وماتَ عُقبةُ عن سبعين قوسًا في سبيل الله.

وعن عِكرِمَةَ: هي الحصونُ.

والرِّباطُ: اسمٌ للخيل التي تُرْبَط في سبيل الله، ويجوز أن يسمَّى بالرِّباط الذي هو بمعنى المرابطة، ويجوز أن يكون جمعَ رَبيطٍ كفصيلٍ وفِصالٍ.

قوله: (والرِّباط) «رَبَط الدابة: شدَّها.[1] والمَربَط: موضع الربط. والرِّباط: ما يُربَط به مِن حبل، وقد يُسمّى به الحِبالة،[2] ومنه المثل 'إن ذهب عَير فعَير في الرِّباط'،[3] يضرب في الرِّضى[4] بالحاضر وترك الغائب. ورابَط الجيش: أقام في الثغر بإزاء العدوّ مرابطةً ورِباطًا، ومنه ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران ٣/٢٠٠]، أي: اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم ورابطوا، أي: أقيموا على الجهاد بالحرب. وقوله تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ﴾ جمع رَبيط بمعنى مربوط كـ"فصيل وفِصال" على أحد الأوجه».[5]

قوله: (أن يُسمّى الرباط) كما يقال لِما يخلق الله ولِما يضرب الأمير:[6] خلقًا وضربًا.

قوله: (والرِّباط: اسم للخيل التي تُربَط في سبيل الله) قيل: فإذن يلزم مِن إضافته[7] إلى الخيل إضافة الشيء إلى نفسه. يقال: الرِّباط اسم عامّ يطلق على معانٍ،

---

[1] ن – شدها.

[2] ر: أحبالة.

[3] مجمع الأمثال للميداني، ١/٢٥.

[4] ر: الرضاء.

[5] المغرب للمُطرِّزي، «ربط».

[6] ر: الأمير.

[7] ر: أوضافته.

وقرأ الحسن: "ومن رُبُطِ الخيل" بضم الباء وسكونها جمعُ رِباط.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ تخصيصًا للخيل من بين ما يُتَقَوَّى به؛ كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـٰلَ﴾ [البقرة ٩٨/٢].

وعن ابن سيرين رحمه الله: أنَّه سُئل عمَّن أوصى بثلثِ ماله في الحصون، فقال: تُشتَرى به الخيل فتُرابط في سبيل الله ويُغزَى عليها، فقيل له: إنما أوصى في الحصون؟ فقال: أَلَم تسمعْ قولَ الشاعر:

أن الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

﴿تُرْهِبُونَ﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد، وقرأ ابن عباس ومجاهدٌ رضي الله عنهما: "تُخْزون به".

والضميرُ في ﴿بِهِۦ﴾ راجعٌ إلى ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُم﴾.

منها ما ذُكر، ومنها انتظار الصلاة بعد الصلاة، فما[١] أضيف[٢] إلى الخيل للبيان، كقولك: "خاتمُ حديدٍ"، وعلى هذا اللام في قول المصنّف: "الرباط" للعهد، أي: الرباط المذكور في الآية. قال في **الانتصاف**: «المطابق للرمي أن يكون الرِّباط على بابه مصدرًا».[٣]

قوله: **(وعن ابن سيرين)**... إلخ، أورد المصنّف كلام ابن سيرين لدلالته على أنّ ذِكر ﴿رِبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ لتخصيص[٤] الخيل[٥] بين كلّ[٦] ما يُتقوّى به.

قوله:

(أنّ الحصون الخيلُ لا مَدَرُ[٧] القُرى)[٨]

أوّله:

ولقد علمتُ على توقّيَّ الردى

---

[١] ر – فما.

[٢] ر: فأضيف.

[٣] ر: مصدر. | **الانتصاف** لابن المنيّر، ١٧٣/٢.

[٤] ر: لتحصيل.

[٥] ر + من.

[٦] ر – كل.

[٧] ر: مدن.

[٨] البيت من مقصورة الأسعر الجعفي في **الأصمعيّات** للأصمعي، ص ١٤١؛ **والوحشيّات لأبي تمّام**، ص ٤٤؛ **والحيوان** للجاحظ، ٣٤٦/١.

﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾: هم أهل مكة.

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: هم اليهود. وقيل: المنافقون. وعن السُّدِّي: هم أهلُ فارس.

وقيل: كفرةُ الجنِّ، وجاء في الحديث: «إن الشيطان لا يقرَبُ صاحبَ فرسٍ، ولا دارًا فيها فرسٌ عتيقٌ»، وروي: أنَّ صَهيلَ الخيل يُرهِبُ الجنَّ.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

"جَنَحَ له وإليه": إذا مال، والسِّلْم تؤنَّث تأنيثَ نقيضها وهي الحرب، قال:

السِّلْمُ تأخذُ منها ما رضيتَ به والحربُ يكفيك من أنفاسها جُرَعُ

وقرئ بفتح السين وكسرها.

وعن ابن عباس: أن الآية منسوخةٌ بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة ٢٩/٩].

وعن مجاهد بقوله: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة ٥/٩].

والصحيح: أن الأمر موقوفٌ على ما يرى فيه الإمامُ صلاحَ الإسلام وأهلِه من حَرْبٍ أوْ سِلْم، وليس بحتمٍ أن يقاتلُوا أبدًا أو يُجابُوا إلى الهُدْنة أبدًا.

وقرأ الأشهبُ العُقَيْليُّ: "فاجنُحْ" بضم النون.

يعني: علمتُ أنّ الحصون التي يتوقَّى بها الخيلُ لا قصورُ القرى والمدائن[١] التي يلجأ بها.

قوله: (السِّلم تأخذ) البيت،[٢] مضى شرحه في "البقرة".[٣]

قوله: (إلى الهدنة) / «هادنه: صالحه. والاسم الهدنة».[٤] [٣٧٢ط]

---

١ ر: الدائن.

٢ البيت للعبّاس بن مِرداس السُّلَميّ يخاطب خُفاف بن ندبة، وهو في ديوانه، ص ١٠٣؛ وهو له في إصلاح المنطق لابن الكِيِّت، ص ٣٠؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشريّ، (البقرة، ٢٠٨/٢)؛ وأنوار التنزيل للبيضاويّ، ١٨٢/١ (البقرة، ٢٠٨/٢).

٣ مضى البيت في الكشّاف عند تفسير البقرة، ٢٠٨/٢، لكنّ الجاربردي لم يعلّق عليه ثمّة ولا ذكَره.

٤ الصحاح للجوهري، «هدن».

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ولا تَخَفْ من إبطانهمُ المكرَ في جُنُوحهم إلى السِّلْم فإن الله كافيكَ وعاصمُك من مكرهم وخديعتهم.

قال مجاهدٌ: يريد قريظةَ.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾: فإنَّ مُحْسِبَك الله؛ قال جَريرٌ:

إنّي وجدتُ من المكارمِ حسبَكم أن تَلْبسوا حُرَّ الثياب وتَشبَعوا

قوله:

(إنّي وجدتُ مِن المكارم) البيت

بعده:

فإذا تُذوكِرَت المكارم مرّةً في مجلس أنتم به فتقنّعوا[1]

قوله: (حسبَكم) أي:فحسبكم، أي: كافيكم. تقول: حسبُك ما أعطيتَ، أي: كفاك. يروى: (حرَّ الثياب) بالحاء والراء المهملتين. والحرّ مِن كلّ شيء: أعتقُه وأكرمه. ويُروى:[2] (خزَّ الثياب) بالمعجمتين. والخزّ: نوع مِن الثياب. قال في **المُغرِب**: الخزّ: اسم دابّة، ثمّ سُمّي المتّخذ مِن وبره خزًّا. فقوله: "فتقنّعوا"، أي: فغطّوا واستروا وجوهكم مِن الحياء، والمعنى: إنّ جريرًا هجا قومًا وقال: كفاكم مِن المكارم لُبس الثياب الناعمة وأكلُ المطعومات الطيّبة، وإذا ذكرت المكارم في مجلس فغطُّوا وجوهكم مِن الحياء، فلستم منها في شيء. وكأنّه أخذ هذا المعنى مِن قول حُطيئة في الزِّبرقان:[3]

---

١ لم أجد الشعر لجرير كما نسبه الزمخشري وأيّده في ذلك الجاربردي. وهو لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري في **كتاب سيبويه**، ١٥٣/٣؛ وهو لابنه سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان في **شرح أبيات سيبويه** لابن السيرافي، ١٦٨/٢؛ وربيع **الأبرار** للزمخشري، ٤٣٠/٤؛ وهو لبديع الزمان الهمَذاني في **أنوار الربيع** لابن معصوم، ١١٥/١.

٢ ر - حرّ الثياب بالحاء والراء المهملتين، والحر مِن كلّ شيء: أعتقه وأكرمه، ويُروى.

٣ ن: الزبرقات.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ التأليف بين قلوب مَن بُعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة؛ لأنّ العرب لِمَا فيهم من الحميَّة والعَصبيَّةِ، والانْطواءِ على الضغِينةِ في أدنى شيء، وإلْقائه بين أعينهم إلى أن ينتقِموا= لا يكاد يأتَلِف فيهم قلبان، ثم ائتلفت قلوبُهم على اتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتَّحدُوا، وأنشؤوا يَرمُون عن قوسٍ واحدةٍ، وذلك لِمَا نَظَم اللهُ من أُلْفتهم وجمع بين كلمتهم، وأحدثَ بينهم من التحابِّ والتَّوادِّ، وأماط عنهم من التباغُضِ والتَّماقُت، وكلَّفَهم من الحبِّ في الله والبُغض في الله، ولا يقدر على ذلك إلّا مَن يملك القلوبَ، فهو يقلِّبها كما شاء، ويَصنَعُ فيها ما أراد.

وقيل: هم الأَوْس والخَزْرجُ، كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادَتَهم ورؤساءهَم ودقَّ جماجِمَهم، ولم يكن لبَغْضائهم أمدٌ ومنتهًى، وبينهما التجاوُرُ الذي يُهيّجُ الضَّغائنَ ويُديم التحاسُدَ والتنافُسَ، ....

دَعِ المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي[1]

و"حسبَكم" مفعول أوّل لقوله: "وجدتُ". و"مِن المكارم" حال منه. و**(أن تلبسوا)** مفعول ثانٍ.[2]

قوله: **(مِن الآيات الباهرة)** أي: مِن الدلائل الدالّة على نبوّته دلالة ظاهرة. ثمّ بيّن ذلك بقوله: **(لأنّ)**... إلخ، يقال: «بهر القمر: أضاء حتّى غلب ضوء الكواكب. يقال: قمر باهر. وبهر الرجل: برع».[3] قال:

وقد بهرتَ فلا تخفى على أحدٍ ... إلّا على أحد لا يعرف القمرا[4]

---

١ البيت للحطيئة في **ديوانه** ٢٨٤؛ وهو له في **الصناعتين** لأبي هلال، ص ٤٤٨، و**الصحاح** للجوهري، «ذرق»، «كسا»، وبلا عزو في **دلائل الإعجاز** ٤٧١.

٢ ر - ثان.

٣ ر: بزغ. | **الصحاح** للجوهري، «برع».

٤ البيت لذي الرُّمة في **ديوانه**، ١١٦٣/٢؛ وهو له في **الصحاح** للجوهري، «برع»؛ و**مجمع الأمثال** للميداني، ٤٠٤/٢؛ و**التذكرة الحمدونيّة** لابن حمدون، ٥٣/٧.

وعادةُ كلِّ طائفتين كانتا بهذه المثابةِ أن تتجنَّبَ هذه ما آثَرَتْه أختُها وتكرهَهُ وتنفِرَ عنه، فأنْساهم الله ذلك كلَّه حتى اتَّفقوا على الطاعة، وتصافَوْا وصاروا أنصارًا وعادُوا أعوانًا، وما ذاك إلَّا بلطيف صُنعه وبليغ قدرته.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الواو بمعنى "مع"، وما بعده منصوبٌ، تقول: "حسبُك وزيدًا درهمٌ"، ولا تجرُّ؛ لأن عطف الظاهر المجرور على المَكْنيِّ ممتنعٌ، قال:

فحسبُك والضَّحَّاكَ سيفٌ مُهَنَّدُ

والمعنى: كفاكَ وكفَى تُبَّاعَكَ من المؤمنين اللهُ ناصرًا.

قوله: **(وعادةُ كلّ طائفتين)** مبتدأ، والخبر أن تتجنّب،[١] و**(كانتا[٢] بهذه)**[٣] صفة "طائفتين". وقوله: **(هذه)** أي:هذه الطائفة، يعني: ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾. والضمير المستتر في **(تكرهه)** عائد[٤] إلى "هذه" والبارز[٥] إلى **(ما)**.

قوله:

(فحسبُك والضحّاكَ سيفٌ مهنّدُ)[٦]

أوّله:

إذا كانت الهيجاءُ وانشقّتِ[٧] العصا

انشقاق[٨] العصا: عبارة عن التفرُّق. ونصب "الضحّاك" بقوله: "فحسبك" لأنّه في معنى "يكفيك".

---

١ ن: سميت؛ ر: تيمنت.

٢ ن ر: كانت.

٣ ن ر: هذه.

٤ ر: عائدًا.

٥ ر: والباء.

٦ البيت لجرير في **ذيل أمالي القالي**، ١٥٦/٣؛ وليس في **ديوانه**. وهو بلا عزو في **معاني القرآن** للفرّاء، ٤١٧/١؛ **وأمالي القالي**، ٢٩١/٢؛ **والصحاح** للجوهري، «عصا»؛ **والزاهر** لابن الأنباري، ٤١/١؛ **والإبانة** للعوتبي الصحاري، ٣٩١/٢.

٧ ر: والسقت.

٨ ر: السقاق.

أو يكون في محلِّ الرّفع؛ أي: كفاك الله وكفاك المؤمنون.

وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه.

وعن سعيد بن جبير: أنّه أسْلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثةٌ وثلاثون رجلًا وستُّ نسوةٍ، ثم أسلم عُمر فنزلت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

"التحريضُ": المبالغةُ في الحثِّ على الأمر، من الحَرَضِ وهو أن يَنْهَكه المرضُ ويتبالَغَ فيه حتى يُشفيَ على الموت، أو أن تسمِّيَه حَرَضًا وتقول له:

قوله: **(أو يكون في محلّ الرفع)**... إلخ، هذا المعنى الثاني ملائم لقوله تعالى: ﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله: **(بالبيداء)** البيداء:[١] المفازة؛ لأنّها مَهْلَكة. يقال: باد، أي:[٢] هلك يبيد بيدًا وبيودًا.[٣] والمراد هنا في قوله: **(نزلت[٤] بالبيداء)** أرض[٥] مستوية قريب[٦] مِن مسجد ذي الحليفة.

قوله: **(مِن الحَرْض)** اعلم أنّ الحَرْض في قول المصنف: "مِن الحَرْض" مصدر كما[٧] في[٨] قوله: **(حَرَضًا)**،[٩] وعلى هذا الوجه يكون مجازًا؛ لأنّ التسمية بالحرض مستلزم التهييج، فأُطلق الملزوم وأريدَ اللازم. وقوله: **(أن تُسميه)**

---

١ ر - البيداء.
٢ ن: باديْ.
٣ **الصحاح** للجوهري، «بيد».
٤ ن: نزل.
٥ ر: وأرض.
٦ ر: قريبة.
٧ ن ر: كفي.
٨ ن ر - في.
٩ ر: حرضًا.

ما أراك إلّا حَرَضًا في هذا الأمر وممرّضًا فيه؛ لتُهيّجَه وتُحرّك منه.

وقرئ: "وحرّص" بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفشُ، من الحِرْص، ويقال: حرَّكه وحرَّصه وحرَّشه وحرَّبه بمعنى.

وهذه عِدَةٌ من الله وبِشارةٌ بأنَّ الجماعة من المؤمنين إنْ صبروا غَلَبوا عشرةَ أمثالهم من الكفّار بعون الله تعالى وتأييده، ثم قال:

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾؛ أي: بسببِ أن الكفار قومٌ جَهلةٌ يقاتلون على غيرِ احتسابٍ وطلبِ ثوابٍ كالبهائم، فيَقِلُّ ثباتُهم ويَعْدَمون لجهلهم بالله نُصرتَه ويَستحقُّون خذلانَه، خلافَ مَن يقاتل على بَصيرةٍ ومعه ما يستوجِبُ به النَّصرَ والإظهارَ من الله تعالى.

وعن ابن جريجٍ: كان عليهم أن لا يفرُّوا ويَثْبُتَ الواحدُ منهم للعشرة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعثَ حمزةَ رضي الله عنه في ثلاثين راكبًا، فلَقِيَ أبا جهل في ثلاث مئة راكب.

قيلَ: ثم ثَقُلَ عليهم ذلك وضجُّوا منه، وذلك بعدَ مدة طويلةٍ، فنُسخ وخُفِّف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين.

عطف على قوله: **(المبالغة)**. ولا يحسن أن يكون عطفًا على قوله: **(أن ينهكه)**، إذ لا يستقيم أن يقال: الحَرْض أن تُسمّيه[1] حَرَضًا.

قوله: **(وهذه عِدَة)** أقول: وفي ضمنه التكليف بصبر الواحد في مقابلة العشرة، ولذا[2] قال تعالى بعده: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾... إلخ، وهذا المعنى هو المنقول عن ابن جريج،[3] والمعنى الذي ذَكَره المصنِّف معنًى حَسَن؛ لأنّه لو لم يكن في ضمنه البشارة بغلبة[4] القليل منهم الكثيرَ مِن الكفار لَما قال: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ﴾... إلخ، وهو معنى ظاهر اللفظ.

---

[1] ر: تسميته.

[2] ر: وكذا.

[3] مرويّ عن ابن أبي نجيح في **جامع البيان** للطبري، ٢٦٦/١١ (الأنفال، ٦٥/٨).

[4] ر: لغلبة.

وقيل: كان فيهم قلّةٌ في الابتداء، فلمّا كَثُروا بعدُ نَزَل التخفيفُ.

وقرئ: ﴿ضعفًا﴾ بالضم والفتح؛ كالمَكْث والمُكْث، والفَقْر والفُقْر، و: ﴿ضَعْفَا﴾ جمعُ الضعيف.

وقرئ الفعلُ المسندُ إلى المئة بالتاء والياء في الموضعين.

والمرادُ بالضعف: الضعفُ بالبدن، وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدِّين، كانوا متفاوتين في ذلك.

فإن قلتَ: لم كُرِّر المعنى الواحدُ -وهو مقاومةُ الجماعة لأكثر منها مرَّتين- قبل التخفيف وبعده؟

قلتُ: للدلالة على أنّ الحال مع القلَّة والكثرة واحدةٌ لا تتفاوتُ؛ لأنّ الحال قد تتفاوتُ بين مقاومةِ العشرين المئتين، والمئةِ الألفَ، وكذلك بين مقاومة المئة المئتين والألفِ الألفين.

قوله: **(وقرئ الفعل المسند إلى المئة)** أي:قوله: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾.[1]

قوله: **(مرّتين)** ظرف **(كرّر)**،[2] أي: كرّر قبل التخفيف وكرّر مرّة أخرى بعده.

قوله: **(قلتُ: للدلالة)** اللام في "الدلالة" متعلِّق بـ"كرّر" المحذوف لدلالة كرّر في السؤال عليه، واللام في قوله: **(لأنّ الحال)** متعلِّق بالدلالة، فكأنّه قيل: دلّ عليه لأنّ الحال...

قوله: **(لأنّ الحال قد تتفاوت)**، يعني: حال المقاومة تتفاوت، ترى الواحدَ لا يقاوم / الاثنين والعشرةَ المئةَ، فإذا بلغ العدد إلى مئة مع ألف مِن العدوّ **[٣٧٣و]** لا يكون الحكم[3] كذلك، فربّما يقاومونهم وعلى هذه الزيادة، ومِن ثَمّةَ[4] قيل: "الجيش العرمرم" العرمرم:[5] أربعة آلاف، فلا يغلب مِن أجل القلّة وكثرة العدوّ.

---

[1] قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالتاء، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالياء. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٠٨.

[2] ر: طرد.

[3] ر: الحلم.

[4] ر: ثم.

[5] ر - العرمرم.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٦٧﴾

قرئ: "للنبيّ" على التعريف، و: ﴿أُسَارَى﴾، و: "يُثَخِّن" بالتشديد.

ومعنى الإثخان: كثرةُ القتل والمبالغةُ فيه، من قولهم: أثخنَتْه الجِراحات: إذا أثبتَتْه حتى تَثْقُلَ عليه الحركةُ، وأثخنَه المرضُ: إذا أثقله، من الثَّخانة التي هي الغِلَظ والكَثافةُ. يعني: حتى يُذلَّ الكفرَ ويُضعِفَه بإشاعة القتل في أهله، ويعزَّ الإسلامَ ويقوِّيَه بالاستيلاء والقهر، ثمّ الأَسْرِ بعد ذلك.

ومعنى ﴿مَا كَانَ﴾: ما صحَّ له وما استقامَ، وكان هذا يومَ بدر، فلمَّا كثر المسلمون نزل ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد ٤٧/٤].

وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتِي بسبعين أسيرًا فيهم العباسُ عمُّه وعَقيلُ بن أبي طالب، فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال: قومُك وأهلُك، استَبْقِهم لعلَّ الله أن يتوبَ عليهم وخُذْ منهم فِديةً تُقوِّيَ بها أصحابك، وقال عمر رضي الله عنه: كذَّبوك وأخرجوك فقدِّمْهم واضربْ أعناقَهم، فإنَّ هؤلاء أئمةُ الكفر وإن الله أغناك عن الفداء: مكِّنْ عليًّا من عقيلٍ، وحمزةَ من العباس، ومَكِّنِّي من فلان -لنَسيبٍ له- فلنَضْرِبْ أعناقَهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليُليِّنُ قلوبَ رجال حتى تكون ألينَ من اللَّبَن، وإن الله ليُشدِّدُ قلوبَ رجالٍ

ورُوي في الحديث: «خير الجيوش أربعة آلاف»،[1] لكن حال المسلمين بخلاف ذلك، كما أشار إليه بقوله: **(للدلالة على أنّ الحال مع القلّة والكثرة واحدة)**.

قوله: **(ثمّ الأسر بعد ذلك)** تفسير لمعنى الغاية في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ﴾، يعني: لا يجوز الأسر إلّا بعد إذلال الكفر بالقتل وإعزاز أهل الإسلام بالغلبة والقهر.

قوله: **(لنسيب له)** اللام في "لنسيب" متعلّق بمحذوف،[2] أي: قاله لنسيب له.

قوله: **(فلْنَضرب أعناقهم)** مرتبط بقوله: **(مكِّن)**.

---

[1] سنن سعيد بن منصور، ٢/١٨٤ (٢٣٨٧)؛ صحيح ابن حبّان، ١١/١٧ (٤٧١٧).

[2] ر + تقديره.

حتى تكون أشدَّ من الحجارة، وإنَّ مَثَلك يا أبا بكر مَثَلُ إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم ٣٦/١٤] ومَثَلُك يا عمر مَثَلُ نوحٍ قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح ٢٦/٧١]»، ثم قال لأصحابه: «أنتم اليوم عَالةٌ فلا يُفْلِتَنَّ أحدٌ منهم إلّا بفداء أو ضربِ عنُقٍ».

وروي: أنّه قال لهم: «إن شئتُم قَتَلْتُموهم، وإن شئتم فادَيْتُموهم واستُشهد منكم بعِدَّتهم» فقالوا: بل نأخذ الفداء، فاستُشهدوا بأحُدٍ.

وكان فداء الأُسارى عشرين أُوقية، وفداء العباس أربعين أُوقيَةً.

وعن محمد بن سيرين: كان فداؤهم مئة أوقية والأوقيَةُ أربعون درهمًا وستَّةُ دنانير.

وروي: أنهم لمّا أخذوا الفداء نزلت الآيةُ، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال: يا رسول الله! ....

قوله: **(عالة)** العالة: جمع عائل وهو الفقير. وقوله: **(فلا يُفلِتنّ)** الإفلات الذهاب والفرار.

قوله: **(أو ضربِ عُنقٍ)**[١] عطف على قوله: "فداء" مِن حيث المعنى، فكأنّه قيل: لا بدّ[٢] لهم مِن بذل مال أو[٣] بذل نفس، وإنّما حملنا على هذا المعنى؛ لأنّ إفلاتهم لا يحصل بضرب عنقهم.

قوله: **(ورُوي أنّه عليه السلام قال لهم)**، يعني: رُوي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه: **(إن شئتم)**.[٤]

قوله: **(فإذا هو)**[٥] إذا للمفاجأة، أي: ففاجأ عمر رضي الله تعالى[٦] عنه زمانَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأبو بكر رضي الله تعالى[٧] عنه يبكيان.

---

١ مسند أحمد، ١٣٨/٦ (٣٦٣٢).

٢ ر: ند.

٣ ر + من.

٤ جامع البيان للطبري، ٢٧٩/١١ (الأنفال، ٦٧/٨).

٥ صحيح مسلم، ١٣٨٣/٣ (١٧٦٣).

٦ ر - تعالى.

٧ ر - تعالى.

أخبرني فإنْ وجدتُ بُكاءً بكيتُ، وإن لم أَجِدْ بكاءً تباكيتُ، فقال: أبْكي على أصحابك في أخذهم الفِداء، ولقد عُرِض عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبةٍ منه.

وروي أنه قال: «لو نزل عذابٌ من السَّماء لَمَا نجا منه غيرُ عمرَ وسَعْدِ بن معاذ» لقوله: كان الإثخانُ في القتل أحبَّ إليَّ.

﴿عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: حطامَها، سُمِّي عَرَضًا؛ لأنه حَدثٌ قليلُ اللَّبث، يُريد الفداءَ.

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ يعني: ما هو سببُ الجنَّة من إعزاز الإسلام بالإثخان بالقتل.

وقرئ: "يريدون" بالياء.

وقرأ بعضهم: "والله يريد الآخرةِ" بجرِّ "الآخرةِ" على حذف المضاف وإبقاءِ المضاف إليه على حاله؛ كقوله:

قوله: **(لشجرة)**[١] اللام في "لشجرة" متعلِّق بمحذوف، أي: قاله صلّى الله عليه وسلّم لشجرة.[٢]

قوله: **(سمّي بذلك)** أي:سُمّي حطام الدنيا بالعَرَض؛ لأنّه شيء يحدث ويقلّ لبثه تشبيهًا[٣] بالعَرَض الذي لا يبقى زمانين.[٤] والحَطْم: الكسر. والحُطام: ما تكسر مِن اليبيس.[٥] ثم إنّ المصنّف سمّى متاع الدنيا حُطامًا لسرعة فنائه كالشيء اليابس الذي ينكسر مِن اليُبس كالنبات اليابس. الراغب: العَرَض: ما لا ثبات[٦] له إلّا بالجوهر كاللون والطعم. وقيل: "الدنيا عرض حاضر" تنبيهًا على ألّا[٧] ثباتَ[٨] لها.[٩]

---

١ صحيح مسلم، ١٣٨٣/٣ (١٧٦٣).
٢ ر: لسحرة.
٣ ر: بسببها.
٤ ر - زمانين.
٥ ن: اليبس. | انظر: **الصحاح** للجوهري، «حطم».
٦ ر: نبات.
٧ ر: أن.
٨ ر: الإثبات.
٩ انظر: **مفردات ألفاظ القرآن** للراغب الأصفهاني، ص ٥٦٠.

ونـــــارٍ تـــوقَّـــدُ بــالــلــيــلِ نـــارًا

ومعناه: "والله يريد عَرَضَ الآخرة" على التقابُل، يعني: ثوابها.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يَغْلِبُ أولياؤه على أعدائه ويتمكَّنون منهم قتلًا وأسرًا، ويُطلق لهم الفداء، ولكنَّه ﴿حَكِيمٌ﴾ يؤخِّر ذلك إلى أن يَكثروا ويَعِزُّوا وهم يَعْجَلون.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨﴾

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾: لولا حكمٌ منه سبق إثباتُه في اللوح وهو أنَّه لا يُعاقبُ أحدًا بخطأ، وكان هذا خطأً في الاجتهاد؛ لأنهم نظروا في أنَّ استبقاءهم ربَّما كان سببًا في إسلامهم وتوبتهم، وأن فداءهم يُتقوَّى به على الجهاد في سبيل الله، وخَفِي عليهم أن قتلهم أعزُّ للإسلام وأَهْيَبُ لمن وراءَهم وأفلُّ لشوْكتهم.

وقيل: كتابُه أنَّه سَيُحِلُّ لهم الفِديةَ التي أخذوها.

قوله:

(ونــــارٍ تــوقَّــدُ بـالـلـيـل نـــارا)[١]

أوّله:

أكـــلَّ امـــرئٍ[٢] تـحـسـبـينَ امــرأً

قال ابن جنّي هو مِن أبيات[٣] الكتاب.[٤]

قوله: (على التقابل) وإنّما قال: "على التقابل"؛[٥] لأنَّ ثواب الآخرة ليس حدثًا عَرَض الدنيا.

قولـه: (﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يغلب) هـو كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات ١٧٣/٣٧].

---

١ البيت لأبي دؤاد الإيادي في ديوانه، ص ١١٢؛ وهو له في الأصمعيّات للأصمعي، ص ١٩١؛ وكتاب سيبويه، ٦٦/١.

٢ ر: أمر.

٣ ر: إثبات.

٤ انظر: كتاب سيبويه، ٦٦/١؛ والتمام لابن جنّي، ص ٧٨.

٥ ر – وإنّما قال على التقابل.

وقيل: إنَّ أهلَ بدرٍ مغفورٌ لهم.

وقيل: إنَّه لا يُعذِّبُ أحدًا إلَّا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولـم يتقدَّم نهيٌ عن ذلك.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٩﴾

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ روي: أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يَمُدُّوا أيديَهم إليها فنزلت.

وقيل: هو إباحةٌ للفداء؛ لأنه من جملة الغنائم.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فلا تُقْدِموا على شيء لم يُعْهَدْ إليكم فيه.

فإن قلتَ: ما معنى الفاء؟

قلتُ: التسبيبُ، والسببُ محذوفٌ معناه: قد أبَحْتُ لكم الغنائمَ فكلوا مما غنِمْتُم، و﴿حَلَٰلًا﴾ نصبٌ على الحال من المغنوم أو صفةٌ للمصدر؛ أي: أكلًا حلالًا.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ معناه: أنكم إذا اتَّقيْتُموه بعد ما فَرَط منكم من استباحة الفداء قبل أن يُؤذنَ لكم فيه غُفر لكم ورحمَكم وتابَ عليكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧٠﴾

قوله: (**وقيل: أنّ أهل بدر**) بفتح "أنّ"، أي: كتابه أنّ أهل بدر.

قوله: (**أمسكوا عن الغنائم**)، يعني: لمّا عُوتبوا على أخذ الفداء ظنوا على الغنائم بخلاف الفداء، يقال: أمسك عن الأمر واستمسك عنه، أي: كفّ عنه وامتنع.

قوله: (**لم يُعهَد إليكم**) يقال: عهد إليه إذا أوصاه، والمعنى: لم يؤثّروا فيه بشيء.

قوله: (**قلتُ: التسبيب**) أي:معناه التسبيب.

قوله: (**مِن المغنوم**)، يعني: مِن الضمير المنصوب المحذوف العائد إلى "ما"، أي: ممّا غنمتموه.

﴿فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾: في مَلَكتكم كأنَّ أيديَكم قابضةٌ عليهم، وقرئ: ﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾.

﴿فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: خلوصَ إيمانٍ وصحَّةَ نيَّةٍ ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفداء: إمَّا أن يُخلِفَكم في الدنيا أَضْعافَه أو يُثيبَكم في الآخرة. وفي قراءة الأعمش: "يُثبكم خيرًا".

وعن العبّاس رضي الله عنه قال: كنتُ مسلمًا لكنَّهم استكرهُوني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن يكن ما تذكرُ حقًّا فالله يَجزيك، فأما ظاهرُ أمرك فقد كان علينا»، وكان أحدَ الذين ضَمِنوا إطعامَ أهل بدر وخرج بالذهب لذلك.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس: «افْدِ ابْني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بنَ الحارث فقال: يا محمدُ، تركتَني أتكفَّفُ قريشًا ما بقيتُ،

قوله: (في مَلَكتكم)،[١] أي: في مِلككم؛ لأنّ هؤلاء الأسرى كانوا مِلكهم بسبب الأسر، يقال: في مِلْكه شيء وفي مَلَكته شيء بالتحريك، أي: لا يملك شيئًا. وفلان حَسَن المَلَكة إذا كان حَسَن الصنع إلى مماليكه.[٢] وقوله: (كأنّ أيديَكم قابضة)، يعني: شبّه كون تلك الأسارى في مَلَكتهم[٣] بكون أيديهم قابضة عليهم، ووجه الشبه التمكُّن[٤] مِن التصرُّف كيف أريدَ، ثمّ قيل: ﴿فِيٓ أَيۡدِيكُم﴾، والمراد "في مَلَكتكم" فيكون استعارة مصرَّحة، أو بقرينة[٥] قوله:[٦] ﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾.

قوله: (وعن العبّاس أنّه قال) أي:للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم.[٧] وقوله: (كنتُ مسلمًا) أي:وقت حرب بدر. وقوله: (ولكنّهم) أي:لكنّ المشركين. وقوله: (استكرهوني) أي:أكرهوني / على محاربة المسلمين. وقوله: (فقد كان علينا)؛ لأنّك كنتَ تُعين المشركين وكنتَ معهم في الحرب. وقوله: (لذلك) أي:لإطعام أهل بدر. [٣٧٣ظ]

قوله: (أتكفَّف) مِن قولهم: تكفَّف الناس، وهو أن يمدّ كفه ليسألهم، يقال:

---

١ ن ر: مملكتكم.
٢ من قوله: "في ملكه شيء" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «ملك».
٣ ر: ملكهم.
٤ ر: المتمكن.
٥ ر: لقرينة.
٦ ر: لقوله.
٧ ر - صلى الله عليه وسلم.

فقال له: «فأين الذهبُ الذي دفَعْتَه إلى أمِّ الفضل وقتَ خروجك من مكَّةَ وقلتَ لها: لا أَدْري ما يُصيبني في وَجْهي هذا، فإن حدَثَ بي حدثٌ فهو لك ولعبد الله وعُبيد الله والفضل»، فقال العباسُ: وما يُدريك؟ قال: «أخبرني به ربي» قال العباسُ: فأنا أشهد أنك صادقٌ، وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله، واللهِ لم يطَّلع عليه أحدٌ إلَّا الله، ولقد دفعتُه إليها في سواد الليل، ولقد كنتُ مُرتابًا في أمرك، فأمَّا إذ أخبرتَني بذلك فلا ريبَ، قال العباسُ رضي الله عنه: فأبْدلني اللهُ خيرًا من ذلك، لي الآن عشرون عبدًا وإنَّ أدْناهم لَيَضربُ في عشرين ألفًا، وأعْطاني زَمْزَمَ ما أُحبُّ أَنَّ لي بها جميعَ أموال أهل مكَّة، وأنا أنتظرُ المغفرةَ من ربِّي.

وروي: أنَّه قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالُ البحرين ثمانون ألفًا، فتوضأ لصلاة الظُّهر، وما صلَّى حتى فرَّقَه، وأمَرَ العباسَ أن يأخذَ منه فأخَذَ ما قدر على حَمْلِه وكان يقول: هذا خيرٌ مما أُخذ مني وأرجو المغفرةَ.

وقرأ الحسن وشيْبةُ: "مما أَخَذَ منكم" على البناء للفاعل.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ﴾: نكْثَ ما بايَعوك عليه من الإسلام، والرِّدَّةَ واستحبابَ

فلان يتكفَّف الناس،[1] وإنّما قال ذلك: لأنّ المسلمين أخذوا ما مع العبّاس مِن الذهب، ولم يجعلوه مِن جملة فدائه؛ لأنّه خرج به الإعانة على المسلمين.

قوله: (لَيَضرب)،[2] أي: ليسافر فيه ويتّجر، يقال: ضرب في الأرض إذا سافر. وضرب الأرض إذا مشى إلى الغائط. قاله في شرح السنّة.[3]

---

[1] ر - وهو أن يمدّ كفه ليسألهم يقال: فلان يتكفف الناس.

[2] بلفظ قريب في مسند أحمد، ٣٣٤/٥ (٣٣١٠).

[3] انظر: شرح السنّة للبغوي، ٣٨٢/١.

دين آبائهم ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ في كفرهم به ونقضِ ما أَخذ على كلِّ عاقل من ميثاقه ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ كما رأيتُم يوم بدر، فسيُمْكِنُ منهم إن أعادوا الخيانةَ.

وقيل: المراد بالخيانة مَنْعُ ما ضَمِنوا من الفداء.

الذين هاجروا -أي: فارقوا أوطانَهم وقومَهم حُبًّا لله ورسوله- هم المهاجرون، والذين آوَوْهم إلى دِيارهم ونَصروهم على أعدائهم: هم الأنصارُ.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾؛ أي: يَتولَّى بعضُهم بعضًا في الميراث، فكان المهاجرون والأنصارُ يَتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات، حتى نُسِخَ ذلك بقوله: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾.

وقرئ: ﴿من ولايتهم﴾ بالكسر والفتح؛ أي: مِن تولِّيهم في الميراث، ووجهُ الكسر: أن تولِّيَ بعضِهم بعضًا شُبِّه بالعمل والصِّناعة كأنَّه بتولِّيه صاحبَه يُزاوِلُ أمرًا أو يُباشر عملًا.

قوله: (مِن ميثاقه) ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف ١٧٢/٧].

قوله: (﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾) أي: فأمكَن المؤمنين منهم ببدر حتّى قتلوهم وأسروهم، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال ومعاداة المؤمنين.

قوله: (وقرئ: ﴿مِن ولايَتِهِمْ﴾ بالفتح والكسر)[١] الوَلاية بالفتح: النصرة. يقال: هم على وَلاية، أي: مجتمعون[٢] في النصرة، وبالكسر: السلطان، فهي بالفتح مصدر وبالكسر اسم كالأمان؛ لأنّه اسم لِما تولّيت به وقمتَ[٣] به.[٤]

قوله: (أي: مِن تولّيهم)[٥] المصدر مضاف إلى المفعول.

قوله: (شبّه بالعمل والصناعة) الظاهر أنّه أراد أنّ المصدر في الصنائع وما يزاول فيه ويعالج على الكسر، فشبّه تولّي بعضهم بعضًا بالعمل والصناعة، كما شبّه عنه الرؤيا عبارة به[٦] فأجري مجراها.[٧]

---

١ قرأ حمزة بالكسر وقرأ الباقون بالفتح. السبعة لابن مجاهد، ص ٣٠٩؛ النشر لابن الجزري، ٢٧٧/٢.

٢ ر: مجتمعين.

٣ ن: وفيت؛ ر: وقيت.

٤ من قوله: "الولاية بالفتح" إلى هنا بلفظ قريب في الصحاح للجوهري، «ولى».

٥ ر: توليتهم.

٦ ن – به.

٧ كذا في الأصول، وما استقامت لي.

﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾: فواجبٌ عليكم أن تنصروهم على المشركين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ منهم ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾: عهدٌ، فإنَّه لا يجوز لكم نصرُهم عليهم؛ لأنهم لا يُبتدَؤون بالقتال إذ الميثاقُ مانعٌ من ذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ ظاهرُه إثباتُ الموالاة بينهم؛ كقوله في المسلمين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال ٨/٧٢]، ومعناه: نهيُ المسلمين عن موالاة الذين كفروا ومُوارَثتِهم، وإيجابُ مُباعَدتهم ومُصارَمتِهم وإن كانوا أقاربَ، وأن يَتركوا يتوارثون بعضُهم بعضًا، ثم قال:

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾؛ أي: إنْ لا تفعلوا ما أمرتُكم به من تواصُل المسلمين وتَوَلِّي بعضِهم بعضًا حتى في التوارُث تفضيلًا لنسبةِ الإسلام على نسبة القرابةِ،

قوله: (﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ منهم) أي: مِن المشركين.

قوله: (﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾) قال في **الوسيط**: «وإن استنصركم المؤمنون[1] الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم وانصروهم، إلّا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد فلا تغدروا[2] ولا تنقضوا العهد».[3]

قوله: (نصرُكم) مضاف إلى الفاعل.

قوله: (**أي: إلّا**[4] **تفعلوا ما أمرتكم به**) يريد أنّ الضمير في ﴿تَفْعَلُوهُ﴾ بمنزلة اسم الإشارة الذي يُشار به إلى جميع ما ذُكر. قيل: ما دلّ على الأمر والنهي؛ لأنّ معنى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ الأمر بتواصل المسلمين. وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ نهي عن تواصل الكافرين، ومِن ثمّة[5] قال: معناه نهي المسلمين، ولذلك صحّ أن يجمعهما.

قوله: (﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾) أي: إن لم تمتثلوا ما أُمرتم به ولم تنتهوا عمّا نُهيتم عنه.

---

[1] ر: المؤمنين.
[2] ر: تعتدوا.
[3] **الوسيط** للواحدي، ٢/٤٧٤ (الأنفال، ٨/٧٢).
[4] ن ر: لا.
[5] ر: ثم.

ولـم تقطعـوا العلائـقَ بينكـم وبيـن الكفـار، ولـم تجعلـوا قرابتهـم كَلا قرابـةٍ= تَحصُـلْ فتنـةٌ فـي الأرض ومفسـدةٌ عظيمـةٌ؛ لأن المسـلمين مـا لـم يصيـروا يـدًا واحـدةً علـى الشـرك كان الشـركُ ظاهـرًا والفسـادُ زائـدًا.

وقرئ: "كثير" بالثاء.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤﴾

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾؛ لأنهم صدَّقوا إيمانَهم وحقَّقوه بتحصيل مقتضياته: من هجرةِ الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأَجْل الدِّين، وليس بتكرارٍ؛ لأن هذه الآيةَ واردةٌ للثناء عليهم والشهادةِ لهم مع المَوْعد الكريم، والأولى للأمر بالتواصل.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٧٥﴾

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة؛ كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر ١٠/٥٩] ألحقَهم بهم وجَعلهم منهم تفضُّلًا منه وترغيبًا.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: أولـوا القرابـات ﴿أَوْلَىٰ﴾ بالتـوارث، وهـو نسـخٌ للتـوارث بالهجـرة والنُّصـرة.

قوله: **(يدًا واحدة)** عبارة عن الاتّفاق[١] والتعاضد. **النهاية**: في الحديث: "اجعل[٢] الفسّاق يدًا يدًا"،[٣] أي: فرّق[٤] بينهم.[٥]

---

١ ر: الانفاق.

٢ ن ر - اجعل.

٣ ما وقفت عليه في غير كتب غريب الحديث. انظر: **الفائق** للزمخشري، ١٢٧/٤؛ **والمجموع المغيث** للمديني، ٥٢٧/٣.

٤ ر: فوق.

٥ انظر: **النهاية في غريب الحديث** لابن الأثير، ٢٩٤/٥.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في حُكمه وقسمته، وقيل: في اللوح، وقيل: في القرآن، وهو آيةُ المواريث، وقد استدَلَّ به أصحابُ أبي حنيفة رحمه الله على توريث ذوي الأرحام.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن قرأ سورة الأنفال وبَراءةَ فأنا شفيعٌ له يوم القيامة، وشاهِدٌ أنه بريء من النفاق، وأُعطي عشرَ حسنات بعَدَدِ كلِّ منافقٍ ومنافقةٍ، وكان العرشُ وحمَلَتُهُ يستغفرون له أيَّام حياتهِ في الدنيا».

Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları
Yayın No. 1435
İSAM Yayınları 267
Klasik Eserler Dizisi 62

TETİMMETÜ'L-KEŞŞÂF (HÂŞİYETÜ'L-ÇÂRPERDÎ ale'l-KEŞŞÂF)
Fahreddin el-Çârperdî

Cilt 4

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî

Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)
TDV İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM)
Tahkik/Tenkitli Neşir Birimi ilmî kontrolünde hazırlanmıştır.
İcadiye-Bağlarbaşı Cad. 38 Üsküdar/İstanbul
Tel. 0216. 474 08 50
www.isam.org.tr yayin@isam.org.tr

Editör Okan Kadir Yılmaz
İlmî kontrol Mehmet Taha Boyalık, Abdurrahman Rıdvan Haraş
İnceleme kısmı son okuma Sait Kayacı (Arapça), Mustafa Demiray (Türkçe)
Tashih (Arapça) Abdulnasır Hakimi (İmla, İndeks ve Bibliyografya), Nour Alhila (İmla)
Ali Haydar Ulusoy (İmla ve İndeks), Azat Sarsanbaev (İmla)
(Türkçe) İsa Kayaalp (İmla), İsmail Özbilgin (Bibliyografya)
Tasarım Ali Haydar Ulusoy, İbrahim Dervişmüezzin (Uygulama),
Hasan Hüseyin Can (Kapak), Ramzi Haj Mustafa (Kapak Hattı)

Bu eser
TDV İslam Araştırmaları Merkezi'nin (İSAM)
İkinci Klasik Dönem Projesi
kapsamında yayımlanmıştır.

Bu kitap
İSAM Yönetim Kurulu'nun
27/12/2024 tarihli ve 2024/11 sayılı kararıyla basılmıştır.

Birinci Basım: İstanbul, Aralık 2024 m. / 1446 h.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.)
978-625-428-637-7 (4. Cilt)

Basım Yayın ve Dağıtım
TDV Yayın Matbaacılık ve Tic. İşl.
Ostim OSB Mahallesi, 1256 Cadde, No. 11
Yenimahalle / Ankara
Tel. 0312. 354 91 31 Faks. 0312. 354 91 32
bilgi@tdv.com.tr
Sertifika No. 48058

Fahreddin el-Çârperdî
Tetimmetü'l-Keşşâf (Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf) [تتمّة الكشّاف (حاشية الجارْبَرْدي على الكشّاف)]
/ Fahreddin el-Çârperdî ; tahkik Ziyâüddin el-Kaliş, Muhammed İmâd el-Nabulsî. İstanbul ;
Ankara : İslam Araştırmaları Merkezi (İSAM) ; Türkiye Diyanet Vakfı, 2024.
4. c. (740 s.) ; 24 cm. – (Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları ; 1435. İSAM Yayınları ; 267. Klasik
Eserler Dizisi ; 62)

Dizin ve kaynakça var.
ISBN 978-625-428-633-9 (Tk.) 978-625-428-637-7 (4. Cilt)

İSAM
TÜRKİYE DİYANET VAKFI
İSLAM ARAŞTIRMALARI MERKEZİ
مركز البحوث الإسلامية

Tetimmetü'l-Keşşâf

(Hâşiyetü'l-Çârperdî ale'l-Keşşâf)

Fahreddin el-Çârperdî
(ö. 746 h. / 1346 m.)

Tahkik
Ziyâüddin el-Kaliş
Muhammed İmâd el-Nabulsî

Proje Yürütme
Mehmet Taha Boyalık

Dördüncü Cilt

TÜRKİYE DİYANET VAKFI YAYINLARI